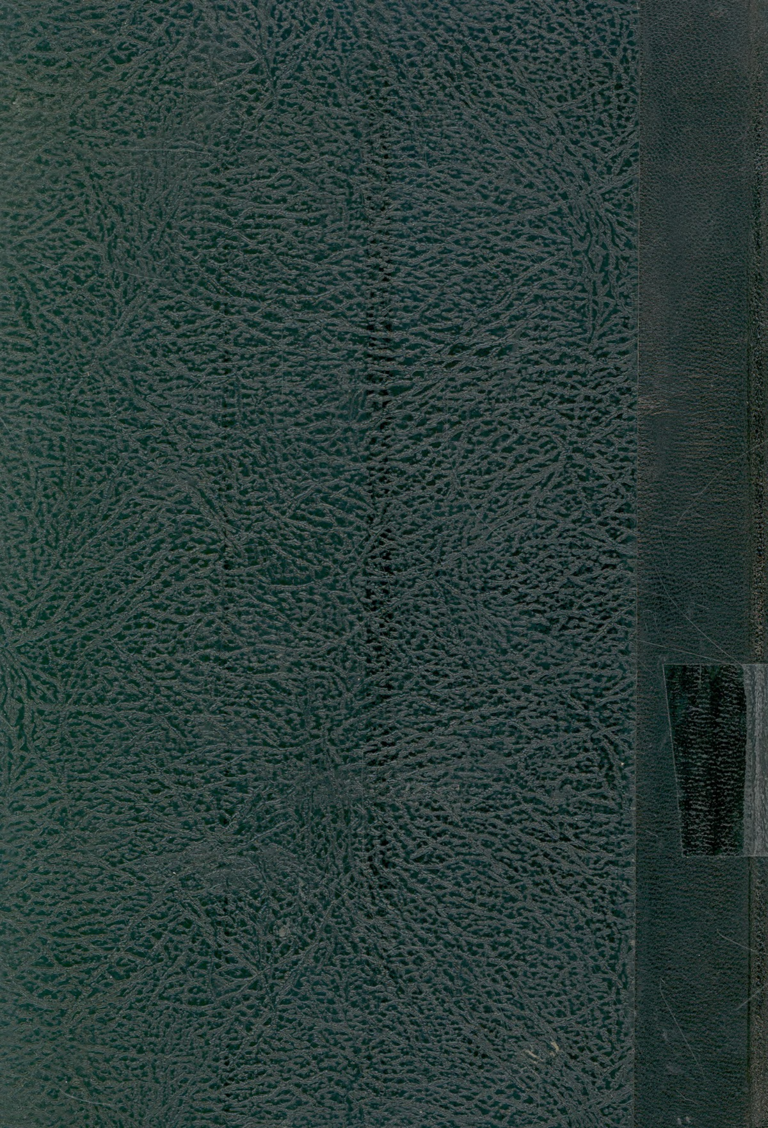


المقتطف

الجزء السابع من المجلد السابع والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٢٠

السلم في بلاد البوير



اللورد ربرتس



اللورد كتشنر

سلَّم البوير للانكليز في اليوم الاخير من شهر مايو (ايار) وقد ثبت لهم انهم لا يستطيعون مناوأة امَّة لا نسبة بينهم وبينها في المال ولا في عدد الرجال وان اعتمادهم على غيَر الدهر ان تقلب لخصومهم ظهر المجن اضغاث احلام. واخْذهم بمواعيد المغرّرين بهم ضعف في الرأي واستناد على الاوهام. ورأوا من الامَّة التي تحاربهم شهامة وكرم اخلاق وعلموا ان اللاجئين اليها يكرمون والمستظلين بظلها لا يضامون. فالقوا سلاحهم عن طيب نفس ورضوا بشروط التسليم ورحَّبوا بالحكومة الجديدة التي رأَوا ان لا بدَّ لهم منها جارين على قول الحكماء اذا لم يكن لك ما تريد فارد ما يكون. فكانوا ابطالاً بواسل في الحرب دهاةً متبصرين في السلم يعرفون كيف يناهضون عدوهم وكيف يصافونهُ. ولو قبلوا هذا السلم على ضغَن ولأَموا جرح نفوسهم على غثم

كما فعل غيرهم من امم المشرق ما نالهم من هذه الحرب غير الصغار بعد خراب الديار . اما وقد قالوا للانكليزحار بنا كم ما ظننا الحرب حزماً وسالمنا كم لما رأينا السلم غنماً والدنيا مصالح وسنخلص لكم الولاء كما يخلصهُ ابناؤكم الادنون فلا يبعد ان نراهم بعد اعوام قليلة ممتزجين بالامة الانكليزية امتزاج الراح بالماء لهم ما لها وعليهم ما عليها يحسبون عزها عزهم وصولتها صولتهم فيمنون تحت رايتها ويفلحون ويكون ابطالهم سيفها الصقيل . ولو فازوا بالاستقلال التام ما امكنهم ان ينشئوا لانفسهم دولة لها عشر صولة دولتهم الجديدة . واكبر ما يُعترض بهِ على الحرب الماضية ما فقدتهُ الامتان من المال والرجال اما المال فغادٍ ورائح ولا يضيع مال ينتقل من يد زيد الى يد عمرو من ابناء الامة الواحدة . فما انفقتهُ الحكومة الانكليزية على الحرب بقي اكثرهُ في يد ابنائها. واما الرجال فجراح الذين فقدوهم اليمة ولكن الزمان يبرئها ونكبة الامة بهم كبيرة ولكنها لا تقاس بنكبات الدهر ففي عشر دقائق قتل بركان يلي اضعاف مَن قُتل في هذه الحرب ولذلك شمل السرور الامتين المتحاربتين يوم وضعت الحرب اوزارها وشاركهما فيهِ اكثر امم الارض . اما شروط التسليم فهي هذه منقولة عن المقطم الصادر في ١٠ يونيو

المادة الاولى . يسلم البوير الباقون في ساحة القتال اسلحتهم وكل مدافعهم وبنادقهم وذخائرهم ويمتنعون عن المقاومة لسلطة جلالة الملك ادورد السابع ويعترفون بانهُ ملكهم الشرعي . اما كيفية هذا التسليم وطرقهُ فيتَّفق عليها بين اللورد كتشنر والقواد بوتا ودلاري ودي وت

المادة الثانية . كل البوير الذين هم خارج حدود الترنسفال ومستعمرة اورنج واسرى الحرب الذين هم خارج جنوب افريقية يردون الى اوطانهم اذا قبلوا شروط الرعوية لجلالة الملك ادورد السابع ويكون ردهم اليها تدريجاً حالما تسمح بذلك وسائط النقل وتضمن لهم وسائط اعالتهم

المادة الثالثة . البوير الذين يسلمون او يرجعون على مقتضى هذه الشروط لا يعدمون حريتهم الشخصية ولا املاكهم

المادة الرابعة . لا تقام دعاوى مدنية ولا جنائية على البوير الذين يسلمون او يرجعون على الوجه المتقدم ذكرهُ وهذا العفو لا يشمل الذين ارتكبوا اموراً مخالفة لاصول الحرب المرعية التي ابلغها القائد العام الى قواد البوير والتي تُنظَر في مجالس عسكرية بعد انتهاء الحرب

المادة الخامسة . تعلَّم اللغة الهولندية في المدارس العمومية في الترنسفال واورنج حيث يشاء الوالدون تعليمها وتستعمل في المحاكم حيث يكون استعمالها اصلح للقضاء بالعدل بين المتقاضين

المادة السادسة . يرخص باقتناء البنادق للذين يحتاجون اليها ليحموا انفسهم في مستعمرة اورنج على شرط ان يحصلوا على رخصة بذلك طبقاً للقانون

المادة السابعة . تستبدل الحكومة العرفية (الادارة العسكرية) في الترنسفال وفي اورنج باقرب ما يمكن بحكومة مدنية ثم تعطيان حكومة نيابية توطئة للاستقلال الاداري (الاستقلال في الشؤون الداخلية) حالما تسمح الاحوال بذلك

المادة الثامنة . لا يفصل في مسألة اعطاء حقوق الانتخاب للوطنيين الأ بعد تقرير الاستقلال الاداري

المادة التاسعة . لا تضرب ضرائب خصوصية على العقارات في الترنسفال وفي مستعمرة اورنج لسد نفقات الحرب

المادة العاشرة . تعين لجنة يشترك فيها اهالي البلاد في كل قضاء من اقضية الترنسفال ومستعمرة اورنج برئاسة رجل من اهل القضاء او موظف آخر حالما تسمح الاحوال بذلك لرد الاهالي الى اوطانهم ومساكنهم واعطائهم ما يلزم من الطعام والمأوى والمواشي والبذار (التقاوي) والآلات وغيرها مما لا غنى عنهُ للذين باتوا غير قادرين على اقتناء شيء من ذلك بسبب الخسارة التي خسروها في الحرب

وستضع حكومة جلالة الملك ثلاثة ملايين جنيه تحت امر تلك اللجان للغاية التي تقدم ذكرها . ثم ان السندات التي كتبتها جمهوريتا جنوب افريقية طبقاً لقانون سنة ١٩٠٠ وجميع الوصولات التي اعطاها ضباط الجمهوريتين السابقتين المحاربون او اعطيت بامرهم تعرض على لجنة قضائية تعينها الحكومة فاذا رأت هذه اللجنة ان تلك السندات والوصولات اعطيت على اشياء ذات قيمة تحسبها اللجان التي تقدم ذكرها من الاوراق المثبتة للخسارة الحربية التي خسرها من أُعطيت لهُ والاَّ فلا

هذا وحكومة جلالة الملك مستعدة لاقراض البوير لمثل هذه الغاية ايضاً اموالاً بلا رباً مدة سنتين وتستردها منهم بعد عدة سنوات بربا ٣ في المئة وذلك عدا الثلاثة الملايين الجنيه التي تعطى لهم هبة ولا يحق لاحد من الاجانب او من العصاة ان يتمتع باحكام هذه المادة

وقد وقَّع هذه الشروط اللورد كتشنر واللورد ملنر بالنيابة عن الحكومة البريطانية وعشرة من مندوبي البوير ستة منهم بالنيابة عن الترنسفال وهم شلك برجر وربتز والقواد لويس بوثا ودلاري ولوقامابر وكروغ واربعة بالنيابة عن اورنج وهم القواد دي وت بالاصالة عن نفسهِ والنيابة عن ستين رئيس جمهوريتها السابق وبربنر واوليفيه والقاضي هرتزوج

وادار الانكليز رحى هذه الحرب بقوادهم المشهورين نخص منهم بالذكر اللورد ربرتس واللورد كتشنر اما اللورد ربرتس فاستلم القيادة العامة حينما رأى الانكليز ان خصمهم اقوى

مما قدروا وانهُ لا بدَّ لهم من ان يرموهُ باعظم رجالهم الذين اذخروهم لنوائب الدهر. ثم تبينوا ان جنديتهم تستدعي الاصلاح من مركزها فاعادوا اللورد روبرتس الى بلاد الانكليز ليتولى ادارة الجنود العامَّة وابقوا اللورد كتشنر في ساحة الوغى فذلل الصعاب ومهد العقاب ولقي الاعداء بعزم يفل الحديد الى ان فاز فوزًا مبينًا فضم الى بلاده بلادًا وافرة الغنى والى امتهِ امةً تهابها اسود الشرى.

وكان عدد جنود البوير في بدء القتال نحو خمسين الفًا وعندهم من الميرة ما كفاهم هذا الزمن المديد. وبلادهم بعيدة الاطراف وعرة المسالك وهم وحدهم العارفون بمجاهلها ومكامنها وبقي منهم في ساحة القتال وقت التسليم نحو تسعة عشر الفًا. وكانهم حسبوا ان نوائب الدهر قد تقضي على الانكليز بمصالحتهم إِما بثورة تحدث في ممالكهم حينما تقل جنودهم منها او بمغاضبة الدول الاوربية لهم او بما بدا من طمعها ببلاد الصين. لكن خاب فالهم واتحدت انكلترا واليابان اتحادًا يضمن سلامة الشرق الاقصى وظلَّت دول اوربا معها على الموالاة والمصافاة حتى اذا لم يبقَ في قوس الرجاء منزع رأى قوَّاد البوير ان لابدَّ لهم من القبول بشروط التسليم المعروضة عليهم فاجتمعوا في بريتوريا مع اللورد ملنر واللورد كتشنر في اوائل شهر مايو الماضي وظلوا في اخذ ورد الى ان اقتنعوا واقنعوا رجالهم بالقبول فامضيت الشروط على ما تقدَّم وكان التسليم يجري على هذا النمط: يذهب قائد البوير مع قائد انكليزي اي حيث يكون جنود البوير ثم يسبقهُ اليهم ويكلمهم في الامر ويقنعهم ان التسليم صار اسلم لهم عاقبة وان كل ما فيهِ انما هو انتقالهم من حكومة الى اخرى ويكتب اسماء ضباطهم. فيسألونهُ عن كل ما يخطر لهم وهو يجيبهم الى ان يقتنعوا بصحة قولهِ ثم ينشدون نشيدًا دينيًّا ويعظهم قسيسهم عظة دينية وحينئذٍ يصل القائد الانكليزي فيخطب فيهم خطبة وجيزة ترحيبًا بهم فيشكرونهُ ويمرُّون امامهُ وهم يطرحون ما معهم من البنادق والميرة وكثيرون منهم لا يملكون انفسهم عن البكاء حينما يلقون بنادقهم من ايديهم لكنهُ البكاء عند وداع إِلْف عزيز لا على فقد حق او حلول مكروه. ويكون القائد الانكليزي قد اعدَّ لهم الطعام فيسيرون اليهِ ويأكلون اما ضباطهم فيعطيهم اذنًا لتبقى اسلحتهم معهم. ويشرع رجال البوير حينئذٍ يسألون عن عيالهم وعمَّا اذا كان يجوز لهم الاجتماع بهم حالاً وتعطى كل عائلة خيمة ومؤونة عشرة ايام

ويظهر مما يروى عن رؤساء البوير ومما قرأناهُ من خطبهم ومنشوراتهم ان غرضهم الاكبر الآن ان يميلوا بقلوب شعبهم الى مراضاة الانكليز ومصافاتهم حاسبين انهُ اذا تمَّ لهم ذلك فالانكليز لا يعاملونهم معاملة امَّة مغلوبة مقهورة بل معاملة امَّة انضمت اليهم وصارت منهم

لنا ما لهم وعليها ما عليهم وهذا هو الفوز الاكبر فيستفيد البوير والانكليز معًا لان البلاد واسعة وخيراتها كثيرة تكفي اهلها ومن يهاجر اليها ومتى تساوى السكان في الحقوق المدنية يبقى السبق لذوي الهمم العالية

وقد انصف الانكليز البوير وتراهم يطنبون ببسالتهم كما خاطبوا فريقًا منهم في امر التسليم ويقولون لهُ ان الملك نفسهُ قد ارسل يحييكم ويثني على بسالتكم فتبرق اسرّتهم ويدعون لهُ بالنصر وتكبر نفوسهم بعد صغرها ويستسهلون التسليم الى مَن يقدرهم قدرهم

ولما تمَّ التسليم بعث اللورد كتشنر الى قواد البوير الثلاثة بوثا ودلاري ودودت تلغرافًا يقول فيهِ: لقد تمَّ الآن تسليم الاسلحة في الترنسفال وكولونية نهر الاورنج ولذلك اردت ان اعلن على رؤُوس الاشهاد ما رأَيتهُ من الهمة والدراية في تسهيلكم عمل رجالي فبهمتكم ونصائحكم قبل رجالكم تغيير الحكومة عن طيب نفس وأُؤكد لكم ان الولاء الذي اظهرهُ رجالكم قد سرَّ جلالة الملك سرورًا عظيمًا وحوَّل اليكم قلوب الامَّة الانكليزية التي ترحّب بكم كاخوان لنا في الرعوية واثق اننا قد ابتدأْنا الآن بعصر تعيش فيهِ كل الامم القاطنة جنوبي افريقية على تمام الوفاق والوئام

وغنيٌّ عن البيان ان هذه الحرب التي انفق عليها الانكليز اكثر من مئتي مليون جنيه عادت عليهم بربح سياسي يفوق المال الذي انفقوهُ اضعافًا مضاعفة فاثبتوا لممالك اوربا واسيا ان مستعمراتهم اعضاءٌ حيَّة منهم متَّصلة اعصابها بالراس تتألم لالمهِ وتستريح براحتهِ وتعاونهُ بالمال والرجال وانهم يستطيعون ان يرموا خصمهم باكثر من مئتي الف من الجنود ولو كان في اقصى المعمور من غيران تقلَّ حامياتهم او تفرغ خزائنهم . ثم هم لم يغلبوا بلادًا ويتركوا اهلها خصومًا لهم يخشى شرُّهم ويتوقَّع انتقاضهم دوامًا بل اصطنعوهم بالمعروف بعد ان كسروا شوكتهم . وهم موطِّنون النية الآن على ان يمتعوهم بالحقوق المدنية التي يتمتع بها اخوانهم من اهالي المستعمرات الانكليزية فيكون شأْنهم مثل شأْن اهالي بلاد الراس ومثل اهالي استراليا وكندا

وقد كتبنا في اليوم الاخير من شهر مايو سنة ١٩٠٠ ما نصهُ " وستضمُّ تلك البلاد الى الممالك الانكليزية فاذا رضي اهاليها بما قُدِّر لهم وامتزجوا بالانكليز عن طيب نفس شاركوهم في كل الحقوق والامتيازات ولم يعد ابناؤُهم يفرقون عن ابناء الانكليز كما لا يفرق بين ابناء الشعوب المختلفة المؤلفة منها الامَّة الانكليزية " (انظر المقتطف الصفحة ٥٥٦ الصادر في يونيو سنة ١٩٠٠) ولم يخطر ببالنا حينئذٍ ان هذا القول يحقَّق حكمًا بعد سنتين كاملتين تمضى شروط الصلح في اليوم الاخير من شهر مايو سنة ١٩٠٢ والامور مرهونة باوقاتها

السيد عبد الرحمن الكواكبي



الرجال ثلاثة شريرٌ ضررهُ اكثر من نفعهِ فهو عضو فاسد في جسم العمران لا يؤسف على انفصالهِ منهُ . وخامل لا يرجى خيرهُ ولا يخشى ضيرهُ يحيا لنفسهِ حياة حيوانية او نباتية يصحُّ ان يقال فيهِ ان عاش او مات على حدٍّ سوى . وفاضل نفعهُ اكثر من ضررهِ او هو خير بلا شر ونفع بلا ضرر وهذا الفريق ليس قليلاً ولكنهُ متفاوت الدرجات . والذين بلغوا من الفضل والكمال مبلغاً كبيراً حتى صاروا نفعاً محضاً لابناء نوعهم قليل عددهم لكنهم ملح الارض ويظهر لنا اننا فقدنا واحداً منهم في خلال هذا الشهر رجلاً سيماءُ الفضل في وجههِ ودلائل سعة العلم ونبالة الغاية في حديثهِ لم تُتح لنا معاشرتهُ الاَّ برهة وجيزة لكن الفضل لا يخفى والقرائح لا تستتر وقد شقَّ علينا فقدهُ لاننا نعدُّ خسارة البلاد الشرقية بهِ عظيمة وطلبنا من احد مريديهِ ان يتحف المقتطف ببعض ما يعلمهُ من امرهِ عسى ان تنبه قراءتهُ بعض النفوس الزكية لتتناول العمل

الذي تركهُ وتنسج على منوالهِ فكتب الينا الفصل التالي وكأنهُ نطق بلساننا في وصفهِ وزاد اموراً لا نعرفها من تاريخهِ قال

" قال احد اساطين العلماء المعاصرين وقد جرى في حضرتهِ ذكر النهضة الاسلامية الحاضرة : ارى في هذه الشجرة الجرداء بعض اوراق خضر وما ادري هل هي بقايا القوة القديمة او هي دلالة على حياة جديدة

هذا ما قالهُ العالم المشار اليهِ وسواءٌ صحَّ حكمهُ على هذه الاوراق او لم يصحَّ ففقيد هذا الشهر السيد عبد الرحمن الكواكبي هو ولا شك احد تلك الاوراق بل تلك الاغصان الخضراء التي كان يرجى منها ان تمتد وتلتفَّ لولا ان صُوّحت قبل اوانها

صاحب الترجمة كان كبيراً في عقلهِ كبيراً في همتهِ كبيراً في علمهِ ولد في حلب سنة ١٢٦٥ ﻫ من اسرة عريقة في العلم مشهورة بالسيادة من سلالة السيد ابرهيم الصفوي الذي هاجر من اردبيل قبل اربعمائة سنة وكان من اهل الامارة وزعماء الناس . ولما كان في السادسة من عمرهِ اخذتهُ عمتهُ من والدهِ الى بلدها انطاكية وكفلتهُ نحو ثماني سنين فاحسنت كفالتهُ وكانت من النابغات في الدهاء وحسن التربية والعقل فاخذ عنها الفقيد ما ظهرت عليهِ اماراتهُ بعدُ بابهى المظاهر ولما رجع الى حلب يافعاً سلمهُ والدهُ الى اساتذة عصرهِ فدرس علوم الادب والشريعة وبرَّز فيها على اقرانهِ واجازوهُ بما لقنهُ عنهم الاَّ انهُ لم يكتفِ بتلك العلوم وسمت بهِ الهمة الى مطالعة ما يتعلق بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ثم درس العلم الطبيعي والرياضي على اساتذة خاصة فنال من كل ذلك حظاً وافراً

ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين من عمرهِ حتى اصبح فريد مصرهِ وما زال الزمن يحنكهُ وعشرة الرجال تنفعهُ حتى حرر جريدة " الفرات " واصدر في اثناء ذلك جريدة "الشهباء" أُقفلت بعد حين ثم وسدت اليهِ وظائف عديدة في خدمة الحكومة فقام باعبائها كلها قيام الرجل البصير الذي لا يرغب الاَّ في ادخال الاصلاح حيث حلَّ . ولهُ في ذلك آثار يعرفها ابناء وطنهِ كاصلاحاتهِ في المحكمة الشرعية والمجلس البلدي وغرفة التجارة والزراعة والصناعة وادارة حصر الدخان وغيرها من الوظائف الكثيرة الكبيرة

بيد انهُ كان من طبع الفقيد ان يقول الحق ولو على نفسهِ ومن كان هذا حالهُ يقاسي الامرّين ولا يهدأ لهُ بال فكان ينصح بعضهم بالرجوع عن الجور والعسف فحنقوا عليهِ من جراء ذلك وتواطأ بعض العمال مع الاعيان عليهِ وساموهُ من ضروب التنكيل الواناً فصبر على ما اصابهُ مما يعيب في العادة المنوّرين العقلاء في البلاد الشرقية

حتى اذا ضاق صدرهُ من النكبات خرج من بلدهِ فجاء مصر ثم ساح سياحتين عظيمتين الى بلاد العرب وشرق افريقية وبعض بلاد الهند اتى منهما بفوائد جليلة ليتهُ توفق الى تدوينها وقد نشر في مصر كتابين مبتكرين وهما "ام القرى" "وطبائع الاستبداد" وكلاهما يدلان على فضل الرجل وعقلهِ شخَّص فيهما امراض الشرق تشخيص حكيم بصير بمزاج المريض واعراض اسقامهِ ووصف لهُ ما ارتآهُ من الادوية الناجعة فاجاد وافاد

امَّا صفات الفقيد فكانت من احسن ما ينبغي ان يكون عليهِ رجال النهضات فما عُرِف بمنكر ولا توانى في امر بدأ فيهِ ولا تضجر ولا تملل . وكان رحب الصدر خلاَّبًا للالباب اذا ضمك وايَّاهُ نادٍ لا تريد فراقهُ من بعد . فكان يخاطب الناس على قدر عقولهم فهو سياسي محنك مع الساسة وعمراني اجتماعي مع علماء العمران وعالم ديني مع علماء الدين وتاجر مع التجار وزارع مع الزراع وصانع مع الصنَّاع وعامل مع العمال وكبير مع الكبراء بحيث كان الناظر اليهِ لاول وهلة يقرأ في جبهتهِ امارات العقل والخبرة الطويلة والعلم الوافر

وقد صادفنا الحظ فاجتمعنا بهِ مرارًا رأيناهُ فيها من العظماء الذين لا يتيسر لبلادنا ان ينبغ امثالهم فيها كل حين وشهدنا منهُ رجلاً واسع المادة بعيد غور العقل يتكلم عن روية ولا ينطق عن هوى عليهِ سيماء الكآبة مما مُني بهِ . واكد لنا احد المتعلقين بهِ انهُ كان لا يجاريهِ مجارٍ في الوقوف على احوال الشرق واماراتهِ وحكامهِ قديمها وحديثها وكان اعرف العارفين بتاريخ العثمانيين وتراجم رجالهم المعاصرين والغابرين

ولما كان في حلب حاول امورًا كثيرة لم يجب طلبهُ فيها منها طلب امتياز بانشاء مرفإٍ في السويدية ميناء انطاكية وخط حديدي من السويدية الى حلب وجر مياه نهر الساجور قرب مدينة عينتاب الى حلب فتعمر بذلك اراضٍ كانت قاحلة جرداء وجر عين البليعة من ارمناز الى ادلب ليحيي القضاءان وكان احدهما غامرًا بالمياه والآخر لا مياه فيهِ وانارة حلب وبيره جك ومرعش وادرنه بالكهربائية بواسطة قوة انحدار الماء في نهر العاصي قرب دركوش في محل اسمهُ المضيق في جسر السقور . ونال امتياز معدن ارغني من اعمال ولاية حلب استخرج فلزهُ ثلاث سنوات ونحو ذلك من الآثار التي تدل على كبر همتهِ وعلو نفسهِ

وبالجملة فالفقيد يعدُّ من كبار رجال النهضة الحديثة في هذه الديار الاَّ ان المحيط لم يساعدهُ والاجل لم يمهلهُ حتى يتم مقاصدهُ السياسية والدينية على ان النغمة التي ضرب عليها قد اسمعت بعض الناس ولو لم يهبط مصر لكان دفن مع من دفن في تلك البلاد ولم يعرف عقلهُ ولا فضلهُ رحمهُ الله رحمة واسعة وعزى فيهِ الفضيلة والعمل "

نشأة اوربا المدنية

الركن الرابع . افتتاح القسطنطينية

ان مدير الاكوان الذي بيدهِ النصر يؤتيهِ من يشاء وهو على كل شيء قدير قيَّض فتح القسطنطينية للسلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ . وهذه الحادثة هي النقطة التاريخية الكبرى الفارقة بين التاريخ المتوسط وبين التاريخ الحديث . وفي تلك النقطة بلغ الاسلام اوج مجدهِ ونال الارب من عرش الروم فقلبهُ ولكن بعد ان تهدَّد هرقل باكثر من تسعمئة سنة كما نالت النصرانية اربها سابقًا من العرش الروماني فقلبتهُ بلا حرب ولا قتال . على ان هذا الفوز تأخر عن وقتهِ ولم يعد في الامكان ان يحسب مقدَّمة لغزو اوربًا كما يظهر من تواريخ القرون الثلاثة التي تلت افتتاح القسطنطينية . وعوضًا عن ان يلاشي الاسلامُ الديانة المسيحية من اوربًا كما لاشاها من افريقية او يضعفها الى حد الموت كما في اسيا فقد خدمها خدمةً جليلة حتى كان افتتاح القسطنطينية من اعظم الفوائد لاوربًا والنصرانية

فقد كان لذلك الفتح دوي هائل في عواصم اوربًا طنَّت بهِ اسماع الامراء والملوك فاستنهض هممهم وجمع اشتات قوتهم لصد من حسبتهُ اوربًا العدو الالد لها

وخدم ذلك الفتح اوربًا من وجه آخر اذ امدَّها بصفوف المتأدّبين ارباب البحث والطلب الذين شق عليهم ان يبقوا في بلادهم بعد خضوعها للغريب عنهم جنسًا ومذهبًا فضربوا في الديار الغربيَّة حاملين معهم الاسفار والرقوق المخبوءة مباحث ذلك العصر وآثار العصور الخوالي وانبثُّوا في اقطار اوربا وبثوا فيها تلك الافكار انبثاث الاشعة النورانيَّة في الواح الزجاج فتشعشعت منها انوار المحبة والبهاء . وبذلك امتاز فتح القسطنطينيَّة عن الحملات الصليبيَّة لان تلك حملت لاوربا بعض الافكار ولكن هذا حمل اليها رجال الافكار انفسهم . وكان تقاطر تلك الجماهير الى قلب اوربا محرّكًا لاحساسات الاخاء وساترًا آثار الاحقاد والضغائن بين اللاتين واليونان . فزاد ذلك الحركة العقليَّة قوَّة وانتشارًا . وصارت اوربا غنية باركان النشأة وادركت ما كانت تحلم بهِ اخواتها من قارّات الدنيا في غابر الازمان

الركن الخامس . اختراع الطباعة

الطباعة يد المدنية والمعارف بها تنتشر العلوم والفنون بسرعة وسهولة لا يمكنان بدونها . فكل بلاد خلت من المطابع والمطبوعات يتعذَّر عليها السير الحثيث في مضمار الادب . ويتضح ذلك من النظر في سياحة المعارف قبل استنباط آلة الطبع وبعدهُ . فكم كان يعسر على

الباحثين تحصيل العلوم قبل وجود المطابع اذ كانوا يلتزمون ان يجوبوا الآفاق للاطلاع على مستودعات الافكار المذخورة في المكاتب الشهيرة كمكتبة الاسكندرية ومكتبة الفاتيكان وغيرها . كان الباحثون يقصدونها من اقاصي اوربا كما يقصد الاثريون في ايامنا خرائب بابل وطيبة وطروادة من اوربا واميركا ليفتشوا عن حجرٍ مكتوب او عمود منقوش او قطعة قرميد رسمت عليها رسوم تضيف الى التاريخ القديم بعض الحقائق المجهولة

وكم كانت النساخة صعبة وما اكثر النفقات التي تستلزمها. فان مؤلفات رجل واحد شهير قد تستغرق حياةً كاملة للحصول على نسخة كاملة منها فكم يلزم من التعب والوقت والنفقات والاعتناء للحصول على نسخ عديدة من مؤلفات كثيرين وهذا آل الى انحصار المعارف في قليلين من اصحاب المواهب وعجز الكثيرون عن ادراكها

وسنة ١٤٣٨ توفَّق يوحنَّا غوتمبرغ الى اختراع آلة الطبع فظهرت لاهل ذلك العصر من اغرب الغرائب حتى نسبوها لاعمال الجان لما رأوهُ في النسخ العديدة من الاتفاق في عدد الصفحات والسطور وترتيبها والوان حبرها فامسكوا حاملها ولم يتركوهُ حتى اطلعهم على سرها وبيَّن لهم انهُ لا مدخل للجان والشياطين فيها

وكان اوَّل المطبوعات نسخة من الانجيل طبعت في مدينة ليبسك من اعمال المانيا فبادر الناس الى مطالعتها ولم يمضِ وقت طويل حتى ملأت المطبوعات الاقطار الادبية وانتشرت بواسطتها الافكار الشريفة باكثر سرعة وسهولة . وازدانت البلدان الاوربية بما لا يحصى من انواع الكتب والجرائد المفيدة التي يحمل منها يوميًّا من مملكة الى مملكة قناطير مقنطرة واستطاع الانسان ان يشارك العالم الواسع بافكارهِ وهو جالس في بيتهِ ويسيح في كل الاقطار وفي كل عصور التاريخ ويقف على كل المبادىء والآراء التي في العالم

ووفت الطباعة بما يحتاج اليهِ العالم لاجل النشأة الجديدة لان الافكار الشريفة لا يحتاج الاَّ الانتشار لكي تسود فالطباعة سيف المدنية الصقيل الذي بهِ بترت وتين الجهالات وقيود الخشونة التي كبَّلت ايدي العمران عن ان يأتي بما فيهِ سعادة النوع الانساني . فانحلَّت الوثق التي كانت تربط ايدي مشاهير العاملين في الدنيا وتمكَّنوا من الخدم الجليلة التي كان المجتمع البشري في شديد الافتقار اليها . وكانت امريكا محجوبةً يومئذٍ بحجب الخفاء عن اعين العالم المتمدّن واسيًا ترسف في قيود الاستبداد وافريقية مكتنفة بغياهب الظلمات والمظالم التي تحول بينها وبين الحياة الادبيَّة فانحصر تأثير المطابع في اوربا وفي القسم الغربي منها على الخصوص الذي هو مهد النشأة الحديثة

الركن السادس . الاكتشافات البحرية

دخلت بحرية اوربا وقت الحروب الصليبية في طور جديد لم يعهده العالم من قبل . فان مراكب الفينيقيين القدماء والسفن الرومانية التي كانت سيدة البحار قلَّما جاوزت شطوط البحر المتوسط وشرقي الاتلانتيك وطرف البحر الاحمر . امَّا في القرن الرابع عشر فسارت سفن اوربا من اقاصي الشمال واخذت تشق عباب الاوقيانوس الهندي والباسفيك حتى بلغت الاقاصي المجهولة وكانت الاولية في هذا المضمار للبرتوغاليين والهولنديين وتلاهم الاسبان والفرنسيس فالانكليز فالطليان . وكانت بداءة الحركات البحرية التجوال حول الشطوط الافريقية فاكتشفوا راس الرجاء الصالح ومنهُ انفتح الطريق البحري الى هندستان فصارت سفن اوربا تسير الى الاقسام الشرقية من قارة اسيا دائرة حول افريقية

وبعد ذلك عنَّ لكولمبوس الايطالي ان يقصد الهند من طريق بحريّ جديد من غير ان يدور حول افريقية وايقن انهُ اذا سار غربًا يصل الهند . ولمَّا عرض رأيهُ على غيرهِ صادف ما يصادفهُ كل مكتشف من الصعوبات والموانع حتى اتاح لهُ الحظ التوصُّل الى ملكة اسبانيا فمدَّت اليهِ يد المساعدة وسار قاصدًا بلاد الهند فساقتهُ يد العناية الى جزائر الانتيل وكان ذلك في سنة ١٤٩٢ فسميت جزائر الهند حسبان انها من هندستان . ثم لما تبين انها ليست كذلك سميت جزائر الهند الغربية تمييزًا لها عن هندستان التي تدعى الهند الشرقية . واخذت المراكب تتقاطر من اوربا الى تلك الاقطار وذلك بعد رجوع كولمبوس واذاعتهِ اخبار الاكتشاف . وتوالت الاكتشافات حتى كشفت اميركا الشمالية واميركا الجنوبية وجزائرهما . وكان ذلك من انفع العوامل في احداث النهضة الاوربية كما يتضح ممَّا يأتي

ولما قبضت اوربا على ازمة امريكا ساقت اليها مراكبها مشحونة بالرجال والجنود لامتلاك الكنوز واحراز المعادن الذهبية والفضية المذخورة فيها . فدخلوا براريها الواسعة ورقوا جبالها العالية ومخروا في انهارها العظيمة وجنوا اثمارها وغلالها واستخرجوا معادنها الثمينة . وتقاطرت الاقوام الاوربية اليها جماعات للاستعمار والمتاجرة والتمتع بحرّية الافكار

ومن المحقق ان اكتشاف امركا آل الى زيادة الرغبة في الاسفار البحرية فاكتشف كثير من الجزائر وكشفت بقيَّة اقسام اسيا اعني الصين واليابان وكوريا واوستراليا وغينيا الجديدة وجزائر الباسفيك . فكمل رسم خريطة الارض واتسعت دائرة التجارة وزادت حركة الصناعة وكثرت المعدات البحرية بفنونها من حربية وهندسية وميكانيكيَّة لاجل حماية المتاجر والمستعمرات فتمكنت اوربا من احراز الثروة الطائلة والشهرة الذائعة وبسطت حمايتها على اكثر اقسام المعمور

. واذا شئت ان تعرف نسبة الامم الاوربية الى النشأة الجديدة فيمكنك ان تجعل نسبة بين بحريتها ومقامها لان البحرية هي سر الرفعة في هذه الاعصر كما قال امبراطور المانيا الحالي " ان مستقبل الامبراطورية الالمانية يتوقف على بحريتها " . وقد سبقهُ الى ادراك هذه الحقيقة الدولية بطرس الاكبر قيصر الروس من مدة مئتي سنة . فمضى من بلادهِ الى هولندا وانكلترا حيث اتقن صناعة بناء السفن وارسل بعثةً من شبان بلادهِ لنقل ذلك السر الذي يتوقف عليهِ اساس الفوز العظيم في سيادة الامَّة . ولو كانت لروسيا قوة بريطانيا البحرية لما سبقتها هذه الى نشر رايتها فوق اربعمئة مليون في اقسام مختلفة في الكرة الارضية

وخلاصة الكلام ان اكتشاف اميركا حرَّك اوربا وفتح لها باباً واسعاً للعمل في اقليم حسن التربة صالح لمغروسات الفكر يثمر اثماراً وافرة للعاملين فيهِ وبذلك رفع اوربا رفعةً لم تكن تحلم بها الامم التي عاشت في الاعصر السالفة

الركن السابع . الاصلاح الديني

ان الاختلاف في هذا الموضوع كاهميتهِ في التاريخ البشري . فانك بينما ترى البعض يحسبونهُ اعظم بركات العالم الادبي واقوى العوامل في احداث النشأة الاوربية الحديثة ترى غيرهم يعدهُ من الهنات الهينات التي لا علاقة لها بحوادث العمران المعاصرة والتالية . على ان منشأ الاختلاف المذكور انما هو التعصُّب المذهبي وليس ذلك من اغراضنا هنا ولا ريب في ان الجانب الاكبر من الكتَّاب والمحققين من الراي الاوَّل

على ان النظر الفلسفي في ماجريات الامور لا يمنعنا من انتقاد الاصلاح الديني ووزنهِ بميزان العقل لاكتشاف نتائجهِ الادبية في ساحة العمران . وقد يقال ان الاصلاح المذكور انشأ مذهب البروتستانت فقط وليس الامر كذلك لان حركتهُ لم تكن دينية محضة بل كانت نتيجة عوامل عديدة سياسية وادبية ودينية ولو كانت مجرَّد انتباه ديني للزم ان تتأخر نتائجهُ وتقتصر على التأثير في الافراد سنة فسنة. ولكننا نراها قلبت الممالك والامم صفقة واحدة وليس ذلك من التأثيرات الدينية المحضة

على اني بقولي هذا لا انكر ما لتلك الحادثة من الصفة الدينية الجليلة ولولا هذه الصفة ما نهض البلاط الفاتيكاني لمعارضتها وألف الاحزاب والجمعيات والكتب واقام الواعظين والمجادلين لمعارضتها ومناصبتها في كل الاقاليم

فالحادثة اذاً مركَّبة ونتائجها كذلك . واذا نظرنا اليها من الجهة الدينية لا نرى انها علَّة لتلك النهضة بل ثمرة لها ونسبتها الى النهضة الدينية كنسبة اكتشاف اميركا الى الاسفار

البحرية . فان اكتشاف اميركا لم يكن علة الاسفار البحرية بل نتيجتها ولكنهُ مع ذلك فتح لتلك الاسفار مجالاً جديداً حتى انها لم تكن قبلهُ تحسب ذات اهمية بالنسبة الى ما صارت اليهِ

وعليَّ الآن ان ابين علاقة ذلك الحادث العظيم الذي هو الاصلاح الديني بالنشأة الاوربية فاقول

ان الحياة الادبية مقرونة بالتحقيق على الدوام فهي تستلزم البحث والتنقيب وتطلب حرية الفكر والضمير . واذا كنا نحسب حرية الفكر البشري من ذرائع التقدم المدني فيحق لنا اعتبار الاصلاح اعتباراً فائقاً من هذا القبيل لانهُ اذا لم يكن قد خدم اوربا بشيء على الاطلاق فقد قام بهذه الخدمة على الاقل وهي تحرير العقل البشري . وهذا كل ما يحتاج اليهِ العقل للاتيان بغرائب اعمالهِ

ولقد كان من رأي العلامة الفيلسوف كيزو الفرنسوي الشهير ان الاصلاح بمثابة ثورة العقل البشري ضد العبودية الفكرية وان الاصلاح البروتستانتي كان مظهراً من مظاهر تلك الثورة . ويتضح ذلك من ان مبدأ الاصلاح الديني يحتوي جوهريًّا على هذه القاعدة الاساسية وهي انهُ يحق لكل انسان ان يحكم في صحة ما يعتقدهُ

فمبدأ حرية الفكر هذا الذي ناضل عنهُ الاصلاح هو مبدأ الانسانية والاجتماع البشري والحياة المدنية

ويظهر تأثير الاصلاح الديني في العمران من وجهين

الاوَّل . من المقابلة بين احوال اوربا قبل الاصلاح وبعدهُ فانك تجد الفرق العظيم بين الحالين في الادبيَّات والماديَّات على انواعها

والثاني . من المقابلة بين الممالك التي قبلت الاصلاح والممالك التي رفضتهُ فانك تجد الفرق العظيم بين النمسا والمانيا وبين اسبانيا وبريطانيا وبين الولايات المتحدة واية جمهورية كانت في اميركا

فحرية الفكر البشري التي يفتخر بها التاريخ الحديث هي اولى ثمرات الاصلاح

وترقية الحياة الادبية والاجتماعية هي ثانية تلك الثمرات

وانتباه الامم جمعاء للاصلاح الديني هو ثالث تلك الثمرات

والقيام لنشر المبادئ الادبية في دائرة واسعة يصح ان يحسب في عداد تلك الثمرات ايضاً

وكثرة التآليف والجمعيات والمدارس والجرائد من الامور التي تقدمت في عصر الاصلاح

خلاصة ما تقدم

الركن الاول . المدارس . امدَّ اوربا برجال الحياة العقلية تخدموها بالتآليف والاكتشافات

الركن الثاني . الفروسية . امدّها برجال الشهامة وروح الاستقلال الشخصي فخدموها بانفسهم
الركن الثالث . الحروب الصليبية . نقلت الى اوربا مفاخر الشرق وصدّت عنها ويلاته
الركن الرابع . فتح القسطنطينية . جمع احساسات الاوربيين وزاد عدد الافاضل المهاجرين اليها فخدمها بترقية العلوم
الركن الخامس . الطباعة اوقدت سراج الآداب في اوربا وسهلت انتشار المعارف فيها . فخدمتها بنمو المعارف
الركن السادس . الاكتشافات البحرية . زادت حركة الصناعة والتجارة . ومنحت حرية الافكار ملجأً . فخدمتها بالمال والعلم
الركن السابع . الاصلاح الديني . امدّ اوربا برجال الافكار الحرة والنظامات الجديدة وايقظ روح البحث والاصلاح في كل مكان وهذه الاركان السبعة متناسبة كما يأتي

الاركان الثلاثة الاولى متصلة بعضها ببعض لان المدارس ايقظت روح الادراك في الناس والفروسية روح الشهامة وقد اجتمع الاثنان في الحملات الصليبية

والاركان الثلاثة الاخيرة متصلة ايضاً لان الاصلاح منح اوربا حرية الفكر والطباعة ساعدت في سرعة نشر هذه الحرية وامركا كانت ملجأً المهاجرين بسببها

اما فتح القسطنطينية فقد كان الحلقة المتوسطة بين هذه وبين تلك وهو الفارق بين التاريخ المتوسط والحديث وبهِ دخلت اوربا في طور جديد واستعد العالم لمستقبل عظيم .

(خادم للانسانية)

نظام الملك والمدرسة النظامية

يرى الناظر في ماضي الشرق العربي ان قد قام فيهِ رجال عظام اتوا بجلائل الاعمال وامتازوا بشرائف الخصال فاشار التاريخ الى بعضهم واغفل ذكر الآخرين . وممن استحق ان يذكر بالمحمدة على المدى نظام الملك احد وزراء الدولة السلجوقية التركية المتوفى سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ مسيحية) وهو من افراد رجال الشرق يندر ان ينتج لدولة مثلهُ في قرن او قرنين . ويؤخذ مما قالهُ العماد الكاتب الاصفهاني في تاريخ دولة آل سلجوق ان علامة نظام الملك كانت "الحمد لله على نعمهِ" وانهُ كان مؤيدًا موفقًا والدهماء ساكنة في ايامهِ واهل الدين والعلم والفضائل راتعون في انعامهِ . قال وفي ايامهِ نشأ للناس اولاد نجباء وتوفر على تهذيب الابناء

الآباء يحضرونهم في مجلسهِ ويحظوا بتقريبهِ فانهُ كان يرشح كل احد لمنصب يصلح لهُ بمقدار ما يرى فيهِ من الرشد والفضل ومن وجد في بلدة قد تميز وتبحر في العلم بنى لهُ مدرسة ووقف عليها وقفًا وجعل فيها دار كتب

وظهر من تدبيرهِ في سياسة الممالك ما قالهُ سليمان بن عبد الملك عجبت لهؤلاء الاعاجم ملكوا الف سنة فلم يحتاجوا الينا ساعة وملكنا مائة سنة لم نستغنِ عنهم ساعة . قال العماد وفي عصرهِ نشأ طبقات الكتَّاب الجياد وفرعوا المناصب وولوا المراتب ولم يزل بابهُ مجمع الفضلاء وملجأ العلماء وكان ناقدًا بصيرًا ينقب عن احوال كل منهم ويسأل عن تصرفاتهِ وخبرتهِ ومعرفتهِ فمن تفرس فيهِ صلاحية الولاية ولاهُ ومن رأى الانتفاع بعلمهِ اغناهُ ورتب لهُ ما يكفيهِ من جدواهُ حتى ينقطع الى افادة العلم ونشرهِ وربما سيرهُ الى اقليم خالٍ من العلم ليحلي بهِ عاطلهُ ويحيي بهِ حقهُ ويميت باطلهُ

تولى الوزارة والملك قد اختلَّ نظامهُ والدين قد تبدَّلت احكامهُ في اواخر دولة الديلم واوائل دولة الترك وقد خربت الممالك بين إقبال هذه وإدبار تلك. واقفرت البلاد واقوت واستولت الايدي العادية عليها فاعاد الملك الى النظام والدين الى القوام وعمَّر الولايات والى العمارات .وكانت العادة جارية بجباية الاموال من البلاد وصرفها الى الاجناد ولم يكن لاحد من قبل إقطاع فرأى نظام الملك ان الاموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ففرَّقها على الاجناد إقطاعًا فتوفرت دواعيهم على عمارتها وعادت في اقصر مدة الى احسن حالة . وكان للسلطان نسباء يدلون بنسبهِ ويدلون بسببهِ و يستطيلون بانهم ذوو قرابتهِ فقصر ايديهم وساس جمهورهم بتدبيرهِ وربما قرر لواحد من الجند الف دينار في السنة فوجهَ نصفهُ على بلدٍ من الروم ونصفهُ على وجهٍ في اقصى خراسان وصاحب القرار راضٍ وتوقيعهُ مأمون التعويق فقسم الملك الذي حازهُ السيف بقلمهِ احسن تقسيم .وكان ينظر في الاوقاف والمصالح ويرتب عليها الامناء ويشدد في امرها ويخوّف من وزرها و يرغّب في اجرها ويكلها الى الأمنة ولا يدعها مأكلة للخوَنة

ووظف على ملوك الاطراف وعلى اقاليم الممالك والامصار حمولاً لخزانة السلطان يحملونها وخدمًا عن عصمة ولايتهم يوصلونها وقرر موالاة الخدمات للحضرة والوصول بالعساكر الجمة حتى ملأ الخزائن بالذخائر والملأ بالعساكر . ونشأ لهُ اولاد كبروا في دولتهِ فاعلى رتبهم . ثم انهُ لمَّا وفر الاموال على الخزانة والعسكر وجعل فيها لارباب العلوم واصحاب الحقوق حقوقًا ورسومًا وصيَّر احسان السلطان بين اهل العلم ميراثًا يأخذونهُ بقدر الفرائض ويأمنون بهِ من النوائب والعوارض فلا جرم تذللت لهُ المصاعب وتيسرت لهُ المطالب

هذا هو الرجل الشرقي العظيم وامثالهُ قلائل في كل دولة وملة . ومن الاسف ان اهل المشرق نسوهُ مع مَن نسوا من عظمائهم

***

اختلفت الروايات في اول مدرسة عُرفت في الاسلام فردَّ قوم تاريخها الى زمن الامويين وانكر فريق ذلك وقال انها لم تُعهد الاَّ بعدهم بزمن طويل . وما اظن ما قالهُ كثيرون مثل اغست لوبون في كتابهِ حضارة العرب من ان العرب لما دخلوا دمشق كثرت المدارس في كل مكان فارتقى العرب من التلمذة الى المشيخة وزهت العلوم كل الزهو ما اظن ذلك الاَّ قولاً مبالغًا فيهِ وكلاماً أُلقي على عواهنهِ لان العرب كانوا في القرن الاول ونصف الثاني بصدد الفتح ولم تكن الحضارة الرومية والفارسية انتقلت اليهم وتسلسلت فيهم او صفا جو سياستهم ليتفرغوا للعلم واعمال العمران

فالمدارس في الاسلام لم تعهد اذًا الاَّ في القرن الثالث كما يستفاد من قول المؤرخين الثقات . قال وستنفيلد الالماني في كتابهِ تاريخ آداب اللغة العربية انهُ كان في كل الجوامع مدارس ابتدائية في الصدر الاول تعلم مبادىء القراءة والكتابة والقرآن والنحو ثم شيَّد الخلفاء مدارس في بغداد والبصرة وبخارى ودمشق وسمرقند حتى صير بعضهم المدارس مجامع علماء. وقال بروكلمن الالماني في كتابهِ تاريخ آداب اللغة العربية ان كسرى انوشروان أسس في جنديسابور سنة ٢٥٠ م مدرسة للحكمة والطب بقيت الى اوائل زمن العباسيين وان المأمون أسس بيت الحكمة في بغداد لتعليم علم اليونان

ويظهر من هذا ان مدرسة الازهر أُسست بعد ما اسسهُ المأمون اي في وائل القرن الرابع كما ان الحاكم بامر الله اسس دار العلوم في مصر وان المدارس الخاصة بتعليم الطبيعة والطب كانت غير المدارس المعدَّة لتعليم العلوم اللسانية والدينية

كان نظام الملك اول مؤسس للمدارس على النحو المعروف لتعليم العلم خاصة وهو الذي قرر المعاليم للطلبة والمشاهرات للاساتذة ولهُ من الآثار الكثيرة في العراق وخراسان ما حسن ذكرهُ وأثرهُ. والمدرسة النظامية التي أُسسها في بغداد واسطة عقد حسناتهِ ودرة تاج فخارهِ أُسسها كلية عظيمة تقرأ فيها علوم الدين والدنيا ووسَّد امر تدريسها الى اعاظم العلماء في عصرهِ مثل ابي القاسم الدبوسي وابي عبدالله الطبري وابي محمد الشيرازي وابي حامد الغزالي وضياء الدين السهروردي وابي القاسم القشيري وابي منصور الوزان وابي اسحق الشيرازي ومئات غيرهم ممن خدموا الاسلام بعلمهم وعملهم

والظاهر ان عمر المدرسة النظامية لم يطل كثيراً شأن الاخيار في الاعمار فقد طرأ عليها الحريق مرات الاَّ انها أُعيدت الى حالتها السابقة . سألت الاستاذ الفاضل الزهاوي من علماء بغداد عما آل اليهِ امر هذه المدرسة اليوم فكتب اليَّ يقول : كانت النظامية واقعة في وسط الجانب الشرقي من دجلة وهي اليوم معدومة لم يبقَ منها عين ولا أثر الاَّ قاعدة المنارة وهي مطبخ لبيت احد اليهود واما ارضها فقسم كبير من محلات اليهود يحتوي على شوارع وبيوت كثيرة لهم . وكان اول خرابها منذ نحو اربعمائة سنة وعدد غرفها التي كانت معدَّة للطلاب والمعلمين لكل قسم من اقسام العلوم ثلثمائة وخمس وستون غرفة بعدد ايام السنة هذا عدا قاعات التدريس ومحافل المطارحات العلمية ومحلات الطبخ واماكن الراحة ومتنزهها الواسع البديع ومصلاها الكبير وهي شقيقة المدرسة المستنصرية في بغداد التي حولت منذ عهد غير بعيد الى جمرك والمنسوبة للمستنصر بالله وهي في الرصافة على ضفة دجلة ولم تزل الى يومنا هذا رفيعة البنيان مشيدة الاركان

هذا ما لقفتهُ من احوال النظامية اعظم كليات المسلمين وعسى ان يوفق بعض كتابنا للوقوف على تفصيل اوفى بالغرض مثل نظام الدروس فيها واحوالها وغير ذلك . وربما يعجب المتأمل مما جرى للعاديات والآثار في الشرق وكيف انها لم تقوَ على صروف الدهر في حين ان الغرب على همجية ابنائهِ في القرون الوسطى لم يبرح محتفظاً بجميع آثارهِ وهذه بولونيا فان فيها اقدم كلية باوربا قائمة على امتن الدعائم . ولا علة لذلك فيما احسب الاَّ ان معظم حكام الشرق جهلة لا يريدون ان يشاهدوا آثار اسلافهم ويشق عليهم الاَّ ان يستأثروا دونهم بالصيت البعيد فكلما ولي احدهم لا يأتي من العمل اكثر من طمس اسم سالفهِ ليحل محلهُ اسمهُ ولو قدر الملوك السالفون ان يهدموا الاهرام وغيرها من الآثار الباقية على الادهار لما قصروا ساعة وعلى العكس في الغرب فان المتأخر يصلح ما بدأ بهِ المتقدم وهكذا حتى يستقيم الحال فسبحان من كتب على الشرق ان يمنى بآثارهِ ورجالهِ وعلى الغرب ان يحيا بهما

***

وبعد تسطير ما تقدم ورد اليَّ ما تفضل وكتبهُ الاستاذ الفاضل المحقق محمود شكري افندي الآلوسي البغدادي قال فيهِ :

النظامية اقدم مدرسة في مدينة دار السلام واول بيت وضع للعلم في بلاد الاسلام كانت في جانب الرصافة وهو الجانب الشرقي من بغداد بناها ابو علي الحسن بن علي بن اسحق ابن عباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي وكان ابتداء تأسيسها على ما ذكرهُ ابو

الحسن محمد بن هلال الصافي في تاريخهِ في ذي الحجة سنة سبع وخمسين واربعمائة والانتهاء من عمارتها سنة تسع وخمسين واربعمائة وفتحت يوم السبت عاشر ذي القعدة من تلك السنة .
كان هذا الوزير من ابناء الفلاحين واشتغل بالحديث والفقه وسائر العلوم ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليهِ في مدينة بلخ وكان يكتب لهُ فكان يصادرهُ في كل سنة فهرب منهُ وقصد داود بن ميكائيل السلجوقي والد السلطان الب ارسلان ملك ما وراء النهر وخراسان وكثير من الانحاء فظهر لهُ منهُ النصح والمحبة فسلمهُ الى ولده الب ارسلان وقال له اتخذهُ والداً ولا تخالفهُ في ما يشير بهِ فلما ملك الب ارسلان وازدحم اولادهُ على الملك وطد المملكة لولده ملك شاه فصار الامر كلهُ لنظام الملك وليس للسلطان الاَّ التخت والصيد واقام على ذلك عشرين سنة . بنى المجالس والربط والمساجد وبنى المدرسة النظامية في نيسابور والمدرسة النظامية في هراة وهو اول مرة انشأ المدارس فاقتدى بهِ الناس والمدرسة النظامية التي انشأها في بغداد من اعظم آثارهِ ومبراتهِ

كانت النظامية في بغداد منقطعة القرين كأنها روضة من رياض الجنة قصدها افاضل اهل العصر وفقهاؤُهم والمجتهدون منهم والمقلدون والادباء وسائر اهل العلم والفضل على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم حتى كان من يدخلها يسمع دوياً كدويّ النحل ويرى عدداً وافراً من الطلاب وقد خُصَّ كل منهم من ذوي الحاجات ومن تردد اليها لاقامة دروس العلم على اختلاف فنونهِ وظائف وجرايات تكفيهم امر طعامهم ولباسهم وضروريات معاشهم

ثم افاض الاستاذ المشار اليهِ في وصف المدرسة وتعداد بعض من درسوا فيها مع تراجمهم وما قيل في رثاء المدرسة مما تضيق عنهُ هذه المجالة وتخرجنا عن الموضوع قال في وصفها انها كانت مستطيلة البناء واسعة الفناء فيها محل معد للدروس ومصلًّى فسيح وحجر كثيرة للطلاب ومواضع تخص رؤساء العلم والمدرسين واخرى لادخار الذخائر . كانت ذات طبقتين من البناء مرفوعة الجدران عقدت في اطرافها اروقة وطاقات مستديرة الشكل تنتهي الى ذلك البنيان المشيد وقد فرشت ساحتها بالمرمر الذي كان اشدَّ ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المرآة وقد قطع ذلك الحجر على الشكل المربع لزيادة إحكام بعضهِ ببعض وكانت فيها خزانة كتب اشتملت على تصانيف الائمة الماضين وعلوم الاولين والآخرين جمعت من الآفاق بطائل الاموال واذن لاهل العلم في ان يتناوبوها متى شاءوا

ولا يظن من سمع بما كانت عليهِ بغداد ايام الدولة العباسية ان وصفاً من اوصافها او اثراً من آثارها قد بقي الى هذه الايام بل لم يبقَ منها الاَّ بعض الاسماء والاعلام

درست الاَّ بقايا اسطر سمح الدهر بها ثم محاها

وكذلك النظامية لم ندرك نحن ولا آباؤنا حجراً من احجارها ومن رأى محاها اليوم اخذتهُ الحيرة وذهب بهِ العجب كل مذهب . . . . انتهى محمد كردعلي

[المقتطف] اطّلعنا على الرثاء الذي اشار اليهِ حضرة الكاتب وهو لاحد ادباء بغداد وفضلائها ومما قالهُ فيهِ

قوَّضَ الدهر بالخراب عمادي ورمتني يداهُ بالانكادِ
كم انادي وليس لي من مجيب واخراباهُ حيرةً كم اادي
طالما رفرفت من العلم رايا ت نخار مني على بغدادِ
طالما طاولت ذرى القمم الشمّ م حصوني بفضلها المستجادِ
كنت في العلم روضة باكرت از هارها الغر بالعهاد الغوادي
كم رنت بي مناظر العلم حتى كنتُ منها بها مكان السوادِ
والغزاليّ سائلن وابا اسحق م عمّا حويتُ من ارشادِ
قد رمتني صواعق الدهر فاهتدّ م بنائي وصرتُ بعض الوهادِ

والمرثاة طويلة مفجعة ولكن ما نفع الرثاء وماجدوى البكاء وليس في الزوراء رجال تنهض بهم هممهم الى مناصبة الافساد ومجاذبة الاصلاح

توما ريْت واسعاد المجرمين

سبقت منا الاشارة في مقالة (اصلاح السجون) الى عزمنا على الحاقها بتتمتها (اسعاد المجرمين) . وقد انصرف الهمُّ منذ ذلك الحين الى مسائل اخرى لم تكن في البال حتى وقع الينا لايام قليلة كلامٌ من احد الالبّاء الاكارم في حديثٍ عن منافع التاريخ قال فيهِ " ان اشدَّ ما أرى بلادنا في حاجةٍ اليهِ اليوم من ابواب التاريخ هو تراجم مشاهير الارض الذين قاموا في مختلف البلدان فرفعوا منار الانسانية في كشف حقيقةٍ او اصلاح حال " فانهض هذا القول همتنا ونبهنا الى انجاز ما وعدنا بهِ في تلك المقالة آسفين على الاهمال وقلنا هو خيرٌ على كل حال من الاهمال — :

مهما يكن من امر النجاح في اصلاح حال سكان السجون وهم وراء تلك الاسوار فلا يزالون في حاجةٍ الى ذرائع توصلهم بما انقطع من ثقة الناس بهم بعد قضاء ايام العقاب .

نعم ينطلق السجين وينطلق معهُ الامل محتدماً في النشاط متشوقاً الى العمل ولكنهُ متى شاهد الوجوه منقبضة منهُ معرضةً عنهُ والبوليس واقف لهُ بالمرصاد يحذّر القوم من امرهِ وينذرهم بشرّهِ فأحرِ بتلك الحال ان تعيدهُ الى مواقف اليأس

كان في مقدّمة للذين نبهتهم الاقدار الى هذا البؤس الشديد ووطنوا النفس على دفعهِ وتلافيهِ توما ربْت رجل قام في اوائل القرن المنصرم من صنّاع مانشستر المساكين واندفع في ذلك المسعى الجليل اندفاعاً يعزُّ فيهِ المثيل كما سترى

لم يكن هذا الرجل من ذوي الخطط والمراتب ولا من اهل الوجاهة في هيئة الاجتماع او من ارباب الثروة فتبلغهُ المرام انما كانت سعتهُ في قلبٍ يسع بلايا السجين المسكين وصدرٍ رحب بكل ذليلٍ . وما نشأ من عشاق الصحف والاسفار ولا أَلِفَ معاهد العلم او وقف في مشاهد العرفان مما يدلُّك على ان مجرَّد حشو الدماغ بقضايا معدودة من العلوم لا تكفل للدارس ترقي نفسهِ مراقي الكمالات الانسانية انما رضع من امهِ لبان الصلاح والاحسان غذيت بهِ نفسهُ فبلغت طورها من القوة والنماء

الاَّ انهُ بعد وفاة والدتهِ الصالحة تُرِك صبياً وحيداً فأُلقي الى ايدي الزمان أُلعوبةً تصرفهُ حدثانهُ كالكرة امام الصولجان حتى ذاق منها الحلوَ والمرَّ . ولما لقي من عشرائهِ الصنّاع ما ما يعهد فيهم من احوال السفالة والشرّ لم تعد نفسهُ تطيق تلك الموبقات فتنبَّه ما كمن فيها من بذار تلك التربية الصالحة القديمة حتى هاجت في صدرهِ هوائج النخوة وشرف الذات فتنكَّب عن مسالك اولئك الرفاق وعدل الى لقاء اهل الادب والصلاح

ولما بلغ اشدَّهُ دخل صانعاً في احد مسابك مانشستر باجرة خمسة شلينات في الاسبوع ولما كان من شبان الثبات والنزاهة والاقدام أَبت نفسهُ الاَّ الجد ومصارعة الايام حتى اصبح في ذلك المسبك المقدم المعوَّل عليهِ

واول غرض مالت نفسهُ النبيلة اليهِ اسعاد اهل الجرائم والذنوب ومعاونتهم على وجود العمل الشريف وذلك من ابعد المطامع منالاً واقربها الى المستحيل واشدُّ ما يحمل النفس على اليأس والقنوط . فان المجرم حين انتهاء مدة سجنهِ لا يتأَتى لهُ العود الى محلهِ السابق الاَّ في النادر وذلك لما قام في نفوس مستخدميهِ من اعتقاد رسوخ الشرّ فيهِ فضلاً عمَّا زادهُ السجن من رذائلهِ ولكن الحازم الهمام لا يزيدهُ بعد المطّلب الاَّ اقداماً بدل الاحجام

وكانت فاتحة اعمالهِ الخيريَّة في اسعاد المجرمين ان أَتى المسبك ذات يوم رجل كان قد أُخذ ببعض الجرائم ولما سئل ربْت عنهُ لم يكن يعلم من امرهِ شيئاً الاَّ انهُ في خلال ساعات

العمل استطاع طلع حالهِ فتحقق الشبهة فيهِ . غير ان الرجل ابدى في حكاية حالهِ اصدق علائم الندامة والاسف ووعد بدموع الحزن الاَّ يعود الى سابق شرّهِ وان يمحو ما لطّخ بهِ من آثار الخزي والعار . فنقل ريت الواقع الى ارباب المسبك ووضع عشرين جنيهاً ضمانةً على دوام استقامتهِ في الاستقبال فقرَّروا تثبيتهُ في العمل

غير انهُ لما عدَّ العمَّال غداة ذلك اليوم لم يكن ذلك الشقيُّ المسكين بينهم وذلك لانهُ لم يكن قد بلغهُ قرار ارجاعهِ الى المعمل فأُرسل الى مبيتهِ رسولٌ فلم يجدهُ اذ كان قد حزم امتعتهُ وراح يهيم على وجههِ في عرض الارض . وبعد ان علم ريت بوجهة انطلاقهِ انطلق يعدو وراءهُ فادركهُ على امد عدة اميال من مانشستر وشاهدهُ جالساً على قارعة الطريق منكسر القلب كئيب النفس كاسف البال منقطع الامل من دنياهُ فرفعهُ بيمينهِ وبشَّرهُ بقرار ارجاعهِ الى عملهِ فانتعشت قواهُ وعاش رجاؤُهُ فعادا معاً ودخلا الى المعمل وقد برهنت الايام على صدق وعدهِ وخلوص توبتهِ وندامتهِ

فهذه الحادثة قوَّت آمال ريت وشدَّدت عزائمهُ في مسعاهُ الكريم وايدت لهُ ما تفعل المؤاساة والانعطاف في انتشال امثال هذا المجرم من اعماق التعاسة والذل الى ساحة العمل وبحبوحة الامل . وكان يقول ان من الخطإِ الفاضح قطع الامل من ارتداد هؤُلاء البائسين التعساء . وان الاخلق بكلّ من يدعي الصلاح ان يمدَّ اليهم يمين المعونة والاسعاد ويأخذهم باسباب الشفقة والحنان حتى يعودوا الى ميدان النشاط والراحة والاطمئنان . وما زالت هذه المسائل تحوم على خاطرهِ وتجول في صدرهِ حتى صارت غرض حياتهِ الاقصى

وكان ساكنًا في جوار احد السجون فكان يطلب اولاً الدخول الى المجرمين فلم يكن ينال الاَّ الصدَّ والردَّ . وبعد ان لبث على ذلك زمناً غير يسير بلغهُ اتفاقًا ان والد احد زملائهِ في المسبك بوَّاب في السجن فتوسط لهُ في ادراك مبتغاهُ وأُذن لهُ في ملازمة الحضور الى احدى الحفلات الدينية ايام الآحاد . على انهُ لم يكن يؤْذن لهُ الى تلك الساعة في ان ينفرد باحد المساجين ولكنهُ صبر على مضض الانتظار صبر الكرام

وبينما كان عائداً من السجن يوماً من ايام الآحاد استوقفهُ الخادم الدينيُّ مدير ذلك الاجتماع وطلب منهُ عملاً لاحد السجناء الذين انتهت مدة عقابهم وهم في مزيد الرغبة في العمل. فاجابهُ ريت بالايجاب ووعدهُ ببذل المجهود في ما سأَل ونال عملاً لذلك البائس الذليل

فاباح لهُ الحاكم حينئذٍ الدخول الى السجون ومحادثة ايّ شاء من المجرمين فاخذ ريت يبذل لهم النصح والارشاد ويراسل اهاليهم في منازلهم مبدياً ادلَّة الصداقة والاحسان. وكان

يترقّب المتهمين يوم انطلاقهم ويتعمّد ملاقاتهم ويعود بهم الى منازلهم ويردهم الى عيالهم ويحسن اليهم بما استطاع من اجرتهِ اليوميَّة ثم يسعى جهده في ان يقودهم الى ابواب العمل وسبل الرزق الحلال

ولم تكن مساعيهِ تخيب في غالب الامر لانهُ اكتسب ثقة اصحاب الاعمال بامانتهِ وصدقهِ وحكمتهِ فكانوا يلبُّون طلبهُ باستخدام من يشاء من المجرمين المرتدين حتى انهُ كان يبذل الضمانات المالية المجموعة من اجورهِ الاسبوعية حين الاقتضاء

ولبث بضعة اعوام على هذا المسعى وهو لا يفارق مسبكهُ عاملاً مجتهدًا بما استطاع من الهدو وتواضع النفس يتحامى الاشتهار والافتخار حتى وجداعمالاً لمئات من اولئك المجرمين البائسين

حكى اصدقاؤهُ عنهُ ان احد المجرمين بعد ان قضى مدة عقابهِ في الاشغال الشاقة أُطلق سراحهُ واصحبهُ احد القسوس برقيم توصية واعيد الى مانشستر فلم يُصب اولاً لهُ عملاً سوى الكناسة في الطريق ولكن ريت سعى فرقاهُ الى عمل مصلح في الطريق وبعد ان ابدى من حسن المسلك ما ابدى ادخلهُ بعض مدارس الليل وغيرها فاظهر من مناقب المروَّة والرغبة في التعلم والتحصيل ما اهلهُ الى رتبة معلم حتى نال لدى رئيس المدرسة احسن الحظوى والالتفات وما زال يرقى بالجد والاقدام حتى سيم قسيساً

وبعد ان اقام ريت على مثل هذه المفاخر والمآثر الكريمة اعواماً مالت اليهِ ابصار ذوي المكانات العليا من الحكام ودار ذكرهُ في المجالس والتقريرات الرسمية ومما جاء عنهُ لاحدهم في تقرير سنوي عن (حال المجرمين) قولهُ "... ولكي اظهر الحدَّ الذي بلغهُ احسان هذا الرجل الصالح المسكين والنجاح التي تكفّلت بهِ مساعيهِ اقرر انهُ لم ينقص متوسط من اصلحهم من المجرمين بفضلهِ واحسانهِ عن ستة وتسعين في المئة ومما يثير الخاطر بهجة وحبوراً ان نرى تلك الثقة التي فاز بها هذا الانسان من قبل المجرمين الاشقياء ولم تكن الاَّ جزاء اسلوبهِ الصالح الساذج الابوي العاري عن كل ما يشوبهُ من شوائب العجب والمنّ والافتخار"

ولم تقصر مساعيهِ على وجود الاعمال لاولئك الاذلاَّء المساكين بل انهُ كان يقرض من لم يصب عملاً ما نالت يدهُ من المال او يسعى في اكتتاب سري بين بعض اصدقائهِ مساعدة لبعضهم على التزوج وطلب الارزاق فبلغ عدد من انجدهم في هذا السبيل نحو الالف حتى ان بعض هؤلاء المجرمين كانوا يبذلون لهُ المساعدة في اعمالهِ الخيرية إما بتهيئة اعمال لاخوانهم او باكتتاب مالي على ما اسلفنا ذكرهُ . وقد كان يرد لهُ من بعض اولئك المجرمين النازحين مساعدات مصحوبة برسائل الشكر والحب من ذلك رسالة وجيزة وردتهُ من احدهم يقول

فيها ان ما احرزتهُ من مطالب النجاح لم يكن اساسهُ الاَّ حبك الوالدي وعونك الذي لن تمحي آثارهُ ولن ينسى تذكارهُ . الى آخر ما هناك من عبارات الشكر والوداد

والذي يقضي على القارئ بأعجب العجاب من امر هذا المحسن العظيم انهُ لم يكن ينقطع عن عملهِ اليومي مع كل هذه الاعمال العظيمة الشاغلة فكان ينهض الى مسبكهِ الساعة ٥ صباحاً ولا يفارقهُ قبل الساعة ٦ ليلاً حتى لم يكن يبقى لهُ لاجل القيام بتلك الاعمال الخيرية سوى ما بقي من ساعات مسائهِ وايام العطلة والآحاد فكان يُشاهَد في السجن والملاجئ يعزي المسجونين ويؤاسي المجرمين وبقي على عملهِ هذا المبرور الى الثالثة والستين من العمر حين مالت شمس حياتهِ الى المغيب وهو لم يدخر شيئاً من المال وما زاد عن قوتهِ اليومي كان ينفقهُ في وجوه الخير على ما مرَّ في سياق الكلام حتى كان في كثير من الايام يلمُّ بهِ العوز والضيق اذ كان من مبدإهِ أن لا يدخر فلساً الى غدهِ امساكاً عن معوزٍ في يومهِ

ومن غرائب حالهِ انهُ لما علمت الحكومة الانكليزية قيمة خدمهِ هذه وفضلهِ على البلاد عرضت عليهِ رتبة مفتش على السجون براتب ٨٠٠ جنيه سنوياً فرفض المنصب والتقدمة جميعاً قائلاً " اذا صرتُ مأموراً للحكومة اخشى ان تقعد بي الهمَّة عن تلك المهمَّة فلا اعود مساعد المجرمين وخليل البائسين "

على ان اهل مانشستر حين رأوا منهُ هذه الشهامة النادرة المثال نهضت بهم عواطف الشكر وعينوا لهُ سنوياً ١٨٢ جنيهاً جمعوها بالاشتراك ولم يكن المبلغ الاَّ عشر العشر مما اقتصدتهُ بمساعيهِ خزينة البلاد . وكان ممن عرف لهُ قدر هذا الجليل والصنع الجميل احد المصورين فاهدى اليهِ رسماً كتب عليهِ (الساري الصالح) وقد نصب هذا الرسم في منتدى مانشستر العام

على ان ريت لم يقف عند هذا الحد بل ازداد همة واقداماً فاخذ يطوف البلاد نظير هوَرد يزور السجون ويتفقد الملاجئ ومدارس الفقراء الصناعية وسائر الامكنة المتعلقة بمقاصدهِ الخيرية . وكان من اجلّ رغائبهِ ان يهذب اولاد المساكين ويربيهم على العمل الشريف فيرد عنهم آفات البطالة وما تجرهُ من البلايا والويلات فيقلل بذلك عدد المجرمين. فقامت بمساعيهِ مدارس الفقراء ولم يأل جهداً حتى جعل التعليم فيها الزامياً يقيين ان هذا الالزام من افعل الذرائع في تخفيف الجرائم وتقليل الفقر

وما عدا هذه المدارس فقد انشأ مدارس صناعية وبنوكاً لاقتصاد المجرمين ومعامل خيرية لتشغيلهم . وعلى الجملة فحيثما رأت عينهُ وجهاً للخير سعت قدمهُ نحوهُ ومدت اليهِ يدهُ. ولم تفتر همتهُ حتى بلغ الخامسة والثمانين فبلغ الضعف منهُ غاية الحدّ وقضى في الرابع عشر من ابريل

(نيسان) سنة ١٨٧٥

هذا ولا نعلم ما يقول اهل الانانية في مثل هذا البطل الغيري الكريم والمحسن الخيري العظيم ولا ندري اي ناموس خرق في شرعهم غير ناموس (الانانية) هادم العمران وعار الانسانية فلم يبقَ الاَّ ان يقولوا لعلهُ اناني ايضاً رام سدَّ عاطفة طمعاً بمدح الضمير. قلنا ان كان لمثل هذه الانانية هذا الاثر في النفع العام فهي خيرٌ من انانية محصورة في الذات وليس لها من أثرٍ غير اماتة العواطف والانسانية وتوبيخ الضمير مترى قندلفت

اشارات الخطابة

قال شيشرون الخطيب الاشارات لغة الجسم وبدونها ينقد الخطيب المصقع قوتهُ ويبارى بمن هو اضعف منهُ ولكن كما ان بعض النساء العاطلات (الخاليات من الزينة) يظهرن ابرع جمالاً منهنَّ مزينات كذلك بعض الخطباء يُعجب بهم ولو لم يتبعوا كلامهم بشيءٍ من الاشارات

وقد وجدت الاشارات قبلما وجدت الالفاظ واللغة ودليلنا على ذلك ان الاطفال يدلُّون على مقاصدهم بها قبل معرفتهم اسماء الاشياء . قال احد معلمي الخطابة المشاهير اذا شئت ان تحسن تعلُّم الاشارات الخطابيَّة فلاحظ حركات الشيوخ وصغار الاولاد في احاديثهم وتقلَّدها في خطبك . وكان المصريون يرمزون الى كلمة لغة في كتاباتهم الهيروغليفية بصورة يد موضوعة تحت لسان وربما قصدوا بذلك وجوب مرافقة الكلام بالاشارات

وقفة الخطيب . لتكن المسافة بين رجليك عشرة سنتمترات وليكن وضعهما بحيث انك اذا أخَّرت الرجل المتقدمة على الخط الذي هي ممتدة فيهِ يلتقي الكعبان ويكوّنان زاوية انفراجها ٤٥ درجة

ليكن معظم ثقل الجسم على القدم المتقدمة كلها اي على كعبها واصابعها معاً

وجّه نظرك الى الحاضرين امامك ولا تجمّد رأسك او كتفيك او جذعك لئلاَّ تظهر متكبرًا او متصنّعاً فالناس لا تحبُّ سماع من هو معتدّ بنفسهِ مترفّعٌ عنهم

بعد ما تقف في مكانك مرَّ بنظرك على الحضور ثم وجههُ الى ابعد فريق منهم واستعدَّ للانحناء اذا كان لهُ داعٍ

الانحناء . جرت العادة في المجتمعات العلمية والادبية ان يحني المتكلم رأسهُ امام الحضور قبل الشروع في الخطابة واذا كان في المجتمع شخص ممتاز لهُ علاقة شديدة بتلك الحفلة كحاكم او رئيس مدرسة فعلى الخطيب ان ينحني مرتين مرة لهُ ومرةً لبقية الحضور وان يراعي الامور الآتية

لا تحنِ بسرعة ولتكن عيناك متجهتين الى الحضور لا الى الارض

لا تهزَّ يديك ولا تُرخهما ولا تحنِ عنقك فقط او جذعك بل ليشترك رأسك وعنقك وجذعك في هذه الاشارة وابرز كتفيك قليلاً

حركات الرأس . عند اظهار الخجل والحزن والتذلُّل والتواضع اخفض رأسك . وفي الكبر والخيلاء ارفعهُ وأَمِلْهُ قليلاً الى احد الجانبين

الايجاب والمصادقة يدلُّ عليهما باشارتهما المعهودة اي باحناء الرأس الى الامام

الرفض والانكار يدلُّ عليهما برفع الرأس الى خلف

التعب والتوقف وعدم الجرأة يدل عليهما بإمالة الرأس الى احد الجانبين

في التأمُّل والملاحظة يُمال الراس الى الامام

عند الاستماع والانتباه تحوَّل الاذن الى الامام وتوضع اليد خلفها

حركات العينين . تستطيع العينان اجمل الاشارات واقواها والخطيب الذي لا يستخدم عينيهِ في الخطابة لا يستطيع ان يبثَّ تلك المغناطيسية التي تصدر عن المتكلِم البارع وتؤثر في قلوب الحاضرين

العينان تبكيان في مواقف الحزن وترتنعان في الابتهال وتبرقان وتلمعان عند الغضب وتحوَّلان عن الشيء المستهزإِ بهِ

في اظهار التوجُّع والحزن والعار تنظر العينان الى الارض او تحوَّلان الى جانب او تستران باليد

في الشكّ والخوف توجَّهان الى جهات مختلفة

في التمعُّن والافتكار والتبصُّر تنظران الى الفضاء

اشارات اليد والذراع . في اليد والساعد والذراع اثنان وثلاثون عظماً تحرّكها ست واربعون عضلة . وعلم التشريح والفسيولوجيا يعلّمانا ان الانسان يستطيع اتيان الاشارات الجميلة بسهولة ولذلك فاذا اردت ان تكون خطيباً متقناً للاشارات فلا تكن متصنعاً او متكلفاً

على الخطيب ان يستعد للاشارة قبل ابدائها ببضع ثوانٍ وذلك بتحريك اليد من مكانها الطبيعي على هيئة قوس وكلما كان الفكر عظيماً وخطيراً وجب ان تكون القوس واسعة كبيرة . وهذه الاشارات تصير طبيعية بالممارسة

يشير الخطيب باصبعهِ عند ارادة العدّ او تحليل المسائل او انتخاب الاشياء وعليهِ فالاشارة تكون الى ما يراهُ ويعرفهُ لا الى ما يريدهُ او يشعر بهِ

يشار ايضاً بالاصبع حينما يراد توجيه الانتباه الى الاشخاص والاشياء الموصوفة والبراهين المسرودة

يشار بالكف مطبقةً في موقف الحجر والمنع والاغتصاب او حينما يقصد الخطيب حثّ السامعين او اكراههم على اتمام بعض الامور

وضع الكف في الكف على شكل صليب يدلُّ على ان الامر المراد تقريره او البحث فيهِ سهل البرهان وبسيط على العقل

في الالم والتأسُّف توضع اليد على الراس او يضغط بها

في الحزن العظيم والالم الشديد تشبك الاصابع وتفرك الكفان

في اظهار المحبة اوعرضها توضع اليد على القلب

في التحبب والتودُّد والتشوق تمدُّ الذراعان وتبسط الكفّان كأنهُ يراد استقبال الصديق او الحبيب

يدلُّ على القبلة بوضع اليد على الشفتين وطرحها الى الامام

تحرك اليد وتتماوج حين الفرح وتأتي باشارات وحركات غير قياسية في النفور والاشمئزاز والكراهة

الاشارات المستعملة دلالةً على عواطف النفس وانفعالاتها الشديدة كالغضب والخوف والتأسف والتحرُّق تسرع اليد في رسمها وهي تكون على هيئة زوايا وخطوط مستقيمة لا على هيئة اقواس وخطوط منحنية . وبعد تتميم الحركة المقصودة تبقى اليد برهة وجيزة على وضعها ثم تعاد الى مكانها الطبيعي بلا تصنُّع فلا تلامس الثياب على الصدر ولا على الفخذ

وليس من الضرورة ان يبدأ بكلِّ حركة او اشارة واليد على هذا الوضع لانهُ متى كان الكلام شديدًا مؤثرًا وجب على الخطيب ان يبدي الاشارات المركبة اي ان ينتقل من اشارة الى اخرى حالاً وان يستعمل كلتا يديهِ في مثل هذه الاحوال وليحذر ابداء الاشارات كلها بيدٍ واحدة بل ليجعل يديهِ تتناوبان الاشارة اذا لم يكن ثمة داع لاستعمالها كلتيهما

حركات الجذع والجسم . يدلُّ على العزيمة والشجاعة بانتصاب الجسم وعلى الكبر والخيلاء بميل الجذع والرأس الى الوراء وعلى الاتضاع والاحترام والاكرام بميلهِ الى الامام كثيرًا اوقليلاً

حركات الرجلين . يدلُّ على الجراءة والعناد بتثبيت القدمين وانتصاب الساقين . وعلى الرغبة والشجاعة بامالة الرجلين قليلاً الى الامام . وليكن مركز ثقل الجسم في هذه الحال ما بين القدمين

في الخوف والاشمئزاز تؤخر الرجلان متعثرة الواحدة بالاخرى
في الرعب الشديد تتهيآن للهرب والركض
في الامر الشديد والالزام والاكراه تضرب الارض بالقدم شديدًا

ملاحظات عمومية

(١) على الخطيب ان يغيّر وقفتهُ في اثناء الكلام كلما تغير المعنى او ابدأ بموضوع جديد وذلك بأن يؤخر الرجل المتقدمة او يقدّم الرجل المتأخرة ولا يحوّل نظرهُ عن السامعين . واذا كان في الموضوع تغيير ظاهر وجب ان يسكت بضع ثوانٍ بعد تغيير مركزهِ ثم يستأنف الكلام

(٢) عليهِ ان لا يأتي باشارة او حركة في كلامهِ ان لم يكن هناك داعٍ يدعو اليها كتأكيد كلمة او عبارة او اشارة وغير ذلك مما ورد ذكرهُ ولا يظنّ ان كثرة الحركات والاشارات تزيد الكلام تأثيرًا بل بالعكس

(٣) ان المتكلّم الذي لا يستطيع تحريك سامعيهِ واجتذاب اصغائهم وانتباههم اليهِ بتكييف صوتهِ لا يعدّ خطيبًا . ولذلك يحسن بالمبتدئ ان يتمرن على القاء خطبهِ بلا اشارات بعض الاحيان باذلاً جهدهُ في تكييف صوتهِ على حسب ما يقتضيهِ المعنى

وكما ان الانسان لا يستطيع تعلّم الموسيقى والغناء والرقص بمجرد حفظ القوانين والقواعد كذلك لا يصير خطيبًا الاَّ بطول الممارسة والتمرّن

هذه بعض الاشارات والقواعد التي اصطلح عليها مشاهير الخطباء . وقد اخذتها من احسن ما كتب وعلّم في هذا الفنّ فعلى الراغبين في الخطابة الميالين اليها ان يتبعوها فهي تسهل لهم الابتداء وتكفل حسن الانتهاء

بيروت . المدرسة الكلية اسكندر عجمي

[المقتطف] نشرنا في الجزء الخامس من السنة الثامنة الصادر في فبراير سنة ١٨٨٤ خلاصة خطبة في الخطابة لحضرة انطون افندي شحيبر يحسن بالقراء الكرام ان يطالعوها وبالشبان منهم خاصةً الذين يودون ان يكون لهم في الخطابة شان ان يكرروا مطالعتها مع مطالعة هذه المقالة والجمع بين فوائد الاثنتين اي بين ما قيل عن مبنى الخُطب وما قيل عن اشارات الخطباء

العمل والراحة

قال تنسون الشاعر الانكليزي المشهور "خمسون سنة في اوربا خير من دهر في الصين" وعند الصينيين مثلٌ وهو "يومٌ واحدٌ مثل ثلاثة ايام" يريدون بذلك انك اذا عرفت كيف تغتنم الفرص لاتمام عمل ما فيوم واحد يساوي ثلاثة. وقال السر ولترسكوت في احدى قصائدهِ ما معناهُ "ساعة من حياة مجيدة تساوي عمرًا بلا اسم ولا شهرة"

و يرى الباحث المدقق ان الناس على اختلاف طبقاتهم وعصورهم ومعارفهم اتفقوا على هذه الحقيقة وهي ان الانسان قد يستطيع اتيان الاعمال العظيمة باجهاد قواهُ في اوبقات قصيرة وان الدقائق والساعات كالناس متفاوتة في الرتبة والمنزلة

الحيوان — ضرب الناس الامثال منذ القدم بجد بعض انواع الحيوان وكسل الآخر فمن ذلك جدُّ النملة وكسل الصرصور وسعي السلحفاة ونوم الارنب وحكايتهما معروفة. ولكن العلم والبحث يثبتان ان الانسان غالى في اتهام بعض الحيوانات بالاكثار من الحركة. فان اجراء الهرّة لا تقضي اكثر وقتها في الحركة كما يظنُّ. وصغار الاولاد لا يقضون اكثر يومهم في اللعب كما هو المشاهد. بل يقضي الفريقان جانباً كبيرًا من وقتهما في الراحة والسكينة

ثم ان هناك حيوانات ليلية قيل انها لا تنقطع عن العمل ليلاً ولا نهارًا منها حشرة مكروسكوبية قال الدكتور هوج والدكتور ايكنس انها تعمل على الدوام وليس لها فترة تنقطع فيها عن العمل مثل الحيوانات العليا. وبعبارة اخرى انها لا تكلُّ ولا تنام. لكن هذا الحكم يصدق عليها اذا وافقتها الاحوال وهذا لا يتسنى لها فيمرُّ بها دور راحة تنقطع فيهِ عن العمل انقطاعًا الزامياً ناشئًا عن عدم ملاءمة الاحوال الخارجية لها

وكلما ارتقينا في سلَّم الحيوان رأينا تفاوتاً بين الحيوانات في مدد عملها وراحتها فالاسماك وذوات الفقرات الدنيا تنام مدات طويلة ثم تعود الى الحركة والعمل بجدٍ ونشاط وكذلك الاسد والنمر والفيل والجمل والفرس وسائر انواع الحيوان تنام ثم تستيقظ قوية نشيطة الى العمل. وكلما طالت مدة يقظة الحيوان وحركتهِ طالت مدة نومهِ وراحتهِ

ومن الحيوانات ما يقضي جانباً كبيرًا من عمرهِ في سبات عميق تتوقف مدتهُ على الاقليم والنوع. ولا يعلم مقدار ما يفعلهُ هذا السبات بقوى الحيوان العقلية والبدنية حال يقظتهِ وحركتهِ ولكن لما كان السبات عاملاً من العوامل في الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب فذلك دليل على انهُ لم يكن خاليًا من النفع للحيوان. وما يقال عن العجماوات التي تنام طويلاً

يقال عن الانسان الذي يفعل فعلها مثل بعض فلاحي روسيا الذين ينامون اكثر فصل الشتاء اقتصاداً في النفقة

الطفل — من المعلوم ان الطفل مغرم باللعب واجهاد قواهُ البدنية الى درجة الاعياء وكذلك اجهاد قواهُ العقلية عند ما يبدأ بالتكلم في محاولة النطق وشدة الاصغاء وتقلد حركات من حولهُ وسكناتهم حتى اذا كلَّ وملَّ ثاب الى السكينة والراحة . وعليهِ فهو يقضي معظم الوقت قبل دخول المدرسة في اللعب والرياضة ما عدا اوقات الاكل والنوم . فكأنهُ مسوق الى ذلك بقوة تدفعهُ الى اجهاد قواهُ غاية الاجهاد

يستنتج ممَّا تقدم ان المدرسة تضر الطفل بطول مدة الدرس والعمل قبل الظهر وبعدهُ فيجدر بالمدرسين ان يغتنموا الفرص القصيرة التي تكون قوى الطفل فيها متهيأة للشغل والعمل ليطبعوا فيها ما يريدون طبعهُ في ذهنهِ ولا نظن انهُ يلزم المعلم اكثر من ساعة لتعليم الطفل وتثقيفهِ في حالة نموّهِ . ولذلك قام كثيرون في جميع انحاء العالم يقولون بوجوب تقليل ساعات الدرس. وذلك عين الصواب ان صحَّ ما يقال من ان دقائق قليلة وقوى الطفل على اشدّها انتباهاً اوفر نفعاً من بقية نهارهِ

ومن خصوصيات الاطفال سرعة انتقالهم من الحركة الى السكون ومن الذكاء والنباهة الى الخمول والبلادة ولو في الظاهر ومن العمل الى البطالة عقلياً وبدنياً والضد بالضد . فقد يتفق كثيراً ان المعلم يحاول تعليم الاولاد شيئاً يقولونهُ في الاحتفالات العمومية ويبذل المجهود في ذلك فلا ينجح لما يراهُ فيهم من الاهمال وعدم الانتباه والخمول في الظاهر حتى يستولي الياس عليهِ ولكن اذا جاءت الساعة الموعودة اظهروا من الذكاء والنجابة ما يحيّرهُ ويقضي عليهِ بالعجب والدهشة

المرأة — جاء في المثل الانكليزي ان المرأة لا تتمّ عملها . وفي هذا ما فيهِ من الاجحاف بحقها فقد قال احد العلماء ان الاعمال التي تستوجب ساعداً شديد العضل لاتمامها انما هي منوطة بالرجل واما العناية بالاولاد وسائر ما يتعلق بتدبير المنزل من الاعمال التي يكون انفاق القوى فيها اطول مدَّة واقل شدَّة فمنوطة بالمرأة . واما بين المتوحشين فان اعمال المرأة تشبه اعمال الرجل من حيث مشقة العمل وطول زمن الراحة وسرعة الانتقال من حال الى حال

واما سرعة انتقال المرأة من حال الى حال فظاهر من سرعة ادراكها وشدة بداهتها. فاذا عرض للرجل والمرأة امرٌ اشكل عليهما حلهُ او وقعا في حيرة وارتباك فالغالب ان المرأة تجد مناصاً لها منهُ قبل الرجل . وفي التاريخ حوادث كثيرة تمكنت المرأة فيها من تخليص ذويها ببداهتها وتفننها في استنباط الحيلة

على ان قسماً كبيرًا من عمل المرأة في البلاد المتمدنة ليليٌّ كالرقص والمسامرة والتمثيل في الملاهي والمراقص ونحو ذلك مما يعدُّ عمل النهار بازائهِ راحةً لا تعبًا ومما فاقت الرجال فيهِ

النابغة — لقد كثر كلام الناس على النوابغ فالتفتوا الى الموهبة العقلية التي يمتازون بها من حيث علاقتها بالاعمال التي عملوها فقالوا ان الموهبة مظهر من مظاهر النشاط وانها ليست الاَّ العمل والاجتهاد او هي مقدرة الانسان على العمل الشاق . وانما جعلهم يعتقدون هذا الاعتقاد ما يرونهُ من ان النوابغ مضطرون الى العمل الشاق ليعيشوا والى العمل الطويل لينالوا الشهرة وتظهر مواهبهم . ولكن النوابغ الحقيقيين يتمون اعمالهم العظيمة باجهاد قواهم في مدات قصيرة لا بالعمل المستمر ولا بالتعب الطويل

ومن الغريب ان النابغة يمتاز بقابليتهِ للانتقال بسرعة البرق من حال الى حال كانهُ يجمع بين الاضداد فينتقل من درجة سيولة القريحة الى جمودها في اقل من لمح البصر ومن الحكمة والذكاء الى الجهل والبلاهة ومن الاجتهاد في اقصى درجاتهِ الى الخمول في ادنى دركاتهِ حتى كتب احدهم كتابًا في بلاهة النوابغ. وليست البلاهة في النوابغ الاَّ امرًا طبيعيًّا وما من نارٍ الاَّ وتخبو بعد ذكائها . فقد قال بعضهم اذا بطل الالهام للنابغة عاد رجلاً مثل سائر الناس ان لم نقل اقلَّ منهم . واعظم نوابغ الشعراء نظموا اركّ انواع الشعر

المجرم — قال بعض العلماء ان المجرم كثير الكسل الاَّ انهُ قد تمرُّ بهِ دقائق ينشط فيها للعمل فيأتي اعظم الجرائم والمنكرات كالسكر والخلاعة والصخب . قال احد النشالين لعالم من العلماء اذا عرضت لنا التجربة لا يستطيع احدٌ منَّا ان يكبح جماح نفسهِ فلا بدَّ لنا من السرقة . وعند ما يرتكب المجرمون جرائمهم يظهرون اقدامًا عظيمًا وانفعالاً قويًّا واحيالاً غريبًا ثم لا يلبثون ان يعودوا الى الخمول والسكون مدة طويلة

المتوحش — المتوحش يكره العمل بشهادة السياح والفلاسفة ثم ان علماء اللغات زكُّوا هذه الشهادة بان ابانوا ان الكلمات المستعملة للعمل في كثير من اللغات كالعبرانية واليونانية واللاتينية والفرنسوية والايطالية انما تعني التعب والمشقة. ومن رأي بعض العلماء ان اعتياد العمل من مبتكرات الانسان المتمدن . على ان الشعوب المتوحشة تعمل اعمالاً كثيرة وان تكن البواعث التي تحملها على العمل ليست نفس البواعث التي تحمل الامم المتمدنة عليهِ . وليس كرهها للعمل ناشئًا عن التعب البدني بدليل انها تعمل بعض اعمالها كبعض انواع الرقص مثلاً حتى تكلَّ فتنقطع عنهُ من فرط التعب والاعياء . بل هو ناشئ عن اجهاد الفكر والارادة . فكره المتوحش للعمل مصدرهُ عقليٌّ لا بدنيٌّ وهو يجد بالرقص وما اشبههُ من الحركات وسيلة سهلة

لانفاق القوة العصبية المذخورة في دماغهِ من غير ان ينزعج

هذا وقد كتب احد العلماء كتاباً في وصف بعض القبائل المتوحشة . ومما قال فيهم انهم جامعون للاضداد فهم اسرع الناس في قضاء الاعمال وابطأهم وهم اقواهم واضعفهم واميلهم الى الحرب والينهم عريكة . وانتقالهم من حالة الى ضدها يتم باسرع من وميض البرق . واذا جلسوا للراحة بعد العمل طالت مدة استراحتهم كثيراً . فانهم يطاردون الغزال مثلاً ساعات متوالية و يغزون القبائل المجاورة لهم اياماً متتابعة ومع ذلك فالمعروف عنهم وعن نسائهم واولادهم انهم يقضون معظم اوقاتهم مستلقين على ظهورهم متمرغين في التراب . فاذا قيس عملهم بالساعات وجب ان تقاس راحتهم بالايام

الجنس — لا يبعد ان يكون لكل شعب من الشعوب اوقات ينتقل فيها من العمل الى البطالة ومن البطالة الى العمل ويصح ذلك بنوع خاص اذا فرضنا ان للشعوب صفات ذاتية تقابل المواهب التي يمتاز بها النوابغ . فقد قال احد علماء الانكليز في الكلام على نوابغ الامة الانكليزية ان لظهورهم وانقطاعهم ادواراً كما يظهر من توزيعهم في القرون وانصاف القرون . فعصور التاريخ كعصر الملكة اليصابات وعصر الملكة فكتوريا في تاريخ الانكليز وعصر القيصر اوغسطس في تاريخ الرومان وعصر بركليس في تاريخ اليونان وما اشبهها من العصور في تواريخ الامم الاخرى كلها ادلة على وجود النوابغ في فترات قصيرة على حين ان العصور المظلمة طويلة المدة ولم يقم فيها نابغة . ألا ترى ان ثورات اوربا المختلفة وحوادثها السياسية العظيمة والاختراعات والاكتشافات حدثت في عصر بركليس عند اليونان القدماء وعصر اليصابات وفكتوريا عند الانكليز وفي هذا العصر عند الاميركيين وعليهِ ففي الشعوب كما في الافراد تتمُّ عظام الاعمال في اقلّ الاوقات . يتم في سنة ما لا يتم في قرن

يظهر مما تقدم ان اجهاد القوى لاتمام الاعمال في مدات قصيرة واتباع ذلك بمدات اطول للراحة خير نظام يمكن اتباعهُ في الاعمال كما اثبت الاختبار والادلة الكثيرة في طرق ترويض الانسان والحيوان وتقصير اوقات الدرس الى نصف ما هي عليهِ وانقاص ساعات العمل للعمال ومستخدمي المحلات التجارية . وقد أبان بعضهم ان ساعتين من العمل البدني او العقلي في اليوم تكفيان الناس اذا امكن توزيع نتائجهما عليهم بالقسط بعد ما تمَّ من الاتقان في الآلات التي تغني عن يد الانسان والسهولة في طرق النقل . وما قيل في الاعمال البدنية يقال في الاشغال العقلية ايضاً . وهذا ما لابدَّ ان يتمَّ في مستقبل الايام

(ملخصة من مقالة للدكتور الكسندر فرنسيس تشمبرلن في مجلة العلم العام الاميركية)

الصحيح من الفراسة

امارات الخوف

محبة الذات خلق راسخ في النفس لكن ليس لها علامة ظاهرة تدلُّ عليها فلا يستطيع المصور مهما كان ماهرًا ان يصوّر انسانًا صورة تدلُّ على انهُ محب لنفسهِ . الاَّ ان مُحبَّ نفسهِ اذا رأَى ما يسرُّها ابتهج او اظهر العُجْب والخيلاء واذا رأَى ما يخشى منهُ عليها اظهر الخوف والاحجام او الجرأَة والإقدام . وللخوف والاحجام والجرأَة والإقدام امارات تدلُّ عليها كما تقدَّم. اما محبة الذات المطويَّة تحتها فلا امارات لها لانها من القوى المتجهة الى داخل الانسان فلا علامة لها في ظاهرهِ ولكنها حالما تُتهيج تهيج الرَّيْب في النفس وهو الدرجة الاولى من الخوف. فاذا رأَى الانسان او الحيوان ما يخشى منهُ عليهِ ارتاب فيهِ اولاً ثم خاف واحجم او تجاسر واقدم . وامارات الرَّيْب ضعيفة تظهر بارتفاع الحاجبين والشفة العليا وتضييق الفم وتغضُّن الجبين. واذا اراد المرتاب ان يعرب لغيرهِ عن ريبهِ من غير كلام بالغ في هذه الاشارات وهز كتفيهِ او يديهِ ووضع سبَّابتهُ على خدهِ اوعلى جانب انفهِ او تحت جفنهِ الاسفل وجذب عينهُ بها قليلاً ويبدو منهُ حينئذٍ صوت يختلف باختلاف الشعوب ويُدرَك معناهُ عندهم بسهولة. هذه الاشارات ما سببهُ واضح كرفع الحاجبين فانهُ ناتج عن المبالغة في فتح العينين كأَن الانسان يحاول ان يمعن نظرهُ في ما هو مرتاب منهُ لكي يتبيَّنهُ جيدًا ومنها ما سببهُ غير واضح كوضع السبابة على الخد

ويصير الريبُ ملكة في النفس فتبدو ملامحهُ في الوجه وتكون على اشدها في المجنون المصاب بجنون الاضطهاد اي الذي قام في نفسهِ ان الناس يضطهدونهُ ويحاولون الايقاع بهِ فتراهُ ينظر الى ما حولهُ نظر الخائف المستريب حاجباهُ مرتفعان او احدهما مرتفع والآخر منخفض وعيناهُ مضطربتان ينظر يمنةً ويسرةً وهو زامٌّ شفتيهِ ينغض رأْسهُ حينًا بعد حين ثم يقف كأَنهُ يتنصت لاصوات لا يسمعها غيرهُ. وهذا مرض كما لا يخفى ولكن في الاصحَّاء علامات اخرى تدلُّ على الريب كفقد الطلاقة من الوجه والميل الى الخصام والى الخجل

وقد افاض اهل الفراسة في وصف ما حسبوهُ ادلَّةً على الخوف والجبن كنعومة الشعر مستدلين على ذلك بنعومة صوف الغنم وشعر المعزى وكنعومة الجلد وانحناء القامة ونحافة عضلات الساقين واصفرار الوجه وضعف العينين واسوداد الحدقتين الى غير ذلك من المزاعم والسخائف التي يغني ذكرها عن اثبات فسادها

امارات التعقُّل والتفكير

افاض اهل الفراسة في وصفهم دلائل العقل والذكاء . وفي الارجوزة العربية المشهورة في القيافة كلام كثير من هذا القبيل فمما جاء فيها عن الجبين

كل جبين بارز معتدلِ فهو دليل العقل عند الأُوَلِ

وعن الانف والاستوا ودقَّةٌ في الارنبهْ ثم ارتفاع الانف نعْم الموهبهْ

دلائل للعقـل ثم النفعِ وجودة الفهم وحسن الطبعِ

وعن الاذن وكل مستديرة رقيقـهْ وهي لخلف الراس كالملصوقهْ

دلالة على الذكا والعقـلِ وخفَّة النفس وحسن الفعلِ

وعن الشفة والشفة الرقيقـة الحمراءْ مع صغر الفم هي الحسناءْ

وهي دلالةٌ لحسن العقلِ وحسْن اخلاق وحسن فعْلِ

وعن اللحية وكل كوسج فذو كياسه وذو فطانة وذو فراسه

وعن الشعر والشعر فالاجود منهُ الاوسطُ في قلَّة وكثرة لا المفرطُ

وفي خشونة وفي جعوده فهذه صفاتـهُ المحموده

هذا دليل العقل والذكاء وجودة التدبير والآراء

وفي الوجه والشحم في الوجوه باعتدال علامة للعقل في الرجالِ

وفي الصدر واجمعوا ان وسيع الصدر كثير روح وطويل عمرِ

وانهُ ايضاً دليـل قطعي لجودة الفهم وحسن الطبعِ

وفي البطن والبطن منهُ ان خلا من شعرِ دليـل فهم وصواب فكرِ

وفي الاصابع قالوا وطولٌ في اصابع اليدِ ينبئ عن صحة خاق الكبدِ

وجودة في العقل ثم الطبعِ وشرطها اللين وحسن الوضعِ

ولو نقلنا ما ذكرهُ هذا الراجز من دلائل الحمق والبله في الاعضاء المذكورة لقامت علينا قيامة القرَّاء وحق لهم ذلك لانهُ يصدق على أكثر الناس . لكنَّ ما ذكرهُ من الوجهين فاسد على حدٍ سوى نتفق صحتهُ في بعض الناس ولا نتفق في غيرهم لانهُ ليس من ارتباط سببي بينهُ وبين العقل فقد تجتمع جودة العقل مع دقة الشفة وقد تجتمع مع غلظها كما تجتمع مع استدارة الاذن ومع طولها ومع طول القامة ومع قصرها

ولم يبحث احد من اهل الفراسة بحثاً استقرائيًّا واسعًا حتى يصحَّ لهم ان يبنوا مثل الاحكام المتقدمة وانما استدلوا على صحة احكامهم بملاحظات قليلة جدًّا لا يمكن ان يبنى عليها حكم

او باستدلالات تضحك الاطفال كالاستدلال بنعومة الشعر على الجبن من نعومة صوف الغنم وبطول الاذن على الجهل من مشابهتها لاذن البهائم . قال الراجز ولم يجد

والاذن الكبيرة المقدار دلالة للطول في الاعمار
لكنها للشبه بالبهائم للجهل جاءت اصدق العلائم

ومما يحسن سرده في هذا المقام ان النابغين من علماء العرب ادركوا فساد ذلك قال صاحب كشف الظنون في كلامه على قيافة البشر انها تدرك بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين. وقد انتبه بعضهم الى الفراسة الصحيحة المدلول عليها باعمال الانسان واحواله وهيئاته . فقد جاء في كتاب لطائف المنن والاخلاق للسيد عبد الوهاب الشعراني قوله " وللعلماء في ذلك كتب كثيرة لكن غالب فراستهم من حيث رؤية اعضاء الجسد الظاهرة . وهذه الفراسة انما هي من حيث الاعمال والاحوال والهيآت " الى ان قال " كل من رأيتموه كثير الصمت والفكر والطمأنينة في الحركة وحفظ العين من فضول النظر الى اثبات البصيرة في وجوه الناس لغير غرض فهو دليل على قوة عقله وفهمه وغير ذلك يكون من صفات المجاذيب ارباب الاحوال والمجانين. ومن رأيتموه يقرمط انفهُ مع عبوسة وجهه فهو دليل على قيام نفسه وعدم انقيادها وتنعها بكلامكم" الخ ويحتمل ان يكون كثير مما ذكرهُ خطا لكنهُ كان على الصواب في الاستدلال على احوال النفس بالاشارات والحركات البادية في الوجه

هذا ولنعد الى ما يقولهُ اهل الفراسة الصحيحة قالوا :

من حين تأخذ دقائق الدماغ تفعل فعلها الذي نسميهِ فكرًا لا تتوقف عن هذا الفعل توقفًا تامًّا الاَّ بانصرام حبل الحياة والمرجح انها تفعل في النوم كما تفعل في اليقظة ولو نسيناحينما نستيقظ ما كنا نفكر بهِ ونحن نيام . وهذا التفكير المستمر تبدو آثارهُ في الوجه ولو كانت طفيفة جدًّا قلما ينتبه لها وبها يمتاز وجه الحي عن وجه الميت . واكثرها في ابراق العينين وحركات عضلات الوجه فاذا لم يبدُ شيء من هذه الملامح في الوجه قيل ان صاحبهُ بليد خامل . واذا اريد التدقيق ظهر ان اكثر معاني الوجه العقلية محصور في بقعة ضيقة بين الحاجبين وفي وسط الجبين حتى سمّى داروين العضلات التي تقطّب الحاجبين عضلات التفكير . ومن رأيهِ ان تقطيب الحاجبين يحصل اولاً من تعب الفكر وقد يكون فيهِ رُجعة الى ما كان اسلاف الانسان يأتونهُ وقت التحديق الى الاشياء مخافة ان يكون فيها عدو مقبل عليهم فصاروا يقطّبون حواجبهم كلما امعنوا نظارهم

وخالفهُ الاستاذ منتغزا في ذلك وقال ان مجرد الاهتمام بالامر يدعونا الى الميل اليهِ بحاسةً

من الحواس الظاهرة او الباطنة ولا سيما اذا كان مما يرى او يسمع فاذا كان مما يرى وهمنا امرهُ ترانا نميل اليهِ بكليتنا فننحني ونحدق فيهِ كأنَّ عضلات العنق والجذع كلها تحاول تقريب العين منهُ لكي لا يفوتها نظرهُ واذا كان مما يسمع ملنا اليهِ ايضاً بكليتنا واذا كنا نسمع باذن اكثر مما نسمع بالاخرى املنا اليهِ الاذن الشديدة السمع ووضعنا الكف وراءها لكي تجمع تموُّجات الهواء. ونستطيع ان نهيج حاسة الذوق والشم واللمس لكن لا يبدو منها من الامارات الدالَّة على تهيجها كما يبدو اذا تهيج النظر والسمع . واذا كان المهيج للحواس داخليًّا في بدن الانسان او في مراكز شعورهِ العقلي انتبه لهُ كما ينتبه الى المهيجات الخارجيَّة فترى المصاب بالسوداء المعتقد ان في قلبهِ نبضانًا شديدًا او في امعائهِ حركات غير عادية يصغي الى نبضان قلبهِ او حركات امعائهِ اصغاء الخائف الوجل كأنهُ يصغي الى وقع اقدام عدو قادم عليهِ او اصغاء الفيلسوف المفكر في اعوص المسائل الحكميَّة .

واذا اشتدَّ تفكير الانسان انصرفت قوتهُ كلها الى نفسهِ اي الى باطن دماغهِ فشخص ولم يعد يبدي حركة وظهر كأنهُ غاب عن الوجود . واذا زاد التفكير شدةً زاد انصراف القوة عن عضلات الوجه حتى لم تعُد تقبض الفكين فينفتح الفم ويتدلَّى الفك الاسفل وتظهر على الوجه امارات البلادة والبله .ولكن اذا انحلَّ رباط التفكير ولو بكلمة يقولها الانسان عادت الحركة الى الوجه والى سائر الاعضاء التي نشير بها ونحن نتكلم

ولا بدَّ من الاشارات وقت الكلام واذا منعت الخطيب عن الاشارات وهو يخطب يضيق نَفَسهُ حتى يكاد يختنق وبعض الناس لا يستطيعون الكلام ما لم يحركوا ايديهم وارجلهم معاً . وهذه الحركات غير الحركات التي يراد بها تنبيه الاعصاب كفرك الجبين وحك الراس ونتف العثنون واللعب باللحية. والظاهر ان ادمغة الناس مختلفة من هذا القبيل فالبعض يتنبه دماغهم بفرك الجبين والبعض بحك الراس والبعض بنتف العثنون كما كان يفعل الحريري صاحب المقامات فقال فيهِ الشاعر :

شيخ لنا من ربيعة الفرسِ   ينتفُ عثنونهُ من الهوَسِ

والعثنون شعر الذقن كما في لحية الكوسج . والبعض بالمشي والبعض بالركوب والبعض باللعب بالسبحة والظاهر ان للعادة الفعل الاكبر في ذلك

ثم ان اوضاع الانسان وحركات رأسهِ ووجههِ تختلف باختلاف الشغل العقلي الذي يشغلهُ فاذا كان يفكر في امر ظهرت على وجههِ علامات الذهول المشار اليها آنفًا واذا كان يريد ان يتذكر شيئًا غاب عنهُ ذكرهُ شخص ببصرهِ الى الاعلى او الى الاسفل واغمض عينيهِ وفرك

جبينهُ براحة يدهِ او لطمهُ لطماً. وهذه الحركات تعين الذاكرة بتهييج دقائق الدماغ

واذا شرع يتكلم اخذ جسمهُ كلهُ يساعدهُ على الكلام ويعبرّ عمّا في نفسهِ باشارات يفهمها الناظر اليهِ وقد يراها ابلغ من كلامهِ . وما من خطيب الاَّ ولهُ اشارات يستعين بها على ابلاغ معانيهِ الى اذهان السامعين واذا لم تكن الاشارات منطبقة على المعاني او اذا كانت مناقضة لها كما اذا حفظ الخطيب خطبتهُ غيباً من غير ان يفقه معناها لجاءت اشاراتهُ في غير محلها اشمأَز منهُ السامعون او اغربوا في الضحك

لم نغرب قط في الضحك قدر ما اغربنا مرةً اذ سمعنا احد الظرفاء يتقلد تلامذة المدارس وقد استظهروا قصيدة تنيسن المشهورة التي نظمها في وصف فرسان الانكليز وقت هجمتهم المشهورة في حرب القرم فانهُ كان ينطق بها كتلميذ حفظها غيباً وحفظ الاشارات التي يشار بها معها . وصار يتلو البيت وينسى ان يبدي الاشارة معهُ فيشير بها بعدهُ وقد يخطئ فيشير بعكس المراد ثم يصلح خطأَهُ فيقول مثلاً امام ويشير بيديهِ الى الوراء ثم يظهر عليهِ كانهُ انتبه لخطإهِ فيشير الى الامام وقد اغرب كل الذين سمعوهُ في الضحك كما اغربنا

والفصحاء الطلقو اللسان تتبع اشاراتهم كلماتهم كأنها جزء منها واما اهل الحصر والعي فتتقدَّم اشاراتهم على كلماتهم كأنهم يستخرجون بها الكلام من افواههم استخراجاً

واهل القرائح الوقَّادة ترى نور القريحة يتلألا في عيونهم يبدو فيهم حينما تهيج قريحتهم ولو حاولوا سترهُ وتظهر آثارهُ في ما ينظمونهُ ويصورنهُ سواءٌ كان بالكلام او بالالوان فيفعل بنفوس القارئين والناظرين . تقرأُ مرثاةً مفجعة نظمها الراثي ودموعهُ تمحو طروسهُ فلا تستطيع الاَّ ان تشاركهُ في البكاء والتوجع . وترى صورة جميلة فتتعشقها كما تعشَّقها المصوّر

لكن هذه الامارات لا تبدو على وجه النابغة دائماً بل حينما تهيج قريحتهُ وفي ما سوى ذلك يكون كسائر الناس او تظهر عليهِ سمات البلادة والبله كأنَّ مصباح القريحة شديد الانقاد فيحرق زيتهُ سريعاً وينطفئ الى ان يوضع فيهِ زيت جديد. وليس هذا القول من قبيل التمثيل بل هو حقيقة لان القوة الآتية من الدم الى الدماغ تنفد سريعاً اذا أُفرط في استعمالها فتتكل الاعصاب وتطلب الراحة الى ان يتوفَّر لها الغذاء

ويقال بنوع عام ان للنوابغ ولكل المشتغلين اشغالاً عقلية امارات واضحة ولكنها لا تبدو في وجوههم الاَّ وهم يفكرون وقلما يرمخ منها في الوجه الاَّ غضون الجبين وهي غير خاصة بهم ولا دائمة فيهم

انتقاء الالفاظ

دخلت مرَّةً على جماعة من المحككين بالادب فرأيتهم يهتزُّون طربًا ويكبرون استغرابًا وعجبًا فما استقرَّ بي المجلس حتى عرفت الذي استفزَّ عواطفهم واستخفَّ حواسهم فقام بها وقعد وهو انهم كانوا يتلون قصيدة الاخطل في وصف حمار الوحش ويعجبون لما فيها من البلاغة حاسبين معرضها معترك الفصاحة وجلّ ما يُراد من حسن البيان . واذ استطلعتهم جهة الحسن فيها لم يكن لديهم ما يقولون الاَّ ان بلاغتها قائمة بما فيها من الالفاظ المُغلَقة حتى ان علماء هذا الزمان لا يستطيعون فهمها بدون الاستعانة بالمعاجم الضخمة . فقلت لهم رويدكم يا قوم فهي ليست على ما تزعمون من البلاغة ونظمُ مثلها ليس بالعمل الشاقّ وان كانت البلاغة تقوم عندكم بالغرابة فاذا شئتم نظمتُ لكم الآن على البحر والقافية الفاظًا لا يفهمها احدٌ منكم فقالوا هاتِ ان كنت من فرسان هذا الميدان لنلقي اليك مقاليد الكلام وحسن البيان فقلت على البديهة :

سحَّالـــ أغربةٍ رفَّت سواجلهُ وداعلةٌ كروفُ الدهرِ فاندعلا

يجبو على خُصفٍ والبَثقُ غايتهُ كانهُ من بُلوم المستفار شلا

فصاحوا بي مهلاً لنكتب هذه الآيات الباهرة كي لا تضيع فائدتها واخرج بعضهم قلمًا وقرطاسًا فانكبُّوا على التدوين واندفعت في الاملاء الى ان امليتُ عليهم اكثر من عشرين بيتًا من هذا النوع . وبعد ان اوسعوني اطراء واعجابًا وآنستُ منهم الدعة والسكون قلت لهم اتحسبون ما اخذتم عني الآن بليغًا ؟ قالوا كيف لا نحسبهُ كذلك ونحن لم نفهم منهُ شيئًا . قلت ولا انا فهمت منهُ شيئًا قالوا وكيف ذلك قلت لانهُ ليس فيهِ شيءٌ يفهم وما هو الاَّ الفاظ مرتجلة لا معنى لها ومثلي معكم مثل ذلك الطبيب الذي جاءهُ رجلٌ فقال : اصلحك الله اكلت من لحوم هذه الجوازل وطسيت طسأةً فاصابني وجع بين الوابلة ودابة العنق فلم يزل يمو ويربو حتى خالط الخابل والشراسيف فهل عندك دواء . قال الطبيب نعم خذ خربقًا وسلفقًا وشربقًا فزهزقهُ واغسلهُ بماءروب واشربهُ . فقال المريض لم افهمك قال الطبيب ما افهمتك الاَّ كما افهمتني . وانتم لم تفهموا من ابيات الاخطل اكثر مما فهمتم من ابياتي فلا ترجعوا عن مدح ما كتبتم لاجل امر معنويّ لا يهمكم قالوا قد فهمنا ما تريد وانك لا تنوي الاَّ تنبيهنا الى معاني الكلام دون الفاظهِ قلت نعم انني اريد بعض ما ذكرتم لان اللغة ليست الاَّ وسطًا شفَّافًا بين الافكار تمرُّ فيها المعاني وتنقل بواسطتها من المتكلم الى السامع كما تمرُّ اشعَّة النور في الزجاج وتصل الى العين وبنقاوة الزجاج مما يوقف الاشعة ويحول دون نفوذها تزيد صور الاشباح

وضوحاً وجلاء . فاللغة نتيجة الفكر والغرض منها التفاهم ونقل ما يدور في وجدان زيدٍ الى وجدان عمرو وهذا هو المقصد الاول من وضعها ولاجل هذه الغاية تكيَّفت في الانسان اعضاء الصوت واجزاء الفم تكيُّفاً تدريجيا الى ان بلغت مبلغاً تستطيع معهُ الافصاح عما يتولد في العقل من المعاني باصواتٍ ومقاطع اصطلح عليها البشر لتدلَّ على ما يريدون من الصور . فالنطق في الانسان نشأ مع عقلهِ وكلما زاد الدماغ اتساعاً زاد اللسان بياناً . ومثلكم بالالفاظ التي لا تفهمون معناها مثل من ينظر الى الاشباح من وراء برقع كثيف لا يرى الاَّ ذلك البرقع وبها لا يدرك غرض التفاهم المطلوب من اللغة والذي هو اوَّل اغراضها . فقال احدهم : إذنْ لا شيء من الاهمية للالفاظ في حسن البيان قلت ان غاية اللغة غاية معنويَّة لا غاية لفظيَّة وايّ لفظ اتفق المتفاهمان على دلالتهِ يصير حريًّا بتلك الدلالة بينهما وهي تكون مصاحبة لهُ ايَّان برز . على انهُ مهما كانت المعاني اصليَّة في غاية اللغة ومهما كان للصناعة المعنويَّة في الانشاء من الاهمية الكبرى فللألفاظ شأن ليس بالقليل في تحسين تلك المعاني وتحبيب صورها للعاطفة العقلية وسبب ذلك على ما ارى هو ان الاوضاع اللفظية تتحد بالمعاني التي وضعت لاجلها وتصبح من جلة خواصها وصفاتها والصور العقلية تجمل بجمال صفاتها وتقبح بقبحها . فكما ان السماء جميلة بنجومها واتساعها ولونها الازرق كذلك هي جميلة باسمها الرقيق الليّن الذي ينطق بهِ الفم وتسمعهُ الاذن ويتلقاهُ العقل بدون ادنى تبرّم او استكراه وعند ما تمرُّ صورتها في خاطرنا تمرُّ مصحوبة باسمها فلو كان ذلك الاسم كريهاً على السمع ونابياً عن الطبع لحطَّ من قدر جمالها ونقص من بهائها وكمالها . لذلك يتحتم على الكاتب والشاعر والخطيب ان يختار لمعانيهِ احبَّ الالفاظ الى الاذن واقربها الى الفهم

قال آخر : اذا كان الامر كذلك وكلمة واحدة تفي بالمعنى الواحد فلماذا عُني واضعو اللغة بوضع المترادفات الكثيرة للدلالة على المعنى الواحدة

قلت : ان اولئك الواضعين كانوا متفرقي الكلمة ومشتّتي المساكن فلم يتيسَّر لهم ان يؤلفوا وهم في حال الهمجيَّة والبداوة مجمعاً لغويًّا يتكفل اعضاؤهُ بوضع الفاظٍ مرتجلة او كلماتٍ مشتقة للمعاني التي تحدث بين القبائل فصارت كل فصيلة من فصائلهم تضيف الى الاوضاع الاساسية اوضاعاً جديدة تمسُّ الحاجة اليها وتجريها على ألسنة افرادها بينما غيرها من الفصائل المجاورة كانت تضع لتلك المعاني نفسها الفاظاً غير تلك وهذا احد الاسباب التي اوجدت المترادفات في كلّ لغةٍ من لغات العالم . وقد يمكن ان القبيلة الواحدة وضعت للمعنى الواحد اكثر من لفظةٍ او ان تلك الالفاظ كان بينها يوم وضعها فروق دقيقة نسيها الخلف حتى اصبحت اليوم بمعنى واحد .

نعم ان وجود هذه المترادفات لمّا يُربك الكاتب ويضعهُ موضع الحيرة في ايها يختار لجملتهِ الاّ ان صاحب الذوق السليم يميّز بين مليحها وقبيحها ويدرك بحسن اختبارهِ ايّ المترادفات اليق لعبارتهِ واقوم بحاجتهِ مع مراعاة المقام من جهة الانفعال والسكينة . مثال ذلك السيف والصارم فانهما بمعنى واحد الاّ ان السيف يفيد معنى الآلة في جميع حالاتها مغمدًا ومسلولاً والصارم باشتقاقهِ من الصرم يفيد معنى القطع فلا يليق استعمالهُ الاّ اذا اريد الاشارة الى فعلهِ فلا يقال بدل تقلّد سيفهُ وخرج مثلاً تقلّد صارمهُ وخرج بل يقال "فرّجت جيشهم بالصارم الذكر" . وينظر ايضًا الى عدد الحروف ليختار اكثرها حروفًا في مقامات الانفعال والشدّة كالجحفل الجرار بدل الجيش في قولهِ

خلّوا لنا ماء الفرات الجاري او فاثبتوا لجحفلٍ جرّارِ

اذ الموقف يستدعي التهويل والتعظيم وكلما امتدّ الصوت وتخنت مخارج الحروف كان التعبير اوفى بالغرض واكفل للغاية . والجيش احسن من الجحفل في قولنا لمّ بقايا الجيش وتساند بهم . ففي الكلام المصحوب بالسكينة والهدوّ تختار الالفاظ القصيرة والرقيقة على الطويلة الجزلة . ومثل ذلك قول المتنبي

امعفّر الليث الهزبر بسوطهِ لمن اذّخرت الصارم المصقولا

فبما ان المقام يقتضي الفخامة والمبالغة استعمل معفّرًا بدل جادل والليث الهزبر بدل الليث وحدها واذّخر بدل ذخر والصارم المصقول بدل السيف . كذلك اذا كان لاحدى المترادفات معانٍ كثيرة لا يجوز انتقاؤُها للعبارة تخلصًا من الالتباس فلا يقبل استعمال الخال بدل البرق الاّ اذا قامت على هذه الدلالة قرينة قاطعة كأن يقال اومض الخال . ومن ذلك ترى ان المترادفات لم توضع بدون حاجة اليها ولا يمكن الاستغناء عنها في اللغة انما يجب على الكاتب ان يفهم معانيها فهمًا دقيقًا ويراعي ما ينبهُ لفظ كلّ منها من العواطف فلا يجيء في كلامهِ الاّ بما كان راسخًا في محلهِ آتيًا على آخر الدلالة

قال آخر . قرأت في كتاب طبع حديثًا ان افصح الالفاظ ما كان كثير الاستعمال ويفهمهُ الخاصة والعامة وان فصاحة اللفظ تقاس بعدد الذين يفهمونهُ . فماذا تقول في ذلك

قلت : لا انكر ان اللفظ المفهوم هو افصح من المجهول واجدر منهُ بالاستعمال الاّ انني اكرهُ ان يجرّنا هذا القول الى ترجيح المبتذل فقد نبّه اكثر علماء البيان على ان اللفظ الذي مضغتهُ افواهُ العامة وكثر دورانهُ على السنتهم في المقامات الدنيئة يختار تركهُ والتجانف عنهُ توفرًا على البلاغة اذ هو تمجهُ النفوس وتلفظهُ العقول لانهُ قد اذالتهُ كثرة الاستعمال واهانهُ الابتذال .

قرأت مرة ان احد ادباء الانكليز عرض مقالة على كاتب بليغ وطلب منهُ انتقادها فقال الكاتب كلها جميلة بليغة الاَّ ان عبارة Buchered to make a Roman holiday لم استحسنها قال الاديب " اعجب من عدم استحسانك اياها على ما هي عليهِ من البلاغة والشهرة والشيوع " فقال الكاتب " نعم هي بليغة ولكن بعد ان تسمع ثمانية عشر الف مرَّة تصير مملولة " كذلك نقول نحن عن العبارات التي اولع بها الكتَّاب مثل كالشمس في رابعة النهار . لا يختلف فيهِ اثنان . ان اصبت فرمية من غير رام . الصفح من شيم الكرام . زاد الطين بلة . تفرَّقوا ايدي سبا . حدّث ولا حرج . ضرب الجهل اطنابهُ وكثير غيرها نعم ان هذه العبارات حسنة الوضع وافية بالغرض غير انها صارت مسؤومة مملولة ولنا في غيرها غنية عنها. ولا يوجد في اللغة كلام يصحُّ فيهِ قول الشاعر

مشرقٌ في جوانب السمع لا يُخـلِقهُ عودهُ على المستعيـدِ

او قول الآخر

وهو المشيَّعُ بالمسامع ان مضى وهو المضاعف حسنهُ إن كرّرا

اذ هو مبالغة في وصف الكلام الممدوح تدعو اليهِ الصناعة ولا يخرج عن حد قول الآخر

أعِد ذكرَ نعمانٍ لنا انَّ ذكرهُ هو المسك ما كرَّرتهُ يتضوَّعُ

بيد ان اعصاب الشمّ اذا طال عليها استنشاق المسك تألفهُ ولا تعود تشعر لهُ برائحة كما اذا وضعت وردةً على خيشومك واطلت شمَّها . وامر المسك ينطبق على الالفاظ والعبارات فكلُّ قولٍ يكثر تكرارهُ على السمع يألفهُ العقل ولا يعود يحس معهُ بالمعنى الذي وضع اللفظ لاجلهِ. نحن نكتب لآحاد الناس "جناب الاجل الامجد" ولا نشعر معها بشيء من الجلال والمجد امَّا لو ترجمناها الى الانكليزية وقلنا The most majestic and the most glorious او الى الافرنسيَّة وقلنا Le plus majestueux et le plus glorieux لاهتزت عند لفظها اعصابنا وارتعدت فرائصنا وشعرنا اننا نخاطب الخالق جلَّ شأنهُ . وهذا نشاهدهُ ونشعر بهِ عند ما نسمع واعظاً فصيحاً يخطب بلغة اجنبية نفهمها فاننا ننفعل من كلامهِ ونشعر بتأثر جديد واذا نقلنا اقوالهُ الى لغتنا لا نجد فيها اكثر من كلمات مبتذلة ومعانٍ كثيراً ما طُرقت فلا تمرُّ منَّا الاَّ على قلوبٍ جامدة ونفوسٍ باردة . وهذا الفرق ما نشأ الاَّ من الابتذال وكثرة الاستعمال وعندنا ان الجليل اعظم من الاجل والماجد اكبر من الامجد وهو مخالف للوضع ولذلك لا محل بعدُ للريب ان الالفاظ التي لاكتها افواه العامة في المواضع الدنيئة يختار اجتنابها كما يختار اجتناب الغريب النافر

فقال حَسْبُكَ عن الابتذال واذكر لنا شيئًا عن الغريب النافر فهو الذي اوصلنا الى ما نحن فيهِ

قلت : هما عيبان اختار إفرادها رغبةً بمعاير الكلام عن الامتزاج . فالغريب هو ما ندر ورودهُ في ادبيَّات السلف وقل استعمالهُ حتى يكاد المطالع لا يعثر عليهِ الاَّ في المعاجم الكبيرة والالفاظ الغريبة قد تكون رقيقة او جزلة تسمعها الاذن وتُسيغها بدون تكلُّف وخاليةً من كل ردَّةٍ يكرهها الذوق الاَّ ان ذلك لا يُغني عنها شيئًا اذا لم تكن قد وردت مرَّات كثيرة في مقالات البلغاء . ولا يُلام احدٌ اذا جهل دلالة مثلها لانهُ لا يكلَّف محترفو حرفة الادب ان يدرسوا المعاني الاَّ اذا عثروا على الفاظها في تضاعيف كتب الادب واردةً في عبارات يلذُّ بها القارئ . والالفاظ الغريبة والقليلة الاستعمال كانت في الجاهلية والاسلام كما هي اليوم ولم يكن يستعملها الاَّ المتقعرون المتحذلقون ادلاءً بانهم يعرفون ما يجهلهُ غيرهم او لغرض آخر تبعث اليهِ الاحوال . هذه الابيات التي اشتهرت ببلاغتها وفصاحة الفاظها لم يكن فيها شيءٌ يذكر من مثل هاتيك الموادّ الغريبة . عندنا منها شعر السموأل واكثر ابيات الحماسة المأثورة في الحافظات وشعر زهير بن ابي سلمى وعمر بن كلثوم وعنترة العبسي وفي المخضرمين كلام الصحابة كخطب الخلفاءِ الراشدين ومن عاصرهم ممن تكلم بلغة قريش وهم افصح العرب . يمثلهم لنا امام البلغاء وسيّد الخطباء الامام علي بن ابي طالب الذي ادرك الجاهلية وعرف الداء على السنة اهلها وميز بين الحسن والقبيح منها فلم يورد من الغريب الاَّ القليل وكلُّ شعرهِ مثل قولهِ

الناس من جهة التمثال اكفاء	ابوهمُ آدمٌ والامُّ حوَّاء
فان يكن لهمُ في اصلهم شرفٌ	يفاخرون بهِ فالطين والماء
ما الفضل الاَّ لاهل العلم انهمُ	على الهدى لمن استهدى ادلاَّء
فخذ لنفسك علمًا كي تعيشَ بهِ	فالناس موتى واهل العلم احياء

وجلُّ نثرهِ على هذا الحدِّ : " لا تطوّلنَّ احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونهُ فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحقُّ بالباطل " وفي التهديد كقولهِ لمعاوية " وذكرت انهُ ليس لي ولاصحابي الاَّ السيف فلقد اضحكت بعد استعبار متى الفيت بني عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيوف مخوَّفين فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان شديدٍ زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سربال الموت احبُّ اللقاء اليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذريةٌ بدريةٌ وسيوفٌ هاشمية عرفت مواقع نصالها وما هي من الظالمين ببعيد " ولا يحتجُّ بما اوردهُ

من بعض الالفاظ الغريبة في كلامهِ فان هذا منهُ ما وضعهُ غيرهُ ونسبهُ اليهِ ومنهُ ما دفعتهُ اليهِ كثرة المادة وغزارة المعرفة في الفاظ العرب وهو قليل جدًّا في جنب ما لهُ من الكلام السلس واللفظ الرقيق الجزل . وليس الامر كما يظنُّ لاوَّل نظرةٍ ان الغريب اليوم كان مألوفاً عندهم لانهُ لو كان كذلك لاستعملهُ كلُّ شعرائهم وخطبائهم . وعلى هذا المنوال نسج الكتاب البلغاء مثل ابن المقفع وعبد الحميد والصاحب وابن العميد والصابي وابي بكر الخوارزمي وبديع الزمان وابن الاثير وابن خلدون والمسعودي وغيرهم ولا عبرة بما جاء في بعض الكتب اللغويَّة كمقامات الحريري من الالفاظ الغريبة التي لا نألفها اليوم فغرض صاحبها كان ان يجمع كتاباً يقيّد فيهِ شوارد اللغة فالكتب التي من هذا النوع هي معاجم تجمع فيها الكلمات لا كتب ادبية يستن بسنتها ويجرى على خطتها . وان ورود اللفظة مرّتين او ثلثاً في كلام اساطين البلاغة لا يكفي لتجويز استعمالها وهذا مما يجب الانتباه اليهِ عند الانشاء فلا يُورَد الاَّ ما كان بين المتأدبين . وقع لي مرَّةً ان رايت في خطب الامام عليٍّ قولهُ يهرّون بعضهم بمعنى يكرهون فعلقت في ذهني واستعملتها اذ عرض لها موقع في مقالةٍ قدمتها للمقتطف فآخذني بها صاحبهُ العلامة الفاضل وكتب اليَّ يقول انهُ لا مزيَّة لهذه اللفظة على مرادفتها كره الاَّ بان هرَّ مجهولة متروكة وكره مفهومة شائعة وانهُ يستحسن الاغتياض عن تلك بهذه حرصاً على راحة القراء وكفايتهم مؤونة الحملقة في المعاجم .هذا ما يغرّر بالكتاب اليوم وينشطهم على اقحام الغريب في عباراتهم حاسبين ان كل ما يستعملهُ بلغاء السلف لا يكون غريباً وان كان فهو ثقيل محمودٌ

اما النافر فاريد بهِ ما تكرههُ الاذن ويتبرم بهِ اللسان سواء فهم معناهُ او لم يفهم فان فُهِم معناهُ كان فيهِ عيبٌ واحد وان لم يفهم اجتمع عليهِ حشف وسوء كيلة عيب الغرابة وعيب النفور مثل اطلخمَّ في قول ابي تمَّام

قد قلت لما اطلخمَّ الامر وانبعثت   عسواء تالية غبساً دهاريسا

اطلخمَّ بمعنى اسودَّ والعسواء الظلماء والدهاريس الدواهي وكل البيت غريب نافر ولا يخرج منهُ معنى جليل هذا مع ان صاحبهُ يقول

ومالكَ بالغريب يدٌ ولكن   تعاطيك الغريبَ من الغريب

فهو ينهي عن المنكر ثم يرتكبهُ . ومن هذا القبيل لفظة العطبول في بيت المتنبي يخاطب حبيبهُ ويشير الى الشمس

مثلها انتِ لوَّحتني وأسقمتِ   وزادت ابهاكِ العُطبول

وزاد عمر بن ابي ربيعة عليها ياء فزادها غلاظةً خصوصاً لانهُ جاء بها في معرض رثاء نظامهُ

لامرأة المختار التي قتلها مصعب بن الزبير

ان من اعظم المصائب عندي قتلَ حوراء غادةٍ عيطبولِ
كُتبَ القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيولِ

واغلظ منها قول المتنبي بدل نخرت

جَفَخَتْ وهم لا يجفخون بها بهم شيمٌ على الحسب الاغر دلائلُ

سمع اعرابيٌّ ابا المكنون النحويّ يجأر في دعاء الاستسقاء ويقول " اللهمَّ اسقنا غيثاً مريعاً مجلجلاً مسحنفرًا سحاً مسفوحاً دِراكاً لِكاكاً طبقاً غدقاً متفجّرًا " فقال يا خليفة نوح هذا الطوَفان وربِّ الكعبة دعني حتى آوي الى جبلٍ يعصمني من الماء . وسمعهُ يقول في يوم برد هذا يوم بلَّة عصبصب بارد هلوف فارتعد وقال هذا والله مما يزيدني بردًا . وقال ابو الاسود الدؤلي لابي علقمة ما حال ابنك قال اخذتهُ الحمَّى فطبختهُ طبخاً ورضختهُ رضخاً فتركتهُ ترخاً فطلّق زوجتهُ فتزوّجت بعدهُ وحظيت وبظيت.قال فما بظيت قال لهُ حرف من الغريب لم يبلغك بعد فقال يا ابن اخي كل حرفٍ لا يعرفهُ عمُّك فاسترهُ كما تستر السنُّور فرثها . ولا يشفع للكلمة الغليظة كون معناها مفهوماً فهو قد يكون معروفاً عند القارىء وتبقى اللفظة مع ذلك خشنة مكروهة من ذلك قولهم اشمخرَّ واسبطرَّ وابذعرَّ والحيزبون والنقاخ والدرديبس والعطوس ومئات غيرها من الالفاظ الشائعة بمعانيها والمكروهة بالفاظها وما احسن ما قالهُ صفيّ الدين الحلّي

انما الحيزبون والدردبيسُ والطخا والنقاخ والعلطبيسُ
لغة تنفر المسامع منهـا حين تروى وتشمئزُّ النفوسُ
وقبيحٌ ان يُتبع النافر الوحـــشيُّ منهـا ويترك المأنوسُ
انمـا هذه القلوب حديدٌ ورقيق الالفاظ مغناطيسُ

هذا وامثال الغريب النافر في ما انتهى الينا من اساطير السلف اكثر من ان يحصى ولا يستعملهُ الآن الاَّ من جفتهُ الرقَّة وندَّت عنهُ سلامة الذوق

قال آخر . ان كان الامر كما تقول وجب ان تطرح جميع الالفاظ التي هي من هذا القبيل وهي تقرب من ربع اوضاع اللغة او تزيد فلماذا وضعت اولاً ثمَّ ما هي الغاية من حفظها اليوم ؟

قلت ان الالفاظ التي تسميها غريبة او نافرة او وحشية قد يعرض لها مواقع يعرفها اصحاب الذوق فتقبل على ما فيها من العيوب . يمجُّها الذوق وينبوعنها الطبع في عبارة لا تليق بها او في سياق معنى لا يناسبها ثم يطرب لها هذا وذاك اذا وردت في المواقع التي تليق بها وهذا لا يقتصر على الالفاظ الوحشيَّة والغريبة بل يتخطَّاها الى جميع الفاظ اللغة . تستحسن في محلّ

وتستهجن في آخر ولاجل الاستئناس نورد بعض الشواهد في هذا الوجه :

قال بشر يصف مصرع الاسد واجاد

نخرَّ مضرَّجاً بدمٍ كأني		هدمت لهُ بناءً مشمخرًّا

اذ لا بأس باللفظة الوحشية اذا استعملت في وصف قتال الوحوش فهي هناك تصادف محلها وتنزل منزلها وما اكرهها في مواقف التأدب ومقامات الكمال والسلاسة مثلما جاءت في كتاب لاحد المتفيهقين "لازال نائلكم مسبطرًّا وسعدكم مشمخرًّا" وهي غير لائقة في في ما وردت من كلام الخطيب ابن نباتة "اقمطرَّ وبالها واشمخرَّ نكالها" ومن ذلك لفظة البعير في قول المتنبي

يا طَفْلة الكفّ عبلة الساعِدْ		على البعير المقلد الواخد

زيدي اذى مهجتي ازدكِ هوًى		فاجهلُ الناسِ عاشقٌ حاقد

فان البعير مع هذا المعنى الرقيق واللفظ الرشيق جعل عجز البيت الاول بعيريًّا وقد وقعت موقعها في قول العباس بن مرداس

لقد عظم البعير بغير لبٍّ		ولم يستغنِ بالعِظَم البعيرُ

واغلظ من كل ذلك قول المتنبي في احدى عيون قصائدهِ

لا تجزني بضنًى في بعدها بقرٌ		تجزي دموعيَ مسكوبًا بمسكوبِ

فان كنايتهُ بالبقر عن الغيد الحسان يذكّر القارىء بالعجول والثيران ومع ان الطبع قد مجّها في هذا البيت فهو يطرب لها في بيتهِ القائل

عليَّ نحتُ القوافي من معادنها		وما عليَّ اذا لم تفهمِ البقرُ

ومنهُ ان بشّارًا سمع قول كثيّر

الا انما ليلى عصا خيزرانةٍ		اذا غمزوها بالاكفّ تلينُ

فقال قاتل الله ابا صخرٍ يزعم انها عصا ثم يزعم انها خيزرانة ولو قال عصا مخٍ او عصا زُبْد لكان قد هجن مع ذكر العصا هلاّ قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معدٍّ		كأنَّ حديثها ثمرُ الجنانِ

اذا قامت لحاجتها تثنّت		كأنَّ قوامها من خيزُرانِ

وليس لفظ العصا مكروهًا بنفسهِ وانما الموقع جعلها كذلك وانظر ما الطفها في قولهِ

اذا جاء موسى والقى العصا		فقد بَطَلَ السحرُ والساحرُ

ومع ان بشارًا اظهر سلامة ذوقهِ في انتقاد بيت كثير نراهُ قد هجن اكثر منهُ في قولهِ

انما عظم سليمى حبتي قصب السكر لاعظم الجمل
واذا ادنيت منها بصلاً غلب المسكُ على ريح البصل

وهذا من عجيب التناقض انك كرهت البصل في بيت بشارًا ولست تكرههُ في بيت ابن الوردي

انما الورد من الشوك ولا ينبتُ النرجسُ الاَّ من بصل

ومن هذا الباب قول اسماء بنت عبد الله ترثي زوجها

ابكي عليكَ ياعروس الاعراس يا ثعلبًا في بيتهِ للايناس

انظر ما اقبح الثعلب للدلالة على الوداعة وهو احسن من الغزال اذا جاء في محلهِ اللائق بهِ كقول محمود سامي باشا يصف كلب الصيد

يكاد يفوق البرق شدًّا اذا انبرت لهُ بنت ماء او تعرَّض ثعلبُ

ومنهُ ايضًا قول ابن سناء الملك من قصيدة

صليني وهذا الحسن باقٍ فربما يُعزَّل بيت الحسن منهُ ويُكنَسُ

فكتب اليهِ القاضي الفاضل يقول "القصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها الاَّ ان بيت يعزَّل ويكنَس اردتُ ان اكنسهُ منها لان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها" وهذا نقد صحيح لان تصوُّر وضع المِكنَسة على الوجه الجميل قبيحٌ ومكروه . وقد عبَّر المتنبي عن هذا المعنى بالطف الكلام حيث قال

زوّدينا من حسن وجهك ما دا مَ فحسنُ الوجوه حالٌ تحولُ
وصلينا نصلكِ في هذه الدنيـــا فانَّ المُقام فيها قليلُ

وقد المَّ بهِ شكسبير شاعر الانكليز فهجن مثل هُجنة ابن سناء الملك فقال بلسان فنيس تخاطب ادونيس : انتهز الفرصة ولا تدعها تُفلِت . الحسن لا يجوز ان يضيَّع فالازهار التي لا تجمع في اوقاتها تَعفَنُ وتفني في زمن قليل" فهو يؤاخذ على ذكر العفن في هذا المقام

وممَّا يذكر في هذا الباب قول محمود سامي باشا

نلينُ وان كنا اشدَّاء للهوى ونغضب من شروى نقيرٍ فنشتدُّ

اذ انَّ تعليق الغضب على مقدار شروى نقير مخالف للرزانة والتعقُّل ومع ان هذا المعنى جليل نفيس نقد افسدتهُ اللفظة وانظر ما احلاهُ واجلَّهُ في قول الآخر

نبارز ابطال الوغى فنبيدهم ويقتلنا في السلم لحظ الكواعبِ
وليست سهام الحرب تفني نفوسنا ولكن سهامٌ فوّقت بالحواجبِ

واحلى منهُ قول الآخر

نحن قومٌ تُذيبنا الاعين النجـــلُ على اننـا نذيبُ الحديدا
وترانا لدى الكريهـة احرا رًا وفي السلم للحسان عبيدا

ومما يجمل ذكرهُ تحت هذا الفرع الخام اللفظة في مكانٍ لا يصلح لها ولا تصلح لهُ وذلك ان كثيرين من المتسلقين على حرفة الادب تعلق في اذهانهم بعض الالفاظ التي يسمعونها من المتضلعين ويحسبونها فصيحة وجديرة بالاستعمال فيحتالون عليها في كلامهم وينصبون لها الاشراك ليستنبطوا لها محلاً متقلقلاً في عباراتهم ويقحموها اليهِ ولو كانت ليست منهُ ولا هو منها . من ذلك ما جرى بمسمعٍ مني وهو ان واعظاً قرأ رسالة الحجاج الى المهلّب التي يختمها بقولهِ "والاَّ اشرعت اليكَ صدر الرمح" وجواب المهلب مختوماً بقولهُ "فان فعلتَ قلبت لك ظهر المجنّ" فاستحسن العبارتين وظن ان استعمالها في الصلاة يثبت لهُ طول الباع فوقف امام الجماعة مصليًا وقال بعد الحمد "اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا الكثيرة فاننا قد اشرعنا اليك صدر الرمح وقلبنا لك ظهر المجنّ فلا تعاملنا الاَّ برحمتك الخ" وهذا يشبه ما يحكى ان احدهم واسمهُ طنوس رأى خاتم رجل اسمهُ حسن منقوشاً عليهِ "ظني بالله حسن" فراقتهُ العبارة واحبَّ ان يقلدها فنقش على خاتمهِ "ظني بالله طنّوس". وتبوئة الالفاظ مراتب لا تليق بها كثير في ادبيات العرب ونجد منها العشرات والمئات في المنقول عن فحول الشعراء واكابر الكتّاب على رسوخ قدمهم في الانشاء وعلو كعبهم في الادب ووقوع مثل من ذكرنا في هذه المناقد يحقق لنا ان الكمال صفة الهيَّة لا قبَل للبشر بها

(ستأتي البقية) فارس الخوري

الانتحار الديني في روسيا

اذاعت الجرائد الاوربية منذ بضع سنوات ان في جنوبي روسيا شيعة دينية تفرض على اعضائها الانتحار . فتوجه الاستاذ سيجورسكي مدرس علم الامراض العقلية والعصبية في كلية كيف بروسيا لتحقيق ما شاع وذاع عنها وكتب على اثر ذلك كتاباً عنوانهُ "وبأ الموت الاختياري والانتحار في مزارع ترنوفا" نقتطف منهُ ما يأتي لما فيهِ من الفكاهة والغرابة ودواعي الضحك والبكاء . قال

موطن هذه الشيعة وادي نهر دنيستر الخصيب في مزارع تحفُّ بقرية ترنوفا التي تخص عائلة كوفالوف . وكانت هذه العائلة من المنشقين . ولها مزرعة فيها بناء اتخذهُ المنشقون ملجأً يلجأ اليهِ كلُّ من كان منهم مريضاً او على سفر او عاجزًا او مضطهدًا منذ نحو قرن . وظاهر

من هيئة بنائهِ ان سكانهُ طلبوا الاختفاء فيهِ خوفاً على انفسهم من الاضطهاد ففتحوا لهُ المداخل والمخارج الى جميع الجهات تسهيلاً للهرب عند احداق الخطر. وهم لا يخرجون منهُ الاَّ منفردين وخروجهم يكون ليلاً . وليس لهم ما يعملون سوى اقامة الصلوات وقراءة الكتب والتحدث بالاحاديث الدينية

وفي خريف سنة ١٨٩٦ اخذ منهم الهياج مأخذهُ لسبب غير معروف وكانت امرأة اسمها مادام كوفالوف رئيسة على المزرعة حينئذٍ وامرأة اخرى اسمها فتاليا رئيسة على البناء اما الاولى فكانت متقدمة في السنّ ساذجة محسنة . واما الثانية فكانت شديدة الهمة كثيرة الزهد . كانت تقرأ الكتب الدينية وتحدث هي وبعض اصحابها عن الاضطهاد والحروب والخدمة العسكرية الالزامية ونهاية العالم وممَّا كانت تقولهُ ان المنشقين سينفون او يسجنون . فتمَّ الاتفاق بين اعضاء هذه الجماعة انهم اذا سجنوا ينقطعون عن الاكل ويلوذون بالصيام حتى يموتوا جوعاً . ولكن خطر ببالهم امر اولادهم وزادت هواجسهم حينما اخذوا يفكرون في مصيرهم بعد موتهم واستولى عليهم القلق واليأس عندما جعلوا يفكرون ان الحكومة تكرههم على المعمودية في كنيستها

وبعد عيد الميلاد شاع ان الحكومة ستشرع في احصاء الاهالي وكتابة اسمائهم وجمع الشبان للخدمة العسكرية فقالت فيتاليا ان الحرب قريبة وان المسيح الدجال سيظهر وان الاكتتاب المذكور ختم الدجال نخيرٌ لهم ان يموتوا بالجوع الاختياري وينجوا من جميع هذه الاضطهادات والمخاوف . فاقترحت بنت عمرها ثلاث عشرة سنة ان يختار الدفن على غيرهِ من وسائل الموت وانما اقترحت ذلك بايعاز من فيتاليا وقالت انهم في السجن يعذبوننا ويقتلوننا نخيرٌ لنا ان نُدفَن احياء . فاستحسنت امها ذلك واستحسنتهُ ايضاً كنَّة ما دام كوفالوف وضمت طفلها الى صدرها وقالت اني لا استطيع تركهُ للهلاك بل افضّل انزالهُ معي الى القبر . الاَّ ان زوجها واسمهُ ثيودور كوفالوف خالف الجميع في هذا الرأي . وكانت فيتاليا تقول انهُ بقدر ما في المطر من القطرات كذلك في جهنم من العذاب لغير المؤمنين . اما المؤمنون فيقاسون العذاب يومين او ثلاثة في قبورهم ثم يدخلون السماء

وكان بعض اعضاء هذه الشيعة يخامرهم الريب في امر الانتحار . ولكنهم عدوا الموت الاختياري شيئاً آخر. فان تاريخ اسلافهم واجدادهم مملوءٌ باخبار الموت حرقاً وغرقاً ودفناً وكانوا احياناً يقدمون على الموت جماعات لينجوا من الاضطهاد واكراه الحكومة لهم على حفظ قوانينها واحكامها . فلما وقف رجال الاحصاء بباب مسكنهم دفعوا اليهم ورقة فيها ما يأتي

نحن مسيحيون ولا يؤذن لنا ان نقتبس بدعاً جديدة ولا نرضى بكتابة اسمائنا ومساكننا المرة بعد المرة

وليلة الثالث والعشرين من دسمبر أُقيمت الصلوات ولبس الذين يستعدون للدفن ثياب الموت المختصة بشيعتهم ودخلوا القبر وهم تسعة رجل عمره ٤٥ سنة وامرأته وعمرها ٤٠ وابنته وعمرها ١٣ وزوجة ثيودور كوفالف وعمرها ٢٢ وولدان لها عمر الواحد ٣ سنوات والآخر طفل رضيع . وامرأة عمرها ٣٥ وشيخ عمره ٧٠ . ثم تقدم الرجل المذكور اولاً ووقف بباب القبر من داخل ووقف ثيودور كوفالف ببابه من الخارج وسدّاه بالحجارة والتراب وهو قبو ضيق طوله ١٢ قدماً وعرضه كذلك وارتفاعه من وسطه خمس اقدام ونصف قدم . وكان مع المدفونين شموع وكتب دينيَّة وصور قديسين

وجرى الدفن الثاني ليلة ٢٧ دسمبر في حفرة تبعد ميلاً عن المدفن الاول . فحفرت حفرة اخرى في احدى زوايا الحفرة الكبيرة ودفن فيها ستة اشخاص بينهم ثلاثة اولاد عمر الواحد ٧ سنوات والثاني اربع والثالث اثنتان . واختلف رجل وامرأته في اللحاق بهم فاخذ ابنته وعمرها سنتان ودخل الحفرة بها ليدفنها معهُ

وفي الخامس من فبراير قبضت الحكومة على فيتاليا وستة اشخاص آخرين لانهم رفضوا الخضوع لقوانين الاحصاء والاكتتاب واودعتهم السجن فابوا ان يأكلوا او يشربوا قائلين ان دينهم يطلب منهم تحصيل عيشهم بعرق جبينهم . واستمروا كذلك اربعة ايام ولو لم تطلق الحكومة سراحهم لظلوا كذلك حتى ماتوا جوعاً

وليلة ١٢ فبراير جرى الدفن الثالث وكان المدفونون اربع نساء وقد توسلن الى ثيودور المذكور ان يحفر القبر لهن فاجابهن الى ما طلبن وانزل اختهُ الى القبر ايضاً لان ما المَّ بها من الضعف اثر السجن اضعفها عن النزول وحدها . ثم شرع يهيل التراب على اقدامهن اولاً ثم ابدانهن فرؤوسهن وجعل يدوسهُ بقدميهِ . وقال فيما بعد انهُ لم يسمع صراخ استغاثة منهن وهو يدفنهن

ولما تمَّ الدفن الثالث حزنت ما دام كوفالف على ما جرى وخامرتها الريب والشكوك وشعرت بجسامة عملها واما فيتاليا فشعرت انهُ يجب ان تموت هي ايضاً مجدة وكانت تهتم باقناع مادام كوفالف ان تموت معها وتخشى صور الموت واشكاله كلها ما عدا الموت جوعاً . فعينت يوم ٢١ فبراير لتدفن فيهِ ثم أُخر الدفن الى ٢٨ فبراير . فحفر ثيودور واخوهُ ديمتري مدفناً لها وللذين عزموا على الموت معها وهم مادام كوفالف وابنها ديمتري حافر القبر لنفسهِ والباحث عن

حنفهِ بظلفهِ وفيتاليا وصديقان حميان لها ثم سدَّ القبر فتمَّ الدفن الرابع وبلغ بهِ مجموع الذين دفنوا ٢٥ نفساً

ويظهر مما تقدم ان لثيودور كوفالف اليد الطولى في ما جرى فانهُ دفن امرأتهُ واولادهُ واختهُ وامهُ واخاهُ بيديهِ عملاً بامر فيتاليا وكانت قد اوصتهُ قبل دفنها ان لا ياكل ولا يشرب بل ينتظر انقضاء العالم بعد يوم او يومين فعمل بالوصية اربعة ايام ولكنهُ لما رأى انهُ لم تقم حرب ولا جاءهُ احد ليقتادهُ الى السجن ولا انقضى العالم خالف الوصية وأكل

ولما انتشر خبر ما جرى وسئل عنهُ قال انهم لم يكونوا يظنون انهم يخطئون في طاعة فيتاليا لانها كانت تصوم وتصلي وتقرأ الكتب الدينية وسأل قائلاً لم يهدنا احد الى طريق الحق والصواب

فيرى القارئ من حكاية هذه الشيعة ان الانتحار ليس من مبادئها الدينية كما شاع وان العلاقة الدينية بهِ ضعيفة . بل ان عملها هذا تقليدي سببهُ معيشتها في العزلة والانفراد والجهل المطبق فنشأ اعضاؤُها كثيري المخاوف والاوهام فقادهم جهلهم الى اتباع طرق غريبة لمقاومة الاعداء والاخطار الوهمية وهذا كلهُ يقود الى التعصب الديني في افظع حالاتهِ . واذا انقاد رجل بضعف ارادتهِ وتسليمهِ الاعمى ليكون آلة صماء في ايدي الذين بلغ بهم تعصبهم درجة الجنون فلا عجب اذا فعل ما هو اغرب من ذلك

عروسة النيل

الفصل الثاني والعشرون

لم تكن توبة كاترينا خالصة فإنَّ الغيرة اعمت بصيرتها وحرقت فؤَادها فاصبحت يتنازعها عاملا الحب والكره ويعبثان بها فتارةً تحن الى لقاء باولين وتارة تصدُّ عنها وراجعت ما دار بينهما من الحديث في البستان فعدَّت سكوت باولين حينئذٍ واجوبتها الموجزة دليلاً على توثيق عرى الوداد والحب بينها وبين اوريون فارادت تحقق الامر بنفسها بحيث لا يبقى ثمت مجال للريب

وكان لها منذ الطفولية حليف في جميع اعمالها وصديق تعتمدهُ في قضاء مهماتها وهو انوبيس اخوها في الرضاع وابن مرضعها وكان هذا الفتى نشيطاً مجتهدًا فاقام مع والدتهِ في بيت سوسنة الارملة حتى شبَّ فدبَّرت لهُ هذه عملاً في ادارة خزينة المقوقس وكان شغفاً بتربية حمام الزاجل يستخدمهُ في نقل الرسائل فاذنوا لهُ ان يقيم برجاً للحمام على سطح الخزينة وكانت ماري وكاترينا تتكاتبان والحمام ينقل مكاتيبهما فلما مرضت الاولى انقطعت المكاتبة بينهما *

وفي صباح احد الايام بعث انوبيس ينبئها بانهم سيدفعون الى باولين ما لها وان اوريون سيذهب بنفسهِ اليها لهذا الغرض فرأَت ان تنتهز الفرصة للوقوف على ما يدور بينهما علَّها تستدل بهِ على حقيقة امرها واقرَّت على خطة معينة واتخذت التدابير لمعرفة ساعة ذهابهِ اليها وفي الصباح التالي جاء خادمها برقعة نقلها الحمام فاذا بها من انوبيس يخبرها بقرب خروج اوريون في مهمتهِ

فشقَّ على كاترينا ان يكون ذهابهُ في تلك الساعة لأن بنيامين بطريرك الاسكندرية جاء الى الفسطاط وعزم على زيارة منف ذلك النهار وكانت والدتها قد دعتهُ الى الغداء في بيتها تبركًا فقبل الدعوة وانهمك اهل البيت في اعداد الوليمة وتنميق المنزل وزينتهِ احتفاء بالزائر الكريم امَّا كاترينا فامرتها امها بتردي افخر حلاها وبملازمة غرفتها الى ساعة وصول البطريرك فتنزل لاستقبالهِ حاملة باقة من الازهار فاسرعت الى غرفتها وقالت في نفسها "من الآن للظهر ساعتان فاذا جاء اوريون الى بيت روفينس ولبث هناك نصف ساعة تمكنت من رؤْيتهِ واستطلاع امرها وعدت فارتديت ثيابي وقابلت البطريرك" فاحتذت حذاء مطرَّزًا وامرت خادمتيها بانتظارها الى ان تعود ثم غادرتهما وذهبت الى مرتفع في البستان يشرف على بيت روفينس ولم يطل بها المقام حتى ابصرت اوريون قادمًا في مركبة امهِ فوقفت المركبة امام مدخل البيت فترجل وتبعهُ خازنهُ ثم رأَت العبيد يخرجون من المركبة اكياسًا كثيرة ثقيلة وكان اوريون وحدهُ قبلة ناظرها فلم تكترث للباقين ولم تحفل باكياس الذهب وبدا لها ابن المقوقس في ثوب الحداد كاجمل ما رأتهُ ولما خطر ببالها ان هذا الفتى الجميل احبها وقبَّلها وكاد يكون زوجها حتى سلبتها اياهُ أُخرى ملأ الوجد فؤَادها واشتدَّ بها الحنين اليهِ وغلت البغضاء في صدرها فجلست تتأملهُ حتى غاب في البيت وقد فتن جمالهُ لبها واطار الجوى صوابها فهمَّت بلحاقهِ لتطرح نفسها بينهُ وبين باولين وتفصلهما فلا يلتقيان

واشتدَّ الهجير فقصفت ورقة كبيرة ووضعتها على رأسها اتقاء الحرّ ولم تأْتِ بمظلةٍ لئلاَّ يعلَم مكانها ولما طال بها المقام وخشيت ان يأتي البطريرك فيفاجئها على غير استعداد هرعت الى غرفتها وامرت خادمتيها بالاسراع في البامسها ثم طلبت الى احداها ان تعدَّ باقة من الورود فتضعها في الغرفة الى ساعة يأتي البطريرك وعادت الى مكمنها وفي يدها بعض حلاها لتلبسها هناك ولم تكد تصل الى المرتفع حتى رأَت نيلس خارجًا من البيت وامامهُ العبيد يحملون الاكياس فيضعونها في المركبة فقالت في نفسها فهمت الآن فقد ردَّت اموالها اليهِ وكلفتهُ العناية بها وعادت المياه الى مجاريها ثم صرفت باسنانها ووقفت ترقب ما يتلو فنظرت احد خدم قصر الوالي

يقود جواد اوريون الادهم فوقف بهِ امام المنزل وحينئذٍ خرجت باولين الى البستان وتبعها اوريون وقد صبغ الدم وجههُ وبدا الفرح في عينيهِ وهو ينظر الى باولين نظرة المشوق المفتون فودَّت كاترينا لو انها افعى فتلسعهما وتمحق سعادتهما وسرورهما . وتماشى الاثنان في البستان حتى صارا على مقربة منها فاكبَّت تسترق السمع وتصغي الى ما يدور بينهما من الكلام فسمعت اوريون يقول

— غمرتني بفضلكِ حتى اراني استحي ان اطلب منكِ معروفاً آخر ولكنك تعلمين ثقل الضربة التي اصابتني بفضل ماري وتعرفين ان ما حدا بها الى عملها هذا انما كان حسن طويتها وصفاء نيتها وشدة ميلها اليكِ

— وتريد ان اعنى بها الآن فعلى الرحب والسعة بشرط ان تأتي بها الى هذا البيت فاني لن ادخل بيتكم ابداً

— ولكن مرضها يحول دون نقلها وقد اهملتها امي اهمالاً اثَّر في اعماق قلبها

— وكيف تستطيع امك ان تسيء الى حبيبتها

— لا اراكِ تجهلين شدة حبها لابي فقد هدَّ موتهُ ركنها ومحق سعادتها فلا تقع عينها على ماري الاَّ ويخطر ببالها ذلك المنظر الرهيب الذي تجلَّى امامها قبل وفاتهِ فترى في البنت التعيسة علَّة شقاء البيت .

— اذًا ارسلها اليَّ فستلقى من عناية اهل هذا البيت بها ما يشفيها

— شكرًا لكِ وساطلب الى امي لتأذن لنا في ذلك فماري وحيدة الآن بعد ان حظرت سوسنة على ابنتها زيارتنا ثم دار الحديث على كاترينا وماري فقالت باولين ومن الغريب ان كاترينا على صغر سنها وخفة روحها قد تبدلت في هذين اليومين فصارت رضية الخلق كريمة العواطف وعندي ان ما اصابها القى حملاً ثقيلاً على عاتقها

— ولكن حزنها لا يطول فهي بالفطرة مملوءة نشاطاً وخفة ويلوح لي ان اكبر اوزاري في ذلك اليوم المشوم ظهوري امامها بمظهر المحب العاشق ولا ارى لي عذرًا يبرئني من هذا الذنب سوى انني فعلت ما فعلت اكرامًا لامي وحسبي ما قلت في هذا الشان وما اصابني من جرائهِ امَّا اليوم فساجري في سبيل الحياة حثيثًا والى يميني المرأة التي تحبني والتي ستكون زوجتي ولما قال ذلك دارا في جهة اخرى وابتعدا عن كاترينا امَّا هذه فعلمت من حديثهما ما ارادت الوقوف عليهِ وادركت ان ما تخشاهُ وقع وان اوريون لا يعبأ بها فاخذت ترتجف واحست بثقل في قلبها وغلت في صدرها الغيرة والغيظ فتمنت الموت ثم عزمت على العودة الى البيت فاذا بالحبيبين عائدان فتربعت مكانها لعلها تسمع بعض حديثهما

الفصل الثالث والعشرون

كانت الغاية من مجيء اوريون ونيلس الى بيت روفينس البحث عن الخطة المثلى للتصرف باموال باولين فبعد ان عقدت الجلسة واقروا على خطة انصرف الخازن بالمال وانفرد اوريون بنسيبتهِ وفي فؤاد كلٍ منهما ما فيهِ من الوجد والهيام ولما صارا وحدهما خرَّ اوريون على ركبتيهِ وطلب مغفرتها فذكَّرتهُ بكتابهِ وبوعدهِ الذي وعد لكن قلبها ابى ان يطيعها وتحركت عوامل الحب في صدرها واذ ارادت كتم ما بها لجأَت الى الحديث فسألتهُ عما يعني بردّ الوديعة الثمينة التي اشار اليها في عرض رسالتهِ فنهض وابرز من جيبهِ حقًّا صغيرًا وفتحهُ واخرج منهُ زمردة ثم ناولها اياها وقال

— هذه زمردتكِ تخذيها وهبيني صفحكِ وثقتكِ بي عوضًا منها . فلما رأَت الزمردة اجفلت وبدت الدهشة والسرور في وجهها وانبعث الفرح من عينيها وظلت كذلك بضع دقائق ثم تناولت الزمردة وقالت

— ان الزمردة في يدي الآن فاحذر ايها الغبيّ

— لا مكان للحذر فهذه ليست هبة مني ولكنها زمردتكِ اعدتها اليكِ وقد صدقتِ فيما قلتهِ فاني والزمردة في يديك تخذيها واحفظيها الى يوم تصير مصلحتنا واحدة

— لمصلحتك المقام الاول عندي حفظًا لولاء ابيكِ فقد جلبت عليك لعنةً وصار من واجباتي اسعافك علي التملص من ثقل تلك اللعنة فاذا اصغيت الى نصيحتي فقد استطيع ان افعل ذلك

— بربك قولي ما تشائين

— فقالت الى البستان فهواء هذه الغرفة يكاد يخنقني . ثم مشت فتبعها وهي تعيد على مسمعهِ ما قالهُ فيلبس ثم قالت ان الحياة عمل وواجب يجب ان نقوم بها . فقال انها لكذلك وسأَتخذ هذا القول شعارًا لي بعد ان فهت بهِ . ان الحكَم والامثال لا تجعل المرء حكيمًا وقد تلقينا شيئًا كثيرًا منها في المدارس ولكن لا فائدة منها اذا لم نقترن بعزم شديد وسعي اكيد توصلاً الى الغاية منها اما انا فعزمي سيبلغ بي الى الغرض المطلوب فاني ارى كوكبًا لامعًا يقودني اليها

— حبكَ هو الكوكب وساثق بهِ

— اتثقين .... اتبعثين بي بعض الامل

— نعم وسارى فيكَ انت عدوي ومضطهدي خير الاصدقاء واعزهم الى قلبي

ثم عاودا المشي فاخبرها انهُ ذاهب في الغد الى الفسطاط ليلقى عمرًا واخذ يشرح لها الخطة

التي رسمها لنفسهِ ووصف ما ينوي فعلهُ من بذل قواهُ في خير بلادهِ سواء كان في خدمة الخليفة او منقطعًا الى اعمالهِ وشؤونهِ الخاصة . وسألتهُ باولين عما صار اليهِ امر الزمردة التي انتزعها من القطيف فحاول ان يخفي الحقيقة عنها ولكنهُ لم يلبث ان افاق من ذهولهِ فصاح

— لقد كذبتُ في ما قلتهُ فاني ارسلت ذلك الحجر الكريم الى القسطنطينية لاصوغهُ حليةً لفتاة اخرى كنت اميل اليها على انني لم افقه معنى الحب حتى رأيتكِ

— فقالت ليمحَ ذكر ذلك اليوم المشوم من اذهاننا ولما قالت هذا ودعها وانصرف

اما كاترينا فتربصت مكانها حتى خرج وحينئذٍ سمعت من يدعوها باسمها فنهضت ورمت باولين بنظرة كالسهم فلما صارت الى البيت وبختها امها على غيابها وعدم استعدادها لمقابلة البطريرك فبكت من القهر ثم قالت لا استطيع مقابلتهُ فاني اكاد اموت من وجع الراس وسألزم غرفتي لعلي استريح

الفصل الرابع والعشرون

وبعد ظهر الغد امتطى اوريون خير جيادهِ وعبر الكبري « الجسر » الى الفسطاط يطلب لقاء عمروٍ فسار على مهلٍ وهو يعجب لما طرأ على تلك البقاع من التبديل والتغيير فبعد ان كانت حقولاً ومزارع اصبحت مدينة كبيرة فيها البيوت والجوامع والمخازن وجميعها على الزي العربي كانما هي جزء من بلاد العرب نقلوهُ الى مصر فسار في الشوارع الغاصة بالباعة والتجار والعمال حتى وصل الى بيت عمرو فقيل لهُ ان القائد خرج الى الصيد وانهُ سيستقبلهُ في الحصن وكان هذا الحصن قائمًا على هضبة يشرف على الفسطاط والنيل والسهل فصعد اليهِ وسأل عن عمرو فانبأوهُ بانهُ لا يعود قبل العتمة ثم دعاهُ البواب الى الجلوس في رواق مفروش بالرخام فاستاء لهذه المعاملة ورأى فيها حطة من قدرهِ بعد ان كان القوم يحتفون بهِ كالامراء فشق عليهِ ان يكون كعامة الناس وكاد يكشف امرهُ للبواب لكنهُ احجم وجلس في مكانهِ واخذ يتأمل ما امامهُ من المناظر فاكبر خصب البلاد وجودة تربتها واخذ يردد في خاطرهِ ما قالهُ شاعر اليونان في النيل وما تمناهُ قيصر من اكتشاف منابع ذلك النهر العظيم مصدر حياة مصر التي كانت تحسب اهراء رومية والقسطنطينية ايام عزها وسؤددها . وطفق ينظر في الوسائل التي تمكنهُ من اعادة البلاد الى سابق مجدها وعظمتها وترد لاهلها السلطة التي خسروها والاستقلال الذي لا بدَّ منهُ للنمو والتقدم وبينما هو غارق في افكارهِ سمع وقع اقدام ورأى الغلمان يحملون المصابيح وهم يدنون اليهِ فظن انهم اتوا يدعونهُ الى سيدهم لكنهُ لم يلبث ان رأى عمرًا وراءهم وقد جاء ليرحب بضيفهِ الكريم وبعد ان حياهُ اعتذر اليهِ عن ابطائهِ في

العودة وشدد النكير على الخدم لانهُ لم يفتحوا لهُ احدى المقاصير ثم اخذ يحدث اوريون عما اصاب في يومهِ من الصيد وقال جرحتُ اسدًا فلم اقتلهُ وقد فرَّ في الادغال فلم نعثر بهِ على اني سأطلبهُ حتى اجدهُ وكان كلامهُ باليونانية تعلمها ايام كان شيخًا للقوافل العربية التي كانت تأتي الى الاسكندرية . ثم دعاهُ الى البيت وهو يبالغ في اكرامهِ والترحيب بهِ حتى بلغا الغرفة فالفيا السماط ممدودًا فدعا عمرو اوريون للاكل وجلس الاثنان ومعهما عبادة وكيل عمرو وهو جبار اسود فقال عمرو هذا عبادة وكيلي ولما كان لا يعرف اليونانية فسأترجم بينكما . ومن خبر عبادة هذا انهُ ولد عبدًا فاتصل بهمتهِ وشجاعتهِ ودهائهِ الى مقامهِ الرفيع . فاخذ اوريون يتأملهُ وقد اعترتهُ الدهشة اما هو فكان مطرق الراس الاَّ اذا اراد الكلام فيخاطب عمرًا و يحدج اوريون بنظرات ملؤُها الكراهة

وبالغ عمرو في ملاطفة ضيفهِ فسألهُ عن مقامهِ في القسطنطينية وعمَّا حدث لهُ فيها فاندفع اوريون يشرح لهُ ذلك بالتفصيل فالتفت عبادة الى عمرو وقال

— عجبت لك تأذن لهذا الثرثارة ان يقلقنا باحاديثهِ الفارغة ولا تفاتحهُ بشأن ما دعوتهُ لاجلهِ

فاجابهُ عمرو اخطأت فالمرءُ يكون على احسن ما هو عليهِ اذا انفسح لهُ مجال الكلام وكان امامهُ من يصغي الى حديثهِ ولحديث هذا الفتى طلاوة وفائدة ثم دار الى اوريون وقال

— اتاني البطريرك اليوم فرأيت منهُ كرهًا لابيك فما سبب هذا العداء . فشرع اوريون يحدثهُ بالاسباب التي دفعت البطريرك الى المجاهرة بتلك البغضاء وقال ان بنيامين يريد ان يتبرأ في عيون النصرانية من تهمة تسليمهِ بلاد نصرانيَّة الى العرب المسلمين فلم يرَ خيرًا من الصاق التهمة بابي

فاجاب عمرو . فهمت ما تقول وعاد اوريون فاخبرهُ ان كيل العدوان طفح يوم اراد البطريرك ان يضع يدهُ على دير الراهبات ويوقع بهنَّ طمعًا بمقتنياتهِ مستندًا الى تأويل بعض العبارات الواردة في صكوك الدير مع ان العبارات المذكورة في غاية من الجلاء والوضوح فاعترضهُ ابي وكفَّ اذاهُ عن الدير . وحينئذٍ تبادل عمرو وعبادة النظرات وقال الاول

— وانت افتريد ان تستسلم للبطريرك وتنسى الاهانة التي اهانك بها بعد وفاة ابيك

— كلا

— وانَّى تستطيع ردَّ كيدهِ في نحرهِ وانت نصراني وفي يدهِ سعادة روحك وشقاؤُها فاطرق اوريون وقال ذلك ما اجهلهُ فمدَّ عمرو يدهُ وقبض على ذراعهِ وقال

— ولا اراك مدركه وهبك احرزت الوسائط المطلوبة فلا قِبَل لك بالانتفاع بها واعلم ان ايذاء المرأة والطير الحالقة في الجوّ لاسهل من ايذاء رجال الدين فاحذر واذا شئت ان تثأر اباك دللتك على وسيلة تبلغك امنيتك على اسهل سبيل . فصاح اوريون

— وما هي

— فقال عمرو كن واحداً منا

— فقال اوريون ولكنني منكم وهذا ما جئت لاجلهِ فسيفي ومالي رهن اشارة حكام بلادي اعني بهم انت ومولاي الخليفة

فقال عمرو احسنت فلا اله الاّ الله فالهكم الهنا وليس من يستطيع ان ينكر ان نبينا صلى الله عليهِ وسلّم جاء بالهدى ودين الحق وكان خاتمة النبيين الاّ الذين ختم الله على قلوبهم فقد اعترف ابوك . . . .

— ابي

— اعترف باننا اكثر غيرةً وحميةً واشدّ ايماناً وايقاناً بديننا من قومهِ فاذا اسلمت فلن يستطيع البطريرك مسّك بسوء على الارض ولا نزع سعادتك ونعيم ابيك في الجنة فهاتِ يدك.

امّا اوريون فشخصت عيناهُ واعتراهُ ذهول فقال

— ايها القائد العظيم ليس هذا مغزى كلامي فاشرف الاعمال عندي واعظمها قدراً في عينيّ خدمة الخليفة ولكني لا استطيع جحد ايماني

— اذاً فسيدوسك البطريرك. قال هذا والتفت الى عبادة واخذ يكلمهُ بالعربية فقال اوريون

— بربك يا مولاي اصغَ الى ما اقولهُ . ان اسلامي يعود عليّ بفوائد جمّة على ان الثبات في الدين الذي ستطالبني بهِ يوم اعتنق الاسلام يمنعني عن ترك دين اسلافي

— حتى يجبرك الكهنة على تركهِ

فقال اوريون من يجبرني نعم ان البطريرك عدوي الالدّ لكني فقدت ابي واؤمن بلقائهِ في الآخرة

فقال عمرو وانا اعتقد بالخلود ايضاً فان في الآخرة جنة واحدة وجحيماً واحداً كما ان في الكون الهاً واحداً فقط

وكان عبادة اثناء الحديث يهزأ باوريون حتى اثار ثائر غيظهِ فدار عمرو اليهِ ووبخهُ على سخريتهِ فنشأ بينهما جدال طويل ورأى اوريون ان يكتم ما بهِ لحرج الموقف واحسّ عمرو بما كان يخالج فؤادهُ فالتفت اليهِ وقال

— ان عبادة حكيم وقد اثار كلامهُ في بعض الشبهة فان نصرانيًا في مقامك وسنك لا يأبى المجد والسعادة في الدنيا طمعًا بسعادة موهومة في جنتهِ في الآخرة فاذا ابى واطَّرح المجد والغنى ونزع من قلبهِ حبَّ النزوع الى العلاء واخذ الثأر فلا بدَّ من سبب وراء الاكمة فهدئ روعك وثق انني اهتم بك واحميك من كل ضرّ اذا اعربت عما يخامرك وبحت بعلّة ابائك وايقن ان سرَّك سيبقى مدفونًا في صدري فلا يذاع فانا اكبر منك سنًّا واكثر منك خبرة باحوال هذا الدهر وقد كنت صديقًا لابيك من قبلك

فقال اوريون لا افوه بكلمة امام هذا الرجل فقد سمعتك تقول انهُ لا يفهم اليونانية ولكني رأيتهُ يتلقف كل لفظةٍ انطق بها وقد حملتهُ جرأتهُ على الهزء بي

فقال عمرو انهُ وكيلي وهو بطل باسل امين فاذا صرت منا صارت طاعتهُ واجبة عليك واعلم يا فتى انني دعوتك لالقي عليك شروطًا لا لاتلقاها منك وقد اذنت لك في الدخول الى هنا فلا تنسَ اني نائب الخليفة مولاك ومولاي

فقال اوريون . اذًا فائذن لي في الانصراف فان قلبي وشفتيَّ مختوم عليهما في حضرة هذا الرجل وقلبي يحدثني بانهُ عدوي

فقال عمرو . احذر ان يصير كذلك . فحيَّا اوريون يريد الانصراف ولم يخفَ على عمرو ما فعل عبادة واحسَّ بما يدور في خلد الفتى فانقلب من الشدة الى اللين والحَّ عليهِ في البقاء وقضاء الليل في منزلهِ فشكرهُ واستأذن في الانصراف وخرج فتبعهُ عمرو حتى اذا صارا بحيث لا يسمعهما عبادة قبض على يد اوريون وقال

— احذر هذا الرجل فلم يفتني انك سبرت غورهُ وعجمت عودهُ فابديتَ شجاعة وطيشًا امَّا انا فاتمنى لك الخير

— اني موقن بذلك واما الآن وقد صرنا وحدنا فاعلم يا مولاي ان ابي قبل ان اسلم الروح غضب عليَّ وابى ان يمنحني بركتهُ الابوية . قال هذا وشرق بريقهِ ثم استطرد الكلام فقال وقد فعل ذلك لذنب اقترفتهُ دفعني الى ارتكابهِ نزق الشبيبة فلما مات فكَّرت في حياتي فالفيتها لا فائدة منها فجئت اليك على امل ان ينفتح امامي باب يوصلني الى الاعمال العظيمة التي اتمنى ان اقوم بها . فقاطعهُ عمرو وقال

— ستجد مني عونًا لك على نيل بغيتك وقد ذكَّرتني طلعتك يا فتىَ بابن لي ضلَّ وكفَّر عن ضلالهِ بسفك دمهِ فمات شهيدًا في ساحة الوغى فعُد الآن الى بيتك وسالقاك بعدها انما احذر هذا الرجل فهو ناقم منك واذا لقيتهُ فاخفض من كبريائك . فودعهُ اوريون بعد ان شكرهُ

وانصرف في سبيلهِ وعاد عمرو الى مخدعهِ ورفع الستارة فاذا عبادة وراءها على قيد بضع اذرع فتميز غيظاً وقال

— اتسترق السمع فيالك من رجل عجيب بطل شديد البأس في الوغى وحكيم داهية في المشورة واسد حردان في جسم انسان فاذكر مقامك وما صرت اليهِ ولا تعد فترتكب من الافعال المغايرة ما يذكرني باصلك الوضيع الذي رفعتك منهُ فقد اسأت الى ذاك الفتى

— اهذا جزاء الخدمة الصادقة وهذا ما يقولهُ المسلم لاخيهِ لاجل كافر

— لقد نلت اضعاف ما تستحق جزاء خدمتك وقد اتخذتك وكيلاً لي لدهائك وشدة بأسك ولم افعل ذلك الاَّ تأييداً لصولة الاسلام وعلام تكره هذا الفتى ولم يمسك بسوءٍ فانت ترى فيهِ مقوقساً آخر وتأبى الاَّ ان تكون ذلك المقوقس

— وهل عليَّ في ذلك من حرج فانا بعدك احكم القوم واعقلهم واشدهم نجدة

— صحيح ما قلت ولكن عمل المقوقس لا يتولاهُ سوى مصري قبطي فالفطنة تقضي بذلك وهو امر الخليفة

— وهل امر الخليفة ان تظل اموال هذا الفتى الطائلة في يدهِ

— لقد عرفت سرَّك الآن فقد راقك ما عند المقوقس من المال وما لهُ من العقارات والمقتنيات والعبيد والاماء والخيل الصوص نحن يا عبادة أوَليس من الحرام ان نشتهي ما لغيرنا

— فمن استخرج الكنوز المخبأة تحت فسقيَّة بطرس القبطي وقتلهُ

— انا — على اني فعلت ذلك لا بعث المال الى المدينة وكان بطرس قد خبأها قبل ان قتلناهُ اما المقوقس وابنهُ فاعترفا بجميع ما عندهما الى آخر دينار ودفعا الجزية عنهُ تماماً فمقتنياتهما لهما لا ينازعهما فيها منازع ولن تفوز بدرهم منها فدع ابن المقوقس وشأنهُ ولا تحرجني وانصرف الآن وهيئ ما ترتأيهِ في قسمة العقارات فتشرحهُ غداً في المجلس فاذا استحسنتهُ عملتُ بهِ . ولما قال ذلك انصرف وبقي عبادة وحدهُ يحرق الارَّم حتى دخل العبيد فرفعوا فضلات الطعام

الفصل الخامس والعشرون

خرج اوريون من الفسطاط وهو يثني على عمرو بن العاص وينظر بينهُ وبين امراء الروم فاكبر ما بين الفريقين من الفروق التي كانت علة انتصار المسلمين على حكام مصر وتمثل لهُ عمرو بكرم اخلاقهِ وحدة ذهنهِ وانفتهِ وشهامتهِ كتمثال من تماثيل اليونان الجميلة . وبدا امراء الروم لعينيهِ كتماثيل اقزام مشوهة وضعوها الى جانب ذاك فظهر الطباق بينها على اتمهِ

وكان الليل مقمراً والنسيم بليلاً والنهر كصدرة من زرد الفضة فشرح ذلك المنظر صدرهُ

وعاودتهُ احلامهُ وتمنى لو ينفسح لهُ مجال العمل-فيبدي همتهُ وعزمهُ ويظهر للملإ قاطبة ما بين جنبيهِ من الاخلاق الطيبة والصفات الحسنة وكأن فرحهُ اطار النوم من عينيهِ فثنى رأس جوادهِ الى بيت روفينس ولما دنا منهُ رأى نورًا في احدى غرف الطبقة العليا ولم يكن يعلم مكان غرفة باولين من البيت فوقف ينظر الى النافذة المفتوحة فابصر امرأة فتعرفها فاذا بها المرضع اطلَّت بعد ان سمعت وقع الحوافر لعلها تعرف من القادم وبينما اوريون واقف ابصر رجلاً في الغرفة فاستغرب ذلك وحدق بباصرتيهِ الى الرجل فاذا هو فيلبس فخشي ان تكون باولين مريضة وان الطبيب والمرضع معها يداويانها على انهُ لم يلبث ان رأى باولين نفسها تدنو من الطبيب وقد مدَّت ذراعيها اليهِ فوقع اوريون في حيرة شديدة وتنازعهُ القلق والغيرة فقد كان يعلم ان الطبيب صديق حميم لحبيبتهِ لكنهُ خشي ان الصداقة تحولت حبًّا واخذ يعيد لنفسهِ بعض ما شاهدهُ من امارات الحب في فيلبس فشقَّ عليهِ ان يخسر باولين واخذ يعلل نفسهُ بان وجود فيلبس معها في تلك الساعة يمكن تأويلهُ لكن الغيرة ملأَت فؤَادهُ وسدَّى حاول نزعها فلم يستطع ذلك فلكز جوادهُ لكزة عنيفة فطار بهِ حتى كاد يسقط عن ظهرهِ وبعد ساعةٍ عاد نحو بيتهِ فالفى السائس بانتظارهِ فدفع اليهِ زمام الجواد وترجل فمشى على مهلٍ وفيما هو كذلك ابصر فيلبس عائدًا من بيت روفينس وهو يتنهَّد من كبد حرَّى فجاوز اوريون كانهُ لم يرَهُ ثم دخل الى احد البيوت المجاورة وعقب دخولهُ نوح وعويل في البيت فعلم اوريون ان عليلاً فيهِ مات وعاد فيلبس فخرج من البيت وسار يتعثَّر كالنشوان الى بيتهِ وهو قصر قديم كانت فيهِ نظارة ماليَّة مصر فلمَّا دوخ العرب البلاد نقلوا المالية الى الفسطاط والحقوا اعمال منف الماليَّة بادارة خزينة المقوقس ففرغ القصر ورأى مجلس منف ان ينتفع بريعهِ فاجروهُ وكان في من استأجرهُ فيلبس ومربيهِ ابولون الشيخ فلما دخل فيلبس تلك الليلة وجد ابولون امام مائدةٍ عليها كثير من الرقاع والطروس والدفاتر وهو ينظر فيها فجاءهُ وجلس صامتًا فالتفت اليهِ ابولون فقرأ في وجههِ ما دلهُ على اضطرابهِ وحزنهِ فعاود العمل كانهُ لم يحفل بما رآهُ

ومن خبر هذا الشيخ انهُ وُلد في جزيرة انس الوجود بجوار هيكل ايسس الفخيم حيث ظلَّت عبادة الاصنام شائعة الى ما بعد مولدهِ رغمًا عن اوامر الامبراطرة القاضية بمنعها وطالما سيَّروا الجيوش لقتال الوثنيين هناك فلم تثبت جنودهم امام قبائل البدو التي كانت تدين بعبادة ايسس منتشرةً بين النيل والبحر الاحمر وكان والد ابولون هذا من كهنة ذلك الهيكل فشبَّ الفتى على دين آبائهِ حتى دهمتهم حملة من جيش الروم فاصابت منهم وشتتت شملهم ومزقتهم كل ممزق وغنمت الهيكل واحتلت الجزيرة فلم ينجُ سوى بعض الكهنة وبينهم اهل بيت ابولون ففرَّ هؤلاء

الى انطاكية ولم يطل مقامهم فيها حتى اوغر مطرانها صدر الوالي عليهم فارسل اليهم الجند فاعتقلهم الاَّ ابولون واباهُ فانهما فرّا وحملا معهما كنوز ايسس فاتيا الاسكندرية وظلاَّ فيها حتى توفي الاب فانتقل ابولون الى منف واقام فيها يقضي اوقاتهُ في الدرس والتنقيب محافظاً على شعائر دينهِ فاذا اراد التخلي عن عزلتهِ اجتمع بالمنجمين والعرَّافين والكيماويين الذين كانوا يشتغلون في تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب ولم يلبث هؤلاء جميعاً ان اكتشفوا منزلتهُ في العلم ومبلغ معرفتهِ وحكمتهِ فذاع خبرهُ بينهم وانتشر صيتهُ في مصر حتى بلغ العرب في الفسطاط فلما اراد عمرو بن العاص تعيين القبلة كلفهُ ذلك فصدع بامرهِ وعين القبلة واعتمدها المسلمون

واعتراهُ مرض فاتوا اليهِ بفيلبس وكان هذا لا يزال حديث السنّ قريب الشهرة فافرغ جهدهُ في علاجهِ ومداواتهِ حتى برئ واعجب ابولون بسعة معارفهِ وحذقهِ وفطنتهِ فعطف عليهِ وتعلَّق بهِ وكأَنَّ كنز المحبة الذي كان مقفلاً عليهِ في فؤادهِ انفتح وافرغ ما فيهِ على فيلبس فاطلعهُ على ماضي سيرتهِ وخلاصة معتقدهِ وعينهُ وريثاً لاموالهِ مشترطاً عليهِ ان يقيم معهُ الى يوم وفاتهِ فرضي الطبيب وسكن الاثنان في بيت واحد وكان الشيخ اذ ذاك يشتغل في وضع كتاب في اللغة الهيروغليفية فطلب من فيلبس ان يشاركهُ في تأليفهِ لقلة علمهِ باليونانية ولسعة اطلاع هذا فاشتركا في المعيشة والمسكن والعمل على اختلاف مشربيهما وتفاوت سنيهما فقد كان ابولون يناهز السبعين وقد صلع رأسهُ وتغضن جبينهُ واحدودب ظهرهُ الاَّ ان عينيهِ لم تزالا ينبعث منهما الذكاء والحدَّة والانفة وظلَّ محافظاً على عقائدهِ وطقوس مذهبهِ يقيم الصلوات في اوقاتها ويكثر من الاغتسال ولا يلبس سوى الكتَّان الابيض ولا يأكل من اللحوم سوى لحم الطير والبقول وكان شديد الكره لليونان وللاعيان لزعمهِ ان ما قاساهُ من الاضطهاد وما ذاقهُ واهلهُ من الجور كان علتهُ هؤلاء

وكان فيلبس لا يكتم عنهُ امراً ولو فعل لانتزع سرهُ منهُ بفطنتهِ ودهائهِ فلما لقي باولين وتيمهُ حبها اخذ يصفها ويطنب في مدحها ويتغنى بصفاتها الى ان وقعت النفرة بينها وبين ابن المقوقس وقام فيلبس على العناية بها فاطلعهُ على ما جرى ولحظ الشيخ ما كان يخامرهُ من الميل الى التزوج بها فقال

— تدبَّر ما تقول وما تفعل فان هؤلاء الشرفاء لمن اقسى الناس قلباً وابعدهم عن الرحمة والمعروف واولادهم مثلهم فهم ينظرون الينا لا كاقران بل كمن هم ادنى منهم مقاماً وجبلة فافقه كلامي ان ابنة توما هذه تبش اليوم في وجهك لحاجتها اليك فاذا ما انقضى اليوم وجاء الغد طرحتك كما اطرح جلد الببر من تحت قدمي يوم ينقضي الشتاء وتبدو طلائع الربيع اما قولك

ان النفور مستحكم بينها وبين ابن المقوقس فذاك سحابة صيف فلا يلبثان ان يصطلحا واعلم ان الحب والبغض طرفا عصاً فيمكن قلبها ساعة تريد ولمَّا كان هؤُلاء القوم من طبقة واحدة ودم واحد فهم يتجاذبون كما يتجاذب الحديد والمغنطيس

لكنَّ هذه النصائح ونحوها من التقريع والتوبيخ كانت كالكتابة على صفحات الماء فانها لم تثنِ عزم فيلبس فلم يقطع الرجاء وظلَّ في صدرهِ بقية من الامل حتى بعد ان ابت باولين عليهِ خطابها كحب كما تقدم الى ان كان يوم الاجتماع في بيت روفينس للنظر في شؤُونها المالية فتبين لهُ ان ابنة توما لم تعد تكره اوريون بل كان فرحها بوجودهِ معها ظاهرًا في جميع حركاتها وكلامها فرأى حينئذٍ ان ابولون كان مصيبًا في ما قالهُ فضاق صدرهُ وعيل صبرهُ ولم يستطع تأويل ما فعلتهُ تلك الحسناء وعجز عن استطلاع طلعها فانها ظلَّت تبالغ في اكرامهِ والاحتفاء بهِ فعاودهُ بعض الامل ولما ذهبا لعيادة الجريحين في تلك الليلة التي راح فيها اوريون الى الفسطاط هزَّهُ الوجد فافاض في وصف حبهِ لها وشدة تعلقهِ بها فلقي منها اعراضًا عن حبهِ وتمسكًا بصداقتهِ قطعا املهُ وضيعا رشدهُ وفي اثناء كلامهِ معها رآها اوريون كما تقدم فعاد فيلبس من بيت روفينس لا يلوي على شيءٍ حتى اذا ما وصل الى منزلهِ استلق على مقعد في غرفة ابولون وقد بدا الحزن والخيبة في وجههِ فطرح الشيخ طروسهُ على المائدة وقال

— اذًا لقد تمَّ تمثيل الرواية واظنها مأساة فقال فيلبس لا تكون مأساة وانا في قيد الحياة

— لكنك مجروح الفؤَاد وجرحك دامٍ فلومك على نفسك فقد حذرنا الثعلب من الفخ وكان في طاقتهِ امس ان يبتعد عنهُ فابى وهو اليوم يلعن حماقتهُ ويندب سوءَ حظهِ اتريد ان اصف لك ما حدث ان الشريفة حافظت على ولائك ايام حاجتها اليك حتى اذا ما طاب لها المقام ووضعت يدها على اموالها القتك عنها واستعاضت من الطبيب المسكين بادونس الفتان كما يغيب نور القمر ساعة تطلع الشمس . اصحيح ما قلت ام كذب

— ليتهُ كان كذبًا ثم وقف فيلبس وقال

— ايها الصديق الصدوق قد اتخذتني ابنًا لك ولقيت فيك ابًا بدلاً من والدي الذي مات في صباي فعطفت عليَّ وغمرتني بحبك وفضلك فاعلم انهُ لم يبقَ لي سوى باب واحد للفرج فقد عزمت على فراقك وهجران هذه المدينة فاطلب البعد عن باولين فقد ذقت في عشرتها خلاصة السعادة ثم نالني منها عذابٌ لا يذكر في جنبهِ عذاب جهنم فانا ذاهبٌ لا محالة الاَّ اذا استطعتَ ان تشفي ما بي من الوجد او تحولهُ الى حب اخوي . فلما سمع ابولون هذا الكلام ورأى اضطراب صديقهِ وشدة حزنهِ صاح باعلى صوتهِ

— اتقول جدًّا ام اتصلت بك الحماقة الى هذا الحدّ الم يكفك ما اصابك من العذاب بفضل هذه . . . . افأدركت الآن علة تحذيري اياك من الاشراف والشريفات اتحسب انها تعتد برجل فاضل وتقابل معروفهُ بالشكر وامانتهُ في خدمتها بالثناء ايسرك ان تقضي على سعادة شيخ فانٍ وتمحق هناءهُ لاجل ابنة توما وحبيبها فاين عقلك واين حكمتك وما الفائدة من علمك وفضلك اذا قضيت ايامك في النوح والعويل كما تفعل النساء فتربص في مكانك وساعلمك كيف تكبح جماح وجدٍ يحط من كرامتك وقدرك

— علمني فقد سألتك ذلك فانا لم اخلق لابكي ربوع الاحبة وانوح على اطلالهم وهانذا مستعد لمجاهدة هذا الهوى ومصارعتهِ ولكني القيّم عليها وعلى اموالها ووظيفتي هذه تقضي عليَّ برؤيتها كل يوم واخشى ان يصرعني الهوى فلا اقوى عليهِ فاهلك نفسًا وجسدًا وارى ان منف لا تسعنا نحن الاثنين

— اذًا فلا تبقى حضرتها في منف

— وماذا تعني

— ان منف في حاجة شديدة اليك وهي في غنىً عن السيدة الشريفة على اني ارى الفجر يكاد ينشق فهيَّا بنا الى مضجعينا وكم من عقدة اعيا الحكماء حلها في الليل فاهتدوا اليهِ بنور النهار ولعلّ الالاهة توحي اليَّ اسلوبًا لحلّ هذا المشكل فاتكل عليَّ ولا تقل بعد انك تريد فراقي فتترك صديقك الشيخ وحدهُ فانا اعرف الناس بشهامتك فاذهب الآن وحاول ان تنام عساك ان تستريح وقد ينسيك شقاءك ما تراهُ من شقاء مرضاك وعذابهم وكثير ما هم. ثم سار كل الى مخدعهِ فلما انفرد ابولون وقف يناجي نفسهُ فقال

— ألا ان حشر اثنتي عشرة فتاة في جهنم اولى من ان يخسر العالم رجلاً كفيلبس وقد عجمت عودكِ ايتها السيدة ووقفت على ما يدور في خلدكِ فانت تحسبين الطبيب غير كفءٍ لك فنبذتهِ عنك نبذ النواة واتخذت اوريون وللناس فيما يعشقون مذاهب فما قولك اذا تداخل ابولون في هذا الشأن فانظريني قليلاً ريثما ادبر الامر بنفسي فقد نلت مطالبي جميعًا في حلبة العلم وليست حياة الحكيم سوى الانتفاع بالمعرفة ولا يصعب على ابولون ان يطبق علمهُ على ماجريات الحياة ولو مرّة قبل موتهِ ولا ريب ايتها الحسناء في انك تحمدين مقامكِ مع حبيبكِ في منف لكنك ستضطرين الى تركها لاجل الرجل الذي القيتهِ عنك وثقي ايتها الشريفة انني سارغمك على ذلك . (ستأتي البقيَّة)

محمد علي باشا

للدول الاوربيَّة قناصل في الشرق يهتمون بمصالح قومهم المقيمين فيهِ ويخبرون رجال حكومتهم عمَّا يحدث في البلاد التي هم فيها اوعمَّا يتّصل بهم خبرهُ . والغالب انهم يكتبون عن علم وروية ودولهم تعتمد على اخبارهم وتبني سياستها عليها . وقناصل الانكليز في الطبقة الاولى بين قناصل الدول الاوربية من حيث جمع الاخبار وصدق الرواية وصحة الحكم ومنهم رجل اسمهُ المستر جون باركر اقام في سورية والعراق والقطر المصري قنصلاً لدولتهِ في اوائل القرن الماضي واواخر الذي قبلهُ . وقد نشر ابنهُ تاريخ اعمالهِ في مجلدين فيهما كثير من المكاتيب الرسمية التي كتبها الى رجال دولتهِ وغير الرسمية التي كتبها الى اصدقائهِ وذوي قرباهُ وتظهر منها احوال البلاد التي كان فيها ظهورًا خاليًا من شوائب الغرض لاسيما وانهُ كان مشهورًا باستقامتهِ وشهامتهِ ودقة نظرهِ وقلَّة مجاملتهِ

ولما كثر ذكر محمد علي باشا في هذه الايام رجعنا الى هذا الكتاب لنرى ما قالهُ صاحبهُ عمَّا كان يراهُ بعينيهِ ويسمعهُ باذنيهِ فالتقطنا منهُ الفقرات التالية وكانت متفرقة في بعض مكاتيبهِ التي كتبها وهو في هذا القطر وسننشرها الآن حسب تواريخها ولا نعقّب عليها بشيءٍ من عندنا بل نترك الحكم فيها للقارىء اللبيب وهو يستنتج منها ما شاء

جُعل المستر باركر قنصلاً في الاسكندرية بعد ان كان قنصلاً في حلب فقام من حلب الى السويدية وانتظر الى ان جاءتهُ بارجة انكليزية في ٩ اكتوبر سنة ١٨٢٦ فحملتهُ هو وعائلتهُ ومرت في طريقها على بيروت وصيداء وبلغ الاسكندرية في ٢٥ اكتوبر . وكانت الاسكندرية حينئذٍ صغيرة حقيرة لم يكن فيها الاَّ مركبتان مركبة محمد علي ومركبة صهرهِ محرَّم بك

وفي ٢٥ نوفمبر كتب الى وكيل نظارة الخارجية في لندن كتابًا طويلاً ورد فيهِ الكلام التالي عن محمد علي باشا

" يسرُّني ان اخبركم انهُ في مقابلتي الاولى للوالي[١] لاقدم لهُ اوراقي الرسمية قابلني سموهُ باللطف والاكرام . ولكي لا ينهض لي حين دخولي ولا يقابلني جالسًا كما قابل قنصل سردينيا الجنرال وقنصل النمسا الجنرال اتى الغرفة التي أُدخلت اليها من غرفة أُخرى وهذا اكرام خاص .

(١) الكلمة الانكليزية Viceroy ومعناها نائب الملك وهو لقب خديوي مصر حتى الآن باللغة الانكليزية وقد استحسنا ترجمتها بالوالي لان هذا كان لقب والي مصر قبل ان اعطي لقب خديوي

فاخبرتهُ ان ملك الانكليز تكرَّم وعينني قنصلاً لدى سموهِ في الاسكندرية ثم سلم ترجماني براءة تعييني الى بوغص يوسف ترجمان سموهِ فامر الباشا بردها الى ترجماني من غير ان يفتحها . وجعل يحدثني كاني احد معارفهِ واخبرني عن اربع فرقاطات تبنى لهُ الآن في مرسيليا ولغورن وسترسل اليهِ في الربيع القادم وقال ان الاروام لم يوقعوا بسفينة من سفنهِ حتى الآن . ومدح سلفي المستر لي وقال انهُ كان على جانب عظيم من التعقُّل مستدلاً على ذلك بانهُ لم يكن يمترضهُ في شيء ولا يخالف لهُ حكمًا لانهُ لا يحكم الاَّ بالحق والعدل ورغب في ان اكون مثلهُ فاتفق مع سموهِ كما كان المستر لي متفقًا معهُ . ودامت المقابلة اكثر من نصف ساعة قصَّ عليَّ فيها القصة التالية قال ولدتُ في قرية من بلاد الارناؤوط وكان لابي عشرة اولاد غيري ماتوا كلهم الآن ولكنهم لمَّا كانوا احياء لم يكن احد منهم يخالفني في شيء . وقد تركت بلدي قبلما بلغت سن الرشد ولكن كان اهل بلدي يستشيرونني في كل امر واتيت الى هذه البلاد وانا لا املك شيئًا ولما كنت في رتبة بكباشي جاء مورّد الخيام ليعطي كلاً من البكباشيَّة خيمة وكانوا كلهم اقدم مني ويحق لهم التقدُّم عليَّ لكن مورد الخيام قال لهم تنحوا كلكم لان هذا الشاب محمد علي مقدَّم عليكم فاعطاني خيمتي اولاً . وارتقيت رويدًا رويدًا بمعونة الله الى ان بلغت هذا الحدّ. قال ذلك وانتصب في مجلسهِ ونظر من شباك الى جانبهِ يطل على بحيرة مريوط . ثم نظر الى البراءة في يد الترجمان وقال نعم بلغت هذا الحد وليس لي معلم

وكتب اليهِ بُعيد ذلك يقول : اخَّر الوالي سفرهُ الى القاهرة حتى امس بسبب ما حدث من التأخر في اعداد الاسطول وقد أعدَّ وسار في العشرين من الشهر قاصدًا المورة بقيادة صهرهِ محرم بك وهو ثمانٍ وسبعون قطعةً ثلاثون منها بوارج حربية واربع حراريق و١٦ من مراكب النقل التركية و٢٨ من مراكب النقل الاوربية اكثرها رافع للعلم النمسوي . وفيها الميرة للجنود ونحو ٨٠٠٠٠٠ او ٩٠٠٠٠٠ ريال اسبانيولي

وكتب في ٢٥ مايو سنة ١٨٢٧ يقول : الوالي مشغول الآن باصلاح بارجتين كبيرتين وخمس عشرة فرقاطة ارسلها الباب العالي الى هنا لاصلاحها . وعند سموهِ نحو ثلاثين فرقاطة وكورفت خاصة بهِ . وهو يمتحن الآن السفن التي جاءتهُ حديثًا من لغورن ومرسيليا

وكتب الى قنصل ازمير في ١٩ جون سنة ١٨٢٩ يقول : ماذا يستفيد الفرنسويون من صداقة الباشا . ليُظهر ما شاء من الصداقة لهم اما نحن فيهمنا ان يخشى بأسنا وهذا هو مبدأ سياستنا . ضع الخوف من انكلترا في كفة الميزان الواحدة وكل صداقتهِ لفرنسا وتملقهِ لها وتزلفهِ اليها في الكفة الاخرى وانظر ايهما ارجح

وكتب الى لورد بردهو (الذي صار دوق نورثمبرلند) في ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٧ يقول : وصل اربعة آلاف جندي من القاهرة وهم في العدة الكاملة والانتظام التام ومعهم جوقتان من الموسيقى العسكرية معهما ثلاثون من آلات النفخ وكلهم من اولاد العرب يفتخر بهم اي فيلق كان من الفيالق الانكليزية والمظنون ان الاسطول ينقلهم الى المورة في الاسبوعين التاليين

وقال في كتاب كتبهُ حينئذٍ الى صديق لهُ ان هواء الاسكندرية على غاية الجودة والمقام فيها طيب ولكن حال الافرنج فيها اسوأ ما يكون في بلاد الترك لان القناصل اطمعوا الباشا بهم وهم الآن تحت رحمتهِ

وخاف سكان الاسكندرية ان تنشب الحرب بين تركيا والدول الاوربية بسبب المورة فتضطر مصر ان تحارب مع تركيا فكتب في ٢٤ يوليو يقول : لاخوف من ذلك لان محمد علي يبقى على الحياد حينئذٍ لئلاَّ تتلف عمارتهُ البحرية وهي اعز شيءٍ لديهِ وعليها اعتمادهُ اذا اراد ان يبقى في ولاية هذه البلاد

ثم اتلفت عمارات الدول الاوربية العمارة التركية والعمارة المصرية في العشرين من اكتوبر كما هو معلوم . وبلغ الخبر محمد علي فرضخ لاحكام القدر وقابلهُ المستر باركر حينئذٍ وقال لهُ ان الاتراك هم الذين اطلقوا القنابل اولاً ولولا ذلك ما حدث شيءٌ مما حدث فقال لهُ كلاَّ بل ان ما حدث مقدور لا يمكن ردهُ

وكتب الى السر ادورد كودرنجتون امير الاسطول الانكليزي في البحر المتوسط في ٢٨ نوفمبر يقول : وصلني كتابكم المؤرخ من نفارين في ٢٥ اكتوبر وعليهِ اجيب ان سمو الوالي بلغهُ خبر تخريب عمارتهِ ولم يحدث لنا شيءٌ مما كنا نخشى وقوعهُ وفي الثاني من هذا الشهر انتشر الخبر في الاسكندرية ولكن لم يبدُ من الاهالي اقل شيءٍ من علامات الغيظ والانتقام . وقد ابدى سمو الوالي الصبر ورحب الصدر في هذه النازلة . وحينما كان يقرأ خبرها كان يتوقف مراراً ويقول لقد انبأتهم بذلك وانذرتهم بهذهِ العاقبة لانني اعلم من هم الاروام . وقبل ان يتم قراءة التقرير ارسل واستدعى الكونت دواسنفيل قومندان الفرقاطة الفرنسوية لافستال واكَّد لهُ ان تخريب عمارتهِ لا يغير مودتهُ للرعايا الفرنسويين ولا لغيرهم من الاوربيين المقيمين في بلادهِ الذين يحسبهم اهلاً لعنايتهِ وحمايتهِ كيفما تقلَّبت الاحوال

وفي اليوم التالي قابلت سموهُ فقابلني متعطفاً بلطف يزيد على المعتاد واكَّد لي ما قالهُ سابقاً وهو انهُ اذا نشبت الحرب بيننا وبين الباب العالي فالانكليز الذين في القطر المصري يبقون متمتعين بالحماية والرعاية ولا ينالهم اقل اذًى . ثم قال اني اشتهرت بالعدل والحرية ولا بدَّ لي من الاحتفاظ بهذه الشهرة

وقلت لهُ ان السلطان انذر اوربا بقتل كل النصارى في مملكتهِ اذا تلفت عمارتهُ فلم يقل لي لا تصدّق هذا الكلام بل قال "انهُ ان كان السلطان يفعل هذا الامر المنكر فلا يكون مسلمًا بل يكون كافرًا بشريعتنا لانها تأمرنا امرًا صريحًا بحفظ ذمة النصارى القاطنين في بلادنا"

ويظهر لي انهُ يترقب الفرص الآن حتى اذا نشبت الحرب بين الباب العالي ودول اوربا يجد سبيلاً للبقاء على الحياد لكنهُ لا يترك التأهب وعندهُ الآن نحو خمسة آلاف او ستة آلاف من فرسان البدو والمال قليل في خزانتهِ لكثرة ما انفق على حرب المورة ولانهُ جاء على البلاد سنتا قحط وزد على ذلك كثرة النفقات التي انفقها على معاملهِ ومرفإِ الاسكندرية والقصور الفخيمة التي تفوق قصور الاستانة مع ان ايرادهُ لا يزيد في سني الخصب على اربعة ملايين من الجنيهات ولذلك لا ادري من اين يأتي بالمال لهذه النفقات

قال جامع الكتاب ولم يكن المستر باركر يدري ان محمد علي يتّجر بحاصلات البلاد فيها ويربح منها ربحًا وافرًا فلمَّا علم ذلك كتب في ٣٠ مايو سنة ١٨٢٧ يقول : قبلما اتيت هذا القطر كنت احسب ان سموَّهُ يرسل الحاصلات الى اوربا لتباع فيها كما يفعل التجار فيكتب الى عميلهِ مثلاً اني مرسل اليك كذا وكذا بالة من القطن بالسفينة الفلانيَّة وطيهُ ورقة الشحن فاستلم البضاعة بموجبها وادفع اجرة الشحن وبع البضاعة بالثمن الأحسن وابقِ صافي الثمن تحت امري . وظننت انهُ يمكنني ان اقنع بوغوص ليرسل بعض القطن الى اخي في جنوى لكنني وجدت الامر على غير ذلك فان الباشا عرف بالاختبار ان التجَّار يخونونهُ اذا ائتمنهم ولذلك فالطريقة الفضلى لهُ ان يأتي بالقطن الى الاسكندرية ويبيعهُ بالمزاد لمن يرسو عليهِ اعلى سعر ويكون الثمن نقدًا . ثم صار يحتاج الى النقود قبل اوان الموسم لكثرة ما تقتضيهِ مشروعاتهُ من النفقات فصار يقول للتجار اني اقدم لكم بعد ثلاثة اشهر او اربعة او خمسة او ستة كذا بالة من القطن واطلب منكم الآن تسعة اعشار الثمن نقدًا واتعهد بارسال القطن الى عملائكم في اوربا . وقد بلغ من تناظر التجار بعضهم مع بعض ان اوصل بيت فرنسوي منهم ثمن القنطار الى ثلاثة عشر ريالاً يدفع نصفها او ثلثيها سلفًا والباقي عند التسليم . ويقول الذين ذاكرتهم في هذا الموضوع من اصدقائي ان هذا الثمن فاحش وفيهِ غبن كثير على المشتري. واذا بعث الباشا بالقطن الى التاجر وعلم انهُ يبقى لهُ عندهُ جانب من الثمن طلب منهُ ان يرسل اليهِ بعض الآلات الثمينة او نحو ذلك مما يفوق ثمنهُ الجانب الباقي من ثمن القطن حتى يكون مديونًا لا دائنًا حاسبًا ان حماقة تجار اوربا تجعلهم يرسلون ما يطلبهُ منهم لكي لا يخسروا معاملتهُ

وكتب الى اخيهِ في ٢٥ دسمبر سنة ١٨٢٧ يقول : "رجعت الآن من رشيد وقد ذهبت اليها

في النيل مع جماعة متنزهاً . اول شيء وقع عليهِ نظري شجرات من الصفصاف راقني منظرها جداً حتى كدت اطرح نفسي تحتها. ثم زاد المنظر جمالاً وبهجةً الى ان وصلت الى ابي الانهار ودخلت السفينة فسارت بنا والنسيم يسوقها والتيار جارٍ معها وانا اشعر بسرور وارتياح لم اشعر بمثلهما في حياتي الى ان تعطرت الارجاء برائحة النارنج فعلمنا اننا صرنا على مقربة من رشيد . والتفت الى الشاطىء واذا انا بجبل من بالات القطن فيهِ الف وخمسماية بالة وبجبل آخر من اكياس الفول جبل شاهق يصعد عليهِ السيَّاح فيطلّون على المدينة والبلاد المجاورة . هذه احدى عجائب مصر . ورأيت اربعين آلة لضرب الارز وقشرهِ ومعملين بديعين لنسج القطن ومعملاً فاخراً لعمل الطرابيش المغربيَّة لم يستطع الاوربيون ان يناظروهُ . وفي هذه المعامل ثلاثة آلاف او اربعة آلاف عامل لا يساعدهم احد من الاوربيين"

وعادت بقية الاسطول العثماني الى مصر في اوائل سنة ١٨٢٨ فكتب المستر باركر يقول: "عاد محرَّم بك ومعهُ عشرون الفاً منهم ٥٥٠٠ من اسرى الاروام والباقون بحارة. والسفن التي عادت ٤٧ وتقسم هكذا

السفن المصرية	عدد	السفن التركية	عدد
فرقاطة فيها ٦٠ مدفعاً	١	بارجة	١
كورفت	٥	فرقاطة فيها ٤٤ مدفعاً	٤
ابريق حربي	١١	كورفت	٤
سفن نقل	٢١		٩
	٣٨		

وبلغني ان عند ابرهيم باشا من الميرة ما يكفيهِ ثلاثة اشهر او اربعة. وكان اكثر الاسرى من الفتيان والفتيات فوزعوا على بيوت الكبراء في الاسكندرية والقاهرة ووعد محمد علي بردهم الى اهلهم لكنني اشك في مقدرتهِ على انجاز هذا الوعد"

والحَّت الدول المتحابة على ابرهيم باشا ان يترك المورة ويمضي الى الروملي فكتب الى ابيهِ يستشيرهُ في الامر وجاء السر ادورد كوردنجتون امير البحر الى الاسكندرية لهذا الغرض وبعد جدال طويل امضى محمد علي المعاهدة التي بموجبها خرجت الجنود المصرية من المورة وكان للمستر باركر اليد الطولى في ذلك . ثم اشتغل في افتداء الاسرى فلم يقبل منهم بالعتق الاَّ اربع مئة واما الباقون ففضلوا البقاء في مصر

وعاد ابرهيم باشا الى مصر فكتب المستر باكر في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٢٨ يقول: "عاد

ابرهيم باشا وكل جنودهِ تصحبهم البارجة الانكليزية دارتموث وبارجة اخرى اوربية ومع ابرهيم باشا خمسة عشر الفًا وهم والخمسة الآلاف الذين رجعوا قبلاً نصف الجيش الذي ذهب الى المورة وعاد معهم اربع مئة من نساء الاروام متزوجات برجال منهم"

وكتب الى احد اصدقائهِ في ١٧ يناير سنة ١٨٢٩ يقول :

" اني انا والمسيو دروفتي (قنصل فرنسا) راضيان بالحالة الحاضرة لا شيء يقلقنا ولكن المسيو بزاني قنصل روسيا الجنرال أُمر بالرحيل عن هذه الديار منذ بضعة ايام مع ان الباشا كان قد سمح لهُ بالبقاء فيها بغير صفتهِ الرسمية . ويقال ان سبب ذلك اوامر جديدة وردت من الاستانة ولكن من المؤكد انهُ اغاظ الباشا منذ ايام فانهُ زارهُ يوم الجمعة ودخل مجلسهُ من غير استئذان وكان غاصًّا بالعلماء وتقدم وجلس الى جانبهِ فوق صهرهِ محرَّم بك . ولما خرج سأَل بعض الحضور مَن هذا الرجل فقال الباشا ببداهتهِ المشهورة انهُ قنصل روسيا الذي عزمتُ ان اخرجهُ من بلادي"

وكتب في ٥ مايو يقول : "وردت الاوامر بتعييني قنصلاً جنرالاً في القطر المصري وكتب اليَّ لورد ابردين يقول لقد سررت جدًّا بما بدا منك من سداد الراي في حل المشاكل السياسية التي ظهرت حديثًا وانت في منصب النيابة عن القنصل الجنرال فعرضت اسمك على جلالة الملك لتعيينك في هذا المنصب فتكرَّم جلالتهُ واجاب طلبي "

وكتب في ٦ مايو سنة ١٨٢٩ يقول : "لا يزال ابرهيم باشا يؤخر السفر بجنودهِ لاعانة السلطان على الروس واخيرًا رضي السلطان ان يأخذ من محمد علي مليون ريال بدل هذه الاعانة"

وكتب في غرة سبتمبر سنة ١٨٢٩ يقول : "ان الباشا باذل اقصى جهدهِ في تحصين الثغور البحرية لانهُ يحسب ان السلطان سيعود اليهِ ويناقشهُ الحساب بعد فراغهِ من حرب الروس . وعندهُ الآن خمسون الفًا من الجنود المنظمة وخمسة عشر الفًا من البدو وهو قادر على مناوأة السلطان من حيث عدد الجنود وتنظيمها ولكن سلطة السلطان الدينية وان تكن قد ضعفت كثيرًا لاتزال ترهبهُ . وقد سمعنا الآن بمقدمات الصلح بين الاتراك والروس . ثم كتب يقول : طغى النيل سنة ١٨٢٩ فاتلف من المزروعات ما يقدَّر بثلاثة ملايين من الريالات ولذلك تأخر محمد علي عن مساعدة السلطان على دفع القسط الاول من غرامة الحرب لروسيا ولكنهُ لم يتأخر عن التأهُّب مخافة من ان يقصدهُ السلطان بمكروه . وغاظهُ عقد الصلح بين الدولة والروس لانهُ اراح السلطان . وقد انزل في الاسبوع الماضي فرقاطة محمولها خمسون مدفعًا بناها لهُ رجل تركي امي لا يقرأُ ولا يكتب . وعندهُ رجل فرنسوي اسمهُ ده سريسي وهو

الذي يبني سفنهُ عادةً وقد بنى لهُ الآن بارجة محمولها ١١٠ مدافع ولا يزال يبني ثلاث بوارج اخرى عدا الفرقاطات والكورفتات

وكتب الى القنصل الجنرال في الاستانة في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٢٩ يقول: "طلب السلطان اسطولهُ واسطول محمد علي ومبلغاً طائلاً من المال فارسل اليهِ الاسطول الاول والمال الذي طلبهُ واما الاسطول الثاني (اي اسطول محمد علي) فلم يرسلهُ لعلمهِ ان بقاءهُ في ولاية هذه البلاد متوقف على اسطولهِ. واسطول السلطان مؤلف من ثماني عشرة سفينة فيها بارجة وفرقاطة لا تصلان الى الاستانة والبقية وهي خمس فرقاطات وعشرة كورفتات في حالة صالحة. اما المال المطلوب فهو خمس مئة الف ريال ولولا الضرر الذي حلَّ بالقطر بسبب فيضان النيل لارسل مبلغاً اكبر من هذا واني ارى رأيك وهو ان وقوع العداء بينهُ وبين السلطان ليس من مصلحتهما. ومحمد علي يبذل كل مرتخص وغالٍ ليبقى على ما هو عليهِ لانهُ حائز تمام الاستقلال فعلاً"

وكتب في ١٦ مارس سنة ١٨٣٠ يقول: "ان دولتهُ طلبت منهُ ان يخابر محمد علي في مهمة سرية ذات شأن كبير وان محمد علي ابى ان يساعد الفرنسويين على اخذ بلاد الجزائر واغتاظ من اغارتهم عليها قائلاً انهم سيمتلكون كل ساحل افريقية الشمالي ويصيرون في جواري وهذا يسوءني جداً. ولم تبقَ شبهة في انهُ ينوي الاغارة على بلاد الشام لان الاستعداد لذلك قائم على ساق وقدم"

وكتب في اول ابريل يقول: "في الرابع والعشرين من الشهر الماضي تكلَّم ابرهيم باشا مع ضباط جيشهِ وبيَّن لهم عزمهُ على مناوأة الدولة كأنهُ يريد ان يؤثر في عقولهم استعداداً لهذا الحادث الجلل حتى اذا حدث لا يستعظمونهُ ومما قالهُ لهم "ماذا انتفعت انا او انتفعتم انتم من السلطان لو طلبنا منهُ شربة ماء لمنعها عنَّا ونحن كلنا قد اكلنا خبز محمد علي وربينا عندهُ كاولادهِ بفضلهِ وكرمهِ وصلنا الى ما وصلنا اليهِ انا وانتم. مصر لهُ اخذها بسيفهِ ولذلك لا نعرف لنا حاكماً غيرهُ""

ومن الاغلاط الشائعة ما يزعمهُ البعض من ان ابرهيم باشا ليس ابن محمد علي بل هو مملوكهُ ولكن كل من يرى الاثنين يجد الشبه التام بينهما ولا سيما في قصر الذراعين. وسبب هذا الغلط ان محمد علي كان يظهر الحب لابنهِ طوسن اكثر مما يظهرهُ لابرهيم. ثم ان رتبة ابرهيم باشا اعلى من رتبة ابيهِ لانهُ امير الحرمين وتتلوها رتبة امير الشام او امير الحج ثم رتبة امير بغداد ثم رتبة امير مصر وهي رتبة ابيهِ"

«ستأتي البقية»



مناظرونا في الزراعة

من اكبر مناظرينا في الزراعة اهالي الجزائر الاميركية المعروفة بالهند الغربيَّة فان بلادهم حارَّة مثل بلادنا ويزرعون كثيرًا من المزروعات التي تزرع في القطر المصري ولا سيما قصب السكَّر . وقد اهتمت الحكومة الانكليزية حديثًا اهتمامًا عظيمًا بانشاء مجلس زراعي لهم اناطت رئاستهُ بالدكتور موريس . وقد اطلعنا على خطبة لهُ اشار فيها الى اعمال هذا المجلس في العام الماضي ومنها عقد المؤتمرات الزراعية السنوية التي يشترك فيها ارباب الزراعة ويتداولون في ما يعود عليهم بالفائدة. وقد طالعنا مداولات هذه المجالس فوجدنا فيها دلائل العلم والبحث والتنقيب والرغبة في نشر الفوائد الزراعيَّة ووددنا ان نرى المداولات في اجتماع جمعيتنا الزراعية جارية هذا المجرى وغير مقتصرة على كلمات يقولها الرئيس وتقرير يقدمهُ الكاتب والبحث في مسألة او مسألتين من المسائل الادارية . والظاهر ان ارباب الزراعة في تلك البلاد يحضرون المؤتمر الزراعي بقصد الافادة او الاستفادة فيفسح لهم المجال في اجتماعات متوالية يجتمعها الاعضاء ويتلون فيها خطبًا وتقارير مبنيَّة على بحثهم واختبارهم

وممَّا اشار اليهِ الخطيب تقارير اللجان التي عينت للبحث في بعض المسائل الهامَّة كمسألة التقاوي ومسألة السماد ومسألة الاثمار التي تصدر من البلاد ثم فصَّل بعد هذا الاجمال مسألة زرع قصب السكَّر وما جرى من الاهتمام بتكثير سكرهِ ودفع الحشرات عنهُ وقال انهُ يرجو ان يزيد السكر في القصب اربعين او خمسين في المئة . والتفت بعدها الى الكاكاو والاروروط والبطاطة الحلوة والبصل وتربية النحل وانتقل الى التعليم الزراعي وتقديم الخطب الزراعية لمعلمي المدارس الابتدائية حتى يتعلموا منها مبادئ هذا العلم ويعلموها لتلامذتهم . ووصف المدارس الزراعية في سنت فنسنت وسنتا لوسيا ودومينيكا . ولا ندري كيف يكون حالها الآن بعد الثوران البركاني الذي اصاب تلك الجزائر

وانتقل الى الكلام على دور الامتحان الزراعي والمعارض الزراعية والمطبوعات الزراعية التي طبعت ونشرت في مواضيع مختلفة

ويظهر لنا من مطالعة هذه الخطبة ان الهمة التي تبذل في تلك الجزائر الصغيرة القليلة

السكان تفوق الهمة التي تبذل في القطر المصري فعسى ان يقتدي ولاة الامر في هذا القطر بما يفعلهُ غيرهم في تلك الجزائر النائية ويهتموا بادخال التعليم الزراعي في كل المدارس الثانوية والابتدائية لشدَّة الحاجة اليهِ

الاراضي الزراعيَّة في القطر المصري

يزيد نطاق الاراضي الزراعية في القطر المصري عاماً بعد عام كما ترى في الجدول التالي لكن هذه الزيادة لا تجري على نسبة واحدة في كل المديريات لانها مختلفة في مساحاتها وفي اتساع الاراضي البور فيها وفي ما بلغها من ماء الري حتى الآن وقد اقتصرنا على ذكر المساحة كل خمس سنوات من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٩٠١

المديرية او المحافظة	سنة ١٨٨١ فدن	سنة ١٨٨٦ فدن	سنة ١٨٩١ فدن	سنة ١٨٩٦ فدن	سنة ١٩٠١ فدن
القليوبية	١٨٥٦٧٧	١٨٥٦٢٨	١٨٦٦٠٨	١٩٣١٨٥	١٩٤٨١٩
الشرقية	٤٢٠٥١٢	٤٣٠١٦١	٥٣٥٠٧٦	٥٣١٤١١	٥٣٥٩٤٣
الدقهلية	٤٥٣٦١٧	٤٥٩٧١١	٤٧٦١٨٨	٤٩٢٨٣٦	٥٠٣٠٩٦
الغربية	٨١٢٨٨٦	٨٣٣٢٠٦	٨٣٧٧٩٨	٩٣٦٦٤٠	٩٧٥٢٨٧
المنوفية	٣٣٨٨٩٣	٣٤١٧٤٧	٣٥٠١٧٥	٣٥٢٢٠٩	٣٥٢٥١٩
البحيرة	٣٩٨١٢٧	٤٦٥١١٤	٤٩٥٠٩١	٥٦٨١٢٩	٦٩٣٥٩٦
الجيزة	١٧٥٤٩٦	١٧٦٦٥٨	١٨٠١١١	١٧٨٧٣٨	١٨٢٢٢١
بني سويف	٢٢٧١٤٢	٢٢٩٥٢٤	٢٣٤٥٦٣	٢٣٦٠٩٩	٢٣٦٩٣٦
الفيوم	١٩٤٠٠٩	٢١٨٨٦٥	٢٢٩٧١٨	٢٦٨٥٧٤	٢٩٤٤٧٢
المنيا	٣٦٨٦١٤	٣٨٧٥٦٩	٣٨٨٣٥٩	٣٩٥٣٠٧	٣٩٥٢٧٣
اسيوط	٤١٣٢٤٥	٤١٥٢٢٣	٤١٦٨٩٣	٤١٤٩٢١	٤١٧٤٣٥
جرجا	٣٢٠٤٢٦	٣٢٢٠٤٢	٣٢٥٩٨٤	٣٢٣٠٧٩	٣٢٥٤٤٠
قنا	٢٧٣٢٠٠	٢٧٤٣٠١	٣٣٩١٥٧	٣٣٩٩٨٠	٣٤٣٥٣٧
اصوان	١٣٣٥٦٢	١٤٠٥٩٤	٧٠٧٩٥	٧٣٠٠١	٧٠٨٢٥
السويس				٦٩٨	٢٩٠٦
القنال					٥٥٦٥
الجملة	٤٧١٤٤٠٦	٤٨٨٠٣٤٣	٤٩٦٦٥١٦	٥٣٠٥٨٠٧	٥٥٢٩٨٧٠

يرى مما تقدم ان نطاق الاراضي الزراعية زاد في كل المديريات الا في اصوان وان هذه الزيادة بلغت في البحيرة ثلثمئة الف فدان وفي الغربية مئة وستين الف فدان وفي الشرقية اكثر من مئة الف فدان وفي الفيوم مئة الف فدان وفي قنا سبعين الف فدان وفي الدقهلية خمسين الف فدان وجملة الزيادة اكثر من ثمانمئة الف فدان في عشرين سنة عدا الزيادة في اصلاح الارض الزراعية نفسها

مرض القطن

نشرت الغازت مقالة في هذا الموضوع لحضرة المستر فلتشر من اساتذة مدرسة الزراعة وقد ترجمناها عنها لتعميم نفعها

سبب المرض

رأى كاتب هذه المقالة عند زرع القطن هذه السنة ان كثيرًا من البزور لم تخرج نباتًا فوق وجه الارض . وبعد البحث ظهر ان ذلك لم ينشأ عن رداءة التقاوي بل انها حالما تفرخ كان يسطو عليها احد نوعين من النباتات الفطرية فيقتلها وهذان النوعان احدها من الفصيلة المعروفة عند علماء النبات باسم (Oomycetes) وهو من النباتات الفطرية الدنيا والآخر من النباتات الفطرية العليا . وكلامنا الآن على النوع الثاني

شرع الكاتب في استنبات هذا النوع من الفطر استنباتًا صناعيًّا ليدرس طبيعتهُ حتى يسهل علاجهُ . ثم بعد زرع القطن في اراضي مدرسة الزراعة رأى ان بعض النباتات اخذت تذبل وتموت او تنكسر على مساواة سطح الارض . فأُخذ بعضها وفحص واستنبت من حين الى آخر بالطرق المعروفة فوجد كل مرة ان السبب في موتها وجود النباتات الفطرية المذكورة

وفي ٩ يونيو الحالي احضر دولة البرنس ابرهيم باشا حلمي الى مدرسة الزراعة عينات من هذه الشجيرات المصابة من اطيان دائرة القصر العالي في كفر الحمام ففحصها الكاتب تحت المكرسكوب فوجدها مصابة بالمرض نفسهِ ثم زار هذه الاطيان باشارة دولة البرنس حسين باشا كامل وقدّر ان الخسارة التي تنال موسم هذه السنة تبلغ ١٠ في المئة بسبب المرض وان المرض تقدم تقدمًا سريعًا عما كان عليهِ في السنة الماضية . وبعد الفحص المدقق ثبت لهُ ما يأتي

(١) ان المرض دخل هذه البلاد على المرجح من اميركا مع تقاوي القطن السي ايلند وذلك منذ ثماني سنوات

(٢) ان ما يزرع من القطن في بقعة معلومة ويصاب بالمرض يصاب ايضًا سنة بعد سنة وذلك مما يدلُّ على ان التربة نفسها مصابة

ثم ان اعراض المرض الخارجية تطابق اعراض المرض الاميركي المسمى بما معناه جرح الوظيف وكذلك اوصاف نمو الفطر لكن الاميركيين عجزوا عن مشاهدة بزور هذا الفطر ولذلك لا يمكن الحكم ان المشابهة تامَّة بينهُ وبين الفطر المصري

اعراضهُ

اعراض هذا المرض امَّا ذبول نبات القطن كلهِ ذبولاً سريعاً وموتهُ بعد ثلاثة ايام او انحناؤهُ عند مساواة سطح الارض . ولكن يجب الانتباه الى معرفة ما اذا كان هذا العرض الاخير ناشئاً عن المرض الذي نحن بصددهِ اوعن الدودة التي تنخر سوق القطن . فان الدودة تنخر ثلماً يحيط بساق النبات على علو ٥ او ٦ سنتمترات عن سطح الارض على الغالب فتنكسر الساق بسهولة من جرى ذلك . ثم ان وجود النخر الذي تنخرهُ دودة القطن ووجود مفرزاتها علامة فارقة لها عن النبات الفطري وفي كلتا الحالين المذكورتين آنفاً اي موت النبات وانحنائهِ تنتفخ ساقهُ فوق مساواة سطح الارض او تحتها اي فوق المكان المصاب او تحتهُ او فيهما كليهما. فيدقُّ القسم الذي بينهما كثيراً حتى يسهل كسرهُ . واذا فحص ظهر انهُ مشمول بخيوط من النبات الفطري تبرز منهُ على زوايا قائمة وعليها دقائق صغيرة من التراب

اما اقسام النبات التي فوق المكان المصاب وتحتهُ فتظهر صحيحة سليمة الاَّ اذا كان المرض شديداً فتصير الجذور مطَّاطة كالجلد . واما المكان المصاب فيكمد لونهُ واذا قطعت الساق طولاً ظهر ان المرض ممتدٌّ الى الانسجة الداخلية وان لون القسم الذي تحت الارض من الساق اخضر زيتوني . ويرى في المكان المصاب على الغالب جرح ملتئم كل الالتئام او بعضهُ ومن ذلك اشتق الاسم الاميركي مرض الوظيف لان المكان المصاب يصير كالوظيف وهو المكان الدقيق من قائمة الحيوان بين الحافر والساق وسبب الالتئام محاولة النبات ان يتخلَّص من المادة الفطرية بتكوين نسيج ذي جدران كثيفة من داخلهِ

طباعهُ

(١) اشدُّ ما يصاب القطن بهذا الفطر عند مساواة وجه الارض

(٢) يمكن ان تصيب خيوطهُ النبات السليم فتضرَّ بهِ

(٣) اذا وضعت هذه الخيوط في الماء انتشرت بسرعة وامتدت ٤ او ٥ سنتمترات في ١٢ ساعة

(٤) يتولد هذا الفطر من نوعين من البزور على الاقل تتكون في نسيج النبات

(٥) احد هذين النوعين مغلَّف بجدار خلوي كثيف وهو من النوع المسمى بالجراثيم الساكنة لانهُ يستطيع ان يبقى في التربة بلا عمل مدة طويلة ثم يتولَّد ويصير نباتاً جديداً

(٦) تصيب هذه الجراثيم نسيج النبات الذي هو مصدر نموّهِ وعليهِ فاذا كانت شديدة الوطأة توقف نموُّ النبات

علاجهُ

علاج هذا المرض على نوعين اما واقٍ واما شافٍ . فاما العلاجات الشافية فقلما تؤثر في النباتات السنوية كالقطن ولكن يمكن تجريب الآتية منها

(١) ضع ترابًا كثيرًا حول الشجيرات حتى تمنع ما اضعفهُ المرض منها عن الانحناء والسقوط

(٢) عند ريها ابقِ التربة المباشرة لسوق الشجيرات جافّةً لان هذه النباتات الفطرية قلما تنبت او لا تنبت ابدًا في التربة الجافّة

(٣) سمّد التربة بمزيج من نيترات الصودا واعلى الفوصفات على نسبة ١٠٠ رطل من الاول و٤٠٠ من الثاني لكل فدان . والغرض من ذلك تعجيل نموّ القطن وتمكينهُ من طرد النبات الفطري . غير ان معظم النفع يأتي من العلاجات الواقية وهي

(١) يجب ان لا تنقل حطب القطن المصاب من غيط الى آخر خشية نقل العدوى ويجب الحذر من القاء شيءٍ منهُ في الترع

(٢) يجب ايضًا منعًا لانتشار العدوى في الغيط الواحد ان تحرق القطن المصاب في ارضهِ ويترك معهُ كثير من التراب حينما يقلع لكي تهلك الجراثيم التي في الجذر وقسم كبير من الجراثيم التي في التراب حولها . ويجب ان لا ينقل شيءٌ من تراب الارض المصابة الى الارض السليمة بالتقصيب ونحوهِ

(٣) منعًا لبقاء المرض من سنة الى سنة يجب ان تحرق النباتات التي تموت بالمرض حالاً قبل ان تجفّ وتيبس ويصير انتقال العدوى سهلاً

(٤) يجب ان تكون مدة تعاقب زرع الارض طويلة على قدر الامكان (اي لا يكرر زرع القطن فيها الا كل ثلاث سنوات او اربع)

(٥) يحسن القاء فضلات معامل الغاز في الارض بعد قلع سوق القطن

(٦) يحسن ان تغمس التقاوي في بعض السوائل الكيماوية التي تميت بزور الفطر قبل زرعها

(٧) يجب ان لا يزرع الا التقاوي القوية في الاراضي المصابة

زرع الغابات في مصر

نرى من نظارة المالية ونظارة الاشغال العمومية اهتمامًا كبيرًا بحمل الناس على الاكثار

من زرع الاشجار حتى تكثر الحراج او الغابات في هذا القطر . وقد اطلعنا على شروط عقدتها حديثاً مع رجل انكليزي على ان يزرع الف فدان من سبعة آلاف فدان فيحق له ان يشتري ما يصلحهُ منها بثمن بخس واشترطت ان يزرع الالف الفدان شجرًا او سيسلاً وهو نبات يشبه الصبر او دم العفريت يستخرج من اوراقهِ الياف متينة لعمل الحبال ونحوها

وقد اعتنى المستر فلوير مدير التلغراف المصري بزرع الغابات على جانب خط سكة الحديد بين القناطر الخيرية والخطاطبة فترى هناك الوفًا والوف الوف من اشجار الصنوبر بعضها لا يزال صغيرًا جدًّا وبعضها بلغ ارتفاعهُ عدة امتار وما لا يحصى من نبات السيسل. واقتدى بهِ بعض المزارعين قرب الخطاطبة فاقاموا مظلَّة كبيرة تغطي مساحة واسعة من الارض زرعوا تحتها بزور الاشجار المختلفة لكي ينقلوها حالما تكبر وتصير تحتمل ان تزرع وحدها

السماد والقمح

الشائع ان السماد يفيد القمح تارةً ويضرهُ اخرى . والغالب انهُ ينميهِ كثيرًا ولكن هذا النمو يقتصر على السوق والاوراق ولا يتناول الحب بل كثيرًا ما يهيف القمح اذا كثر خصب ارضهِ ويأتي من غير حب او يكون حبهُ صغيرًا جدًّا . ولكن يظهر من تجارب ارباب الزراعة انهُ اذا كان السماد نيترات الصودا والفصفات الاعلى زاد الخصب وزاد الحب ايضاً اما نيترات الصودا فلا يستعمل الاَّ متى كبر نبات القمح لكي تمنع جذورهُ فقدان النيترات بماء التصافي

اما الفصفات الاعلى فيسمد الفدان بثلاثة قناطير منهُ تنشر على سطح الارض قبل البذر وحينما يعلو القمح ويصير ارتفاعهُ عشرة سنتيمترات او ١٥ سنتيمترًا عن سطح الارض يمكن ان يضاف اليهِ قنطار ونصف من نيترات الصودا مخلوطة بمقدار كافٍ من التراب الناعم لكي يسهل توزيعها في الارض واذا سمدت ارض القمح بالفصفات الاعلى والنيترات تكون كلفة الفدان مئة غرش . واذا سمدت بالنيترات فقط واستعمل منهُ قنطاران فالكلفة ٨٠ او ٨٥ غرشاً وهو مبلغ زهيد يعوَّض باكثر من ذلك من زيادة المحصول . واذا زرع القمح بعد القطن او الذرة التي اضيف اليها سباخ بلدي فيكون التسميد بنيترات الصودا كافياً واذا كانت الذرة مسبخة بسباخ كفري وزرع القمح بعدها فيفيدهُ التسميد بالفصفات الاعلى . ومن المقرر ان نيترات الصودا يفيد الحبوب كالقمح والشعير

وتظهر من الصورتين المقابلتين نتيجة التجارب التي جُرّبت في مصر اظهارًا لتأثير نيترات الصودا في القمح ففي الصورة العليا القمح البوهي مسمَّدًا بنيترات الصودا وغير مسمَّد فالمسمَّد هو الحزمة الكبيرة في يسار الصورة وغير المسمَّد الحزمة الصغيرة في يمينها وقد سمد الفدان بقنطار

ونصف من نيترات الصودا ثمنها ٦٥ غرشاً فزاد القمح ٦ كيلات والتبن حملين ويبلغ ثمن هذه الزيادة ١١ غروش ولم تستهلك كل فائدة السماد من الارض

وفي الصورة السفلى القمح الهندي وقد زاد حبهُ وتبنهُ كما زاد القمح البوهي. ولا بدَّ من اضافة نيترات الصودا الى الارض قبلما يعلو النبات كثيرًا والاَّ وقع السماد على اوراقهِ وسوقهِ ولا يحصل النفع التام منهُ الاَّ اذا وصل كلهُ الى الارض. ويجب ان يضاف هذا السماد حينما تجف الارض وقبل ان تروى الرية الاولى ويستحسن ان يكون التسميد باكرًا حتى اذا وقع المطر على السماد غارمعهُ في الارض

ونيترات الصودا تفيد الشعير كما تفيد القمح فيسمد الفدان منهُ بقنطارين من نيترات الصودا ويمكن ان يسمَّد بكبريتات النشادر . ويحسن ان يضاف الى السماد قليل من الفصفات الاعلى اذا كانت الارض ضعيفة جدًّا

تسميد الذرة

الذرة من اكثر المزروعات استفادة بالسماد كما لا يخفى وهي النبات الوحيد الذي يسمد دوامًا في هذا القطر . وعيدان الذرة كبيرة وحبها كثير ونموها سريع فتحتاج الى غذاء كثير واذا لم تجد ما يكفيها في الارض لم تنمُ كثيرًا ولا نتج منها غير حب قليل

والمستعمل في القطر المصري السباخ البلدي والسباخ الكفري واذا كان السباخ الكفري جيدًا ففائدتهُ للذرة اكبر من فائدة السباخ البلدي وقد ظهر من تجارب الجمعيَّة الزراعية في اراضيها بالجيزة انهُ اذا زرعت الذرة بعد القمح فستون حملاً من السماد الكفري تقوم مقام مئة وعشرين حملاً من السباخ البلدي وهذا يدل على ان الذرة تطلب ان يضاف الى الارض مادة نيتروجينيَّة تذوب فيها بسهولة اما اذا زرعت الذرة بعد البرسيم فالسباخ البلدي لا تقلُّ فائدتهُ كثيرًا عن السباخ الكفري. ثم ان السباخ البلدي يفيد الارض اكثر من السباخ الكفري اي يبقى فيها من الغذاء للنبات بعد الذرة اكثر مما يبقى فيها لو سمدت بالسباخ الكفري و يظهر ذلك اذا زرعت قمحًا بعد الذرة

والتسميد بالفصفات الاعلى يفيد جدًّا في كثير من الاطيان . ويكون التسميد بهِ قبل وضع البذار فيها اذا كانت مزروعة قمحًا قبل ذلك . ثم يسمد الفدان بقنطارين من نيترات الصودا حينما تعلو الذرة عن سطح الارض . والقمح الذي يزرع بعد الذرة المسمدة بالسباخ البلدي يجود اكثر من القمح الذي يزرع بعد الذرة المسمدة بالسباخ الكفري اذا تساوت بقية الاحوال

وترى في الصورة المقابلة صورة غيط من الذرة المسمدة بالفصفات الاعلى ونيترات الصودا وقف رجل فيهِ وامسك بيدهِ مقياسًا كتبت عليهِ الامتار فبلغ ارتفاع الذرة ثلاثة امتار وعرانيس هذه الذرة كبيرة جدًّا وفي العود منها عرنوسان او اكثر



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

عائشة تيمور

مضى على بنات المشرق قرون لم تنبغ منهنَّ شاعرة اوكاتبة الاَّ في ما ندر . ولقد كانت نسبة النساء الى الرجال في حلبة الادب قليلة دائماً ولكنها لم تكد تنقطع الاَّ في القرون الاخيرة وهذا غير ما كانت عليهِ الحال في عز الممالك الاسلامية وغير ما هي عليهِ الآن في الممالك الاوربية ولذلك كنتُ اعجب بالشاعرة المصرية المرحومة عائشة عصمت بنت المرحوم اسمعيل باشا تيمور وانا في بلاد الشام حتى اذا وصلت هذه الديار قصدت زيارتها فرأيت منها دعةً وعزة نفس وذكاءً وسعة اطلاع وتبصرًا وسرعة خاطر. سألتها عن كيف تيسر لها اخذ علوم اللغة والادب مع تعذر مطالبها وتشعُّب مسالكها فقالت لي كان المرحوم ابي يا تيني بجلة المشائخ فآخذ العلم عنهم من وراء الحجاب وكلما اجتمعوا في مجلسهِ وتذاكروا في مسائل العلم جلست وراء حجابي اسمع اقوالهم ومذاكراتهم واكثرت من المطالعة في كتب العلم ودواوين الشعراء من عرب وفرس الى ان صارت لي ملكة اللغة ونظمت ما نظمت من القصائد والمقاطيع واراني مع ذلك متطفلة على موائد الادب وما ارتشافي من كؤوس الادباء الاَّ ارواءٌ للنفس التي منَّ عليَّ الخالق بها

وقد ترددت عليها بعد ذلك فاطلعتني على كثير من منظوماتها و بعض ما كتبتهُ سجعاً او ترسُّلاً وعلى منظومات لها باللغة الفارسية

وكنت اراها ساذجة في لبسها لم ارَ عليها حليًا ولا حللاً كأنها تحسب ان حلة الادب تغني عن حلي الذهب

ومن يقف على ديوانها المسمَّى حلبة الطراز يتبين لهُ من خلال السطور انها كانت واسعة الاطلاع على الشعر العربي حافظة لكثير منهُ . وقد رأيت ان اورد بعض ابيات لها في مواضيع

مختلفة ليرى القراء مبلغ ما وصلت اليهِ في فنّ الادب وما حازتهُ من صناعة النظم . من ذلك قصيدتها المشهورة بمطلعها وهو

بيد العفاف اصون عزّ حجابي وبعصمتي اسمو على اترابي

ومنها وقد اجادت

فجعلتُ مرآتي جبين دفاتري وجعلت من نقش المداد خضابي
كم زخرفت وجنات طرسي انملي بعذار خطٍّ او اهاب شبابِ

ومنها ما عاقني خجلي عن العليا ولا سدل الخمار بلمتي ونقابي

وقالت في طب الهوى

يا من اتى للجسم يبرئ سقمهُ ويظن جالينوس بعض عبيدهِ
افنيت بالطب الذي تهذي بهِ امماً وقربت الردى ببعيدهِ
وزعمت انك انت قد جددتهُ ولقد اضعتَ قديمهُ بجديدهِ

وقالت في اثناء رمد

فدًا للعين مني كل عينٍ وما في الكون من ذهب وعينِ
يقلب في دثار السقم جسمي كأني فوق جمر الحرتينِ
تخالفت الاساة بطول وعدٍ يعللني ويأسٌ فيهِ حيني
وعهدي بالمياه حياة نفسي فمالي قد ظمئتُ بماء عيني
ابيتُ ومؤنسي الخفاش ليلاً وحالي معهُ شر الحالتينِ
ينافرني الضيا فافرُّ منهُ كأنَّ الضوء يطلبني بدينِ
وقد عفت الاساةَ وعدت ارجو طبيب الكون رب المشرقينِ

وقالت وقد شفيت من رمد

سفينة العين قد فازت من الغرقِ واشرقت تزدهي من ساحل الحدقِ

ومنها تخاطب النور

اهلاً بنور عيونٍ راقَ لي وصفا من بعد يأسي وطول الخوف والفرقِ
بايّ قولٍ احييهِ وعزتهُ عزت منالاً فلم تدرك لمستبقِ

ومن محاسن شعرها ما قالتهُ لاغراض خاصةٍ كقولها وقد كتبت بهِ الى احد اولادها

قلبي ببعدكَ لم يحمد محاورتي وفرَّ نحو حبيب في حشاهُ ربي
قل لي بطلعتك الغرا وعزتها واحكم كما ترتضي متّعت بالاربِ

من غير قلبٍ ابقى روح عائشة لا والذي زان هذا المجد بالادبِ

وقولها وقد عاودها الرمد

فوا اسفي على انسان عيني غدا في سجن سقمٍ واعتقالِ
حياتي بعد بعدك لا اراها سوى سكرات نزعات ثقالِ
امسُّ الكتب من شغفي عليها وابلى حسرة من سوء حالي
تمسُّ المصحف الاسمى يميني وقد وضعت على قلبي شمالي
وانشدهُ لآيك طال شوقي ومالي غيرها عزٌّ ومالي

ولها في فن الموالي ادوار غاية في الرقة منها قولها

ان جزت بالركب يا حادي المطايا عود للّي شذاهم لدى اهل المحبة عود
وانظر متيم صبح من هجرهم كالعود وارحم عليل الهوى واردد عليهِ روحه
ما لهُ سواهم بطبه من يجود و يعود

وقولها وهو مما يتغنى بهِ اهل مصر والشام

لمستشار الغرام قدمت اعراضي اني لحكم المحاسن متبع راضي
جمالك اللي محا رسمي واعراضي طايع اوامر لحاظه ان عدل او جار
قل لي دخيلك على اسباب اعراضي

ومثل ذلك قولها

الله اكبر دعاني الحب للتعذيب وكلما ازداد التقي في العذاب تعذيب
يا لائمي فيهِ تأمل كم ترى تهذيب مناقب الحب مسطورة على الوجنات
ختامها المسك مستغني عن التهذيب

هذا وان كان شعرها المنظوم يشف عن اطلاع واسع وحفظ كثير لان اكثر المعاني التي طرقتها مطروق من قبلها اوردهُ كبار الشعراء على اساليب شتى فائقة في البلاغة والتنميق الا ان ما نظمتهُ في بعض المواضيع الخاصة وما قالتهُ من الموالي والادوار يدلُّ على قريحة وقادة وخاطر سريع ونفس زكية تُتمثَّل لها المعاني الشعرية فلا يلبث خاطرها ان يحضر الكلمات موزونة الالفاظ محكمة القوافي ولو سمحت لها عادات المشرق بمطارحة الشعراء ومساجلة العلماء ولو تعلمت لغة اوربية واطلعت على ما قالهُ غيرها من شعراء اوربا لابقت من آثارها اضعاف ما ابقتهُ في حلبة الطراز. وحبذا لو عني اولادها بتنقيح ديوانها واعادة طبعهِ واضافوا اليهِ ما نظمتهُ بعد نشرهِ مع ترجمة مسهبة لحالها عسى ان يقتدي كثيرات من ربّات الحجاب بها احدى قارئات المقتطف

كريمة قوم

اراكم تذكرون في المقتطف بعض النساء الشهيرات في العلم او الانشاء او الموسيقى او السياسة . الاَّ ان نجاح الامم لا يتوقَّف على هؤُلاء النوادر بل يشترك فيهِ غيرهنَّ من اللواتي اشتهرن بمكارم الاخلاق حتى صرن قدوة لبنات نوعهنَّ وقوَّين ما ورثنهُ من الركانة والدعة والشفقة حتى تقوى هذه الاخلاق في اولادهنَّ وبذلك ينتفع نوع الانسان اكثر مما ينتفع من كتاب وُضع في التربية او رسالة أُلِّفت في الاخلاق. واني التمس لكم عذرًا على اغفالكم ترجمات هؤُلاء النساء لقلَّة ما يعرف عنهنَّ . الاَّ انني اعرف سيدة توفاها الله في هذه الاثناء تشهد سيرتها انها كانت خير قدوة يقتدى بها وهي المرحومة السيدة انجلينا صيفي قرينة جناب الوجيه الخواجا ويصا بقطر ابنة الخواجه سلامة الصيفي كبير عائلة الصيفي من اشهر عائلات اسيوط وجرجا القديمة

لاسبيل لي لاعرف كيف تربَّت الفقيدة ولا ما هي الاخلاق التي ورثتها عن والديها ولكنني اعرف كما يعرف كل الذين عاشروها انها كانت رضية الخلق منكرة ذاتها الى حد يفوق الوصف فلم تغضب احدًا مدى حياتها لا سيدًا ولا خادمًا ولا قريبًا ولا غريبًا ولذلك اجمع خدمها على حبها وكل الذين عرفوها على اكرامها عدا ما كانت تلقى من اهل بيتها من الحب والاكرام . والخلق الرضي خير الاخلاق وبهِ تصير الارض سماء والحياة سعادة . وكل نجاح غير مصحوب بخلق رضي لا يزيل غصص الحياة ولا يحلّي مرارتها. والصحة نفسها من غير خلق رضي تلقي صاحبها في المشاكل والغموم

هذا هو الخلق الاول الذي اشتهرت بهِ. والخلق الثاني عقلي وهو شدَّة ذكائها واصالة رأْيها فان ذويها كانوا يستشيرونها في امورهم فتشور عليهم بالرأْي الصواب. والذكاء هو من الاخلاق التي تشتهر بها النساء عادةً لكنهُ كان فيها على اشدهِ

وكانت مع ذكاء عقلها وطيب اخلاقها كريمة رقيقة القلب تتصدق على الفقراء سرًّا وجهرًا وتجود بكل ما تصل اليهِ يدها من النقود وكان الفقراء يعدُّونها امًّا شفوقة فلما توفاها الله سار النساء المسكينات وراء نعشها يبكينها بدموع سخينة ويندبنَ خسارتهنَّ بموتها

واذا اتَّصف الانسان بقوة العقل ورضى الاخلاق ورقة القلب لا يبقى بينهُ وبين الكمال الذي نطمع بالحصول عليهِ في هذه الدنيا الاَّ ان يكون حسن التديُّن شديد الثقة بخالقهِ يقابل متاعب الحياة بايمان وطيد حاسبًا ان زمان تجربتهِ قصير وانهُ ينال راحة ابدية بعد الموت وهذا كان شأن الفقيدة الفاضلة . مرضت منذ عشرين عامًا مرضًا عضالاً قال الاطباء انها لا تشفى منهُ

فاخذ اولادها يبكون وينوحون اما هي فكانت تعتقد حينئذٍ ان اجلها طويل فلامتهم على بكائهم وحقق الله اعتقادها فشفيت بعد قليل

ثم اصيبت بالداء الاخير الذي توفيت بهِ داء السرطان الذي عجز الاطباء حتى الآن عن اكتشاف دواء شافٍ لهُ فعلمت ان اجلها قد دنا وصارت تطلب من الله ان يسرع انتقالها اليهِ فلبى طلبها وذهبت مبكيةً من زوجها واولادها واصهارها وكل الذين عرفوها

لم تؤلف فقيدتنا كتباً في علم الحساب والفلك والطبيعيات ولا اكتشفت اكتشافات علمية ذات شأن ولا اشتهرت في الاندية العلمية والادبية مثل بعض اللواتي ورد ذكرهنَّ في المقتطف ولكنها امتازت بهذه الاخلاق الفاضلة وافادت ابناء نوعها بقدوتها وصدقاتها وربت اولادًا رجالاً ونساء تفتخر بهم الهيئة الاجتماعية الشرقية وهذا ما حدا بي الى كتابة هذه السطور لتنشر في مجلة المقتطف . وقد كانت وفاتها في الثالث من شهر يونيو الجاري

اسيوط احد المشتركين

العصبي

العصبي كلمة اصطلح عليها السيدات للدلالة على كل ضعف عصبي مهما كان سببهُ ومهما كانت اعراضهُ

والضعف العصبي شائع جدًّا بين نساء المدن وهو قليل بين نساء الارياف اللواتي يساعدنَ رجالهنَّ في اعمال الزراعة المختلفة لا لانهنَّ لا يشتغلن اشغالاً تتعب اعصابهنَّ وتضعفها بل لان اعصابهنَّ قوية تحتمل التعب من غير الم وهي مثل سائر اعضائهنَّ من هذا القبيل فكما ان المرأة المدنية المترفهة لا تستطيع ان تمشي نصف ساعة من غير ان تشعر بتعب شديد والمرأة الفلاَّحة تمشي خمس ساعات ولا تشعر بالتعب كذلك المرأة المدنية المرفهة تتعب اعصابها لاقل عمل والمرأة القروية الفلاَّحة لا تشعر اعصابها بالتعب ولو اشتغلت ساعات متوالية

ويظهر التعب العصبي في ان ضربات القلب لا تعود منتظمة والتنفُّس يصير قصيرًا ولا يعود العقل ينصبُّ على موضوع واحد بسهولة ويكثر القلق والالم بعد الاكل . وما اشبه من الاعراض التي تشكو منها النساء المصابات بالضعف العصبي

وتعود دقائق الاعصاب الى حالها الطبيعية من الصحَّة والقوة بالراحة والغذاء الجيد وهي تنال هذه الراحة وهذا الغذاء مدة النوم ولكن اذا اشتدَّ الضعف العصبي امتنع النوم او قلَّ كثيرًا فلم تعد دقائق الاعصاب تستريح الراحة الكافية

واذا بلغ الضعف العصبي هذا المبلغ حتى قلّ النوم وزاد القلق صارت المرأة تستصعب الاعمال التي كانت تستسهلها وتنفر مما كانت تسرُّ بهِ . واخيرًا تضطر ان تنقطع عن كل اعمالها رغمًا عنها بسبب ضعف اعصابها ولا تشفى من هذا الضعف الاَّ اذا استراحت راحة تامَّة مدة طويلة واعتنت بصحتها وغذائها اعتناء خاصًّا

واسباب الضعف العصبي كثيرة اولها الميل الوراثي فاذا كان احد الوالدين ضعيف الاعصاب او كانا كلاهما ضعيفي الاعصاب فالغالب ان اولادهما يكونون ميَّالين الى الضعف العصبي او يكون الميل فيهم الى الضعف العصبي اشد مما هو في المولودين من آباء لا مرض عصبي فيهم . وكذلك اذا كان احد الوالدين او كلاهما من مدمني المسكرات او من المصابين بالسل او بالزهري فان اولادهم يكونون معرَّضين لضعف الاعصاب اي تكون اعصابهم ضعيفة من اصلها لا تحتمل التعب الشديد والشغل الكثير وقوة التجديد فيهم ضعيفة فاذا تلفت دقائق اعصابهم من كثرة العمل لم تبدل بدقائق جديدة بسهولة

والسبب الثاني الصدمات الشديدة وهذه الصدمات قد تكون فجائية فتضعف الاعصاب كأنها تمزقها او تمزّق بعضها كما ترى في الامثلة التالية

(١) كان رجل كهل سائرًا هو وزوجتهُ في سكة الحديد فاصيب القطار بحادث قتل بهِ بعض الركاب وجرح بعضهم اما الرجل وزوجتهُ فظهر انهما لم يصابا بمكروه وخرجا من القطار ودخلا منزلاً ليستريحا فيهِ وناما ليلتهما ونهض الرجل في الصباح ولبس ثيابهُ وخرج من الغرفة لينزل الى الطبقة السفلى وبأمر الخدم بتهيئة الفطور لهُ ولزوجتهِ لكنهُ جلس على اعلى السلَّم وجعل يبكي كالطفل ثم تبيَّن ان اعصابهُ ايفت فصار يخشى من كل فراغ يراهُ امامهُ على اثر الصدمة التي اصابتهُ وقت اصطدام القطار

(٢) امرأة كانت مسافرة في بلاد النمسا فدخل القطار بها سربًا مظلمًا بغتةً فتأثَّرت اعصابها من جراء ذلك واعتلَّت صحتها وداعت شركة سكة الحديد مدعية انهُ لو كانت المركبات منارة ما اصابها ذلك الخلل فحكم القضاة انها محقة في طلبها وحكموا لها باربع مئة جنيه تعويضًا ومعاش سنوي مدى حياتها

(٣) رجل كان مسافرًا في بلاد الانكليز فحادت المركبة التي كان فيها عن الخط لكنهُ لم يشعر بشيءٍ على ما ظهر لهُ في اول الامر ثم وجد في اليوم التالي انهُ مصاب بضعف عصبي شديد ولا يستطيع ان يسافر في قطار سريع ولا سبب لذلك الاَّ الصدمة العصبيَّة التي حدثت لهُ

ثم اذا كان الضغط على الاعصاب متدرّجًا فهو حاصل في الغالب من كثرة الاشتغال ولاسيا

اذا كان الشغل في موضوع لا يلتذّ بهِ الانسان

ومن هذا القبيل قلق البال سواءٌ كان بسبب عدم النجاح في الاشغال او بسبب الحب او بنحو ذلك من الاسباب فانهُ كلهُ يضعف الاعصاب وينهكها

والشغل الكثير لا يتعب الناس كلهم على حدّ سوى فبعض الناس يشتغلون ساعات كثيرة كل يوم ولا يتعبون كما يتعب غيرهم ولو اشتغل ساعات قليلة لان اعصابهم تستردّ قوّتها حالاً حتى انهم اذا ناموا دقائق قليلة نهضوا وقد انتعشت قواهم كما تنتعش قوى غيرهم بنوم ساعات عديدة

قيل ان بلزاك الكاتب الفرنسوي الشهير كان يشتغل ثماني عشرة ساعة متوالية كل يوم لا يستريح فيها الاَّ دقائق قليلة لتناول الطعام وكان طعامهُ حينئذٍ فنجانًا من القهوة ويقال انهُ كتب رواية من رواياتهِ في جلسة واحدة

والشغل الكثير لا يضرُّ الانسان ما دام في سن الشباب وعنفوان القوَّة ولكن اذا اكتهل او شاخ فمنهُ ضرر كثير ويظهر ضررهُ اولاً بالقلق وسوء الهضم واضطراب فعل القلب وفقد الذاكرة كأَن من يسرع في حياتهِ يسرع في صرم حبلها وعليهِ أَلَّف بلزاك ٨٥ رواية في عشرين سنة لكنهُ مات في السنة الخمسين من عمرهِ

وقد شاع الآن مع تعليم البنات اغراؤُهن بنيل الشهادات العليا التي تقتضي الدرس الكثير فينهكنَ قواهنَّ العقلية والبدنية في الدرس والسهر والصوم ويخرجنَ من هذا الميدان بالشهادات المدرسيَّة ولكنهنَّ يضعن صحَّة ابدانهنَّ وقوَّة عقولهنَّ

ولا يقف الشرُّ عند هذا الحد بل ان كثيرات من المصابات بالضعف العصبي يحاولنَ شفاءهُ بما يوجب الضعف الدائم ولو سكَّن الالم الوقتي كالمسكرات والمخدرات ولا سيما المورفين والكوكايين وقد عُدَّ السيدات اللواتي يتعاطين المورفين حقنًا تحت الجلد في مدينة باريس منذ عشر سنوات فوجد عددهنَّ مئة الف وهذا من شر آفات التمدن الحديث . ويتلوهُ في الضرر الاكثار من شرب الشاي والقهوة لتسكين الاعصاب

وعلاج الضعف العصبي على نوعين واقٍ وشافٍ امَّا العلاج الواقي فينتبَه لهُ من الصغر في اولاد المعرضين للضعف العصبي فيقلَّل درسهم ويعوَّدون ترويض ابدانهم في الخلاء ترويضًا معتدلاً لان الترويض المتعب ينهك الاعصاب كالشغل العقلي الشاق . ولا بدَّ لهم من النوم الكثير ثماني ساعات في اليوم على الاقل

امَّا العلاج الشافي فيقوم بحسن التغذية وتكثير النوم فتغذى المرأة المصابة بالضعف العصبي

بشرب اللبن الكثير واكل الخبز المبلول بهِ وتمنع عن السهر وتعفى من مقابلة الزوار وترسل الى مزرعة او ابعدية بعيدة عن المدن وتطعم الطعام المغذي وتمنع من الاشغال العقليَّة على قدر الامكان وهذا قد لا يغني عن معالجة الاطباء

البَخَر

البَخَر من اقبح الادواء ولو لم تكن عواقبهُ وخيمة . وسببهُ الاصلي في بنية الانسان ولكن لهُ اسباب اخرى مهيئة وهي ضعف الغشاء المخاطي الذي يبطن الفم والحلق والمعدة فانهُ اذا كان هذا الغشاء ضعيفاً لم يطرح الدقائق التي تنحلُّ منهُ بسهولة لتجديد غيرها . وبقاء الطعام في المعدة غير مهضوم . ويعالج بتنظيف الفم جيدًا من فضلات الطعام واصلاح الهضم باخذ مسهل خفيف مثل درهمين او ثلاثة من الملح الانكليزي مذابة في ملعقتين من ماء الكافور ويحسن ان تذاب ١٥ قمحة من كلورات البوتاسا في ثمانية دراهم من الماء وتؤخذ جرعتين في النهار

مدرسة طرابلس الشام الاميركية

مرَّ على هذه المدرسة اكثر من ربع قرن وهي تقدم الى الوطن العزيز في كل ربيع طاقة من المتهذبات تتزين بهنَّ سورية ومصر زينة دائمة . وقد احتفلت حسب عادتها هذا العام بمنح الشهادات . فوفد المدعوون من كل النواحي الى محفلها مساء الثاني من ايار (مايو) . ولما استوى بهم المجلس ساد السكون وتحركت النفوس طرباً عند سماع نغم بعيد منعش كان يدنو رويدًا رويدًا حتى انتهى الى باب المحفل فظهرت تلميذات المدرسة على ترتيب بديع يترنمنَ وهنَّ سائراتٍ . ووراءهنَّ المنتهيات بملابسهنَّ البيضاء وبعد ان أُفتتح الاحتفال بالصلاة القت المنتهيات خطبهنَّ وهنَّ الاوانس اسما زرعوني استهلت بقصيدة وخطبت في " الفن المهمل " ولورتا لاذقاني في " الادب " . وفكتوريا كاتسفليس في " اليد الفاضلة " . وزكية غراب في " التمدن الحقيقي " . ومرتا عطية في " كتاب عجيب " . واسما صبيعه في " ساحة الحرب " وختمت خطبتها بالوداع المؤثر . وتلاهنَّ القس الفاضل وليم ادي بخطاب نفيس موضوعهُ اقتدار الشخص الواحد . ثم وزعت رئيسة المدرسة الشهادات وختم الاحتفال بترنيمة وداعية

ومساء الاحد التالي غصَّ المحفل بالمدعوين لاستماع العظة البكلورية التي قدمها استاذ المدرسة جرجس افندي الخوري ومضمونها ارشادات للمنتهيات في حياتهنَّ المستقبلة وخرج الناس يدعون بنجاح بيوت العلم

نجيب خوري

ثابت بن قرة الحراني

حضرة الفاضلين منشئَي المقتطف الاغر

بينما كنت اطالع في مذكرة رياضية فرنسوية شاملة لكثير من قوانين الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات والميكانيكالديبوي (J. Dupuis) وجدت القانونين الآتيين

$$2^n (3.2^n - 1)(3.2^{n-1} - 1).$$
$$2^n (9.2^{2-1} - 1).$$

قال المؤلف ان واضعهما هو الرياضي العربي الشهير ثابت بن قره الذي عاش في اواخر القرن التاسع وانهما منقولان الى الفرنسوية عن كتاب لهُ في علم الحساب . وحيث لم اعلم للآن ان لهذا الرياضي العربي مؤلفات مطبوعة ولا كتب رياضية مترجمة عنهُ فقد حررت لحضرتكم هذه السطور على امل ان تمنوا علي بعد البحث الدقيق بذكر هذه المؤلفات لاسيما ما كان منها متعلقاً بنوع خصوصي بالري وفن العمارة وكيفية اقتنائها وذلك في العدد المقبل من مجلتكم الغراء هذا ولكم مني جزيل السلام ووافر الشكر سلفاً

مصطفى بهجت هدايت

مهندس بقسم مشروعات الري بالمنيا

(المقتطف) لثابت بن قرة الحراني الفلسفي كتب كثيرة تعدُّ بالمئات لا كتاب منها في المكتبة الخديوية ولا نتذكر الآن اننا رأينا كتاباً منها ولكننا لا نظن ان فيها كتباً في فن الري والعمارة . وقد ذكر ابن ابي اصيبعه ترجمة ثابت ابن قرة في كتابهِ عيون الانبا ولا بأس بنشر بعضها هنا ليعلم مقدار اجتهاد الاولين قبل ان شغلوا بما لا طائل تحتهُ قال

ابو الحسن ثابت بن قرة الحراني كان من الصابئة المقيمين بحران ويقال الصابئون وثابت هذا هو ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن ابراهيم بن كرايا بن مارينوس بن سالايونوس وكان صيرفياً بحران ثم استصحبهُ محمد بن موسى لما انصرف من بلد الروم لانهُ رآهُ فصيحاً وقيل انهُ قرأ على محمد بن موسى فتعلم في دارهِ فوجب حقهُ عليهِ فوصلهُ بالمعتضد وادخلهُ في جملة المنجمين وهو اصل ما تجدَّد للصابئة من الرئاسة في مدينة السلام وبحضرة الخلفاء.ولم يكن في زمن ثابت بن قرة من يماثلهُ في صناعة الطب ولافي غيرهِ من جميع اجزاء الفلسفة ولهُ تصانيف مشهورة بالجودة وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريتهِ ومن اهلهِ يقاربونهُ فيما كان عليهِ من حسن التخرج والتمهر في العلوم . ولثابت ارصاد حسان للشمس تولاها ببغداد وجمعها في كتاب بيَّن فيهِ مذهبهُ في سنة الشمس وما ادركهُ بالرصد في موضع اوجها ومقدار

سنيها وكمية حركاتها وصورة تعديلها . وكان جيد النقل الى العربي حسن العبارة وكان قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها . وقال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة ان الموفق لما غضب على ابنهِ ابي العباس المعتضد بالله حبسهُ في دار اسمعيل بن بلبل وكان احمد الحاجب موكلاً بهِ وتقدم اسمعيل بن بلبل الى ثابت بن قرة بان يدخل الى ابي العباس ويؤنسهُ وكان عبدالله بن اسلم ملازماً لابي العباس فأَنس ابو العباس بثابت بن قرة أُنساً كثيراً وكان ثابت يدخل اليهِ الى الحبس في كل يوم ثلاث مرات يحادثهُ ويسليهِ ويعرفهُ احوال الفلاسفة وامر الهندسة والنجوم وغير ذلك فشغف بهِ ولطف منهُ محلهُ فلما خرج من حبسهِ قال لبدر غلامهِ يا بدر اي رجل افدنا بعدك فقال من هو يا سيدي فقال ثابت بن قرة . ولما تقلد الخلافة اقطعهُ ضياعاً جليلة وكان يجلسهُ بين يديهِ كثيراً بحضرة الخاص والعام ويكون بدر الامير قائماً والوزير وهو جالس بين يدي الخليفة . قال ابو اسحق الصابئ الكاتب ان ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة . للرياضة وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ثم نتر المعتضد يدهُ من يد ثابت بشدّة ففزع ثابت فان المعتضد كان مهيباً جدًّا فلما نتر يدهُ من يد ثابت قال لهُ يا أَبا الحسن (وكان في الخلوات يكنيهِ وفي الملإ يسميهِ) سهوتُ ووضعتُ يدي على يدك واستندت عليها وليس هكذا يجب ان يكون فان العلماء يعلون ولا يُعلون . وكان مولد ثابت بن قرّة في سنة احدى عشرة ومائتين بحرّان في يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر وتوفي سنه ثمان وثمانين ومائتين ولهُ من العمر سبع وسبعون سنة . وقال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة كانت بين ابي احمد يحيى بن علي بن يحيى بن المنجم النديم وبين جدي ابي الحسن ثابت بن قرّة رحمهُ الله مودّة اكيدة ولما مات جدّي في سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين رثاهُ ابو احمد بابيات هذه هي

أَلا كل شيء ما خلا الله مائتُ ومن يغترب يرجَ ومن مات فائتُ
ارى من مضى عنَّا وخيَّم عندنا كسفر ثووا ارضاً فسارٍ وبائت
نعينا العلوم الفلسفيَّات كلها خبا نورها اذ قيل قد مات ثابت
واصبح اهلوها حيارى لفقدهِ وزال به ركن من العلم ثابت
وكانوا اذا ضلوا هداهم لنهجها خبير بفصل الحكم للحق ناكت
ولما اتاهُ الموت لم يغنِ طبهُ ولا ناطق ممَّا حواهُ وصامت
ولا امتعتهُ بالغنى بغتة الردى أَلا رب رزق قابل وهو فائت
فلو انهُ يسطاع للموت مدفع لدافعهُ عنهُ حماة مصالت

ثقاة من الاخوان يصفون ودَّهُ ... وليس لما يقضي بهِ الله لافت
ابا حسن لا تبعدنْ وكانما ... لهلكك مفجوعٌ لهُ الحزن كابت
أآمل ان تجلى عن الحق شبهة ... وشخصك مقبورٌ وصوتك خافت
وقد كان يسرو حسن تبيينك العمى ... وكلٌ قؤول حين تنطق ساكت
كأنك مسئولاً من البحر غارف ... ومستبدئاً نطقاً من الصخر ناحت
فلم يتفقدني من العلم واحد ... هراق اناء العلم بعدك كابت
وكم من محب قد افدت وانهُ ... لغيرك ممن رام شأوك هافت
تهذبت حتى لم يكن لك مبغض ... ولا لك لمّا اغنالك الموت شامت
وبرّزت حتى لم يكن لكَ دافعُ ... عن الفضل الاّ كاذب القول باهت
مضى علم العلم الذي كان مقنعاً ... فلم يبقَ الاّ مخطىءٌ متهافت

وكان من تلامذة ثابت بن قرة عيسى بن اسيد النصراني وكان ثابت يقدمهُ ويفضلهُ وقد نقل عيسى بن اسيد من السرياني الى العربي بحضرة ثابت ويوجد لهُ كتاب جوابات ثابت لمسائل عيسى بن اسيد

ولابي الحسن ثابت بن قرة الحراني من الكتب كتاب في سبب كون الجبال . مسائلهُ الطبية . كتاب في النبض . كتاب وجع المفاصل والنقرس . جوامع كتاب باريمينياس . جوامع كتاب انالوطيقا الاولى . اختصار المنطق . نوادر محفوظة من طوبيقا. كتاب في السبب الذي من اجلهِ جعلت مياه البحر مالحة. اختصار كتاب مابعد الطبيعة. مسائلهُ المشوّقة الى العلوم. كتاب في اغاليط السوفسطائيين. كتاب في مراتب العلوم. كتاب في الرد على من قال ان النفس مزاج. جوامع كتاب الادوية المفردة لجالينوس ، جوامع كتاب المرة السوداء لجالينوس. جوامع كتاب سوء المزاج المختلف لجالينوس. جوامع كتاب الامراض الحادة لجالينوس. جوامع كتاب الكثرة لجالينوس. جوامع كتاب تشريح الرحم لجالينوس. جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة اشهر . جوامع ما قالهُ جالينوس في كتابهِ في تشريف صناعة الطب . كتاب اصناف الامراض كتاب تسهيل المجسطى. كتاب المدخل الى المجسطى. كتاب كبير في تسهيل المجسطى لم يتم وهو اجود كتبهِ في ذلك. كتاب في الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادتين مقالتان (صنف هذا الكتاب سريانيًّا لانهُ اومأ فيهِ الى الردّ على الكندي ونقلهُ الى العربي تلميذ لهُ يعرف بعيسي بن اسيد النصراني واصلح ثابت العربي وذكر قوم ان الناقل لهذا الكتاب حبيش بن الحسن الاعسم وذلك غلط وقد ردَّ ابو احمد الحسين بن اسحق بن

ابرهيم المعروف بابن كرنيب علي ثابت في هذا الكتاب بعد وفاة ثابت بما لا فائدة فيهِ ولا طائل وهذا الكتاب انفذهُ لما صنفهُ الى اسحق بن حنين فاستحسنهُ استحساناً عظيماً وكتب في آخرهِ بخطهِ يقرظ ابا الحسن ثابتا ويدعو لهُ ويصفهُ) . جوامع كتاب القصد لجالينوس. جوامع تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في الاهوية والمياه والبلدان . مقالة كتاب في العمل بالكرة. كتاب في الحصى المتولد في الكلى والمثانة. كتاب في البياض الذي يظهر في البدن. كتاب في مسألة الطبيب للمريض . كتاب في سوء المزاج المختلف . كتاب في تدبير الامراض الحادة. رسالة في الجدري والحصبة. اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس . كتاب في قطع الاسطوانة . كتاب في الموسيقى. رسالة الى علي بن يحيي المنجم فيما امر باثباتهِ من ابواب علم الموسيقى. رسالة الى بعض اخوانهِ في جواب ما سألهُ عنهُ من امور الموسيقى. كتاب في اعمال ومسائل اذا وقع خط مستقيم علي خطين . مقالة اخرى لهُ في ذلك . كتاب في المثلث القائم الزاوية . كتاب في الاعداد المتحابة . كتاب في الشكل القطاع . كتاب في حركة الفلك . كناشهُ المعروف بالذخيرة الفهُ لولدهِ سنان بن ثابت . جوابهُ لرسالة احمد بن الطيب اليهِ . كتاب في التصرف في اشكال القياس . كتاب في تركيب الافلاك وخلقتها وعددها وعدد حركات الجهات لها والكواكب فيها ومبلغ سيرها والجهات التي تتحرك اليها . كتاب في جوامع المسكونة . كتاب القرسطيون. رسالة في مذهب الصابئين وديانانهم. كتاب في قسمة الارض. كتاب في الهيئة . كتاب في الاخلاق . كتاب في مقدّمات اقليدس. كتاب في اشكال اقليدس . كتاب في اشكال المجسطي . كتاب في استخراج المسائل الهندسية . كتاب رؤية الاهلة بالجنوب . كتاب رؤية الاهلة من الجداول . رسالة في سنة الشمس. رسالة في الحجة المنسوبة الى سقراط. كتاب في ابطاء الحركة في فلك البروج وسرعتها وتوسطها بحسب الموضع الذي يكون فيهِ من الفلك الخارج المركز. جواب ما سئل عنهُ عن البقراطيين وكم مبلغ عددهم. مقالة في عمل شكل مجسم ذي اربع عشرة قاعدة تحيط بهِ كرة معلومة. مقالة في الصفرة العارضة للبدن وعدد اصنافها واسبابها وعلاجها . مقالة في وجع المفاصل . مقالة في صفة كون الجنين . كتاب في علم ما في التقويم بالممتحن . كتاب في الاظلال . كتاب في وصف القرص . كتاب في تدبير الصحة . كتاب في محنة حساب النجوم . كتاب تفسير الاربعة . جوامع كتاب النبض الكبير لجالينوس. كتاب الخاصة في تشريف صناعة الطب وترتيب اهلها وتعزيز المنقوصين منهم بالنفوس والاخبار ان صناعة الطب اجلّ الصناعات كتب بهِ الى الوزير ابي القاسم عبيدالله بن سليمان . رسالة في كيف ينبغي ان يسلك الى نيل المطلوب من المعاني الهندسية . ذكر آثار

ظهرت في الجو واحوال كانت في الهواء مما رصد بنو موسى وابو الحسن ثابت بن قرة. اختصار كتاب جالينوس في قوى الاغذية . ثلاث مقالات مسائل عيسى بن اسيد لثابت بن قرة واجوبتها لثابت. كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها. المدخل الى كتاب اقليدس وهو في غاية الجودة. كتاب المدخل الى المنطق . اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس. شرح السماع الطبيعي مات وما تممهُ . كتاب في المربع وقطره . كتاب فيما يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته. كتاب في علة كسوف الشمس والقمر عمل اكثره ومات وما تممهُ. كتاب الى ابنهِ سنان في الحث على تعلم الطب والحكمة. جوابان عن كتابي محمد بن موسى بن شاكر اليهِ في امر الزمان . كتاب في مساحة الاشكال المسطحة وسائر البسط والاشكال. كتاب في ان سبيل الاثقال التي تعلق على عمود واحد منفصلة هو سبيلها اذا جعلت ثقلاً واحدًا مبثوثًا في جميع العمود على تساوٍ . كتاب في طبائع الكواكب وتأثيراتها. مختصر في الاصول من علم الاخلاق . كتاب في آلات الساعات التي تسمى رخامات. كتاب في ايضاح الوجه الذي ذكر بطليموس ان بهِ استخرج من تقدمهُ مسيرات القمر الدورية وهي المستوية . كتاب في صفة استواء الوزن واختلافهِ وشرائط ذلك . جوامع كتاب نيقوماخس في الارثماطيقي . مقالتان اشكال لهُ في الحيل . جوامع المقالة الاولى من الاربع لبطليموس . جوابهُ عن مسائل سألهُ عنها ابو سهل النوبختي . كتاب في قطع المخروط المكافي . كتاب في مساحة الاجسام المكافية . كتاب في مراتب قراءة العلوم. اختصار كتاب ايام البحران لجالينوس . ثلاث مقالات اختصار كتاب الاسطقسات لجالينوس . كتاب في اشكال الخطوط التي يمر عليها ظل المقياس . مقالة في الهندسة الفها لاسمعيل بن بلبل . جوامع كتاب جالينوس في الادوية المنقية . جوامع كتاب الاعضاء الآلمة لجالينوس . كتاب في العروض . كتاب فيما اغفلهُ ثاون في حساب كسوف الشمس والقمر . مقالة في حساب خسوف الشمس والقمر . كتاب في الانواء ما وجد من كتابهِ في النفس . مقالة في النظر في امر النفس . كتاب في الطريق الى اكتساب الفضيلة . كتاب في النسبة المؤلفة . رسالة في العدد الوفق . رسالة في تولد النار بين حجرين . كتاب في العمل بالمعتحن وترجمتهُ ما استدركهُ على حبش في المعتحن. كتاب في مساحة قطع الخطوط . كتاب في آلة الزمر . كتب عدَّة لهُ في الارصاد عربي وسرياني كتاب في تشريح بعض الطيور واظنهُ مالك الحزين . كتاب في اجناس ما تقسم بهِ الادوية صنف بالسرياني . كتاب في اجناس ما تنقسم اليهِ الادوية بالسرياني . كتاب في اجناس ما توزن بهِ الادوية بالسرياني . كتاب في هجاء السرياني واعرابهِ. مقالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسيَّة. اصلاحهُ

للمقالة الاولى من كتاب ابلونيوس في قطع النسب المحدودة وهذا الكتاب مقالتان اصلح ثابت الاولى اصلاحاً جيدًا وشرحها واوضحها وفسرها والثانية لم يصلحها وهي غير مفهومة . مختصر في علم النجوم . مختصر في علم الهندسة . جوابات عن مسائل سألهُ عنها المعتضد كلام في السياسة . جواب لهُ عن سبب الخلاف بين زيج بطليموس وبين الممتحن . جوابات لهُ عن عدة مسائل سأل عنها سند بن علي . رسالة في حل رموز كتاب السياسة لافلاطن . اختصار القاطيغورياس "

والغريب من امر هذه الكتب اننا لم نجد منها كتابًا في المكتبة الخديوية وهي من اوسع المكاتب العربية فهل فقدت كلها او تفرَّقت في مكاتب المشرق او نقلت الى مكاتب اوربا . ويظهر من اسمائها ان علماء المشرق كانوا في صدر الاسلام يترجمون كتب الفلسفة والعلوم الرياضية والهندسية والقطوع المخروطية ويشرحونها ويعلمونها في مدارسهم وعلماء المشرق الآن لا يفهمونها لو قرأوها

اغنى اغنياء الدنيا

حضرة الاستاذين الفاضلين منشئي المقتطف

قلتم في الجزء الخامس من المقتطف تحت عنوان ارباب المال والاعمال انكم كنتم تظنون ان المستر ركفلر الاميركي هو اغنى اغنياء الدنيا ثم اتضح لكم ان المستر روبنصن الانكليزي اغنى منهُ ولما كنت قد اطلعت اخيرًا على احصاء جديد في هذا الموضوع احببت ان اطلع قراء المقتطف عليهِ فاقول : ان اغنى اغنياء الدنيا حقيقة كان لي هنغ تشنغ السياسي الصيني الشهير الذي كان يمتلك ١٢٠ مليونًا من الجنيهات اكتسبها من مزارعهِ الواسعة وحقولهِ الكبيرة ثم يليهِ في الثروة المستر بيت الانكليزي الذي يمتلك نصف مناجم افريقية الجنوبية وتبلغ ثروتهُ ١٠٠ مليون من الجنيهات ويليهما في ذلك المستر روبنصن الانكليزي وتبلغ ثروتهُ ٨٠ مليونًا من الجنيهات ثم المستر ركفلر الاميركي صاحب معامل زيت البترول ويمتلك ٦٠ مليونًا ثم البرنس ديميدوف الرومي والمستر كارنجي الاميركي وثروة كل منهما ٤٠ مليونًا ثم المستر مورغان والمستر ڤاندربلت والمستر وليم ركفلر وكل منهم يمتلك من ٢٥ الى ٣٠ مليونًا

حلوان عبد الحميد فهيم

(المقتطف) حبذا لو ذكر حضرة الكاتب المكان الذي وجد فيهِ هذا الاحصاء ان كان غير تقويم المؤيد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) العنب والرمان والورد من البزر

الفيوم . اديب افندي حنا . زرعت بزر العنب والرمَّان والورد فنبت وصار طول نباتهِ عشرة سنتمترات فهل يكبر ويزهر ويثمر

ج انهُ يكبر ويزهر ويثمر ولكن ثمر العنب يكون صغيرًا في الغالب وهو ما يسمَّى بالعنب البري ويحتمل ان ينبت من بعضهِ دوالٍ عنبها جيد ولكن ذلك نادر ولا بدَّ من تطعيم دوالي البزر بنوع جيد من العنب حتى يصير عنبها جيدًا . اما الورد فالغالب انهُ يأْتي مثل اصلهِ وكذلك الرمَّان

---

(٢) التنويم المغنطيسي

المنيا . يعقوب افندي دوغان . هل التنويم المغنطيسي (الهبنوتزم) صحيح وهل يمكن للمنوّم ان يؤثر في المنوَّم ويطَّلع منهُ على اسرارهِ واذا كان ذلك ممكنًا فلماذا لا تستعملهُ الحكومات لكشف الاسرار التي تهمها معرفتها

ج التنويم المغنطيسي او الاستهواء صحيح اي ان بعض الناس ينامون اذا حدَّقوا بنظرهم الى شيءٍ لامع امامهم او اذا وقف امامهم شخص واشار اليهم اشارات متكررة على نسق واحد او اذا اعتادوا هذا النوم واعتقدوا ان هذا الشخص اتى لتنويمهم . الاَّ ان عدد الذين ينامون كذلك قليل نحو خمسة في المئة من مجموع الناس وهم في الغالب من ضعاف الاعصاب . ويستطيع المنوِّم ان يؤثر في المنوَّم بان يأْمرهُ بقولهِ افعل كذا فيفعل او لا تفعل كذا فلا يفعل واذا طلب منهُ ان يفشي لهُ سرًّا من اسرارهِ فالغالب انهُ يفشيهِ لهُ ولكن ارادة المنوَّم تكون ضعيفة جدًّا فيتأَثر من سؤَال المنوِّم ويجيبهُ حسبما يقتضيهِ السؤَال ولو كان الجواب غير صحيح . ولا تستعمل الحكومات التنويم لكشف الاسرار مع ان بعضها قصد ذلك مرةً لان الذين ينامون النوم المغنطيسي قلال جدًّا كما تقدم ولانهم قد يجيبون على هوى السائل لا على ما يطابق الحقيقة . ويتوهم البعض ان المنوِّم يكتشف اسرار غيرهِ وهذا خطأ والحقيقة انهُ يفشي اسرار نفسهِ واما اسرار غيرهِ فان لم يكن يعرفها فالتنويم لا يجعلهُ يعرفها

(٣) شروط السلم

الزقازيق . امين افندي ابرهيم . هل نشرت شروط صلح البوير مع الانكليز وما هي

ج الأولى ان يقال شروط تسليم البوير للانكليز وقد نشرناها في صدر هذا الجزء

(٤) كتاب الفلسفة العقلية

ومنهُ . ما احسن كتاب وضع في الفلسفة العصرية باللغة العربية وفي اي مكان يباع

ج الظاهر انكم تريدون الفلسفة العقلية واذا كان الامر كذلك فلا نعرف كتابًا فيها باللغة العربية احسن من الكتاب الذي وضعهُ استاذنا الدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية وهو يباع في المطبعة الاميركية في بيروت

---

(٥) البلغم والمدخنون

مصر . الخواجه نجيب جرجوره . ان اكثر شاربي الدخان مصابون بالسعال ويشتد على بعضهم ذلك صباحًا ويتبع السعال بصاق مصحوب بالبلغم فهل هذا البلغم مسبب عن شرب الدخان او هو شيء موجود والتدخين يفيد الانسان باخراجهِ منهُ

ج من المعلوم ان التدخين يسبب نزلة صدرية احيانًا والتهابًا في غشاء الحلق المخاطي وذلك يدعو الى افراز البلغم وافرازهُ فعل حيوي لدفع اذى جسم غريب عن الجسم فانهُ اذا وقع على الغشاء المخاطي جسم صغير غريب يهيجهُ افرز المخاط لكي يغلفهُ بهِ ويمنع ضررهُ . فافراز المخاط فعل قسري لدفع الاذى عن الجسم

(٦) رائحة عقب السيكارة

ومنهُ . حينما يرمى عقب السيجارة ويبقى مشتعلاً يتصعد من دخانهِ رائحة كريهة حتى ان المدخنين انفسهم لا يحتملونها مع انها وهي في يدهم قبل القائها لا يكون لها هذه الرائحة فما سبب ذلك

ج لقد بالغتم في كراهة الرائحة التي تتصعد من عقب السيكارة والذي نراهُ ان رائحتها تكون شديدة لان جانبًا كبيرًا من النيكوتين ونحوهِ من المواد التي تخرج منها وهي مشتعلة يجتمع في عقبها حتى اذا وصلت النار اليهِ ولم يعد لهُ مجتمع آخر يتصعد في الهواء ولم نكن نظن ان شاربي التبغ يكرهون رائحتهُ . اما اشتداد الرائحة اذا رمي العقب على الارض فان صحَّ فسببهُ ان الاشتعال البطيء يزيد تولُّد بعض الغازات والاشتعال السريع يحرقها فلا تظهر لها رائحة

(٧) جمال الانكليز

ومنهُ . نرى اكثر شبَّان الانكليز ذوي وجوه جميلة وقوام معتدل وليس نساؤُهم كذلك اي ان اكثرهنَّ غير حسان المنظر وهنَّ نحيلات الجسم فهل لذلك من سبب طبيعي

ج المشهور ان نساء الانكليز اجمل الاوربيات منظرًا . امَّا من حيث اعتدال قامة

الرجال وتشرب لونهم حمرة فسببهُ ان الرجال اضخم عظماً وعضلاً من النساء وان رجال الانكليز بنوع خاص يكثرون الرياضة البدنية فتكبر عضلاتهم ويتطهر دمهم وتقوى دورتهم الدموية فتتشرَّب وجوههم حمرةً ولا يستطيع نساؤهم ان يجارينهم في الرياضات البدنية العنيفة لاسباب طبيعية . وجمال الشعب الانكليزي آخذ في الازدياد كما يظهر من المقابلة بين صور الحسان منهُ منذ مئتي سنة وصورهنَّ الآن لأَن ما يكتسبهُ الرجال من اعتدال القامة وطهارة الدم يورثونهُ لنسلهم ذكورًا واناثًا

---

(٨) قِدَم الانسان

صدفا . ناشد افندي جبرائيل . ذكرتم في الجزء الذي صدر في شهر مايو تحت عنوان "سكان مصر الاقدمون" ما ملخصهُ انهُ كشف في جرجا مقبرة قديمة فيها بقايا اناس سكنوا هذا القطر في ازمان مختلفة تزيد على ثمانية آلاف سنة . وذكرتم ايضاً تحت عنوان اقدم كتابة ما ملخصهُ انهُ وجدت كتابة صوريَّة عثر عليها الباحثون على قطعة من الخزف وجدت في خرائب مدينة نبور يمتد تاريخها الى ٤٥٠٠ سنة قبل التاريخ المسيحي. وقد قرأت في احدى المجلات ان الصينيين يبنون عمودًا كل الف سنة وانهم بنوا الى الآن ٧٢ عمودًا اي انهم شرعوا في بنائها منذ ٧٢ الف سنة . وفي التوراة ان من الخليقة الى مجيء المسيح ٤٠٠٤ سنين فقط فكيف ذلك

ج لا يقال في التوراة ان من الخليقة الى مجيء المسيح ٤٠٠٤ سنين بل هذا حساب لبعض الناس اعتقدوا صحتهُ زمناً وكتبوهُ على حواشي التوراة امَّا الآن فلم يعودوا يعتقدون صحتهُ على ما يظهر لانهم لم يعودوا يطبعونهُ في النسخ المطبوعة حديثًا من التوراة . امَّا كون الانسان وجد على الارض منذ اكثر من ستة آلاف سنة فالادلة عليهِ كثيرة مقنعة . ولكن ما قرأْتموهُ عن اعمدة الصين لا صحة لهُ

(٩) بسمارك

ومنهُ . هل يمكن ان تدرجوا لنا تاريخ حياة بسمارك في صفحات المقتطف

ج قد ادرجنا تاريخ حياتهِ بما يمكن من الاسهاب في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف

---

(١٠) مرض دود القز

برج صافيتا ميخائيل افندي بشور . اخبرني احد الافاضل العارفين بامراض دود القز ان سبب التيبُّس في الدود نوع من الفطر يقع عليهِ فيميتهُ بعد ان يمدَّ اليافًا داخلهُ فما هي معلوماتكم عن ذلك

ج تجدون في المجلد التاسع من المقتطف كلاماً مسهباً عن دود القز وامراضهِ وصور هذا الفطر في بدن الدود

(١١) التقمص

مصر . الخواجه ميخائيل بساراني واولاده .
اطلعنا في مقتطف الشهر الحالي على اقتراح لحضرة محرر مجلة لندن تحت عنوان ماذا تود ان تكون ولدى تصفحنا المقالة المذكورة وجدنا ردًّا للمستر كلنت سكوت يظهر منهُ انهُ يعتقد بتقمُّص الارواح وعليهِ نود ان توضحوا لنا ماهو التقمص وهل تعتقدون صحتهُ

ج تقمص الارواح اعتقاد قديم جدًّا اعتقده كثيرون من الناس منذ عهد قديم وهو اعتقاد البراهمة والبوذيين الآن وكثير من امم افريقية واميركا . وخلاصتهُ ان نفس الانسان تحل بعد موتهِ في جسم طفل يولد حديثًا او في جسم حيوان من الحيوانات او نبات من النباتات حسبما تستحقهُ من السعادة والشقاء . ويقول البوذيون ان بوذا نفسهُ تقمص ٥٥٠ مرةً قبلما ولد اخيرًا فصار ملكاً وعبدًا وقردًا وفيلاً وطيرًا وسمكةً وضفدعًا ونوعًا من الشجر . واعتقد المصريون الاقدمون بالتقمص وكذلك اليونان وينسب عندهم الى فيثاغورس . وشاع التقمص عند طائفة من اليهود من قديم الزمان واعتقده بعض الفلاسفة الاوربيين وشاهدنا اناسًا من الذين يعتقدونهُ في اوربا الآن يجادلوننا طويلاً قالت لنا سيدة منهم ان كانت النفوس لا تتقمص فمن اين تأتي النفوس الى الاجنة فقلنا لها هل كان عدد الناس في غابر الازمان كما هو الآن فقالت لا بل كانوا اقل فقلنا لها من اين اتت النفوس للذين زادوا . فحُصرت عن الجواب . اما نحن فلا نعتقد صحة هذا المذهب

(١٢) البراكين

ومنهُ . يقولون ان البراكين التي في العالم كلهِ نحو الف بركان ثلثها ثائر فما هو سببها وسبب ثورانها وخمودها ثم عودها الى الثوران

ج ان باطن الارض حارٌّ جدًّا كما يظهر من التعمق في جوفها وكان المظنون انهُ مصهور ايضًا ولكن ثبت من بعض الادلة الطبيعية انهُ جامد غير مصهور ولكن فيهِ بقعًا قليلة مصهورة تتصل بالبراكين والبراكين منافس لها فاذا خسفت الارض على مقربة منها بسبب تقلصها المستمر او بسبب الضغط انضغطت المواد المصهورة وخرجت منها وكذلك اذا وصل اليها ماء البحر من شق في ارضهِ تمدَّد تمددًا شديدًا بفعل الحرارة وخرج منها ومعهُ المواد التي يجدها في طريقهِ حتى اذا زال السبب عاد البركان الى الخمود . وسنعود الى وصف البراكين في الجزء التالي

(١٣) التلفون المقيد

ومنهُ . اذا كلم تاجر في مصر تاجرًا في الاسكندرية بالتلفون واشترى منهُ مئة قنطار من صنف بسعر اتفقا عليهِ واصلاً الى محطة القاهرة ثم ارتفع ثمن ذلك الصنف قبلما ارسلهُ فانكر انهُ باعهُ بالثمن المذكور فكيف يثبت على المنكر انهُ باع بذلك الثمن

ج لا يمكن اثبات ذلك بالتلفون ولكن يمكن ان يضاف الى التلفون نوع من الفونوغراف ترسم فيهِ اشارات الكلمات كما ترسم في الفونوغراف فتبقى كصك مكتوب على المتكلم وهي اثبت دلالةً من الصكوك المكتوبة لانهُ لا يمكن تقليدهُ تماماً بل يحفظ بهِ كلام المتكلم وصوتهُ تماماً غير اننا لا نرجو تحقيق ذلك من شركة التلفون عندنا . وقد رأينا هذا النوع من التلفون في معرض باريس ووصفناهُ في حينهِ واستعمالهُ آخذ في الشيوع

باب الاخبار العلمية

البراكين الساكنة والثائرة

نرى في عهدنا الحوادث العظيمة من تاريخية وطبيعية فلا نستعظمها قدر ما نستعظم الحوادث العظيمة التي جرت في العصور الخالية وان كانت دون حوادث عصرنا عظمةً وتأثيراً ويعيش في ايامنا اعاظم الفلاسفة وكبار الرجال فلا نشعر بهم ولا نقدرهم قدرهم بل نحسبهم دون من سلفهم وان كانوا في الحقيقة فوقهم. هذه فاجعة مرتنيك فانها اودت بأربعين الف نسمة على حين غرة فلم يكن مجالٌ لأحد للهرب ولكننا لا نستكبر امرها قدر ما نستكبر نازلة هركولانيوم وبومباي المشهورة مع انهُ كان للكثيرين من اهلهما فرصة للنجاة فنجوا

ومع تعدد مصائب البراكين نرى الناس قليلي العبرة بها عديمي الاكتراث لها فنراهم يأوون الى البراكين ويبنون لهم بيوتاً على جوانبها فيسكنونها آمنين مطمئنين. فان جبل بيلي الذي ثار اخيراً ثار قبلُ بخمسين سنة فاهلك واباد ثم عاد فخمد فجعل الناس يعودون اليهِ ويسكنون حولهُ

وليس جبل بيلي الوحيد من هذا القبيل فان الارض ملآنة بالبراكين بعضها خامد وبعضها ثائرٌ وبعضها بينَ بينَ . ففي بلاد المكسيك براكين عديدة كانت في ما سلف ثائرة ولكنها عادت فسكنت ومضى عليها زمن طويل وهي كذلك . ويقال بالاجمال انهُ اذا مرَّت مئة سنة على بركان وما تمخَّض ولا تقيأ عدُّوهُ ساكناً

وبركان اتنا في صقلية ما زال يثور من وقت الى آخر منذ ٣٠٠ الف سنة على الاقل وفي الالفي السنة الماضية ثار على معدَّل اربع مرات كلَّ قرن او مرة كل ٢٥ سنة

وفي الاوقيانوس المحيط وخصوصاً الاقاليم الاستوائية الواقعة فيهِ كثير من البراكين نذكر منها براكين جزائر فيجي ونيوهبريدس ولادرون

والاصدقاء وهواي وغيرها منها ما هو ساكن ومنها ما هو ثائر . وبين جزائر الهند الغربية عشر جزائر ذات براكين منها مرتينيك المشهورة بالفاجعة الاخيرة

وعندنا في البلدان الواقعة في بحر الروم وحوله بركان يزوف في ايطاليا واتنا في صقلية وبراكين اخرى ساكنة في اسبانيا وفرنسا والمانيا وغيرها . وقرب بلاد اليونان خمس جزائر ذات براكين . وجبل اراراط كان بركانًا في العصور الخالية . وفي جبال لبنان ومصر وحذاء البحر الاحمر مخروطات بركانية كثيرة . وفي جزيرة جاوى خمسون بركانًا منها ٢٥ بركانًا خامدًا وهكذا جزائر سومطرة وبورنيو والقديسة هيلانة وكناري وايسلاندا وغيرها . وفي اميركا الجنوبية وجزائر فيلبين كثير من البراكين

واقرب البراكين الثائرة الينا يزوف وقد ثار سنة ١٧٧٩ وقذف بالرماد الى علو عشرة آلاف قدم في الجو وكان في اول العصر المسيحي خامدًا مغطى بالكروم والاشجار ذات الاثمار من قنته الى اسفله فثار في اواخر القرن الاول ودمر هركولانيوم وبومباي ثم ثار بعد ذلك بنحو الف سنة اي سنة ١٠٣٦ . وفي سنة ١٦٣١ ثار ايضًا فدمر المدن التي كانت مبنية عند سفحه . ومع ذلك كله ترى الناس يطمئنون اليه لا يعتبرون بما مضى ولا يحسبون حسابًا لما يضمره المستقبل

وسنة ١٨١٥ ثار بركان طمبورو في جزيرة سمباوى فاقلق بلاد جاوى كلها وقدّر الشهير هرشل انهُ لو جمع الرماد الذي قذفهُ حينئذٍ لتكوَّن منهُ جبل اكبر من جبل بلانك باوربا ثلاثة اضعاف وبقيت تلك الجزيرة متوشحة بالظلام والقتام اياماً كثيرة وكانت صعقات الجبل تسمع في جزيرة سيلان وهي على الف ميل منها

وثار بركان ريكجانس سنة ١٧٨٣ وقذف من الحمم ما يبلغ مقدارهُ واحدًا وعشرين ميلاً مكعبًا . وثار بركان كيلوس سنة ١٨٤٠ فخرج منهُ نهر من الحمم طولهُ اربعون ميلاً ولو جمعت المواد التي جرت منهُ في ارض مساحتها ميل لعلت عليها ٨٠٠ قدم

ولما ثار بركان كوسكوينا في نيكارجوى سنة ١٨٣٥ سمع قصفهُ في جزيرة جاميكا على بعد ٨٠٠ ميل . وجبل سوفريير الثائر الآن في جزيرة سنت فنسنت ثار سنة ١٧١٨ وسنة ١٨١٢ . ولما ثار سنة ١٨١٢ سمع اهالي جزائر برىادوس صوتهُ جليًا وهم على بعد ٨٠ ميلاً عنهُ فظنوهُ صوت مدافع الاساطيل الفرنسوية والالمانية بسبب شدته وغطى الجزيرة حينئذٍ برماده لكن الناس نسوا ذلك حينما خمد وعمَّروها ثانية

انفجار بالون سفيرو

فصَّلت الجرائد العلمية انفجار بالون سفيرو

الذي ذكرنا خبرهُ في الجزء الماضي فقالت انهُ صنعهُ في معمل باريس اسمهُ معمل لاشامبر حيث صنعت بالونات سنتوس ديمون قبلهُ وكان شكلهُ على شكل سيجارة وسعتهُ ثمانون الف قدم مكعبة من الغاز فملأهُ بغاز الهيدروجين قبل ركوبهِ بعدة ايام وجرَّبهُ فاعجبهُ وكان الجوُّ غائماً والريح شديدة فبات ينتظر انقلاب الحال حتى يتمكن من ركوبهِ والصعود بهِ الى الاعالي

وفي مساء ١١ مايو الماضي صحا الجوُّ وانقشعت الغيوم فاستعدَّ ذلك الليل لركوبهِ. وفي فجر اليوم التالي ركبهُ هو وآخر معهُ فصعد بهما الى الجوّ بسرعة عظيمة وكانا يرميان ما فيهِ من اكياس الرمل لكي يخف حتى اذا بلغ بهما علوَّ الف قدم وذلك بعد صعودهِ بربع ساعة انفجر فرأى المشاهدون على الارض لسانًا من اللهب امتدَّ من البالون ورأوا بعدهُ دخانًا ابيض ثم سمعوا صوتًا قويًّا ثم احاط اللهب بالبالون فاحترق وسقط في شارع دومان. اما سفيرو فقد قال الذين شاهدوا سقوطهُ انهُ مات حالما سقط الى الارض واندقَّ لحمهُ بعظمهِ . واما رفيقهُ فمات احتراقًا في الهواء قبل وصولهِ الى الارض

وسفيرو هذا برازيليٌّ وعائلتهُ من اغنى العائلات في البرازيل واوجهها وقد درس في الكليات الكبيرة وعين عضوًا في مجلس نواب البرازيل سنة ١٨٩٣ وبقي عضوًا الى يوم موتهِ

مباني المحدثين

نعجب بمباني اسلافنا شديد الاعجاب لاننا نرى الفرق عظيمًا جدًّا بينها وبين مبانينا فبيوت السكان ومعابدهم في لقصر وادفو وبعلبك بالنسبة الى هيا كل الاقدمين فيها كنسبة الطفل الصغير الى الجبار الكبير او كنسبة الكوخ الحقير الى افخم القصور ولكن من يجُل في عواصم اوربَّا واميركا يزُل من نفسهِ اكثر ما يراهُ من الاعجاب بمباني الاقدمين . فاننا نضرب المثل باعمدة بعلبك والكرنك ولكن العمود من اعمدة بعلبك مؤَلف من ثلاثة حجارة عدا قاعدتهِ وتاجهِ. والعمود من اعمدة الكرنك مؤَلف من حجارة كثيرة اما في عواصم اوربا واميركا فتجد اعمدة تكاد تماثلها طولاً وثخنًا وهي حجر واحد. وقد اطلعنا الآن على صورة بناءٍ يبنى في مدينة نيو يورك باميركا اعمدتهُ مضلَّعة بتيجان كورنثية وهي من حجر الغرانيت الصلب طول العمود منها ٣٦ قدمًا وقطرهُ اربع اقدام وعقدتان وثقلهُ اربعون طنًّا وهو حجر واحد وفوقهُ تاج ارتفاعهُ ست اقدام مصنوع من قطعة ثقلها ١٩ طنًّا وتحتهُ قاعدة علوها قدمان وثقلها ٦ اطنان وهذه الاعمدة ممتدة على واجهة البناء كلهِ

مضار المثلوجات

نريد بالمثلوجات كلَّ مادة يستعمل الثلج لتجميدها او تبريدها كالدندرمة (البوزه)

وغيرها من المشروبات المبرّدة . فقد اقبل الصيف بهجيرهِ وكثر عملها في المنازل الخصوصية والمحلات العمومية تخفيفاً للحرّ على ان لها مضارّ لا يصلح السكوت عنها وخصوصاً ما عمل منها بالقشدة واللبن وغيرهما من المواد القابلة للفساد الناقلة لجراثيم الامراض والعدوى فقد يشربها الانسان وهي مشوبة بالجراثيم من حيث لا يدري ان السمّ في الدسم فيذهب ضحية لذتهِ

ومما يذكر في هذا الصدد ان الجريدة الطبية الانكليزية كتبت مقالة في هذا الموضوع قالت فيها ان الدكتور كابين فحص شيئاً من الكريما والماء الذي تغسل بهِ آنيتها فحصاً بكتيريولوجيًّا فوجدهما مملوءين بالوف الجراثيم. وذكرت ان عشرين نفساً في التورب بالبلجيك اكلوا الكريما فظهرت فيهم اعراض السمّ

وهناك سبب آخر للضرّ لا يجوز الاغضاء عنهُ فقد تكون القشدة واللبن وغيرهما من المواد التي تصنع المثلوجات منها سليمة من كل شائبة ومع ذلك يصاب كثيرون بالامراض على اثر اكلها بتداول الكاسات والملاعق من يد الى يد ومما يجب التنبيه اليهِ ان التجميد لا يميت الجراثيم المرضية كما قد يظن الكثيرون بل يعوقها عن العمل وقتيًّا ولكنها لا تلبث ان تصير شرًّا من ذي قبل اذا ارتفعت درجة الحرارة حولها في الوسط الذي تسبح فيهِ . فيجب من ثمَّ الانتباه الى غسل الآنية والملاعق جيدًا عند استعمالها

مركوني والتلغراف

قال مركوني مخترع التلغراف الذي لاسلك لهُ انهُ اخترع اداة كهربائية شديدة التأثر بالامواج الكهربائية يقرأ بها ثلثون كلمة في الدقيقة بتلغرافهِ وان سبع عشرة باخرة من بواخر الاوقيانوس الاتلنتيكي واربعين بارجة من البوارج البريطانية تقتني الآن عدتهُ التلغرافية وتعوّل عليها وان باخرتين من تلك البواخر تكسب كلٌّ منهما ٦٠ جنيهاً من ركابها في كل سفرة من سفراتها بين اوربا واميركا بارسالها رسائلهم التلغرافية من وسط البحر الى ذويهم في اوربا واميركا

وقد جعل ركاب البواخر الماخرة بين اوربا واميركا يستعملون التلغراف الذي لا سلك لهُ واسطة للتسلية بين ركاب باخرة واخرى . ففي اوائل هذا الشهر كانت باخرتان سائرتين من اوربا الى اميركا وبينهما مسافة سبعين ميلاً فتخاطب ركابهما بالتلغراف الذي لا سلك لهُ على ان يلعبوا الشطرنج معاً فجلس رجل انكليزي في الباخرة المسماة "كمبانيا" امام رقعة الشطرنج ونقل عليها بيذقاً من البياذق واخبر بعض الراكبين في الباخرة الاولى "فيلا دلفيا" بما فعل باشارة برقية فنقل هذا قطعة على الرقعة التي امامهُ واخبرهُ كذلك. وقضى اللاعبون خمس ساعات وهم يلعبون ثم انقطعت المواصلات البرقية بين الباخرتين

الابرة الكهربائية والمعادن

اخترع المستر اديصن ابرة كهربائية تدلُّ على الفلز في باطن الارض بميلها عن وضعها الاصلي وتعين مكان الفلز بالتدقيق بمقدار ميلها وقد ارسل جماعة الى الجهات التي تكثر فيها مناجم النكل في كندا ليجربوها فيها

المال والوقت

اخذ كثيرون من مشاهير رجال الاعمال يستعملون مركبات الاتوموبيل للركوب بين منازلهم ومحلات اشغالهم للاقتصاد في الوقت وزيادة الدخل . منهم رجل اميركي من اصحاب الملايين فانهُ يقطع المسافة بين منزلهِ ومكتبهِ وطولها ١٤ ميلاً مرتين في اليوم باحدى وعشرين دقيقة وقد قال ان ما يكسبهُ من الوقت بذلك يساوي نصف مليون ريال سنويًّا على القليل . فتأمل الفرق بين قوم يستريحون وينامون ويأكلون ليعيشوا وقوم يعيشون ليستريحوا ويناموا ويأكلوا

خرائب بومباي

نشرت جريدة السينتفك اميركان صورة خرائب بومباي كما هي عليهِ الآن وقالت ان المدينة خربت بزلزلة سنة ٦٣ للميلاد ثم جددت مبانيها العمومية على نسق واحد وقبل ان يتم بناؤُها فاجأَها البركان فطمرها بالحمم والوحل وهطل بعدهُ مطر غزير فلم يحترق ما فيها من الخشب بل فحم ولم يزد عدد من قتل بها على

الفي نفس اي نصف عشر الذين قتلوا في مرتينيك

ترعة نكارجوى والبراكين

بحثت الحكومة الاميركية منذ مدة قصيرة في مشروع حفر ترعة تصل الاوقيانوس الاتلنتيكي بالمحيط وفي المكان الذي تختارهُ لذلك فعزمت ان تشتري امتياز ترعة بناما من الشركة الفرنسوية صاحبة الشان . ولكن قام بين الاميركيين قوم يفضلون ترعة نكارجوى عليها لاسباب لاحاجة الى بيانها فاقتنعت الحكومة بذلك وعولت على مشترى ارض الترعة من حكومة نكارجوى وفتح ترعة هناك . فلما حدثت فاجعة مرتينيك ودوى خبرها في جميع الاصقاع ووصل اثرها الى الجزر والبلاد المجاورة لها ومنها ارض بناما ونكارجوى قام العلماء يفحصون مسألة الترعتين من جديد ويحذرون ويقولون ان الواجب على الحكومة ان تختار لفتح الترعة مكانًا يدلُّ تاريخهُ الماضي وطبيعة ارضهِ على انهُ غير معرَّض لنُوب الزلازل واعراض الحوادث البركانية . اما برزخ بناما فغاية ما يقال عنهُ انهُ لم يطرأْ عليهِ طارئ مفاجئ البتة منذ ظهر الانسان على وجه هذه البسيطة وانهُ لا اثر لفعل البراكين فيهِ وللبراكين نفسها ساكنةً كانت او ثائرة الاَّ على بعد ١٨٠ ميلاً عنهُ . واما نكارجوى فقد عرفها الانسان مركزًا

دائمًا للهزات والزلازل وعلى طول طريقها سلسلة من البراكين ظهر من الدلائل الكثيرة ان بعضها يضمر شرًّا جسيمًا . يكفي شاهدًا على صحة ذلك بركان كوسكوينا الواقع الى الشمال الغربي من نكارجوى فانهُ ثار منذ اربع وستين سنة وقذف من فيهِ بالرماد والحمم مدة يومين كاملين وقد قدر احد العلماء انهُ كان يقذف كل ست دقائق منها ما يساوي كل ما يمكن حفرهُ من ترعة نكارجوى من التراب والاحجار . وسمع صوتهُ الى بعد الف ميل ووقع من رمادهِ على بعد ١٤٠٠ ميل منهُ . وبعد ذلك بسبع سنوات حدثت زلزلة هائلة دمرت مدينة ريفاس تدميرًا وهي على بعد خمسة اميال فقط عن مكان الترعة

ويقال ان الحكومة الاميركية لا بدَّ ان تتدبَّر هذه الاعتراضات وتنظر فيها قبل بتّ حكمها في المسألة

وقد جاءت التلغرافات بعد كتابة هذه السطور تنبئ باختيار الحكومة الاميركية طريق بناما

دود الحرير في ايطاليا

اشتد البرد وكثر سقوط الثلج في اقاليم ايطاليا الشمالية الشرقية فافضى ذلك الى موت دود الحرير كلهِ والى افلاس كثيرين من الفلاحين بسبب ذلك

الكهربائية والحياة

اول انسان انتبه الى الفعل الكهربائي في الكهرباء اذا فُركت نسبهُ الى قوة حيوية . ثم لما انتبه كلفني الى ما سماهُ بالكهربائية الحيوانية قال بوجود ارتباط بين الكهربائية والحياة او الفعل الحيوي . ولا يزال هذا الخاطر يخطر على بال العلماء ولكنهم لم يجدوا سبيلاً الى تحقيقهِ الاَّ الآن . فقد ذكرنا غير مرة ان بيض السمك الذي لم يُلقَّح ينمو ويتولد منهُ سمك اذا وضع في ماء فيهِ بعض المواد الكيماوية اي ان البيض يحيا وينمو على غير ما عُرف بالاستقراء لان الاستقراء اثبت انهُ لا يتولَّد حيٌّ من الاحياء المرتقية الاَّ من ذكر وانثى . ثم ظهر الآن ان نمو البيضة كذلك ناتج عن فعل كهربائي فان المادة الكيماوية التي تكون في السائل تؤثر في البيضة تأثيرًا كهربائيًّا يجعل الجرثومة تتحرك وتغتذي وتنقسم اي تظهر فيها الحياة وتسير في طريق النمو والتكامل . كأن الدقائق التي تتألف منها الجرثومة تكون منفصلة بعضها عن بعض بقوة كهربائية فانها تكون مكهربة بالكهربائية الايجابية ويكون السائل الذي هي فيهِ مكهربًا بالكهربائية السلبية فتبقى دقائق الجرثومة منتشرة في السائل فاذا ازيلت كهربائيتها انضمت بعضها الى بعض وهبطت الى اسفل السائل او طفت على وجههِ . وتزال كهربائيتها

امَّا بمجرَّى كهربائي يعدّلها او بدقائق مكهربة بالكهربائية السلبية (شوارد) تنتشر بينها. واذا كانت دقائق الجرثومة مكهربة كهربائية سلبية فيتم اجتماعها بمجرى من الكهربائية الايجابية اوشوارد مكهربة بالكهربائية الايجابية

ويظهر مما تقدَّم ان كثيرًا من ظواهر الحياة في الجسم الحي يعلَّل بان الافعال الكيماوية الطبيعية تولِّد قوة كهربائية في الشوارد التي في الجسم وهذه تولد قوة حيوية في دقائق الجسم

الاميركيون في كوبا

شرع الاميركيون منذ احتلوا كوبا في اصلاح مدينة هفانا عاصمتها فاخربوا العشش والاكواخ القديمة التي كانت مستنبتات لجراثيم الكوليرا ورمموا شوارعها التالفة ومصارفها بعد ان كانت لا تصلح لشيء وطهروا منازل الاهالي رغمًا عمَّا لقوا من الاعتراض والمقاومة ونظموامستشفياتها التي كانت شرًّا من عششها ونظفوها فصارت صالحة للتمريض بعد ان كان لا يخرج منها اكثر من ٣٠ في المئة من المرضى الذين يدخلونها. وقد كانت الحمَّى الصفراوية تفتك باهلها فتكًا ذريعًا ففي سنة ١٨٩٦ مات بها ١٢٦٢ نفسًا منهم وكان متوسط الذين يموتون بها في الاحدى عشرة سنة السابقة للاحتلال الاميركي ٤٤٠ نفسًا في السنة فلم يمت بها السنة الماضية ٥ انفس. وعليهِ صارت هفانا بفضل الاصلاح الجديد جنة زاهرة بعد ان كانت قرارة اقذار

صهر الكوارتز

يفضَّل الكوارتز على الزجاج في صنع بعض الادوات منهُ وخصوصًا الادوات الدقيقة اللازمة للتجارب الطبيعيَّة التي تستخدم معها الحرارة الشديدة. ولكنهُ قلما يستخدم في تلك الاعمال لصعوبة صهرهِ. غير ان احد علماء الاميركيين اهتدى اخيرًا الى صهرهِ بالاتون الكهربائي. اما وجهُ افضليتهِ على الزجاج فهو انهُ يمكن تغطيسهُ في الماء البارد بعد ان يحمى الى اعلى درجة يمكن احماؤُهُ اليها ولا يتشقق خلافًا للزجاج كما هو المشهور

رحلة زجاجة

كتب رجل من الينويس وهي ولاية من الولايات المتحدةُ الاميركية الوسطى كتابًا وضعهُ في زجاجة ثم سدَّها والقاها في نهر ماكنو وكان ذلك في ٢٧ يناير سنة ١٩٠٠. ومنذ مدة قصيرة وجدها رجل في كليفورنيا وهي احدى الولايات المتحدة الاميركية الغربية على ساحل الاوقيانوس المحيط ففتحها وقرأ الكتاب المذكور وفيهِ يطلب صاحبهُ ممن يجد الزجاجة أن يخبرهُ بزمان وجودها ومكانهِ. فبعث اليهِ يخبرهُ بذلك. اما كيفية وصول الزجاجة الى كليفورنيا فهي انها جرت مع نهر ماكنو حتى ملتقاهُ بنهر الينويس ثم الى نهر

مسيسبي الشهير فجرت فيهِ جنوباً حتى خليج المكسيك ودخلت الاوقيانوس الاتلنتيكي فتقاذفتها تياراتهُ وحملتها جنوباً على محاذاة الساحل الشرقي من اميركا الجنوبية وارتدَّت بها غرباً حول رأس هورن وهو اقصى الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية ثم شمالاً في المحيط على محاذاة الساحل الغربي من اميركا الجنوبية الى ان بلغت كليفورنيا في اميركا الشمالية . فقطعت بذلك مسافة عشرة آلاف ميل ولم تؤثر فيها تيارات اليمّ العظيم

سائل جديد للنور والحرارة

روت جرائد مونيخ بالمانيا ان رجلاً كيماويًّا في همبرج اكتشف مادَّة سائلة اذا اضيفت الى الماء القراح تكوَّن من ذلك سائل لا يستطيع احد ان يميزهُ عن زيت البترول ويمكن استعمالهُ لتوليد النور والحرارة واذا اشعل في المصابيح العادية ذات الفتائل كان نورهُ ابيض ومضاعف نور البترول في الشدة وهو غير قابل الالتهاب السريع كالبترول . ويقال ان شركة انكليزية تألفت في لندن لفحصهِ. وحتى الآن لم نقرأ ما يثبت هذا الخبر

الزجاج اللين

يقال ان المصريين القدماء كانوا يعرفون طريقة عمل الزجاج اللين ثم جهلت من بعدهم ولم يهتدِ احدٌ اليها . وقد ذكرت السينتفك اميركان نقلاً عن جرائد اميركا اليومية ان رجلاً من صنَّاع مداخن المصابيح اهتدى الى عمل الزجاج اللين ويقال انهُ يمكن صنع آنية الطبخ منهُ

منع تصادم السفن

اخترع رجل روسيٌّ آلة لمنع تصادم السفن في البحر توضع امام السفن في سيرها وتدلُّ على وجود العوائق في سبلها طافية كانت او راسية كالصخور وعلى الطريق التي يجب على السفن ان تسير فيها عند وجود العوائق المذكورة

انهر الماء الغالي

جعل الماء يجري سخناً غالياً في انهر مرتنيك وزاد مقدارهُ حتى صار ثلاثة اضعاف ما كان قبل الثوران

المغالاة بالصور

لما صوَّر المصور ملله صورتهُ الخجلس باعها بالف فرنك . ثم بيعت بالمزاد العلني بخمس مئة الف فرنك اشتراها رجل اميركي ثم استردها رجل فرنسوي فدفع ثمنها مليون فرنك

تجارة افريقية

اما الآن وقد وضعت الحرب اوزارها في جنوب افريقية ومدَّ السلام رواقهُ فوقها فقد عاد الناس يهتمون بحركة الاعمال والاشغال فيها من تجارية وصناعية وغيرها. فان الترنسفال

كانت قبل الحرب من البلاد التي كثرت المهاجرة اليها كالولايات المتحدة في اميركا الشمالية والبرازيل في الجنوبية وما ذلك الاَّ لكثرة الاعمال فيها بسبب مناجمها الذهبية المشهورة فلما شهرت الحرب وقف دولاب الاعمال مدة ٣٠ شهرًا ودار دولاب سفك الدماء والآن عادت المياه الى مجاريها وماء الدهر الاَّ منجونًا باهلهِ

وقد سمعنا بالامس بعضهم يحدثون النفس بالسفر الى تلك البلاد سعيًا في الكسب وطلب الرزق. ولمَّا كان كثيرون يحبون الاطلاع على حالة افريقية التجارية عمومًا رأينا ان نلخص ما ورد في التقرير الاحصائي الذي اصدرهُ مكتب الخزينة في الولايات المتحدة الاميركية

فقد جاء فيهِ ان تجارة افريقية كلها تبلغ ٧٠٠ مليون ريال منها ٤٢٩ مليونًا ثمن الواردات. وثلاثة ارباع هذه الواردات يدخل افريقية من موانيها الشمالية والجنوبية ومعظمها يستهلك في البلدان الشمالية والجنوبية ولما كانت هذه البلدان اما خاضعة لانكلترا كبلاد الراس او تحت ادارتها كمصر فمعظم التجارة طبعًا في يد انكلترا

ومن الواردات المذكورة ١٥٧٥٧٥٠٠٠ ريال تدخل املاك انكلترا و ٩٢٠٠٤٠٠٠ املاك فرنسا و ٧٧٧٨٧٠٠٠ املاك تركيا و ٢٠٧٩٥٠٠٠ املاك البرتوغال و ٨٣٣٦٠٠٠ املاك المانيا و ٤٧٢٢٠٠٠ املاك ولاية الكونغو الحرة. وقد بلغ ثمن ما اصدرتهُ الولايات المتحدة الى الاملاك المذكورة في السنة الماضية ٥ في المئة من مجموع الواردات او ٢٥٥٤٢٦١٨ ريالاً وكان ٦٣٧٧٨٤٢ ريالاً سنة ١٨٩٥. والسبب في هذه الزيادة كثرة طلب الآلات للتعدين في جنوب افريقية فان ارباب المناجم يوصون المعامل الاميركية بصنع الآلات اللازمة لهم اقتصادًا في الوقت والمال. واشهر ما في جنوب افريقية مناجم الماس والذهب فيخرج من مناجم الماس في كمبرلي ٩٨ في المئة من الماس الذي يباع الآن في اسواق المسكونة مع انها لم تكن تعرف قبل سنة ١٨٦٧ ويقدر ثمن الماس الذي اخرج منها حتى الآن ٣٥٠ مليون ريال قبل جلائهِ وسبع مئة مليون ريال بعد جلائهِ وامر مناجم الذهب اغرب من ذلك فانهُ اخرج منها سنة ١٨٨٤ ما يساوي عشرة آلاف جنيه وسنة ١٨٨٨ ما يساوي مليون جنيه وسنة ١٨٩٠ ما يساوي مليوني جنيه وزاد المستخرج بسرعة حتى بلغ ما استخرج منها سنة ١٨٩٩ احد عشر مليونًا من الجنيهات وبلغ المستخرج من مناجم الرند من حين اكتشافها سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ ستين مليونًا من الجنيهات والمظنون ان هناك من الذهب ما يساوي سبع مئة مليون من الجنيهات

تتويج ملك الانكليز

كانت الامة الانكليزية قائمة قاعدة في هذا الشهر تستعدُّ للاحتفال بتتويج ملكها تتويجًا لم تسمع بمثلهِ اذن ولم يخطر على بال انسان فدعت اساطين الامم واساطيلها من اقصاء الارض الى اقصائها للاشتراك فيهِ وبينا هي نائمةٌ عن الزمان وطوارق الحدثان اذ رمقها الزمان بعينهِ التي لا تنام فاصابت منها الرأس واعتلّت بذلك سائر الاعضاء

عيِّنت اليوم السادس والعشرين من هذا الشهر للاحتفال بتتويج ادورد السابع ملكًا لبريطانيا العظمى وامبراطورًا للهند ولكن لم تكد الشمس تبلغ المدار الصيفي وتنزل برج السرطان حتى اصيب الملك ببثرةٍ في النسيج الخلوي حول المعى المعروف بالاعور من التهاب الزائدة الدودية فاقتضى الامر عملية جراحية لهُ اذ لم يعد يقوى على احتمال حفلات التتويج فتبدلت افراح الامة اتراحًا وشاركتها في ذلك سائر امم الارض ونزعت معالم الزينة ومعداتها . وقام بهذه العملية اللورد لستر الجراح الشهير ومعهُ نخبة من جرّاحي الانكليز نخص بالذكر منهم الجراح تريفس المشهور بهذه العملية . ويظهر من التلغرافات ان الالتهاب انحصر في مكانهِ وجلالة الملك يتماثل الى الصحة وقد زال الخطر عن حياتهِ

اكرام العلماء

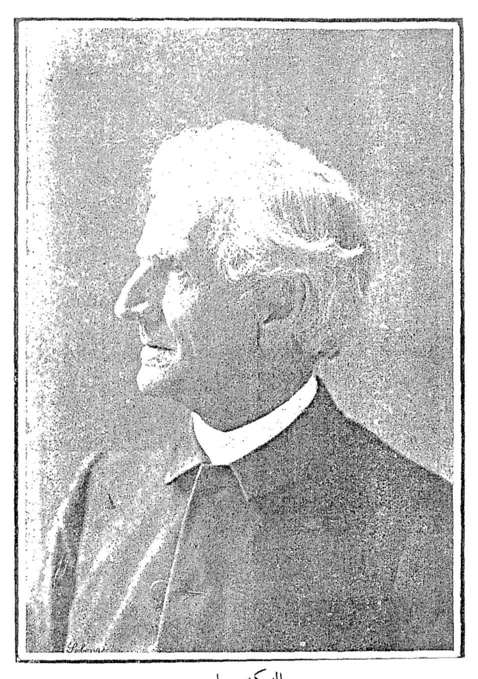
يرى القارئ في باب المراسلة في هذا الجزء كلامًا مسهبًا عن ثابت بن قرة الفيلسوف الصابئ الحرّاني . والصابئة شيعة دينية ضعيفة الشأن جدًّا لكن ضعف قومهِ لم يكن ليحط من منزلتهِ في العصر الذي كان عصر العلم والعرفان في الممالك العربية فان الخليفة كان يجل قدرهُ ويجلسهُ بين يديهِ ووزيرهُ قائم. ويقول لهُ ان العلم يعلو ولا يُعلَى عليهِ. ولما مات رثاهُ شعراء عصرهِ ولم يلتفتوا الى انهُ من الصابئة كأن الفوارق الدينية لم يكن لها اقل شأن في ذلك العصر بل كان الشأن الاكبر للعلم والفضل . ولا غرو اذا افلح قوم جروا على هذه الخطة واخفق قوم جروا على ضدها

تجارة السماني والبيض

بلغت قيمة ما اصدر التجار في هذا القطر من السماني الى الاقطار الاخرى ١٣٧٩٤ جنيهًا مصريًّا سنة ١٨٩٨ و ١٥٠٥٤ جنيهًا مصريًّا سنة ١٨٩٩ و ١٣٩٣٧ جنيهًا مصريًّا سنة ١٩٠٠ و ١٩٢٦٨ جنيهًا مصريًّا سنة ١٩٠١

وبلغت قيمة ما اصدروا من البيض ٣٤١٧٧ جنيهًا مصريًّا سنة ١٨٩٨ و٤٣٢٤٤ سنة ١٨٩٩ و٢٨٠٩٠ سنة ١٩٠٠ و٨٠٩٩٠ سنة ١٩٠١

فهرس الجزء السابع من المجلد السابع والعشرين



الدكتور بلس
رئيس المدرسة الكلية السورية الاول

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد السابع والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠

الدكتور بلس

رئيس المدرسة الكلية السورية الاول

للامم كما للافراد ادوار يستيقظون فيها بعد السبات وينهضون للعمل بعد الخمول . ولقد كان زمن هذه النهضة في بلاد الشام منذ اربعين عاماً بعد الحادث الكارث الذي سُفكت فيهِ دماء الابرياء وخربت المنازل وشتّت الشمل

"وللشر إقلاع وللهم فرجة ... وللخير بعد المؤنسات عوائدُ"

وكانت فاتحة النهضة انشاء المدارس الكبيرة فامَّها الطلبَة من كل فجّ رغبةً في اكتساب العلم والتذرُّع بهِ الى العمل . انشأ المرحوم المعلم بطرس البستاني المدرسة الوطنية في بيروت وانشأَت طائفة الروم الارثوذكس مدرستها الكبرى في سوق الغرب والطائفة الدرزية المدرسة الداودية في عبيه عدا المدارس الكثيرة التي انشأَها قبيل ذلك المرسلون الفرنسويون في جهات مختلفة من جبل لبنان وعدا مدرستي البنات في بيروت مدرسة مسز طمسن الانكليزية والمدرسة الاميركية اللتين أُنشئتا ليجد شبان النهضة الجديدة زوجات متعلمات يجارينهم في ميدانها فلا تكون عقيمة من حيث عمران البيوت وتربية الجيل التالي

وكأَن دماء الابرياء التي اريقت في لبنان ودمشق ووادي التيم في الحادث الذي اشرنا اليهِ آنفاً. والاموال التي جاد بها المحسنون من اهالي اوربا واميركا لتنفق على الذين نكبوا في تلك النكبة. والغيرة التي غارتها دول اوربا على توطيد الامن في ربوع الشام. والهمة التي بذلها ولاة الامور لانجاح البلاد واسعاد العباد من عهد فؤَاد باشا وداود باشا — كلّ ذلك ولّد في النفوس رغبةً شديدة في طلب العلم واقنع روَّاد المعارف ان سعيهم لا يذهب سدًى فحلّت على البلاد

روح جديدة روح التعلم والتعليم وصار الرجال يتركون اعمالهم وحرفهم بعد ان زاولوها سنوات ويدخلون المدارس يطلبون العلم مع صغار الطلبة. وصارت مطارحات الناس ومذاكراتهم في حل المسائل اللغوية والرياضية ومجتمعاتهم لاستماع الخطب العلمية والادبية .

ولم يكد الطلبة يحرزون مبادئ العلوم حتى اتجهت همة القس الفاضل الدكتور بلس احد المرسلين الاميركيين في جبل لبنان الى انشاء مدرسة كلية تعلّم العلوم العليا وتعد الطلبة لتعلّم العلوم الفنيَّة كالطب والصيدلة والهندسة والشريعة وتكون مثل المدارس الكلية في اوربا واميركا فخاطب اخوانهُ المرسلين في هذا الشأن ولا بدَّ من ان يكون قد وجد بينهم المرغّب والمزهّد لاختلاف عقول الناس ومذاهبهم والظاهر انهم اتفقوا اخيرًا على استحسان العمل وانتدبوهُ لجمع المال لهُ من اوربا واميركا لان عملاً مثل هذا يقتضي مالاً طائلاً لا يمكن جمعهُ من بلاد شرقية

كان الدكتور بلس حينئذٍ كهلاً في الاربعين من عمرهِ فانهُ ولد في السابع عشر من اغسطس سنة ١٨٢٣ ولم يتسنَّ لهُ طلب العلم فتىً فطلبهُ شابًا ونال الشهادة البكلورية من مدرسة امهرست الجامعة وعمرهُ ٢٩ سنة ثم درس علم اللاهوت واجيز لهُ فيهِ وعمرهُ اثنتان وثلاثون سنة . وكأنهُ لما رأى الشبان السوريين بعدئذٍ يتركون اعمالهم وينقطعون لطلب العلم مثلهُ ودَّ ان يرتووا منهُ كما ارتوى هو

واقترن تلك السنة بزوجتهِ الفاضلة التي يحسبها تلامذة المدرسة الكلية امًّا لهم كما يحسبون زوجها ابًا وهي اكبر عضد لهُ في اشغالهِ والروح التي توحي اليهِ من وراء الستار .

وقصد بيروت سنة ١٨٥٥ في سفينة شراعية فوصلها في العام التالي واقام في عبيه وسوق الغرب يتعلم العربية ويعلم ويبشر الى ان خطر لهُ انشاء المدرسة الكليَّة على ما تقدَّم فعاد الى اميركا يحثُّ الاغنياء والفضلاء على الجود بالمال لهذا العمل المبرور . وقدَّر لهُ الله ان سمع خطبةُ الاولى رجل كريم من اهل اليسار فاستوضح غرضهُ بالتفصيل وكان من اول المكتتبين بالمبالغ الطائلة ومن اكبر القائمين بانشاء هذه المدرسة وممَّن لهم اليد الطولى في حث اخوانهم الاغنياء على المشاركة في هذا العمل

والنوادر التي سمعناها منهُ عن مقابلة الناس لهُ وهو يعرض عليهم الغرض الذي يتوخاهُ ويحثهم على الاخذ بيدهِ تدلُّ على انهُ اعرف الناس باخلاق الناس وكثيرًا ما كان يقصد رجلاً مشهورًا بالبخل فينال منهُ اكثر مما ينال من رجل مشهور بالكرم. وبعد عناء كثير لا يعلمهُ الاَّ الذين سألوا الناس ولو لاشرف الغايات وانبلها جمعَ المال الكافي وتألف مجلس في اميركا

ائتُمن عليهِ وصدرت الرخصة الرسميَّة من حكومة نيو يورك بانشاء المدرسة الكلية في بيروت فعاد الى سورية ونشر لائحة العلوم التي يراد تعليمها في هذه المدرسة فحالما اطلع عليها كاتب هذه السطور وكان من طلبة العلم في مدرسة عبيه والدكتور بلس مصطاف فيها تاق الى مقابلتهِ فقابلهُ بالبشاشة والهشاشة ووعدهُ خيرًا . ولما فتحت ابواب المدرسة في اوائل اكتوبر ضاف التلامذة الاوَّلين في بيتهِ الى ان اعدت معدات المنامة فيها. وكنَّا ستة عشر طالبًا لا غير اكثرنا شبان تعلَّموا وعلموا قبل افتتاح المدرسة فقام على تعليمنا هو والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم اسعد الشدودي والمستر فريزر الاسكتلندي والمسيو شارليه بازيه الفرنسوي . وكنَّا نأكل في المدرسة الوطنيَّة ونتعلم وننام في دار صغيرة مأجورة . وفي العام التالي انشئ الفرع الطبي وجاء الدكتور ڤان ديك والدكتور ورتبات والدكتور بوست للتعليم فيهِ وفي القسم العلمي ايضًا . ولما وقفنا لاستلام الدبلوما في آخر السنة الرابعة كنَّا خمسة لا غير كاتب هذه السطور واربعة من اخوانهِ والباقون توفوا او انتقلوا الى القسم الطبي او تركوا الدرس لاسباب أُخرى

وقد مرَّ على المدرسة الكلية الآن ٣٣ سنة فانتقلت من تلك الدار الصغيرة المأجورة الى مبانٍ رحبة فخيمة خاصة بها تكاد تكون بلدًا في رأس بيروت وزاد عدد الطلبة من ستة عشر الى اكثر من ستمئة . وللدكتور بلس اليد الطولى في هذا النمو والاتساع فبسعيهِ جُمع اكثر المال الذي بنيت بهِ مباني المدرسة المختلفة والمال الذي يُنفق ريعهُ على اساتذتها . وباهتمامهِ بنيت تلك المباني ولم ينفق عليها الاَّ اقل ممَّا ينفق على مثلها في مدينة بيروت . هذا من حيث جسم المدرسة امَّا روحها اي تعليم التلامذة وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم وتكبير نفوسهم وجعلهم رجالاً يعتمدون على جدهم وتعتمد بلادهم عليهم فهو الشيء الاهم ولهُ فيهِ ايضًا اليد الطولى

اما من حيث التعليم بالذات فرؤَساء المدارس لا يعلّمون الاَّ قليلاً لان اكثر عملهم اداري وقد كان الدكتور بلس يدرّس بعض العلوم الرياضية في اول الامر ثم جعل يدرّس الفلسفة العقلية والادبية واخيرًا اقتصر على تدريس الفلسفة الادبية . وطريقتهُ في التدريس بسيطة وهي توضيح الموضوع بالامثلة الحسية المنتزعة من اعمال الناس وترك التلامذة يستنتجون كليات العلم لانفسهم . ويلي ذلك او يقدَّم عليهِ الاهتمام بانتقاء المدرسين واطلاق الحرية لهم فاذا رأى مدرّسًا قائمًا بما يجب عليهِ اطلق لهُ الحرية التامَّة ولم يعترضهُ في شيء لا في التدريس ولا في ما يراهُ لازمًا من ادارة التلامذة فكأَن كل مدرّس مستقلٌ بنفسهِ في ما خُصَّ بهِ تدريسهُ . واما اذا وجدهُ غير كفءٍ للتدريس فلا اسهل من ابدالهِ بغيرهِ ولذلك فاكثر الذين درَّسوا في المدرسة الكلية بذلوا جهدهم في انجاح تلامذتهم غير مقيَّدين بالقوانين المدرسية التي تغلُّ

يدي المدرّس في الغالب وتجعلهُ يهتم بالعرض لا بالجوهر . فالمدرّس الذي لهُ اسلوب حسن للتدريس يفلح في عملهِ والذي ليس لهُ اسلوب حسن لا يفلح ولو حوَّطتهُ بالف قاعدة وقانون

ومع اطلاقهِ الحرية للمدرسين وتركهم من غير سيطرة لم يكن يغفل عمّا يبدو من التلامذة من امارات الذكاء والخمول والاجتهاد والكسل فينقّي المدرسة من الخاملين الكسالى باسقاطهم او بمنع المساعدة المدرسيَّة عنهم حتى يتركوها من انفسهم واما الذكي المجتهد فيزيد رغبتهُ واجتهادهُ بكلمة يقولها لهُ في محلها ولا يطريهِ ولا يكرر المدح عالمًا ان الشيء اذا قلَّ عزَّ . اختار احد تلامذتهِ لتدريس الفلسفة الطبيعيَّة واتفق بعد سنة من الزمان ان سألهُ ذلك المدرّس قائلاً ما جعلك تختارني لهذا المنصب فقال لهُ رأيتك وانت تلميذ تصنع آلةً تمثل مطحنة باركر فعلمت انك تميل الى العلوم الطبيعية الامتحانية ومن كان لهُ ميل طبيعي الى علم من العلوم افلح فيهِ متى تيسَّرت لهُ وسائلهُ فحفظت المثال الذي صنعتهُ وبقي اسمك وفعلك في ذهني حتى اذا احتاجت المدرسة الى من يدرّس فيها الطبيعيات اخترتك لهذا المنصب

نأتي الآن الى تهذيب الاخلاق وهو عندنا اهم من تثقيف العقول وسبيلهُ اليهِ الوعظ والارشاد في ايَّام الآحاد وتدريس الآداب الدينية لكل التلامذة ولو مرةً في الاسبوع والسهر المستمر على سيرتهم داخل المدرسة وخارجها . وطريقتهُ في ذلك كلهِ مثل طريقتهِ في التعليم والادارة اي الارشاد والمراقبة من غير اكراهٍ ولا تشديد حتى يشعر التلميذ انهُ مقود الى الخير من نفسهِ لا بزمام ولا بشكيمة . فاذا وعظ ذكر الحقائق واوضحها بالامثال ولم يكثر من التوبيخ والتقريع واذا علَّم القواعد الدينيَّة لم يستخف باعتراضات التلامذة ولا زجرهم اذا ابدوا ما في نفوسهم من الشكوك بل عاملهم في ذلك كأنهُ واحد منهم وكانهُ هو واياهم من طلبة الحق على حدّ سوى ولذلك لا نظن ان احدًا من تلامذتهِ يقدر ان يقول عنهُ انهُ ضغط على افكارهِ يومًا من الايام

وكثيرًا ما كان يخرج في الليالي ويطوف في ازقَّة المدينة فاذا رأى تلميذًا خارج المدرسة في غير الوقت الذي يسمح لهُ فيهِ بالخروج نظر اليهِ نظرةً يشعر التلميذ منها بخطاءٍ وبأن عين رئيسهِ غير غافلة عنهُ فيعود بالخجل من نفسهِ والندم على ما فعل الا اذا كان معوجًا لا يرجى تقويمهُ. وهذا كان شأنهُ دائمًا كلما رأى تلميذًا اخلَّ بما يجب عليهِ فانهُ كان يريهِ خطأهُ من طرف خفي حتى يستحي منهُ ويرجع عنهُ من نفسهِ

استدعى احد التلامذة المنتهين مرةً وقال لهُ شكاك الناظر اليَّ انك لم تطعهُ فاستغربتُ

ذلك منك لانني لم اسمع عليك شكوى قبل الآن . فقال التلميذ يقول المثل العربي ان شئت ان تُطَاع فسَلْ مايستطاع ومن ثم تعلم لماذا لم اطع الناظر . فتبسَّم وقال لهُ كفى. ولم يتم الناظر السنة . واضطرت فرقة (صف) منتهية ان تخرج من المدرسة لامر ما وابى البوّاب ان يفتح لها الباب ولم يكن الرئيس في المدرسة لتستأذنهُ ولم يسمع البواب لاحتجاجها فاخذت المفتاح منهُ غصباً وفتحت الباب وخرجت . ورُفع الامر الى الرئيس فقال ان البواب محق لانهُ غير مأذون في فتح الباب لاحد في ذلك الوقت والفرقة محقة في خروجها لانني ابنت لها من اول السنة اني اعتمد على حريتها وشرفها ولكنها اخطأت في اخذ المفتاح من البواب ويجب ان تعتذر اليهِ عن ذلك . فاعتذرت وانتهى المشكل

اما تكبير النفوس وهو الامر الاهم حتماً ولاسيما في بلاد المشرق حيث صغرت النفوس بامرّ عليها من ازمنة الاستبداد فلا نظن ان احداً يفوقهُ فيهِ او يضارعهُ . دخل غرفة الدرس العمومي مرة وكان التلامذة كلهم مجتمعين فيها وقال لهم ارسل الوزير الفلاني يقول انهُ آتٍ الآن لزيارة المدرسة ولو جاء رئيس اميركا او ملكة انكلترا لقلت لكم لا تقفوا بل ابقوا مكبين على دروسكم كما انتم الآن ولكن لا بدَّ من مراعاة احوال الزمان والمكان فاذا لم تقفوا لهذا الوزير عدَّ ذلك اهانة مقصودة فارجو ان تنهضوا حال دخولهِ وانا ادخل معهُ واشير اليكم لتجلسوا فاجلسوا . فشعر كل واحد منا كأن ما على عاتقهِ من احمال الاستبداد حُلَّت عراهُ فزال الضغط عن نفسهِ وحاولت الاتساع والانتشار . وحدث بعد ذلك بسنوات كثيرة ان اتى امبراطور برازيل الى بيروت وزار المدرسة الكلية ودخل غرف التدريس التي كنَّا ندرّس فيها فوقف لهُ التلامذة اجلالاً من تلقاء انفسهم فاشار اليهم بكلتا يديهِ ليجلسوا ثم قال ان العلم اشرف من كل شريف فلا تكرموا احداً عليهِ . وكانهُ اعاد على مسامعنا كلام الرئيس الذي سمعناهُ في صبانا . ما اعظم الفرق بين نفوس تلامذة يسمعون هذا الكلام ونفوس تلامذة تديرهم ايدي المدرسين كانهم جماد لا ارادة فيهِ ولا حياة

وكل ما سمعناهُ من كلام الدكتور بلس مع تلامذتهِ وما رأيناهُ من معاملتهِ لهم الاَّ في حادثة واحدة[1] يدلُّ على انهُ يتوخَّى الامر الذي اشرنا اليهِ آنفاً وهو تكبير نفوس التلامذة وجعلهم يشعرون انهم رجال يجب عليهم ان يعتمدوا على انفسهم

ومن اقوم السبل التي طرقها لهذه الغاية وساعدتهُ فيها زوجتهُ الفاضلة دعوتهُ التلامذة الى

(١) والحادثة التي اشرنا اليها ثورة التلامذة التي ترتبت على استعفاء بعض الاساتذة . والمسألة لم تجلَ غوامضها الاَّ بعد حدوثها وبعد ان سبق السيف العذل

بيتهِ من وقت الى آخر لكي يقابلوا كبار السيَّاح وكرام الزوَّار فيعرِّفهم بعضهم ببعض ويقدم لهم ما يقدَّم في مثل هذه الاجتماعات من الشاي والقهوة كأَنهم والزوَّار واهل البيت في منزلة واحدة فيجلس التلميذ مع امير البحر او مع القنصل الجنرال على مقعد واحد ويتناولان الشاي عن طبق واحد ويتحادثان ويتسامران كانهما صديقان متماثلان ويمرُّ الرئيس فيكلم التلميذ كما يكلم غيرهُ من زوَّارهِ وتمر زوجتهُ فتحذو حذوهُ . هذه الدعوات غير كثيرة ولكنها اذا حدثت مرةً في السنة تكفي لتبثَّ في نفس التلميذ روح الترفُّع والاستقلال وتضرم في قلبهِ الحب لرئيسهِ والرغبة في ارضائهِ

واهتمامهُ بالتلامذة وهم في المدرسة لا ينقطع بعد خروجهم منها فيكاتبهم ويكاتبونهُ . وهم يقلُّون من مكاتبتهِ طبعاً لعلمهم بكثرة اشغالهِ ولكننا لا نظن ان احدًا كتب اليهِ فلم يجبهُ حالاً. ولا يخلو كتاب لهُ من نكتة او ملحة فلا يشعر التلميذ انهُ من رئيس الى مرؤُوس. وقد منحهُ الله ذاكرة قوية فيتذكَّر كل تلامذتهِ ولو لم يقيموا في المدرسة الاَّ وقتاً قصيرًا وقد يتذكر اسماءهم ايضاً واذا قابلهم بعد غربة طويلة عانقهم كما يعانق الاب ابنهُ على خلاف عادة الغربيين

وقد استعفى الآن من رئاسة المدرسة الكلية فاختير ابنهُ الدكتور هورد بلس رئيساً لها بدلاً منهُ كما ذكرنا قبلاً ورأى تلامذتهُ وغيرهم من وجهاء السوريين ان يقدموا لهُ تذكارًا علامةً شكر لهُ . واول من جمع كلمتهم على هذا الامر الاستاذ الفاضل الدكتور ورتبات فجمع تلامذتهُ وغيرهم من الوجهاء في سورية مبلغاً من المال صنعوا منهُ وساماً كبيرًا من الذهب قلدوهُ بهِ في احتفال حافل في التاسع عشر من شهر يونيو الماضي وقد كتبوا على احد وجهيهِ بالعربية ما يأتي " الى الدكتور دانيال بلس زعيم مؤَسسي المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت واول رئيس تولى رئاستها من سنة ١٨٦٦ الى ١٩٠٢. انشأهُ فريق من متخرجي المدرسة وسواهم تذكارًا لجميلهِ وفضلهِ عند تقاعدهِ عن الرئاسة في ١٩ حزيران سنة ١٩٠٢ " ونقش على الوجه الآخر فحوى ذلك بالانكليزية وفي اعلاهُ صورة ارزة من ارز لبنان وهي شعار المدرسة وصنعوا آنية من الفضة قدموها الى زوجتهِ واعطوهُ ما بقي نقودًا وخطبوا الخطب الحسان عددوا فيها فواضلهُ . وطُلب من تلامذتهِ المقيمين في القطر المصري ان يشاركوا اخوانهم السوريين فاجتمعوا في ادارة المقتطف وقرروا عمل تمثال لهُ ينصب في دائرة المدرسة ويكتب عليهِ "تذكار للدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية الاول من تلامذتهِ" وجمعوا المال اللازم لذلك. وما اهتمام تلامذتهِ بتقديم علامة الشكر لهُ الاَّ ثمرة من ثمار الاخلاق النبيلة التي اهتم بانمائها في نفوسهم

وهو طويل القامة نحيف الجسم شديد العضل برّاق العينين غزير شعر الراس بلغ الثمانين ولا يزال يمشي منتصباً ويركب فرسهُ ساعات متوالية كالشبان. فسح الله لهُ في الاجل واراهُ من ثمار اعمالهِ ما يملأُ قلبهُ سروراً

وما غرضنا من نشر ما نشرناهُ عنهُ الاَّ ان يكون مرشدًا لرؤَساء المدارس حتى يقتدوا بهِ ويحذوا حذوهُ في تثقيف عقول التلامذة وتهذيب اخلاقهم وتكبير نفوسهم فينشأُوا رجالاً يُعتمَد عليهم وتنتفع بهم بلادهم . اما النهضة العلمية الادبية التي اشرنا اليها في صدر هذه المقالة فاستمرَّت عشرين سنة ثم خبت نارها بما ذُرَّ عليها من رماد المراقبة والتضييق وصار الشبان يهجرون البلادَ حالما يتمون دروسهم الاَّ نفرًا قليلاً منهم ولله الامر

الله والعلم

اسرُّ الى المقتطف هذه الكلمة الفانية على هذه الدنيا الفانية واسألهُ ان يذيعها تمجيدًا لله وتنويهاً بالعلم الذي هو آية ملكهِ ورسولهُ الذي لا يموت في العالمين

ولئن وعظ الاسكندر الناس ساعة مماتهِ اضعاف وعظهم في حياتهِ ففي مرض الملك ادورد وهو يضطلع بالدولة التي يحسر الطرف في مواكبها ما فيهِ للنفوس مزدجر وما جمع الله فيهِ العبر

لِمَن ذلك الملك الذي عزَّ جانبهُ	لقد وعظ الاملاكَ والناسَ صاحبهْ
أَمَلْكٌ أَيا ادْوَرْدُ والملك للذي	يغار عليهِ والذي هو واهبهْ
اراد بهِ امرًا فجلَّت صدورهُ	فأَتبعهُ لطفًا فجلَّتْ عواقبهْ
رمى واستردَّ السهمَ والخلقُ غافلٌ	فهل يتَّقيهِ خلقهُ او يراقبهْ
أَيبطلُ عيد الدهر من أَجل دُمَّلٍ	وتخبو مجاليهِ وتُطوَى مواكبهْ
ويرجعُ بالقلب الكسير وفودهُ	وفيهم مصابيح الورى وكواكبهْ
وتسمو يدُ الدهر ارتجالاً بيأْسها	الى طنب (الاقواس) والنصر ضاربهْ
ويستغفر الشعب الفخورُ لربهِ	ويجمع من ذيل المخيلةِ ساحبهْ
ويحجب ربُّ العيد ساعةَ عيدهِ	وتنقص من اطرافهنَّ مآدبهْ
أَلا هكذا الدنيا وذلك ودّها	فهلاَّ تأَنَّى في الاماني خاطبهْ
اعدَّ لها ادوردُ اعيادَ تاجهِ	وما في حساب الله ما هو حاسبهْ
مشت في الثرى انباؤُها فتساءلت	مشارقهُ عن امرها ومغاربهْ

وكاثر في البر الحصى من يجوبهُ وكاثر موج البحر في البحر راكبهْ
الى موكبٍ لم تخرج الارضُ مثلهُ ولن يتهادى فوقها ما يقاربهْ
اذا سار فيهِ سارت الناس خلفهُ وسوَّت مقادير الملوك ركائبهْ
تحيط بهِ كالنمل في البر خيلهُ وتملا آفاقَ البحارِ مراكبهْ
نظام المجالي والمواكبِ حلَّهُ زمانٌ وشيك ريبهُ ونوائبهْ
فبينا سبيل القوم أمنٌ الى المنى اذا هو خوفٌ في الظنون مذاهبهْ
اذا نبأ الاعياد في كل مسمعٍ تجوبُ الثرى شرقًا وغربًا جوائبهْ
رجاءٌ فلم يلبث بخوفٌ فلم يدم سلِ الدهر ايُّ الحادثين عجائبهْ
فياليتَ شعري اين كانت جنودهُ وكيف تراخت في الفداء قواضبهْ
وردَّت على اعقابهنَّ سفينهُ وما ردَّها في البحر يومًا محاربهْ
وكيف افاتتهُ الحوادث طلبةً وما عودتهُ ان تفوت رغائبهْ
لكَ المُلكُ يا من خصَّ بالعزِّ ذاتهُ ومن فوق آراب الملوك مآربهْ
فلا عرش الاَّ انت وارث عزّهِ ولا تاج الاَّ انت بالحق كاسبهْ
وآمنتُ بالعلم الذي منكَ نورهُ ومنكَ اياديهِ ومنكَ مناقبهْ
توأمنٌ من خوفٍ بهِ كلَّ غالبٍ على امرهِ في الارض والداءُ غالبهْ
سلوا صاحبَ الملكَين هل ملكَ القوى وأُسْدُ الشرى تعنو لهُ وتحاربهْ
وهل دفع الداءَ العضال وزيرهُ وهل حجبَ البابَ الممنع حاجبهْ
وهل قدمتْ إلاَّ دعاءً شعوبهُ وساعف إلاَّ بالصلاةِ أقاربهْ
هنالك كان العلم يبلي بلاءهُ وكان سلاحُ العلم تغني تجاربهْ
كريم الظبى لا يقربُ الشرَّ حدهُ وفي غيرهِ شرُّ الورى ومعاطبهْ
اذا مرَّ نحو المرءِ كان حياتهُ كاصبع عيسى نحو ميت يخاطبهْ
وأيسرُ من جرح الصدود فعالهُ وأسهل من سيف اللحاظِ مضاربهْ
عجيب يرجّي "مشرطًا" او يهابهُ من الغربُ راجيهِ من الشرق هائبهْ
فلو تُفتدى بالبيض والسمر مديةٌ لألقت قناها في البلاد كتائبهْ
ولو ان فوق العلم تاجًا لتوَّجوا طبيبًا لهُ بالامس كان يصاحبهْ
فآمنت بالله الذي عزَّ شأنهُ وآمنت بالعلم الذي عزَّ طالبهْ

مصر احمد شوقي

انتقاء الالفاظ

(تابع ما قبلهُ)

عندئذٍ قال واحدٌ من الحاضرين سمعت بيتين مُدح بهما احد الامراء من راعٍ وصفهُ فيهما بحفظ العهود والكرم والصبر على الشدائد وصحَّة العزيمة في مقارعتها ولعلهما بقبح التعبير فيهما يدخلان في هذا الباب والبيتان هما

وانت ككلبٍ بحفظ الودادِ وانت كدلوٍ كثير الزروبِ
وتصبر في الخطب صبر الحمارِ وتشبه تيساً بقرع الخطوبِ

قال آخر ان هذه المعاني جميلة والغاية حسنة محمودة الاَّ ان وضع الممدوح بين الكلب والحمار والتيس يخيّل انهُ بغلٌ او بعير

ثم قال آخر وكان مشتغلاً بالتقليب في ديوان المتنبي : ها قد عثرت على البيت الذي تمثلت بهِ للمتنبي وهو امعفّر الليث الخ فلماذا قلت الليث الهصور على انها هنا الليث المزَبر وهكذا كنت احفظها الاَّ انني لم أرد الاعتراض الاَّ بعد التحقيق

قلت نعم ان الاصل كما تقول الاَّ ان كراهتي لهذه اللفظة جعلتني استبدلها بالهصور وامثال هذه اللفظة لا يروق استعمالها مهما حُفَّت بالقرائن والدلائل التي يقصد بها صرف المعنى عمَّا يذهب اليهِ الذهن عند سماعهِ

والالفاظ المقرونة عند العامَّة بمعنى قبيح غير قليلة في اللغة على حين ان معانيها اللغوية لا غبار عليها . وهي يحظر ايرادها في الكلام في أكثر المعارض وان تُسومح بها في البعض الآخر

فقال ماذا تريد بالمعارض قلت اريد ماهية السامعين والقراء قال او يوجب ذلك فرقاً قلت نعم قد يختلف تقدير الكلام باختلاف ذوق السامع وطبقتهِ من العلم وتذكر الحادثة يوم وقف رواة الشعراء في باب السيدة سكينة بنت الحسين اذ قالت لراوية جرير أليس صاحبك الذي يقول

طرقتكَ صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلامِ

وايُّ ساعةٍ احلى من الزيارة بالطروق قبَّح الله صاحبك وقبح شعرهُ فهلاَّ قال

طرقتكَ صائدة القلوب وانَّ ذا وقت الزيارة فادخلي بسلامِ

ثمَّ لما وقف الشعراء في باب عُمَر بن عبد العزيز يستأذنون وجد لكل واحدٍ منهم عيوباً

ومنعهم عن ان يطأوا لهُ بساطًا الى ان وصل الي جرير فقال أليس هو القائل طرقتك الخ ادخلوهُ عليَّ فانهُ عفيف القلب واللسان . فتأمل كيف لاجل البيت الواحد قد أُكرم صاحبهُ مرَّةً واهين اخرى فمن الناس من يطرب للفظ تمجُّهُ اذن الآخر ولا تسيغهُ . فقال ذكر البيانيون ايضًا ان المعاضلة مكروهة في الكلام وعنوا بها تراكب الحروف من شكل واحد في العبارة ومثلوا عليها بابياتٍ كثيرة مثل بيت المتنبي

تقلقلت بالهم الذي قلقل القوى قلاقل همٍّ كلهنَّ قلاقلُ

الاَّ انهم لم يضعوا فارقًا بين الحروف التي يكرهُ تكرارها وعندي ان الحروف الرقيقة اذا كررت لا باس بها بل هي تزيد الكلام رونقًا وطلاوةً مثل "بسم القدوس نستفتح وباسعادهِ نستنجح مبجية سيدنا السلطان حرست نفسهُ الخ" ومثل حرف الحاء في قولنا "ويحمي حوزةَ الحق الصحيحِ" وهو من البديع اللفظي المحبوب

قلت لا ارى كما ترى في هذا الامر لان تكرار الحرف الواحد وان كان رقيقًا يسهل التلفظ بهِ يشغل السامع بالصناعة اللفظية ويصرف ذهنهُ عن المعنى فضلاً عن انهُ يكون في تكرار الحرف الواحد التزام يشوش المعنى ويجعلهُ في كثير من المواقع ركيكًا سخيفًا واللسان يستثقل تكرار الحرف الواحد مهما كان ذلك الحرف رقيقًا مثل بيت اعشى قيس

وقد غدوتُ الى الحانوت يتبعني شاوٍ مِشَلٌّ شلولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

قال احد الحاضرين : لوكان ما ذكرتم عن الالفاظ عيوبًا لما وقع بهِ نوابغ الكتاب والشعراء وانا اقول ان كل ما تمثلتم بهِ من اقوالهم وحسبتموهُ عليهم هفوات لهُ عندهم مسوّغات لولاها ما ارتكبوهُ

قلت ان تمحل الاعذار لهم ليس بالامر الشاق غير ان ذلك لا يتفق مع الحقيقة ولا يخرج عن حد التمويه ومغالطة النفس وقالت الحكماء لكل عالم هفوة والكمال صفة الهيَّة لا يستطيع الانسان بلوغها . قال احد العلماء "تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق في غير اهل البادية نقص" وان التحذلق دليل الضعف والتقصير في شأو الفصاحة لان معناها الظهور والبيان لا الغموض والخفاء وكل من اغرب في كلامهِ يخرج عن حدها وانت لو راجعت كتب الادب وتعهدت العبارات الحاوية الغريب منها لوجدت اكثر معانيها ركيكة مبتذلة لا شيء فيها من التخيلات السامية والمرامي البعيدة . وغالب ما اطلعت عليهِ من العبارات او الابيات المشوَّهة بالغريب وجدت المعاني فيهِ تافهة والفكر مملولاً سقيماً واليك بعض الامثال نوردها استئناسًا قال امرؤُ القيس واغرب

مسحٌ اذا بالسابحات على الونى أثرنَ الغبار بالكديدِ المركَّلِ

ومعناهُ ان الجواد الذي يصفهُ لا يتعب كسائر الخيل وهذا المعنى المبذول الصغير لا يتحصل منهُ الاَّ بعد اعنات الرويّة والتكهن الكثير كما يتضح بالمراجعة . ومثلهُ قول طرفة

فمرّت كهاةٌ ذات خيفٍ جلالةٌ عقيلة شيخٍ كالوبيل يَلَنْدَدِ

يعني مرت ناقةٌ سمينة ضرعها ذو جلد تخصُّ شيخًا عدوًّا يشبه العصا وهو معنى ركيك بارد وابرد منهُ قولهُ

أمونٌ كالواح الاران نصأتها على لا حب كأنهُ ظهر برجدِ

وتحرير المعنى اني ضربت ناقتي بالعصا . فاكثر الكلام المغلق لا يكون وراءهُ معنى كبير لان من كانت معانيهِ سخيفة وافكارهُ ضعيفة يحاول اغلاقها والتعمية فيها بالفاظٍ ثقيلة وكلام غريب ليستر الركاكة كالذي يسترعيوب جسدهِ بثيابهِ ليحجبها عن الابصار اما من كان معناهُ سامياً جليلاً فيلجُ في ايضاحهِ باسهل العبارات ويرغب في بسطهِ باسلس الكلام حتى لا يفوت فهمهُ ايًّا كان من القراء ولذلك ترى جميع الابيات الحكمية التي ارسلت امثالاً والقطع التي التقطتها الآذان واحتوتها الاذهان من منثورٍ ومنظوم لا شيء فيها من الغريب النافر بل جميع الفاظها طيبة سائغة

وهذا الحكم يتمشى على المأثور عن فصحاء الجاهلية كما يتمشى على المحفوظ من كتابات بلغاء الاسلام . ومن العجيب انك عند ما تراجع القصائد الطويلة لشعراء الجاهلية تجد منها الابيات المأثورة لحكمتها والمحفوظة لبلاغتها كانها واحات مخصبة تحيط بها الرمضاء مثل قولهِ في لامية العرب

لعمرك ما في الارض ضيق على امرئ سرى راغبًا او راهبًا وهو يعقلُ

ولي دونكم اهلونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وارقطُ زهلولٌ وعرفاء جيألُ

كأن البيتين ليسا من لغة واحدةٍ . وكثير من ابيات القصيدة على حدّ البيت الثاني الاَّ اننا لا نرى الكتَّاب والخطباء قديمًا وحديثًا يتمثلون الاَّ بما كان منها على حدّ البيت الاول من شرف المعنى ورقَّة اللفظ

قال احدهم : سمعت من بعض الاصحاب ان الافرنج اليوم لا يفهمون الكتب المكتوبة في لغتهم منذ خمس مئة سنة فهل ذلك صحيح وما سببهُ

قلت : نعم ان ذلك صحيح انما تلك الكتب التي أُلِفت منذ خمس مئة سنة والتي تشير اليها ليست مكتوبة في لغتهم بل في لغة اسلافهم الذين عاشوا في ذلك العهد وقد تغيَّرت

وتبدلت احوالها حتى صارت لغة اليوم بعيدة عن لغة ذلك الزمان وهم لا يحسبون انفسهم مقيدين بما استعمله اسلافهم من الكلام وعندهم ان كل جيل له الخيار في الالفاظ التي انتهت اليهِ من الجيل الذي سبقهُ ان ينتقي منها ما يحتاج اليهِ وينبذ ما لا يروق له استعماله وكل لفظ مرَّ عليهِ نحو خمسين سنة وهو خارج عن استعمال الكتّاب المشهود لهم بحسن الذوق يصير حريًّا بان يحسب مهجورًا خارجًا من دائرة اللغة وحجتهم ان عدم استعمال الكلمة دليل على الاستغناء عنها اما بفقدان الاحوال التي كانت تدعو اليها واما بالاستعاضة عنها بما هو خير منها للدلالة واذ ذاك لا يجوز الرجوع اليها الاَّ عند رجوع الاحوال التي وضعت لاجلها مشفوعةً بشهادة كاتب بليغ موثوق بحسن اختياره

وكل لفظةٍ هجرها الكتّاب البلغاء مئة سنة ولم يوردوها في كتاباتهم لا يبقى لها حق بالاستعمال بعد هذه المدة فما قولك بالالفاظ الثقيلة النافرة الوحشية التي مرَّ عليها اكثر من الف سنة ولم ترد في سطور كاتب بليغ وان وردت فلاغراضٍ يبانية بعيدة عما نحن فيهِ افنحسبها بعدُ من لغتنا ام نرمي بها عرض الحائط ونحذفها من معجم الاستعمال. كثير من الاسماء التي نجدها اليوم في الامهات بادت مسمياتها او تبدلت احوالها والاغراض منها واطلق عليها اسماء جديدة معروفة بها فايراد مثل هذه الكلمات في كتابات اليوم داعٍ الى التشويش وقاضٍ على المعنى بالتقلقل

فقال آخر: قرأت ان ابا زيد الانصاري كان مرَّةً واقفًا بالقرب من اولادٍ يلعبون وكلما سمع منهم لفظةً جديدة يسألهم عما يريدون بها ليحتفظ بمعناها فمرَّ بهِ شيخ جليل ورآهُ على هذه الحال مكبًّا على الالتقاط فقال له "أعن هؤلاء المجانين تأخذ اللغة" فماذا تستنتج من هذه القصة ؟

قلت اما استنتجتَ انت منها شيئًا قال كلاَّ قلت اما انا فاحسب قولهُ هذا دليلاً على ان لغة الاولاد والرعاع كانت غير اللغة البليغة التي تحكى في المواضع الجدية وان العرب كان لهم ايام جاهليتهم لغة عاميَّة مثلما لنا اليوم يتكلمها اطفالهم وجهلاؤهم ويتسلَّى بها كبراؤهم في اوقات المزاح . مثال ذلك : ينقل عنهم انهم قالوا للكاذب مكذبان وهذه الصيغة نادرة في كلامهم الفصيح والذي اظنهُ ان الاولاد كانوا عند ما يكذب احدهم لا يكتفون بان يقولوا له كاذب او كذاب فاضافوا الى المادة الاصلية حروفًا تطول بها الكلمة ويمتدُّ الصوت عند ما يقولون له " يا مكذبان "

ويحتمل ايضًا ان ولدًا واحدًا قالها مرَّةً عفوًا فسمعها منهُ ابو زيد او الاصمعي اوغيرهما

من الذين تجرَّأوا جمع اللغة ودوَّنها بين لقطهِ حاسباً اياها غنيمة ثمينة . عند الانكليز اليوم لغة يسمونها Slang يحكيها ادباؤهم في اوقات المزاح وفيها يستعملون الالفاظ لغير معانيها التي وضعت لها في اللغة او يجيئون بالفاظ جديدة مرتجلة يفهمونها من بعضهم بما يعهدونهُ من القرائن والاحوال السابقة بين المتخاطبين واظن ان الالفاظ القبيحة والمستهجنة في لغتنا أُخذت من مصادر كهذه وجامعوها كانوا يتسابقون ليأتي واحدهم بشيء جديد لم يسمعهُ غيرهُ فكانوا ميالين لقبول كل ما سمعوا على علاتهِ . ويؤيد صحة هذا الرأْي ما نراهُ في اللغة من كثرة الكلمات البذيئة مما يتعلق بما لا يستحسن التصريح بذكرهِ والراجح ان الشبان او غيرهم كانوا اذا ارادوا هاتيك المعاني يانفون من استعمال الالفاظ الصريحة الموضوعة لها فيكنون عنها بكلمات يهون التلفظ بها مستخدمة في معانٍ غير التي يريدون انما يفهمون المراد منها بالاماءِ والاشارات ولو لا كراهة التطويل في هذا الباب لكنت اجيء عليهِ بالادلة والشواهد مما هو جارٍ في هذه الايام عند العرب والافرنج . فيتحصل معنا انهُ ليس كل ما جاء في المعاجم عربياً فصيحاً بل كثير منهُ لقط من غير مظانّ الالفاظ واللغة اليوم مفتقرة الى التعديل بالحذف كما هي مفتقرة الى الاضافة وعسى علماء اللغة يشتغلون بوضع معجم جديد يطرحون منهُ كل ما يرونهُ من هذا القبيل وهو اكثر من ربع المنتهي الينا

ثمَّ قال آخر : لا باس بهذه الشروط التي تذكرونها لحسن الالفاظ فاقل فوائدها انها ترشد الكاتب وتنير ذهنهُ الى ما يحسن استعمالهُ غير اني احسب القواعد والضوابط غير وافية بالغرض ولا يمكننا ان نضع دليلاً يهدي الكاتب في جميع المواقف الى الكلمات اللائقة ويدفعهُ عن المكروهة ولا ارى احسن من قول ابن الاثير في هذا المعنى (ثم جاء بالمثل السائر وقرأ) اعلم ان مدار علم البيان هو حاكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم وهذا التعليم وان كان في ما يلقيهِ اليك استاذا واذا سأَلت عما ينفع بهِ في فنهِ قيل لك هذا فان الدربة والادمان اجدى عليك نفعاً واهدى بصراً وسمعاً وهما يريانك الخبر عياناً ويجعلان عسرك في القول امكاناً وكل جارحة منك قلباً ولساناً فخذ من هذا الكتاب ما اعطاك واستنبط بادمانك ما اخطاك وما مَثَلي في ما مهدتهُ لك من هذه الطريق الأَ كمثل من طبع لك سيفاً ووضعهُ في يمينك لتقاتل بهِ وليس عليهِ ان يخلق لك قلباً فان حمل النصال غير مباشرة القتال

وانما يبلغ الانسان غايتهُ ما كلُّ ماشيةٍ بالرحل شملالُ

قلت هذه حقيقة لا يرتاب في صحتها فقد قالوا " اختيار المرء قطعةٌ من عقلهِ " وذكر احدهم عدة اشياء تدلُّ على عقول اصحابها منها ان الكلام يدلُّ على عقل المتكلم وقال الشاعر

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره

وصاحب الذوق السليم والفطرة البيانية اذا كان لهُ معرفة بالالفاظ ووقوف على معانيها الصحيحة يكون الكلام لديهِ مثل المخاريق بايدي اللاعبين يصرفهُ كيف شاء وشاءت البلاغة فيجيء بالالفاظ في مواضعها المستحكمة وتظهر لك في جملها ارسى من الجبال بحيث لا يمكن تبديلها بما هو احسن منها. تراهُ اذا افتخر يجيء بالالفاظ الجزلة الفخيمة التي تشعر معها بالقوة وتنبه في فكرك مراكز الشدَّة واذا تغزل يسمعك الكلام الرقيق اللطيف الذي يسترق عواطفك وينفرد بخيالاتك صاعداً بها الى مثال الجمال واذا رثى يورد من الالفاظ ذات الرنات الشجية ما يسكب نفسك ويهيج حزنك واورد لك مثالاً من شعر محمود سامي باشا قال مفتخراً

سواي بتحنان الاغاريد يطربُ وغيريَ باللذاتِ يلهو ويلعبُ
وما انا ممَّن تأسر الخمرُ لبَّهُ ويملك سمعيهِ اليراعُ المثقب
ولكن اخوهمّ إذا ما ترجَّحت بهِ سورةٌ نحو العلا راح يدأبُ
نفى النوم عن عينيهِ نفس ابيَّة لها بين اطراف الاسنة مطلبُ
بعيد مناط الهمّ فالغرب مشرقٌ اذا ما رمى عينيهِ والشرق مغربُ
لهُ غدواتٌ يتبع الوحش ظلَّها وتغدو على آثارها الطير تنصب
ومن تكن العلياء همة نفسهِ فكلُّ الذي يلقاهُ فيها محبَّبُ
اذا انا لم اعطِ المكارم حقها فلا عزَّني خالٌ ولا ضمني ابُ
ولا حملت درعي كميتٌ طمرَّةٌ ولا دار في كفي سنان مذرَّب
خلقت عيوفاً لا ارى لابن حرَّة لديَّ يداً اغضي لها حين يغضبُ
فلست لامرٍ لم يكن متوقعاً واست على شيء مضى اتعتَّبُ
اسير على نهج يرى الناس غيرهُ لكل امرىء في ما يحاول مذهبُ
وبحر من الهيجاء خضتُ عجاجهُ ولا عاصم الاَّ الصفيح المشطَّبُ
تظلُّ بهِ حمر المنايا وسودها حوامر في الوانها تتقلبُ
توسطتهُ والخيل بالخيل تلتقي وبيض الظبى في الهام تبدو وتغربُ
فما زلت حتى بيَّن الكرُّ موقفي لدى ساعةٍ فيها العقول تغيبُ

الى آخر القصيدة على هذا النمط من سموّ المعاني وحسن التعبير وفخامة الالفاظ. وقد اختار لمعانيهِ من الكلمات اجزل ما يوجد في اللغة فجاء كلامهُ غاية في الفصاحة ومطمحاً في البلاغة. ثم انظر كيف تختلف الفاظهُ وتتبدل حروفهُ عند ما يختلف الموضوع قال يصف الحمام

فما راعنا الاَّ حفيف حمائمٍ لها بين اطراف الغصون هديرُ
نواعم لا يعرفن بؤس معيشةٍ ولا دائرات الدهر كيف تدورُ
كأنَّ على اعطافها من حبيكها تمائمَ لم تعقد لهنَّ سيورُ
خوارج من ايكٍ دواخل غيرهِ زهاهنَّ ظلٌّ سابغٌ وغديرُ
اذا غازلتها الشمس رفَّت كأنَّما على صفحتيها سندسٌ وحريرُ

فهو في هذا المقام يمثل لك الحمام باطلى الالفاظ وارقها وهذا التلاعب والتنقل في انتقاء الكلام بحسب مقتضى المعاني هو حدُّ الجمال ومنتهى حسن البيان

فقال كنت مرَّة في مجلس مع فريق من الادباء فعرض لي جملة استعملت فيها كلمة الاكفاء فانتقض عليَّ بعضهم بان هذه اللفظة من الغريب الذي لا يروق استعمالهُ أليس في قولهِ هذا مبالغة وتطرف في ما هو الغريب ؟

قلتُ ان الفريق الذين كنتَ معهم ليسوا من الادباء لانهم لو كانوا شمُّوا رائحة اللغة ما اعترضوا على الاكفاء وهذا هو الطرف الآخر من الركاكات التي وصلنا اليها وقد كاد الداء بها يصير عضالاً لولا ان قام اليهِ فريقٌ من ادباء هذا الجيل الذين عمروا ديار اللغة بعد عفائها . ونحن الآن في زمانٍ تضيق بهِ الدنيا على محترف حرفة الادب ولا رجاء يتعلَّل بهِ طالب اللغة للارتزاق ومهما اكثر الاديب من تقييد شواردها واصطياد اوابدها وحشد في عقلهِ من العبارات البليغة والكلام الفصيح تبقى سبل الاجتراح ضيقة عليهِ ومنافذ التعيُّش مسدودة في وجههِ . ولذلك ترى غالبَ طالبي العلم راغبين عن هذه الخطة منهُ ضانين باوقاتهم عن بذلها في قراءة كتب الادب وحفظ الكلام الفصيح . تجد اكثر شبان هذا الزمان الذين يتخرَّجوا في المدارس العالية قد صرفوا جلَّ اهتمامهم في تحصيل اللغات الاجنبية ودرس آداب لغة الافرنج فيشبون على الذوق الاوروبي لا يعرفون من العربية الاَّ ما كان مبذولاً من الكلام الذي يقرأُونهُ في الصحف اليومية او يسمعونهُ من امثالهم فاذا عرض لهم يوماً ان سمعوا او قرأُوا كلاماً لا يفهمونهُ رموا كاتبهُ بالتحذلق والتقعُّر وحسبوهُ من غريب الالفاظ التي يحظر استعمالها . ولو اقتصر الكتاب على ايراد ما يعرف امثال هؤُلاء من الالفاظ لضاقت عليهم دائرة اللغة وتعذرت مسالك التعبير . وداء الركاكة هذا اشدُّ من داء التحذلق وافشى منهُ في هذا الزمان واری الكلام فيهِ جديرًا بالافاضة فاقف عنهُ الآن راجياً ان اعود اليهِ في فرصة اخرى

فارس الخوري

محمد علي باشا

(تابع ما قبلهُ)

كتب المستر باركر في اول يونيو سنة ١٨٣٠ الى القنصل الجنرال لدولتهِ في الاستانة العلية يقول :

قال محمد علي في ديوانهِ بالامس انهُ ينتظر مجيء الاسطول العثماني عليهِ لان السلطان طلب منهُ مرافىء مصر الثلاثة. وانهُ هو اي محمد علي غير عازم على تسليم هذه المرافىء بل هو قادر على حمايتها . ولا ادري هل نُقل اليهِ هذا الخبر حقيقة من الاستانة او هو ذكرهُ من عندهِ ليسبر غور رجالهِ لانهُ لم تمضِ الاَّ ايام قليلة منذ جاءهُ فرمان التثبيت من الباب العالي لهُ ولابنهِ

وكتب قبل ذلك في ١٨ مايو يقول :

ان الاستعداد للحرب قائم على ساق وقدم مع ان فرمان التثبيت جاء الى الباشا والى ابنهِ يوم عيد الاضحى في الاسبوع الماضي

وكتب الى امير البحر ملكلم في الثالث من شهر يوليو يقول :

اخبرني الباشا منذ بضعة ايام ان عمق مدخل المرفإ سبع وعشرون قدماً وان اكبر البوارج الحربيَّة لا تحتاج الى اكثر من خمس وعشرين قدماً ولذلك لم يجد صعوبة في ادخال اكبر بوارجهِ الى المرفإ واخراجها منهُ اذا كان البحر رهوًا ثم قال لي : " اني لا اقتنع بشيء ما لم اختبرهُ بنفسي ولا احكم باستحالة شيء ما لم ارَ بالاختبار انهُ غير ممكن ألا ترى ان امير البحر برون الفرنسوي كان يمكنهُ ان يدخل المرفأ بسفنهِ كلها حتى الاوريون ولكن قيل لهُ ان الماء في المدخل غير كاف فصدَّق هذا القول وذهب الى ابي قير فاتلفتم عمارتهُ ". وثق ايها الاميرال ان مقدرة محمد علي تفوق الوصف وقد بنيت حكمي هذا على ما عرفتهُ بنفسي من الاحاديث التي حدثني بها على انفراد . (وكان المستر باكر عارفاً باللغة العربيَّة متقناً لها)

وكتب اليهِ قبيل ذلك يقول :

لا بدَّ من ان يكون قد بلغك مجيء المسيو له بارون دتيلور الى هنا ومعهُ هدايا كثيرة الى الباشا لكي يطلب مسلَّتي لقصر باسم مدينة باريس وقد سمح لهُ الباشا باخذها ولما اطلعني على ذلك قال لي ولكنني ابقيت مسلَّة الكرنك للانكليز وهي اجمل المسلات كلها

وبقي المسيو له بارون نحو شهرين قبلما اذن لهُ في مقابلة الباشا واخيرًا نال منهُ ما جاء



محمد علي باشا



ابرهيم باشا

لاجلهِ وجاءت سفينة الدرومدير منذ شهر ومحمولها الف طن لكي تنقل احدى المسلتين

وفي السادس والعشرين من الشهر الماضي اتى برتو افندي وزير الخارجيَّة الاسبق فقابلهُ الباشا بالاكرام الواجب لمقامهِ. والغرض من مجيئهِ اقناع الباشا برضى السلطان عنهُ واخذ الجزية وما يعطيهِ اياهُ الباشا هبة "بخشيش". وكان بوغص يكلمني عنهُ بالامس فقال لي انهُ من نوابغ رجال الاستانة

ثم كتب في ٤ سبتمبر يقول: عاد برتو افندي الى الاستانة ومعهُ خمسون الف ريال هبة لهُ وخمس مئة الف ريال للسلطان من اجل ولاية كريت التي انعم بها على الباشا. والباشا يستعدُّ الآن لارسال خمسة آلاف جندي الى كريت وسيتبعها بخمسة آلاف جندي أخرى وانا واثق انهُ يجعل الاروام يلقون سلاحهم من غير حرب ثم يحسن معاملتهم حتى لا يندموا على ما فعلوا

وقد شرع في بناء بارجة اخرى محمولها ١١٠ مدافع وسمَّاها مدينة الاسكندرية وذبحت جاموسة يوم تسميتها على جاري العادة

وكتب في ٧ سبتمبر الى لورد بردو يقول: لقد سرَّ الباشا سروراً عظيماً بولاية كريت وهو يتكلَّم الآن عمَّا ينويهِ لها من الاصلاح فهو عازم ان يقيم فيها المنائر (الفنارات) والترسانات ويزرع الحراج لكي يبني من اشجارها السفن ويتجر بخشبها ومن غرضهِ ان ينشئ مجلساً في الجزيرة يدخل فيهِ شيوخ الاروام ومن كلامهِ لي في هذا الصدد قولهُ "وسترى ان حالهم تكون اصلح في حكمي منها في حكم بلادهم الجديد" والمرجح عندي ان الاخبار يؤيد قولهُ

وكتب الى لورد بردو في اول يوليو سنة ١٨٣٠ يقول: ان الباشا مهتمٌّ جدًّا ليعرف ما آلت اليهِ حملة فرنسا على بلاد الجزائر ويحسب ان الداي سيقاومهم ببسالة وعندهُ ان فرنسا لا تستطيع الاستيلاء على الجزائر في اقل من سنة من الزمان

ومنذ ايام قال في ديوانهِ قولاً اهتمَّ لهُ الناس اهتماماً عظيماً وهو "انهُ وردت اليَّ اخبار سرية من الاستانة مفادها ان السلطان عازم على الايقاع بي ولكن الله اكبر وسنرى على من تدور الدائرة". ثم امر ان يؤتى بالف رجل لانشاء طابية امام قصرهِ في راس التين وارسل واستدعى ابرهيم باشا وامرهُ ان يستعرض جنودهُ ويبني الطوابي وامر شيندي المهندس ببناء ابراج التلغراف[1] من الاسكندرية الى دمياط لارسال الاخبار وصارت السفن تخرج للاستطلاع كل يوم فقلق اهالي الاسكندرية وصاروا يتوقعون ابتداء القتال كل يوم ولكن

(1) يراد بابراج التلغراف هنا الابراج التي كانت تبنى وتنقل الاخبار بها من برج الى آخر بواسطة النيران او الاعلام

لم تمضِ ثمانية ايام حتى ثبت ان السلطان غير ناوٍ شيئاً مما قالهُ الباشا وان غرض الباشا من ذلك اقناع السلطان انهُ على تمام الاهبة لمقاومتهِ

وكتب الى لورد بردو في ١٠ فبراير سنة ١٨٣١ يقول: أُنزلت بارجة من بوارج الباشا الكبرى في ٣ يناير فشمل السرور جميع الناس وكان الباشا في مصر فأُرسل خبر نزولها اليهِ بالتلغراف واسم هذه البارجة محمد علي ومحمولها ١١٠ مدافع وهي مصفحة بالنحاس. وعندهُ بارجتان مثلها اسمهما ابرهيم والاسكندرية وبارجة اخرى محمولها ٨٠ مدفعاً وسيشرع في بناء بارجة محمولها ١٣٦ مدفعاً وستكون اكبر بوارج الدنيا اي انها تكون اكبر من بارجة تبنى الآن في الاستانة بنحو قدم او قدمين. وقد تم انشاء الترسانة وجُلب اليها الماء من المحمودية وانشئت الشون الكبيرة لوضع الحبوب والبضائع

لما اتيت الى مصر سنة ١٨٢٦ كنت اسمع كل احد يقول ان الباشا لا يستطيع ان يبقى ستة اشهر اخرى ما لم يجرَّ الخراب على نفسهِ لانهُ شارع في اعمال كبيرة لا يستطيعها لقلة المال لديهِ ولا بدَّ لهُ من ان يتركها ولكنهُ اتمها وعمل اعمالاً اخرى اعظم منها اضعافاً مضاعفة. والحقيقة اننا لا نعلم مقدرتهُ المالية ولا بدَّ من انها كافية لكل الاعمال التي باشرها. وفي اليوم التالي لانزال البارجة محمد علي أُنزل الى البحر كورفت جميل محمولهُ ٢٦ مدفعاً يراد ارسالهُ هدية الى السلطان

وكتب في ١٦ مارس سنة ١٨٣١ يقول: "وضع الخشب لبناء البارجة الكبيرة التي محمولها ١٣٦ مدفعاً وطول جسر قاعدتها مئتا قدم وعرض ضهرها نحو ستين قدماً. وقد بلغ قطن الباشا هذا العام ١٥٠ الف بالة ففاق محصول الاعوام السالفة وعندهُ زراعة واسعة من الخشخاش لاستخراج الافيون وهي على غاية النمو. والمقدار القليل من الافيون الذي استخرجهُ في العام الماضي كان جيداً جداً. وقد نجحت زراعة شجر التوت ايضاً لتربية دود الحرير ولا بدَّ من ان تصير مصر من البلدان التي تصدر الحرير. ولا يزال الايطاليون يديرون معامل السكَّر والروم. والمدبغة في رشيد تدبغ من الجلود ما يكفي احذية الجنود والبحَّارة كلهم أنيتدر ما يصنع للجنود الانكليزية"

وانتشرت الكوليرا في مصر سنة ١٨٣١ ومات بها ٣٠٠٠ من الجنود ونحو ٩٠٠ من البحارة وكان اخو المستر باركر وكيلاً لهُ في القاهرة فهرب الى دمياط وكتب اليهِ المستر باركر من الاسكندرية في ١١ سبتمبر يقول دلَّ التلغراف اليوم على ان عدد الوفيات في القاهرة كان امس ٤٩ اما هنا فالتقرير الرسمي عن وفيات الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر من الشهر هو

٤٤و٥٦ و٣٨ و٤٠ وقد ثبتت لي الآن ان الكوليرا تعدي باللمس وان الفصد علاج لها. ونصيحتي لك ان تعتني بامر معدتك وامعائك واذا أُصبت ان تفصد حالاً ولا شبهة عندي ان ابنتي نجت بذلك من الموت

وكتب اليهِ قبل ذلك في ٥ اوغسطس يقول: ان الباشا بقي حتى اليوم ينكر فائدة الكورنتينا للوقاية من الكوليرا ولكن لما رأى فتكها بجنوده لجأ الى قناصل الدول ليختاروا خمسة منهم يؤلفون لجنة لمنع انتشار الكوليرا وقد جعلوني رئيساً لهذه اللجنة رغماً عني لاسيما واني واثق انهُ لا فائدة من الوسائل التي ستتخذها لذلك

ونجحت كريت في حكم محمد علي فحدثتهُ نفسهُ ان يستولي على سورية ويفعل فيها ما فعلهُ في كريت وكتب المستر باركر حينئذٍ الى المستر ابوت قنصل انكلترا في بيروت في ٢ يونيو سنة ١٨٣١ يقول: "لم تبقَ شبهة في ان الباشا قاصد حصار عكاء"

وفي خريف تلك السنة شاع في مصر ان محمد علي يقصد الاستيلاء على سورية وتحدث الناس بهذا الامر خاصتهم وعامتهم وامر ابرهيم باشا بعمل زينة في مصر مدعياً انهُ جاء اباهُ فرمان ولاية عكاء من الاستانة والحقيقة ان محمد علي عرض على السلطان مالاً طائلاً ليوليهُ سورية فلم يجب طلبهُ ثم ادَّعى ان عبدالله باشا والي عكاء اهانهُ فبعث جنودهُ لتأديبهِ وكتب المستر باركر في الرابع من فبراير سنة ١٨٣٢ يقول:

لا بدَّ لمحمد علي من فتح عكاء والاَّ دارت الدائرة عليهِ وقد مضى عليهِ الآن ثلاثة اشهر وجنودهُ حاصرة تلك المدينة ولا دليل على انهُ سيتمكَّن من فتحها قريباً ولقد عرض على الباب العالي مئة الف كيس جزية اذا اعطاهُ ايالة عكاء ودمشق . اما سفنهُ الحربيَّة فقد تعطلت ولا يمكن اصلاحها في اقل من اربعة اشهر او خمسة ". ثم ذكر جامع الكتاب ان عكاء فُتحت في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ بعد ان مات كثيرون من الجنود المصرية بسبب البرد وسار ابرهيم باشا على دمشق بثلاثين الف مقاتل ففتحت ابوابها لهُ وارتدَّ محمد باشا بالجنود العثمانية الى حمص فتبعهُ ابرهيم باشا الى هناك واوقع بهِ وقتل الفين من الجنود العثمانية واسر ثلاثة آلاف ويقال ان عدد الجنود العثمانية كان ٣٥ الفاً وقتل من جنود ابرهيم باشا مئتان وجُرح مئتان . ولما بلغ المدائن السورية خبر انكسار الجنود العثمانية تسابقت الى فتح ابوابها لابرهيم باشا فاقرَّ والي حلب ابرهيم بك بابلسي في ولايتهِ وفتح انطاكية باحد عشر رجلاً

ثم فصَّل جامع الكتاب حروب ابرهيم باشا في بلاد الشام وما يليها ممَّا لا غرض لنا باستيفائهِ الآن وكأن المستر باركر لم يرضِ دولتهُ حينئذٍ فاحالهُ اللورد بامرستون على المعاش في ٥

فبراير سنة ١٨٣٣ وعين بدلاً منهُ الكولونل باترك كمبل قنصلاً جنرالاً في مصر . وعاد المستر باركر الى السويدية وهي على اربع ساعات من انطاكية وكان قد بنى دارًا بديعة فيها وغرس حولها جنة غناء ونزل ابرهيم باشا في هذه الدار لما دخل انطاكية وكتب اليهِ في ١٢ اغسطس سنة ١٨٣٢ يقول انهُ بات فيها واكل من اثمارها الشهيَّة وفضَّل السويدية على جنان الدنيا بعد دمشق

وفي مكاتيب المستر باركر التالية اشارات كثيرة الى ما فعلهُ ابرهيم باشا في بلاد الشام وسنأتي على خلاصتها في جزء تالٍ

نبأ من اليابان

لا يختلف اثنان في ان اليابان صارت تعدُّ في مصاف الدول الاوربيَّة الكبرى مثل فرنسا وانكلترا والمانيا وروسيا من حيث جنديتها وبحريتها وانتظام حكومتها واهتمام شعبها بالصناعة والتجارة. وهذا الشأو لم تبلغهُ دولة اخرى شرقية ولا بلغتهُ الدول الغربية الاَّ بشق الانفس وبعد مئات من السنين فهي المثال الذي نضربهُ لملوكنا وحكامنا ورجالنا عموماً حينما نحثهم على الجري في خطَّة الاوربيين والقدوة التي يجب ان نقتدي بها اذا اردنا الفوز العاجل . ولقد كنا نودُّ ان نمضي الى تلك البلاد ونبحث عن اسباب ارتقائها فوقع لنا بالامس كتاب ان لم يغنِ عن الرحلة فهو خير ما نتعلل بها الى ان يقيّضها لنا الله كتبهُ المستر الفرد ستد بن المستر وليم ستد محرر مجلة المجلات الانكليزية بعد ان طاف في تلك البلاد ولقي جلَّة رجالها وباحثهم في احوال بلادهم . وقد شهد لهُ الوزير ايتو الياباني الشهير انهُ نطق بالصدق وقرَّر الحقائق لم يطرىء اليابانيين ولا بخسهم حقهم فرأينا ان نعتمد عليهِ في تقرير بعض الحقائق التالية وقدمنا لذلك مقدمة مسهبة ممَّا نشرناهُ في المقتطف في بعض السنين الماضية يتبيَّن منها تاريخ اليابان الى ان دخلت دور العمران الجديد

المقدمة

ما من شرقيٍّ انعم نظرهُ في تاريخ المشرق ورأى ما آلت اليهِ حال ممالكهِ بعد اتصال الاوربيين بها او جال في ممالك اوربَّا ورأى اركان عمرانها وانبساط ظل الراحة والرفاهة في ارجائها الاَّ تمنى ان ينهض الشرقيون كلهم الى مجاراة الاوربيين في فضائل عمرانهم ومسابقتهم الى كل ما يُحمَد منهُ ليعود اليهم سالف مجدهم ويجاروا امم المغرب في نهضتهم الحديثة وقد

كتب الادباء في هذا الموضوع وحث الفضلاء على هذه المجاراة في مصر والشام والعراق وسائر ايالات الدولة العلية وبلاد فارس وممالك الهند منذ خمسين عاماً ولم يكفُّوا عن الحث والترغيب لكن لم يقترن القول بالعمل في مملكة من هذه الممالك كما اقترن في بلاد يابان. فانها كانت منذ اربعين عاماً موصدة الابواب دون العمران الاوربي ودون كل اجنبي بل دون اهاليها اذا خرجوا منها ثم ارادوا العودة اليها حتى اذا عبثت الرياح بسفينة من سفنها وكسرتها في بلاد اخرى تعذَّر على ملاحيها دخول بلادهم ثانية . لكنَّ هذه البلاد الشرقيَّة المتوغّلة في المشرق الاقصى التي لم تلتفت الى اقتباس شيء من اساليب العمران الحديث الاَّ منذ ثلاثين عاماً صارت الآن داراً لحكومة دستورية منتظمة ونشرت التعليم والتهذيب في كل انحائها وجعلتهُ الزامياً فبلغ عدد التلامذة في مدارسها الابتدائية الآن اكثر من سبعة ملايين وسبع مئة الف تلميذ وشرعت في انشاء اول مكتبة (كتبخانة) عمومية سنة ١٨٧٢ فصار فيها الآن ٣٨ مكتبة عمومية فيها نحو ستمئة الف مجلد

وتشتمل بلاد يابان على خمس جزر كبيرة ونحو اربعة آلاف من الجزائر الصغيرة ومساحتها معاً ١٤٨ الف ميل مربع وكان عدد سكانها سنة ١٨٩٨ نحو ثلاثة واربعين مليوناً و٧٦٣ الفاً من النفوس واسم ملكها المالك فيها الآن متسوهيتو ويُطلَق عليهِ لقب الميكادو ويلقَّب باللغات الافرنجية امبراطوراً وهو من عائلة يابانية قديمة قيل انها تسلَّطت على بلاد يابان منذ ٢٥٦٠ سنة اي قبل التاريخ المسيحي بستمئة وستين سنة . وقد ولد سنة ١٨٥٢ ورقي الى عرش الملك سنة ١٨٦٧ واستتبَّ لهُ على حداثة سنهِ ان ينقل بلادهُ من الظلمات الى النور ويرقى بها من حضيض التأخر الى اوج التقدُّم كما سيجيء

وفي اواخر القرن الثاني عشر للميلاد ضعف شأن ملوك يابان وعظم شأن احد القواد فقبض على زمام الملك وتوالت الحروب الاهلية بين خلفاء هذا القائد والملوك الاصليين مدة اربع مئة سنة واخيراً استتبَّ الامر لقائد اسمهُ اياسو سنة ١٦٠٣ للميلاد فجعل مدينة يدو عاصمة ملكهِ وحكم خلفاؤُهُ فيها الى سنة ١٨٦٨ فصارت من اكبر العواصم ولكن هؤُلاء الملوك او القواد (ويلقب كل واحد منهم باسم شوغن) لم يخلعوا الملوك الاصليين ولا نبذوا طاعتهم بحسب الظاهر ولا نفوا سلطتهم الدينية فبقوا ملوكاً بالاسم كما بقي الخلفاء العباسيون في آخر امرهم

ودخل البرتغاليون بلاد يابان سنة ١٥٤٣ للاتجار ونشروا فيها الديانة المسيحية فأوجس اليابانيون منهم خيفة وطردوهم هم وكل الاجانب من بلادهم سنة ١٦٣٨ وابطلوا الدين المسيحي

ونكلوا باتباعهِ تنكيلاً حتى لم يكد يبقى لهُ اثر ومن ثم نجعلت يابان تمنع دخول الاجانب منعاً تامًّا وظلت على هذه الحال الى سنة ١٨٥٣ حين جاءها الكومندور بري الاميركي باسطولهِ واضطرَّها الى عقد معاهدة تجارية مع الولايات المتحدة الاميركية واقتفت دول اوربا اثر الولايات المتحدة وبعثت بسفرائها الى مدينة يدو عاصمة الشوغن

وكان كثيرون من اليابانيين ناقمين من الشوغن لانهُ كان يتجسس كل امورهم ويرتهن اولادهم ليضطرَّهم الى الطاعة وزادت نقمتهم منهُ لانهُ اباح دخول الاجانب الى بلادهم فنشبت الحرب بينهُ وبين انصار الميكادو (اي الامبراطور) سنة ١٨٦٧ فدارت الدائرة عليهِ وعُقِد النصر للامبراطور في السنة التالية ودانت لهُ البلاد كلها . وكان انصارهُ عازمين على طرد الاجانب من بلادهم واطّراح كل وسائل العمران الاوربي والعود بالبلاد الى حالتها الاولى لكن لما استتبَّ لهم النصر عدلوا عن هذه الخطة واطَّرحوا نير التقاليد القديمة وفتحوا ابوابهم للعمران الاوربي دفعةً واحدة وخطوا في ذلك الخطى الطوال وجُعِلت مدينة يدو عاصمة المملكة كلها لكنها سميت توكيو اي العاصمة الشرقية وعاصمة الامبراطور الاولى وهي مدينة كيوتو سميت سايكاي اي العاصمة الغربية

وكان حكم الامبراطور استبداديًّا محضاً ولبث كذلك الى سنة ١٨٨٩ وحينئذٍ ابدلهُ بالحكم الدستوري وانشأ لحكومتهِ مجلس اعيان ومجلس نواب . والتأم هذان المجلسان اول مرة سنة ١٨٩١ وفي مجلس الاعيان نحو ثلثمئة عضو وهو يشمل كل الذكور من العائلة المالكة اذا كان سنهم اكثر من عشرين سنة وكل الحائزين على لقب برنس او مركيز اذا كان سنهم اكثر من ٢٥ سنة وكل الذين يختارهم الميكادو للمراتب العالية بناءً على شهرتهم العلمية وكل من ينتخب من الحائزين على لقب كونت او فيكونت او بارون وبعض النواب الذين ينتخبهم اصحاب الاملاك الكثيرة

وفي مجلس النوَّاب ٣٦٩ عضواً ينتخبهم الاهالي ويحق لكل احد ان يكون منتخبًا اذا كان عمرهُ اكثر من خمس وعشرين سنة وكان يدفع من الضرائب اكثر من جنيه في السنة. وكل ١١٨ الف منتخِب ينتخبون عضوًا واحدًا . واعضاء هذا المجلس خمسة احزاب المتطرفون والاحرار والمعتدلون والمحافظون والمستقلون. وينقسمون الى قسمين كبيرين قسم يوافق الوزارة وقسم يعارضها مثل مجالس النوَّاب في اوربا . ولا يحق للوزراء ان يكونوا اعضاءً في مجلس النوَّاب ولا في مجلس الاعيان ولكنهم يحضرونهما هم او نوَّابهم اذا دعت الحال الى تفسير امرٍ او ايضاح غامض ولا ينتخب لمجلس النوَّاب احد من موظفي البلاط ولا من القضاة ولا من

مراجعي الحسابات ولا من جباة الاموال ولا من ضباط الجيش او البوليس ولا من مستخدمي الحكومة ولا من خدمة الدين ولا من التلامذة ولا من المعلمين ولا من مقاولي الحكومة

وفي بلاد يابان طائفتان عظيمتان عاونتا الامبراطور على قهر الشوغن وهما طائفة ستسوما وطائفة تشوسيو . والطائفة الاولى معتادة القتال وكان شأنها متوقفًا عليهِ وعلى بسالة رجالها ولذلك لم ترضَ باستتباب الامن والاغضاء عما كان لها من المزايا فشقت عصا الطاعة وجاهرت بالعصيان سنة ١٨٧٧ وامتشق الحسام اربعون الف محارب منها فتغلَّب الامبراطور عليها بعد قتال عنيف واثخن فيها حتى بلغ عدد القتلى والجرحى منها ثمانية عشر الفًا فخلدت الى السكون من ذلك الحين . والطائفة الثانية ليست اقل بسالة من الاولى فيرى الامبراطور ان لا بدَّ لهُ من تقريب رؤساء هاتين الطائفتين والقاء مقاليد الاحكام اليهم فتجد اكثر المناصب الحربيَّة والبحرية بيد رجال من الطائفة الاولى واكثر المناصب الادارية بيد اناس من الطائفة الثانية

وكان امبراطور يابان متحجبًا عن الناس تمام التحجب فلما تغيرت الاحوال منذ سنين قليلة ازال الحجاب وصار يقابل رجالهُ ووزراءهُ كغيرهِ من ملوك اوربا وكذلك الامبراطورة زوجتهُ تقابل الزائرين والزائرات مثل ملكات اوربا

قالت كونتس جرزي الانكليزيَّة وقد زارت بلاد يابان سنة ١٨٩٣ مع غيرها من الرجال والنساء انَّنا طلبنا ان يباح لنا تقديم فروض الاحترام لجلالة الامبراطور وجلالة الامبراطورة فعُينت لنا الساعة العاشرة من النهار فالرجال منا قابلوا جلالة الامبراطور ثم ذهب الرجال والنساء معًا وقابلوا جلالة الامبراطورة وكانت لابسة حلة ارجوانية مزركشة بالذهب. وهي مشهورة في بلاد يابان بكثرة الصدقات وقد بلغها مرةً ان احد المستشفيات في حاجةٍ الى النفقات فتصدَّقت عليهِ بكل المال المعيَّن لنفقاتها الخاصة مدةسنة ورجال التشريفات كلهم بالملابس الاوربية السوداء

هذا واللبيب يرى في النبذة المتقدمة كثيرًا مما سبقتنا بهِ بلاد يابان على قرب عهدها بالعمران الحديث . ويقال ان احوال القطر المصري غير مجهولة عند اليابانيين وقد اتعظوا بنا فاستفادوا منا فائدة لا توازيها اموال الارض فانهم لما رأوا مصر اضحت غنيمة للمداينين اوجبوا على حكومتهم سنة ١٨٧٣ ان لا تستدين غرشًا واحدًا من الاجانب

ديانة اليابانيين

الانسان معمول لعوامل كثيرة وعمرانهُ نتيجة هذه العوامل . واقواها المذاهب الدينية فبها تتصوَّر اخلاق الشعوب وتتكيف افعالهم . ولا بدَّ من ان يكون للديانة التي يدين بها اهالي اليابان فعل كبير في نهضتهم الحديثة يهذب اخلاقهم ويدمث طباعهم و يغريهم بالسعي والجد

ولا يمنعهم عن مخالطة غيرهم واقتباس الفوائد منهُ ولا يغرّرهم فيقنعهم انهم خير من غيرهم جبلة ومعتقداً. ومدار ديانة اليابانيين على اكرام اسلافهم اكراماً دينيًّا سمّهِ عبادةً ان شئتَ. فهذه الديانة تعلي قدر الفضيلة والهمَّة والبسالة والكرم لان المرء ميَّال الى وصف اسلافهِ بهذه المحامد وامثالها ولو لم تكن بالغةً فيهم ثم هو ميَّال الى الاقتداء بمعبودهِ

وقد دخل الصينيون بلاد اليابان منذ عهد قديم وادخلوا معهم مذهب فيلسوفهم كنفوشيوس وهو موافق لديانة اليابانيين لانهُ مبني على اكرام الاسلاف فزادت بهِ تمكناً ثم جاء الدين البوذي من الهند وهو مخالف لها من هذا القبيل فاضطرَّ دعاتهُ ان يغيروهُ حتى وافقها فاعتاد اليابانيون التسامح مع اهل الاديان المختلفة وجاء الآن العمران الاوربي ومعهُ دعاة المذاهب المسيحيَّة فافلح العمران اكثر من الدعاة لانهُ لا يناقض اكرام الاسلاف ولا يتعرَّض لهُ بل ان اكرام الاسلاف اكبر عضد لاكرام القانون والدستور والخضوع لهما لانهُ يستلزم اول كل شيء اكرام الملك واسلافهِ اكراماً دينيًّا كأن ديانة البلاد قائمة بعبادة الملك واسلافهِ او باكرامهم اكراماً يقرب من العبادة ولاسيما جدتهُ العليا التي يقولون انها الهة النور السموي

ومعنى الحكومة في لغتهم العبادات كأن مفهوم العبادة عندهم الاهتمام بمصالح العباد ولما سُنَّ دستور الحكومة حديثاً خطب الامبراطور يوم اذاعتهِ والعمل بهِ فقال " ان مؤسس دولتنا وغيرهُ من اسلافنا العظام شادوا هذه المملكة بمساعدة اسلاف رعايانا على اسس ابدية وقد ازدان تاريخ بلادنا بهذا العمل العظيم بفضائل اسلافنا وطاعة رعايانا وبسالتهم وحبهم لوطنهم . وما الدستور الذي نشرناهُ الآن سوى ايضاحات للوصايا التي اوصى بها مؤسس دولتنا وغيرهُ من اسلافنا العظام وقد اعتبرنا فيها ميل الناس الى الارتقاء ومجاراة العمران في تقدمهِ"

فامَّة تحسب نفسها مأمورة امراً دينيًّا بطاعة ملوكها والعمل بقوانين بلادها ويحسب ملوكها انفسهم مأمورين امراً دينيًّا باتباع ميل الناس الى الارتقاء ومجاراة العمران في تقدمهِ لا يصعب عليها وعليهم اقتباس العمران الاوربي ومجاراة الاوربيين في تقدمهم

التعليم

للتعليم الشأن الاكبر في احوال الامم بعد الدين ولا بدَّ منهُ لكل امَّة تريد ان تجاري الامم المتمدنة وقد ادرك اليابانيون هذا الامر وحالما فتحوا بلادهم للاوربيين ووجبت عليهم مجاراتهم او الخنوع لهم اوجبوا على انفسهم التعليم الاجباري اي ان يدخل كل ولد من اولادهم الكتَّاب حالما يصير عمرهُ ست سنوات واقتبسوا اساليب التعليم الاوربي حالاً بدل الاساليب التي كانت متَّبعة في بلادهم والآن ٨٥ في المئة من اولاد اليابانيين يدرسون في المدارس .

وهذا التعليم الابتدائي لا يغني عن التعليم العالي كما لا يخفى . وقد رأى المركيز ايتو وزير اليابان الاكبر ان اليابانيين لا يستطيعون ان يجاروا الاوربيين ما لم يتعلموا مثلهم فبذل جهده في انشاء المدارس العالية والكلية وهاك جدول المدارس الابتدائية والمتوسطة والعالية والكلية عدا الكتاتيب الصغيرة وذلك عن سنة ١٩٠٠

المدارس	عددها	عدد المعلمين	عدد التلامذة
المدارس الابتدائية	٢٦٩٩٧	٨٨٦٦٠	٤٣٠٢٦٢٣
« المتوسطة	١٩٣	٣٢١١	٧٠٣٦٠
« العالية	٧	٣٥٠	٥٦٨٤
مدارس البنات العالية	٣٧٠	٤٤٩	٨٧٨٠
مدارس المعلمين	٤٩	٨٣٩	١٢٨٢٩
« « العليا	٢	١١٧	٨٠٣
المدارس الخاصة والصناعية	٣٠٣	٣٢١٢	٤٤٦٩٨
مدارس مختلفة	١١٥٢	٣٩٨٥	٧٣٩٤١
مدارس جامعة	٢	٣٠٥	٣٢٦٨
مدارس الاطفال	٢٣٠	٦١٨	٢١٨٦١

والجامعتان احداها في عاصمة المملكة وفيها مدرسة للحقوق ومدرسة للطب ومدرسة لفنون الادب ومدرسة للعلوم الطبيعية ومدرسة للهندسة ومدرسة للزراعة. والثانية في كيوتو وهي مثل الاولى ولكن ليس فيها قسم لتعليم فنون الادب .واكثر الاساتذة في هاتين الجامعتين من الوطنيين ولم يكن الامر كذلك عند اول انشائهما بل كان اكثر اساتذتهما من الاجانب

قال المركيز ايتو للمستر ستد " لما كنت في لندن اهيء الدستور الياباني اشار عليَّ البعض ان انشئ مدرسة للهندسة في اليابان فتكون منها فوائد جمة للبلاد فانشأت مدرسة الهندسة واتيتها بكثير من الاساتذة الاوربيين وقد خرج منها المهندسون اليابانيون الذين يديرون الآن اكثر الاعمال الهندسية العظيمة فاغنونا عن المهندسين الاجانب" .وقد كانت هذه المدرسة مستقلة وحدها فاضيفت الى المدرسة الجامعة

ولغة اليابان وكتابتها تعوقان نشر التعليم فيها على حدّ لغتنا العربية وكتابتنا وهاك ما قاله الكونت اوكوما الياباني للمستر ستد في هذا الصدد

"ان من اكبر العقبات في سبيل طالب العلم من اليابانيين انهُ يضطر ان يتعلَّم القراءة

والكتابة الصينيَّة وان يتعلَّم لغة اجنبيةً على الاقل وعندنا عقبة اخرى خاصةً بنا وهي الفرق بين اللغة المكتوبة واللغة المحكية فقد كانتا قبلاً متماثلتين ثم انتشر في بلادنا التعليم الصيني فكُتبت لغتنا بالحروف الصينيَّة وهي لا توافقها فاذا خطب الاستاذ لا يستطيع التلامذة ان يكتبوا بالحروف الصينية الفاظهُ كما هي بل يضطرون ان يكتبوا ما يدلُّ على معناها . ثم ان اليابانيين غير اقوياء البنية طبعاً لطول ما مرَّ بهم من سني السلم والرخاء وهم مضطرون ان يتغلَّبوا على ما تقدَّم من الاختلاف بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة فلا يبقى لهم وقت كافٍ لتمرين اجسامهم وتقويتها واذا اردنا تمرين اجسامهم وجب علينا ان نطيل سني التعليم . وقد ادركنا هذه الصعوبة منذ نحو عشرين سنة وقام منا فريقان لازالتها فريق يطلب ابطال الكتابة الصينية وابدالها بالكتابة اليابانية وفريق يطلب ابطال الكتابة الصينية وابدالها بالحروف اللاتينية . واشتدَّ الجدال بين هذين الفريقين. وقام الآن فريق ثالث يطلب اصلاح اللغة والكتابة معاً. وقد اهتمت الحكومة بهذه المسألة وعينت لجنة للبحث فيها . ومن المصاعب الكبرى في التعليم ان بعض الاساتذة يعلّمون بالانكليزية والبعض بالفرنسوية والبعض بالالمانية وهذا مما لا بدَّ منهُ في التعليم العالي في دور الانتقال من حال الى حال ولكن صار يمكننا الاستغناء عنهُ الآن ولذلك انشأتُ مدرسة كلية اساتذتها كلهم من اليابانيين والتعليم فيها باللغة اليابانية وحدها وقد وجدنا صعوبة كبيرة في اول الامر لقلَّة كتب التعليم اليابانية فانشأتُ دار طباعة حيث تترجم الكتب المهمة وتطبع. وعاد هذا العمل بالخسارة المالية في اول الامر ثم كثر الطلب على هذه الكتب وقويت همَّة المترجمين على الترجمة وارجو ان تقتدي بنا الحكومة وكل دور الطباعة ولا يزال اهالي يابان متمسكين بكثير من اساليبهم القديمة ولكن كل سعي في ازالتها واقتباس الاساليب الجديدة يعود علينا بالنفع".

قال المسترستد ولا يقتصر سعي الكونت اوكوما على تعليم الصبيان ولا على التعليم الادبي بل قد انشأ مدرسة عالية للبنات في العام الماضي ومدرسة للتجارة . وقال لي عن هذه المدرسة ما يأتي . "لا تزال هذه المدرسة قليلة التلامذة فليس فيها الآن سوى مئة تلميذ ولكنها تسع ثلثمئة وارجو ان تمتلئ سريعاً. ويدخلها التلامذة من المدارس العالية من غير امتحان يدرسون فيها ثلاث سنوات فيتأهَّلون لمعاطاة اي عمل تجاري وقد اشرت على الحكومة ان تنشئ فرعاً لعلم التجارة في كل مدرسة عالية . والاساتذة كلهم يابانيون ما عدا معلمي الانكليزية فانهم انكليز ومعلمي الصينية فانهم صينيون . وتعلُّم اللغة الانكليزية اضطراري واما تعلُّم اللغة الصينية فاختياري . وظاهر انهُ اختار هاتين اللغتين لان اكثر تجارة اليابان مع اهلهما"

والكونت اوكوما من وزراء يابان المشهورين وهو الذي حاول احد المتعصبين قتله سنة ١٨٨٩ فقتل فرسي مركبتهِ وسائقهما واطار ساق الكونت بالديناميت وستأْتي ترجمتهُ في تراجم مشاهير اليابان والمركيز ايتو المذكور قبلهُ اشهر رجل في يابان نسبتهُ اليها نسبة بسمارك الى المانيا بل اعظم من ذلك كما سيجيء في ترجمتهِ

وترسل اليابان بعض التلامذة الى اوربا واميركا وقد ارسلت وزارة المالية هذا العام ثلاثة الى انكلترا اثنين لدرس الامور المالية وواحدًا لدرس بناء الارصفة والحياض في المرافئ البحرية وارسلت وزارة التعليم ووزارة التجارة والزراعة تلامذة آخرين

وجملة التلامذة الذين تعلمهم الحكومة الآن في مدارس اوربا واميركا ١٠٦ وهم ٣١ من جامعة توكيو و٢٢ من جامعة كيوتو و٩ من مدرسة التجارة العليا و١١ من مدرسة المعلمين العليا و٨ من مدرسة توكيو الصناعية و٢ من مدرسة اوساكا الصناعية و٤ من مدرسة الفنون الجميلة و٢ من مدرسة الموسيقى و٢ من مدرسة اللغات الاجنبية و٣ من مدرسة الزراعة و٢ من مدرسة البنات العليا الخ . وقد شاهدنا بعض هؤلاء التلامذة ورأينا فيهم من الانفة وعزّة النفس مع الرغبة الشديدة في احراز العلم ما اثبت لنا ان همهم كلهُ مصروف الى الاكتساب والارتقاء وحسبهم انهم صاروا يجارون علماء اوربا في الاكتشافات العلمية بل في ادقها كميكروبات الامراض وفواعل الاختمار وما اشبه

وجملة ما تنفقهُ الحكومة على مساعدة التعليم الصناعي وعلى تهذيب الامَّة نحو ٣٢ الف جنيه واما سائر نفقات التعليم فمن رسوم خصوصية تتقاضاها من الاهالي

وليس في مدارس يابان شيء من التعليم الديني ولكن عند اليابانيين وصايا ادبية مجموعة تسمى بوشيدو كأنها زبدة الآداب في كل الاديان . ومهما اختلف الناس في مذاهبهم لا يختلفون في آداب البوشيدو وهي توافق آداب الديانة المسيحية كل الموافقة ولم يكن اضطهاد اليابانيين للمسيحيين في اواخر ايام الشوغن ناتجًا عن مخالفة الديانة المسيحية لآدابهم بل عن ان الذين تنصَّروا من اليابانيين طلبوا امتيازات لا يتمتع اليابانيون بها. اما الآن فيعترض اليابانيون على الرسوم التي في الاديان المختلفة ويقولون انهُ اذا تجرَّدت هذه الاديان منها وبقي فيها الحقائق الادبية المجرَّدة لم تعد تفرق عما يجدونهُ في البوشيدو

وسيأْتي الكلام على سائر مقومات العمران الياباني الحديث في الاجزاء التالية عظةً للمتَّعظ

علم الفكر

يخلق طفل الانسان ضعيفاً ناقصاً في مداركهِ العقلية سلبيًّا في معظم صفاتهِ ويخلق طفل الحيوان كاملاً في جميع القوى التي تؤهلهُ للحياة ايجابيًّا في معظم صفاتهِ . فطفل الانسان لا يعرف كيف يأكل ولا كيف يشرب ولا كيف ينام ولا كيف يمشي ولا كيف يفتكر فهو مجموع صفات سلبية على الغالب يشابه طفل سائر الحيوانات في الحياة والحس ظاهرًا ويختلف عنهُ من سائر الوجوه . وطفل الحيوان يعرف كيف يأكل ويشرب وينام ويمشي ويدير حركاتهِ وسكناتهِ بقدر ما تسمح لهُ غريزتهُ . وهو ارقى من طفل الانسان في الدرجة الاولى من الحياة فان طفل الانسان ضعيف جدًّا لا قوة لهُ ولا معرفة يحفظ بها نفسهُ ولا سلاح يدافع بهِ عنها . واما صغير الحيوان فكامل الخلق مثل كبيرهِ ولا يزيد الكبير عنهُ الاَّ في حجم جسمهِ وما يترتب على ذلك من زيادة القوة لا الخبرة وكلاهما مترتب على قوة النمو الحيوي . وطول الايام لا يزيد الحيوان الاعجم خبرة ولا دربة مثل الانسان

وقد يظن لاول وهلة انهُ ان احتاج صغير الانسان الى من يعلمهُ الاكل والشرب والنوم والمشي والكلام فهو لا يحتاج الى من يعلمهُ الفكر . بل ان هذا هو الاعتقاد العام فانا افتكر وانت تفتكر وكلانا شرعنا في الفكر منذ شرعنا في الكلام ووالدونا يخبروننا انهم علَّمونا الاكل والشرب والمشي والكلام حين لم نكن نعرفها ولكننا لم نسمع ابًا ولا امًّا قالا انهما علَّما اولادهما كيف يفتكرون . والحقيقة التي لا ريب فيها ان الفكر علم باصول وقواعد مثل سائر العلوم والفنون فمن تعلَّم كيف يفتكر ويستدل كان فكرهُ صحيحًا ومن لم يتعلَّم كان فكرهُ فاسدًا او مستقيمًا

ومن الغريب ان علم الفكر لا يزال في طور الطفولة وهو من الحاجيات التي لا بدَّ منها ليكون الانسان انسانًا مع ان سائر الاعمال الحاجية كالاكل والشرب والمشي والكلام منها ما يشرع الطفل في تعلمهِ واجادتهِ منذ ولادتهِ وتختلف مدة اتقانهِ لها باختلاف شدة الحاجة اليها . فالاكل والشرب ضروريَّان جدًّا يباشرهما الطفل لدن ولادتهِ ويجيدهما بالممارسة فلا تمضي عليهِ مدة طويلة حتى يتقنهما تمام الاتقان او بعضهُ . واما المشي والكلام فيكونان في الغالب متلازمين ولا يتعلمهما الطفل حتى يجتاز الحولين الاولين من سنهِ ولا يتقنهما وخصوصًا الثاني منهما الاَّ بعد مضي السنين الطوال وقد يشب ويشيب ولا يتقن الكلام كما يجب

على ان علم الفكر والاستدلال لا يتقنهُ الاَّ العالم ولا يتضلَّع منهُ الاَّ الفيلسوف وقد

لا يتقنانهِ بل يغلطان فيهِ ويخطئان على الدوام واما سائر الناس فقلما يعرفون كيف يفتكرون ولو عرفوا لصدق حكم الانسان في جميع اعمالهِ صدق الغريزة في اعمال سائر الحيوان. وعلم الفكر هذا هو ما يسمونهُ بالمنطق . نعم ان الانسان منطقيٌّ بالطبع وقواعد المنطق مطبوعة على صفحات عقلهِ مخلوقة معهُ ولكنهُ لا يتقنها كلها من غير تعليم وتمرين

وليس من غرضي الكلام على علم المنطق بل ايراد بعض الامثلة والشواهد على ما نفتكر بهِ ونقولهُ ونفعلهُ ونسمعهُ كلَّ يوم وبيان مواطن الخطإ في كلٍّ منها

مثال اول — يسمع زيد ان عمرًا تاجر فربح وانهُ عند ما بدأ المتاجرة لم يكن عندهُ سوى مئة جنيه مثلاً . فيقول في نفسهِ اني اتَّجر فاربح مثلهُ لان عندي مئة جنيه او اكثر . فيشرع في الاتجار ولكن لا تمضي عليهِ مدة طويلة حتى يتأخر في تجارتهِ ثم يفلس. فيعتذر عن اخفاق مسعاهُ وافلاسهِ بمعاندة الاقدار لهُ . وهذه حجة يلجأ اليها كلُّ ضعيف الحيلة قليل العزم والحزم في قصورهِ وتقصيرهِ . وسأُبيّن سبب خطائهِ وخطإ غيرهِ فيما يلي من الامثلة بعد ايرادها كلها

مثال ثانٍ — يجول في خاطر زيد انشاء جريدة يومية فيقول في بالهِ لما انشأ فلان جريدتهُ لم يكن معهُ سوى النزر القليل من المال وعندي اكثر منهُ الآن وهو لم ينل شهادة من مدرسة بل لم يتعلم في مدرسة ذات شأن واما انا فنائل شهادة من كلية كبيرة . وقد جمع في سنوات قليلات ما يعدُّ بالمئات والالوف من الجنيهات وعليهِ سأجمع انا في سنوات مثلها واكثر مما جمع لاني اجمع منهُ للشروط اللازمة للصحافي . فيشرع في انشاء جريدتهِ ولكن لا يلبث ان يصدر العدد الاول والثاني منها حتى يظهر الضعف فيها على اشدّ حالاتهِ ولا يصدر العدد الثالث الاَّ وهي في سكرات الموت ونزعاتهِ . فيلجأ الى عذر اخيهِ التاجر وينسب خيبة الامل والمسعى الى نجم سعدهِ الآفل . والحقيقة ان هذا الكاتب عرف شيئًا وغابت عنهُ اشياء ولو تدبرها ما اقدم على مشروعهِ اقدام الموقن بالظفر والنجاح

مثال ثالث — كنت احدّث ذات يوم طبيبًا من اصدقائي زار البلاد الغربية وكان مدار الحديث على المرأة فقال اني اعجب كيف يقولون ان مدارك الرجل العقلية اسمى من مدارك المرأة فان هذا القول يظهر صحيحًا في الشرق ولكنك لو ذهبت الى اوربا او اميركا لكنت ترى كثيرات من النساء يفقن الرجال في سموّ مداركهنَّ وقوة عقولهنَّ . قلت اني لا انكر عليك قولك بل قد تجد مثل ذلك في الشرق ايضًا ولكن قولهم ان مدارك الرجل العقلية اسمى من مدارك المرأة لا يلزم عنهُ كون كلِّ رجل اسمى مدارك من كلِّ امرأة

مثال رابع — يضرب الصديق لصديقهِ موعدًا للقاء في مكان معلوم ويقول لهُ "ساوافيك

الى هناك الساعة السادسة تماماً " فتأتي الساعة السادسة والسابعة ولا يأتي . هذا ما يجري في الشرق عموماً حتى اخذ الغربيون يضربون فينا الامثال باخلاف الوعود ونكث العهود . واما الغربي كالانكليزي مثلاً اذا اراد ان يضرب لك موعداً للقاء فيقول لك "ساجتهد حتى اوافيك الى هناك الساعة السادسة " فيوافيك قبل مجيء الساعة . والسبب في اخلاف الصديق الاول لوعده ووفاء الثاني بهِ ليس ناشئاً عن طبع الاول على الكذب والثاني على الصدق بل عن قصور في كيفية الفكر . فاستعمال اجدادنا وآبائنا عموماً لعبارة "ان شاء الله" عند ضرب المواعيد او الشروع في امر ما هو من الحكمة وحسن الفكر بمكان ولو كنا ننكرها عليهم ونعدها مناقضة لمجاملات تمدننا الحديث

مثال خامس — قال احدهم في ليلة ساهرة ان ابن فلان ضعيف البنية لا يرجى كثيراً وما ذلك الاَّ لان اباهُ تزوج وهو كبير السن ابنة صغيرتهُ وبنى على ذلك القاعدة العمومية الآتية وهي ان كل رجل يتزوج كبير السن بابنة صغيرة السن كأن يكون عمرهُ ٤٠ وعمرها ١٥ يكون اولادها نحاف الجسم ضعاف البنية. فاعترض احد الحاضرين قائلاً ان فلاناً تزوج كبير السن ابنة صغيرة السنّ واولادها ما شاء الله . فضعف بنية الاولاد لا يلزم عن تزوّج الاب كبير السن

مثال سادس — فصّل زيد ثوباً يوم الثلاثاء فلم يلبسهُ يوماً او يومين حتى قضى نحبهُ وفصل عمروٌ ثوباً يوم الاربعاء فلبسهُ حتى ابلاهُ وربما لبسهُ ضعيفاً ضئيلاً فأبلاهُ قوياً سميناً فشرع الناس يفصلون الاثواب ايام الاربعاء لانها ايام سعود ويتحامون تفصيلها ايام الثلاثاء لانها ايام نحوس

وسافر بكر يوم الخميس فلم يعد الى قومهِ بل مات غريباً عن اهلهِ بعيد الدار . وسافر عبيد يوم السبت فعاد الى اهلهِ سليماً معافًى وربما سافر فقيراً فعاد غنيًا . فجعل الناس يسافرون ايام السبت وينقطعون عن السفر ايام الخميس لان السفر فيهِ شؤم ونزغ من ابليس

وفي النفس كثير من هذه الامثال والشواهد يكفي ما سردتهُ منها لبيان الغرض فاعود الآن الى بسطها واظهار مواطن الضعف والخطإ في الاقيسة التي تضمنتها

الاول . سبب تأخر زيد في التجارة وافلاسهِ خطأهُ في الفكر والاستدلال فانهُ ظنّ ان وجود رأس المال في يد التاجر هو اس نجاحهِ وحدهُ فلما ملك رأس المال بنى النجاح على ظنّهِ الفاسد فاخطأ المرمى . فكأنهُ قال ان رأس المال هو كلّ ما يلزم لنجاح التاجر ومعي رأس مال فلا بدَّ اذاً ان انجح ولكن المقدمة الاولى (وهي ما يسميها المنطقيون المقدمة الكبرى) فاسدة

فالنتيجة فاسدة ايضاً. اذ رأس المال احد الامور اللازمة للتاجر لا الامر الوحيد وقد لا يكون من الامور الجوهرية لهُ. فمَّا يلزم التاجر في انجاح تجارتهِ غير رأس المال الميل الفطري الى التجارة والامانة والثبات والخبرة والاقتصاد في النفقة وملاءمة الاحوال الخارجية . فهات لي رجلاً ميَّالاً من فطرتهِ الى التجارة اميناً ثابتاً خبيراً بفنونها واساليبها مقتصداً في نفقتهِ والسوق التي يقيم فيها تجارتها رابحة وانا الكفيل لك بنجاحهِ

الثاني . لم ينجح زيد في انشاء جريدتهِ لانهُ اعتمد على مالهِ وذكائهِ وليس المال والذكاء كلّ ما يلزم لانشاء الجرائد بل لا بدَّ للكاتب ان يتصف ببعض ما اتصف بهِ التاجر كالخبرة وملاءمة الاحوال فان معظم السبب في نجاح بعض الجرائد المصرية مثلاً انشاؤها في زمان كانت البلاد فيهِ مستعدة لها محتاجة اليها وهذا ما سميتهُ بملاءمة الاحوال فلما صار فيها ما يكفيها منها امست كلُّ جريدة تصدر بعد ذلك ولا مزية لها زيادة عن اللازم وفضلة يستغنى عنها . فاذا عرف ذلك ظهر بعض السبب في موت كثير من الجرائد الحديثة بعد ظهورها برهة قصيرة . وهناك مزية اخرى يجب ان يتصف بها منشئ الجريدة وهي ان يكون صحافيًّا بالطبع اي انهُ يجب ان تكون لهُ صفة خصوصية للتمييز بين ما يلائم اذواق قرائهِ وما لا يلائمها فينتقي الحسن وينبذ القبيح . فاذا تدبَّر العاقل هذه الامور لا يقدم على العمل الاَّ اذا ايقن انها متوفرة فيهِ كلها

الثالث . خطأً صاحبي الطبيب الحقيقة الثابتة وهي ان مدارك الرجل العقلية اسمى من مدارك المرأة اعتماداً على ما رأى من سمو مدارك كثيرات من النساء الغربيَّات ولكن ذلك لا يستلزم كون كلّ رجل اسمى مدارك من كل امرأة بل المراد بهِ الجنس عُموماً وهي حقيقة اثبتها العلماء بعد طول البحث فاذا شذَّ بعض النساء عنها فذلك لا يقدح في صحتها اذ لكل قاعدة شذوذ

الرابع . سبب اخلاف الصديق المذكور في المثال الرابع لوعدهِ شدة توكيدهِ حيث لا يمكن التوكيد فكانهُ قال لا بدَّ ان انجز شغلي قبل الساعة السادسة ولا يمكن ان يحدث ما يعوقني عنهُ فلا بدَّ اذاً ان اوافي صديقي في الاجل المضروب . ونسي انهُ قد يحدث لهُ ما ليس في حسبانهِ مّما هو في عالم الغيب فيؤخرهُ عن اتمام الوعد مكرهاً لا مختاراً . فعبارة ان شاء الله التي يستعملها بعضنا في امثال هذا الموقف غاية في الاصابة اذ يصير الوعد مشروطاً فيهِ

الخامس . بنى المذكور في المثال الخامس قاعدة عمومية على مثال خصوصي فكانهُ قال فلان تزوج كبير السن بابنة صغيرة السن فجاء اولادها نحافاً وعليهِ فكلُّ من يتزوَّج كبير

السن بابنة صغيرة السن يأتي اولادهُ ضعاف البنية . ولو وضع الاغلبية مكان التعميم لجاء حكمهُ صادقًا اذ الطب يثبت ان غالب الذين يتزوجون كبار السن بينات صغيرات السن يكون نسلهم ضعيف الاجسام . فاعتراض المعترض في محلهِ

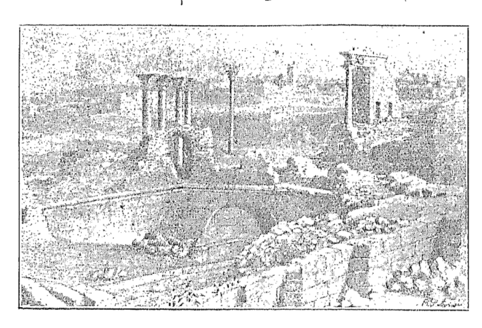
السادس . رأى اهل زيد واصدقاؤهُ انهُ فصَّل ثوبًا يوم الثلاثاء فلم يلبسهُ مرةً او مرتين حتى قضى نحبهُ فقالوا كلٌّ من يحذو حذوهُ يصيبهُ ما اصابهُ وجعلوا تفصيل الثوب يوم الثلاثاء علة او سببًا للموت وهكذا فعل اهل عمرو وبكرو وعبيد وهو ما نفعلهُ نحن كلٌّ يوم نخلط علل الحوادث واسبابها بمصاحباتها فنجعل المصاحبات عللاً على حين انها ليست من العلل في شيءٍ . نعم ان العلل قد تلتبس بالمصاحبات احيانًا في الحوادث الطبيعية وغيرها ولكن الفكر الصحيح والبحث الدقيق يفرّق بينها. مثال ذلك ان البرق ليس علة للرعد بل مصاحب لهُ لانهما يحدثان معًا ولكننا نرى البرق قبل ان نسمع الرعد لسرعة سير النور وبطء سير الصوت فنظن الرعد ناتجًا عن البرق. يصاب زيد بالسكتة الدماغية ويسقط من مكان عالٍ في آن واحد فنقول ان زيدًا سقط من مكان عالٍ فمات وكان السقوط علة موتهِ . ولكن الكشف الطبي يثبت ان سقوطهُ لم يضرَّ بهِ البتة وانهُ ليس علة لموتهِ بل مصاحب لهُ والعلة الحقيقية السكتة وانما نسبنا الموت الى السقوط لجهلنا السبب

وهكذا يجري في كثير من الحوادث اليومية وهنا منشأُ الخرافات والاوهام التي لم تسلم منها امة تحت السماء فزالت بتقدم المعرفة وزوال الجهل او كادت

يرى مما تقدم ان الفكر الصحيح علم بقواعد واصول مثل سائر العلوم والفنون وانهُ لا يكون حكمنا في الامور صحيحًا ما لم يكن فكرنا صحيحًا فلا بدَّ لنا من تعلُّم علم الفكر وتعليمهِ لاعقابنا اذا اردنا ان نحيا الحياة على هدى لا على ضلال . وذلك يتأتى بتعليم اطفالنا كيف يفتكرون ويستنتجون ويستدلون وهم في البيت قبل زمن المدرسة. ثم اذا دخلوا المدرسة نسجوا فيها بادئ ذي بدء على منوال ما تعلموهُ في البيت . ومن ذلك النظام الذي ادخل حديثًا الى المدارس الابتدائية في اوربا واميركا وجرت عليهِ كلية بيروت الاميركية في قسمها الاستعدادي وبعض المدارس المصرية هنا وهو ما يسمونهُ درس الاشياء واسبابها . فتعمل امام التلاميذ العمليات والتجارب من طبيعية وكيماوية عن اسباب الاشياء ونتائجها وعللها ومعلولاتها اومصاحباتها فلا يسمعون بالاذن فقط كما في سائر الدروس بل يرون بالعين ويلمسون باليد فتنطبع المرئيات والتجارب على صفحات عقولهم حتى اذا شبوا وكبروا وشرعوا في العمل كانت اساسًا للفكر الصحيح يبنون عليهِ العمل الصحيح

نجيب شاهين

خرائب الشام



مدينة بُصرى

فتحنا تقويم البلدان لنرى ما يقولهُ ابو الفداء عن هذه المدينة التي كانت عاصمةً من العواصم الكبيرة ومسقط رأس القائد العربي الذي لبس الارجوان وصار امبراطورًا على مملكة الرومان قبل الاسلام بنحو اربع مئة عام فرأيناهُ يكتفي بقولهِ " في العزيزي بصرى مدينة كورة حوران وهي مدينة ازليَّة مبنيَّة بالحجارة السود مسقَّفة بها وفيها سوق ومنبر وهي من ديار بني فزارة وبني مرة وغيرهم ولها قلعة ذات بناء متين و بساتين وبناء قلعتها شبيه ببناء قلعة دمشق . قال ابن سعيد بصرى قاعدة حوران وهي على اربع مراحل من دمشق " انتهى ما نقلهُ ابو الفداء في كتابهِ تقويم البلدان . وذكر الزبيدي بصرى في تاج العروس فقال انها بلد بالشام بين دمشق والمدينة اول بلاد الشام فتوحاً قال الشاعر

ولو اعطيت مَن ببلاد بصرى وقنسرين من عَرَبٍ وعُجْمِ

وينسب اليها السيوف البصرية وانشد الجوهري للحصين بن الحمام المري

صفائح بصرى اخلصتها قيونها ومطردًا من نسج داود احكما

ثم فتحنا الطبري لنرى ما يقولهُ في فتوح الشام ولو حشَّاهُ النسَّاخ بما ليس منهُ فوجدناهُ يقول ان بصرى كانت مدينة حصينة جدًّا في زمن الفتح آهلة بالخلق عامرةً بالناس وكان العرب يقصدونها ببضائعهم وتجارتهم من اقصى اليمن وبلاد الحجاز فاذا كان في ايام الموسم ينصب لبطريقها

كرسي يجلس عليهِ ويجتمع الناس اليهِ يستفيدون من علمهِ وحكمتهِ وكان صديقًا لابي بكر الصديق . وجَّهَ اليها ابو عبيدة بن الجرَّاح شرحبيلَ بن حسنة في اربعة آلاف فارس فنشبت الحرب بينهُ وبين اهلها وخرجوا اليهِ باثني عشر الف فارس من الروم وكادت الدائرة تدور عليهِ لولا ان قدم لنجدتهِ خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن ابي بكر بجيوش المسلمين ولامهُ خالد قائلاً أَما علمتَ ان هذه ميناء الشام والعراق وفيها عساكر الروم وبطارقتهم فكيف غرَّرت بنفسك وبمن معك من المسلمين . ثم ان بطريق المدينة واسمهُ روماس خان قومهُ وامر غلمانهُ بثغر السور ففتحوا فيهِ بابًا خرج منهُ واتى خالدًا وادخل المسلمين الثغرة وفتح لهم ابواب المدينة فاستولوا عليها

اما الامبراطور العربي المشار اليهِ آنفًا فاسمهُ فيلبس ذكرهُ ابن خلدون باسم فلفش وقال انهُ ابن اولياق بن انطونيش وليَ سبع سنين وهو اول من تنصَّر من ملوك الروم . ولم يذكرهُ المسعودي او ذكرهُ باسم يعربيس اي ان واحدًا من هذين المؤرخين ذكر اسم فيلبس والآخر ذكر لقبهُ واكتفيا بذلك . والمعروف من امر هذا الامبراطور الآن ان اسمهُ يوليوس فيلبس ويلقب بفيلبس العربي وهو من اهالي بصرى انتظم في سلك الجيش الروماني وارتقى فيهِ حتى صار قائد جيوش غرديانس في المواقع التي جرت بين الروم والفرس ثم اغرى الجنود بقتل امبراطورهم فقتلوهُ ونادوا بهِ امبراطورًا بدلاً منهُ وكان ذلك سنة ٢٤٤ للميلاد . فاهتمَّ بامر بصرى مسقط رأسهِ وجعلها عاصمة واعطاها حقوق العواصم الرومانية . ثم ثارت الجنود عليهِ فقتل قرب ڤرونا سنة ٢٤٩ . وذكر يوسيبيوس انهُ كان مسيحيًّا واثبت ايرونيموس ذلك وكان لهُ ابن اسمهُ فيلبس ايضًا قُتل معهُ ويلقَّب فيلبس الثاني لان اباهُ اشركهُ معهُ في الملك

واما مدينة بصرى فقديمة جدًّا اقدم من الاسكندرية لان الاسكندر المكدوني وجدها عامرة حصينة لما فتح الشام وبقيت في يد خلفائهِ من ملوك الشام الى ايام انطيوخس ديونيسيوس فاستولى عليها ملك من ملوك العرب ثم اخذها الامبراطور طراجنس سنة ١٠٥ وبنى فيها المباني الفخيمة واباح لاهلها ان يسموها باسمهِ وجعلها كولونية رومانية وبقيت سنين كثيرة بعدهُ من اهل المدائن الشرقية ومباءة تجَّار العرب وجُعل لها تاريخ خاص مثل تاريخ الاسكندر والتاريخ المسيحي والهجري يبتدئ من تلك السنة اي سنة ١٠٥ وهو التاريخ البصري المشهور الذي ارَّخ بهِ الفرس زمانًا طويلاً

اما مجدها السالف وما صارت اليهِ بعد الفتح فتدلُّ عليهما الصورة التي في صدر هذه المقالة حيث ترى العُمُد العظيمة ماثلة كأنها تستشهد الزمان على ما كان لها من المجد والعزة والخرائب منبثة حولها تندب ما حلَّ بها من الدهر وابنائهِ . وابلغ من ذلك واوضح وصف

الدكتور بورتر الانكليزي الذي زارها منذ نحو اربعين سنة وكتب عنها ما ترجمتهُ ملخصاً

" اقمت في بصرى ثلاثة ايام. خرائبها كثيرة لا ترى في يوم او يومين محيطها خمسة اميال لها سورٌ عالي الجدران وثيق البنيان وقلعة لا احصن منها في كل بلاد الشام . تبيَّنتُ في هذه المدينة خرائب مشهدين وستة هياكل وعشر كنائس او عشرة مساجد عدا القصور والحمامات والسبل والقنوات واقواس النصر وغير ذلك من المباني الكبيرة وهي تدلُّ على ان اهالي بصرى كانوا على جانب عظيم من الغنى وحسن الذوق لان بعض هذه المباني يصلح لأن تزدان بهِ اعظم عواصم اوربا الآن

ولم يكن البحث عن هذه الآثار بالامر السهل لكثرة الانقاض وتراكمها بعضها فوق بعض. صعدت على جدار لانسخ كتابة يونانية فوقع الجدار بي ولو لم اثب عنهُ بسرعة لدُفنت تحت حجارتهِ

كان في بصرى في زمن عزها مئة الف نفس ولما زرتها لم اجد فيها سوى عشرين عائلة تسكن بعض الخرائب القديمة قرب القلعة وما بقي من المدينة خراب لا ساكن فيهِ . وحول المدينة ينابيع ومصانع كثيرة يأتيها العرب احيانًا يسومون فيها انعامهم وينهبون القوافل التي تمرُّ بهم ولم ننجُ منهم الاَّ باستئجارنا احا شيخهم دليلاً لنا

كانت بصرى احصن مدن باشان ومعقل الرومان شرقي الاردن قست الباقي من سورها فوجدت ارتفاعهُ ٣٠ قدماً وثخنهُ ١٥ قدماً وفيهِ ابراج مربعة على ابعاد متساوية . وكان طول المدينة داخل السور ميلاً وربع ميل وعرضها ميلاً ويحيط بالسور ضواحي كثيرة المباني ويقطع المدينة شارع كبير على طولها يمرُّ في وسطها لهُ بابان جميلان على طرفيهِ وشوارع رحبة تقطعهُ على زوايا قائمة. ما اكبر الفرق بينها وبين الشوارع التي ابقاها العرب بعد الفتح بين بيوتهم. تلك رحبة مستقيمة تحفُّ بها المباني الفخيمة وهذه ضيقة متعوجة تحيط بها الاكواخ الحقيرة منتزعة من المباني القديمة . تجد قصرًا رومانيًا بديعًا او هيكلاً يونانيًا فخيمًا وبلصقهِ دكاكين العرب الحقيرة وقد مدَّ الخراب مطارهُ على الفريقين

ولقد يتعب القارئ اذا اردت ان اصف لهُ كلما رأيتهُ هناك كما تعبت انا من البحث عنهُ لاني رأيت ما يفوق الوصف من غرائب الصناعة وبدائع البناء واساليب النقش في الهياكل والكنائس والقبور والمذابح . وركام الانقاض تدل على ما مرَّ بهذه المدينة من العبَر وما تقلَّب عليها من الازمان كما تدل طبقات الارض على العصور الجيولوجية. هناك ترى بيوت الاقدمين التي كانت ابوابها وسقوفها من الحجر وكان يسكنها الرفائيون قبل مجيء ابرهيم الخليل الى بلاد الشام وفوقها هياكل اليونان والرومان وكنائس المسيحيين . رأيت كتابة على حجر يقال فيها

ان الهيكل جعل كنيسة على اسم القديس يوحنا ودخلت هذا الهيكل او هذه الكنيسة فرأيت انهُ جُعل جامعاً وكتبت عليهِ كلمة الشهادة

من اول المباني التي دخلتها القلعة مررت في طريقي اليها بقوس النصر التي اقيمت للقائد فيلبس الذي صار امبراطوراً وهو من اهالي بصرى . والقلعة في جنوبي المدينة خارج اسوارها كبيرة جدًّا ولا تزال جدرانها وابراجها والخندق الذي حولها سليمة واما داخلها فخراب يباب في اسفلها صهاريج كبيرة ومخازن وفوقها غرف كثيرة وفي وسطها مشهد قديم قائم على عمد وقناطر يرى الجالس فيهِ المدينة وما حولها من الارباض . والمشهد نصف دائرة قطرهُ ٢٧٠ قدماً وهو مكشوف من الاعلى مثل كل المشاهد الرومانية والظاهر انهُ بني لتسلية الجنود الرومانية حينما كانت بصرى مقرهم. وفي القلعة برج شاهق صعدت الى قنتهِ ورأيت منهُ الطرق التي كانت متفرعة من بصرى وممتدة الى كل المدن المجاورة في خطوط مستقيمة واحدة تصل الى اذرع وواحدة الى السويداء ودمشق وواحدة تجري في الشمال الغربي بين جبال باشان وواحدة الى القُرَيَّة وواحدة الى قلعة صلقة . والدلائل كلها تدلُّ على ان البلاد حول بصرى الى ما يمتد اليهِ النظر بالتلسكوب كانت عامرة آهلة بالسكان كثيرة المدن والمصانع في اطيب بقاع الارض ماءٍ وهواءٍ وهي الآن قفر بلقع

ثم اخذنا الدليل الى كنيسة كبيرة وهي كنيسة بصرى المشهورة في التاريخ فرأيتها مبنية في شكل صليب يوناني وفوق بابها كتابة يقال فيها ان يوليانوس رئيس اساقفة بصرى بناها سنة ٥١٣ تذكاراً للشهداء سرجيوس وباخُس وليونتيوس . وقال الدليل انها كنيسة الراهب بحيراء النسطوري المشهور في كتب العرب . وعلى مقربة من الكنيسة جامع كبير يقال ان الخليفة عمر بن الخطاب بناهُ سقفهُ قائم على اعمدة كبيرة بينها سبعة عشر عموداً من الرخام الابيض وعلى اثنين منها كتابة تدلُّ على ان اصلهما من كنيسة ولعلهما كانا قبل الكنيسة في جامع يوناني

وسرنا الى الباب الغربي في طرف الشارع الكبير فوجدناهُ قنطرة رومانية واسعة مزخرفة القائمتين وامامها بيت الديدبان بناؤُهُ مثل بنائها وقفت هناك انظر من هذا الباب وارى ركام الانقاض والجدران المتصدعة ووراءها قوس النصر كانها اقيمت تذكاراً للدمار لا للنصر وحول المدينة قفر بلقع لم ارَ ما يماثلهُ خلا الاً حول تدمر" انتهى كلام الدكتور بورتر

وكان شرقي بصرى حوض للماء طولهُ ٣٩٠ قدماً في مثلها عرضاً وعمقهُ ١٥ قدماً والى جنوبيها حوض آخر طولهُ ٥٣٠ قدماً وعرضهُ ٤٢٠ قدماً وعمقهُ ٢٠ قدماً والى غربيها حوض اكبر منهما طولهُ ٥٦٠ قدماً وهذه الحياض مملوءَة الآن بالردم والانقاض

هذا ما بقي من عاصمة كورة الرومان في بلاد العرب وللزلزلة التي حدثت في اواسط القرن الثاني عشر اليد الطولى في تخريب مبانيها اما ضعفها فابتدأ من حين خربت البلاد التي حولها

ماهية الفلسفة

كان علماء اوربا في الثلث الاخير من القرن الماضي يكرمون الفلسفة كأنها ربة العلوم كلها وكانت دور العلم في المانيا قاعدة العلوم العليا غاصَّة بالطلبة يسمعون اقوال فلاسفتها ويقبلونها كأنها وحيٌ مُنزَل . وكثر البحث الفلسفي في كل مكان واصحابهُ يحاولون حل المسائل الكبرى مسائل الحياة . واشتاق الناس الى كشف الغوامض واشتدَّ بهم هذا الشوق حتى لم يصبروا على البحث في امور الكون بالتأني فاكتفوا بالاوضاع الفلسفيَّة الباحثة عمَّا وراء الطبيعة

ويتضح ما كان للفلسفة من السطوة على عقول الناس في ذلك العصر من قول فردرك وشر الذي قال ان كل قوى الشبان كانت تصرف الى حل المسائل العويصة ولم يكن الشاب يحسب انهُ بلغ اشدَّهُ ما لم يفهم حقيقة حريَّة الارادة والقضاء والقدر وإلاَّ فلا يحق لهُ ان يتزوَّج

ذلك العصر كان عصر الفلسفة الذهبي لكنهُ كان حاملاً في اردانهِ بزور انحلالهِ . فان الفلاسفة الكبار مثل فختي وشلنج وهيجل حدَّدوا الفلسفة بانها تركيب تصوُّري للكون من مبادئ اولية اكتشفتها بعض العقول الذكيَّة . وجروا مجرى الفيلسوف سبنوزا في استنتاج نتائج عدوها لازمة من اوليات حسبوا ضرورية واغمضوا عيونهم عن شهادة الحواس وحسبوا انهم يستطيعون تعليل المحسوسات بانها نتائج لازمة عن بعض المبادئ الاوليَّة . وقالوا ان لا قيمة للاختبار من هذا القبيل لان غاية ما يستفاد منهُ تحقيق الاستدلال الفلسفي بل ان شلنج انكر عليهِ هذه الفائدة وقال ان الاستنتاج العقلي لا يحتاج اثباتهُ الى اختبار مادي لانهُ ثابت لذاتهِ فان كان الاختبار لا ينطبق عليهِ فالخطأُ في الاختبار لا فيهِ . وهيجل لم يتطرَّف الى هذا الحد في انكارهِ فائدة الاختبار لكن اعتمادهُ الاكبر كان على الاستدلال العقلي . وكان اولئك الفلاسفة يحسبون ان لا حدَّ لما يدركهُ العقل فهو يدرك الاوليات كلها بالبداهة ثم يعلم ما يبنى عليها بالاستدلال المنطقي وعلى ذلك بنى فختي وشلنج وهيجل فلسفتهم فجاءت بناءً عظيماً فخيماً ولكن لا اساس لها في الارض وما لا اساس لهُ في الارض يتلاشى في الهواء

وبينما كان الفلاسفة الالمانيون واتباعهم يبرهنون بالاقيسة المنطقية ما يجب ان يكونهُ العالم اخذ علماء الطبيعة يحاولون ان يعرفوا ما هو العالم واذا بصفير الآلة البخارية ايقظ اهل

الاحلام والاوهام ونبههم الى التقدُّم العظيم الذي تقدمتهُ العلوم الطبيعية باتّباعها اساليب البحث والاختبار فقامت القيامة على فلسفة هيجل وأَفل نجمها حالاً لان الناس كانوا قد ملُّوا الابحاث الخيالية وودوا ان يهبطوا من سحب الخيال الى ارض الحقيقة . فانشئت سكك الحديد واتسع نطاق التجارة واقيمت المدارس الصناعية والتجاريَّة واتجهت قوى الناس كلها الى اكتشاف النواميس الماديَّة وتوضيحها واستخدامها وقامت العلوم الطبيعية مقام الفلسفة في اذهان الناس وادخل ليبغ الكيماوي المعامل الكيماوية الى المدارس الالمانية واشتهر الكسندر همبلت شهرة فائقة وشهرتهُ علمية محضة وكُشفت المكتشفات المهمَّة في فرنسا والمانيا اكتشفها الفسيولوجيون مثل ملر وويبر وفلورنس ومجندي ولوره ولوبجه واضاعت الفلسفة اكليلها واحتقرها الذين كانوا يعبدونها ويتغنون بمدحها وبالغوا في ذمها كما بالغوا قبلاً في اطرائها ولم يبقَ احد يجاهر بصداقتها . وعُرِّف الفيلسوف بانهُ الرجل الذي يتكلم عن امور لا يعلمها كلاماً لا يفهمهُ احد . فانكر علماءُ الطبيعة كل علاقة لهم بها واستقلوا بانفسهم واغترُّوا بانهُ يمكنهم نفي الفلسفة من كل المباحث الطبيعيَّة ففسروها تفاسير لا تنطبق على قوانين العقل تفاسير رفضها العقلاءُ قبلهم منذ زمن طويل وصار المذهب المادي هو المذهب الغالب مع انهُ ابعد المذاهب عن القوانين العقليَّة

امور مثل هذه اضعفت عزائم الفلاسفة والذلُّ ابن الفشل ولذلك لا يُستغرَب ما ظهر من ضعفهم على اثر ما اصابهم من الخذلان حتى اضطرَّ ڤنت ان يثبت ان للفلسفة شأناً ما وانها تستحق ان تبقى بين العلوم

لكنَّ ما حلَّ بالفلسفة من الازدراء كان وقتيًّا الى اجل محدود لان الميل الفلسفي في الانسان ارسخ من ان يزول منهُ كما قال شوبنهوَر . واسمى ما في الانسان سؤَالهُ عن علل الاشياء ولا يُمنَع عن هذا السؤَال الاَّ بمنع عقلهِ عن البحث والاستقصاء وهذا امر يعزُّ ادراكهُ ولذلك فالفلسفة ليست ابنة عصر معلوم بل هي ابنة كل العصور وسيموت آخر فيلسوف حينما يموت آخر انسان ما لم يكن ذلك الانسان ابله لا عقل لهُ . وما من احد في رأسهِ ذرة من العقل الاَّ وهو يبحث ولو قليلاً عن العالم الذي هو فيهِ ونسبتهِ اليهِ وعلة ما يراهُ والغاية منهُ . ويجيب عن هذه المسائل على حسب ادراكهِ . والعلوم الطبيعية المحضة لا تقوم من غير شيءٍ من الفلسفة ولو انكرت ذلك وحاولت التملُّص منهُ كما تحاول التملُّص من داء خبيث . أَلا يوجد شيءٌ من الفلسفة في مذهب النشوءِ أَو لا يوجد في مذهب الجوهر الفرد الذي قال بهِ اولاً فلاسفة اليونان قبل المسيح بأربع مئة عام وهل زالت منهُ الفلسفة لان علماء الطبيعة ينوّهون بهِ واوضحوهُ . أَوَ ليس ردّ كل الظواهر المادية الى اصليها المادة والقوة امراً فلسفيًّا مما وراء الطبيعة . أَوَ ليس ان مذهب

بقاء المادة والقوّة وعدم تلاشيهما من الامور الفلسفية . أوَ ليس ان رد كل القوى الى قوة واحدة انما هو محاولة الوصول الى المبدإ الاول الذي يتوقّف عليهِ كل شيء . اي امرٍ اقرب الى الفلسفة من ذلك . ولقد شاعت الآن الرغبة في رد المركَّبات والمتخالفات الى ما تظهر بهِ وحدتها وفي ايجاد اصل عامٍ يمكن ان تعلَّل بهِ حوادث الكون لان هذه الرغبة مغروسة في نفس الانسان وليس في طاقتهِ ان يقاوم ما في نفسهِ من الميل الى توحيد ما يعلمهُ بالاختبار وادراك كل الموجودات وكشف العلل التي تعلل بها حوادث الكون كلها

وقد يستطيع اهل كل علم على حدتهِ ان يكتشفوا الاسباب الاولى لقضايا ذلك العلم وحدهُ ولكنهم لا يستطيعون ذلك الاَّ اذا غضُّوا الطرف عن سائر العلوم فيظهرون حينئذٍ جزءًا من الحقيقة لا الحقيقة كلها . فقد يمكن ان تفسَّر ظواهر الطبيعيات بفرض القوة والجواهر الفردة المتماثلة ولكن هل يستطيع الكيماوي ان يفهم ظواهر الكيمياء من غير ان يفرض ان هذه الجواهر مختلفة الصفات . وهل يستطيع الباحث عن الحياة (البيولوجي) ان يعلل الحياة بالقوى الميكانيكيَّة المحضة او هل يستطيع ان يوفق بين ما يُرَى في الموجودات الحية من دلائل القصد وبين المذهب الميكانيكي. وهل يستطيع الباحث في علم العقل والوجدان ان يفسّر افعال العقل بمبادىء العالَم الطبيعي اي بالجواهر والحركة. لا بدَّ من علم يجمع هذه العلوم المتفرقة ويوفق بينها يتناول كل الحوادث الطبيعيَّة ويوحّدها ان امكن بان يجمع مبادئ العلوم المختلفة ويمحّصها ويقابل بعضها ببعض ويظهر ما تخلف فيهِ ثم يوفّق بينها ان امكن . هذا العلم هو الفلسفة. والحاجة اليهِ ماسةٌ وهي ظاهرة لا تخفى وان كان قد قدّر للناس ان يتفلسفوا فيجب ان يحكموا فلسفتهم. ولا يجوز لنا ان نترك حل المسائل المهمة مسائل الحياة ولا ان نحيلها على الصدفة او على اناس لا علم لهم ولا مهارة او هم من الغرض بحيث يحملهم غرضهم على حلها حسب اهوائهم. ومن تعلَّم احسن تعليم وتدرَّب احسن تدريب وصبَّ قواهُ العقلية على موضوع بحثهِ لجدير بحل معضلاتهِ. امور مثل هذه ارجعت الناس الى الفلسفة والناس كلهم في حاجة اليها الاَّ من لا يعقل منهم . ان من يقيس الزمن اللازم لمرور المجرى العصبي في عصب ساق الضفدع لا يستفيد شيئًا من ذلك لان مجرد العلم بالشيء لا يفيد ما لم يبنى عليهِ حكم من الاحكام اي ما لم يُستخدَم مرقاة الى اكتشاف قضية كلية مبنية عليهِ وهذا الامر اي البلوغ الى فلسفة الاشياء والافعال صار شائعًا الآن في كل العلوم الطبيعية والتاريخية بل في العلوم الدينية والرياضية ايضًا

ثم اننا اطلقنا اسم الفلسفة في السطور الماضية على ما يسمَّى بعلم ما وراء الطبيعة او علم

المبادىء الاولى او الاصول الاولى التي تبنى عليها حوادث الكون ولكن الفلسفة لا تقتصر على ذلك بل غرضها اكتشاف الحق او الحقيقة فلا تستطيع ان تعلل ما يُعرَف من حوادث الكون ما لم تعرف كثيرًا من هذه الحوادث معرفة صحيحة وحوادث الكون على نوعين نوع مادي ونوع عقلي ولذلك قسمت العلوم الى قسمين علم طبيعي وعلم عقلي مدار الاول البحث عن الاجسام المادية حيَّة كانت او غير حيَّة وكل ظواهرها . ومدار الثاني البحث عن ظواهر العالم الباطني اي النفس او العقل . ويطلق على علم العقل الفلسفة العقلية او علم النفس (سيكلولوجيا) وهي تبحث في تحليل افعال النفس او العقل او الوجدان وتبويبها وتفسيرها وعليها يبنى علم المنطق وفلسفة الجمال (استتك) والاخلاق وفلسفة الديانة . ومن مباحثها ماهية الشعور والادراك والتصور والتذكر والهوى والغريزة والاندفاع والانتباه والارادة . كل هذه افعال من افعال العقل او الوجدان . ومن مباحث المنطق فعل العقل وقت الاستدلال والوصول الى القضايا التي يعدها صحيحة وما هي قواعد البحث والاساليب التي يجري عليها العلماء في بحثهم اي ما هي قواعد القياس والاستقراء . وعلم الجمال يبحث عمَّا يجعلنا نحكم بجمال بعض الاشياء او بقبحها بعظمتها او بحقارتها وما هي النواميس والمبادئ التي يبني عليها الاتقان في المصنوعات الجميلة . وعلم الاخلاق يبحث عن مزايا الفضيلة ولماذا نحسب العمل الواحد صوابًا والثاني خطاءً وما هو المقياس الذي نقاس به الادبيَّات . نشعر ان بعض الاعمال خطأ او حرام فما هي حقيقة هذا الشعور وما هو اصلهُ وكيف ينمو فينا وبالاختصار ما هي النواميس المتسلطة على العالم الادبي وكيف تظهر في حياة الانسان

ثم ان علم الاجتماع يرتبط بعلم السيكولوجيا وعلم الاخلاق ويقدم لها كثيرًا من الافعال ومعلوم ان مدارهُ فكر الانسان وشعورهُ وارادتهُ من حيث هو عضو حي في جسم الاجتماع الانساني والغاية التي وجد لها في جسم الاجتماع والوسائط التي يستعملها لبلوغ هذه الغاية . والاجتماع الانساني نفسهُ جسم حي لهُ غاية يسعى اليها ووسائط يستعملها لبلوغ هذه الغاية . فما هي هذه الغاية وما هي تلك الوسائط وكيف تنال الاولى بالثانية وما هي الاجزاء التي يتكوَّن منها هذا الاجتماع ما هي عاداتهُ وقوانينهُ وكيف نشأت وكيف نمت . ذلك ما يسمَّى بعلم السسيولوجيا اي علم الاجتماع الانساني والغاية التي يقصدها هذا الاجتماع لا تنال الاَّ بانتظام الحكومة او الدولة فما هي اشكال الحكومات وكيف تبلغ غايتها . هنا يدخل علم السياسية الباحث عن هذه المسائل ونسبتهُ الى علم الاجتماع الانساني (السسيولوجيا) نسبة هذا العلم الى علم النفس (سيكولوجيا)

ثم ان فلسفة الديانة تبحث عن الامور الواقعة ضمن اختبار الانسان التي نعدها دينية فهي من هذا القبيل فرع من علم النفس لكنها لا تقتصر على ذلك بل تبحث عن الاساليب التي تظهر

بها الامور الدينية وتتبع ارتقاء الاديان لكي تكتشف المبادئ الاولى التي تشترك فيها

فعلى الفيلسوف ان ينتبه الى العلوم العقلية الاساسية كعلم النفس وعلم المنطق وعلم الاخلاق وعلم الجمال وفلسفة الديانة . وهذه العلوم انما تفرق عن العلوم الطبيعية في مواضيعها لا في اساليب بحثها لان العلوم كلها طبيعية كانت او عقلية تبحث عن الظواهر وردها الى النواميس المتسلطة عليها . وما من علم يقتصر على ذكر الناموس او القانون بل كل العلوم تحاول كشف علاقة النواميس بعضها ببعض وربطها بعضها ببعض وردها الى ابسط اشكالها . فالفيلسوف الطبيعي يردُّ كل ظواهر المادة الى اصل واحد وهو القوَّة . واما العالم الحيوي (البيولوجي) فيتعذَّر عليهِ رد ظواهر الحياة الى الاصول الميكانيكية المحضة . والفيلسوف النفسي يرى امامهُ اموراً لا تعلَّل بما يعرف عن جواهر الاجسام يرى انهُ يستحيل عليهِ ان يعلل القوى العقلية بانها افعال مادية محضة . وقد يستطيع العالم الطبيعي ان يعلل حركات الكواكب في مداراتها بنواميس الحركة ولكنهُ لا يستطيع ان يعلل كيفيَّة وجود الاميبا (ادنى انواع الحيوان) ولا ابسط انواع الشعور وما احسن ما قالهُ الفيلسوف كنت في هذا المعنى وهو "ان الانسان يستطيع ان يقول اعطني مادة فاصنع لك منها ارضاً مثل ارضنا ولكنهُ لا يقدر ان يقول انهُ يصنع منها ابسط انواع النبات او الحشرات ولا ان يفسّر بالمادة كيفيَّة وجود الارادة في الدودة"

ان العلوم الطبيعية تحاول رد الافعال المختلفة التي تبحث فيها الى اصل واحد فتقول ان الحرارة والنور والصوت والكهربائيَّة كلها انواع من الحركة او القوة فهل الشعور ايضاً نوع من القوة او لهُ اصل آخر وهذا الاصل هو اصل كل الافعال الطبيعية والعقلية

هذه مسائل تستحق البحث لكن صعوبة حلها واختلاف الباحثين فيها يشيران الى امر آخر وهو ان العقل ميَّال بطبعهِ الى توحيد الامور ورد الافعال الى اصل واحد او الى الاصول الاولى فما هي فائدة هذا الميل في الوصول الى حقائق الاشياء وهل يمكننا ان نصل الى هذه الحقائق. ثم ان العقل وهو آلة المعرفة ولولاهُ ما كان علمٌ من العلوم امرٌ غامض يحتاج الى التفسير والتعليل. ونحن نجري على اسلوب واحد في كل العلوم وهو رد المعلولات الى عللها لان عقولنا تضطرنا الى ذلك افلا يوجد حدٌّ لطلب العلل او لا نصل الى العلة الاولى التي لا علَّة وراءها بل هي علَّة العلل . وما هو مفاد هذا الميل فينا الى طلب العلل لكل المعلومات وما هي المعلومات وكيف تكون صحيحة فان العلوم المختلفة تستعمل معلوماتها من غير ان تبحث عن صحتها اما الفلسفة فلا تسلم الاَّ بما تتضح لها صحتهُ وضوح الشمس . العالِم الطبيعي يضطر ان يفرض وجود اشياء

لا يحسُّ بها لكي يعلل بعض ما يقع في عالَم الحس فهل يجوز ذلك اي هل يحق لنا ان نفرض وجود موجودات لا تدرَك بالحس او نقتصر على ما يدرك بالحس . وهل نقول ما قالهُ دي بوا ريمونذ في الكلام عن المادة والقوة وهو ان حقيقتهما لا تدرك او نقول ما قالهُ هيكل وهو انهُ ليس في الطبيعة ما لا يمكن ادراكهُ ذلك وامثالهُ من المسائل التي تحل بالبحث عن اصل المعارف . وهذا البحث يمهد السبيل للفلسفة العقلية وما وراء الطبيعيات ويطلع الباحث المدقق على ما يزجي في فروع العلوم من كل رأْي فطير . وكثيرًا ما نرى العالم الطبيعي يهزأ بالفيلسوف مستعملاً عبارات وادلة لم يعرفها لولا الفلسفة . ومثل الفلسفة وعلماء الطبيعة في ذلك مثل الشيخ الذي حملهُ السندباد البحري على عاتقهِ من غير ان يشعر بهِ

وتاريخ الفلسفة يدلُّ على انها قد ارتقت ارتقاء بيّنًا وما وقع فيها من الخطإِ يفيد الباحثين لانهُ يحذرهم من الوقوع فيهِ ثانية فان من يعرف السبيل الذي لا يوصل الى المطلوب يستفيد من معرفتهِ في اكتشاف السبيل الموصل اليهِ

(ترجمت للمقتطف من مقالة في جريدة العلم العام الاميركية للاستاذ فرنك ثلي)

البانيا [1] او بلاد الارناؤوط

ليس في هذه الايام بلاد تهدّد دعائم السلم في اوروبا اكثر من البلاد الالبانية وهي قريبة من مراكز العمران يحدها الجبل الاسود شمالاً وبلاد اليونان جنوبًا ولها ساحل طويل يمتدّ على البحر الادرياتيكي المسمَّى عند العرب ببحر البنادقة الفاصل بينها وبين ايطاليا ومع ذلك لا يُعرف عنها اكثر مما يُعرف عن مجاهل الصين لصعوبة التوغل فيها. قاعدتها مدينة اشقودره على بحيرة تسمى بهذا الاسم يوصل اليها بطريق مركبات تبتدئ من بلدة كطارو في دلماطيا مارةً بستينيا عاصمة الجبل الاسود الى ان تنتهي عند ريجكا من قرى هذا الجبل فينقل منها الى باخرة تعبر البحيرة الى اشقودره ويلزم لقطع هذه المسافة يومان على الاقل . ويمكن الوصول الى اشقودره من بلدة مدو وهي ثغر البانيا على الادرياتيك

وتنقسم بلاد البانيا الى مقاطعات صغيرة يسكنها قبائل من الارناؤوط . ويتعذر على السائح الدخول اليها لما في ذلك من الاخطار . والبلاد تابعة للدولة العلية وفيها حامية من

(١) معربة ببعض تصرف عن مقالة نشرها في احدى المجلات الانكليزية سائحان من الانكليز تجولا في بلاد البانيا الداخلية من عهد قريب وسطرا ما رأياهُ فيها مرأى العين

الجيش العثماني الاَّ ان سلطة الحكومة فيها اسميَّة لا يعتدُّ الشعب بها وطبيعة البلاد تساعد اهاليها على عدم اتباع الاحكام والامتثال لها لانها جبال شامخة وعرة المسالك والسكان لا يهابون احدًا ولا قيمة عندهم للحياة وهم دائمًا مدججون بالسلاح يحسبون كل غريب يطأُ ارضهم جاسوسًا ارسل ليطلع على مواقع الضعف فيها ويحرمهم الاستقلال

واشهر هؤُلاء الاقوام قبيلة تدعى الغزينية تسكن سهلاً طويلاً ضيقًا يحيط بهِ سور من الجبال المنيعة اذا دخل ارضها غريبٌ فلا تدعهُ يخرج سالمًا . وهذه القبيلة لا تمنع الغريب من دخول ارضها ولكن لا تمر ساعة على وصولهِ حتى يجتمع مشايخها ويقرروا قتلهُ ثم يعينوا من ينفذ ذلك . ويلتزم الغريب ان يأْخذ جوازًا من رئيس كل قبيلة لكي يتمكن من الجولان في داخلية البلاد الالبانية ويعين الرئيس رجلين او ثلاثة ليسيروا معهُ ويكونوا مسئولون عنهُ باموالهم وارواحهم اذا انتابهُ اذًى . وعند مبارحتهِ اراضي هذا الرئيس يفعل مثل ذلك مع رئيس القبيلة الثانية التي يجتاز ارضها وهذه الطريقة الوحيدة التي يمكن للغريب ان يسيح بها في هذه البلاد ما عدا بلاد الغزينية ومقاطعة أُخرى لا يسمح اهاليها للغريب في الدخول اليها ايًّا كان

وبلاد الغزينية واقعة على حدود الجبل الاسود وهي صغيرة لا يزيد عدد سكانها على عشرين الفًا الاَّ انهُ اذا مس احد استقلالها بسوءٍ ففي امكانها ان تجمع نحو ثمانية آلاف رجل من الاقوياء المسلحين ويتسارع حينئذٍ الرجال والاولاد والنساء الى حمل السلاح للدفاع عن الاوطان والذود عن الحرية التي يتمتعون بها . ويرسم اهل الجغرافية بلاد الغزينية على الخارطة كانها جزءٌ من البانيا ولكنها في الحقيقة بلاد يسكنها قوم مستقلون بانفسهم لا يميلون الى احد ويفضلون الموت على تغيير شيءٍ من حالتهم . وهم اكثر الالبانيين ميلاً الى سفك الدماء غدارون يقضون معظم ايامهم في مناجزة اهالي الجبل الاسود المجاورين لهم ومناوشتهم القتال وهم لا يقبلون غريبًا بينهم الاَّ اذا كان جانيًا هاربًا من وجه العدالة فيعدون جنايتهُ كجواز لهُ . وبين بلادهم والجبل الاسود غابة كبيرة يختبيء بين اشجارها اربعة او خمسة من الاشقياء حتى اذا اقتربوا من حدود الجبل فتكوا بمن اوقعهُ سوءُ طالعهِ بين ايديهم . وفي وسط هذه الغابة طريق الى الجبل الاسود مشهور بكثرة ما يقع فيهِ من حوادث القتل والسلب وعلى جانبيهِ كثير من الاحجار المنقوشة نصبت لتدل على الاماكن التي سقط فيها المسافرون الابرياء مقتولين بايدي هؤُلاء الاشقياء . على ان هذا الطريق يعد من اهم طرق البلاد لانهُ الطريق الوحيد الذي يجتاز اراضي هذه القبيلة ولكن لا يمكن لمسافر ان يمر بهِ الاَّ اذا كان مستصحبًا

نفراً من الرجال شاكي السلاح وعلى غاية الانتباه والحذر لانهُ لا يُعلم من اي جهة تطلق الرصاصة التي تصوب اليهِ على حين غفلة . ولا يتوهمن القارئ ان اهالي الجبل الاسود يقاسون هذه الاهانات وهم صاغرون بل كثيرًا ما ينزلون هم ايضاً على بلاد الالبان ويأخذون بثار من قتل من مواطنيهم. وعوائد هذه القبائل واحوالها غريبة يسر الانسان الاطلاع عليها على ان ضيق المقام يحول دون اشباع الكلام عليها فلذلك نذكر القليل منها

ان لباس قبيلة الغزينية يشبه لباس بقية الالبانيين وهو سراويل بيضاء ضيقة مزينة بنقوش جميلة على اطرافها وتطريز اسود عريض ويعلوها قميص ابيض فوقهُ سترة صغيرة سوداء بنصف اكمام وكثيرًا ما يحملون في وسطهم ذخيرة من الرصاص وطبنجة وخنجرًا ويعلقون بندقية على كتفهم ويلقون على رأسهم قماشاً طويلاً ابيض ويلفونهُ حول رقبتهم كالعرب . وفي الصيف يبدلون السراويل الضيقة بسراويل واسعة من القطن وهذا لبس الطبقة السفلى على الدوام . وفي بعض المقاطعات الاخرى يختلف الزي قليلاً عن هذا فمنهم من يلف قماشاً ملوناً على رأسهِ ومنهم من يلبس طربوشاً ابيض تمييزًا لهُ عن المسلمين الذين يلبسون الطربوش الاحمر. واغلب سكان البانيا يدينون بدين النصرانية على مذهب كنيسة رومية وهم شديدو التعلق بهِ ويسمي الاتراك الذين اعتنقوا الاسلام من اهل الجبال ارنؤوطاً. وتساعد الدولة النمسوية الاكليروس الالباني مساعدة مالية كبيرة حتى تبسط بواسطتهِ نفوذها على البانيا وقد اسست ايطاليا فيها عدة مدارس لتأييد نفوذها ازاء نفوذ النمسا واهم هذه المدارس ان لم يكن احسنها في اشقودره وعدا ذلك فلا مدارس في البلاد كلها ولا اثر للتعليم فيها حتى ان اللغة الالبانية نفسها ليس لها اجرومية لضبط قواعدها . واكثر الاهالي اميون

وقد روى السائحان الانكليزيان اللذان كتبا هذه المقالة انهما حضرا قداساً أُقيم في الجبال تحت القبة الزرقاء وكان منظر الالبانيين عجيباً مدهشاً فانهم لما جاؤوا للصلاة نزعوا عنهم سلاحهم وعلقوا بنادقهم على الاشجار وكانوا يركعون ويسجدون بكل خشوع امام هيكل بسيط نُصب امامهم مع انهُ كان بينهم نزاع وقتال وقبيل هذا الاحتفال بيومين قتل صبيان منهم عمر احدهما ١٥ سنة والآخر ١٦ سنة رجلاً رمياً بالرصاص على مسافة ٤٠٠ قدم . وهم اذا ارادوا قتل امرئ فلا يهابون احدًا . فيختبئون خلف صخرة ويطلقون الرصاص عليهِ واحياناً يحزون رأس القتيل ويأتون بهِ الى منزلهم كعلامة انتصار ليشاهدهُ اقرباؤهم واصحابهم ويعجبوا ببسالتهم. ولا يستصعبون ذلك بل يعدونهُ من اسهل الامور عليهم

ولكل قبيلة رئيس تخضع لهُ ويعيش اعضاؤها سوية كعائلة واحدة لا يتنازعون فيما

بينهم ولكنهم كثيرًا ما يتقاتلون مع القبائل المجاورة لهم . ويفصل في المسائل الجزئية شيخ البلد وليس لهم سجون فاذا ارتكب احدهم جناية كبيرة ارسلهُ الرئيس الى تركيا ليسجن فيها . واذا كانت الجناية صغيرة حكم على الجاني بالوقوف تحت شجرة او في زريبة البقر مدة تختلف من ساعة الى خمسة عشر يومًا . وهذا العقاب يشابه كثيرًا الاقتصاص من الاولاد في المدارس

وقد يجتهد الحكام الاتراك احيانًا بتأييد سلطتهم على هذه القبائل ولكن بلا جدوى كما ترى من الحادثة الآتية . وهي ان رجلاً من الالبان ضبطهُ رجال الحفظ في احدى المدن لقتله آخر فأُرسل الى السجن ليعاقب على ما جنتهُ يداهُ فنزلت من الجبال عصابة من قبيلتهِ واخبرت الوالي انهُ اذا لم يطلق سراحهُ ويرجعهُ معها في مدة اربع وعشرين ساعة تهجم القبيلة كلها على البلد وتحرقها فامتثل الوالي وافرج عن رفيقهم. والالبان معفون من الخدمة العسكرية لا تأخذ الدولة جندًا منهم ولكن اذا حدثت حرب يقدمون انفسهم للخدمة متطوعين

ومن عوائد اهالي هذه البلاد الاخذ بالثار وهو شائع عندهم شيوعًا كبيرًا فاذا قتل رجلٌ واحدًا من قبيلتهِ او من قبيلة أُخرى والتجأَ حالاً الى منزل اقرب قريب للقتيل وشرح لهُ واقعة الحال وجب على هذا القريب حماية الجاني ما دام تحت سقف بيتهِ وعليهِ ايضًا ان يوصلهُ بسلام الى حدود اراضي القبيلة ولكنهُ يقول لهُ عند ما يفترق عنهُ ان حمايتهُ لهُ قد انتهت الآن فيحق من بعد ذلك لاقارب المقتول قتل الهارب في اي مكان وجدوهُ حتى ولو بعد مضي سنين ولا ينجو ابنهُ او حفيدهُ بل يؤْخذ منهم بثار من قُتل. في بعض الاحيان يجوز للقاتل ان يدفع دية المقتول وهي تختلف من مئتي جنيه الى الف جنيه حسب منزلة القتيل ولكن الصلح الذي من هذا القبيل لا يخلو من خطر ولو كان كلام الشرف عند الالباني ضمانًا على صدقهِ

واذا قتل رجل آخرَ من قبيلة مجاورة لقبيلتهِ فلا يفتش اقارب القتيل واصحابهُ عن القاتل نفسهِ بل يقتلون حالاً اي شخص يلقونهُ من عائلتهِ او قبيلتهِ ولكن اذا اهان القاتل المقتول فلا ينجو حينئذٍ من القصاص مهما فعل واذا هرب فيؤْخذ الثار من اقرب اقاربهِ وقد يحدث مرارًا ان القاتل لا يهرب مع علمهِ انهُ سوف يقتل لكي لا يقع حيف على اقاربهِ

روى كاتبا هذه المقالة خبرًا من هذا القبيل شاهداهُ باعينهما قالا

كنا نجول يومًا في احدى المقاطعات الالبانية فطرق آذاننا بغتة صوت اطلاق البنادق ثم رأينا الفلاحين الذين كانوا يعملون في حقولهم قد حملوا بنادقهم التي لا تفارقهم ابدًا وجعلوا يركضون نحو غابة مجاورة وهم يحشون بنادقهم بارودًا وبعد قليل ابصرنا رجلاً يسرع الينا ويستنجد بنا ولم يكن الا كلمح البصر حتى احاطت بنا شرذمة من الالبان وهم مدججون بالاسلحة يصيحون

ويصخبون فما زلنا نلاطفهم ونلاينهم حتى خلَّصنا الرجل منهم وكان شابًا بهي الطلعة وحكايتهُ كما اخبرنا هي ان امرأة متزوجة احبتهُ فلم يعبأ بها فتهددتهُ بكسر مغزلها امامهُ اذا لم يحبها وذلك يعد عند النساء الالبانيات اكبر شيء تهدد بهِ المرأة الرجل الذي يرفض حبها او يهينها ومعناهُ انها سوف تقتلهُ بيدها او تسلط رجلاً آخر عليهِ . فلما لم يرَ بدًّا من اجابتها اختار اهون الشرين وحملها الى منزلهِ ومن ذلك اليوم صارت حياتهُ تحت الخطر لان زوجها من اهل اليسار ولما رآها هربت مع عشيقها اعلن انهُ يعطي مبلغًا وافرًا من المال لمن يأتيهِ برأسهِ فكثر طالبي هذا المسكين والالبانيون لا يستكبرون قتل رجل بريء فكيف يكون حالهم اذا علموا ان من وراء عملهم مغنمًا فبينما كان يشتغل في حقلهِ اطلق عليهِ رجل بندقيتهُ فقابلهُ بالمثل فرماهُ جريحًا وهرب الينا ومن بعد ما قصَّ علينا حكايتهُ اخذنا العجب لما رأيناهُ راجعًا الى منزلهِ ولم يطلب منا الاَّ بندقية جديدة وبارودًا حتى يمكنهُ على الاقل ان يدافع عن نفسهِ لان بندقيتهُ كانت قديمة ولم يكن معهُ الاَّ قليل من الذخيرة

ولما سألناهُ ان يبقى معنا اجابنا كيف يمكنني ان اهرب واخوتي يعيشون هنا ويملكون حقولاً واراضي فاذا هربت يقتلونهم لا محالة فتعجبنا من شجاعتهِ وشهامتهِ ولا بد ان يكون قد لقي حتفهُ الآن . وامثال هذا كثيرون في هذه البلاد لا يعلمون في اي ساعة يلقون حتفهم وعوضًا عن ان يهربوا ويعرّضوا اقاربهم للخطر تراهم يلبثون في منازلهم ينتظرون الموت بقلوب واجلة وعيون شاحبة

ومن غريب تلك العوائد ان النساء على انحطاط منزلتهنَّ عند الالبانيين تراهم يحترمونهنَّ كثيرًا في مسألة الثار وقتل المرأة يُعدُّ عندهم جناية لا تغتفر وعارًا على القبيلة يلزم ازالتهُ بكل الوسائل حتى ان المرأة اذا وقفت الى جانب زوجها فلا يمكن لاحد ان يطلق عليهِ بندقيتهُ خوفًا من ان يصيبها بسوء

واشقودره عاصمة البلاد الالبانية تحتوي على نحو اربعين الف نسمة جلُّهم من المسلمين وبها حامية كبيرة من الجند الشاهاني وهي مقسومة الى قسمين قسم يسكنهُ الافرنج وقناصل الدول ويدعى حيّ القناصل وقسم يسكنهُ الوطنيون ويدعى حيّ الاسواق ولا يسمح للالبان سكان الجبال دخول المدينة الاَّ اذا كانوا عزلاً من السلاح فترى الذين يؤمونها منهم يوم السوق يسيرون في الازقة وليس عليهم سوى حزام فيهِ الخرطوش

ويصادف الغريب الذي يقدم هذه المدينة صعوبات جمة من العمال الاتراك الذين يؤشرون لهُ على ورق جوازهِ ما لم يكن قادمًا من جهة الجبل الاسود بطريق البحيرة وفي عزمهِ مبارحة

البلدة حالاً . وكذلك ينتش عمال الجمارك القادم بكل شدة ولكن يمكن تخفيف ذلك ببعض دريهمات يعطيها المسافر للعامل وتمنع الدولة ادخال الاسلحة الى هذه البلاد ومع ذلك ترى كل واحد من الالبان يحمل السلاح وهذا من الغرائب

والقسم الذي يسكنهُ الاجانب نظيف مرتب منظم خلافاً لحي الاسواق فان طرقهُ معوجه وتكثر فيهِ الاقذار كما هو الحال في اغلب المدن الشرقية

ويقيم في اشقودره اسقف البانيا الكاثوليكي وفيها كنيسة كاتدرائية كبيرة

وستنتهي المسئلة البلقانية يوماً الى نزع الاستقلال النوعي الذي تتمتع بهِ البانيا الآن ولكن الدولة التي تكون هذه البلاد نصيبها تصادف صعوبات في اخضاعها اكثر مما لاقت النمسا في اخضاع البوسنه والهرسك. ونفوذ النمسا الآن عظيم بواسطة الكنيسة ولهذا السبب قد عينت لها في اشقودره قنصلاً جنرالاً وقنصلاً ووكيل قنصل

توفيق كلداني .

عروسة النيل

الفصل السادس والعشرون

كان مضجع اوريون تلك الليلة مضجع العاشق الواله يطارد فيهِ الوجدُ الكرى ويهزم الحنين الراحة فظلَّ يتقلب على مثل شوك القتاد حتى انشقَّ الفجر فنهض وارتدي ثيابهُ وركب جوادهُ وسار يطلب الفسطاط ليُوْدِع صالحاً اخا هاشم التاجر نصف مال باولين عملاً بما اتفقوا عليهِ وكان الطباق بين المدينتين مدينة الفراعنة وعاصمة العرب على اتمهِ فبدت هذه بمظاهر النشاط والشباب وانزوت تلك وعليها امارات الضعف والانحطاط والشيخوخة حتى خيل لاوريون ان منف جثة محنطة في العدوة الواحدة والفسطاط شاب في مقتبل العمر وشرخ الشباب في العدوة الاخرى . واكبر ما رأى في وجوه العرب من سيماء النجابة والنشاط فأنَّى التفت ابصر عيوناً ينبعث منها الذكاء وحدَّة الذهن ووجوهاً ارتسمت فيها البسالة والاقدام وانوفاً شماء ابى اصحابها الاَّ الانتصار على المصاعب وتذليل العقبات فسار في الشوارع المزدحمة بالخلق حتى وصل الى حانوت صالح فترجل ودخل يتبعهُ نيلس خازنهُ وفيما هما هناك ابصر عبادة بين المارَّة فحيَّاهُ هذا تحية الصديق فردَّ اوريون التحية باحسن منها لكنَّ انقباضهُ من الرجل عاودهُ وخطر ببالهِ ما قالهُ عمرو. وعاد عبادة فمرَّ بهِ ثانية وثالثة فادرك اوريون انهُ لامر ما يفعل ذلك لكنهُ لم يكد ينجز ما جاء لاجلهِ حتى نسي عبادة ولما قضى غرضهُ رجع الى منف وسار توًّا الى البيت فرأى

الدار غاصة بالاتباع والحشم وقيل له ان البطريرك في البيت ثم اتاه سباك القهرمان فقال له "امك تدعوك اليها" فتبع القهرمان على مهل حتى دخل عليها فحيَّا البطريرك بالتعظيم ووقف مطرقاً برأسهِ فقال البطريرك اهلاً وسهلاً بابن صديقي الحميم فقد تركتك يافعاً واراك اليوم رجلاً كامل الخلقة بهيَّ الطلعة اما وقد انهيت حديثي مع امك فسأخدمك بجزء من وقتي وشيء من ارشادي . فاجاب اوريون وقال هلمَّ بنا الى مكتبة ابي وتقدمهُ فتبعهُ البطريرك حتى اذا ما صارا هناك قال اذاً انت حفيد مينا العظيم وابن جريج المقوقس الذي كان حاكم قطيعي المحبوب في منف فهات يدك

— امرك مطاع يا مولاي لكني اظن انهُ لا يحلّ للابن ان يصالح العدوّ الذي لم يستأصل الموت عدوانهُ فاهان الاب في قبرهِ واهان باهانتهِ الابن ايضاً

— لا يصعب على المسيحي ان يغفر لعدوّ خاطئ ما اقترف من الذنوب وان من دواعي السرور عندي الصفح عن فتى يزعم انهُ أُهين باهانة والدهِ المتوفى فغيظك لا يؤذيني ولكنهُ دليل على حاجتك الى تلك الصفات التي يجب على المسيحي ان يتحلى بها اعني الطاعة والتقوى والتسليم فاعلم اذاً اني كبطريرك هذه الامة اطالب كل يعقوبي بالخضوع لاوامري دون تردد كأنها اوامر العلي فماذا يكون من امرنا اذا تفرقنا وسار كل واحد منا في السبيل الذي يهواه فلا يمرّ بنا قرن واحد حتى تتداعى اركان ايماننا وتتفرق ايدي سبا فتعلَّم ايها الفتى المعجب بنفسهِ المدل بمقامهِ وشبابهِ الخضوع لامر الله وارشاد نائبهِ واصغِ الى ما اقولهُ لك ترَ وجه الخطإِ في سوء ظنك بي فانت تدعوني عدوّ ابيك اخطأت فقد كنت احبهُ محبة الشقيق لشقيقهِ وكنت اودّ لو استطيع ان امطر على ضريحهِ سحائب الرحمة والرضوان اللذين تسحبها الكنيسة وحدها

— لكنك حرمت صديقك الحميم هذا الذي تدعي حبهُ من نعمةٍ تمنحها الكنيسة لاشقى اللصوص والقتلة اذا تابوا وحلهم الكاهن من ذنوبهم

— وابوك حلَّهُ الكاهن — نعم انني حظرت على رجال الدين الاحتفال بدفنهِ أَفتعلم علة ذلك

— اردتَ ان توصمهُ امام الملإِ بوصمة تسليم البلاد الى الغزاة

— اراك تحسن قراءة الافكار فهب ان غرضي كان تشهير ابيك في عيون اهل منف فاريهم العقاب الذي يحلُّ بمن يسلّم بلادهُ الى العدوّ أَفلا يتضح ان أكون مصيباً في ما فعلت وان كنت مصيباً فهل أُلام على ما فعلت

— اتزعم انَّ ابي دعا الغزاة الى مصر

— كلاَّ فقد اغار العرب عليها من تلقاء انفسهم

— الم تتنبأ ايام كنت في المنفى الذي نفاك اليهِ الروم ان العرب سينكلون بالروم ويجلونهم عن هذه الديار

— نعم فقد كان الامر كذلك بحسب ما اوحى بهِ الله اليَّ على انهُ كشف لي الستار عن امور اخرى ايام محنتي فاحذر يا فتى لئلاَّ تتمّ النبوة باسرها فيسقط بيت مينا ويمحى اثرهُ فيصبح كالعصافة التي تحملها الريح وتذرّيها في انحاء الارض

— ان نبوتك اثرت في ابي تأثيرًا عميقًا فلما غُلِب الروم وافتيتَ انهم كفرة كانت فتواك اكبر معزٍّ لهُ واقوى سند يستند اليهِ ويعلم الله انهُ كان يكرههم كرهًا شديدًا بعد ان قتلوا ابنيهِ ولكنك لو قرأت كتابهُ الذي بعثهُ الى الامبراطور يبرئ فيهِ نفسهُ من تهمة الخيانة لا تضح لك حرج موقفهِ وشدة حكمتهِ فقد قال فيهِ

" ان هؤلاء العرب على قلتهم اقوى منَّا على كثرتنا وواحدهم بالف تراهم يطلبون الموت ويفضلونهُ على البقاء ويخوضون غمار القتال كمن لا وطن لهُ ولا اهل يعود اليهم ويعدون من يسقط منهم قتيلاً في حومة الوغى شهيدًا مصيرهُ الجنة وهم ابعد الناس عن حب زخارف الدنيا ونعيمها اما نحن فنكرهُ الموت ونحبّ الحياة فلن نقوى عليهم "

— وما الذي تستخلصهُ من هذه الرسالة

— ان ابي لم يسلّم البلاد الاَّ مضطرًّا

— لكنهُ لم يكتفِ بذلك بل انحاز الى العرب فصادقهم واحبهم وفي ذلك اثم كبير ألا ترى انهُ في كتابهِ هذا مدح شدة تعبدهم وتدينهم

— ان ابي كان منطويًا على حبّ العدل مطبوعًا على الاستقامة لا يراعي فيها خليلاً ولا يفرق بين الصديق والعدوّ

— قلت لك انهُ مال الى العدوّ فلمَّا آنس منهُ شعبنا هذا الميل اخذوا يقلدونهُ فانزاح الوف منهم عن معتقدنا واعتنقوا ايمان العرب بعد ان رأوا واليهم الحكيم يمالئهم ويعدّهم خير اصدقائهِ فرأيت ان اتغلّب على حبي لهُ وصداقتي لبيتهِ حفظاً لركن الدين ان يتهدّم فخطرت على رجال الدين ان يكرموهُ الاكرام الذي يستحقهُ فاخفض من غيظك واقبض على اليد التي يقدمها اليك راعيك . فصدع اوريون بالامر كارهاً وحينئذٍ غيّر الحبر مجرى الكلام فاخذا يبحثان في مواضيع شتّى حتى جرّها الحديث الى الجواهر فسألهُ البطريرك عمَّا اتضح من امر الزمردة فاجابهُ اوريون ان التحقيق لم يكشف لهم الحقيقة الى ان قال ولم يقصد ابي ان تكون الزمردة في جملة ما اهداهُ الى الكنيسة وكان يتكلم وهو يخشى ان امهُ وسوسنة اطلعتا البطريرك على ما جرى

بشأنها امّا هذا فاصرّ على طلبهِ وامرهُ بتجديد البحث زاعمًا انها ملك الكنيسة فقال واذا لم تأتِ بها اتخذت جميع الوسائل للحصول عليها فوعدهُ اوريون خيرًا وحينئذٍ وقف البطريرك وقال والغيظ بادٍ في وجههِ

— لقد عجمتك يا ابن المقوقس وبلوت سرّك فعرفت انهُ ينقصك التواضع وعلمت انك لا تزال تجهل سلطة الكنيسة ونفوذها وقد ادركت ممّا فاهت بهِ والدتك انك على شفا جرف هارٍ فقد حدثتك نفسك بالتزوج بابنة ملكية فعللت نفسك بالتمتع بملذات هذه الدنيا الفانية والتلهي بغرورها وكأن ذلك لم يشبع مطامعك فذهبت الى الفسطاط وعرضت ان تتطوع في خدمة الغزاة فاعلم اذًا انني لا آذن لاغنى قومي وارفعهم مقامًا واعرضهم جاهًا ان يضلّ الوف اليعاقبة بسيرتهِ فاطعني او ياتيك زمان تذرف فيهِ الدمع دمًا ثم سكت ساعة وقال وقد اتيتك اليوم آمرك بقطع الربط التي تربطك باعداء امتك ودينك فانزع من قلبك حب الفتاة الملكية فان حبها يطوّح بك في مهاوي الهلاك

فثارت عزة النفس في اوريون ولم يطق السكوت فصاح قائلاً

— لن اقلع عن حبها فافعل ما تشاء فانا ابن الكنيسة وسابقى بنعمة الله في حظيرتها كما كان آبائي من قبلي لكني لا اهجر الفتاة التي احبتني وكانت رسول السلام اليّ فارشدتني الى الواجب الصحيح فاعلم انني لست بناسٍ عظم سلطتك ونفوذك فمرني اطعك على ان لا تبغي المستحيل فلست بناقضٍ عهدي معها لابرهن على اخلاصي لك اما العرب .... فقاطعهُ البطريرك وقال

— حسبك ما قلت فهانذا مسافر الى الصعيد وعليك ان تقرّ على رأي ما قبل عودي منهُ فتختار لنفسك ما يحلو وانت في سعة من الوقت فزواجك بالملكية الهرطوقية على رفعة مقامك لمّا لا يطاق امّا صداقتك للعرب فسنرى فيها في فرصة اخرى فاذا اطعتني في امر زواجك — ولك ان تختار اية فتاة يعقوبية بعدها — عاملتك باللين والرفق وعضدتك ومنحتك بركة الكنيسة بدل لعنتها

— لا استطيع ذلك ولا افعلهُ ولن افعلهُ

— اذًا في استطاعتي اكراهك عليهِ وحينئذٍ تحسّ بثقل وطأتي

— لا ريب عندي في قدرتك ولكن اذا احرجتني اضطررت ان اطلب السعادة التي تتعطش اليها نفسي في عدوة النيل الشرقية

— لا اراك تجسر على ذلك ثم خرج من الغرفة وهو يتميز غيظًا

الفصل السابع والعشرون

فجلس اوريون يفكر في ما دار بينهما واحسَّ بان البطريرك سبر غورهُ وانتزع سرَّهُ فاشتدَّ بهِ الحنق والغيظ وقال في نفسهِ لقد احسنت امي في كتمانها عنهُ خبر لعنة ابي لي على فراش الموت ولكن من يضمن لي انها لا تبوح بهِ اذا عاد اليها واستطلعها طلعها. وفيما هو كذلك فطن الى ان البطريرك خرج وحدهُ فشق عليهِ ذلك لعلمهِ انهُ خرق في حقوق الضيافة والآداب فاسرع الى الدار واذا بامهِ هناك والبطريرك يودعها فدنا منهُ اوريون مودعًا فتلقاهُ باسمًا كانهما صديقان حميمان وفيما هما سائران نحو الباب رأى البطريرك تمثالين من صنع اليونان يمثلان العدل والحق وفي يد العدل سيف وفي يد الحق مرآة ينظر فيها فوقف وقال

— ارى اباك اغضى عن اشارتي برفع هذين التمثالين فليس بيت المسيحي مكانهما لاسيما بيتًا كهذا تقصدهُ العامَّة من اطراف البلاد اما نحن فندرك الغرض المقصود منهما واما العامة فلا وقد يؤولون ذلك الغرض على خلاف المطلوب واودُّ ان لا اراهما في هذا المكان بعد عودي اليهِ ولما بلغا الدار السفلى لثم اوريون يدهُ وجثا الحشم والخدم فركب مركبة سوسنة وعاد اوريون الى امهِ وهو يحسبها معياة بعد مقابلتها للبطريرك فاذا هي على خلاف ذلك فداخلهُ العجب واخذ يسائل نفسهُ عما حدث فدعتهُ الى مرافقتها الى الكنيسة فلبى الدعوة وركبا مركبتها وفي الطريق طفقت تكلمهُ في امر زواجهِ بباولين قائلة اني اسمع صوتًا في قلبي يحدثني بخراب بيت مينا اذا اختلط دمنا بدم الملكيين وقد زادني حديثي مع البطريرك ايقانًا بصدق هذا الهاجس فتوسل اليَّ البطريرك ان اقنعك بهجر ابنة توما فعلمت ان الصوت صوت الله . فاخذ اوريون يبدد اوهامها وحاول ان يسكن مخاوفها وينزع اضطرابها فذكَّرها بوعدها لابيهِ وهو في النزع وما قاستهُ باولين من جرَّاء ترددهِ وما زال كذلك حتى بلغا الكنيسة فلبث فيها نحو ساعتين وفيما هما عائدان الى البيت استولى التعب على نفورس فاسندت رأسها الى كتف ابنها ونامت. فلما وصلا الى المنزل دعا الخدم فحملوها الى غرفتها وهي نائمة ولما فرغوا فارقها وذهب توًّا الى غمالائيل الصيرفي فابتاع منهُ الماسة غالية وكلفهُ ان يرسلها الى اخيهِ في القسطنطينية وذاك يدفعها الى نسيبة يوستينوس ثم جلس الى مكتبتهِ فخطَّ كتابًا اليها يتوسل فيهِ ان تعيد اليهِ الزمردة مستعيضة منها بالالماسة وبعد ان ختم الكتاب عاد الى البيت فتناول الغداء وسأل عن ماري فقيل لهُ ان الحمى عاودتها فاسرع الى غرفتها وقرع الباب وانتظر بضع دقائق قبل ان سمع ماري تدعوهُ الى الدخول فدخل ورآها مضطجعة في سريرها بقرب النافذة وعلى مائدة امامها باقتان من الازهار احداها ذابلة والثانية نضرة فراعهُ ما رآهُ من شحوب لون الفتاة

وضعفها وتنبه الى احمرار وجنتيها فعلم انها الحمى فهشت لهُ ماري واومأَت اليهِ بالجلوس فجلس بجانبها وامسك بيدها وقال ازارتك جدتك اليوم فهزت الفتاة رأسها وبدا الحزن في وجهها فسأَلها قائلاً "ومن اتاك بهذه الازهار" فاضطربت ولم تجب ولم يخفَ عليهِ علة اضطرابها فندم على سؤالهِ ثم اجال نظرهُ في الغرفة فرأَى مروحة من ريش النعام فقال وما هذه فصبغ الاحمرار وجهها ووضعت اصبعها على شفتيها علامة السكوت فقال اذاً كاترينا هنا وهذه مروحتها فاين هي الآن فاشارت الى الغرفة الملاصقة فهمس اليها وقال وما غرضها من المجيء فقالت

— اتت سرًّا في قاربها وكانت قد سبقت فارسلت انوبيس يسأَلني عما اذا كنت اسمح لها بالمجيء فاجبت بالايجاب ثم اخذت تبكي فقال اوريون

— علامَ البكاء فقد اتيتك ببشارة تفرحكِ . رأَيت باولين امس فكلفتني ان احمل سلامها اليك وهي تدعوك الى الذهاب الى بيتها والاقامة فيهِ ريثما تبرئين فاكتمي السرّ حتى اتمكن من اقناع جدتك بوجوب نقلكِ وقد اطلعتكِ عليهِ كي تسرّي فتنامي الليل فلما سمعت كلامهُ غلب السرور عليها حتى ابكاها وحينئذٍ سمعا المهذبة تخاطب شخصاً في الغرفة الاخرى وتقول علامَ هذا التمنع فماري تسرّ برؤيتك ومن لا يفرح لرؤية اصدقائهِ ثم دفعت كاترينا الى حيث كان اوريون وماري وتبعتها فلما ابصرت اوريون ارتاعت وجمدت في مكانها والتقت عين اوريون بعين كاترينا وساد السكون برهة فاراد اوريون ان يخفف بعض جزعها فسأَلها عن كلبها فقالت ربطتهُ في دار الطير لان البطريرك لا يطيق الكلاب

— وقد رأَيتهُ لا يطيق بعض الناس ايضاً

— ذلك اذا كانوا لا يطاقون . واستمر الحديث بينهما على هذا النمط بين اخذ ورد حتى قاربت الشمس المغيب فهبت كاترينا من مكانها مذعورة وقالت

— لقد فات الوقت واخشى ان ابطيء في العودة وقد تركت قاربي في مرفإِكم افلا تزال الخزينة مفتوحة فانسلّ منها ولا يراني احد من اهل القصر

— لكنَّ اليوم عيد والخزينة مقفلة . فشق هذا الخبر على كاترينا وبدا الجزع في وجهها واخذت تضرب اخماساً لاسداس اما اوريون فكان يفكّر في وسيلة لقطع زياراتها لماري لعلمهِ ان هذه الزيارات تعود على ابنة اخيهِ بالضرر فلما شاهد اضطرابها قال لها لا تخشي شرًّا فمفتاح الخزينة معي وانا ارافقك الى المرفإِ فنهض الاثنان وسارا معاً فاستطرقا الى الخزينة ومنها الى الباب المشرف على النيل فاخرج اوريون المفتاح من جيبهِ وهمَّ بفتحهِ لكنهُ تردّد ثم دار الى كاترينا وقال

— ما الذي يدفعك الى زيارة ماري . فاستولى عليها الخوف واثرت فيها سكينة المكان فترددت في الجواب خشية ان تعترف بالدافع الحقيقي فانها جاءت لتطلع ماري على ما تمّ بين اوربون وباولين ظنًّا منها ان الفتاة تنقل الخبر الى جدتها فتعود هذه الى اعتراض ابنها كالاول فلما سألها اوربون سكتت برهة ثم قالت شوقي الى ماري فقال قد يكون الامر كذلك وانما يجدر بكِ ان لا تستسلمي الى شوقك فقد اعلنت امك كرهها لنا على رؤُوس الاشهاد ولست اشاء ان يقال اننا نرحب بكِ في بيتنا كي نعصي اوامرها ونواهيها فاذا رأيت ماري فلا تحدثيها بما يهيجها فانها سريعة الانفعال ضعيفة المزاج شديدة الذكاء وهي في حاجة الى الراحة لا سيما ساعة المرض ولا يخفى عليك ان البطريرك عدوٌّ لي ولاهل بيتي وقد سمعتِ ما دار بيننا اليوم من الحديث فوقفت منهُ على اشياء تهمك معرفتها طبعًا وقد تستخدمينها لنيل غاياتك. فامتقعت كاترينا وادركت انهُ مصيب في كلامهِ فصارت تتقلب بين الحيرة والغيظ والخوف ثم قالت

— ليس لهذا الكلام من داعٍ فلن ادخل بيتكم ابدًا ولو عرفتُ . . . .

— انك ستلقينني لما جئتِ اليوم

— نعم ولا انكر انني سمعت ما دار بينكما من الحديث كما قلت واي امرىءٍ لا يشتاق الى الوقوف على ما يدور بين العظماء وكلا كما اعظم مَن عرفت بعد ابيك وهذا خُلقُنا نحن النساء ورثناهُ عن امنا حوَّاء حتى ان التطفل يدفعنا الى اعمال غريبة امَّا انا فسيئة البخت في ارتكاب الذنوب فقد اذنبت مرة بفضل اغرائك وجهلي فهدم ذنبي سعادتي ثم اذنبت اليوم ولم انجُ في الحالين

— فهمت تعريضك وعتبك عليَّ في مكانهِ فاحمدي الله على انفصالنا فنحن لم نخلق لنقضي الحياة معًا ولو فعلنا لجلبنا الشقاء على نفسينا طول حياتنا واعلمي انني لم انجُ من تبعة ذنبي كما تتوهمين بل اصبت اعظم الجزاء واشدَّ العقوبة

— قد يكون ذلك كما تقول ولكن هيئتك لا تؤيد دعواك فانك لم تلبث سوى بضعة ايام حتى عدت الى تلك الفتاة فاقنعتها بحبك لها وعادت المياه الى مجاريها

— حسبك ما قلتِ ثم فتح الباب فاعترضتهُ وقالت

— لا تظن انني اكترث لوقائع حبك او يهمني امر باولين لكنني لا اخالك تنكر انك مديون لي ببعض الشيء فهل لك ان توفي دينك فتجيبني على بضع اسئلة اطرحها عليك

— حبًّا وكرامة فاسأليني اجبك

— هل عرف غيرك انني استرقت السمع — كلاَّ

— وهل تعدني انك لا تبوح بالسر .

— نعم فهاتي السؤَال الآخر . فترددت برهة ثم قالت قد تخالني معتوهة ولكني سأسألك ولو كلفني ذلك ما لا اطيق احتمالهُ فاقسم باعزّ الاشياء لديك انك تجيبني صدقاً وتقول حقاً

— ولكن قد يحدث ان يشمل سؤَالك غيرنا فلا استطيع اجابتك

— كلاَّ فالسؤَال وجوابهُ خاصَّان بي

— اذاً قبلت فاسأَلي

— لا افعل ما لم تفتح الباب حتى اذا فرغت من كلامي تمكنت من الفرار دون ان تعيقني فناولني كرسيًّا فلما فعل جلستْ وقالت ان عليك رقباء من البطريرك يتجسسون اعمالك ويتنسمون اخبارك وقد درى بزيارتك عمرًا ليلة سرت اليهِ في الفسطاط ووقف على ما دار بينكما ولما اجتمع بعمرو مؤَخرًا انبأَهُ هذا بما اقرَّ عليهِ من اقفال نصف اديرة الرهبان والراهبات في هذه البلاد وذلك لأَنَّ عمرًا لم يفتهُ ان هؤُلاء يقضون اوقاتهم في ممارسة الصناعات المختلفة ولمَّا كانوا لا ينفقون على طعامهم ومسكنهم استطاعوا ان يزاحموا العمال من العامة فيبيعوا سلعهم باثمان لا يتسنى لاولئك مناظرتهم فيها فرأَى ان ذلك يعود بالضرر البليغ على الاهلين والصنَّاع منهم لاسيما صنَّاع المسلمين فاصرَّ على اقفال الاديرة لكنهُ لقي من البطريرك مقاومة عنيفة ولم يسلّم هذا بمطلب ذاك حتى وعدهُ بأَن يملكهُ دير راهبات الروم في منف فيضع يدهُ عليهِ ويستولي على جميع عقاراتهِ ومنقولاتهِ فعند ذلك اتفقا واقرَّا على اقفال الدير بعد ثلاثة ايام وامر البطريرك بنفي الرئيسة الى احد اديرة ايثوبيا وبنقل سائر الراهبات وتوزيعهنَّ على الاديرة الاخرى

— اهذا مجمل ما عندكِ — نعم

— ولكنكِ ذهلتِ عن سؤَالك فانا مستعد لاجابتكِ

— حسبتك لا تفعل وقد كنت اخالك تعاف رؤْيتي بعد الذي جرى فاذا الامور على خلاف ما ظننت فقد اسأْت اليَّ ولكني لست حاقدة عليك ولست من اللواتي اقعدهن الدهر والسنون فانا بحمد الله غنية جميلة صغيرة السنّ والمستقبل امامي متسع الارجاء ولعلَّ خطيبي الثاني يكون اوفى عهدًا من الاول فلا ينبذني كما فعل هذا

— اودّ لو كان في طاقتي التكفير عن ذنبي

— لا تحتاج امًّا وقد هان لي ان اطرح سؤَالي عليك فأَجبني جوابًا صريحًا كما اقسمت ان تفعل . أَتذكر ليلة كنَّا معًا في البستان لجلسنا في ظلّ تلك الجميزة ساعة اقسمت انك تحبني

فوق كل شيء ودعوتني منية فؤادك وزهرة عمرك أفقلتَ ما قلت حينئذٍ مخلصاً وكان حبك صادراً عن فؤادك وكنت تحبني كما تحبّ تلك التي لا اسميها اليوم . ولما قالت هذا صبغ الاحمرار وجهها وبرقت عيناها وبدا حبها له فلم تستطع اخفاءهُ وكادت تسمع باذنها خفقان قلبها واحسّ اوريون بما كان يخامرها فتمنى لو ان في استطاعتهِ ان يعود الى حبها وكاد يجيبها جواباً يخفف بعض جواها لكنهُ تشدد وقال

— ان حسن طلعتكِ اليوم يوازيهِ جمالك في تلك الساعة ولست انكر ميلي اليكِ حينئذٍ على انّ الحبَّ الصحيح الذي يحلّ في قلب المرء فلا يفارقهُ طول حياتهِ لا يأتي مرتين فتناسي ما حدث وعدّلي سؤالك بعض التعديل واطرحيهِ ثانية عليّ اجبك عنهُ . . . . لكنهُ لم يكد يتمّ كلامهُ حتى مرقت امامهُ مروق السهم واسرعت الى المرفإِ

الفصل الثامن والعشرون

فوقف اوريون ينظر اليها وقد غلب عليهِ الحزن وتولتهُ الشفقة علماً منهُ بما تقاسيهِ ثم اخذ يفكر في ما انبأتهُ بهِ ورأى ثمت فرصة لابداء بسالتهِ وشهامتهِ فعزم على انقاذ الراهبات والفرار بهنّ وزاد في جرأتهِ واقدامهِ خطر المشروع وما يحول دون انفاذهِ من المشقات فاقفل الباب وعاد الى البيت فلما دخل غرفة ماري اذا بالطبيب هناك وسمع الفتاة تقول لهُ اراك كئيباً اليوم وعلى وجهك صفرة الموت فاسمع يا عماهُ ان فيلبس يعالجني واراهُ احوج مني الى العلاج فاذا مرضت يا فيلبس سقيتك من هذا الدواء الذي بعثتهُ اليّ فتعلم شدة مرارتهِ . وحينئذٍ دار الطبيب الى اوريون فتبادلا التحية وقال اوريون لي كلام معك فتردد الطبيب عن جوابهِ لكنهُ ادرك ان ماري موضوع الكلام فقال في نفسهِ لا بدّ من القيام بالواجب قبل كل شيء فلما خلا باوريون اطلعهُ هذا على ما ينويهِ من نقل ماري الى بيت روفينس فاستاء فيلبس وحسبها حيلة من اوريون يريد بها اغتنام فرصة وجود البنت هناك للتردد على حبيبتهِ وفطن اوريون الى ما دار في خلدهِ فقال

— ان ما تفكر بهِ ابعد الاشياء عن قصدي فلست اروم سوى خير ماري فقال فيلبس

— ان الموت يحاول لي في خدمتها ولن تجد في منف خيراً من باولين للعناية بها لكني اخشى ان يتخذ نقلها ذريعة لادراك غاية اخرى فاذا اصاب حدسي . . . .

— اخطأت في تهمتك فلست ابغي سوى انقاذ ابنة اخي وفضلاً عن ذلك فبيت روفينس سيكون مفتوحاً لك كل يوم فاذا آنست ما يؤيد ظنك حق لك اتهامي ولا اكتمك انني سانفصل عن منف قريباً فقد دسّ بعضهم دسيسة للايقاع بقوم بررة فعزمت على ردّ كيدهم

في بجرم ولو هلكت وستعلم انت وغيرك ان في استطاعتي الاقدام على عمل الخير والابتعاد عما يشين المرء وليس من العدل تضحية هذه الفتاة على مذبح مناظرتنا في حب باولين

— اصبتَ ورأيي كرأيك فعم مساء فاوقفهُ اوريون وقال لا تأخذك الحدة ولا تنقم عليَّ فباولين لم تفشِ سرَّكِ ولكنني اكتشفتهُ بنفسي ليلة رأيتك عندها نحو نصف الليل فاكلتني الغيرة اذ علمت ان لي مناظرًا في حبها فافرغ غيظك عليَّ وقل فيَّ ما تشاء بشرط ان تنقذ ماري . فوقع هذا الكلام في نفس فيلبس احسن وقع وادرك ان خصمهُ ممن تثر الصنيعة فيهِ فزال غيظهُ وعاودهُ الحنان فوعد اوريون بانهُ يبذل جهدهُ في اقناع امهِ لتاذن بنقل باولين ثم انصرف في سبيلهِ فاسرع اوريون الى بيت روفينس وطلب اليهِ ان يقبل ماري في بيتهِ ثم مال الى باولين فانبأها بما تمَّ الى ان قال وليتكِ رأيتها ساعة تلقت الخبر فقد كادت تطير فرحًا ولما فرغ دعا روفينس فاختلى بهِ واطلعهُ على ما بلغهُ من عزم البطريرك على اقفال الدير وتشتيت الراهبات في انحاء البلاد وقال كثيرًا ما اهتمَّ ابي بالدفاع عن هذا الدير ومن فيهِ وارى من الواجب عليَّ اقتفاء خطواتهِ فاسعف الراهبات وانقذهنَّ . فلما سمع روفينس كلامهُ صفق صفقة الاوَّاه واخذ يندب سوء حظ ملتهِ . فطفق اوريون يعزّيهِ وقال انما اتيتك للمشورة في ما يجب علينا اتخاذهُ من الوسائل التي تؤدي الى الغاية المطلوبة

— انا اتبع لك من ظلك وتراني مستعدًا لبذل حياتي في الدفاع عنهنَّ فهل وضعت خطة تجري عليها

— نعم فبعد غدٍ في مثل هذه الساعة

— وعلامَ لا يكون غدًا

— ان عملاً كهذا يستدعي استعدادًا كبيرًا لا يتمُّ في اثنتي عشرة ساعة فمتى حانت الساعة المعينة آتي بسفينة فترسو في مرفإِ الدير وفي العتمة اخذ الراهبات الى دمياط وسابعث رسولاً الى احد انسبائي في تلك المدينة فيستأجر سفينة تذهب بهنَّ الى حيث تريد الرئيسة

— احسنت فيالك من شهم كريم النفس فقد سفك الملكيون دم اخويك وهدُّوا ركن ابيك وانت اليوم تقابل عداءهم بالمعروف على اني لا ارى يدًا من تحذيرك العواقب فالشيخ يراها قبل الفتى فاذا درى البطريرك ان لك يدًا في انقاذهنَّ لم يهنأ لهُ عيش حتى يوقع بك

— لقد نظرت في ذلك وأعلم انني مخاطر بحياتي ولن يعيقني خوف البطريرك عن القيام بالواجب فسر الى الرئيسة واطلعها على ما دار بيننا قال ذلك وعاد الى حيث كانت السيدات فجلس يحدثهن حتى عاد روفين فالقى عصاهُ والتفت الى زوجتهِ فقال

— تشددي واتكلي على الله فقد عزمت على القيام بعمل كبير . فامتقعت المرأة وتعلقت بهِ وتوسلت اليهِ ان يفصح عن مرادهِ . قالت ذلك وهي عالمة انهُ انما يريد التغرُّب والسفر وان غايتهُ من ذلك خدمة الغير جريًا على عادتهِ . فجلس واطلعهنَّ على حقيقة الامر وانبأهن بما عزم عليهِ من مرافقتهنَّ في فرارهنَّ فحزنت النساء وبكينَ لعلمهنَّ بشدة الخطر المحيق بالراهبات فقال روفينس وقد استحسنت الرئيسة الخطة كما رسمناها ونقحتها فارتأت ان تتخلف راهبة واثنتان من الاخوات في الدير ليقمن على العناية بالمرضى ويقرعن الاجراس واقترحت ان تساعدهنَّ في هذا العمل المبرور هيلانة وباولين

الفصل التاسع والعشرون

خرج فيلبس من بيت المقوقس وسار يعدو في الشوارع لا يلوي على احد حتى بلغ بيتهُ فالفى ابولون يكتب كعادتهِ فحياهُ وجلس امامهُ فالتفت اليهِ هذا وقال ارى التعاسة منقوشة على جبينك وكأنك الكلب يلحس اليد التي لطمتهُ فسكت فيلبس واطرق ساعة ثم اخبر ابولون بجميع ما دار بينهُ وبين اوريون الى ان قال ووجه الغرابة انني اكاد احبُّ هذا الفتى مع مناظرتهِ لي وقد استحسنت ما اقترحهُ من نقل ابنة اخيهِ الى بيت روفينس فان جدتها تكاد تقتلها على انني لا اعالجها مدة اقامتها في ذلك البيت وارى باولين كل يوم فتغرز النصال في قلبي اذا عالجتها كانت النتيجة عكس ما تحسب فانك تعتاد رؤية باولين كما هي الآن اعني فتاة جميلة مخطوبة لرجل آخر وعندي ان تثابر على مداواة هذه الفتاة فاني احبها رغمًا عن كرهي لانسبائها واقلع عن السفر وانا الكفيل لك بالشفاء من علتك . فاشار فيلبس بالقبول

— فقال ابولون هيَّا بنا اذًا نترجم بعض الفصول ثم جلس الاثنان يكتبان وابولون يقول في نفسهِ اذا داوى الفتاة فلن يغادر منف وفي خلال ذلك احفر حفرة لابنة توما تغيبها

وقضى اوريون صباح اليوم التالي في اعداد ما يلزم لفرار الراهبات فارسل الى دمياط من يستأجر سفينة تقلع بهنَّ ساعة يصلنها ثم اسرع الى المرفإ فاستأجر مركبًا من مراكب النيل لينقلهنَّ الى البحر فتوفق الى استخدام نوتي مشهور ببسالتهِ وخبرتهِ وبعد ذلك عاد الى البيت فاختلى بنيلس خازنهِ نحو ساعة قضياها في كتابة وصيتهِ احتياطًا لما قد يحدث من المكروه وبعد ان اتمَّ الخازن كتابة ما املاهُ عليهِ ختما الورقة بخاتميهما وامرهُ اوريون بحفظها اربعة اسابيع فاذا لم يعد فيها فتحها واعلن ما فيها على رؤوس الاشهاد ثم يقسم تركتهُ بين الورثة بحسب نص الوصية . ولما فرغا صعد اوريون الى غرفتهِ فلقيتهُ المهذبة واخبرتهُ ان السيدة نفورس اذنت لها وللماري بمغادرة البيت والسكن في غيرهِ ريثما تشفى الفتاة وذلك عملاً باشارة فيلبس فشكرها

وانبأها بعزمهِ على السفر وطلب اليها ان تبذل جهدها في العناية بابنة اخيهِ مدة غيابهِ ووعدها خيرًا قائلاً لست ممن يكافئون خدمات الناس بالكلام فتمنت لهُ سفرًا سعيدًا وعودًا حميدًا غير عالمة وجهتهُ . وذهب يطلب امهُ في غرفتها فتلقتهُ بالترحاب فقال يا أُمَّاهُ سأُسافر غدًا في مهمة الى الوجه البحري وقد اغيب نحو شهر فلا يقلقك غيابي فقالت ليتك تذهب الى الصعيد فتزور امرأة اخيك في ديرها فقد اتاني امس كتاب منها فحاولت قراءتهُ وجاءني الطبيب يخاطبني في شأن ماري فلم يتسنَّ لي اتمامهُ. ثم دفعت الكتاب اليهِ فتناولهُ وفضهُ فاذا بهِ مجموعة تهم وجهتها الكاتبة الى ابيهِ وكلها يشف عن تعصب وسوء نية الى ان تقول "هذا وانا بحمد الله وعونهِ مستريحة من عناء هذا العالم فقد هجرت افراحهُ واتراحهُ وجردت نفسي عن ملذاتهِ نعم ان قلبي يشتاق الى ماري واودّ لو تقيم معي بعد ان اصبحت رئيسة هذا الدير ولكني اخشى ان يضعف قربها تقواي فيحسن بكم ان تربوها في احد الاديرة القريبة من منف " فانتفض اوريون وقالت امهُ

— لعلّ ذلك امر الله ومشيئتهُ. فقال امَّا الآن فاهمّ من هذا وذاك شفاؤُها من الحمى ثم ننظر في مستقبلها فلتذهب الآن حيث يريد الطبيب لعلّ تبديل الهواء يفيدها

وفي ذلك النهار نقلوا ماري الى بيت روفينس فلما رأت باولين انطرحت عليها وقبلتها وهي تبكي فرحًا بلقائها ثم اخذت تشرح لها ما اصابها مدة مرضها وقلبها الطاهر يفيض حبًا ودعة فاكبت باولين عليها تقبلها وتمسح دموعها وتعزيها وفيما هما كذلك سمعت صوت اوريون فعلمت انهُ بانتظارها فارادت النزول اليهِ فشقّ عليها ان تدفع الفتاة عنها وهي على تلك الحال فتربصت مكانها حتى خفّ اضطرابها فاسرعت الى اسفل وسألت عن اوريون فقيل لها انهُ ذهب وترك لها رسالة فاخذتها وفتحتها ولما قرأتها صرخت صرخة النادم وتمنت لو اطاعت قلبها فقابلتهُ ولم ترجعهُ خائبًا بعد ان قضى يومهُ في استيفاء المعدَّات لانقاذ صديقاتها

الفصل الثلاثون

ورأى اوريون من اللياقة ان يستأذن عمرًا في السفر فركب جوادهُ وسار الى الفسطاط وكان في الطريق يفكر في باولين فقال في نفسهِ لو كان حبها لي كما تدّعي لتخلّت عن كل شيء واتت لمقابلتي وهي تعلم انني مفارقها غدًا وذاهب في سفر قد لا اعود منهُ

ولمَّا دخل على عمرو واستقرّ بهِ المقام طفق يحدثهُ عمَّا آل اليهِ امر الخلاف بينهُ وبين البطريرك فنهض عمرو من مكانهِ وقال لم يعد هنالك ما يمنعك عن اعتناق الاسلام فاذا فعلت وليّتك عمل ابيك رغمًا عن حداثة سنك ويشق عليّ السفر من هذه البلاد وليس في منف عامل



محمد الهادي باي تونس

من اهلها . فلما سمع اوريون هذا الكلام رأى سبل المجد والعلاء مفتوحة امامهُ وخال انهُ قبض على ناصية العز لكنهُ عاد فتذكر وعده لابيهِ ولباولين فتناول يد عمرو وقبَّلها قائلاً لا يغضب مولاي اذا اصررت على التمسك بديني ودين آبائي واجدادي فقد قطعت عهداً ان لا اجحده . فسكت عمرو ثم اطلعهُ اوريون على ما ينويهِ من السفر وقال اتيتك مستاذناً ومودعاً فبدا الكدر في وجه عمرو وقال

— ليتك تبقى فان لديَّ عملاً جزيل النفع يعود بالفائدة والخير على اهل هذه البلاد وقد اتاني كتاب عن الخليفة يشكو قلة الخراج ويقول انهُ لم يولّني مصر ليجعلها طعمة لي ويشهد الله انني لم آخذ لنفسي ديناراً واحداً من الخراج وعندي مئة وخمسون الفاً من الفعلة يعملون في اصلاح الترع والمجاري التي اتلفها الروم فانا ازرع ليحصد الخلف وعليهِ فقد عقدت النية على العودة الى المدينة لا برئ نفسي ولاستأذن الخليفة في اتمام هذه الاعمال على الوجه الذي تقتضيهِ مصلحتنا ومصلحة البلاد وقد سمعتك تفاخر بحب وطنك فهلاَّ تزال على حبك

— نعم ولن ازال كذلك

— اذاً ففي طاقتك ان تخدم بلادك خدمة جليلة وليس ما انتدبك اليهِ بالامر السهل فقد رأيت ان احوّر تقسيم البلاد وان اعهد اليك بذلك فتستعين على القيام بهِ بمعرفتك البلد واهله مستنداً الى ما في خزائنك من الصكوك والمحفوظات واذا تبين لك ان في النظام المتبع عيباً يستجيل اصلاحه فاقلبهُ ظهراً لبطن ووجه همك الى تعديل الضرائب في الاقاليم المختلفة فان الاجحاف فيها يبدو لنا كل يوم واعلم ان غيرك يحاول نفس الامر والفوز لمن يضع الخطة المثلى فاذا صدق ظني فيك فانت ابن بجدتها فلامر ما تريد الانفصال عن منف

— ان ما يدفعني الى ذلك يا مولاي عمل لا ربح لي فيهِ ولا فائدة لي منهُ ولكنهُ وعد صدر مني ولولاه لاطعت اشارتك من ساعتي فان عهدك اليَّ بحل هذه المعضلة اكبر ثناء عليَّ فاذا اذنت شرعت في العمل يوم اعود

ليكن كذلك فابذل جهدك فحلبة السباق متسعة واحذر الاثنين البطريرك وعبادة فليس عندي من يقوم مقام عبادة سوى القاضي عثمان وهو ليس بمقابل وليكلأك المهيمن برحمتهِ

وفي صباح الغد دعا اوريون نيلُس اليهِ وانفرد بهِ في الخزينة ليطلعهُ على امر سفرهِ ورآهما انوبيس اخو كاترينا فعلم ان انفرادهما لامر جلل فحدثتهُ نفسهُ باستراق السمع عملاً باشارة كاترينا فصعد على السطح واكبَّ على فتحة فيهِ فلما سمع ما شاء سماعه من الحديث اسرع لينزل واذ خشي ان يراه احد الكتبة ابتعد عن السلم وامسك باحد الميازيب يريد النزول عليهِ

فانكسر الميزاب وسقط الى الحضيض فترضضت عظامهُ فصاح صيحة دوت لها جوانب المكان فهرع اليهِ الاعوان والخدم فرفعوهُ من مكانهِ . اما نيلُس فلما وقف على غرض سيدهِ طار رشدهُ فاخذ يتوسل اليهِ ويستحلفهُ ان لا يغرّر بنفسهِ وافاض في وصف المخاطر التي تعترضهُ فاقتنع اوريون بصحة ارائهِ لكنهُ لم يحد عن عزمهِ وقال لقد وعدت روفينس ولا اطيق ان ارى هذا الشيخ يسير الى الموت وحدهُ

فقال نيلس ولكنَّ في منف يونانيًّا آخر وهو ملامبوس صانع السفن ولهُ ابنان كلاهما باسل شجاع وهذا الرجل غيور على دينهِ وابناه ملتهِ ولا اراهُ يأبى اسعاف روفينس فاذا فعل وساعدهُ ابناهُ افادا روفينس اكثر منك

— اذًا سأطلب معونتهما لكني لا اخلف وعدي . ثم ركب ونيلس قاربًا وسارا الى ملامبوس فاطلعاهُ على امر الفرار وطلبا اليهِ ان يسعفهما فاجابهما الى ذلك بطيبة خاطر ودعا ابنيهِ فاخبرهما الخبر ثم ذهب اوريون الى بيت روفينس وسأل عن باولين فقيل لهُ انها ذهبت الى الدير لتخبر الرئيسة بما تمّ من امر المعدَّات حتى تكون الراهبات على اهبة السفر فجلس ينتظر عودها فابطأَت حتى عيل صبرهُ وحسب انها لا تعود وفيما هو كذلك جاءَتهُ هيلانة فاخبرتهُ ان باولين رجعت من الدير ففرح بعودها وبقي في مكانهِ حاسبًا انها تأْتي اليهِ وانقضى نصف ساعة دون ان تجيء فاخذ الغيظ منهُ كل مأْخذ وشق عليهِ ان لا تحفل بهِ الى هذا الحدّ وحينئذٍ اتت هيلانة فقالت باولين تدعوك اليها في البستان

ولما ذهبت باولين الى الدير اطلعت الرئيسة على ما تلقتهُ من الاخبار فلما اعلن ذلك للراهبات ذعرن واخذت كل واحدة منهنَّ تأْتي بذخائرها حتى ضاقت الغرفة بها فامرتهنَّ الرئيسة باعادتها جميعًا وقالت ان السفينة لا تسع هذه الامتعة فهي تزيد في ثقلها وتعيق سيرها ثم عدَّدت لهنَّ ما يستطعنَ اخذهُ فتفرقن في غرفهنَّ وحينئذٍ خلت الرئيسة بباولين لتلقي عليها شيئًا من النصائح قبل فراقها فاندفعت هذه تحدثها بحديث حبها وتطنب في وصف حبيبها الى آخر ما يقولهُ المحبون اذا اتسع لهم مجال الكلام فلما فرغت سألتها الرئيسة قائلة

— ألا يدفعكِ هذا الحبّ الى ترك العالم باسرهِ واتباع من تهوين فاشارت باولين بالايجاب

— اذًا فتحذيري اياكِ سيذهب سدًى لكنَّ حبيبكِ ليس من ابناء مذهبنا

— على انهُ يحترمهُ يدلك على ذلك مجازفتهُ بحياتهِ لا نقاذكنَّ

— انما يفعل ذاك ارضاءً لحبيبتهِ وان زواج ابنة توما يعقوبي يسوءُني وانا عالمة انكِ لا تنبذينهُ ولكنَّ الله يتخذ الحبّ الصادق وسيلة لاتمام مشيئتهِ على طرق شتى قد تبدو لعين الناظر

مملوءة بالمعاثر. فسرّت باولين لهذا الكلام وكادت تقع على عنق الرئيسة وتقبلها اما هذه فلم تمهلها ريثما تفرح بما سمعتهُ فقالت

— ولكن حبيبكِ يشتهي ان يتمتع بنعمة الله وهو مندفع بكليتهِ الى ملذات هذا العالم فلا تزال طبيعتهُ كما كانت ولا يزال يرى في غرور هذه الدنيا منتهى السعادة فالحبّ الزمني يدفعهُ الى طلب الاغراض النبيلة لكنهُ غير مأمون العثار فاذا سقط لم يستطع النهوض لأن حبّ الله ليس في قلبهِ فاذا رأيتِ ان تصغي الى صوت حبكِ فتقبليهِ زوجاً لكِ فتمهلي زماناً ريثما يبرهن لكِ عن صدق طويتهِ وحسن توبتهِ

— لكنهُ تاب منذ زمن

— وما دليلك على ان توبتهُ خالصة فهو لا يزال يبتغي السعادة الزمنية ولما كنت اعتبركِ ابنة لي فانا انصحك كما تنصح الام ابنتها فتجلدي وثابري على مراقبتهِ ولا تسلمي لهُ بمقدار ذرة حتى

— حتى متى . اهذا هو الحب الصحيح فقد عهدت الحبّ يقضي على المرء بمقاسمة حبيبهِ افراح الحياة واتراحها

— صحيح ولكن الصبر من واجبات المحبين ايضاً فتذرعي بهِ ولا ترتبطي برباط الزواج الذي لا يفكُّ حتى تري اوربون كما ينبغي ان يكون وساعديهِ على نهج السبيل القويم دون ان تتسرعي في قبولهِ . فالحمت باولين ولم تحرجواباً وظلّت الرئيسة تخاطبها حتى وعدتها بانها لا تبتُّ امراً الى ان يعود اوربون من دمياط وبيدهِ كتاب منها تضمنهُ ما ترتايهِ بشأنهِ وكانت تتكلم والدموع تهطل على خديها لان قلبها ابى التسليم بما لم يستطع عقلها دفعهُ فلما عادت الى البيت وقابلت اوربون كما تقدم قالت

— عفواً ولا يغظك ابطائي عنك فقد اصابني الم شديد في رأسي بعد ان فارقت من كانت لي بمثابة امي

— ابيتِ لقائي امس وسمعتِ روفينس اليوم يدعوني الى الفطور ولست اريد خطابك بلفظ الآمر فهذا ابعد الامور عن قلبي واعلم انكِ لا تطيقينهُ ولكننا سنفترق يا باولين عن قريب فلماذا اضعتِ الوقت الثمين فاختصصتِ صديقتك بساعتين ولم تبقي لحبيبكِ شيئاً

— اما امس فلم استطع ان ادفع ماري عني وقد كانت تبكي وتقصُّ عليَّ حديثها بقلب مفعم سروراً وعينين دامعتين لئلاَّ تحسب ذلك قساوة مني فلما نزلت ورأيت رقعتك بدلاً منك حزنت جداً وندمت على ابطائي

— اضطررت الى الذهاب الى الفسطاط لالقى عمراً ولا يخفى عليكِ انني اصبحت مقيداً

بواجبات كثيرة ولم يعد قيادي في يدي فقد قضيت ساعة الفطور كمن يتقلب على شوك امَّا وقد حان وقت الفراق فهنالك امر احب الوقوف عليهِ واود لو تخبريني ما . . . فقالت ما اذا كنت احبك نعم وساحبك الى الابد تعال معي نجلس في ظل تلك الجميزة فهناك مقعد من الخشب. فشخص اليها واعتراهُ الذهول لكنهُ لم يرَ بدًّا من الانقياد اليها فتبعها حتى اذا ما جلسا قال

— أهذا جوابكِ لصوتِ الحبِّ المنبعث من اعماق فؤَادي اكذا تعامل الخطيبة خطيبها ليلة يفترقان . فبدا الاضطراب والجزع في وجهها وقالت

— الم اعرب لك عن حبي او خفي على عينيك فاعلم ان قلبي لك وانت مقيم فيهِ فلا يهمني سواك ولا احيا الاَّ لك ولن احب غيرك ولا اصلِّي الاَّ لاجلك ولكني لست خطيبتك بعد ولا استطيع ان اكون كذلك اليوم

— وعلامَ لا تستطيعنهُ اذا صحَّ انك تحبينني حقًّا وما الذي يدفعك الى تعذيبي

— الفطنة والحذر يقضيان بذلك فلم يحن الزمان بعد ويلوح لي انك لا تستطيع ان تضع شكيمة لعواطفك فقد نسيت الماضي وغابت عنك ذكرى تلك الهوَّة العميقة التي كانت تفصلنا فالعناية حوَّلت البغضاء التي كانت تجيش في صدري الى محبة اشد منها لكنني لا استطيع ان اكون خطيبتك بعدُ . ان هذا القول يكلفني عناء شديدًا وسيكلفني حزنًا ودموعًا غزيرة على انني اعرف شيئًا واحدًا واردد قولاً واحدًا وهو ان قلبي لك وحدك ولن اصير عروسك حتى استطيع ان اقول لك بملء الثقة لقد فزت نخذني وحينئذٍ يتضح لك ان حبي لك لا يقل عن حبك لي وارباهُ تفهَّم ما اقول يا اوربون انَّ وجع رأسي يكاد يقتلني . قالت ذلك والقت رأسها على كفها وتنهدت من كبد حرَّى . فاجاب اوربون وقد خنقهُ الغيظ

— ان كلامك هذا لم يصدر عن قلبك ولكنهُ تلقين من تلك الراهبة

— انهُ صوت العقل وكانت عواطفي قد تغلبت على عقلي فانارت صديقتي بصيرتي

— لعن التي نصحتكِ هذه النصيحة فهي لا تعرفني ولم تسمع كلمة من فمي ولو علمت تلك الزاهدة بما في فؤَادي لقالت غير ما قالت ومهما يكن من ذنوبي وشري فانا رجل لا انسى اللطف والمعروف ولو اقترنت بكِ يا باولين لتم لي ما اتمناهُ وسرت في السبيل الذي اقتدتني اليهِ فبلغت اوج المجد والكمال اما الآن فلم يبقَ لي من عمل سوى السعي لاكسب حبك بافعالي فاقدمها على مذبح حبك حتى تدبَّ حرارة ذلك الحب في قلبكِ فما قولكِ في رجل يفعل ذلك امام عيني حبيبتهِ فهذه اهانة لا تطيقها نفسي وتأبى همتي ان اجري على هذه القاعدة فاذا كانت دعواكِ في حبي صحيحة فتنازلي عن مطالبكِ هذه . فقبضت باولين على يدهِ وقالت

— انها صحيحة فانا احبك من كل قلبي وقد تكون مصيباً فيا لله ما العمل فامهلني في الجواب ألا ترى اضطرابي وما اقاسيهِ. فنظر الى وجهها الشاحب وجبينها المقطب فاخذتهُ الشفقة وقال

— نعم اراهُ فارجئي الجواب الى هذا المساء واذهبي الآن فاستريحي

— وانت في سفرك قل للرئيسة عين ما قلتهُ لي فهي امرأة فاضلة فاذا سمعت كلامك وعرفت صفاتك قدرتك حق قدرك واحبتك فتحلني من وعدي

— اي وعد

— وعدتها انني لا اتزوجك حتى . . . . فقاطعها وقال مغضباً

— حتى يتمَّ الامتحان فاذهبي واستريحي الآن فقد عكَّرت صديقتك صفاء ساعة كنت احسبها احلى ساعات حياتنا وخير لنا ان نقف عند هذا الحدّ من البحث فلا نتجاوزهُ الى ما لا تحمد عقباهُ فاذهبي ونامي فيخف بعض ما بكِ من الالم فاني ناسٍ ما قلتِ وليتكِ ترين ما في صدري فالوداع الى يوم اللقاء . قال ذلك ودار فمشى في سبيلهِ فصاحت باولين والبكاء يقطع كلامها اذكر حبي لك ياوريون ولا تنسهُ اما هو فلم يسمعها بل اسرع في مشيهِ وخرج من البستان

داء السرطان

واحدثُ الابحاثِ عن اسبابهِ

في مثل هذه الايام من العام الماضي صدرت مجلات الطب الامركانية والانكليزية كلها مشحونةً بالمقالات الطويلة عن الابحاث البكتيريولوجية التي قام بها مَعْمَلُ (او مُخْتَبَر) ولاية نيويورك البكتيريولوجي عن يد الدكتور جيلورد والدكتور پارك الجراح الامركاني المشهور اللذين قالا يومئذٍ بوجود حليات في الاورام السرطانية هي سببُ العلّة على زعمهما . وذاع قولهما هذا في كل اقطار المسكونة حتى ان الشركات التلغرافية عنيَت بنقلهِ الى كل انحاء المعمور لِمَا رأتْ من ارتياح الناس الى الاطلاع على سبب السرطان واكتشاف ذلك السبب ضالتهم المنشودة

ولكن الاطباء والعلماء المدققين علموا منذ ذلك الحين ان اكتشافاً هامّاً كهذا يجب ألاَّ يحلَّ محل الاعتبار والتصديق إلاَّ بعد التمحيص والتدقيق . ولذلك وقف العالم الطبي والعلمي ناظراً بملء الرغبة والتشوُّق الى اللجنة التي عينتها جامعة هارڤرد الشهيرة لتبحث عن هذا " الرأي الحلمي " حتى صدر تقرير تلك اللجنة في شهر مايو الماضي واذا بهِ تفنيد للرأي الحلمي بحججٍ دامغةٍ لا تقبل الرد والاعتراض تعود كلها الى ثلاثة براهين

(١) ان الحلميَّات التي قيل عنها انها هي سبب السرطان الاصلي اذا لُقّح بها كبد الارنب مثلاً احدثت فيهِ أوراماً بسيطة اعراضها كاعراض سائر الالتهابات المزمنة البسيطة لاغير

(٢) ان هذه الاورام او الخراجات التي تتولد من ادخال هذه الحلميّات الى جسد الحيوان يختلف بناؤها اختلافاً كليًّا عند بناء الاورام السرطانية

(٣) ان طبائع هذه الحلميّات او مميزاتها البكتيريولوجية هي ذات المميزات التي ذكرها علماء البكتيرلوجيا سابقاً لحلميّات اذاعوا انها هي اصل العلة ولكنهم بعد التجارب والامتحانات المتوالية لم يقدروا على تأييد دعواهم . ولذلك لم نعد نسمع عنها شيئًا مطلقًا . فرجع الاطباء بهذا التفنيد الى سابق عهدهم من حيث جهلهم سبب السرطان الاصلي وبالنتيجة عدم وصولهم الى علاجٍ خاصٍ لهُ يكفل الشفاء التام منهُ

ولا بدع اذا رأينا علماء الارض واطباءها قاطبةً يبذلون كل مرتخصٍ وغالٍ في سبيل الابحاث الدقيقة عن سبب السرطان تلك العلة الخبيثة التي اذا اصابت الانسان اوردتهُ حتفهُ بعد آلام مبرحة والاطباء حيارى في امرها يلتفتون اليها والى ضحاياها العديدين وهم مغلولو الايدي لا يدرون ماذا يفعلون

ومن مطالعاتي الاخيرة عن هذا الداء الوبيل وجدتُ ان اشتغال العلماء بهِ لا يقل عن اشتغالهم بالسل (التدرن الرئوي) العدو الالد لبني آدم . ولكن العالم قد خطا خطوة كبرى في سبيل ما يعرف عن السل اي عن سببهِ وعلاجهِ والوقاية منهُ بعد اكتشاف باشلس كوخ السبب الاولي لهُ . لاننا بمعرفة السبب يسهل علينا البحث عن الوسائل الآئلة الى استئصال شأفة العلة او على الاقل الوقاية منها

قامت جمعيّةٌ علميةٌ بفرنسا منذ عهدٍ قريب وعرضت مبلغًا كبيرًا من المال جائزة لمن يكتشف دواءً شافيًا لداء السرطان . وقد اطلع على هذا الخبر علماء الارض واطباؤها ولكنهم كانوا يقرأون ويصمتون لانهم لا يعرفون السبب الاصلي لهذه العلة فكيف يمكنهم ان يعرفوا كيفية معالجتها بطريقة علميّة ؟

وارسل جلالة الملك ادوارد السابع رسالة برقية في العام الماضي الى اعضاء مؤتمر السل المنعقد حينئذٍ في لندن وقال فيها : — " وهناك داء آخر عجز عنهُ العلماء والاطباء حتى الآن وهو السرطان قدَّركم الله على اكتشاف دواء لهُ بعد عهد غير بعيد والذي يكتشف هذا الدواء يستحق ان يقام لهُ تمثال في كل العواصم " . [1] وسمع هذا الكلام اعضاء ذلك المؤتمر وهم نخبة

(١) انظر مقتطف ٣٦ : ٨٥٧

علماء الارض . وطار بسرعة البرق الى كل اقطار العالم كيف لا وهو من كلام ملك يملك اعظم الممالك ولكننا للآن لم نسمع عن طبيب حاول اكتشاف دواء لهذا الداء ذلك لان البحث عن السبب اولى والوصول الى معرفتهِ اول خطوةٍ يجب ان نخطوها حتى نتمكن من الوصول الى علاج خصوصيّ له

وليس البحث عن اسباب السرطان حديث العهد بل يمتدُّ الى اول اكتشاف علم البكتيريولوجيا واستخدام المكرسكوب في تشخيص الامراض نظرًا لاهمية السرطان وكثرة فتكهِ بعباد الله وخصوصًا في مركز العلم والتمدن في اوروبا واميركا . فقد قيل ان معدل الوفيات بهِ في بلاد الانكليز لا يقل عن معدلها بالسل . ومن المعلوم ان اكثر علماء البكتيريولوجيا مثل فيفر وغيون وهانو وكابس وسن وغيرهم كثيرٌ من العلماء والاطباء والوا البحث سنوات عديدة للوصول الى سبب السرطان ولم يفلحوا لسوء حظ الانسان وكانت تجارب هؤلاء العلماء احيانًا في الحيوانات كالارانب والخنازير الهندية واحيانًا اخرى في الانسان نفسهِ وكلها لم تأتِ بنتيجةٍ مرضية

نعم اننا نعلم الآن ان من الاسباب المهيئة الاستعداد الوراثي وهذا مما لا شك فيهِ اليوم وكبر السن وهذا مرجحٌ بدليل ان الاصابة بالسرطان تندر ان تكون في من هم تحت الخامسة والعشرين وكثرة التعرُّض للآفات الميكانيكية وخصوصًا في مَن بهم استعدادٌ وراثيٌّ لذلك . والاكثار من اكل اللحوم المملحة . والسكنى على ضفاف الانهر الكبيرة الى غير ذلك من المعدّات للمرض . ولكن علمنا بها لا يكفي كما ان علمنا بالاستعداد الوراثي للسل لا يكون سببًا حاتمًا على المرء بالاصابة بهِ بل كثيرًا ما ينجو منهُ المستعدون لهُ اذا استخدموا الوسائط الكافية التي تقي من باشلس كوخ وبذلك تحفظ من العلة والخطر . وهذا يأتي بنا الى البحث عن هذه المسئلة وهي :—

هل السرطان معدٍ

يعتقد العامة ان السرطان علة معدية ولذلك تراهم في انكلترا يطلبون من الحكومة احيانًا ان تأمر بعزل المصابين بهِ خوفًا من ان ينتقل الى الاصحاء وهذا الاعتقاد مبنيٌّ اكثرهُ على كلام الاطباء قبل اكتشاف علم البكتيريولوجيا فانهم كانوا يعتقدون بعدوى السرطان ويعلّمون الناس بذلك حتى اواسط القرن الماضي

اما الاكتشافات الحديثة فقد برهنت جليًّا ان السرطان لا ينتقل بالعدوى ولو كان ينتقل بالوراثة حتى الى الاحفاد . ولذلك وجب على اهل المصاب واصدقائهِ ان لا يحجموا عن قضاء واجباتهم نحوهُ خوفًا من العدوى . فقد جمع الدكتور ديماركي تاريخ ١٣٤ حادثة بها لقح الجراحون انفسهم بخلايا الاورام السرطانية ولم يصبهم ادنى عرَضٍ من اعراض هذا

الداء . واحدث تجربةٍ وقفت عليها من هذا القبيل اجراها الدكتور سن Senn الجراح الامركاني الشهير وقد قال عن نفسهِ ما ملخصهُ :— "في ٤ مايو سنة ١٩٠١ لقحت نفسي بخلايا سرطانية اخذناها من غددٍ لمفاوية مصابةٍ بالسرطان في رجل ارلاندي عمرهُ ٦٠ سنة . وتأكدنا تشخيص العلة بهِ بالفحص المكرسكوبي . . . . . ومضى الاسبوع الاول ولم اشعر بشيء مطلقاً مكان التلقيح وفي الاسبوع الثاني شعرت بظهور نتوّ مثل دملة صغير في محل الجرح دام اسبوعين ثم اخذ في الزوال رويداً رويداً حتى انني لم ارَ منهُ شيئاً في آخر الاسبوع الخامس"

والدكتور كلبس Klebs جرَّب هذه التجربة عينها في عنقهِ وفي كثيرين من مساعديهِ اربعين مرةً وكانت النتائج سلبيةً فيها كلها . وعلى هذا بنى قولهُ المعروف وهو :— "مادمنا لا نقدر الآن ان نلقّح السليم بخلايا سرطان المداب او بالحلميات الموجودة فيهِ ونولد فيهِ المرض عينهُ بكل اعراضهِ فكل ابحاثنا المستولوجية البكتيريولوجية المقصود منها معرفة سبب السرطان الاصلي هي في خطةٍ غير الخطة التي يجب ان نسير فيها للوصول الى هذه الغاية اعني معرفة السبب" . وهذا ايضاً يأتي بنا الى امرٍ آخر لهُ علاقة بمعرفة السبب وهو

هل السرطان آخذٌ في الازدياد

من المشهور عند كل العامَّة وقسم كبير من الاطباء ايضاً ان السرطان آخذٌ في الازدياد الى درجةٍ اوجبت خوفهم الشديد منهُ وقد راع هذا القول الناس ولاسيما في انكلترا واميركا . ولكنهُ كقولهم ان السرطان معدٍ لم يقم دليلٌ عليٌّ على صحتهِ للآن . بل المرجح اليوم عند طائفة كبيرة من الاطباء ان عدد المصابين بالسرطان لم يزد عمَّا كان عليهِ قبلاً . لكن معرفتنا بهِ وبطرق تشخيصهِ زادت كثيراً عن الماضي وخصوصاً بعد استخدام المكرسكوب والفحص الرسمي في التشخيص

فاذا كان السرطان لا يعدي ولا هو آخذ في الازدياد حال كوننا نجهل طرق مقاومتهِ فيكون "الرأي الحلمي" ضعيفاً لا نقدر ان نعمل بهِ في الوقت الحاضر

علاقة السبب بالعلاج

لا شك ان الغاية التي يتوخاها الطبيب هي مساعدة الطبيعة على شفاء الامراض او تخفيف آلامها . ولذلك قلما ترى العامة وقسماً ليس بقليل من الاطباء يهمهم البحث عن اسباب العلل الرئيسية او كيفية تشخيصها . بل جلُّ ما يهمهم هو كيفية علاجها او استخدام الوسائط للوقاية منها

ولكن الاطباء قلما يقدرون في الوقت الحاضر ان يجاروا الناس على افكارهم وخصوصاً في المسائل المتعلقة بشفاء اكثر الامراض الخبيثة كالسرطان والسل وكثير غيرها . ولكنهم يأملون بالفوز العاجل على هذه الاعداء الشديدة الوطأة على الجنس البشري نظراً لتقدم علم البكتيريولوجيا

في هذه الايام . وذلك سيكفل لنا ولو بعد حين كشف الجراثيم التي هي السبب الاصلي لهذه العلل . وعندئذٍ يسهل على الاطباء محاربة عدوٍ محسوسٍ عرفوا طباعهُ وميزاتهِ وتحققوا ما يضعفهُ او ما يميتهُ

وهذا يُظهر لك السبب في عدم نجاح الاطباء اليوم في معالجتهم السرطان اعني عدم تحققهم ماهية الجراثيم الحية التي هي اصل العلة

نعم اننا نستخدم الآن بعض العقارات الطبية كالزرنيخ والكوندورانغو والشلدونيوم (وهو ما سماهُ المقتطف نبات اليتوع . انظر مقتطف ٢١ : ٧٣) والتربنتين وما اشبه . ولكنها كلها لم تأتِ بفائدة تذكر . وقد استخدم بعضهم كيَّ التورم السرطاني نفسهِ امَّا بالحديد المحمى بالنار وامَّا بنترات الفضة كما انهم استعملوا حقن السرطان بالفورمالين او المثيل الازرق — وذلك كلهُ لم ينجِ المصاب من مخالب الموت ولو خفَّف ويلات المرض نوعًا

ولمَّا سرى القول بان سبب السرطان بعض الحلميَّات حاول الدكتور كولي Coley النيويوركي استعمال مصلٍ لشفاء هذه العلة بطريقةٍ تشبه طريقة رو في مصل الدفثيريا (الخانوق) . ولكنهُ لم يفلح طبعًا . لان سبب العلة لم يتحقق بعد وسبب الدفثيريا صار امرًا محققًا لدى الجميع

والمعوَّل عليهِ اليوم هو استخدام الجراحة لشفاء السرطان . اي استئصال التورم باصولهِ وخصوصًا في بادئ الامر فذلك يطيل حياة العليل ويحبب الحياة لديهِ ولو كان العضو المنزوع معدتهُ كما بيَّنا ذلك في العام الماضي ونقاريرُ كل الجراحين والاطباء تدلنا على ان السرطان لا يرجع الى صاحبهِ بعد استئصالهِ من اول الامر بكل اصولهِ الاَّ بعد ٣ سنوات الى عشر . وانهُ من الممكن ان تختفي العلة بالكلية في بعض الحوادث بعد العمليات الجراحية

ومع ان سكين الجراح اتت بفوائد جمة في ما يتعلق بعلاج السرطان لا تعدُّ العلاج الخصوصي لهُ . ولا علاج معروف لهُ حتى اليوم لاننا لا نعلم سبب العلة وماهيتها كما قدمنا

وعلى ما رأيت من اخبار الولايات المتحدة علمت بان معمل ولاية نيويورك البكتيريولوجي لا يزالُ آخذًا في البحث عن سبب السرطان ولو كان قد اعترف بفساد الرأي الحلمي . وان مدرسة الجراحين من جامعة هاڤرد في بوسطن اخذت في البحث بطريقةٍ جديدة عن السبب نفسهِ ايضًا . وما علينا الآن سوى الصبر والتعلل بالآمال لنرى ما تأتينا بهِ لنا الولايات المتحدة بلاد العجائب والغرائب

سان باولو بالبرازيل — الدكتور سعيد ابو جمره

باي تونس وحاضرتهُ

سحت منذ نحو سنتين في بلاد الجزائر وتونس مبتدئاً من وهران ومنها توجهت الى تلمسان بالقرب من حدود مراكش فعاصمة الجزائر فبلاد بليدا فقسطنطينة فعنَّابة او بون كما يسميها الفرنسويون ثم تركت الجزائر وذهبت الى عاصمة تونس حيث تشرفت بمقابلة سمو محمد الهادي باي صاحب المملكة التونسية الذي جلس الآن على عرش البيت العلوي الحسيني وكان حينئذٍ وليّ العهد وهو الباي الثالث عشر من سلالة حسين بك علي تركي مؤسس البيت الحسيني فاني حينما بلغت تونس ذهبت لمقابلة سموهِ في قصرهِ الذي بناهُ في درمش بضواحي تونس فقابلني مرحباً وكنت قد تشرفت بمقابلة سموهِ اول مرة في مدينة فيشي من اعمال فرنسا . وهو على جانب عظيم من الانس والدعة مع ذكاء عقل ونباهة قدر يدلان على انهُ اهل للقيام بالمهام العظيمة التي عُهدت اليهِ خبير بالاحكام والشؤون المالية والفنون العسكرية اتم دروسهُ في احسن مدارس فرنسا ثم عاد الى وطنهِ يشارك المرحوم والدهُ في ادارة مهام البلاد وهو الآن سهران على مصالح امتهِ وتقدُّمها ونجاحها وهيئتهُ تملأ العين مهابة فهو طويل القامة اسمر اللون ذو عينين سوداوين براقتين يعلوهما حاجبان اسودان عريضان . وجبهتهُ عريضة وبداهُ كبيرتان يمسك باحداهما سبحة اما لباسهُ فاللباس الافرنجي وعلى رأسهِ طربوش مغربي

وعاصمة تونس واقعة في طول ٨° شرقاً وعرض ٤٤َ ٣٦ً شمالاً فهواؤُها كهواء بيروت حارٌّ في الصيف ولكنهُ جيدٌ جداً وسكانها الوطنيون من المسلمين واليهود وغير الوطنيين من طوائف مختلفة . امَّا الوطنيون فالمسلمون منهم سبعون الفاً واليهود اربعون الفاً وغير الوطنيين احد عشر الفاً من الايطاليين وعشرة آلاف من الفرنسويين والجزائريين وتسعة آلاف من اهالي مالطة والجملة ١٤٠ الفاً وقد كثر الايطاليون فيها والمالطية لقربها من بلادهما

والى شرق تونس وشمالها بحيرة طولها ستة اميال وعرضها ثمانية اميال ومساحتها ١٨٠٠٠ كيلو متر ومتوسط عمقها متران وكانت ارضها يابسة تزرع فتغلَّب البحر عليها فصارت بحيرة وكانت البواخر تفرغ شحنها في صنادل تسير فيها الى الجمرك على ما في ذلك من النفقة والمشقة فتألفت شركة حفرت ترعة في البحيرة طولها تسعة كيلو مترات تمخر البواخر فيها وترسو في ميناء أُنشئ لهذه الغاية وتفرغ شحنها في الجمرك مباشرةً

وكان منظر المدينة قبلاً كمنظر مدينة مصر قبل انشاء احياء الازبكية والتوفيقية والاسماعيلية فاصبحت اليوم من المدن الجميلة بشوارعها ومنتزهاتها وكان امام بابها اراضٍ سبخة

فردمت وخططت فيها الشوارع وهي الآن حي الافرنج وأُطلق على شوارعها اسماء الممالك الاوربية كشارع روسيا وشارع النمسا وشارع اسبانيا ويقال للشارع نجع وفتح في وسط هذا الحي شارع يبتدئ من باب المدينة وينتهي الى البحر طوله ٥٠٠٠ متر وعرضهُ ٦٠ مترًا وغرست على جانبيهِ الاشجار واقيمت الفنادق والمخازن الكبيرة والقهاوي فكأنهُ شارع من شوارع مرسيليا . وللمدينة باب كبير فاصل بينها وبين حيّ الافرنج ومنهُ دخلتها فوجدت شوارعها ضيقة الاَّ انها مبلطة بالحصى ونظيفة والدكاكين صغيرة لكنها مملوءة بالبضائع وتسمى الاسواق باسماء ما يباع فيها . والسوق العمومية مبنية على شكل سوق استانبول وبالقرب منها جامع الزيتونة المشهور بمدرستهِ وظللت سائرًا الى ان وصلت الى القلعة ويقال للقلعة هناك قصبة وهي قديمة العهد بناها الاسبان واحتلها الاتراك وغيّر الفرنسويون هيئتها القديمة وفيها حاميتهم ولما فتحها الاسبانيون سنة ١٥٣٥ وجدوا فيها عشرين الف اسير ممن اسرهم القرصان وهم الذين فتحوا بابها للاسبان

ولما كانت شوارع المدينة ضيقة لا يمكن سير المركبات فيها مدوا خط ترامواي خيل حول المدينة يبتدئ من الباب المذكور آنفًا ويسير الى جهة اليمين حتى يصل الى امام القلعة ثم يتجه شمالاً حتى يعود الى الباب . فتستغرق هذه الدورة نصف ساعة يرى الراكب فيها هيئة المدينة وفي اثناء مرور الترامواي ينزل الركاب ويدخلونها منهُ

ومما يستحق الرؤية في تونس الباردو او قصر البايات القديم الى جانبهِ قصور اخرى وثكنة للجند والمحكمة والسجن وحول الجميع سور كبير. وكان الباي ينتقل كلّ يوم من قصرهِ الخاصّ الى قصر المحكمة او الديوان فيعقد جلسة مع وزرائهِ ومستشاريهِ للنظر في ادارة امور البلاد . ولكن بعد الحماية الفرنسوية ترك علي باي هذا المكان وبنى لهُ قصرًا على شاطئ البحر . وقصر الباردو هذا لا شيء عليهِ من فخامة البناء ولكنهُ واسع جدًّا كثير الفسحات والدهاليز لما وصلت الى بابهِ صعدت على درج من رخام على جانبيهِ ثمانية اسود من الرخام الابيض حتى انتهينا الى فسحة مبلطة بالرخام الابيض حولها رواق قائم على اعمدة من رخام وعليهِ نقوش عربية لطيفة وآيات قرآنيَّة وتحت الرواق قاعات اشبه بقاعات سراي شبرا بمصر ثم دخلنا قاعة الاستقبال وفيها يقابل الباي وفود المهنئين في المواسم والاعياد وهي واسعة جدًّا وفي صدرها العرش وهو مذهب وفي اعلاهُ شعار الحكومة التونسية وجدران القاعة مزينة بصور الملوك وبايات تونس بالقد الطبيعي وبين كل صورتين مرآة كبيرة . ومنها صورة محمد باي وحسين باي واحمد باي وصادق باي وهو الذي وقّع المعاهدة مع حكومة فرنسا سنة ١٨٨١ وصورة علي باي الذي توفي حديثًا وصورة نابوليون الثالث وامبراطور النمسا. ولكن اثمن هذه الصور صورة الملك لويس فيليب

رسمت على قماش دوبلين وكانت تساوي نصف مليون فرنك حينما صنعت ولا يعمل الآن مثلها باقل من نصف هذه القيمة

وتوجهنا من هناك لمشاهدة المكان الذي كانت زوجات محمد باي الاربع يقمن فيهِ وهو كثير الزخرفة والنقوش فيهِ فسحة كبيرة مبلّطة بالرخام الابيض في كل زاوية منها غرفة للنامة تشبه غرف المنازل الشهيرة في دمشق ويليها قاعة كبيرة لها قبة كقبب الجوامع تتألق من داخلها لكثرة ما فيها من النقوش المذهبة . وهذه القاعة والغرف والفسحة جعلت الآن متحفاً لما وجد في تونس من العاديات والتماثيل القديمة وهي كثيرة وبينها تمثال اورفه من الصوان وهي واقفة تعزف بالقيثارة وامامها وحوش الارض كالاسد والنمر والدب تسمع صوتها وعليها ملامح الطرب

وضواحي تونس كثيرة جميلة وقد تكفلت شركة ايطالية بمد سكة حديد بينها وبين العاصمة يبلغ طولها ٢٠ كيلو متراً وبعد ان مدّت غار الفرنسويون فاشتروها منها بمبلغ كبير. وهاك بيان هذه الضواحي

(حلق الواد) اوغوليتا وهو اسم قرطجني والفرنسويون يقولون لاغوليت . لما ركبت قطار سكة الحديد اليهِ كانت بحيرة تونس الى اليمين. والى الشمال اراضٍ منبسطة مزروعة قمحاً وشعيراً وزيتوناً وكانت حلق الواد الميناء القديم لتونس ولكنها انحطت بعد فتح الترعة في البحيرة . وعدد سكانها الآن ٦٠٠٠ نفس

(خير الدين) نسبة الى خير الدين باشا الذي كان وزيراً لتونس وصدراً اعظم للدولة العلية بنى لهُ فيها قصراً على شاطىء البحر تحوّل الآن الى فندق وتياترو وحمامات بحرية يؤمُّهُ خلق كثير للتنزه نهاراً وليلاً

(قرطاجنة) ذهبنا اليها ومعنا الدليل فشاهدنا حدود عاصمة الفينيقيين من جهاتها الاربع واراضيها تزرع الآن قمحاً وشعيراً بعد ان كانت من اكبر العواصم وامنعها حتى كادت رومية تعجز عنها وتفرجنا على الفورم والصهاريج الرومانية والمتحف الكبير الذي بناهُ الكردينال لافيجري الشهير وجمع فيهِ العاديات والآثار الفينيقية والقرطاجنية والرومانية واليونانية والاسبانية والتركية والعربية وقسمهُ الى اقسام كثيرة ملأها بالاسلحة والمصابيح والحلى الذهبية والفضية والنحاسية والزجاجية والآنية الحديدية والنحاسية والفخارية وغير ذلك شيءٌ كثير

وبالقرب من هذا المتحف كنيسة عظيمة بناها الكردينال المذكور سنة ١٨٤٢ في البقعة التي توفي فيها الملك لويس التاسع الملقب بالقديس سنة ١٢٧٠ وكانت وفاتهُ بالطاعون الذي فشا في جندهِ وهو قاصد غزوة تونس . والكنيسة تفوق في الجمال والاتساع والزخرف كنائس

مصر والاسكندرية مع انهُ لا يصلي فيها سوى الرهبان . وقد انفق على بنائها النفقات الطائلة وكتب على جدرانها اسماء المتبرعين بالمال الكثير من فرنسا . وبعد وفاة الكردينال دفن فيها ونصب لهُ تمثال على قبرهِ من الرخام الابيض يمثلهُ وهو ماسك بيدهِ كتاباً ومتكئ على ظهرهِ.

وفي قرطاجنة ايضاً فندق صغير يحتوي على نحو عشرين غرفة يقيم فيهِ مندوبو الجمعيات العلمية والمؤرخون ينقبون ويبحثون ثم يعودون الى اوربا لنشر نتيجة ابحاثهم واكتشافاتهم . ولكن لسوء الحظ لم يبقَ من آثار قرطاجنة شيء يذكر لان كنائس تونس وجوامعها وقصر احمد بك في قسطنطينة وبعض كنائس مالطة وصقلية ورومية اجتمعت كلها على سلب الكثير مما وجد في انقاضها من اعمدة الرخام والمرمر والحجارة الزينة

(المرسي) . وهي مبنية على شاطئ البحر اشتهرت بقصر علي باي الذي توفي فيهِ منذ شهرين تقريباً . وهو متسع جداً ولهُ بابٌ كبير امامهُ ساحة يخطر فيها حرس الباي الخصوصي وعددهم نحو مئة جندي وفي المرسى الآن نحو خمسة آلاف من السكان

(سيدي ابو سعيد) . مبنية على مرتفع يشرف على البحر وهواؤها جيدٌ جداً ومنظرها جميل وبيوتها بيضاء تحيط بها اشجار الزيتون

وعلى مسافة بعض كيلومترات من تونس شمالاً اراضٍ منبسطة اتخذها الفرنسويون منتزهاً عمومياً وقرروا انفاق عشرين مليون فرنك عليها وقد انفقوا نصف هذا المبلغ الى الآن زرتها في المركبة فحسبتني في منتزه فرنسوي لما رأيت من حسن تخطيط الشوارع تحفُّ بها الاشجار على جوانبها وفسقيات الماء في وسطها وفيها مرتفعات تطلُّ على مدينة تونس فتظهر منها كالحمامة البيضاء في الايكة الخضراء

(حمام ليف) . وهي مبنية على شاطئ البحر ويوصل اليها بسكة الحديد في نصف ساعة بين البحر والمزارع الغناء وراءها جبل ابو قرنين ارتفاعهُ ٦٤٠ متراً ولهُ قنتان شاهقان ومن ذلك سمي بابي قرنين. يتردد التونسيون والاجانب على هذه الضاحية خصوصاً في ايام الاحاد وهي تشبه سان ستفانو في رمل الاسكندرية وقد غرست الاشجار على طرقها . وفيها تياترو شاهدت فيهِ تمثيل جوق فرنسوي يمثل عادة ايام الصيف من كل سنة

واحسن الاشهر للسياحة في تونس شهر سبتمبر (ايلول) ويستطيع السائح ان يشاهد اهم مدن الجزائر وتونس وجبالها واوديتها وسائر ما يتعلق بها في اربعين يوماً

وقد افضت الكلام على تونس وضواحيها وسائر بلاد المغرب في الجزء الثاني من رحلتي وهو تحت الطبع

ادوار الياس

مكاتب المسلمين

المكاتب (الكتبخانات) دليل على كثرة المعارف وتفوُّق العمران وقد اثبت البحث في خرائب بابل واشوران الميل الى جمع الكتب ليس حديثًا في الدنيا

وبالانتقال من فجر التاريخ الى نهارهِ الساطع الضياء نجد في الرومان رغبة شديدة في جمع الكتب اما ليستفيد منها افراد الناس او ليستفيد منها الجمهور. ولقد ظهرت هذه الرغبة من كثيرين من ملوكهم ولاسيما من الْبيوس تراجنس الذي انشأ اوسع المكاتب الملكيَّة . ويقال انهُ كان في رومية وحدها في القرن الرابع للميلاد ثمانٍ وعشرون مكتبة عمومية ولم تكن المكاتب محصورة في العاصمة وحدها

ولقد كان سقوط المملكة الرومانية الغربية بداءة انحطاط شأن المعارف فان البرابرة الذين اقتحموا تخومها تغلبوا عليها فنُسيت معارف الرومان او لم يبقَ لها شأن الا عند نفر قليل

ومرَّت قرون على اوربا تنازلت فيها عن حقها في عضد المعارف لامَّة اوجدها نداء الرسول العربي فان المسلمين وجَّهوا اعتناءهم الى رفع منار العلم بعد ان خرقوا سياج مملكة الروم وقوَّضوا دعائم مملكة الفرس . ومرَّت القرون الوسطى وازمَّة العمران في يد ابناء الصحراء

ولا بأس بايراد فذلكة من تاريخ المعارف عند المسلمين تمهيدًا للكلام على مكاتبهم

من البيّن ان العرب كانوا على شيءٍ من المعارف حتى في عصر الجاهلية يدلك على ذلك ما يُروي عن سوق عكاظ حيث كان الشعراء يتبارون ويُحكَم بالسبق للمبرزين منهم فتكتب قصائدهم في القباطي وتعلَّق على الكعبة اكرامًا لهم . الأَّ ان اقدم المحفوظ من اشعارهم لا يمتد الى ابعد من قرن قبل الهجرة ولو قال قوم خلاف ذلك ولم تعرف الكتابة عندهم الأَّ قبل الهجرة بزمن يسير غير انها دفعتهم الى تسطير المحفوظ من اخبارهم واشعارهم ومهَّدت السبيل الى ارتقائهم العقلي وتلا ذلك ان ابا الاسود الدؤلي وضع قواعد النحو باشارة الامام علي فكان هذا مبدأً تدوينهم علوم اللغة

وبقيت معارف العرب قليلة جدًّا حتى موت النبي ولكن لم يمضِ عليهم وقت طويل حتى اتصلوا بالفرس والروم فعرفوا فوائد الحضارة وكان الفرس الذين بلغوا شأْوا رفيعًا من العمران في عهد آل ساسان معلميهم الاولين ويتلوهم السريان الذين ارشدوهم الى علوم اليونان وفلسفتهم فتعلموا من الفرس الغناء والبناء والنقش والسياسة والفلسفة وحب التحلي والتأنق . واكثر علماء الاسلام من سكان بخارى وخرسان وبلخ ومن تلامذة مدارس البصرة ونيسابور وسمرقند وهرات

من اصل فارسي او تركي. اما علوم اليونان فجاءَت عن يد نصارى نصيبين والرها . وكان اكثر حملة العلم من الموالي كما قال الخليفة عبد الملك

ولم يكد المسلمون يدخلون ميدان العلم حتى خطوا فيهِ الخطى الطوال وسار خلفاؤُهم وكبراؤُهم في مقدمتهم ولم يكن قد نشأَ فيهم شيءٌ من التعصُّب الديني الذي من شأنهِ احتقار ما عند غيرهم من العلم والفلسفة بل تعلموا من الامم التي غلبوها واتقنوا علومها . واول مدرسة علمية في القرون الوسطى كانت مدرسة طليطلة التي انشأها العرب . وكانت مدرسة القاهرة المعروفة ببيت الحكمة على الاسلوب الذي اشار بهِ الفيلسوف باكون بعد ذلك بزمن طويل

واول من عني بجمع كتب العلم من امراء المسلمين خالد بن يزيد الاموي وقد ذكرهُ ابن خلدون ونفى ما ينسب اليهِ لكن الاستاذ شبلي خطَّأَ ابن خلدون واثبت الفضل لخالد مستشهدًا بما قالهُ ابن نديم الذي قال ان خالدًا كان من اعلم الناس بفنون العلم ولهُ كلام في صناعة الكيمياء والطب وكان بصيرًا بهذين العلمين متقنًا لهما ولهُ رسائل دالة على معرفتهِ وبراعتهِ وبامرهِ ترجمت كتب الطب والكيمياء من اليونانية والقبطية . وبقيت رسائلهُ الى زمن ابن نديم

ولما تمهَّدت الامصار للخلفاء اخذوا في جمع كتب العلم الى ايام ابي جعفر المنصور فعني بترجمة كتب الفرس واليونان حتى اذا كثرت الكتب المترجمة والمؤلفة لدى الرشيد بنى لها بيت الحكمة وجعلهُ خزانة لها وديوانًا للمترجمين . فتقاطر العلماء الى بلاد المسلمين وكانت الكتب المجموعة في بيت الحكمة بلغات مختلفة فارسية ويونانية وقبطيَّة وسريانية . وكان يحيى بن خالد البرمكي رئيس هذه النهضة ومقدامها فاعتنى خصوصًا بنقل علوم الفرس لانهُ فارسيٌّ ونقل علوم الهند ايضًا

وجاء المأمون بعد الرشيد فاقتفى خطواتهِ وزاد في جمع الكتب وترجمتها ويقال انهُ انفق على ترجمة كتب اليونان ثلثمئة الف دينار . ولما كان في مرو راقت لهُ اساليب الفرس فاقتدى بازدشير وجمع كثيرًا من التحف القديمة مما كان في بلاد العرب قبل الاسلام من ذلك كتابة كتبها عبد المطلب بيدهِ . وبقي جانب من الكتب التي جمعها الى القرن السابع من الهجرة ورآها ابن ابي اصيبعة (صاحب كتاب طبقات الاطباء) . والاهتمام بجمع الكتب وترجمتها دعا الى الاهتمام بصناعة النساخة والتجليد فاشتهر بالاولى ابن البواب وابن مقلة ووزير المقتدر بالله وياقوت المستعصمي وميرعلي وكان العرب يتنافسون في اجادة الخط كما يتنافس غيرهم في التصوير حتى ان الخليفة عثمان كتب بيدهِ اربع نسخ من المصحف ارسلها الى الآفاق واقتفى اثرهُ الحجاج بن يوسف الثقفي واهدى نسخ المصحف التي نسخها بيدهِ الى عواصم المملكة

وكان السلطان ابرهيم بن محمود الغزنوي يجيد الخط ويكتب نسخة كاملة من القرآن كل

سنة يرسل بها الى مكة. وذكر ابن خلدون ان السلطان ابا الحسن سلطان افريقية كتب نسخة من القرآن بيدهِ وبعث بها الى مكة ونسخة اخرى بعث بها الى المدينة وكان ينوي كتابة نسخة ثالثة يبعث بها الى بيت المقدس فتوفي قبل اتمامها

وانتشرت الرغبة في جمع الكتب في بغداد كلها اقتداء بالمأمون وكان كبراء الامة لا يضنون بمال في هذا السبيل فانشأ الفتح بن خاقان وزير المتوكل بالله مكتبة عظيمة . وكان وزير الواثق بالله ينفق ثلاثين الف دينار كل شهر على ترجمة الكتب ونسخها

وكانت كتب الواقدي (في القرن التاسع) تملأ ستمئة صندوق ويقتضي حملها مئة وعشرين جملاً

ولما انتقلت الخلافة من بني امية الى بني العباس هرب عبد الرحمن الاموي الى الاندلس فرحَّب بهِ اهلها وانشأ دولة في قرطبة فناظرت القاهرة وبغداد او فاقتهما . وبلغت علوم العرب اوجها في بلاد اسبانيا فلها اوربا مديونة اعظم دين لانها اوقدت مصباح المعارف في اوربا . وكان للمستنصر بالله الحكم سلطان قرطبة اليد الطولى في هذه النهضة العلمية فانهُ جلب كتب الفلسفة من البلاد الشرقية وامر بترجمتها . قال المقري انهُ "كان يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالاً من التجَّار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوهُ وبعث في كتاب الاغاني الى مصنفهِ ابي الفرج الاصفهاني وارسل اليهِ الف دينار من الذهب العين فبعث اليهِ بنسخة منهُ قبل ان يخرجهُ الى العراق. وجمع بدارهِ الحذَّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد فاوعى من ذلك كلهِ واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبلهِ ولا من بعدهِ الاَّ ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستضيء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بيع اكثرها في حصار البربر" . واثبت ابن خلدون ان اسماء دواين الشعر كانت تملأ ٨٨٠ صفحة

واختلف المؤرخون في عدد الكتب التي كانت في خزائن الحكم ولكنهم اتفقوا على انها كانت كثيرةً وكان على كثير منها شروح وحواش بيدهِ

وخلف الحكم ابنهُ هشام المؤيد بالله وكان صغيراً فولي الاحكام وزيرهُ المنصور ابن ابي عامر وكان كارهاً للفلسفة فاتلف كتب الحكمة والهيئة وكل ما فيها من علوم الاوائل وابقى كتب اللغة والشعر والتاريخ والفقه والحديث وظلَّ الحال على هذا المنوال والناس على غير رأي الحكم الى ان انقرضت دولة بني أمية من الاندلس

ثم كثرت الفتن في البلاد وعبثت بالكتب الايادي فنقل بعضها الى اشبيلية وبعضها الى غرناطة وبعضها الى الالميرة وغيرها من العواصم . وبلغ عدد المكاتب العمومية في اسبانيا لمَّا

كانت في اوج مجدها في عصر العرب سبعين مكتبة . ولا يزال فيها حتى الآن كثير من كتب العرب رغماً عمّا مرَّ بها من ازمنة البؤس ورغماً عما ابداهُ النصارى وقت إخراجهم العرب

نقل المقري عن الحضرمي ما خلاصتهُ ان الحضرمي كان يقيم في قرطبة ويحضر سوق الكتب كل يوم عساهُ يعثر على كتاب كان يتطلبهُ وظلَّ على ذلك اياماً واخيرًا عثر على الكتاب المطلوب فسامهُ وصار كلما زاد الثمن زادهُ الدلال اكثر حتى بلغ مبلغاً فاحشاً لا يستحقهُ فقال للدلال مَن مناظري في ابتياع هذا الكتاب فاراهُ رجلاً من الكبراء فحياهُ الحضرمي قائلاً حيَّا الله مولانا الاستاذ علامَ تغالي في هذا الكتاب فقد فاق ثمنهُ ما يستحقهُ فان كنت ترغب فيهِ فهو لك من غير مزايدة فقال الرجل لست استاذًا ولا انا عارف موضوع الكتاب ولكن في بيتي خزانة كتب جمعتها ليعلو بها شأني بين اقراني ولم يزل فيها فراغ يسع هذا الكتاب فاريد ان ابتاعهُ لتتم بهِ

ولما عقد الصلح بين ابي يوسف سلطان المغرب الاقصى وبين دون سنخو كان من جملة شروطهِ ان يرد دون سنخو الكتب التي غنمها من مدن المسلمين فردها ووضعها السلطان في المدرسة التي بناها بفاس لكي يطالعها طلبة العلم

ولما ضعف شأن الخلفاء العباسيين وقوي ملوك الطوائف استقلَّ بنو سامان في بخارى وبنو حمدان في الشام وبنو بويه في شيراز والفاطميون في مصر . وكانت هذه الدول المستقلَّة تتنافس في رفع شان العلم وتقريب رجالهِ فانشأ نوح بن منصور سلطان بخارى مكتبة كبيرة قال عنها ابن سينا انهُ دخلها وكانت عديمة المثال فيها من كل فن من الكتب المشهورة بايدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمهِ فضلاً عن معرفتهِ فظفر فيها بكتب من علم الاوائل وغيرها وحصل نخب فوائدها واطلع على اكثر علومها

ونوح بن منصور هذا هو الذي عرض الوزارة على الصاحب بن عباد فاعتذر عن قبولها بانهُ لا يستطيع ان ينتقل اليهِ ما لم يأخذ معهُ كتبهُ وهي حمل اربع مئة جمل

وذكر البشاري ان عضد الدولة انشأ في شيراز اكبر المكاتب وجعلها في جانب من قصرهِ ولم يكن لها مثيل في ممالك الاسلام . وقال الامام الثعالبي انهُ ما من دار من دور الامراء بعد دور العباسيين كانت كثيرة الكتب مثل دار سيف الدولة وهو الذي قرَّب ابا نصر الفارابي وكان يجري عليهِ النفقة الى حين وفاتهِ . وقضى ابو الفرج الاصفهاني خمسين سنة في جمع كتاب الاغاني وحملهُ اليهِ فاجازهُ بالف دينار واعتذر اليهِ عن قلَّة المال لديهِ

(ترجمت من مقالة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية للقاضي خوده بخش قاضي قضاة حيدر اباد . وستأتي بقيتها)

اتقاء الكوليرا وعلاجها

ظهرت الكوليرا في بلد موشه بالقرب من اسيوط في اواسط الشهر (يوليو) واشتدَّ فتكها حالاً فصار يصاب بها ثلاثون او اربعون في اليوم يموت منهم عشرون او ثلاثون . وحالما شعر السكان بظهور هذا الوباء لجأ بعضهم الى الفرار فاوصلوهُ الى القاهرة ونحن نكتب هذه السطور في السادس والعشرين من الشهر وفي نشرة مصلحة الصحة ان عدد الذين توفوا بالكوليرا خارج المستشفى في الاربع والعشرين ساعة الماضية ٦٢ وعدد الذين درت بهم قبلما توفوا ونقلتهم الى المستشفى ١٦ ولا بد من ان يكون كثيرون قد اصيبوا ولم تدرِ بهم لان ذوي المصاب يخفونهُ عادةً . ولو كانوا يخبرون عن كل مصاب حتى يُعزل عن غيرهِ حالاً ويمنع انتقال العدوى منهُ لكان الوباء حُصر في مبداٍهِ ومُنع عن الانتشار

وغنيٌّ عن البيان ان الكوليرا وكل الامراض المعدية لا تتولَّد الاَّ بالعدوى كما ان نبات القطن لا يتولَّد الاَّ من تقاوي (بذار) القطن ونبات القمح لا يتولَّد الاَّ من تقاوي القمح . ولم تكن الكوليرا في القطر المصري كلهِ منذ شهرين من الزمان فهي وافدة اليهِ من الخارج من مكان كانت فيهِ واتى بها احد الناس اما بماء تخالطهُ ميكروباتها او بثياب ملطخة ببراز اناس ماتوا بها . ونودُّ ان تبحث الحكومة بحثًا مدققًا عن كيفية وصولها الى القطر المصري لتعاقب الذين اوصلوها عقابًا صارمًا جزاءً لهم وعبرةً لغيرهم وليتضح للناس كيفية انتقال هذا الوباء فيجتنبوهُ في المستقبل

ونعيد هنا ما قلناهُ وكررناهُ مرارًا منذ عشرين سنة الى الآن وهو ان الكوليرا تنشأُ من ميكروبات صغيرة جدًّا لا تُرَى بالعين لصغرها تدخل معدة الانسان مع الماء الذي يشربهُ او الطعام الذي يأْكلهُ فاذا لم تهضمها معدتهُ بل وصلت الى امعائهِ سليمة نمت فيها وتكاثرت وحاول جسمهُ التخلُّص منها ومن سمها بالقيء والاسهال فتمتزج بهما . والغالب ان سمها ينتشر في بدنهِ ويميتهُ . واذا اتَّصلت مبرزاتهُ بالماء او غسلت ثيابهُ الملطخة بها في ترعة يشرب الناس منها انتشر ميكروب الكوليرا في الماء ودخل معَد الذين يشربونهُ . والذين يخالطون المصاب او يغسلون ثيابهُ قد تتلطخ ايديهم بشيء من مبرزاتهِ ثم يمسكون طعامهم قبل غسلها جيدًا فيتصل الميكروب بهِ . واذا طُرحت المبرزات في الشوارع فقد تقع عليها الذبان فيلصق ميكروب الكوليرا بارجلها واجنحتها ثم تقع على الطعام فتنقل الميكروب اليهِ

هذه هي اشهر طرق العدوى ومتى عرفت ظهر ان التوقي منها يقوم بالامور الآتية وهي

اولاً . حفظ المعدة في حالة الصحة حتى تستطيع هضم ميكروب الكوليرا اذا دخلها . وقد شرب الدكتور كلين خصيم الدكتور كوخ كاساً فيها كثير من ميكروبات الكوليرا فلم يصب بمكروه ثم ثبت انهُ ما دامت حموضة المعدة طبيعية مات ميكروب الكوليرا فيها ولكن اذا زالت الحموضة منها وصارت قلوية لم يمُت بل مرَّ فيها سليماً الى الامعاء حيث يلقي عصاهُ وينمو ويتكاثر ولذلك يشير الاطباءُ باضافة قليل من الحامض اللبنيك او الهيدروكلوريك الى الماء وقت شربهِ تسهيلاً للهضم ومساعدةً لحموضة المعدة على قتل ميكروب الكوليرا

ثانياً . تنقية الماء مما يمكن ان يخالطهُ من ميكروبات الكوليرا باغلائهِ ثم تبريدهِ فان ميكروب الكوليرا يموت بالحرارة ولو كانت درجتها بين ٥٥ و ٦٠ بميزان سنتغراد اي تحت درجة الغليان بكثير ولكن الاغلاء اوقى . اما اذا كان الماءُ نقياً لا سبيل لاتصال ميكروبات الكوليرا بهِ فلا داعي لاغلائهِ

ثالثاً . تنقية المآكل كلها بتسخينها قبل اكلها او بغسلها بالماء الغالي حتى الخبز والفاكهة لان الذبان الذي يقع عليها قد ينقل ميكروب الكوليرا اليها

رابعاً. غسل اليدين قبل الاكل بماء فيهِ ما يميت ميكروب الكوليرا كالحامض الكربوليك والسليماني اما الحامض الكربوليك فيمزج الدرهم منهُ بخمسين درهماً من الماء . واما السليماني فيمزج الدرهم منهُ بثلاثة آلاف درهم من الماء

خامساً . الامتناع عن الاطعمة التي تلبك المعدة مهما كانت وعن الاكثار من اي طعام كان لانهُ اذا تلبكت المعدة وضعفت عسر عليها قتل ميكروب الكوليرا اذا دخلها

سادساً . الابتعاد عن الاماكن الموبوءة اذا امكن لان وسائط التوقي قد لا تمنع وصول ميكروب الكوليرا الى الطعام او الى الشراب لا سيما وان الذبان تنقلهُ اليهما كما تقدَّم

اما قيء المصابين ومبرزاتهم فيجب صب السليمان عليها كلها لكي يميت ما فيها من الميكروبات وثيابهم الملطخة بقيئهم ومبرزاتهم تطهر بالبخار السخن او بمحلول السليماني او تحرق وهذا هو الاسلم. ولا يجوز صب مميتات الميكروبات في الكنف لان ميكروبات الفساد التي في الكنف تكفي لاماتة ميكروب الكوليرا واما اذا صُبَّ فيها مواد مميتة للميكروبات فقد تميت ميكروبات الفساد وتبقي ميكروب الكوليرا حيًّا

هذا من حيث الوقاية من الكوليرا اما العلاج فيجب ان يوكل الى الطبيب . ونذكر حضرات الاطباء باسلوبين شهيرين لمعالجة المصابين بالكوليرا الاول اسلوب الدكتور كنتاني على ما ورد في خطبة مسهبة لهُ عرَّبها المرحوم الدكتور سالم باشا سالم ونشرناها في المجلد الثالث

عشر من المقتطف والثاني اسلوب الدكتور السر جورج جنسن الذي لخصهُ الدكتور وديع برباري بعد ان استعملهُ في الكوليرا الماضية ونشرناهُ في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف

اما الاسلوب الاول فمدارهُ على ان الحامض التنيك الذي مزج الدرهم منهُ بمئة درهم من الماء وسخن الى الدرجة ٣٨ يميت ميكروب الكوليرا في الامعاء اذا حُقن بهِ من المستقيم او يمنع ضررهُ وان الماء الذي فيهِ قليل من الملح يقاوم تكاثف الدم

اما الحامض التنيك فيذاب عشرة جرامات منهُ الى عشرين غراماً في ليتر ونصف الى ليترين من الماء السخن الذي حرارتهُ نحو اربعين درجة ويضاف اليها من ٢٠ الى ٣٠ نقطة من اللودنوم ويحقن بهِ المصاب في المستقيم . واما الملح فيذاب اربع جرامات منهُ و٣ جرامات من كربونات الصودا في لتر من الماء السخن ويحقن بهِ المصاب تحت الجلد في الجزء القطني البطني والاربيتين وتحت الكتفين والاليتين. والحقن الاول بالحامض التنيك يميت الميكروب فيوقف الاسهال والحقن الثاني بالماء والملح يقاوم تكاثف الدم والتسمم الهيضي الكيماوي وهو لا يستعمل الاَّ في الادوار الاخيرة من ادوار الكوليرا

واما الاسلوب الثاني فمدارهُ على ان القيء والاسهال اللذين يكونان في الكوليرا طريقتان يلجأُ اليهما الجسم لاخراج المواد المهيجة من الامعاء وبالمشاركة تتهيج المعدة ويحدث القيء. فالاسهال علاج طبيعي تجريهِ الطبيعة للتخلص من ميكروب الكوليرا ومن سمّهِ . فمن كانت بنيتهُ قويَّة وقوي على احتمال هزال الاسهال الى ان يتم التخلُّص من سم ميكروب الكوليرا نال الشفاء والاَّ ذهب شهيد السم والاسهال . وشدَّة الاسهال تكون بالنسبة الى شدَّة المرض وكثرة الميكروبات وقوة فعلها وضعف البنية عن احتمالها . فكلما زادت المواد المهيجة زاد احتياج الجسم الى قوة طاردة . فالموت من شدَّة الاسهال دليل على قوة السم ولذلك فكل واسطة توقف الاسهال قبل خروج السم من الجسم تعجل الموت او تجعلهُ امرًا محتومًا . اما توقف الدورة الدموية في درجة التهوُّر او الدرجة الثالثة من درجات الكوليرا فمسبَّب عن تقلُّص الطبقة العضليَّة في الاوعية الدموية بسبب تهييج سم الكوليرا الذي في الدم وبذلك يعلل فراغ الشرايين من الدم وفقد النبض وازرقاق العينين وغورها وبرودة الجسم. وتعاق الدورة الدموية في الرئتين فتقل كمية الاكسجين الداخلة الى الجسم ويتكاثف الدم فاذا فصد وريد من اوردتهِ في كل ذراع ونزل نقط قليلة من الدم منها يخف الضغط عن القلب ويزيد تقلُّص عضلاتهِ وتعود الدورة.

وقد ذكر الدكتور برباري القواعد التالية لمعالجة الكوليرا حسب اسلوب الدكتور جنسن وهي

اولاً . يجب الانتباه الى كل اسهال في زمن انتشار الكوليرا ولا يجوز اهمالهُ ساعة واحدة

ثانياً . لا يجوز السعي في توقيف هذا الاسهال بواسطة مركبات الافيون او غيرها من القوابض ما دامت الدلائل تدل على وجود مواد سامّة اومهيجة او منتنة في الامعاء والاّ فيكون فعل القوابض وقتيًّا ومتى انتهى رجع الاسهال . وفي مدة استعمال القابض يزيد امتصاص الجسم للسم الذي في الامعاء ولذلك يجب طرد السم من الامعاء اولاً بمسهل بسيط ولا بأس بعد ذلك بأخذ جرعات صغيرة قابضة لتلطيف الاسهال اذا زاد كثيرًا

وقد وُجد بالاختبار ان زيت الخروع احسن مسهل في هذه الاحوال لسرعة فعلهِ ولعدم تهييجهِ الامعاء ولما يعقبهُ من الامساك فتؤخذ ملعقة كبيرة منهُ بعد ان تمزج باللبن اوعصير الليمون الحامض او الكنياك او مستحلب الصمغ العربي اخفاء لطعمهِ واذا تقيأ المصاب الجرعة الاولى تكرّر حالاً ويمنع من تناول شيء الى ان يمضي نصف ساعة اي حتى يصل الزيت الى امعائهِ ويبتدئ فعلهُ . واذا حدث من فعلهِ ضعف يعطى المصاب نقطاً قليلة من الافيون . واذا كان لا يستطيع شرب زيت الخروع مطلقاً فلا بأس باعطائهِ الكالومل مع الكافور . فاذا فعل المسهل فعلهُ واتضح انهُ لم يبقَ في الامعاء الم ولا غاز ولا تطبّل ونظف اللسان يستنتج ان المهيجات قد خرجت من الامعاء وان الامعاء قد صارت في غنىً عن المسهلات فيعطى المصاب اذ ذاك طعاماً لطيفاً مع قليل من الكنياك ويوقف الاسهال بالافيون

ثالثاً . لا يعطى الافيون الاّ بعد ان يخرج ميكروب الكوليرا ومفرزاتهُ من الامعاء اي لا يقفل الباب قبل خروج العدو بل بعد خروجهِ ويجب في بعض الاحوال ان يكرّر زيت الخروع والافيون بالتعاقب للتلطيف اذا كان الاسهال قويًّا وبائيًّا مضعفاً. واذا فُرّغت الامعاء بجرعة من زيت الخروع تعود فتمتلئ حالاً من الافرازات المهيجة التي تكون قد تكونت فيها او رشحت من الاوعية الدموية . فيعاد اعطاء زيت الخروع

واذا رافق الاسهال قيء وجب مساعدتهُ بالماء السخن . وفائدة الماء السخن مزدوجة فانهُ ينبه الدورة الدموية ويساعد الاسهال على طرد المواد المهيجة . ولكن اذا جاشت النفس ولم يحدث القيء وترجّح وجود مواد مهيجة اوغير مهضومة في المعدة فلا يكفي الماء السخن بل يلزم اعطاء مقيء كملعقة صغيرة من الخردل او ملعقة كبيرة من ملح الطعام اوعشرين قمحة من مسحوق عرق الذهب في ماء سخن . ومتى زاد القيء في القوة اوعدد المرات يحسن تلطيفهُ بالثلج او بوضع الخردل على المعدة او اعطاء جرعة من الكالومل لتصريف مهيجات المعدة عن طريق الامعاء

ويروى العطش باعطاء الماء المبرّد المحمّض بقليل من عصير الليمون الحامض او الحامض الكبريتيك العطر . ولا بدَّ من ان يكون ماء الشرب نقيًّا وان يقيم المصاب في الفراش

واذا استمرّ الاسهال وصارت المواد المفرزة مائلة الى البياض كماء الارزّ وهبطت حرارة الجسم وازرقّ لونهُ يكون المرض قد وصل الى الدرجة الثالثة درجة التهوُّر فيجب حينئذٍ ان يلقى المصاب على ظهرهِ ويرفع رأْسهُ وصدرهُ عن مساواة جسمهِ ويمنع عن الحركة وتفتح لهُ الشبابيك والابواب لتجديد الهواء ويسمح لهُ بشرب مقدار كبير من الماء المبرَّد بالثلج او قطع الثلج ولكن لا الى درجة كافية لحط حرارة الجسد الداخلية . واذا اشتدَّت الحالة جدًّا فيستحسن الجري على ضد ذلك اي يسقى الماء السخن لتدفئتهِ وتنبيه الدورة الدموية . واذا لم يحصل قيء في الحالين يمنع القيء لئلاَّ تتمدَّد المعدة بهِ فتعيق التنفس . وقد مدح بعضهم الحقن بالماء السخن لتنبيه الدورة الدموية ولا غنًى عن تدفئة الاطراف بالفلانلاّ المسخنة وقزائز الماء السخن

ومتى حدثت الاعتقالات العضلية في الدرجة الثالثة يستعمل الدلك بالفلانلاّ المسخنة ولا بأْس باستعمال الادهنة المنبهة كالكلوروفورم والتربنتينا ووضع الاطراف في ماء سخن اضيف اليهِ خردل

وتعرف حالة المصاب من المواد البرازية وحالة البطن ففي الاصابات السليمة يدوم الاسهال مدة الدرجة الثالثة والى بداءة رد الفعل . ومن اول علامات الشفاء ظهور الصفراء بعد انقطاعها مع المواد المستفرغة والمبرزة. واذا انقطع الاسهال في الدرجة الثالثة ينتهي المرض بالموت غالبًا وعليهِ فمن اهم الامور في الدرجة الثالثة منع الامساك بجرعات صغيرة من زيت الخروع . ومن دقق في فحص المصاب في الدرجة الثالثة وجد امعاءهُ متمددة بالمواد المائعة وليس فيها قوة لدفعها

واذا حدث نزف من الامعاء يمنع استعمال زيت الخروع ويبدل بزيت التربنتينا ٢٠ نقطة كل ساعتين مع مستحلب الصمغ العربي . ويمنع اعطاء الطعام للمصاب في الدرجة الثالثة لان افرازات المعدة تكون متوقفة فيبقى الطعام غير مهضوم ولا بدَّ من اعطاء مسهل خفيف من وقت الى آخر في درجة رد الفعل ويطعم المصاب حينئذٍ الاطعمة المغذية الخفيفة كاللبن والارز والتبيوكا والاروروط . وتكون المعدة ضعيفة وتبقى مدة قبل ان تسترجع قوتها على هضم الجوامد فيحسن في هذه الحالة ان يعطى المصاب جرعات صغيرة مقوية من الكينا والحامض الهيدروكلوريك مع الطعام

ومعلوم ان هذه الوسائل العلاجية لا يقوم بها غير الطبيب ولكن اذا كان اهل المريض عارفين بها ساعدوا الطبيب في استعمالها وسهل عليهم استعمالها في غيبتهِ ايضًا. اما الوسائل الواقية فيجب ان يعلموها ويعملوا بها من تلقاء انفسهم



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

المرأة الشرقية

وصلني اليوم مقتطف مايو الماضي فرأيتُ فيهِ مقالةً نفيسةً لحضرة الكاتب البليغ اسعد افندي داغر موضوعها " المرأة الشرقية " بها يشكو تقصير نسائنا بازاء اخواتهنَّ الغربيات ملقياً تبعة ذلك التقصير على الرجال كأني بهِ يستنهض همم المشارقة لاصلاح حالتهم الاجتماعية عموماً وترقية نسائهم على الخصوص

وكنتُ وانا أُطالعُ هذه المقالة كمَن يقرأُ افكارَهُ وافكار كثيرين مثلهِ من شبان المشرق الى ان وصلتُ الى اواخرها فوقفتُ عند قولهِ : — " وعندي ان المرأة الشرقية كاللغة العربية في حاجةٍ شديدة الى الترقية والاصلاح . وتبعة قصور كلٍّ منهما علينا نحن الرجال "

افكارٌ كثيرة مكدرة تمرُّ في مخيلة الشرقي الجالس في مكتبهِ في العالم الغربي وهو يطالع جرائد وطنهِ ومجلاتهِ التي سداها المجاهرة بكوننا متاخرين ولحمتها الحث على الاصلاح لانهُ لا يرى سوى " كلام في كلام " . ثم يرى جرائد العالم الاوربي والاميركي ومجلاتهِ تبحث عن اعمال الحكومة ونفعها او ضرها وعن مساعدة ولاة الامور لذلك المشروع او محاولتهم نبذ ذلك القديم المضر واقناع الشعب باتخاذ هذا الجديد النافع — اي انهُ يرى " افعالاً في افعال "

يقف الشرقي المتغربُ عند هذا المشهد المؤثر وقفةَ الحزين الآسف . يقف حزيناً لانهُ لا يرى تقصيرًا في رجال الشرق على ما اتهمهم بهِ حضرة الكاتب فانهم عند ما توفرت لديهم معدات النجاح اظهروا ما اشتهر عنهم من علو الهمة وتوقُّد الذهن . وشواهدنا على ذلك حسية عديدة نراها في نوابغهم في القطر المصري وغيرهِ حيثما وجدوا المسعفات من اهل الحل والربط لاظهار مقدرتهم العقلية في ميدان التقدم ويقف آسفاً متكدرًا لان احوال كتَّابنا لا تساعدهم

على البحث عن السبب المانع من وجود هذه "المسعفات" في اكثر بلدان المشرق وبغيرها لا يتم اصلاح النساء واصلاح اللغة واصلاح الوطن

اتاني طبيبٌ امركاني قبيل كتابة هذه السطور وقال لي في حديثهِ ان زوجتهُ مضت الى العاصمة — ريوجانيرو — لكي تخلص بعض الامتعة الواردة اليهما حديثاً من الولايات المتحدة. اي ان امرأَة سافرت في قطار سكة الحديد ١٤ ساعة الى مدينةٍ يكره اهاليها الاجانب وعمَّال جماركها مشهورون بتصعيب الامور في تخليص بضائع الاجانب. ولكن المرأَة الامريكية لاتبالي باصعب من هذه المشقات فهي امرأَة كدٍّ وتحمل. امرأَة تفكيرٍ وترو. امرأَة دأْبها الاستقلال الشخصي وديدنها الشجاعة الادبية امرأَة تشارك الرجل في جهاد الحياة. وكل هذه امور لا ننكرها على الامريكية. ومنذ بضعة ايام اتتني فتاة سورية واستشارتني فيما يجب ان تعملهُ لوقايتها من امراض العاصمة الكثيرة فانها مزمعة على السفر اليها لكي تشتري بضائع لمحل تجاري لها وهو خاص بها وحدها ومسجَّل باسمها. وهي تديرهُ وتحسن ادارتهُ في داخلية هذه الولاية حتى صار معها من الجنيهات الانكليزيات ما يُعدُّ بالالوف وهي على غاية من الظرف والتهذيب

الاولى امرأَة امريكية طنطنت باخبار تقدمها جرائد العالم. والثانية سورية شرقية من وادي التيم دلَّت بنجاحها المادي وارتقائها الذاتي على انها تقبل التقدُّم مثل الاميركية وتتقدم بنفسها من غير واسطة حيث لا تجد مانعاً اجتماعيًّا يمنعها من ذلك اوعائقاً سياسيًّا يعوقها عنهُ. فما السبب الذي جعل الغربيات يفقن الشرقيات مع انهنَّ من جبلةٍ واحدة وجنس واحد وطباع واحدة؟ هل السبب من نفس المرأَة الشرقية ام السبب كل السبب هو كون الاحوال الخارجية — الاجتماعية والسياسية — المحيقة بأُمم المشرق بنسائها ورجالها ولغتها هي غير الاحوال الخارجية التي في العالم الغربي

وقبل ان اسأَل هذا السؤَال كان الاجدر بي ان اسأَل لماذا نرى الرجل الغربي اكثر ارتقاءً من الشرقي. وهذه الحقيقة اعني تأَخر الشرقي حقيقةٌ محزنة ولكن الجهر بها من اوجب الواجبات على الباحث في الاصلاح

اذا علمنا اسباب تاخر رجالنا علمنا ايضاً اسباب تاخر نسائنا وتأَخر لغتنا وتأَخر كل شيءٍ مختصٍ بنا فانهُ من المستحيل على الرجل المرتقي ان يرضى بتزوج امرأَةٍ على غاية من الجهل والسذاجة كما انهُ من المستحيل ايضاً على نساء الامة المرتقية مدارك رجالها ان يبقينَ في حالة الجهل

قد قال احد الباحثين العصريين ان الرجل لا بد من ان يكون على حالة من حالات ثلاث في ما يتعلق بنظرهِ الى المرأَة. اما ان ينظر اليها كانها آلة للتوليد لا غير. او ان يتساهل

فيقول انها مساوية لهُ في بعض الامور لكنها اضعف منهُ عقلاً وأكثر منهُ حاجةً الى الاعتماد على الغير او ان يعتقد انها مثلهُ في جسم الهيئة البشرية لها ما للرجل من الحقوق وعليها ما عليهِ نحو المجتمع الانساني من الواجبات . فمن اي نوع من هذه الانواع الثلاثة يمكننا ان نعد معظم رجالنا في الشرق يا ترى ؟

قام قاسم بك امين ونشر كتابيهِ الجليلين في "المرأة الجديدة" "وتحرير المرأة" . وبيّن فيهما ان تأخر المرأة الشرقية ناتج عن تأخر الرجل الشرقي . فكيف يمكننا اذن اصلاح المرأة قبل اصلاح الرجل وهو الذي خصَّتهُ الطبيعة بكونهِ الاقوى والبادئ في كل شيءٍ

وُجد قاسم بك امين الذي نعتهُ المقتطف بحق بلوثيروس الشرق في زمنٍ تنبهت فيهِ افكار المشارقة الى طلب الاصلاح . ولكن هل يتأتّى النجاح لمصلحنا الفاضل بغير ان يقوم لهُ من ولاة الامور مَن يساعدهُ على نيل المرغوب ؟ أكان نجاح لوثيروس ميسوراً لهُ لو لم يقم منتخب سكسونيا ويأخذ بيدهِ في ذلك الموقف الحرج ؟ أكانت ترقية اليابان سهلةً لو لم يكن الميكادو الحالي ورجال دولتهِ من اول المنادين بالاصلاح والعاملين بهِ . وهل أخذت اشعة الاصلاح تنير القطر المصري لو لم يقم من ارباب الحل والعقد هناك من مهَّد السبيل كذلك . . . . . . واذا طرقنا باب البحث من وجهةٍ أخرى نجد ان اصلاح الرجال لا يقوم بدون تعميم التعليم والتهذيب . وهذا ايضاً لا يتيسر لاية أمةٍ كانت ما لم تأخذ القوة الحاكمة معظم ذلك على عاتقها وتجعل التعليم الزامياً كما نراهُ الآن في ارقى ممالك الارض . وعندئذٍ يستحيل على الرجل المهذب ان يحرم بناتهِ من التنوير وحسن التربية اذا كانت تلك التربية ميسورةً لديهِ في مدارس اميرية لا تكلفهُ كثير نفقة

وكلمة "الزامي" في الفقرة السابقة جعلتني اذكر الآن ما نقلتهُ في صدر هذه الرسالة من كلام اسعد افندي داغر عن "ان المرأة الشرقية كاللغة العربية محتاجة الى الاصلاح" . كأنهُ من الممكن ترقية اللغة بدون ترقية الامة المتكلمة بها . وكأن ترقية تلك الامم الشرقية الخاضعة الآن لحكومات أجنبية ممَّا يمكن رجال المشرق من غير ان يقوم بينهم من اولي الامر والنهي انفسهم مَن يُعينهم على نيل المرغوب

كيف ترتقي العربية وقد طردتها الانكليزية من القصر العيني بمصر عن يد القوة الحاكمة نفسها ؟ وكيف ترتقي العربية وقد دُحرت من المدرسة الكلية السورية ببيروت منذ نيف وعشرين سنةً وفي خلالها لم نرَ تأليفاً علمياً صدر من ذلك الصرح العلمي الشهير . وكنَّا قد اعتدنا ان نرى عشراتٍ من التآليف العربية المفيدة قبل تلك الحادثة المكدرة . والى الآن لم أرَ

مؤلفًا عربيًّا خطتهُ يد احد المتخرجين من الكلية اليسوعية في بيروت لانها لم تعتني الاعتناء اللازم باللغة العربية منذ تأسيسها

فكيف يتسنى لنا اذًا ترقية لغتنا ونحن لا نجد الاَّ المُعاكسات من اكثر الذين لهم النفوذ في الشرق والذين منهم وحدهم يرجى كل تنشيط وتشجيع . وعندي ان اعتداد اهل القطر المصري بكلام المستر ولمور وهو قاضٍ انكليزي في بلادٍ عليها السيطرة الانكليزية يؤيد ما نحن بصددهِ الآن . فان الضعيف كثير التشبه بالقوي والمرؤوس يكثر من تقليد الرئيس

وقد حان للشرق ان يرى في مقدمة المُصلحين كثيرين من ارباب النفوذ والوجاهة . فان في رجال الشرق همَّة قعساء لا ينكر وجودها أحدٌ الاَّ من اعمت بصيرتهُ الاغراض الذاتية او التعصبات الجنسية . وما التقصير من "رجالنا" بل جلّ ما ينقصهم هو ان تمهد لهم القوات المتسلطة في الشرق سُبُلَ الترقية والنجاح والاَّ فكل الابحاثِ عن هذه المواضيع واشباهها لا يكون على ما ارى سوى "كلام في كلام" الدكتور

سان باولو بالبرازيل سعيد ابو جمره

مدارس الشويفات الانكليزية

في العشرين من حزيران (يوليو) احتفلت مدارس الشويفات الداخلية للصبيان والبنات احتفالها السنوي المعتاد فشهدهُ جم غفير من اعيان الوطنيين والاجانب وجرى الاحتفال قبل الظهر في مدرسة البنات فالمنتهيات منهنَّ وقفنَ موقف الخطابة والقينَ على مسامع الحضور خطبًا بالانكليزية والعربية والافرنسية دلَّت على سلامة ذوقهنَّ وبراعتهن في الالقاء وكان لكلامهنَّ وقع حسن في قلوب سامعيهِ وفي الختام وقف جناب الفاضل الدكتور هنري جسب وخطب خطابًا انيقًا كانت تغشاهُ سحابة من تصدية الاستحسان عند كل وقفة . ثم وزعت الشهادات على المنتهيات وهنَّ . عدلا شهاب . اسمى بالمع . نبيهة شهاب . روزا ابو مسعود . ادال ابو مسعود . نظلة برباري . املي دمشقي . اولغا كوراني . فريدة نحو . نلي سليمان . ثم شدون مترنمات بلحن شجي بترنيمة وداعية حقق كل من سمعها انهُ في موقف وداع

ولما اذنت الساعة الواحدة ونصف بعد الظهر وهي المعينة لاحتفال مدرسة الصبيان الداخلية قدم الناس اليها زرافات فافتتح الحفلة جناب العالم رشيد افندي مراد الخوري استاذ المدرسة بقصيدة عامرة الابيات تتضمن مدح الجمهور وشكرهم لاجابتهم الدعوة بالحضور ثم القى بعض التلامذة خطبًا بديعة فوفى كل منهم الخطابة حقها من تنسيق المعاني وحسن الالقاء

ولما فرغ الخطباء من القاء خطبهم وقف حضرة الاديب فؤاد افندي طانيوس غصن استاذ اللغة الافرنسية في المدرسة والقى خطاباً افرنسياً موضوعهُ الثبات اجاد بهِ ما شاء فكان تصفيق الجمهور لهُ متواصلاً . ثم تلاهُ جناب السري الامير شديد بلمع وقرظ الاحتفال تقريظاً لطيفاً بعبارات فصيحة مدح بها حضرة رئيسة المدرسة السيدة لويزا بروكتر وشكر مساعيها التي تكللت بثمرات النجاح في ترقية الطالبات درجات العلم والادب واثنى على جناب الهمام طانيوس افندي سعد مدير هذه المدارس وتلاهُ حضرة نجلهِ الذكي الامير توفيق لحضرة الامير بشير شهاب لحضرة ملحم افندي خلف وارفض الحشد يثنون على حضرات رئيسة المدرسة ومديرها واساتذتها

حنا صروف

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ الرومانيين

تأليف محمد بك فريد المحامي

محمد بك فريد المحامي نجل المرحوم فريد باشا من اعلى ابناء مصر همَّةً واكثرهم بحثاً في المسائل التاريخية وقد اتحفنا الآن بجزء من تاريخ الرومانيين وقال في مقدمتهِ انهُ اختارهُ "لانهُ مفعم بالحوادث الصادرة عن حب الوطن والاخلاص لهُ والتفاني في خدمتهِ والتهالك في الدفاع عنهُ والذود عن حوضهِ ولان مطالعتهُ واجبة على كل من يريد معرفة طرق تقدم الامم وارتقائها وكيف تنال الحرية والاستقلال بالدفاع عن حقوقها قبل كل معتدٍ ظالم والاتحاد على ما فيهِ خير وطنهم وفلاحهُ وجمع كلمتهم امام الاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم ونبذ النفاق والشقاق من بينهم ليكونوا يداً واحدة لاعلاء شأن الوطن وبنيهِ"

ولو سألنا حضرة المؤلف من هو الاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم في القطر المصري وهل يصدق ذلك على العائلة الخديوية مثلاً او على الدولة العثمانية او على الامَّة العربيَّة التي هاجمت بلاد الاقباط واخذتها من اهلها او هل يصدق بنوع خاص على البيوت التركية التي زاحمت الاهلين مثل بيت المرحوم والدهِ او هل يصدق على كل اجنبي استوطن هذا القطر من عرب وعجم وترك وديلم لو سألناهُ ذلك وانصف لترك هذا الوتر ولم يعد يعزف عليهِ واكتفى بالحث على نبذ النفاق والشقاق.

والجزء الذي نشرهُ الآن من هذا التاريخ يبتدئ من تأسيس مدينة رومية سنة ٧٥٤ قبل الميلاد وينتهي بخراب قرطاجنَّة سنة ١٤٨ قبل الميلاد وهو مثل كل مؤلفاتهِ منسجم العبارة واضح البيان فنشكر لهُ عنايتهُ بجمعهِ ونشرهِ

نهضة الاسد

نُشر تاريخ الثورة الفرنسوية في تاريخ فرنسا الحديث الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٨٤ لكن الحوادث التاريخية اذا أُفرغت في قالب الرواية وافرغها مؤلف ماهر مثل اسكندر ديماس الكبير كانت تلاوتها اوقع في النفوس . وقد لخَّص حضرة رصيفنا الفاضل فرح افندي انطون منشئ مجلة الجامعة رواية ديماس عن الثورة الفرنسوية وطبعها في ثلاثة اقسام سمَّى الاول نهضة الاسد لانهُ يصف نهوض الشعب الفرنسوي في ثورتهِ الكبرى الى طلب حقوقهِ وتذكير الحكام بواجباتهم . والثاني وثبة الاسد لانهُ يصف وثوب الشعب على المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد . والثالث فريسة الاسد لان موضوعهُ افتراس الثورة للملك لويس السادس عشر والملكة ماري انطوانت قرينتهِ وجميع النبلاء ومشاهير الرجال . وحوادث الثورة الفرنسوية مفصَّلة في هذه الرواية احسن تفصيل وقد مزج بها المؤلف اخبار كاليسترو ومسمر واضاليلهما اي مزجهما الحق بالباطل مثال ذلك ما ورد في الرواية عن نوم اندري واعترافها بما تعلمهُ فان النوم ممكن واعتراف النائم بما يعلمهُ ممكن ايضاً . ولكن قولها بعدئذٍ ان مسمر نوَّمها نوماً مغنطيسيًّا فعلمت وهي نائمة بوجود الصندوقة ورأت اين كانت مخبوءة خداع لا صحَّة لهُ ولو استطاع منوّم ان يكشف المخبآت لا ستُعمل التنويم لكشف كل مخبإٍ وركاز . وقد انكر العلماء كثيرًا من دعاوي مسمر لا لأَنهم جهلوا سببها بل لانهُ لم يقم ادلة صحيحة على صحتها والادلة التي اقامها اثبتوا فسادها . فاذا قال قائل ان عندي دواء يجعل الحمار فرساً طالبناهُ بالدليل على صحة قولهِ اي باثبات قولهِ بالامتحان فاذا عجز عن اثباتهِ بالامتحان قلنا انهُ من الدعاوي الكاذبة . ثم ان الذي يحكم بصحَّة الامتحان او بفسادهِ يجب ان يكون كفئاً للحكم خالياً من الغرض فاذا ادَّعى رجل انهُ اكتشف دواء يشفي من السرطان وشهدت امهُ واختهُ وخالتهُ وكل نساء قريتهِ بصحة دعواهُ لم تقم شهادتهنَّ عند اهل التحقيق وانما الشهادة التي تقبل هي شهادة جمهور من الاطباء المجربين الذين يفحصون المصاب ويثبتون انهُ كان مصاباً بالسرطان بتطعيم الحيوانات منهُ وحدوث داء السرطان فيها ثم يثبتون انهُ شفي منهُ بزوال الاورام السرطانية تماماً وتطعيم الحيوانات بمواد مستخرجة من اماكنها وعدم ظهور داء السرطان فيها . وقد امتحنت

لجنة من العلماء دعاوي مستر فوجدت اكثرها كاذبًا . "وعلى المدعي البينة" والعالم معذور بانكار ما يخالفهُ علمهُ الى ان تقوم البينة على صحتهِ

وقد نشرت هذه الرواية التاريخية في اربعة اجزاء بعد ان نُشرت تباعًا في مجلة الجامعة فمنًا لحضرة ملخصها وناشرها الشكر الجزيل

روايات الشعب

اهدت الينا مطبعة الشعب ست روايات صغيرة ثمن كل رواية منها غرش واحد وهي معربة باقلام جمهور من الادباء وقيل في مقدمتها انها تُرجمت ونشرت لكي يشدَّ بها ازر الحركة الجديدة التي يرجى ان تعود على البلاد بالخير في اقرب الاوقات وانها احسن اثر في نفوس الامم لانها ترقي الكمال والادب وشرف النفس وتوسع الفكر وتسمو بالعواطف. فعسى ان تكون كما وُصفت

تقرير مصلحة البوسطة

لا يزال النمو والارتقاء حليفين لمصلحة البوسطة فقد زادت المراسلات المتبادلة داخل القطر في العام الماضي عما كانت عليهِ في العام الذي قبلهُ اكثر من مليون فانها كانت ٢١٨٢٠٠٠٠ فبلغت ٢٢٨٢٧٠٠٠ وكذلك عدد المراسلات الصادرة الى البلدان الاخرى والواردة منها

ومن ذلك زيادة اعتماد الناس على البوسطة في تحصيل اموالهم فقد حصَّلت سنة ١٩٠٠ نحو ثلثمئة الف جنيه وسنة ١٩٠١ اكثر من ٤٣٦ الف جنيه فالزيادة نحو ٤١ في المئة

ومنهُ ازدياد مراكز البوسطة في العام الماضي ٦١ مركزًا وازدياد المكاتب وحدها ١٢ مكتبًا

هذا من حيث آثار النمو اما آثار الارتقاء فمنها تخفيض رسوم النقود المرسلة من مكان الى آخر فان البوسطة كانت تأخذ ٤ ./. في المئة حتى سنة ١٨٩٥ ثم خفضت هذا الرسم وجعلتهُ ٨ ./. في المئة ثم خفضتهُ في شهر ابريل الماضي وجعلتهُ ١٢ ./. في المئة فقط ولكن الظاهر ان مكتب البوسطة في العاصمة لا يعرف ذلك حتى الآن وليست هذه اول مرةٍ اهمل فيها المرؤُوسون العمل باوامر رئيسهم

ومنها انشاء صندوق التوفير اقتداءً بالممالك الاوربية وقد انشئَ في غرة مارس سنة ١٩٠١ وبلغ عدد مكاتبهِ في العام الماضي ٢٨ وكان الجناب الخديوي اول من وضع مالاً فيهِ . وبلغ عدد الذين وضعوا النقود فيهِ في العام الماضي ٦٧٤٠ اكثرهم من الموظفين والمستخدمين ونحو نصفهم من الوطنيين والنصف الآخر من المستوطنين اكثرهم من الايطاليين والانكليز واليونان .

وبلغت الاموال التي ودعت فيهِ نحو ٨٦ الف جنيه والبوسطة تدفع لاصحابها فائدة بمعدل ٢ ١/٢ في المئة سنويًّا

كتاب حاضر المصريين

كتب حضرة العلاَّمة المفضال القاضي امير علي الى حضرة الاديب المجتهد محمد افندي عمر صاحب هذا الكتاب ما ترجمتهُ

ورد كتابك المؤرخ ٨ مايو الماضي ومعهُ نسخة من مؤلفك العربي "حاضر المصريين او سر تأخرهم" فاشكر لك ذلك كثيرًا

وحررت هذا لك بالانكليزية لاسباب اولها اني تعودتُ ان اقضي كل اشغالي بها فاستسهلها في التعبير بها عن افكاري بكل سهولة وثانيًا لان الافصاح عن رأي من الآراء بهذه اللغة يكون اوسع انتشارًا بها منهُ بسواها ولان كثيرين يطلعون على ما يكتب بها . هذا وقد قرأت كتابك باهتمام عظيم ومنهُ استنتجت فوائد جمَّة وان وصفك للهيئة الاجتماعيَّة المصريَّة الاسلامية ينطبق تمام الانطباق على الهيئة الاجتماعية الهندية الاسلامية وحالة معيشتها وما وصفتهُ حضرتك من الدواء لا يصلح لمصر فقط بل للعالم الاسلامي باسرهِ وان انحطاط الامم الاسلامية ناشئ عن عدم التربية والتعليم وما استولى على المسلمين عمومًا من السبات الفائق الحد . لانهم ما داموا متمسكين بالماضي فلا تؤثر فيهم عوامل التمدن الحديث . وقد دهشت كثيرًا بما ذكرتموهُ في مؤلفكم عن خراب عائلات المسلمين المصرية من عهد ليس ببعيد . وهذا لما يطابق الواقع عندنا . واني اصادق على ما ابديتموهُ عن تعليم الاولاد وتربيتهم . فان تعليم النساء لمن الزم الامور لتقدم الامة اذ من البديهي ان الاطفال يتغذون بلبان الاعتقادات الفاسدة من الامهات الجاهلات . واما ما اشرتم اليهِ عن تعليم المصريين وجعلهم صالحين للعمل والحياة المستقبلة فامر اقدرهُ حق قدرهِ . وفي الختام اشكركم كثيرًا للتكرم بارسال نسخة من كتابكم اليَّ

كلكتا الامير علي

وكفى بهذه الشهادة من عالم من اكبر علماء الهند للدلالة على اتفاق فضلاء الامة في تشخيص دائها ووصف دوائها ولا عبرة بما يقولهُ الذين اعتادوا استعمال المسكنات والمخدرات مخافة ان يروا ما يحيق بهم من الدمار وما يتهددهم من سوء المصير

الحجاج بن يوسف

رواية تاريخية غرامية من قلم حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء الهلال وهي الحلقة السادسة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تتضمن حصار مكة على عهد عبدالله ابن الزبير الى فتحها ومقتل ابن الزبير وخلوص الخلافة لعبد الملك بن مروان . ويتخلل ذلك وصف مكة والمدينة وعادات اهاليهما واخلاقهم وسائر احوالهم . ومن رأي حضرة المؤلف ان نشر التاريخ على اسلوب الرواية افضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعتهِ والاستزادة منهُ وقد قال ان العمدة في رواياتهِ على التاريخ وانما يأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين فيبقى الحوادث التاريخية على حالها ويدمج في خلالها قصة غرامية تشوق المطالع الى استتمام قراءتها فيصح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على اي كتاب من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والاشخاص

هذا والرواية حسنة اللغة سهلة العبارة يجدر بجميع الراغبين في مطالعة الروايات قراءتها لما فيها من الفائدة التاريخية واللذة العقلية

فتاة الاسكندرية

ان كان مؤلف هذه الرواية قد اوجز فيها هذا الايجاز فيكون قد قصَّر في واجب موضوعهِ كل التقصير لانهُ يحتمل شرحاً طويلاً ولا يملُّهُ القارىء لكننا نستبعد ذلك لما يُعلم من سعة معارفهِ ومقدرتهِ على التوسُّع في الشرح كيف لا وهو صاحب رواية كوفادس الشهيرة كما يظهر من اسمهِ. وان كان هذا الايجاز من المترجم فيكون قد اخطأ الى رواية من ابدع الروايات واكثرها فائدةً وحبذا لو زاد عبارتها تنقيحاً فانها من الروايات الجليلة الحريَّة بكل اعتناء

مجلة الاحكام الشرعية

اهدي الينا العدد الاول من مجلة الاحكام الشرعية لحضرة المحامي الشرعي حسن بك حماده من متخرجي مدرسة الحقوق السلطانية في الاستانة وهي مجلة قضائية شرعية علمية ادبية تصدر في منتصف كلّ شهر عربيّ . ومن مواضيع العدد الاول القضاء الشرعي في مصر ماضيهِ وحاضرهُ . والمحاماة والقضاة . والمجالس الحسبية . وتنازع الاختصاص وغير ذلك من المواضيع القضائية فنثني على حضرتهِ طيّب الثناء ونتمنى لمجلتهِ الرواج

المذكرة الذهبية

الَّف حضرة الاديب اسكندر افندي فهمي من مدرسي مدرسة الاقباط الارثوذكسية بالاسكندرية كراساً سماهُ المذكرة الذهبية في المقاييس والموازين والمكاييل والنقود المصرية ومقارنتها بالانكليزية والفرنسوية . ويليها ١٦٨ مسألة واجوبتها لتلامذة السنة الثالثة والرابعة الابتدائيتين حسب المقرر في البروجرام الاخير

رسائل ارشاد الافكار الى طريق الابرار

هذا عنوان كتيّب لحضرة الشريف منصور افندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي يتضمن ترجمة الشريف بقلم احد اصحابهِ واحدى عشرة رسالة في بيان امر المهدوية وسياسة الراعي بالرعية وحقائق علم الدين الاسلامي وهو يباع على حساب جمعية التعاون الاسلامي بعشرة غروش صاغ وبنصف هذه القيمة لطلبة العلم

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاعتدال

سنورس . عزيز افندي ابرهيم . بكلية اسيوط جمعية اسمها جمعية الاعتدال غايتها الامتناع عن شرب المسكرات فهل يصح ان تسمَّى بهذا الاسم . وهل تجدون لها اسماً اصلح منهُ

ج نظن اننا نحن الذين اخترنا هذا الاسم وقد فضَّلناهُ على غيرهِ لانهُ مثل كلمة temperance المترجم منها بكل معانيها الاصلية . اما الامتناع التام عن المسكرات فمعنى حديث عارض عليها يصحُّ ان يضاف الى الكلمة العربية كما اضيف الى الكلمة الانكليزية . ولا نعلم كلمة عربية معناها الامتناع التام عن المسكرات . وقد اشار البعض باستعمال كلمة صحو وهي مصدر من صحا السكران اي ذهب سكرهُ ولكن يعترض عليها بانها تستلزم وجود السكر اولاً

(٣) التهاب البريتون

صدفا . ناشد افندي جبرائيل . قرأت في احد الكتب ان البريتون غشاءٌ يغلف الامعاء والكبد وبعض اعضاء البطن فاذا اصاب التهابهُ جميع امتداد الغشاء كان منهُ خطر واذا اصاب جزءًا منهُ انتهى بالشفاء. وان اكثر وقوعهِ في الاشخاص المصابين بالتدرُّن والسرطان فهل ذلك صحيح وهل من دواء يشفي منهُ من غير عملية جراحية وما الفائدة من اجراء العملية الجراحية وهل تعاطي الافيون خير دواء لهُ

ج ان اكثر ما ذكرتموهُ في سؤالكم صحيح فالتهاب البريتون هو التهاب الغشاء المصلي الذي يكسو الامعاء والاحشاء البطنية ويبطن جدران البطن والعام اشدُّ خطرًا من الجزئي ومن اسبابهِ انثقاب المعدة بسبب سرطانها او انثقاب الامعاء بتدرنها لكن لهُ اسبابًا اخرى كثيرة غير ذلك. والعملية الجراحيَّة لا تستعمل الاَّ اذا كان الالتهاب ناتجًا عن سبب يقتضي عملية جراحية كالادرة المخنوقة. اما الافيون فيستعمل اذا كان الالتهاب ناتجًا عن ثقب في المعدة او الامعاء لتسكين الاعراض

قدَم المخلوقات

ومنهُ . قلتم في جواب سؤالي في الجزء السابع ان الادلة كثيرة ومقنعة ان الخليقة خلقت منذ اكثر من ستة آلاف سنة فاذكروا لنا بعض هذه الادلة

ج ان تاريخ بلادكم مصر يمتدُّ الى اكثر من اربعة آلاف سنة قبل المسيح نعم ان الباحثين مختلفون في تاريخ الدولة الاولى من الدول المصرية فشمبليون يجعل زمنها ٥٨٦٧ قبل المسيح ومريت ٥٠٠٠ قبل المسيح وبرغش ٤٤٠٠ قبل المسيح ولبسيوس ٣٨٩٢ قبل المسيح ولكن اقل هذه السنين يبلغ نحو اربعة آلاف سنة وحساب برغش ارجح من غيرهِ . وكانت الامة المصرية مرتقية في عهد الدولة الاولى ارتقاء لا يبلغهُ البشر الاَّ في الوف كثيرة من السنين كما يظهر من ابنيتها ونقوشها واسلوب حكومتها . ويظهر من هذه النقوش ان الفرق بين اجناس الناس كان قد صار عظيمًا في ذلك العصر كما هو الآن فكان المصري يفرق عن الزنجي وعن الصقلبي وهذه الفروق لم تتكوَّن الاَّ بعد ان انفصلت طوائف الناس واختلفت مساكنها ومرَّ عليها كذلك الوف من السنين بدليل ما نراهُ الآن من بطء التغير في اشكال الناس فان كانت الف سنة لم تكفِ الآن لصيرورة العربي ساكن افريقية زنجيًا افطس الانف ضخم الشفتين فهي لم تكن كافية في الازمنة الغابرة . ثم ان الخليقة لا تقتصر على الانسان بل تعم سائر المخلوقات الارضية وهذه عاش جانب كبير منها ومات منذ سنين لا يحصيها الاَّ الله فان جانبًا كبيرًا من جبال الارض مكوَّن من اصداف حيوانات بحرية عاشت

وماتت ووقعت اصدافها في قاع البحر وتراكمت بعضها فوق بعض طبقات كثيرة في ادوار مختلفة ثم ارتفع قاع البحر بفعل الحرارة المركزية او باسباب اخرى فصار برًّا ثم زاد ارتفاعهُ فصار جبالاً وتماسكت بقايا الاصداف بعضها ببعض فصارت صخورًا ومن بعض هذه الصخور قطعت حجارة الاهرام منذ ستة آلاف عام والاصداف البحرية ظاهرة فيها . وقد مرَّت مياه الامطار على بعض هذه الصخور في بلدان اخرى فنحتتها رويدًا رويدًا الى ان اذابت اكثرها وعادت بهِ الى البحر واذا قدّر ما تنحتهُ منها كل سنة وما نحتتهُ منها حتى الآن ظهر انها ابتدأت في نحتها منذ ملايين كثيرة من السنين . هذه بعض الادلة التي يمكن ايرادها على قدم المخلوقات الارضية

(٤) اسماء اشهر الممثلين

ومنهُ . ما هي اسماءُ اشهر الممثلين والممثلات في الدنيا الآن

ج كوكلين وارفنغ وساره برنار وادلينا بتي

---

(٥) سكان اميركا الاهليون

الاسكندرية . الخواجه بترو خليل قرداحي . قرأت في الجزء العاشر من سنة ١٩٠١ عن كيفية دخول كريستوف كولمب الى اميركا وذكرتم انهُ كان هناك هياكل فما هي تلك الهياكل وما كانت معبودات الاميركيين في تلك الايام وما هي اللغة التي كانوا يتكلمونها

ج تجدون الجواب عن ذلك كلهِ في المقالات التي نشرناها تباعًا عن افتتاح اميركا بنوع عام والمكسيك بنوع خاص وفي ما سننشرهُ ايضًا في الاجزاء التالية

(٦) اهرام مصر

ومنهُ . كم عدد اهرام مصر وعلى عهد من بنيت وكم كان عددها وما هو القصد من بنائها وكم اقتضى من السنين لبناء كل هرم منها وهل سخّر الاسرائيليون في بنائها

ج عددها نحو ٧٢ هرمًا بنيت على عهد ملوك مصر الاقدمين في ازمنة مختلفة اشهرها هرم الجيزة الاكبر الذي بناهُ الملك خوفو من ملوك الدولة الرابعة وكان قبل المسيح بنحو ٣٧٣٣ سنة ويتلوهُ الهرم التالي لهُ بناهُ الملك خفرا وكان قبل المسيح بنحو ٣٦٦٦ سنة والهرم الثالث بناهُ الملك منكرع وهو الرابع من الدولة الرابعة وتاريخهُ سنة ٣٦٣٣ قبل المسيح . ومن الاهرام المشهورة هرم اوناس وهرم تيتا وهرم ببي ولا يعلم كم من الزمن اقتضى بناء كلٍّ منها . والقصد من بناء الاهرام ان تكون مدافن او رموسًا او انصابًا فوق المدافن وقد ذكر هيرودتس انَّ بناء الهرم الاكبر اقتضى عشرين سنة وتمهيد الطريق لجلب حجارتهِ اقتضى عشر سنوات وبعضها لا يعلم من بانيهِ حتى الآن ولم يذكر في الآثار

المصرية ان الاسرائليين سُخِّروا في بنائها ولكن ان كانوا في القطر المصري وقت بنائها فالمرجح انهم لم ينجوا من السخرة

---

(٨) باي تونس

تونس . د.ن جاء في الخطبة التي تلاها المسيو بيشون يوم تنصيب سمو باي تونس الفقرة التالية

Je donne à Votre Altesse l'investiture solennelle au nom du Gouvernement de la République.

فكيف نترجمونها الى العربية

ج اقلّد سموكم السلطة الرسمية باسم الحكومة الجمهوزية

---

(٨) الآبار الارتوازية

قنا . اسحق افندي يارد . سمعنا بالآبار الارتوازية وشاهدناها في اوربا ولم نشاهدها في القطر المصري الاَّ نادرًا فهل عدم الاكثار منها في القطر المصري مسبَّب عن اهمال ذويهِ او عن عدم نجاحهم لقلة المياه في جوف الارض

ج لا تكون الآبار الارتوازية الاَّ حيث يكون في الارض تجويف تجتمع المياه فيهِ ولا تنفذهُ او يكون فيها طبقتان صخريتان او طفاليتان مانعتان لنفوذ الماء وبينهما طبقة هشَّة تجمع المياه فيها والطبقتان ممتدتان الى مكان مرتفع فاذا حفرت بئر ووصلت الى هذا الماء صعد فيها حتى يوازي ارفع نقطة متَّصلة بهِ كما ترون في هذا الشكل فقد فُرض فيهِ ان الخط الاسود المدلول عليهِ بالحرف a الافرنجي طبقة من الارض هشَّة بين طبقتين من الصخر او من الطفال المانع لمرور الماء فاذا ثُقبت الارض بين الحرفين c و b ببئر ضيقة خرج الماء منها ونبع في الجو كانهُ خارج من فسقية لان الماء الذي في الطبقة الهشة متصل الى حيث الحرف a ولو لا مقاومة الهواء لهُ لبلغ ارتفاعهُ اعلى الشكل حيث الحرف o . والمرجح عندنا ان هذه الشروط للبئر الارتوازية غير

متوفرة في القطر المصري والآبار التي حُفرت فيهِ تسمَّى ارتوازية توسُّعًا . ولا نرى مزية زراعية ولا صحية من تعميق الآبار جدًّا فان ماء السواقي العادية في القطر المصري غزير صحي مثل ماء الآبار التي يقال انها ارتوازية فيهِ ولا يقلُّ عنهُ جودةً وصحَّةً ولقد كان احد اصدقائنا يحفر بئرًا ارتوازية منذ سنتين عن يد مقاول تعهَّد لهُ بحفرها وبان الماء يخرج منها غزيرًا لري اطيانهِ فنصحنا لهُ مرارًا ان يعدل عن ذلك لئلاَّ يضيع مالهُ سدًى فلم يعدل واخيرًا عاد بصفقة المغبون بعد ان انفق خمس مئة

جنيه ولم يخرج من البئر ماءٌ اكثر مما يخرج من ساقية عادية لا تزيد اكلافها على اربعين جنيهاً

---

(٩) ماريون دلورم

دمياط . ع . ل . كثيرًا ما رأيت في مؤلفات الكسندر دياس ذكر امرأة تسمى ماريون دلورم ويظهر منها انها كانت من ذوات الوقائع الخطيرة مع رشليه الوزير الشهير. وقد بحثت عن هذا الاسم في القسم التاريخي من قاموس لاروس فوجدت ما ترجمتهُ "ماريون دلورم امرأة اشتهرت بجمالها ووقائعها في عصر لويس الثالث عشر ولدت في شالون سيرمارن (١٦١٢ — ١٦٥٠)". والظاهر ان المؤلف امسك عن الاسترسال في ايراد تاريخها لئلا يكون فيهِ ما لا يجوز اطلاع التلامذة عليهِ فهل لكم ان تذكروا لنا شيئًا آخر عنها

ج خلاصة تاريخها ان عشاقها كانوا كثارًا ومنهم دوق بكنهام وسنت اثرمند ودوق بريساك واميري ويقال ان الكريدنال نفسهُ لم يكن خليًا من حبها وانهُ اقصى عنها حبيبها الذي كانت تحبهُ حقيقة حبًا شريفًا وهو الشاب سنك مارس . وكان بيتها مباءة لزعماء حرب الفرنديز حتى عزم مازارين ان يلقيها في السجن من اجل ذلك لكنها توفيت فجأةً سنة ١٦٥٠ وزعم البعض انها لم تمت بل هربت الى لندن وتزوجت هناك ثم عادت الى باريس وقال البعض انها بقيت حيَّة الى سنة ١٧٤١ لكن ذلك من الخرافات وقد بنى فكتور هيغو رواية على قصتها

(١٠) يهوديت

ومنهُ . مَن هي يهوديت الفتاة الاسرائيلية التي دمَّرت معسكر الاشوريين وكيف كان ذلك

ج هي ارملة يهودية نجَّت بلدها بيت فلوى من يد الاشوريين بمكيدة كادتها لقائد جيوشهم اليفانا وذلك انها تزينت ونزلت الى معسكرهِ واسكرتهُ واحتزت رأسهُ وهو نائم وعادت بهِ الى قومها ولمَّا نهض رؤساء جيشهِ في الصباح ورأوا ما جرى لقائدهم مزَّقوا ثيابهم ووقع عليهم من الخوف والرعب ما لا يطاق واضطربت قلوبهم والجأ الجيش كلهُ الى الهزيمة . والقصَّة مذكورة بالتفصيل في سفر يهوديت احد اسفار التوراة المعدودة عند البعض من الابوكريفا

---

(١١) الزهري

دمشق . احد المشتركين . نرجو ان تكتبوا لنا فصلاً مسهبًا في داء الزهري وكيف يتولَّد وكيف يعالج

ج لقد نشرنا في المجلد العشرين من المقتطف مقالة مسهبة جدًّا في الداء الزهري وتاريخهِ والادوية النافعة فيهِ فعليكم بمطالعتها فان ذلك اولى من كتابة مقالة ثانية في هذا الموضوع السمج

(١٣) ثمن المعادن

حلوان . عبد الحليم افندي فهيم . لماذا تفضَّل بعض المعادن على البعض الآخر كالذهب على الفضة

ج لانهُ اقل منها واصعب استخراجًا. ولو كان اكثر من الفضة واستخراجهُ قليل النفقة لصار ارخص منها وقد كان ثمن الفضة مثل ثمن الذهب تقريبًا عند الاقدمين

(١٣) تبسم الطفل

ومنهُ . لماذا يتبسَّم الطفل وهو نائم

ج التبسُّم فعل منعكس مسبَّب عن ازدياد تنبُّه في القوة العصبية وليس هو باغرب من حركة يد الطفل ورجلهِ . راجعوا ما قالهُ الفيلسوف هربرت سبنسر عن الضحك في الصفحة ٢٧٢ من مقتطف هذه السنة

(١٤) الزواج في فرنسا

ومنهُ . علم بالاحصاء ان الزواج يقل في فرنسا شيئًا فشيئًا فما سبب ذلك

ج لا يظهر ان الامر كما تقولون كما يتضح لكم من الجدول التالي وقد ذكرنا فيهِ عدد الزيجات في السنوات الخمس الاخيرة من القرن الماضي

١٨٩٦	٢٩٠ ١٧١
١٨٩٧	٢٩١ ٤٦٢
١٨٩٨	٢٨٧ ١٧٩
١٨٩٩	٢٩٥ ٧٥٢
١٩٠٠	٢٩٩ ٠٨٤

فقد قلَّ قليلاً سنة ١٨٩٨ ثم عاد فزاد كثيرًا في السنتين التاليتين اكثر من نسبة الزيادة في عدد السكان

باب الاخبار العلمية

تجارة فلسطين

كتب المستر دكسن قنصل انكلترا في يافا تقريرًا عن تجارة فلسطين في السنة الماضية جاء فيهِ ان الصادرات والواردات زادت عما كانت عليهِ في سنة ١٩٠٠ فبلغ مجموع ثمنها ٧٠٣٩٤٥ جنيهًا يقابلها ٦٤٧٣٥٥ جنيهًا سنة ١٩٠٠ . وقد كثرت المضاربة في تجارة البرتقال ولكن اسعارهُ هبطت في الاسواق الانكليزية فادَّى ذلك الى خسارة تجَّارهِ وزاد مقدار الشحن من ميناء يافا رغمًا عن الحجر الصحي المضروب على البواخر بسبب الطاعون في مصر

وزاد جلب الآلات من اوربا لسقي البساتين حتى بلغ عددها في السنة الماضية ٤٨ آلة ثمنها نحو ٤٧٠٠ جنيه

اما تجارة انكلترا مع فلسطين فحسنة بوجه الاجمال . فقد نقصت الصادرات عما كانت عليهِ سنة ١٩٠٠ ولكن الواردات زادت ٣ و ٥ في المئة على حين ان واردات فرنسا نقصت ١٣ في المئة وواردات ايطاليا ٩ و ٣٤ في المئة وواردات المانيا ٢٧ في المئة

ولا تزال المستعمرات الالمانية وخصوصاً مستعمرات الاسرائيليين في فلسطين تصنع انواع الخمر المختلفة وتبذل الجهد في اتقانها حتى تجيء مشابهة لاحسن انواع الخمر الفرنسوية واكثرها يرسل الى همبرج في المانيا

ثقب الجمجمة

ان بعض الامم التي عاشت قبل زمن التاريخ كانت تثقب الجماجم لاسباب جراحية وقد اثبت احد العلماء ان العرافين في بريطانيا الجديدة احدى الجزائر الجنوبيَّة يثقبون الجمجمة بقطعة من الصدف او الزجاج اذا انكسرت بعارض من العوارض . ومتوسط الذين يموتون على اثر ذلك ٢٠ في المئة وموتهم ينشأ غالبًا عن انكسار الجمجمة لا عن عملية الثقب والذين يشفون يقتضي لهم اسبوعان او ثلاثة اسابيع . وفي ارلندا الجديدة يثقبون الجمجمة عند انكسارها وعند اصابة احدهم بالصرع او بعض انواع الجنون الناجمة عن ضغط الدماغ . وبعد ثقب الجمجمة يصاب المريض بالشلل الوقتي ثم يزول عنهُ وقد يصاب بالجنون ايضاً . ويؤكد الاهالي ان الذين يشفون من الجنون او الصرع بهذه العملية كثيرون

وقاية الطيور

عقدت بعض الدول الاوربية وهي البلجيك وفرنسا واليونان والنمسا والبرتوغال واسوج ونروج وسويسرا واسبانيا وغيرها من الحكومات الصغيرة اتفاقًا في ١٩ مايو الماضي لوقاية الطيور التي تفيد الزراعة بأكل الحشرات المضرَّة وقد حظر فيهِ صيد هذه الطيور في جميع فصول السنة ومن الغريب ان ايطاليا لم تدخل في العقد المذكور مع ان كثيرًا من الطيور المفيدة تقتل فيها كل سنة

غرائب الصاعقة

انقضت صاعقة على منزل في مدينة جفرسن بولاية ايوى من الولايات المتحدة الاميركية فاحدثت ضررًا عظيمًا . ومن غريب ما حدث ان اثني عشر صحنًا من صحون المائدة كانت موضوعة الواحد فوق الآخر فانكسر الواحد منها وبقي ما يليهِ سليمًا وهكذا من اول الصحون الى آخرها ولم يعلم ان كان ذلك قد نشأ عن فعل كهربائي او ميكانيكي

وزير طبيب

ان وزير فرنسا الجديد المسيو كومب حائز على دبلوما دكتور في الطب ودكتور في فنون الادب وكان قبلاً من معلمي المدارس

تلفون بلا سلك

روت جريدة السينتفك اميركان انهم يجربون التجارب في اميركا لعمل تلفون بلا سلك فنجحوا في ذلك بعض النجاح وتمكنوا من نقل الكلام مسافة مئات من الامتار في البرِّ واقلِّ من ذلك في البحر

مركوني وتلغرافهُ

خطب مركوني في المجمع الملكي بانكلترا عن ارسال الرسائل البرقية بالتلغراف الذي بلاسلك من الباخرة التي ركبها في الاوقيانوس الاتلنتيكي الى اميركا . فقال ان الاشارات التي كان يرسلها نهارًا لم تصل الى اماكنها على بعد ٧٠٠ ميل واما التي كانت ترسل ليلاً فكانت تصل على بعد الفي ميل وقال انهُ لا يبعد ان يكون السبب في ذلك تأثير النور في الاسلاك الهوائية واضعاف كهربائيتها ويعالج ذلك بتقوية المجرى الكهربائي كما جرى عند ارسال الاشارات من نيوفوندلند فانها بلغت الاماكن التي ارسلت اليها مع انها ارسلت نهارًا على ذلك البعد الشاسع

قاموس وبستر وقواميسنا

لا يمضي يوم تقريبًا الاَّ ويضع علماء الانكليز وكتابهم كلمات جديدة تقتضيها مطالب التمدن الجديد والعلم الحديث ويضيفونها الى لغتهم . ويكفي لاعتمادها وادراجها في قواميسهم صدورها عن عالم من علمائهم او كاتب من مشاهير كتابهم. فقد ظهرت طبعة جديدة من قاموس وبستر المشهور وفيها ٢٥ الف كلمة وعبارة جديدة اكثرها كلمات وعبارات علمية وجمل اصطلاحية جدَّت في العشر السنوات الاخيرة

اما قواميسنا فلا تزال على حالها المعروف محشوَّة بالوف من الكلمات التي لا يمكن ان يستعملها كاتب في كتابتهِ وكلما مرَّ عليها يوم نسي كثير منها لقلة استعمالها ثم ان كتابنا مقيدون باستعمال القديم محافظة على شرف اللغة الفصحى كما يقولون واذا ادخل كاتبٌ كلمة جديدة او استعار عبارة اجنبية قامت عليهِ قيامة المتمسكين بالقديم وعدوهُ مارقًا من حزبهم وخارجًا من حدود العربية وتقاليدها الشريفة

سباق مركبات الاوتوموبيل

انبأنا البرق في اوائل هذا الشهر بان بعض مركبات الاوتوموبيل تسابقت بين باريس وفينا . وقد فصلت الجرائد الاخيرة هذا السباق فقالت ان مئة وثلاثين مركبة اشتركت فيهِ ولكنَّ كثيرًا منها انقطعت عن السير في آخر اليوم الاوَّل لما طرأ عليها من الطوارىء في الطريق امَّا المسافة بين المكانين فطولها ٧٨٢ ميلاً وقد قسمت الى ثلاث مراحل تقطع كلٌّ منها في يوم واحد فكان المجلي فيها مركبة رجل فرنسوي اسمهُ رندل

والمركبة من صنع معمله وثقلها نحو عشرة قناطير مصريَّة فاجتازت المسافة المذكورة في ١٥ ساعة و٢٢ دقيقة اي ان متوسط سيرها في الساعة بلغ ٥١ ميلاً وربع الميل وهي سرعة عظيمة لا يفوقها اكثر القطارات الحديدية سرعة

على ان الغريب في ذلك ان رندل المذكور كان يضطر في بعض الاماكن ان يقلل سرعة مركبتهِ بسبب وعورة الطريق . فللمحافظة على المتوسط المذكور كان يسيّر مركبتهُ باسرع من ٥١ ميلاً بعض الاحيان. واغرب من ذلك متانة المركبة واحتمالها مشقات طريق تعدُّ من اوعر الطرق في اوربا لا سيما وانها تمرُّ في المرحلة الاخيرة على جبل علوهُ ٥٠٠٠ قدم والثلج مكلل قمتهُ

اهالي فرنسا

بلغ عدد اهالي فرنسا في الاحصاء الاخير الذي جرى السنة الماضية ٣٨٩٦١٩٤٥ نفساً اي بزيادة ٤٤٤٦١٣ نفساً عما كانوا عليهِ في احصاء سنة ١٨٩٦ . ولا يزال الاهالي يهاجرون من القرى والمزارع الى المدن الكبيرة حتى بلغ عدد سكان باريس ٢٧١٤٠٦٨ وصار في فرنسا الآن ١٥ مدينة يزيد سكان الواحدة منها على مئة الف نفس على حين انهُ لم يكن منها سنة ١٨٩٦ سوى اثنتي عشرة مدينة

صعود الجبال

أعلى ما بلغهُ الانسان في الصعود الى الجبال ٢٣٣٩٣ قدماً ولكنَّ العلماء يتساءلون عمَّا اذا كان يستطيع الصعود الى علوّ ٢٩٠٠٠ قدم مثلاً والاقامة هناك فان جسمهُ غير معتاد سكن الاماكن العالية جدًّا وعليهِ اذا باشر احد التصعيد في الجبال العالية شعر بعوارض كثيرة منها سرعة التنفس وسرعة دورة الدم وضعف القلب والاعياء ولذلك لم يحاول كثيرون الصعود الى الاماكن العالية اعتقاداً منهم ان الانسان لا يستطيع الاقامة حيث الهواء لطيف . ولكن من رأي بعضهم ان ذلك يتأتى بالعادة فاذا اراد احد الصعود الى رأس جبال حملايا وجب عليهِ ان يفعل ذلك رويدًا ويستريح مراراً كثيرة حتى يتعود جسمهُ التغيرات الطارئة عليهِ اما الذين حاولوا الصعود الى قمم الجبال الشامخة الى الآن فانما فعلوا ذلك دفعةً واحدة فلم يكن للمجموع العصبي في الجسم فرصة يعتاد فيها احتمال تأثير الهواء اللطيف ولا للجسم فرصة لاحتمال برد الاعالي فكانوا يصابون بالاعراض المتقدم ذكرها ويكلُّون عن اتمام الصعود

المسيو اندره

لا يزال الناس يتحدثون في امر الرحالة اندره المشهور ويتساءلون عمَّا اذا كان لا يزال حيًّا يرزق او قضى نحبهُ في بلونهِ هو ومن سافر

معهُ . فقد جاء رجل من الاسكيمو سكان الاصقاع الشمالية الى بورت تشرتشل منذ سنتين وروى ان جماعة من اهالي تلك البلاد وجدوا اندره ورفاقهُ على بعد ٣٠٠ ميل شمالاً من بورت تشرتشل المذكور فلما اقترب اندره منهم اطلق بندقية فظن الاهالي انهُ يروم بهم سوءًا فانقضّوا عليهِ وعلى رفاقهِ وقتلوهم

هذا ملخص الرواية ولكن لم تثبت صحتها. ولما سمعت شركة خليج هدسن الاميركية بها وعدت الراوي بجائزة عظيمة على شرط ان يأتيها بشيء مما كان مع اندره واصحابهِ فعاد من حيث اتى وكان ذلك آخر العهد بهِ . ولكن مرسلاً انكليزيًّا في بلاد الاسكيمو بعث يقول انهُ رأى آلة تشبه التلسكوب قال عنها ان الاسكيمو اخذوها من اندره ورفاقهِ في ما اخذوهُ من السلب والغنائم

العلم والعمل في المانيا

من ادلة تقدم العلم في المانيا وتطبيق العمل عليهِ انهم استخرجوا سنة ١٨٤٠ ثمانية آلاف طنٍ من السكر الخام (غير المكرر) من ١٥٤٠٠٠ طنٍ من جذور البنجر اي انهم استخرجوا خمسة ونصفًا في المئة من السكر من تلك الجذور . وبعد ذلك بعشرين سنة استخرجوا ١٢٨٠٠٠ طنٍ سكر من ١٥٠٠٠٠٠ طنٍ من الجذور اي ثمانية في المئة وفي السنة الماضية استخرجوا ١٥٠٠٠٠٠ طنٍ سكر من ١٢ مليون طن من الجذور اي ١٣ في المئة وهذا كلهُ ناشيءٌ عن الوسائط العلمية المحضة

ومما تقدمت فيهِ المانيا تقدمًا سريعًا صناعة الادوات والآلات العلمية فصدر منها سنة ١٨٩٨ ما قيمتهُ ٢٥٠ الف جنيه اي ثلاثة اضعاف ما صدر منها سنة ١٨٨٨ واقتضى لها ٦٤٠٠٠ من العمال

هذان دليلان من الادلة الكثيرة على ما بين العلم وتقدم التجارة في المانيا من العلاقة الشديدة

كهربائية الشمس

ذكرنا في جزء سابق مذهب ارهنيوس العالم الاسوجي الذي علّل بهِ تكوُّن النيازك وذوات الاذناب والنور البرجي وما اشبه باندفاع ذرّات صغيرة من الشمس الى الفضاء الذي حولها . وقد نشرت الآن مجلّة العلم العام الفرنسوية مقالة للمسيو نوردمان بيّن فيها ان كلّ ما يعلّل بمذهب ارهنيوس يمكن تعليلهُ بان امواجًا كهربائية من نوع امواج هرتس تصدر من الشمس وتنتشر حولها ولا تصل هذه الامواج الى وجه الارض لان هواء الارض يمتصها قبل وصولها اليها

سبب زيت البترول

اشهر المذاهب لتكوُّن زيت البترول مذهب برتلو الكيماوي الفرنسوي على ما نوّعهُ مندليف الكيماوي الروسي ومدارهُ ان البخار

المائي يفعل بالمركَّبات الكربونية المعدنية فيتكون من ذلك مادة هيدروكربونية كزيت البترول تماماً. وكان يعترض على هذا المذهب ان الزيت الروسي لا يعلل تكونهُ بهِ لان ليس هناك مركبات كربونية معدنية لكن المسيو سباتيه والمسيو سندرن بيّنا الآن انهُ اذا التقى غاز هيدرو كربوني بمعدن النكل تكوَّن منهُ سوائل كزيت البترول تماماً وبذلك يعلَّل تكون زيت البترول في اميركا وفي روسيا فاذا وجد في جوف الارض معادن قلوية وكربيدات معدنية واتصل بها الماء تكوَّن منها غاز الهيدروجين وغاز هيدرو كربوني ثم اذا مرَّ هذا الغاز على النكل او الكوبلت او الحديد تكوَّن منهُ زيت البترول وهذه المعادن كثيرة في اميركا وفي روسيا حيث يوجد زيت البترول

جائزة مركوني

اعطت اكادمية لنسي الايطالية المسيو مركوني اربع مئة جنيه جائزة لهُ لاستنباطهِ التلغراف الذي بلا سلك

هدية علمية

اهدى المستر بيربنت مورجان متحف بستان النبات في باريز مجموعة من الحجارة الكريمة ثمنها الفا جنيه

رقّاص فوكول

ان الرقّاص الطويل الذي برهن بهِ العالم فوكول دوران الارض نُزع من كنيسة النثيون لما اعيدت كنيسة كاثوليكية سنة ١٨٣٢ ووضع جانباً ويراد الآن اعادة التجارب بهِ بادارة المسيو برجه والمسيو بوانكره

ترعة بناما

قرَّ قرار الولايات المتحدة على تكميل ترعة بناما وقد خوَّل مجلس الشيوخ الاميركي رئيسها ان يبتاع كل ما عند شركة بناما من الاعمال والادوات بثمانية ملايين من الجنيهات ويبتاع من جمهورية كولمبيا الارض اللازمة لاتمام الترعة

الكوليرا في القطر المصري

ابنا في مقالة مسهبة في هذا الجزء ان الكوليرا ظهرت في القطر المصري في اواسط الشهر ووصلت الى القاهرة وبلغت وفياتها فيها مبلغاً عظيماً. ثم اتضح بعد ذلك ان الكوليرا وصلت الى موشه مع الحجاج فان سبعة عشر من اهاليها حجوا الى مكة في هذا العام ولما عادوا الى بلدهم توفيت امرأة منهم بالكوليرا في آخر شهر مايو ولم يعرف المرض الذي توفيت بهِ حينئذٍ ثم اصيب ابنها بعدها وسرت العدوى الى سواها. والظاهر ان الماء الذي يستقي منهُ اهالي موشه تلطخ بميكروب الكوليرا ولهذا اشتدَّ فتكها بهم. اما العاصمة فهبط عدد الوفيات فيها الى ٣٥ في اليوم بعد ان بلغ ٧٨ وهبط عدد الوفيات بالكوليرا في موشه الى ١٤ في اليوم واصيب واحد في الجيزة

واثنان في اسيوط ورجال الصحة باذلون اقصى جهدهم في حصر الوباء واستئصالهِ

معرض سنت لويس

اخَّر الاميركيون معرض سنت لويس الى صيف سنة ١٩٠٣ وقد بلغ المال المجموع لاقامتهِ حتى الآن اربعة ملايين من الجنيهات ولذلك ينتظر ان يكون اكبر من كل المعارض التي اقيمت قبلهُ

مجمع ترقية العلوم الاميركي

التأَم مجمع ترقية العلوم الاميركي في مدينة بتسبرج بين ٢٨ يونيو و ٣ يوليو وتلا رئيسهُ السابق الدكتور تشارلس سد جوك منوت خطة الرئاسة وموضوعها الشعور او الوجدان والنظر فيهِ بيولوجيًّا وقد اثبت فيها الوجدان للحيوانات حتى ادناها وفسَّرهُ بانهُ توفيق الجسم الحي نفسهُ للاحوال الخارجية لاجل فائدتهِ وذهب الى انهُ ليس نوعاً من القوة ولا حالة من حالات الجسم وان فيهِ مقدرة على تغيير شكل القوة. فالشعور غير القوة الطبيعية المعروفة وليس في الطبيعة غير الشعور والقوة واما المادة فلا دليل عندنا على وجودها

قلعة بعلبك

كتب الدكتور بلس ان المذبح القديم الذي وسط هيكل بعلبك الكبير ليس منحوتاً في الصخر بل مبني بالحجارة وانهُ ليس في قلعة بعلبك شيءٌ من قبل الرومانيين

خريطة مدبَّة

اشرنا الى هذه الخريطة غير مرة وقلنا انها تمثل فلسطين ومصر وهي مصنوعة بقطع ملونة من الفسيفساء وقد خيف من انها تتلف بعد اكتشافها فصنعت الآن صورتها بالزيت ووضعت في مدرسة القديس ديمتريوس الارثوذكسية في القدس

فائِدة الغُبار

لا يخلو مكان على سطح الارض من الغبار وان لم يصعد من الارض يهبط من السماء حتى ان السفن الماخرة في قلب الاوقيانوس العظيم لا يمرُّ بها يوم الاَّ وتجد الغبار قد تجمَّع على سطحها يقع عليها من الهواء حسب الظاهر وهو في الحقيقة آتٍ الى الارض من بين الاجرام السموية بعد ان يكون قد مرَّ عليهِ الوف من الاعوام تائهاً في فضاء الكون . والدقائق الكبيرة منهُ تسرع نحو الارض حينما تدنو منها فتحمو من شدَّة الاحتكاك بهوائها وتحترق وتظهر في الليالي الظلماء شهباً ثاقبةً

ولولا الغبار ما كنا نرى شيئاً من النور المستطير بل كنَّا نرى السماء مظلمة ولا نرى نور الشمس الاَّ حيث يقع مباشرة وكنا نمسي في ظلام دامس حالما نتوارى في الحجاب او تواريها سحابة عن الابصار ثم نرى نوراً يبهر الابصار حالما تشرق او تبين . وكنا نرى النجوم دواماً في جلد السماء لان نور الشمس

لا يحجبها عن الابصار . ولم يكن ضباب ولا سحاب لان دقائق البخار الصغيرة التي يتكون الضباب والسحاب منها لا تتجمع ولا تتكاثف الاَّ حول دقائق الغبار بل كان البخار يصعد الى الجو ثم يتكاثف بغتة حينما يبرد ويهطل ميازيب كافواه القرب فيخرب البيوت ويتلف المزارع ويغرّق الناس . والخلاصة ان الغبار الذي نشكو منهُ دواماً ولاسيما في هذه الديار لازم لزوم الهواء والماء ولولاهُ ما كانت المعيشة ممكنة في هذه الدنيا

سكة سيبيريا

اخطأ مهندسو الروس في مدهم سكة الحديد القاطعة بلاد سيبيريا خطاء لا يصلح الاَّ بالمال الكثير وضعوا قضباناً لا تحتمل القاطرات الثقيلة الاَّ اذا سارت عليها عشرين ميلاً او اقل في الساعة والقاطرات تضطر ان تسير في بعض هذا الطريق بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة لكثرة انحدارهِ هناك ويقتضي اصلاح هذا الخطاء ستة ملايين من الجنيهات

اقدم الاعلام

يقال ان اقدم الاعلام علَم الصين الذي ترسم فيهِ صورة تنين او علم اليابان الذي ترسم فيهِ صورة زهرة من الاقحوان اما اعلام اوربا فاقدمها علم الدنمارك وهو صليب ابيض على رقعة حمراء وقد استعمل منذ سنة ١٢١٩ . ومن الغريب ان علَم الاميركيين اقدم من علم الانكليز المستعمل الآن لان الاول صنع سنة ١٧٧٧ واما الثاني فصنع سنة ١٨٠١

فضل اميركا على انكلترا

لم ينتج الخطاء صواباً كما انتجت السياسة الخرقاء التي دعت الى انفصال الولايات المتحدة الاميركية عن البلاد الانكليزية . وقد صارت الولايات المتحدة الآن بحيث لا تستغني عنها انكلترا شهراً واحداً وكيف تستغني عنها واكثر من نصف طعامها يأتي من الولايات المتحدة . قيل انهُ لما اشتدَّ الخلاف بين انكلترا والولايات المتحدة لاجل فنزويلا قال المستر كارنجي للمستر غلادستون ان اللورد سلسبري يخطئ اذا حاربنا لاجل فنزويلا لاننا نضطرهُ الى التسليم حالاً من غير ان نطلق بندقية فلم يفقه غلادستون مرادهُ وقال لهُ ان عمارتنا تسد كل موانيكم باسهل ما يكون فقال كارنجي وهذا الذي نفعلهُ نحن بانفسنا ان لم تفعلوهُ انتم لاننا نسد كل موانينا ونمنع ارسال الطعام اليكم فنميتكم جوعاً . فسكت غلادستون ولم يحر جواباً

وترسل الولايات المتحدة الى انكلترا كل سنة ٤٩٥ ٦٤٥ رأساً من البقر و ٣٨٢ ٨٣٣ رأساً من الغنم وخمسة ملايين و ٤٢٠ الف قنطار من لحم البقر و ١٢ مليوناً و ٥٥٠ الف قنطار من لحم الخنزير وسبعة وار بعين في المئة من الحنطة التي تؤكل فيها و ٨٣ في المئة من الدقيق

توزُّع الثروة

قدَّر احد الباحثين ثروة اهالي الولايات المتحدة الاميركية بعشرين الف مليون جنيه وقسم الاهالي الى اربع طبقات الطبقة الاولى الذين يملك كلٌّ منهم عشرة آلاف جنيه فاكثر وهم ١٥٥٠٠ نفس ويملكون كلهم عشرة آلاف مليون واربعمئة مليون جنيه. والطبقة الثانية الذين يملك كل منهم اكثر من الف جنيه واقل من عشرة آلاف جنيه وعددهم ١٩٣٧٧٠٠ ويبلغ مجموع ثروتهم ستة آلاف مليون وستمئة مليون جنيه. والطبقة الثالثة الذين يملك كلٌّ منهم من الف جنيه الى مئة جنيه وهم ٦٧٧٣٤٠٠ نفس ويبلغ مجموع ثروتهم الفين وخمس مئة مليون جنيه. والطبقة الرابعة الذين يملك الواحد منهم اقل من مئة جنيه وعددهم ٦٧٧٣٤٠٠ ومجموع ثروتهم خمس مئة مليون جنيه لا غير. وجملة هؤلاء السكان ١٥ مليوناً و ٥٠٠ الف نفس والباقون من اهالي الولايات عيال عليهم نساءٌ واولاد وخدم. فخمسة عشر الف رجل يملكون اكثر من نصف ثروة البلاد ولو وزعت اموالهم اليوم على السكان كلهم ورجعت بعد خمسين سنة لوجدت اكثر الاموال عند نفر قليل منهم

تذكار الدكتور بلس

اجتمعت اللجنة المصرية التي أُنيط بها الاهتمام بالاكتتاب لاقامة تذكار للدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية على اثر استعفائهِ من رئاستها فوجدت ان المال الذي جمع في القطر المصري الى الآن بلغ ١٣٦ جنيهاً افرنجياً و١٧ غرشاً ونصف غرش. ونظرت في ما يمكن ان يعمل بهذا المال تذكاراً لذلك الرئيس الفاضل في المدرسة التي انشأها ورعاها بعين عنايتهِ وبث في نفوس ابنائها الشهامة وعزة النفس عدا ما مهد لهم من اسباب الارتقاء العقلي والادبي. وطالعت ما اقترحهُ لذلك بعض المكتتبين فوجدت مقترحاتهم كلها غاية في الاصابة وودَّت لو كان المال المجموع كافياً للعمل بها كلها لكنهُ لا يكاد يكفي لمقترح واحد قرَّ عليهِ رأي متخرجي المدرسة في الاجتماع الاول الذي اجتمعوهُ في ادارة المقتطف وهو عمل تمثال من الرخام ينصب في المدرسة الكلية ويكتب عليهِ بالعربية والانكليزية

تذكار
للدكتور دانيال بلس الرئيس الاول
للمدرسة الكلية السورية الانجيلية
من تلامذتهِ

فقررت اللجنة ان يكتفى بعمل هذا التمثال تذكاراً لهُ آملة ان الرؤساء الذين يأتون بعدهُ يحذون حذوهُ ويفيدون المدرسة بعلمهم وعملهم كما افادها. وان التلامذة يرون هذا التمثال دواماً فيتذكرون الرجل العظيم الذي انشأ هذه المدرسة ومهد لهم سبل العلم

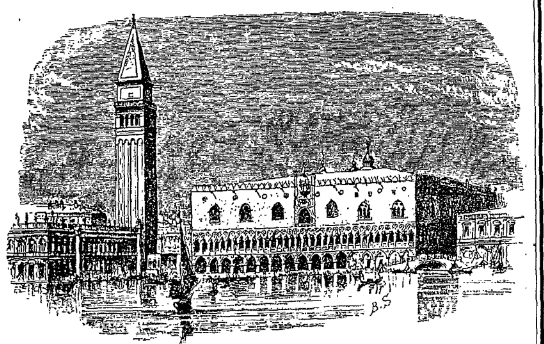
فهرس الجزء الثامن من المجلد السابع والعشرين

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد السابع والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠

الكمبانيل برج البندقية



لم يخطر لنا لما وقفنا امام هذا البرج نمعن النظر في علوهِ الشاهق وبنائهِ المحكم ان سوس الدهر قد نخر اصولهُ وانهُ قدّر لهُ ان لا يتم عشر سنوات . ولا دار في خلدنا حينئذٍ ونحن نتأمل في وضع الملاك الواقف فوق رأسهِ انهُ سينحط عنهُ ويصير الى حمى الكنيسة القائمة في جانبهِ . وقد غفلنا عن نوائب الدهر حينئذٍ فتمثلنا بقول السموأل حيث قال

رسا اصلهُ تحت الثرى وسما بهِ الى النجم فرع لا يُنال طويل[1]

(١) انظر الكلام على البندقية في مشاهد اوربا في المجلد السابع عشر من المقتطف

لكن الانسان وهو سيد المخلوقات في هذه الدنيا لا يعمّر مئة عام فأَحرِ بما كان من صنع يديهِ ان يكتفي بالف من الاعوام فقد كان الشروع في بناء هذا البرج سنة ٨٨٨ او سنة ٩٠٢ للميلاد ليكون علماً للشعب الذي نزل جزائر البندقية يقيم فيهِ الرقباء يرقبون البر والبحر ويقرعون الاجراس اذا دنا منهم عدو مفاجئ او اذا ارادوا الاجتماع لغرض سياسي او احتفال ديني . ومرَّت سنون كثيرة قبلما بلغ القبة التي كانت فيها الاجراس الآن ثم جددت هذه القبة سنة ١٥١٠ واقيم فوقها الهرم الذي أُوقف الملاك على رأسهِ سنة ١٥١٧

وكان ارتفاع البرج قبل سقوطهِ ٣٢٣ قدماً وطول كل جانب من جوانب قاعدتهِ ٤٢ قدماً ويصعد الى اعلاهُ على سطح مائل في داخلهِ فيشرف الواقف في اعلاهُ على اجمل مناظر الارض بحر البنادقة وخلجانهِ من الجنوب الشرقي وجبال الالب من الشمال وارباض البندقية من الغرب ويرى تحتهُ امّ القصور والترع تتجلَّى بما ابقتهُ فيها القرون الوسطى من بدائع البناء والنقش وما جرى اليها من خزائن المشرق والمغرب يوم كان البنادقة قابضين على زمام التجارة وكانت اساطيلهم تناوئ اعظم دول الارض

ويقال ان احد المهندسين رأى فيهِ منذ عشر سنوات ما حسبهُ دليلاً على دنو اجلهِ فانبأ رجال الحل والعقد بذلك فلم يكترثوا لكلامهِ فزاد في حثهم وانذارهم حتى اضطروا الى نفيهِ لكي لا يسمعوا تقريعهُ ولما عاد من المنفى عاد الى الانذار فامرت الحكومة الايطالية بعض العمال بترميم البرج فاكتفوا بوضع "المؤُونة" بين الاجر مما يلي القصر الملكي ويا ليتهم لم يفعلوا ذلك لان ما فعلوهُ اضرَّ ولم يفد كما سيجيء

وفي الثالث عشر من شهر يوليو الماضي ظهر فيهِ شق كبير فقال ذلك المهندس ان ساعة هبوطهِ قد دنت لا تتأخر يوماً كاملاً . وبعث حاكم البندقية الى وزير المعارف يخبرهُ بذلك فامر بعض المهندسين ان يذهبوا حالاً اليها ويعملوا ما يلزم عملهُ لحفظ البرج من السقوط ولكن نفذ السهم قبل ان يفعلوا شيئاً

وكتب مكاتب التيمس من البندقية في الرابع عشر من يوليو يقول ما ترجمتهُ

"سقط الكمبانيل هذا الصباح الساعة التاسعة والدقيقة ٥٣ وصار كومة من الحجارة والاجر . اتيت الى الساحة (التي هو فيها) بُعيْد الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ صباحاً فرأَيت فيها جمهوراً من الناس ينظرون الى الشق الذي ظهر فيهِ فانهُ كان قد اتّسع في الليل الماضي ثم رأَيت غباراً يصعد من هذا الشق ثم سقط عمود من اعمدة القبة التي فيها الاجراس في اعلى البرج وتبعهُ الملاك المذهب وبعد لحظة سقطت قبة البرج كلها وحطمت الرواق الذي عند

قاعدتهِ (وهو المعروف باسم لوجيا سنسوفينو حيث بعض التماثيل البديعة) وبعد هنيهة سقط البرج كلهُ دفعةً واحدةً كأنهُ شيخ ادركتهُ المنيَّة فتنهد واسلم الروح ولم يؤذِ انسانًا. الاَّ ان الجانب المحاذي للقصر الملكي الذي أُدخلت المؤونة بين اجرمِ التصقت اجزاؤهُ بعضها ببعض فسقطت قطعًا كبيرة على زاوية القصر القريبة منها واتلفت ما مساحتهُ ستة امتار من واجهتهِ ولو رُمّم البرج كلهُ كذلك لاتلف بسقوطهِ القصر الملكي وقصر الدوقات والكنيسة اما وقد سقط من غير ترميم فاقتصرت الخسارة عليهِ وعلى الرواق الجميل الذي كان عند قاعدتهِ

وكان احد الاميركيين النازلين في البندقية ينظر الى اعلى البرج من فوق سقف بيت فرأى الملاك المذهب يهبط رويدًا رويدًا الى ان غاب عن بصرهِ وللحال علت في الجو سحابة من الغبار وهرع الناس من كل انحاء المدينة ليروا ما جرى فوجدوا انهُ لم يبقَ من البرج فخر مدينتهم سوى تلة من الانقاض علوها ثمانون قدمًا وهي منبسطة القاعدة حتى تمس جدران الكنيسة . ويقال ان في نية الحكومة الايطالية ان تعيد بناءهُ وتردهُ الى ما كان عليهِ تمامًا وقدرت النفقات اللازمة لذلك بمئة وعشرين الف جنيه

وقد كان لسقوط هذا الاثر وقع اليم في النفوس فقامت صحف الاخبار تعزي البلاد الايطالية كأنها فقدت عزيزًا كريمًا . قالت جريدة التيمس ان ام الارض جمعاء تقدم فروض التعازي الى البندقية والى المملكة الايطالية عن هذا المصاب الاليم والخطب الجسيم لان للبندقية صلةً بكل العالم المتمدن مثل رومية وفلورنسا واثينا. والالوف الذين يقصدونها كل سنة من انكلترا واميركا والمانيا تبقى ذكراها في نفوسهم حتى الممات ذكرى مدينة حافلة بآثار الماضي وامجادهِ فيشعرون بالرزء الذي حلَّ بها كأنهُ حلَّ بهم

سل البشر والبقر

في اواخر يوليو من العام الماضي قام الاستاذ كوخ في مؤتمر السل المنعقد حينئذٍ في لندن وخطب خطبتهُ المشهورة التي انتقلت بالبرق وبسرعتهِ الى كل انحاء العالم المتمدن وصارت منذ ذلك الحين موضوع اهتمام العلماء والاطباء وبحثهم المتوالي المدقق ليس لان المسألة ذات اهمية كبرى بحد ذاتها فقط بل ايضًا لانها تخالف معتقد كل الاطباء من حيث وحدة نوع الباشلس التدرني (ميكروب السل) في البشر وفي البقر ومن حيث امكانية انتقالهِ من النوع الواحد الى الآخر

كان علماء الطب والبكتيريولوجيا يعتقدون ان ميكروب السل في البشر وفي البقر من اصل واحد وانهُ ينتقل طبعاً على سبيل العدوى من النوع الواحد الى الآخر نظراً لوحدة نوعه فيهما. ولذلك كانوا يحرّضون رجال الحكومة اشد التحريض على منع ادخال المواشي المسلولة الى بلادهم وعلى تعقيم البان البقر واخذ الاحتياطات اللازمة لتحقيق صحة اللحم والزبدة واللبن

وفي ٢٣ يوليو من العام الماضي قال كوخ في خطبتهِ المذكورة آنفاً ما يخالف هذا الاعتقاد العام الذي كان هو نفسهُ من اقوى مؤسسيهِ وادَّعى ان سل البقر يختلف عن سل البشر وانهُ لا يمكن نقلهُ اليهم. وان عدوى البشر من البقر نادرة جدًّا ولذلك فلا موجب للاهتمام بمقاومتها (انظر المقتطف مجلد ٢٦ صفحة ٧١٩ الى ٧٨١)

ولا يخفى ما لهذه المسئلة من الاهمية الكبرى ليس فقط في نظر اهل العلم والطب والصحة بل في نظر اهل التجارة والزراعة والسياسة لما نعلمهُ من شدة احتياج الناس الى البقر الى لبنها وزبدتها ولحمها وكثرة اتجارهم بهذه الاصناف التي تعد الآن من اهم الحاجيات

ومن يطالع مجلات اوروبا واميركا يعلم انهُ قد مضى سنة كاملة على خطاب كوخ المذكور ولا يزال صداهُ يتردد في كل اندية العلم على السنة نخبة رجال الارض باهتمام شديد لم يسبق لهُ مثيل في عالم الطب والبكتيريولجيا. ولكن عدد المقاومين رأي كوخ آخذٌ في الازدياد يوماً بعد آخر ومن المرجح انهم سيتفقون على تفنيد كلامهِ بحجج دامغة وبراهين قاطعة لا تقبل الرد والاعتراض فيرجع الناس الى ما كانوا عليهِ قبلاً من حيث اعتناؤهم بانتقال السل من البقر الى البشر ووجوب اخذ الاحتياطات الكافية لمقاومة العدوى الآتية من اكل لحومها والبانها اذا كانت مسلولةً

ومن لاحظ مجرى الامتحانات العديدة والتجارب المتوالية التي قام بها علماء اوروبا واميركا هذا العام يرى انهم لم يتركوا باباً الاَّ طرقوهُ حبًّا بالوصول الى الحقيقة ولو كان ذلك الباب تلقيح ذواتهم او غيرهم من البشر بباشلس التدرن البقري معرّضين بذلك حياتهم لخطر الموت في سبيل خدمة الانسانية . وانني الى تاريخ هذه السطور عرفت اسماء ستة من الاميركيين بينهم ممرّضتان لقحوا انفسهم بميكروب السل البقري لتحقيق هذه المسئلة الهامَّة . ولعل البعض منهم فعلوا ذلك قصد الشهرة فقط وذلك ليس نادراً بين شعبٍ كالاميركيين يكثر بينهم من يتطلب الشهرة ولو بالاستشهاد. وقد فعل بعضهم ذلك في انكلترا ايضاً. وفي هذا الشهر نقل بريد اوروبا الينا خبر تلقيح الدكتور غارمول (Garmault) نفسهُ بالسل البقري لهذه الغاية . ولكنني شممت رائحة التعصب الجنسي من كلام غارمول على كوخ وقولهِ الجديد وهذا مما يؤاخذ بهِ

الطبيب الفرنسوي المذكور لان العالم الحقيقي يجب ان يقول سرًّا وعلنًا " لاعداء في العلم "
وكيفما كانت الحال فهذه الامتحانات الافرادية قلما تأتي بالفائدة المطلوبة عندما يراد اثبات حقيقةٍ علمية او دحضها . بل المعولُ عليهِ في مثل هذه الحال هو سرد تاريخ مئات والوف من الحوادث الكلينيكية والامتحانات العلمية (وهذا ما يعبر عنهُ بالاحصاءات) حتى يمكننا التوصل الى نتيجةٍ يقف العقل عندها ويُنزَع من الفكر كل شك وريب بصحتها فنثبتها كحقيقةٍ علمية مبنيةٍ على الاستقراء والاستدلال

امتحانات الحكومة الاميركية

وهذا نفس ما فعلتهُ حكومة اميركا في العام الماضي فان تقارير اطباء اللجان التي عينتها بعض الولايات للبحث عن هذا الامر مبنيةٌ كلها على اختباراتٍ وامتحاناتٍ حسية تبرهن فساد قول كوخ الذي قالهُ في العام الماضي وتدل على صحة الرأي القديم القائل بوحدة نوع الميكروب في سل البقر والبشر او امكانية انتقالهِ من النوع الواحد الى الآخر . وبالنتيجة توجب اتخاذ كل الوسائل الممكنة لمنع ادخال المواشي المسلولة الى الولايات المتحدة والمحافظة الصحية الدقيقة على الالبانِ واللحوم التي يقتات بها الناس من اي مصدرٍ كانت

وممن اشتغلوا كثيرًا بحل هذا المشكل الدكتور (رافنل) (M. P. Ravenel) بكتيريولوجي مجلس ولاية بنسلفانيا الصحي . والتقرير الذي رفعهُ الى جمعية فلادلفيا الباثولوجية يبحث في ثلاثة امور وهي : —

اولاً . ان سل البقر ينتقل الى البشر خلافًا لما قال كوخ . واسند ذلك الى عدة تجارب واحصاءات وحوادث كلينيكية . واتمامًا للفائدة نذكر واحدةً منها — فحص رمة طفل مات بسل اغشية الدماغ فوُجدت الغدد المساريقية كلها في حالة الارتشاح التدرني وبعد ان استنبت الدكتور رافنل منها مستنبتات عديدة من باشلس السل لقح بها عددًا من العجول فظهر السل فيها حالاً وبقوةٍ شديدة اماتتها في وقت قصير . فهذا يبرهن على ان ميكروب السل في البقر والبشر من اصل واحد وان نوع السل الذي مات الطفل بهِ كان من اصل بقري طبعًا

ثانيًا . ان سل البقر ينتقل الى البشر وهو اصل العدوى في كثيرٍ من الاطفال الذين يكثرون من شرب لبن البقر الذي لا يراقب مراقبة صحية دقيقة . ومع ان الدكتور رافنل لا ينكر ان بعض الاطباء يبالغون في ذلك ولكنهُ مع كل التساهل الممكن لا يقدر ان يسلم مع كوخ ويقول ان اصابة الاطفال بالسل المعوي ابتداءً نادرةٌ جدًّا لان الاحصاءات التي في يدهِ تدل دلالة صريحة على كثرة عدد الاطفال الذين يموتون بالسل المعوي او المساريقي ابتداءً

خلافاً لما يزعم كوخ (انظر مجلة مدرسة فيلادلفيا الجامعة عدد مايو سنة ١٩٠٢ صفحة ٦٦)

ثالثاً . انهُ يوجد احياناً بعض الفرق بين ميكروب السل البقري وميكروب السل البشري. ذلك من حيث الهيئة وكيفية الاستنبات وتفاوت القوة على العدوى . ولكن ذلك الفرق زهيد الى الغاية وليس هو ممَّا لا يقبل التغير كما انهُ ليس دائم الوجود . فلذلك لا يجب ان نعلق عليهِ كبير اهمية ونستنتج منهُ مخالفة اصل الميكروب في البقر وفي البشر او عدم مماثلتهِ فيهما جميعاً . وخصوصاً اذا اعتبرنا نوع الوسط الذي يعيش فيهِ كل منهما اعني كمية الحرارة ونوع التغذية والنسيج وكمية المقاومة — فكل ذلك يختلف في البشر عنهُ في البقر ويدعو الى وجود بعض الفرق في ميكروب السل البقري والبشري من حيث الهيئة والقوة على العدوى وكيفية الاستنبات وهذا ممَّا لا يعتدُّ بهِ لانهُ يأتي بالعدوى في اي حالٍ كان

ابحاث المجمع الطبي الاميركي

وقد اقرَّ القسم البكتيريولوجي في المجمع الطبي الاميركي الذي انعقد حديثاً في ولاية نيويورك من ١٠ الى ١٣ يونيو هذا العام على فساد رأي كوخ حاثّاً الحكومة الاميركية على وجوب المحافظة على القوانين القديمة المتعلقة بمنع ادخال البقر المسلولة الى الولايات المتحدة وبوجوب النظر في امر البانها ولحومها

وقد قال الدكتور امرت (Emmert) في خطاب نفيس لهُ في ذلك المجمع ان السل يفتك بسبع العالم . وان ثلث وفيات الناس بين الخامسة عشرة والستين هي من السل . وان هذا الداء الوبيل يفتك بالناس اكثر ممَّا تفتك الحمَّى التيفوئيدية والقرمزية والدفتيريا والجدري معاً باربعة اضعاف ونصف . وان عدد الوفيات في الاطفال تحت سن الخامسة يكثر ان يكون سببهُ تدرن المساريقي او الامعاء ابتداء خلافاً لما زعم كوخ في العام الماضي

وقد قال الدكتور امرت المذكور انهُ سقى عدداً من الارانب والخنازير الهندية والكلاب لبناً من بقر مسلولٍ فأصيبت بالسل بعد شربها اللبن بوقت قصير . واطعم العجول ايضاً بعض الطعام الحاوي على باشلس السل البشري فأصيبت بالسل خلافاً لما قال كوخ

امَّا فيما يتعلق باصابة الاطفال بالسل البقري فقد ذُكر في المجمع الطبي الاميركي احصاء جمعهُ الدكتور وودهد سرد فيهِ تاريخ ٢٧ اطفالاً مات منهم ٢٣ بالسل المعوي ابتداء. وذلك اتى عن تناولهم لبناً من بقرٍ مسلولة . (انظر مجلة المجمع الطبي الاميركاني عدد ١٤ يونيو سنة ١٩٠٢)

وذكر الدكتور لو Law ان طفلاً عمرهُ سنة ونصف مات بالسل المعوي ابتداء لانهُ

كان يشرب لبن بقرةٍ علمَ انها كانت مسلولة حينئذٍ . وروى الدكتور غوص Gosse من جنوى ان طفلة لهُ أُصيبت بالسل المعوي ابتداءً لانها كانت تُسقى لبناً من خمس بقراتٍ علم ان اثنتين منها كانتا مصابتين بالسل وذلك بعد ان ماتت الطفلة . فانهُ ذبح البقرات الخمس لتحقيق اصل مرض ابنتهِ بالفحص الرمي والمكرسكوبي

وذكر الدكتور برواردل Brouardel الفرنساوي المشهور خمس بناتٍ بين ١٤ بنتاً في احدى المدارس الداخلية في باريس توفين بالسل المعوي أَصابهنَّ ابتداءً لشربهنَّ لبناً من بقرة المدرسة ولما أُشتبهَ في هذه البقرة بسبب كثرة الوفيات في المدرسة ذُبحت وفحصت رمتها فتحققوا وجود السل فيها

هذا من حيث اللبن امَّا من حيث اللحوم فالشواهد التي تؤيد انتقال السل من البقر الى البشر اكثر من ان تُعد

ذكر الدكتور تشرمن Tscherming من كوبنهاغن عن طبيبٍ بيطري جُرِحت يدهُ اليسرى وهو يشرح جثة بقرة مسلولة . وبعد ان شفي الجرح ببضعة اشهر ظهر تورمٌ خبيث في محل الجرح تماماً تقرَّح بعدئذٍ ولم يتمكن الطبيب من شفائهِ لا بكثير ولا بقليل حتى التزم جراحهُ ان يستأصلهُ بالكلية . وبعد الفحص المكرسكوبي في نسيج ذلك التورم المنزوع وُجد باشلس السل فيهِ كثيرًا جدًّا

وروى الدكتور فيفر Pfeiffer البكتيريولوجي الشهير عن رجل عمرهُ ٣٥ سنة قوي البنية لا أثر للسل مطلقاً في عائلتهِ جرح بنصر يدهِ اليسرى وبعد ان اندمل الجرح بستة اشهر ظهر في محلهِ تورمٌ لم يبرأ منهُ الرجل المذكور قط رغماً عن كل الوسائط الفعالة التي استخدمها لهُ . وفي نهاية السنة ظهرت عوارض السل الرئوي فيهِ وكان هذا سبب موتهِ بعد سنتين ونصف ولدى الفحص المكرسكوبي تحققوا وجود باشلس السل بكثرة في التورم الذي في البنصر المجروح . وكان ذلك الرجل بيطارًا أُعدي بنصرهُ من بعض الماشية المسلولة وانتقل ذلك السل اخيرًا الى رئتهِ فاماتهُ

النتيجة

هذا قليل من كثير من الامتحانات العلمية والاحصاءات الدقيقة التي يستشهد بها اليوم رجال العلم والطب في اوروبا واميركا لتفنيد كلام كوخ ورأيهِ الجديد والظاهر انهم سيتغلبون عليهِ او قد تغلبوا لانهم اقوى حجةً منهُ والشواهد حسيةٌ عديدة لا تقبل الاعتراض والرد ناهيك عن انهم يقولون بوجوب التحفظ على صحة كلامهم من اللبن واللحوم المشتبه فيها وهو يقول

بقلة الاهتمام بذلك . والناس اقرب الى التحفظ منهم الى قلة الاهتمام في مسائل حفظ الصحة واطالة العمر لما نعلمهُ من تشبثهم بالحياة واحتفاظهم بها . وهم في ذلك غير ملومين فانهم يجرون على مقتضى ميل غريزي يدفعهم الى مقاومة كل ما يدعو الى تقدير الحياة او جلب الشقاء

سان باولو . برازيل الدكتور سعيد ابو جمره

الزواج والمشاهير

من الاقوال المأثورة ان كبار الانام الذين اشتهروا بالعلم والفضل او بالسياسة والرئاسة او بغير ذلك من المطالب قلما يتزوجون وان تزوجوا تأخروا في زواجهم وقلَّ اولادهم كأنَّ الارتقاء بلغ فيهم حدَّهُ وهم ثمرة فرعهم وغاية ما ينتهي اليهِ قبيلهم . وقد بحث الاستاذ ثورندَيك الاميركي في هذا الموضوع بحثاً استقرائيًّا فلم يجد ما يؤيد هذا القول من حيث الزواج . ذلك انهُ اختار ١٢١٨ رجلاً من المشاهير الواردة اسماؤهم في كتاب الاعلام الاميركي وبحث عنهم من حيث تزوجهم والسن الذي تزوجوا فيهِ فوجد

٢٨٦	منهم سنهم بين ٦٠ و ٧٠	والمتزوجون منهم ٨٨	في المئة
و ٢٤٧	« « « ٥٠ و ٦٠	« « ٨٨	« «
و ٣٤٢	« « « ٤٠ و ٥٠	« « ٨٨	« «
و ٢٤٣	« « « ٣٠ و ٤٠	« « ٨٥	« «

والمتزوجون من الرجال سكان اميركا كلهم على ما في هذا الجدول

من الذين سنهم بين ٦٠ و ٧٠	٩٣	في المئة
« « « « ٥٠ و ٦٠	٩٢	« «
« « « « ٤٠ و ٥٠	٨٩	« «
« « « « ٣٠ و ٤٠	٧٩	« «

فالفرق قليل جدًّا بين المشاهير وغيرهم من هذا القبيل

وظهر لهُ من بحث آخر ان المشاهير يتزوجون ابكر من غيرهم خلافاً للقول الشائع فالذين سنهم اربع واربعون سنة مثلاً وقد تزوجوا بين الخامسة والعشرين والثلاثين من عمرهم يبلغون من المشاهير ٤٣ في المئة ومن غيرهم ٤١ في المئة فالزواج الباكر شائع بين المشاهير اكثر مما هو شائع بين غيرهم . ولم يبحث عن مواليد المشاهير وغيرهم ونظن انهُ لو بحث لرأى ما يؤيد القول المأثور وهو ان نسلهم يقلُّ رويداً رويداً الى ان ينقرض

تعليم الحيوان

للورد افبري الذي كان اسمهُ اولاً السر جون لبُك مباحث طليَّة جدًّا فانهُ من كبار الماليين لكنَّ اشتغالهُ بالمال لا يمنعهُ من الاشتغال بالعلم ولاسيما المباحث العلميَّة الكثيرة التجارب التي تسلّي المشتغل بها كالبحث عن طبائع النمل والنحل . وقد قرأنا لهُ الآن مقالةً نشر فيها خلاصة تجاربهِ في تعليم الكلاب القراءة على نسق تعليم الصم البكم من البشر وفي البحث عن سمع النحل والنمل وهاك خلاصة ما اوردهُ فيها

اتى بقطعتين متساويتين من الكرتون (المقوَّى) طول كلٍّ منهما ٢٥ سنتمترًا وعرضها سبعة سنتمترات وطبع على واحدة منهما كلمة طعام بالانكليزية " food " بحروف كبيرة ولم يطبع على الثانية شيئًا ووضع الاولى على صحفة فيها قليل من الخبز واللبن والثانية على صحفة فارغة واتى بكلب اليف من الكلاب الصغيرة التي لها شعر طويل جعد وهي مشهورة بشدة نباهتها وسمح لهُ ان يرفع القطعة عن الصحفة التي فيها الخبز واللبن ويأكل ما فيها وكرر لهُ ذلك مرارًا حتى شبع . ثم اعاد ذلك مدة عشرة ايام متوالية فصار الكلب يميز بين القطعة التي عليها الكتابة والقطعة الخالية منها . وبعد ذلك طرح القطعتين على الارض وامرهُ ان يأتي بهما فصار اذا جاءهُ بالقطعة التي عليها الكتابة يعطيهِ لقمة من الخبز واذا جاءهُ بالاخرى يطرحها ولا يعطيهِ شيئًا واستمرَّ على ذلك شهرًا من الزمان فصار الكلب يميز بين هاتين القطعتين تمييزًا واضحًا

واتى بقطع كثيرة من الكرتون طبع على واحدة منها كلمة " خارج " وعلى الثانية كلمة " شاي " وعلى الثالثة كلمة " عظم " وعلى الرابعة كلمة "ماء" وعلى قطع اخرى كلمات اخرى لا يهم الكلب امرها وابقى بينها قطعًا بيضاء لا كتابة عليها فتعلَّم الكلب بعد زمن قصير ان يميز بينها ويأتيهُ بالقطعة المطلوبة منها فاذا جاع اتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة طعام واذا عطش اتاه بالقطعة التي عليها كلمة "ماء" واذا اشار اليهِ بالخروج من البيت اتاهُ حالاً بالقطعة التي عليها كلمة " خارج " واسرع بها الى باب البيت

وكان يغيّر لهُ اوضاع هذه القطع واماكنها حتى لا يهتدي اليها من وضعها بل من شكل الكتابة التي عليها . ثم خاف ان يكون اهتداؤُهُ اليها من رائحتها فطبع كلمة طعام على قطع كثيرة وكذلك كلمة شاي وهلمَّ جرًّا وكان اذا جاءهُ بقطعة عليها كلمة طعام يأخذها منهُ ويضع قطعة غيرها بين القطع فيهتدي اليها ويأتيهِ بها فيأخذها منهُ ويضع غيرها وهلمَّ جرًّا

حتى لقد يبدل لهُ ١٨ قطعة فلا يتعذَّر عليهِ الاهتداء اليها دلالةً على انهُ كان يميزها برسم الكتابة التي عليها لا بشيءٍ آخر . وكان يضع قطعة عليها كلمة ماء في غرفة يمر بها مرارًا كثيرة كل يوم وكان الكلب يتبعهُ دائمًا في خروجهِ ودخولهِ ويمرُّ بهذه القطعة فلا يلتفت اليها الاَّ حينما يعطش فيلتقطها ويأْتيهِ بها

وكان يخطئُ احيانًا ولكنَّ خطأَهُ قليل جدًّا. طلب منهُ مرةً ان يجلب لهُ القطعة التي عليها كلمة طعام مرارًا كثيرة فاتى بها ثمانين مرةً واتى بالقطعة التي عليها كلمة شاي ٣١ مرةً وكان مع هاتين القطعتين عشر قطع اخرى فاتى باثنتين منها مرةً واحدة وكان على واحدة منها كلمة تقرب من كلمة طعام وهي كلمة باب door والمشابهة كبيرة بينها وبين كلمة طعام food فلم يخطئ اكثر مما يخطئُ ولد عمرهُ ست سنوات

وانحرفت صحتهُ ذات يوم وكان واحد يتغدَّى مع اللورد افبري واراد ان يمتحنهُ امامهُ فاشار اليهِ ليأْتيهُ بالقطعة التي عليها كلمة طعام فلم يفعل فلجَّ عليهِ فاتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة "بيت" فانتهرهُ موبخًا فعاد واتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة شاي فسكب لهُ فنجان شاي فلم يشرب منهُ مع انهُ كان مغرمًا بشربهِ وهي المرة الوحيدة التي ابى فيها شربهُ

وكان عند اللورد افبري كلبة من الكلاب الكبيرة كانت ترى هذا الكلب يجلب القطع ويعطى الطعام فلم يخطر ببالها ان تفعل فعلهُ مع انها رأَتهُ يفعل ذلك مرارًا لا تحصى

ثم اراد ان يرى ما اذا كانت الكلاب تميز الالوان بعضها عن بعض فاتى بست قطع من الكرتون ولوَّن اثنتين منها باللون الاصفر واثنتين بالازرق واثنتين بالبرتقالي وجعل يمسك قطعة منها بيدهِ ويشير اليهِ ليأْتيهُ بالقطعة الملونة مثلها وكان اذا جاءهُ بالقطعة المطلوبة يطعمهُ شيئًا يستطيبهُ واذا جاءهُ بقطعة غيرها يأْخذها منهُ ولا يطعمهُ شيئًا ويامرهُ ان يأْتي بغيرها . واستمرَّ على ذلك ثلاثة اشهر فلم يدرك الكلب التمييز بين هذه الالوان الثلاثة فظن ان سبب ذلك خلَل في باصرتهِ لانَّ من الناس مَن لا يميز بين بعض الالوان ويقال لهذا الخلل العمى اللوني . فامتحنهُ في تمييز الاعداد فرسم على لوحة خطا واحدًا وعلى لوحة أُخرى خطين وعلى لوحة ثالثة ثلاثة وحاول تعليمهُ الفرق بينها واستمرَّ على ذلك عشرة اسابيع فلم يفلح . ولكنهُ لا يحسب ان تجاربهُ تدل دلالةً قاطعة على ان الكلب لا يمكن ان يميز بين الواحد والاثنين والثلاثة فان العالِم لروى استدلَّ على ان الغراب يعد الى حد الاربعة وذلك انهُ اراد ان يصيد غرابًا من قترة وكان الغراب حذورًا لا يدنو منها ما دام احد فيها فادخل اليها رجلين ثم أُخرج رجلاً منهما فلم يدنُ الغراب منها كانهُ علم ان واحدًا من الاثنين لا يزال فيها . ثم ادخل

اليها ثلاثة رجال واخرج اثنين منهم فلم يدنُ الغراب منها ايضاً كأَنهُ ميز انهُ لا يزال فيها واحد. فادخل اليها ستة رجال ثم اخرج خمسة منهم فضاع الحساب على الغراب وحسب ان الرجال خرجوا كلهم من القترة فدنا منها

ورأَى لتشنبرج ان العندليب يميز العدد الى الثلاثة ايضاً مثل بعض المتوحشين فانهُ كان يغذّيهِ ثلاث دودات كل يوم يطرح لهُ الدودة الاولى فيلتقطها ويذهب يأْكلها ثم يعود فيطرح لهُ الدودة الثانية فيفعل كما فعل اولاً ويعود اليهِ فيطرح لهُ دودةً ثالثة فيذهب ولا يعود الاَّ في اليوم التالي

وقال اللورد افبري انهُ كان اذا وجد بيضتين في عش واخذ واحدة منهما عرف الطائر ذلك وترك عشهُ ولكن اذا كان في العش اربع بيضات واخذ واحدة منها فالغالب ان الطائر لا يدرك ذلك فلا يترك عشهُ

وقال ايضاً ان الزنابير التي تجمع الديدان وتضعها في وكرها طعاماً لها يجمع كل نوع منها عدداً محدوداً من الديدان خمساً او عشراً او خمس عشرة وكلٌّ منها يجري على وتيرة واحدة لكنهُ يزيد المجموع او يقللهُ حسبما ينتظر ان تولد صغارهُ فان كان ينتظر ذكراً جمع لهُ خمس دودات مثلاً وان كان ينتظر انثى جمع لها عشر دودات لان انثى الزنابير اكبر من الذكر وتأْكل اكثر منهُ فهو يعدُّ الخمسة ويعلم ما اذا كانت بيضتهُ تنقف عن ذكر او عن انثى. لكن يظهر ان اللورد افبري مرتاب في صحة امر العد او في ان هذه الزنابير تجمع الدود خمسات خمسات لصغارها

ومن قبيل ذلك الزنابير التي تبني بيوتاً من الطين لصغارها في الجدران العالية وتخزن لها العناكب طعاماً لها بعد ان تلسعها لسعاً يمنعها عن الحركة ولكنهُ لا يميتها فتحفظها القوة الحيوية من الفساد وقد رأَيناها مراراً في بلاد الشام ورأَينا العناكب في بيوتها ولم يخطر لنا حينئذٍ ان نعدَّها لكننا لا نظنها كثيرة الى حد العشرة او الخمسة . فعسى ان يراقبها بعض قرَّاء هذه السطور ويخبرونا بما يرونهُ فيها ويجب ان يفرقوا بين الدود الذي يصير زنابير والديدان او العناكب التي تكون معهُ طعاماً لهُ

ثم ذكر لورد افبري بعض التجارب التي اجراها ليعرف بها مدارك النمل والنحل فقال انهُ افرغ جهدهُ ليعلم ما اذا كانت النمل تسمع الاصوات المختلفة كصوت الزمَّارة والصفَّارة فلم يظهر انها تسمع شيئاً منها . فحاول ان يعلم ما اذا كانت تدعو بعضها بعضاً بصوت لا نسمعهُ فنصب امام قرية من قراها ستة اعمدة صغيرة من الخشب ارتفاع كلٍّ منها نحو اربعة سنتمترات ووضع على رأْس ثلاثة منها قليلاً من العسل ووضع عليهِ بعض النمل فجعلت تأْكل

منهُ حالاً ولو سمح لها ان تنزل وتعود الى قريتها لاهتدى كثير من النمل الى العسل ولكنهُ لم يسمح لها بذلك بل رفعها بيدهِ ووضعها حيث لا يمكنها الرجوع الى قريتها ووضع غيرها بدلاً منها واستمرَّ على ذلك اربع ساعات وقال انهُ لو كان النمل ينادي بعضهُ بعضاً لنادت هذه النملات غيرها ليأتين ويأكلنَ معها ولكنها لم تفعل بدليل انهُ لم يصعد على هذه الاعمدة الثلاثة الاَّ سبع نملات وصعدت على الاعمدة الاخرى التي لا عسل عليها سبع نملات اخرى فصعودها عليها من باب الاتفاق وهي تسعى في طلب رزقها لا بنداءِ خاص من اخواتها . ثم ترك بعض النمل يأكل العسل ويرجع ادراجهُ الى قريتهِ فلم تمضِ مدة طويلة حتى اجتمع على العسل ٤٣ نملة . وكرر هذه التجربة مراراً عديدة فكانت النتيجة واحدة

وظهر لهُ من تجربة اخرى ان النمل اذا اراد ان يعرب عن مرادهِ لغيرهِ لم يعرب عنهُ بالكلام بل بوسائط اخرى فانهُ كشف قرية من قرى النمل الصناعية للشمس فخرج النمل منها وتفرَّق ثم ظلَّل جانباً منها حتى اظلم فاهتدى اليهِ بعض النمل وعاد يفتش عن غيرهِ ويأتي بهِ اليهِ وكانت النملة المهتدية تقبض على اختها وتحملها على ظهرها وتذهب بها الى ذلك المكان المظلم ثم تعود وتأتي بغيرها . فالنمل جمهوري اشتراكي تسعى كل نملة منهُ الى اشراك غيرها في ما تجدهُ من المنافع ولكنهُ لا يستطيع التعبير عن مرادهِ بالكلام ولا بالاشارة فيلجأُ الى هذه الواسطة . اما استدراج النمل بعضهُ بعضاً اذا اكتشف طعاماً فالمرشد فيهِ الرائحة لا الكلام

وعاد من التجارب في النمل الى التجارب في النحل لما هو مشهور من ان النحل يسمع وانهُ اذا طار خشرم منهُ زعقوا لهُ وقرعوا النحاس ونحوهُ لكي يجتمع ويعود الى خليتهِ فاتى بصندوق موسيقي ووضعهُ في حديقة فيها خلايا النحل وادارهُ ووضع عليهِ قليلاً من العسل حتى يسمع النحل صوت الموسيقي وهو يأكل العسل فيحسب ان بينهما علاقةً واستمرَّ على ذلك عشرة ايام ثم رفع الصندوق ووضعهُ في مكان مرتفع يطلُّ على الحديقة فلم تهتدِ اليهِ نحلة من النحل مع ان صوتهُ كان يملأُ الحديقة . ثم اعادهُ الى الحديقة فاهتدى النحل اليهِ حالاً . وبعد تجارب كثيرة من هذا القبيل استنتج اما ان النحل لا يسمع مطلقاً فلا يستطيع ان يهتدي الى العسل من صوت الصندوق او انهُ يسمع ولكن المدة التي سمع فيها الصوت الموسيقي غير كافية لتجعلهُ يعلّق وجود النحل بهِ واثباتاً لامر من هذين الامرين وضع العسل على الصندوق الموسيقي وعلى لوح من الزجاج ووضع الصندوق واللوح في الحديقة على بعدين متساويين من المكان الذي كان يضع الصندوق اولاً فيهِ وبعد نصف ساعة رأى على العسل الذي على الصندوق كثيراً من النحل واما العسل الذي على لوح الزجاج فلم يهتدِ النحل اليهِ . وكرَّر

هذه التجربة فوجد النحل يذهب الى العسل الذي فوق الصندوق لا الى العسل الذي فوق لوح الزجاج ولكنهُ رأى ان النحل يهتدي الى الصندوق سواءٌ كانت الآلة الموسيقية دائرة او غير دائرة اي سواءٌ خرج منهُ صوت او لم يخرج فلم يكن ارتشادهُ اليهِ بالصوت . ويظهر لنا ان شكل الصندوق هو الذي هدى النحل الى العسل

ومن رأي بعض العلماء ان النمل والنحل يسمعان الاصوات العالية جدًّا التي لا يسمعها الانسان وانهُ ان كان لها اصوات فتكون من هذا القبيل

بمثل هذه المباحث يتسلَّى عظماء الامم الراقية مراقي الفلاح . فبماذا يتسلَّى عظماؤنا يا ترى وهم احوج من غيرهم الى البحث عن شيء مفيد. في المقالةالتالية المعنونة بشرف العمل بيان كافٍ لما آلت اليهِ احوال قومنا وفي التي بعدها مثال ما تفعل الهمم اذا انفكَّت قيود الاوهام

شرف العمل

من المشروعات المفيدة في هذه الديار ما قامت بهِ جمعية "العروة الوثقى" في الاسكندرية من تأسيس مدرسة صناعية نسبتها الى "محمد علي" رأس الأُسرة الخديوية . وقد دبَّت الايام ودرجت الشهور وما برحت الهمم متقاصرة والمبالغ التي جمعت لا تسد عوز النصف ممَّا ينبغي لهذا المشروع الجليل

لا أُشير الى نتيجة هذا العمل على فرض حصولهِ اذ ليس المقام مقام نبوات والمستقبل يكشف القناع عن وجه الحقيقة . وغاية ما ينبغي ان يقال في هذا الباب ان اهل هذه البلاد والمسلمون منهم خاصة لكثرة سوادهم احق الناس بالتوفر على مذاهب المعاش الثلاثة من زراعة وصناعة وتجارة والزهد في الإمارة او الاستخدام لانها ليست بمذهب طبيعي للمعاش

مضت قرون على قومنا حسبوا الخير برمتهِ محصورًا فيهم وان فضل الله لم يؤتهِ ولن يؤتيهُ سواهم وان عندهم كل شيء وان حسن اليقين والتسليم للاقدار يغنيانهم عن تعرُّف كل جديد. اغتروا ويا لضيعة الآمال بظواهر الحال ذاهبين الى ان الاغيار مهما بلغوا من درجات الرُّقي بفضل عقولهم لا يدركون شأو سلف هذه الامة في كل منحى من مناحي الحياة فاكتفوا من ثمَّ بُعلالات هي بالاطفال اليق منها بالرجال وبالامم المائتة اشدُّ علاقة منها بالامم الحيَّة

ولما انسال تيار الغرب على الشرق واستصفى معظمهُ واستباح حمى البقية او كاد اصبح القوم

يشعرون بان تلك الدعاوي الطويلة العريضة على فرض صحتها لا طوَل فيها ولا طائل تحتها وان قد انقضى دور التعزّي بالاقوال اذ هي لا تُغني غناء الافعال بحال من الاحوال

بلغ اهل بعض البلاد هذا المبلغ من الفكر بعد إيقانهم بان من خرق الرأي ثقة المحكوم عليهم بحكامهم في كل شأن من شؤون الحياة لاسيا وقد اثبتت التجارب ان اغلبهم زعماء شهوات لا زعماء نهضات وامراء جبايات لا امراء زراعات وصناعات

نعم ان ما قام من الحضارة في بعض ادوار المالك الاسلامية كان بحسنات ملوك وامراء اوجدوا بعلمهم وعدلهم العالم والعامل فانقلب الامر الى ضدهِ لما قضي عليهم حتى قيل " الدول اسواق يحمل اليها ما يروج فيها " ولكن من قال اننا لم نكن في كل ايامنا اهل اتكال مجسّم ولم يسجّل بان كل ما اتت بهِ الشريعة من الحث على السعي والتعلم لم تأخذ منهُ النفوس الاّ جهد طاقتها ومبلغ حاجتها

حاذَرَ الاسلام من عواقب الكسل فحضَّ على العمل ولم يأمر بالزهادة على النحل والذي عرفهُ المتأخرون المعطلون وجاء حاثًّا على الاخذ من خيري الدارين غير آمر بالخروج عن سنن الكائنات ولولا قواعد سنّت لصلاح العمران ماوجدت في المسلمين من يقوم على زرع ارض او إجادة صناعة وتجارة لكثرة ما دسّهُ المشعوذون من الزهديّات المثبطات والخرافات المضنيات بل ولولا الحاجة الطبيعية الدافعة في بعض اقطار المشرق ما رأيت من يفكر في استخراج البرّ من سنابلهِ او يحسن عمارة المساكن او يعرف نسج الثياب

ولذا ترى اكثر الفقهاء صبغوا القواعد العمرانيّة بصبغة دينيّة فقالوا ان الفلاحة والنساجة والبناية فرض على الكفاية. وقام بعد السلف خلَفٌ وهموا الدخول في غمار العاملين مُزريًا بصاحبهِ ان كان لهُ ما يكفيهِ من حطام الدنيا . وقد اجمع علماء الاجتماع والدين ان كل عمل جسديًّا كان او عقليًّا لا يثلم شرف الآخذ نفسهُ بهِ . وان كلَّ ما ساغ ربحهُ وجوّزهُ قانون لا يُعدُّ الاشتغال بهِ عرَّة في وجوه الاحساب ولا مَضيعة للاستعداد والكفاءات ولا متلفة للقرائح والعقول . قال عليّ كرم الله وجههُ اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول ألهُ صنعة فان قالوا لا سقط من عيني

سرُّ هذا الخراب العظيم الذي تُصاب بهِ البيوتات في مصر والشام احتقارُ الاجداد والآباء للصناعات والزراعات والتجارات واكتفاؤهم من تربية ابنائهم بان يغرسوا في عقولهم حب الاحتفاظ بثرواتهم والاعتماد عليها وان احسن ما يعملونهُ بعد وفاة والديهم الجري على آثارهم . وقد رأينا كثيرين جزعوا من تبديد مخلفاتهم من بعدهم فاوقفوها ولكن ابناءهم وورثتهم نقضوا

ما ابرمهُ اولئك المورّثون وتصرفوا فيها بما شاءوا

ولو علم الآباء والاغنياء منهم خاصة ان خير ذخر يبقونهُ لاولادهم بث الملكات الصحيحة فيهم وان الثروة هي العمل وان الارض لا توجد الثروة ما لم تُبذل العناية في استثمارها واستنباتها وان الثروة ليست عبارة عن نقود ولا امتلاك عقارات وقرى للقَّنوا ابناءهم ما يرتفعون بهِ عن الدنيئة اذا تجرَّدوا يوماً عمَّا يملكونهُ

هذه الثروات الطائلة التي تضمحل كل يوم وتسمع من انبائها عجباً كانت بمأمن من غوائل التبديد لو عرف وارثوها قدر العمل وقيمة المال وطرق اكتسابهِ . وتدارك اهل الغرب من هذه القاعدة فرأينا مئات من بيوتاتهم في المانيا وانكلترا وفرنسا وغيرها من الممالك دامت لها النعمة عدة قرون وبطون على حين لم تدم نعمة بيت في بلادنا الاَّ ثلاثة اجيال في الغالب

ماذا اصاب سكان غربي آسيا وشمالي قارَّة افريقية حتى زهدوا في الصنائع وغالى كبراؤهم في احتقارها فمحقت الاَّ بقايا تدل على القديم دلالة الاثر على مؤثرهِ . وليت شعري هل اضمحلت باسباب خارجية ام داخلية وجدت في جو البلاد من ظلم حكومة واشتطاط قانون وديانة نابذ اهلها من لم يقولوا بقولهم وتمكُّن خرافات في النفوس حتى وصلت الى البلادة . ام عرَتْ اهل البلاد امورٌ طبيعية ربّت فيهم الخمول وعششت الجبر المحض في قلوبهم فطُفئت جذوة العمل من رؤوسهم . وسكان الاقطار الحارَّة على رأي العمرانيين تضعف قواهم العقليَّة والجسديَّة وتغلب عليهم الخفة والطيش فيطربون للجزئيات ويتأثرون بها ولا يبكون للكليَّات ولا يحزنون عليها . وكلما درَّت اخلاف الطبيعة وامرعت اكناف الغبراء بخيرات الخضراء واصبح الرزق ميسوراً اخصب السكان فاستحوذت البطالة على النفوس

فاذا كان هذا هو الداعي لفقدان الصنائع وانحلال الاجسام بحيث بَعُدت عن العمل فلِمَ لم يُصب سكان الشمال الغربي من آسيا وان شئت فقل الشمال الشرقي بما أُصبنا بهِ منذ قرون وبلادهم ليست دون بلادنا بحرارتها متشابهة بطبائع اقاليمها واهلها . وها اننا نرى الفرس وهم اخواننا في الانحطاط لم يزالوا متوفرين على الصنائع شأنهم في القديم وامتازوا بها على مجاوريهم امتياز الانكليز على جميع امم الغرب بميلهم الى الصناعات قديماً وحديثاً مما دعا الى تقدمهم اشواطاً الى الامام فصاروا كالطلائع من جيش المشارقة وغيرهم كالقواعد والمخلفين

ويبلغنا لهذا العهد عن اهل الطبقة العالية في ايران وبخارى والافغان انهم يقضون الساعات في عمل ما من تجارة وحدادة وحياكة ورسم وخط ونقش وحفر وغيرها يتلهون بها ويعوّدون بالمران عليها عضلاتهم وان لم يتوقع اكثرهم منها نفعاً مادياً شأن اغنياء الغرب لعهدنا

فانهُ لا بدَّ لكل واحد منهم ان يختص بصناعة تفيد مجتمعهُ وتسليهِ في وحدتهِ وتروّض جسمهُ وترفع قدرهُ عن نسبة البطالة اليهِ "وغبار العمل خير من زعفران العطلة" . ولعلَّ الفرس ورثوا حب الصناعات فتسلسلت فيهم لانهم من اصل آريّ يجتمعون والسكسونيين في جرثومة واحدة كما يقول الباحثون في اصول الشعوب

ألاَ وان الصناعات ليست كما يعتقدها في بلادنا من أُشربت قلوبهم مقت العمل وربوا في مهاد الاتكال والكسل . فقد مارسها كبار رجال الخليقة وما تقززوا منها وهم ينزعون الى اسمى المطالب وينشدون اشرف الغايات . فقد كان نوح نجارًا وموسى راعيًا ومحمد تاجرًا واصحابهُ كانوا يتاجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم وكان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان بزّازين وعمرو بن العاص جزازًا وسعد بن ابي وقاص يبري النبال وابو حنيفة النعمان خزازًا يبيع الخز وابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية كان على غناهُ يجلب المواشي الى الكوفة والثعالبي صاحب اليتيمة كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب والحريري صاحب المقامات كان يعمل الحرير ويبيعهُ وابن حوقل الجغرافي كان تاجرًا وياقوت الحموي الجغرافي اشتغل بالمتاجر وابو بكر القفال الفقيه المروزي كان ابتداء اشتغالهِ بالعلم على كبر السن بعد ما افنى شبيبتهُ في عمل الاقفال وابو منصور الجواليقي احد الائمة في فنون الادب نسب الى الجواليق وبيعها وابو اسحق الزجاج النحوي كان زجاجًا. وهكذا لو تقصيت سير المشارقة من قبل تجد في علمائهم وامرائهم الفلاَّح والنسَّاج والحائك والفرّاء والخياط والصفار والقصار والمعار والحجار والعطار والبيطار والدهان والسنان

ومثلهم كثير في المغاربة[١] فقد كان من الصنَّاع طاليس رأس الحكماء السبعة وصولون المؤسس الثاني لاثينا وكان افلاطون الحكيم زيَّاتًا يطوف بلاد مصر وسبينوزا الفيلسوف اليهودي عاش بصقل زجاجات المناظر وليبنيوس النباتي تعلم وهو يعمل في السكافة وشكسبير رأس شعراء الانكليز كان يدير الملاعب وداود ريكردو واضع الاقتصاد السياسي كان تاجرًا وبيلي الفلكي كان سمسارًا ويوحنا ستورت ميل الفيلسوف فاحصًا في شركة الهند الشرقية . وتعلم فرغوسن الهيئة وهو مرتدٍ بجلود الغنم على رؤوس التلال وملر درس طبقات الارض وهو يعمل في المقالع. وكثيرون من الاحياء يتجرون ويحترفون فان رئيس جمهورية سويسرا يتاجر بالاقمشة واللورد روزبري كبير وزراء انكلترا لهُ تجارة واسعة ببيع اللبن واللورد لوندندري يبيع الفحم واللورد هارنجتون يبيع الثمار والبقول

لا جرم ان النهوض بالشرق متعذّر ما لم يسعَ اليهِ كبراؤهُ ومتى فكرت الطبقة العالية فيما

(١) راجع كتاب سرّ النجاح لمعربهِ منشئ المقتطف ففيهِ الغنية من اخبارهم

انتهت اليهِ حال البلاد يحسن حال الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ومتى قام في الامة أُناس مثل كمال بك وهدايت باشا وغيرهما من الرجال العاملين يُرجى للشرق بعض الرجاء ان يلحق بشقيقهِ الغرب . واليك مثالاً من حال هذين الرجلين في العلم والعمل

كمال بك رأس النهضة العثمانية الاخيرة وقائد عصابتها واكبر كاتب وشاعر تركي عرف معنى الوطن والوطنية. ومن جملة ما عملهُ في احدى نفياتهِ الى جزيرة رودس ان تقرَّب من بعض معلمي الكتاتيب وطفق يصلح لهم طرق التدريس ويبث الغيرة في قلوبهم وقلوب تلامذتهم من تربية الملكات تربية صحيحة وتلقين العلم النافع ولم تمضِ سنوات حتى تخرَّج بفضلهِ نحو ثلثمائة طالب قاموا بدعوتهِ واهتدوا بهديهِ

وكان من امر هدايت باشا انهُ مرَّ بحلب على ما روى فاضل حكيم ذاهباً الى البصرة والياً عليها فلما كان يطوف ازقة الشهباء بصر فاعلاً يخمر الطين على طريقة صعبة لا يحسن بها فوقف قائلاً للفاعل ما هكذا يعمل الطين واشار اليهِ بكيفية اسهل واحسن فلم يفهمها فما كان من المشير المشار اليهِ الاَّ ان خلع حذاءهُ وسراويلهُ وراح من ساعتهِ يغوص في الطين الى نصفهِ ليعلم العامل كيف يجبل التراب . وصارت القاعدة التي علمهُ اياها مطردة الاستعمال عند كل طيانة حلب الى هذا اليوم

فبمثل هذين الرجلين تحيا العلوم والصنائع وترتقي البلاد بمادياتها ومعنوياتها ومن لنا بامثالهم يؤسسون في كل مدينة وبلدة من بلدان المشرق مدرسة او معملاً للصناعة والزراعة والتجارة . وبعيد علينا محاكاة سابقينا دفعة واحدة فالكون سنن لا يتعداها وللارتقاء مدارج لا مناص من الصعود عليها ينبغي لنا ان ننهض بانفسنا لا بحكامنا ونتشبه بالناجحين ما ساعدت المكنة ونبدأ بالجزئيات لنصل منها الى الكليات

والعالم ميدان جهاد لا تنفع فيهِ الاَّ الحكمة العملية ولا يسبق الاَّ من توفرت لديهم ادوات الكفاح ونفثت في نفوسهم روح العلم . وكنوز السعادة مرصودة لاهل الجلادة والنجادة وسرُّ النجاح مكتوم في بطون الليالي لا يفشى الاَّ لمن تسعهُ صدورهم . وعلى نسبة رجال الامة العاملين يحسن حالها في العالمين . فطوبى لمن بورك لهُ بساعات حياتهِ فانفقها في جلب المنافع ودرء المضار وعرف ان الوقت نقد عزيز والعمر ركاز إبريز فضنَّ بهما وسعى في ايقاظ شرقنا من رقدتهِ المزمنة وإنعاشهِ من صرعتهِ المحزنة

محمد كرد علي

نبأ من اليابان

التجارة

بسطنا الكلام في الجزء الماضي على ركنين من اركان العمران في بلاد اليابان وهما الديانة والتعليم وقلنا ان ديانة اليابانيين تهذب الاخلاق وتدمّث الطباع وتغري بالسعي والجد ولا تمنع ذويها عن مخالطة الغير واقتباس الفوائد منهُ ولا تغرّر بهم فتقنعهم انهم افضل خلق الله جبلة ومعتقدًا . وهي تعلي شأن الفضيلة والهمَّة والبسالة والكرم لان مدارها على عبادة السلف والمرء ميَّال الى وصف اسلافهِ بهذه المحامد والى الاقتداء بهم بعبودهِ . وان التعليم صار اجباريًّا في تلك البلاد حينما سارت في سبل العمران الجديدة . ولا ندري كيف وجدت العدد الكافي من المعلمين ولكن يظهر ان معرفة القراءة والكتابة كانت شائعة فيها قبل نهضتها الحديثة ولذلك لم يتعذر عليها ان تجد اكثر من مئة الف مدرس لمدارسها الابتدائية والعالية

ونأتي الآن الى الكلام على الركن الثالث وهو التجارة . وقد جرت العادة في مثل هذا البحث ان نقدّم الزراعة والصناعة على التجارة ولكن الزراعة قديمة في يابان وقد بلغت حد الاتقان فيها قبل هذه النهضة الجديدة وهذا شأن الصناعة اليابانية التي يعتمد فيها على يد الصانع واما الصناعة التي يعتمد فيها على البخار في المعامل الكبيرة فسيأتي الكلام عليها . وكذلك التجارة قديمة في بلاد يابان كما هي قديمة في غيرها من بلدان المشرق ولكن لا نسبة بين ما كانت عليهِ وبين ما صارت اليهِ بعد النهضة الجديدة . وكأنَّ اليابانيين رأَوا ان مقام الامم يتوقف على ثروتهم وان مصدر الثروة الاصلي الزراعة والصناعة ولكن لا تصير حاصلات الارض ومصنوعات الصنَّاع مالاً ما لم يُتجَّر بها اي ما لم تُرسل الى البلدان الاخرى وتبدل بالنقود او ببضائع تحتاج اليها البلاد فاذا كان زيد يأكل في سنتهِ عشرة ارادب من الحنطة لا غير وغلَّت ارضهُ اربعين اردبًّا ولم يستطع ان يبيع الثلاثين الزائدة عن طعامهِ ولا ان يقايض بها كانت خسارة عليهِ واذا اخذها منهُ تاجر ولم يدفع اليهِ من ثمنها الاَّ نفقات استغلالها لم يكن لهُ نفع منها فيقتصر في السنين التالية على ما يسدُّ رمقهُ ويقوم بكفافهِ وهكذا تضعف الزراعة وتضعف الهمم . وقس على ذلك مصنوعات الصنَّاع فانها اذا بقيت مقصورة على حاجة اصحابها او حاجة اهل بلادهم فلا سبيل الى زيادة ثروتهم منها

هذه الحقيقة ادركها اليابانيون فأنشأُوا الشركات التجارية لكي لا يستأْثر غيرهم بربح تجارتهم بل يكون ربحها لهم وساعدتهم حكومتهم لان نجاحهم نجاحها وفشلهم فشلها . ومن حين نهضوا

نهضتهم الجديدة زادت تجارتهم زيادة لا مثيل لها كما ترى من هذا الجدول . وقد ذكرنا فيهِ قيمة متاجرهم اي الصادر من بلادهم والوارد اليها بالجنيهات الانكليزية

سنة ١٨٦٨	٢٦٠٠٠٠٠	جنيه
« ١٨٧٨	٥٩٠٠٠٠٠	«
« ١٨٨٨	٤٤٣٠٠٠٠٠	«
« ١٨٩٨	٤٩٠٠٠٠٠٠	«
« ١٩٠٠	٥٢٢٠٠٠٠٠	«

ونحو نصف ذلك ثمن الصادرات والنصف الآخر ثمن الواردات اي ان تجارة البلاد الخارجية كانت تساوي نحو مليونين ونصف منذ ثلاثين سنة فصارت تساوي الآن اكثر من خمسين مليونًا فزادت عشرين ضعفًا وهذه الزيادة بالغة جدًّا وهي ليست من ارتفاع الاسعار لان الاسعار هبطت كثيرًا في هذه الاثناء بل من كثرة الصادرات والواردات

والتجارة الصادرة ثابتة وآخذة في النمو لانها مرتبطة ببلدان كبيرة كثيرة المقطوعية كاميركا والصين وانكلترا وفرنسا فتبلغ قيمة الصادر الى الولايات المتحدة الاميركية نحو ستة ملايين من الجنيهات والى هنغ كنغ الانكليزية نحو اربعة ملايين والى بلاد الصين نحو ثلاثة ملايين والى فرنسا نحو مليونين. وموادها التي عليها الاعتماد الاكبر الحرير الخام وقيمتهُ نحو ستة ملايين جنيه والحرير المنسوج وقيمتهُ نحو مليوني جنيه والقطن المغزول وقيمتهُ نحو ثلاثة ملايين جنيه والفحم الحجري وقيمتهُ نحو مليوني جنيه والنحاس وقيمتهُ اكثر من مليون جنيه . وكلها من الضروريات التي لا يستغنى عنها

وهذه التجارة نامية متزايدة في بلدان المشرق اي مع الصين وكوريا والهند ويحسب اليابانيون ان لهم الحق الاول في القبض على زمام التجارة الشرقية لقرب بلادهم من بلدان المشرق ولرخص مصنوعاتهم حتى ان منسوجاتهم القطنية تباع في بلاد الصين بارخص مما تباع بهِ المنسوجات الصينية

ورجال اليابان ينظرون الى مستقبل بلادهم من هذا القبيل بعيون ملؤها الامل وقلوب طافحة سرورًا كيف لا وهم يحسبون انهم سيقبضون على زمام تجارة المشرق حتى لا يبقى لهم مناظر فيهِ ويكون شأنهم في بحارهِ شان الانكليز في بحار المسكونة

قال احدهم البارون مبوساوى للمستر ستد " ارى اننا قد صرنا الآن اقدر من غيرنا على اقامة اسواق المشرق ولو اقتصرت تجارتنا على المقايضة. مثال ذلك اننا نجلب من كوريا الارزّ

والفول والجلود والعظام ونرسل اليها المنسوجات القطنية والحريرية ونحو ذلك مما تحتاج اليهِ وستتحول تجارة البلدان الشرقية الى يدنا كما يحق شرعي. ولا اظن انهُ يسهل علينا ان نناظر الاوربيين والاميركيين في اسواقهم لان آلاتهم ترخص المصنوعات كثيرًا ولان الصانع الياباني حديث العهد في استعمال الآلات واتقان الصناعات فلا يستطيع ان يباري الصانع الاوربي والاميركي ولو كانت اجرتهُ رخيصة. وسيمرُّ علينا جيلان او ثلاثة قبلما يصير صنّاعنا مثل صناعكم مهارة وفي غضون ذلك يكون اصدار بضائعنا الى بلادكم خامًا اربح لنا من عمل المصنوعات منها وارسالها اليكم مصنوعةً . ونحن نصدر الآن الى اوربا واميركا شايًا وارزًّا وحريرًا وفحمًا ونحاسًا وخزفًا . وارجو واتوقع ان يأتي الزمن الذي نناظر فيهِ امم الارض بمصنوعاتنا ولكنهُ لا يزال بعيدًا بحكم الضرورة"

وقال باماموتو مدير بنك يابان . "لا تزال بلادنا حديثة العهد بالتجارة ولكن وسائلها ميسّرة للصناعة وستكفي حاجتها من المصنوعات وترسل ما يفيض عنها الى الصين وسائر اسواق المشرق لرخص ثمن الفحم فيها وبخس اجور العمال ولان فيها كل وسائل النقل وقد ثبت لنا ذلك من نمو معامل الغزل والنسج في السنوات العشر الاخيرة"

ومتى كبرت نفوس الناس حتى لا يقنعوا بالقليل ولا يتوكلوا وجدوا مذاهب الرزق مفتوحةً امامهم وان سدّت فتحوها بعزائمهم "ومن خطب الحسناء لم يغلها مهر" ولله درُّ ابن هانىء حيث قال

ولم اجد الانسان الاَّ ابن سعيهِ فمن كان اسعى كان بالمجد اجدرا

وقد قلنا في صدر هذه المقالة ان تجارة البلاد لا تكون رابحة الاَّ اذا كانت في يد ابنائها فالقطر المصري مثلاً تبلغ قيمة تجارتهِ في السنة نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات لكنهُ قلما يستفيد منها غير ثمن الحاصلات الاصلي واما الفضلة التجارية التي تزاد على ثمن المواد الاصلية وتبلغ بضعة ملايين من الجنيهات فتذهب الى التجار الاجانب وشركات السفن البخارية . قابل بين ذلك وبين وما فعلتهُ اليابان تجد ان الفرق بينها وبيننا كالفرق بين الثريا والثرى وايضاحًا لذلك نقول

كانت بلاد يابان في سالف عهدها تتجر مع الصين وكوريا وكان فيها سفن كثيرة لهذه الغاية وكلها صغير من ذوات الشراع ثم جاءها بعض الرهبان من اوربا واحدثوا شغبًا فيها فاضطرت ان تطردهم من بلادها وان تمنع بناء السفن الكبيرة التي تستطيع عبور البحر واقتصرت على بناء الزوارق الصغيرة التي لا تبعد عن الشاطىء . ووصلت اليها البواخر الانكليزية والروسيّة في غضون ذلك فلم تسمح لمن فيها في النزول اليها الى ان جاءها القومندور بري بالاسطول

الاميركي على ما تقدَّم واضطرها الى فتح بعض موانيها للسفن الاجنبية وكان ذلك سنة ١٨٥٤ ثم لما سارت في نهضتها الحديثة رأَت ان لا بدَّ لها من ان تقبض على زمام تجارتها والاَّ افلتت من يدها فهبّت الى بناء السفن الشراعية والبخارية ونشأَت فيها شركة من اعظم شركات الدنيا الملاحية كان عندها في الصيف الماضي ٦٧ سفينة بخارية كبيرة محمولها ٢١٢٥٨٣ طنًّا وكانت تبني خمس سفن اخرى محمول الواحدة منها ستة آلاف طن. وكل اعضاء هذه الشركة من اليابانيين وكل اموالها منهم فليس لاجنبي سهم فيها

وكان عدد السفن المبنيَّة على النسق الاوربي سنة ١٨٧٧ نحو ٢٦٠ سفينة ومحمولها ٢٩٧ ١٣٣ طنًّا فزاد في السنوات التالية على ما ترى في هذا الجدول

سنة	السفن البخارية	محمولها	السفن الشراعية	محمولها
١٨٩٦	٠٨٩٩	٢٣٣٩٤١ طنًّا	٦٤٤	٤١٤٤٥ طنًّا
١٨٩٧	١٠٣٢	« ٢٣٨٧٧٩	٧١٥	« ٤٨١٣٠
١٨٩٨	١١٣٠	« ٢٩٠٥٤٤	١٩١٤	« ١٥٩٩٤٨
١٨٩٩	١٢٢١	« ٣١٥١٦٨	٣٣٢٢	« ٢٦٩٠٣٢

والزيادة مضطردة ففي سنة ١٩٠٠ بلغ محمول السفن البخارية ٥١٧٤٠٧ اطنان ومحمول السفن الشراعية ٣٠٠٨٣٩ طنًّا

وانظر ماذا فعلت حكومة اليابان اغراءً لاهاليها بمجاراة الاوربيين في هذا السبيل. ساعدت اهل الملاحة بكل واسطة ممكنة وقرَّرت سنة ١٨٩٩ اعطاءهم مساعدة مالية عشر سنوات متوالية وكان المبلغ الذي قرَّرت انفاقهُ سنة ١٩٠١ في سبيل مساعدة الملاحة ٦٩٠ الف جنيه وهو مقسوم هكذا نحو ٢٩ الف جنيه لمساعدة الملاحة المحلية و ٨٠ الف جنيه للمساعدة في انشاء شركات الملاحة و ٥٦٠ الف جنيه لمساعدة الشركات التي ترسل سفنها الى الجهات البعيدة كاوربا واميركا ونحو ٢٨ الف جنيه للمساعدة في بناء السفن

ورأس مال الشركة التي اشرنا اليها آنفًا مليونان ومئتا الف جنيه . وخمس عشرة سفينة من سفنها محمول كلٍّ منها اكثر من ستة آلاف طن. وتسع محمول كل منها اكثر من ثلاثة آلاف طن . وخط من سفنها يسير كل اسبوعين بين يوكاهاما وانفرس ولندن ويمر على الصين وملقا. وخط يسير من هنغ كنغ ويذهب الى غربي اميركا ثم يعود الى شنغاي واليابان . وخط ثالث يجري بين اليابان واستراليا عدا خطوط كثيرة بين اليابان والهند . والخدمة في هذه السفن مثل الخدمة في السفن الاوربية والاميركية وهي تسع ١٢١٨ راكبًا في الدرجة الاولى

و ٧١١ راكباً في الدرجة الثانية و ١٠٠١٦ راكباً في الدرجة الثالثة واكثر رؤسائها حتى الآن من الاوربيين والاميركيين ولكن اليابانيين باذلون جهدهم لا بدالهم برؤساء منهم حالما يتأهلون لذلك وقد ابدلوا بعضهم الآن

وفي بلاد يابان شركة ملاحيَّة أُخرى اصغر من هذه عندها ثلاث سفن بخارية كبيرة تجري بين هنغ كنغ وسان فرنسسكو باميركا ويقال ان كثيرين من السيَّاح الاميركيين يفضلونها على السفن الاميركية والانكليزية القديمة . وفيها شركة ثالثة لا تخرج سفنها من البحار الشرقية وميدان التجارة واسع امامها هنالك.

وكانت السفن الكبيرة تبنى في اوربا اما الآن فصار اليابانيون يستطيعون بناء السفينة التي محمولها ستة آلاف طن ورغَّبتهم الحكومة في ذلك لانها جعلت مساعدتها للسفينة المبنية في بلادها مضاعف المساعدة التي تعطيها للسفينة المبنية في غيرها . ولا يزال جانب كبير من تجارة يابان يحمل بالسفن الاجنبية ولكن ما يحمل بالسفن اليابانية يزيد زيادة بالغة كل سنة وما يحمل بالسفن الاجنبية يزيد زيادة قليلة ففي سنة ١٨٩٥ كان عدد السفن البخارية التي دخلت مرافئ اليابان ١٨٦٣ ومحمولها ٨٣٩ ٢٧٤٩ طنًّا وكان عدد البواخر اليابانية منها ١٢٦ ومحمولها ٩٣٥٠٥٠ وفي سنة ١٩٠٠ بلغ عدد السفن البخارية كلها ٥٣٣٠ ومحمولها ٩٦٠٦٧٥٢ طنًّا وكانت البواخر اليابانية منها ٢٦٤٥ ومحمولها ٦٥٧ ٣٣٩٣ طنًّا اي كان محمول البواخر اليابانية جزءًا من ثلاثين من محمول البواخر كلها فصار في خمس سنوات جزءًا من ثلاثة فكأنهُ نما عشرة اضعاف ما نما غيرهُ . واذا استمرَّت البلاد على هذا النمو لا يمضي عليها عشر سنوات اخرى حتى تصير اكثر تجارتها الخارجية في يد ابنائها و ينتقل اليهم جانب كبير من تجارة اوربا واميركا

ورب قائل يقول ترى هل زادت ثروة البلاد من هذا التوسُّع في المتاجرة ومما جرى مجراهُ من انشاء المعامل ونحوها. والجواب ان رأس مال بنوك يابان كان سنة ١٨٩٤ نحو ١٠ ملايين جنيه والودائع فيها كانت نحو ١٣ مليون جنيه فبلغ رأس مال بنوكها سنة ١٨٩٩ نحو ٢٩ مليون جنيه والودائع فيها ٧٥٠ مليون جنيه فمن اين اتى هذا المال الوافر الى بنوك اليابان ولاسيما الودائع فان بنوك انكلترا على غناها ليس فيها من الودائع سوى ٦٢٥ مليون جنيه. وسنعود الى موضوع المالية في فصل آخر

ولاهتمام اليابان ببناء السفن التجارية فائدة اخرى وهي ان ابناءها تدربوا فيها على ركوب البحار فسهل عليهم ركوب البوارج الحربية واستخدام سفنهم لتعبئة الجيوش فصارت اليابان بذلك دولة بحرية عظيمة تحالفها اعظم دول الارض البحرية

خرائب الشام

مدينة عمَّان ووادي موسى

مدينة عمَّان قصبة بني عمون شرقي الاردن على نحو مرحلتين من القدس كان اسمها ربة بني عمون وكان لها شأن كبير في الزمن القديم. لما مات ناحاش ملكها وملك حانون ابنهُ ارسل النبي دواد ملك بني اسرائيل وفدًا لتعزيتهِ فلم يكرم الوفد بل اوجس منهم خيفةً وحلق لحاهم وقص اذيالهم فاغتاظ داود منهُ وحاربهُ سنتين الى ان فتح ربة عاصمتهُ وقتل اهلها واخذ تاجهُ عن رأسهِ ووزنهُ وزنة من الذهب مع حجر كريم

وعاد بنو عمون فشادوا قصور ربَّة واعلوا اسوارها فتنبأ عاموس النبي قائلاً اضرم نارًا على سور ربَّة فتا كل قصورها. ودخلها الفرس وهم نازلون الى مصر ثم وقعت في يد البطالسة فسماها بطليموس فيلادلفس فيلادلفيا واشتهرت بهذا الاسم زمانًا طويلاً وكانت من المدن العشر شرقي الاردن . وحاصرها انطيوخس الكبير سنة ٢١٨ قبل الميلاد وكانت جنود بطليموس فيلوباتر فيها فعجز عن فتحها الى ان دلهُ واحد من الاسرى على مجرى الماء اليها فقطعهُ واضطرها الى التلسيم

وعظم شأن هذه المدينة في عهد الرومانيين وبنوا فيها المباني الكثيرة التي لا تزال اطلالها الى الآن شاهدة بما كانت عليهِ من الفخامة والرونق وبما كان لاهلها من الثروة والجاه . وكل الاطلال يونانية او رومانية الاصل الأ القلعة فانهُ يظن انها قديمة من قبل ايام الرومانيين ولعلها من عهد بني عمون

وتنصَّر اهل عمَّان مع غيرهم من اهالي مدن الشام وصارت مدينتهم كرسي اسقف ولا تزال جدران كنيستها قائمة على جانب النهر (الزرقا) وفي حجارتها روابط من الحديد او النحاس لتوثيقها او لالصاق النقوش بها واعمدتها من الرخام الابيض من الطراز الايوني وهي مصروعة الآن على الثرى مكسَّرة ومبعثرة والى جانبها كنيسة اخرى كان لها برج او هو ما ذنة اضيفت اليها لما حوّلت جامعًا ولا تزال جدرانها قائمة

وعلى مقربة من ذلك حصن لهُ برجان كبيران مستديران بينهما سور من حجارة كبيرة منحوتة مقرنصة من قبل عهد الرومانيين وصلة على اربع اقواس الواحدة منها فوق الاخرى تصل بين الخندق وباب الحصن اما داخل الحصن فخراب الأ الجدار الشرقي فانهُ لا يزال قائمًا وفيهِ محاريب للتماثيل ونقوش كورنثيَّة وداخل الحصن اعمدة كبيرة كان سقفهُ مستندًا عليها

ويتلو الحصن هيكل كورنثي بديع الصنعة لهُ في جانبهِ الغربي ثلاثة ابواب حول الاوسط منها نقوش من الطراز المصري . وعلى الجانب الآخر من النهر معمَّد فيهِ احد عشر عموداً لا تزال ثمانية منها قائمة وتيجانها كورنثية

وهناك مشهدان الصغير منهما لا تزال جدرانهُ قائمة لكن داخلهُ خراب مملوءِ بالانقاض والاعمدة المكسرة والكبير من اكبر مشاهد سورية وافخمها واجملها قطر ساحتهِ ٤٥ خطوة حولها المقاعد ٤٣ صفًّا الواحد فوق الاخر كاهلَّة متراكزة

اما القلعة فعلى شاهق يعسر الصعود عليهِ وهي قسمان احدهما ارفع من الآخر والقسم المرتفع مساحة سطحهِ عدة افدنة مغطاة بالانقاض وفيهِ صهريج كبير والى جنوبيهِ بناءٌ مربع ظنهُ الماجور كندر من عهد الفرس (بني ساسان) او من عهد العرب .والى غربي القلعة كثير من الاعمدة الكبيرة باقية من آثار ما كان فيهِ من الابنية

وحول المدينة ابراج كثيرة كانت مدافن لعظمائها مبنية بالحجر النحيت وفيها نواويس الموتى

كنا نحسب ان ما وصلت اليهِ يد الدهر من التخريب والتدمير نقف عندهُ وانهُ اذا صلحت حكومة البلاد تقام فيها ادارة تراقب آثارها القديمة وتهتم بحفظها فلا نفقد الاثر بعد العين . ولكننا كنا نطالع مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قبيل كتابة هذه السطور فعثرنا في الجزء الاخير منها على مقالة لاحدى السيدات الانكليزيات زارت بلاد الشام منذ عهد قريب ووصفت البلاد الواقعة شرقي الاردن وخرائب عمان في جملتها وهاك ترجمة ما قالتهُ

" نزل الشراكسة في هذه البلاد منذ بضع عشرة سنة وبنوا قراهم على ضفتي نهر الزرقاء (اليبوق) ونواصرهِ بعد ان هجر السكان هذه الانحاء منذ اكثر من الف سنة ودبَّت الحياة في مدينتي اليونان عمان وجرش وقامت اكواخ الطين بين اعمدة الشوارع القديمة وتحولت اروقة المشاهد الى مساكن ومخازن وشقَّت المحاريث ساحات الاندية وصارت الحمامات حظائر وبيادر. ولا شان لتلك الآثار عند الشراكسة فلا يحسبونها سوى محاجر يقتلعون الحجارة منها فتجد في جدران مبانيهم تيجان العمُد الكورنثيَّة وسوقها المضلَّعة وتجد امام اكواخهم مذابح المرمر المنقوش يستخدمونها موائد يأكلون عليها ونُصُب الرخام يدقون عليها الحبوب والكتابة اليونانية التي عليها تطمسها اقدام نسائهم واولادهم "

لما قرأنا هذه السطور صفقنا صفقة الاواه وقلنا لقد عجز الدهر عن ان يفجعنا بالاثر بعد العين ولكن ما عجز عنهُ لم يعجز عنهُ بنو الانسان . افليس بين رجال دولتنا العلية مَن تأخذهُ الشفقة على آثار العمران والحمية على مجد الاوطان فينادي بصوت يسمعهُ اهل الحل والعقد

ويمنع يد المخرب عن العبث بما بقي من هذه الاطلال . لقد بعث الينا احد نوابغ الاتراك بالصورة الفوتوغرافية المنشورة في صدر هذه المقالة وحبذا لو بعث الينا بصور غيرها من تلك المدينة لعلَّ منظرها يغري احدًا بحفظها اذا وجد الى ذلك سبيلاً

ومن الصور الفوتوغرافية التي صوَّرها ذلك النابغة العثماني وبعث بها الينا لنشرحها لهُ ولقراء المقتطف صورة خزنة فرعون في وادي موسى وهي التي كانت معروفة عند اليونان والرومان باسم بترا ولعلها البتراء التي ذكرها ابن هشام في غزوة النبي لبني حيان حيث قال انهُ سلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقهِ الى الشام ثم على تخيض ثم على البتراء . وقد وصفنا هذه المدينة واهلها الانباط الذين بنوها في المجلد العشرين من المقتطف ولا بأس باعادة شيء مما ذكرناهُ هناك وهو

"وكانت البتراء للادوميين ثم تغلَّب عليها النبط جاؤوها من العراق العربي وكانوا اهل حضارة وتجارة ولغتهم كالارامية وحروفها كالحروف الكوفية والمظنون ان الحرف الكوفي مشتق منها . وجاء في التواريخ القديمة ان انتيغونس احد قوَّاد الاسكندر المكدوني الذي توفي سنة ٣٠١ قبل المسيح بعث حملتين على النبط في بتراء بعد ما استولى على سورية وفلسطين الاولى بقيادة قائد اسمهُ اثينيوس فهاجم بتراء سنة ٣١٢ قبل المسيح ورجالها غائبون عنها في سوق عمومية وغنم منها غنيمة وافرة من المر واللبان وخمس مئة وزنة من الفضة ولما عاد اهلها ورأوا ما حلَّ بهم اقتفى اثرهُ ثمانية آلاف منهم وبيَّتوهُ وقتلوا اكثر رجالهِ . والحملة الثانية بقيادة ابنهِ ديمتريوس وبلغ خبرهُ النبط فامتنعوا عليهِ ولم ينلهم منهُ مكروه

"وذكر سترابو المؤرخ النبط في ايام اغسطس قيصر فقال ان عاصمتهم بتراء وقد سميت بذلك لان الصخور تحيط بها من كل ناحية وفيها مياه غزيرة لسقي بساتينها واكثر الارض حولها قفار ولا سيما في ما يلي اليهودية وكان تجار الهند والعرب يأتونها ببضائعهم وينقلونها من هناك الى العريش وزادت هذه التجارة في ايام الرومان فاختطوا طريقًا لها من ايلة الى بتراء فدمشق وطريقًا اخرى من بتراء الى اورشليم وعسقلان وثغور الشام

"واتى الفيلسوف اثينادورس صديق سترابو الى بتراء واستوطنها مدة ورأى فيها كثيرين من الرومانيين وغيرهم من الغرباء وكانوا مستوطنين فيها

"وذكرها بلينيوس في القرن الاول المسيحي وقال ان النبط يسكنون مدينة اسمها بتراء في وادٍ اقل من ميلين اتساعًا يحيط بها جبال لا تُسلك وفيها نهر جارٍ

"وقال يوسيفوس ان الاسكندر ملك اليهود حارب عُبيد ملك العرب (سنة ٩٣ قبل المسيح) وكان عبيد قد اقام لهُ كميناً في وعر عسر المسالك في الجولان فدخل الاسكندر وادياً عميقاً هو ورجالهُ ولم ينجُ منهُ الاَّ بشق الانفس

"ثم ذكر كيفية استيلاء ملوك النبط على دمشق فقال ان انطيوخس آخر ملوك السلوقيين قصد الحرث ملك بتراء فابعد الحرث من وجههِ اولاً الى حيث تمكنهُ البلاد من مناجزتهِ ثم انقلب عليهِ بغتةً بعشرة آلاف فارس من فرسانهِ فكاد جنود انطيوخس يولون الادبار ورأى منهم ذلك فاسرع الى لم شعثهم وتشديد عزائمهم فاصابتهُ ضربة قضت عليهِ وتفرق شمل رجالهِ بعدهُ وانهزم الذين نجوا منهم الى قرية قانا فماتوا جوعاً . وكان اهالي دمشق يكرهون بطليموس فدعوا الحرث ملك العرب وملكوهُ عليهم

"وخضعت البتراء للرومانيين في عهد تراجنس في اوائل القرن الثاني للمسيح وسماها سكانها باسم ادريانس اكراماً لهُ وضربوا نقودهم باسمهِ . ثم ذكرت في القرن الرابع والخامس والسادس وحضر مطرانها جرمانوس في المجمع السلوقي سنة ٣٥٩ . ومطرانها ثيودورس في المجمع الاورشليمي سنة ٥٣٦ ولم يبقَ منها الآن الا شيء من مدافنها وهياكلها وكلها منحوتة في الصخر على جانبي الوادي وهي من اعجب ما صنعهُ الناس كما ترى في الصورة المدرجة في صدر هذه المقالة"

والظاهر ان النبط كانوا يسمون بتراء سلعاً ومعناهُ الشق في الجبل لانها شقٌّ في جبل فحسب اليونان والرومان ان معناها الصخر وسموها بترا . وابتدأ خرابها من حين قامت تدمر وعظم شانها وانتقلت طريق التجار اليها . ولما تنصَّر اهالي مصر وابطلوا تحنيط موتاهم زاد شأنها ضعفاً لانهُ كان لاهاليها تجارة واسعة بالموميا الذي كانوا يحملونهُ من بحيرة لوط الى القطر المصري

والبناء المرسوم في صدر هذه المقالة ليس بناء بل هو نقش في صخر وردي جميل وقد ابدع النقاشون فيهِ ما شاؤوا فجاء كاجمل المباني الرومانية . واكثر آثار هذه المدينة الباقية الى الآن منحوت في الصخر كما تقدَّم ويدل على ان اصحابهُ كانوا على جانب عظيم من استفحال العمران ورفاهة العيش ولا عجب في ذلك لان سكانها كانوا تجاراً والثروة والرفاهة ابنتا التجارة . وكانوا في اول امرهم يقتصرون على التجارة ولا يهتمون بالزراعة ثم لما ضعف شان تجارتهم عادوا الى الزراعة لكنهم لم يفلحوا فيها كثيراً ولا عبرة بكتاب الفلاحة النبطية الذي ينسب اليهم لانهُ ليس لهم بل هو موضوع على الراجح في نحو القرن العاشر للميلاد

والظاهر ان هذه البقعة سميت وادي موسى حسبان ان موسى الكليم شق الصخر فيها واجرى منهُ الماء لبني اسرائيل على ما جاء في التوراة

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ٤ ﴾

الاحتجاج بأنَّ الشعر يؤخذ شاهدًا تاريخيًا

والشعر في الجاهلية كثير الروايات والاخبار يروي شاعر القبيلة ما عليها وما لها ويقصُّ اخبار الملوك على غاية من السداد والتحقيق فمن ذلك ما جاء في شعر أُمية بن ابي الصلت في رواية استخلاص سيف بن ذي يزن الحميري ملك آبائهِ التابعة من الحبشان وهو قولهُ

لا تطلب الثار الاَّ كابن ذي يزنٍ — اذ خيَّم البحر للاعداء احوالا
وافى هِرَقْلَ وقد شالت نعامتهُ — فلم يجدْ عندهُ النصر الذي سالا[1]
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرةٍ — من السنين يهين النفس والمالا[2]
حتى أتى ببني الأَحرار يقدمهم — تخالهم فوق متن الارض اجبالا
بيض مرازبة غلب أَساورةٌ — اسدٌ تربّتْ في الغيطان اشبالا[3]

فانظر يا رعاك الله كيف ذكر هذا الشاعر رحلة الملك سيف وما اعترضهُ من المثبّطات وثباتهُ على السعي عشر سنوات واستصراخهُ كسرى لما رأى اغفال امرهِ عند قيصر ثم فوزهُ بالملك اخيرًا . ولعمري ايستطيع المؤرخ ان يجمع في اقل من هذه العبارات ما اوردهُ هذا الشاعر في ابياتهِ. ولو وازنَّا بمعيار التعقُّل بين قول مؤرّخٍ مَّا لهذه الحوادث وهذا الشاعر فيا ليت شعري مَن يكون الأَثبت رواية والاصدق عهدة. اقائل بحضرة الملك عن ذاك الملك نفسهِ انهُ عاذ بالقيصر هرقل فلم يفز بطائل ثم لجأ الى كسرى فأمدَّهُ بالرجال. ام ناقلٌ عن رواةٍ لا مندوحة لنا مهما وثقنا بصحة روايتهم من ان نقرَّ ان هذا الشاعر كان اقرب الى ذاك الملك منهم واعرف بحالتهِ

وأَتبرَّأُ الى القارئ اللبيب من ان اكون ممن يذهب الى احلال الشعراء مراتب الاولياء واعتبار كلامهم مُنزَلاً لا اثر بهِ لهوى النفس ولا وجهَ للقول بأنَّ فيهِ تحاملاً . ولكنني ابوِّئ الشعراء مكانة اصدق المؤرخين وما من مؤرّخ خلت اقوالهُ من مغامز. ولدى المقايسة نجد ان كثيرًا من المؤرخين أَضرَبُوا عن تدوين ما يشين أُمتهم واما الشعراء فكثيرًا ما اثبتوا ما عليهم

---

(١) شالت نعامتهُ مات وسال مسهل سأل (٢) انتحى قصد (٣) المرازبة جمع مرزبان وهو رئيس الفرس والغيطان جمع غوط وهو المطمئن الواسع من الارض

ولو جرَّ غضاضة على اقدارهم لإيثارهم الصدق على الكذب . ولنا شواهد عديدة تؤيد ما قلناهُ من ذلك قول ورقاء بن زهير العبسي

رأيتُ زهيرًا تحت كلكل خالدٍ فاقبلت اسعى كالظليم ابادرُ [1]
فشُلَّت يميني يوم اضربُ خالدًا وشلَّت ثناياها وشلَّ الخناصرُ [2]
ويا ليتني من قبل ايام خالدٍ ويوم زهيرٍ لم تلدني تماضرُ [3]
فطرْ خالد ان كنت تسطيع طيرة ولا تقعنْ الا وقلبك حاذرُ

فان قولهُ هذا اقرار بالفشل ومن روى عن نفسهِ الخذلان في مطلبهِ جدير بنا ان نصدِّقهُ اذا روى الغلبة لخصمهِ . وكذلك يقول وعلة بن عبد الله الجرمي

ولما سمعتُ الخيل تدعو مقاعسًا تطلَّع مني ثغرة النحر حائرُ
نجوتُ نجاءً ليس فيهِ وتيرة كأني عقاب دون تيمن كاسرُ

فهذا اقرار صريح بانهُ فرَّ من معمعة الهيجاء وهو اكبر العيوب عند العرب ومع ذلك فانهُ لم ينكر التحافهُ بهِ . وقد شهد عامر بن الطفيل لاعدائهِ بالمنعة حيث قال

تقول ابنة العمري مالك بعد ما اراك صحيحًا كالسليم المعذَّبِ
فقلتُ لها همي الذي تعرفينهُ من الثار في حيي زبيد وأرحبِ
ان أغزُ زبيدًا اغزُ قومًا اعزَّةً مراكبهم في الحي خير مراكبِ
وان اغزُ حيَّي خثعم فدماؤهم شفاءٌ وخير الثار للمتأوِّبِ

وقد شكا عمرو بن معدي كرب من قومهِ حيث قال

فلو أنَّ قومي انطقتني رماحهم نطقتُ ولكنَّ الرماحَ اجرَّتِ

واعترف فروة بن مسيك المرادي باندحار قومهِ واعتذر لهم بقولهِ

فان نغلب فغلَّابون قدمًا وان نغلَب فغير مغلَّبينا [4]
وما ان طبنا جبنٌ ولكن منايانا ودولة آخرينا

وذكر زفر بن الحارث بن معاوية الكلابي بأس اعدائهِ واقرَّ بالغلبة لهم حيث قال

فلمَّا لقينا عصبة تغلبية يقودون جردًا بالاعنَّة ضمَّرا
سقيناهمُ كاسًا سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت اصبرا
وكنَّا حسبنا كلَّ بيضاء شحمة عشية لاقينا جذام وحميَرا

(١) الكلكل الصدر او ما بين الترقوتين والظليم الذكر من النعام (٢) شلت الخ دعاء عليها ان تيبس
(٣) تماضر اسم امه (٤) المغلب المغلوب المرة بعد الاخرى

وهذا يخالف ما ورد في شعر النابغة الجعدي وقد قال

فلمّا قرعنا النبع بالنبع بعضهُ ببعض أبتْ عيدانهُ ان تكسرا(١)
سقيناهمُ كأساً سقونا بمثلها ولكننا كنّا على الموت اصبرا

وممَّا يروى للعباس بن مرداس السلمي ويُعدُّ من باب المنصفات قولهُ

سمونا لهم سبعاً وعشرين ليلة نجوب من الاعراض قفرًا بسابسا
فلم أرَ مثل الحيّ حيًّا مصبَّحًا ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
اكرَّ واحمى للحقيقة منهمُ واضربَ منَّا بالسيوف القوانسا(٢)
اذا ما شددنا شدَّة نصبوا لنا صدور المذاكي والرماح المداعسا(٣)
وكنتُ امام القوم اول ضارب وطاعنتُ اذ كان الطعانُ تخالُسَا(٤)
ولو مات منهم من جرحنا لاصبحت ضباع باكفاف الاراك عرائسا
فان تقتلوا منا كميًّا فاننا أبأنا بهِ قتلى تُذِلُّ المعاطسا
قتلنا بهِ في ملتقى القوم خمسة ومن بعدهِ زدنا مع القوم سادسا
وكنَّا اذا ما الحرب شبَّت نشبُّها ونضربُ فيها الابلج المتقاعسا(٥)

وقد بلغ هذا القول الى عمرو بن معدي كرب خصم القائل فما انكرهُ واجاب

اعبَّاس لو كانت شيارًا جيادنا بتثليث ما ناصبتَ بعدي الاحامسا(٦)
لدسناكمُ بالخيل من كل جانب كما داس طباخ القدور الكرادسا(٧)

وقد نجد هذا الانصاف في شعر المهلهل عدي بن ربيعة التغلبي حيث يقول

فانا غدوة وبني ابينا بجنب عنيزة رحيا مُديرِ

وما نجدهُ في اقوال هؤلاء الشعراء من الاقرار بشجاعة اعدائهم وانصافهم لا نراهُ في اسفار المؤرخين من يونان ورومان فان اولئك المؤرخين يحيفون على اخصامهم كل الحيف ويرمونهم بكل داهية نآد . فالاستشهاد باقوال الشعراء حيث وُجد نَصٌّ قامت الدلائل على انهُ مُرسلٌ عن قوس خلو الغرض او امكن استخراج ذلك المضاد من القرائن المقبولة عقلاً يكون اولى من

---

(١) النبع شجر تتخذ منهُ القسيُّ (٢) اكر اي لا اكر. واضرب اي ولا اضرب والقوانس جمع قونس وهو اعلى الراس (٣) المداعس جمع مدعاس وهو الرمح الذي لا ينثني (٤) من خالسهُ اي اعجلهُ (٥) الابلج المشرق وهو يريد الرئيس بالمتقاعس المتأخر ويمكننا ان نفهم من هذا البيت ان قادة الحرب عند العرب كانوا يقضون في المدخرة حين اشتباك الحرب (٦) شيارًا اي سمانًا قوية (٧) الكردوس كل ملتقى عظمين كذا جاء في خزانة الادب للبغدادي وفي المعاجم للكردوس معنى آخر وهو كل عظم عظمت غضبنهُ اي شمط واخذ ما عليهِ والطباخ يغلب ان تكون العظام ملقاة تحت قدميهِ

الوثوق بقول مؤرخ متأخر الزمان مهما كان ثقة في روايتهِ وخبيرًا بحل طلاسم الآثار الطامسة

وبهذا القدر كفاية من ايراد النتائج المستخلصة من اقوال الشعراء على الطريقة الاولى وهي طريقة الجمع وسنورد ابحاثًا اخرى على الطريقة الثانية اي طريقة التنسيق

امين ظاهر خيرالله

عروسة النيل

الفصل الحادي والثلاثون

وا شقاء المحبين انهم لا يكادون يذوقون طعم الهناء حتى تفاجئهم التعاسة من حيث لا يدرون فقد كان اوريون يستسهل الموت في سبيل مرضاة محبوبتهِ ويتمنى لو تعرض لهُ فرصة تمكنهُ من ابداء شهامتهِ ومروءتهِ وشدة اخلاصهِ في حبها وهو يحسب ان السعادة بسمت لهُ بعد عبوسها واشرق كوكب سعدهِ بعد غروبهِ لكنهُ لم يكد يخرج من بستان روفينس حتى اسودَّ الضياء في عينيهِ ورأى خيبة الامل ماثلة امامهُ فاستغرب هذا الانقلاب وعجب لباولين كيف فسحت مجالاً في قلبها للريب ففرَّق ثالث بينهما كما فعلت الرئيسة تلك الراهبة التي ناصبتهُ العداوة يوم عقد النية على المجازفة بحياتهِ ومالهِ سعياً لانقاذها وانقاذ من في ديرها فقابلت معروفهُ واحسانهُ بالطعن فيهِ وتحويل قلب باولين عنهُ فكاد يصيبهُ مسٌّ من الجنون ولولا وعدهُ لروفينس بان يشاركهُ في سفرهِ لاقلع عن عزمهِ في تلك الساعة ولما بلغ البيت اسرع الى غرفتهِ واستلقى على مقعدٍ وهو يضرب اخماساً لاسداس وتمثلت لهُ باولين باكية شاكيةً مترددة فاستاء لترددها وطفق يفكر في وسيلة ترجعها عن غيّها ولمَّا اعياهُ الامر نهض ومشى الى غرفتها فرأى قيثارتها مسندة الى الجدار فتناولها ونقر عليها لحنًا فلم ترقهُ رنَّتها فطرحها من يدهِ واخذ قيثارتهُ فعزف بها عزفًا دلَّ على ما كان يجيش في صدرهِ من الحبّ والغضب والقهر وكان نقرهُ شديدًا لما هاجهُ من واقعتهِ مع حبيبتهِ فلم ينتهِ من الدور حتى انكسر عامود القيثارة وحينئذٍ طلع عليهِ كاتبهُ فقال

— اتى رسول بهذا اللوح وفيهِ ان يوستينوس وقرينتهُ في منف ويطلبان اليك ان توافيهما الى الفندق فلهما معك حديث ذو شأن

— ايوستينوس في منف وافرحتاهُ فقد صار في طاقتي اذًا ان احتفي بهم واكرمهم فاكافئهم على بعض فضلهم وسابق جميلهم فمرهم يعدُّوا المركبة وقل لسبك ان يهيئ غرف الضيوف

لنزولهم وليعطهم غرفتي هذه ايضاً فهذه بشرى لم اكن لاحلم بها ولا تبطئ في اعداد البيت فانا ذاهب اليهم . قال هذا واصلح ثيابهُ واسرع الى غرفة امهِ فانبأها بقدوم اصدقائهِ فقالت اهلاً وسهلاً بهم فلينزلوا هنا على الرحب والسعة فاننا لا ننسى ما لهم عليك من الايادي البيضاء ايام كنت في القسطنطينية ومن الواجب عليك بعد هذا تأجيل سفرك فتبقى في منف لتقوم بنفسك على اكرامهم والعناية بهم فبلغهم سلامي واعتذر اليهم عن احتجابي فانا كما ترى لا استطيع لقاء الناس. وبعد قليل ركب اوريون مركبتهُ ولم يكد يصل الى الفندق حتى رآهُ يوستينوس من النافذة فلوَّح منديلاً كان في يدهِ ثم دار الى زوجتهِ فقال جاء صديقنا

فابتهجت المرأة وكان الى جانبها فتاة بارعة في الجمال فقالت لها

— اتفضلين لقاءهُ هنا ام تختبئين حتى نطلعهُ على قدومكِ

— ارى ثاني الرأيين افضلهما

— اسرعي اذًا فاني اسمع وقع اقدامهِ

وكأنَّ يوستينوس وزوجتهُ خُلِقا ليقضيا الحياة معاً لما بينهما من التشابه في الاخلاق والصفات وكان كلاهما على سعة من الثروة والجاه يعصمهما غناهما ورفعة مقامهما عن الاهتمام بالمال والتقيّد بالعادات والازياء المتبعة في ذلك العصر وكانا مشهورين بالكرم وحب الضيافة فلا يكاد قصرهما يخلو من الضيوف والاصدقاء لا سيَّما اولئك الذين الفوا في بيتهما من المجال لحرية القول والفكر ما لم يكن معروفاً لذلك العهد في بيوت العاصمة ولم تكن مارتينا من البارعات في الجمال لكنَّ لطفها ورقتها كانا اشدَّ وقعاً من الجمال فحبباها الى جميع من عرفها وكانت تميل الى عشرة الشبان والشابات لما تراهُ فيهم من كرم الاخلاق وعدم الاكتراث لامور العالم فلما ترملت دورا زوجة ابن اخيها كفلتها وضمتها الى بيتها ولقيها اوريون هناك فتعاشقا حتى اشتهر امرها في القسطنطينية وكان لها ابن اخ غير المتوفى ضابط في الجيش الامبراطوري فلما نشبت الحرب بين الروم والعرب شهد معركة من المعارك فسقط فيها قتيلاً ولم يعرف شيء من امرهِ فاخذا يبحثان وينقبان بمعونة المقوقس وابنهِ علهما يعثران على جثتهِ فيدفنانها بالاكرام اللائق فعلما انهُ لا يزال حيًّا يرزق وانهُ اسير في بلاد العرب ثم اتاها كتاب من الضابط نفسهِ يصف فيهِ ما يلاقيهِ من العناء ويتوسل اليهما ان يسعيا في انقاذهِ بواسطة عمرو بن العاص فاسرعا في المجيء الى مصر ورافقتهما دورا الارملة يدفعها دافع الشوق الى رؤية اوريون وكانت زوجة يوستينوس قد نصحت اوريون ان يتزوج دورا حبًّا منها بالاثنين فاعتذر بقولهِ ان اباهُ يعقوبي فلا يقبلُ بزواجهِ من ملكية فسكتت ولم تحر جواباً لكنها قالت في نفسها اذا رأى المقوقس

دورا وشاهد جمالها وعرف محاسنها وخبر لطفها الساحر وسمع صوتها الرخيم تمناها عروساً لابنهِ فانها كانت من اجمل غادات القسطنطينية بقامةٍ كالرمح وعينين ماؤُهما يذيب الصخر وصوت يسبي القلوب ورقة ولطف وكمالٍ هذا فضلاً عن رفعة حسبها ووفرة غناها مما جعلها قبلة الناظرين فلم يبق بين شبَّان العاصمة من لم يحم حولها فلمَّا عوَّل يوستينوس وزوجتهُ على السفر الى مصر رأت هذه ان الفرصة حانت لاتمام مرغوبها فاستصحبت دورا معها ولمَّا بلغهم نعيُ المقوقس في الاسكندرية اتخذتهُ بشير النجاح وحسبت انهُ لم يبق ثمت مانع يحول دون اقترانهما

لما دخل اوريون عليهما حياها تحية الصديق المشوق فلقياهُ بالترحاب وضمَّهُ يوستينوس اليهِ فقبلهُ وفعلت زوجتهُ كذلك ثم قالت بربك كيف استطاع اسلافك العظام القيام بافعالهم المجيدة في هذا الحرّ الشديد فاني اراني اذوب كما يذوب السمن ثم دعت خادماً فامرتهُ بان يأتي بكرسي وشيءٍ من الشراب المبرَّد وجلس الثلاثة يتحدثون فاطلعهُ يوستينوس على علة مجيئهم وطلب اليهِ ان يسهّل لهُ لقاء عمروٍ وان يكلمهُ في شأن الاسير فقال اوريون حبًّا وكرامة ولكن عمرًا سيغادر الفسطاط بعد يومين ذاهباً الى المدينة وانا مسافر الليلة فوقع كلامهُ هذا وقعاً سيئًا في نفسيهما وبدت امارات الكدر على وجهيهما فرأى اوريون من اللياقة اطلاعهما على علة سفرهِ والداعي اليهِ فلمَّا بسط الكلام سفَّها رأيهُ وقال يوستينوس اخطات خطأً كبيرًا فانت زعيم اهل منف واكبر اهل مصر فاذا قمت بهذا العمل تداعت اركان نفوذك وسلطتك عليهم وكان الاولى بك مصادقة البطريرك لا مغاضبتهُ فتخففان باتحاد سعيكما وطأة حكم الاجنبي على اهل بلادكما فانصحك ان تقلع عن غيك لا خوفاً على حياتك ولا كرهاً بالراهبات بل لما ذكرت واذا تأملت كلامي رأيت وجه الصواب فيهِ. فعرض اوريون عليهِ ان يعبرا النيل ساعتئذٍ فيذهبا الى عمرو ويطلب معونتهُ فارتاح الشيخ الى اقتراحهِ واسرع الاثنان وركبا مركبة اوريون فلما بلغا الفسطاط قيل لهما ان عمرًا خرج يستعرض العسكر فلا يعود الاَّ في الليل وقد يبطئ قدومهُ الى الصباح فعادا ادراجهما وفي اثناء غيابها جاء خدم القصر فنقلوا امتعة الضيوف اليهِ واتوا بالمركبات فركبتها مارتينا ودورا والحشم وسرَّت مارتينا بحسن موقع القصر وبهاء غرفهِ وما فيها من نفيس الاثاث والتحف واكبرت اتساع البستان وكثرة الازهار والرياحين فيهِ فلما عاد زوجها واوريون من الفسطاط وحدثاها بخيبتهما خيَّم الحزن في قلبها فقالت لاوريون انما اخفاقك بقضاء الله فليس سفرك من مشيئتهِ فالاولى بك البقاء معنا فتسعفنا في ادراك غاية نبيلة محمودة فتخلص ذلك التعيس من ربقة العبودية. فاصرَّ على عزمهِ فقالت وهب ان عندي ما يبقيك فاجاب لا شيء يحول دون ذهابي قالت سنرى في ذلك قريباً ثم دارت الى الشباك فاذا السماء

بلون الدم والشمس تكاد تتوارى وراء الاهرام فصاحت ما ابهى هذا الغروب وما اجمله فكأنّ مصر والاهرام شعلة من النار فتعال يا اوريون وانظر ما اعددت لك ولنبدأ بهذه الحلية قالت ذلك ودفعت اليهِ سوارًا من صنع اليونان القدماء مرصعًا بالحجارة الكريمة ومنقوشًا نقشًا بديعًا ولما حاول ان يشكرها قاطعتهُ وقالت هلمّ وانظر البقية ثم فتحت الباب المؤدي الى غرفة باولين فاطلت رأسها وعادت اليهِ فدعتهُ الى الدخول قائلة هناك تجد هديتي الاخرى فتعجب اوريون لكلامها ولكنهُ لم يطأ عتبة الباب حتى رأى دورا واقفة عند النافذة والابتهاج ينبعث من عينيها وقد طوت ذراعيها على صدرها كأنها في وقفتها قديسة تنظر آية من آيات السماء او فرحًا من افراح النعيم فلما وقعت عين اوريون عليها امتقع وانتفض واعتراهُ الذهول فجمد مكانهُ ولحظت مارتينا ذلك منهُ فعادت الى زوجها وقالت لقد جاء اللقاء على ما اشتهي فانهُ لما رآها وقف كمن اصابتهُ صاعقة واذا صدق حدسي فسنشهد عرسًا على ضفاف النيل

— هنا حما الله فذاك من احب الامور اليَّ على اني اتمنى قبل كل شيء ان نقنعي هذا الفتى بضرورة اقلاعهِ عن جنونهِ ففي عملهِ هذا هلاكهُ ولم يفتني ما لقيهُ من الحفاوة اليوم في دار امير العرب وعندي ان ليس في مصر من يكفل لنا مساعدة عمروٍ سواهُ فلا بدَّ من بقائهِ

— او عندك ريب في ذلك الآن فقد رأى دورا فلا شيء يزحزحهُ بعد من مكانهِ ثم شرعت تكلمهُ في شؤون مختلفة حتى اذا ما فرغا طلب اليها ان تذهب اليهما فصدعت باشارتهِ

ولما رأت دورا اوريون لم تستطع الوقوف فانطرحت عليهِ واخذت تبثهُ شوقها وتصف ما قاستهُ من جراء بعادهِ حتى كاد يغمى عليها فطفق يلاطفها ويجاملها ويرحب بها فسألتهُ عن سفرهِ وتوسلت اليهِ ان لا يركب متن الشطط فيغرر بنفسهِ ويلقي بها في التهلكة الى ان قالت أجب سؤلي وابقَ الليلة في منف وسافر غدًا اذا شئت واذا اردت قتلي بعد ذلك فافعل ايكون لقاؤنا وداعًا بعد ان بكيت فراقك وكدت اذوب شوقًا اليك اتذهب في مهمة قد يكون بها ذهاب حياتك فاموت حزنًا واسفًا فلا تذهب ان ذهابك يقتلني وكانت تتكلم وعيناها تستغيثان بهِ فاشعلتا ما خمد في قلبهِ من نار حبها فقال في نفسهِ ومن لا يحب امرأة كهذه جمعت الحسن والظرف لا تبغي من حبيبها سوى حبهِ الخالص غير حذرة او خائفة فقد احتملت عار الانتقاد والتهكم فاصغت الى صوت قلبها مع علمها باني هجرتها وأبيت ان اتزوجها. فخلبت لبهُ في تلك الساعة كما سحرتهُ عيناها لاول عهدهما باللقاء اما هي فعادت تتوسل اليهِ وتحبب اليهِ البقاء حتى فرغت جعبتها فقال سأرى ما اذا كان التخلص من وعدي في يدي ولما قال ذلك مثلت امامهُ صورة باولين وسمع هاتفًا يقول لهُ ان باولين المرأة الكاملة لا هذه الفتاة الضعيفة

القلب والارادة فتنبه وافاق من سكرهِ وندم على ما بدا منهُ من الضعف والتسليم الى هواهُ فسلَّ يدهُ من يدها وجلس يحدثها وهي تطالبهُ بالبقاء وتذكرهُ بما يتوجب عليهِ من اسعاف عمها وانقاذ الضابط حتى ألانت قلبهُ فوعدها خيرًا فصفقت بيديها فرحًا وخرجت الى حيث عمها وزوجتهُ فقالت سيبقى اوريون فلن يسافر الليلة فسرُّوا سرورًا عظيمًا ووقف الاربعة يتكلمون وفيما هم كذلك دخلت كاترينا ومرضعها آتيتين لتزورا انوبيس بعد سقطتهِ فلما رأت اوريون ودورا وشاهدت جمال هذه اعترتها الدهشة وقالت في نفسها اترى هذه حبيبتهُ التي اشار اليها او هي احداهن فيخدعها كما خدعني. ورأتها دورا فدارت الى اوريون وقالت أأختك ام ابنة اخيك فدعا كاترينا وعرفها بضيوفهِ حتى اذا ما ذهبت قالت مارتينا انها حسنة الصورة خفيفة الروح كأنها عصفور فاجاب اوريون

— وهي اغنى بنات منف . فاطرقت دورا ولم يفت ذلك اوريون فقال وكانت امي ترغب في زواجنا ولكننا مختلفا الاذواق وفي قامتينا فرق عظيم. ثم استاذنهم واسرع الى نيلس فاطلعهُ على ما ارتآهُ من البقاء وفصَّل لهُ الاسباب التي حملتهُ على تغيير خطتهِ وكلفهُ ان يذهب الى روفينس فيعتذر اليهِ بالنيابة عنهُ فرقص الخازن طربًا وطوقهُ بذراعيهِ وقبَّلهُ فرحًا وعاد اوريون الى ضيوفهِ فتعشوا وسهروا الى ما بعد نصف الليل وفي الصباح ذهب يوستينوس واوريون الى الفسطاط فقيل لهما ان عمرًا سار توًّا من عين شمس الى الاسكندرية فيغادرها الى المدينة فقال يوستينوس لم يبقَ لنا سوى لحاقهِ فقال اوريون وانا رفيقك ولمَّا عادا الى منف حاولت دورا ان تثبّط عزمهُ فابى الاصغاء الى كلامها ورأى ان الفرار من قبضة هذه الفتانة اضمن لسعادتهِ وفي الغد كتب كتابًا الى باولين وصف فيهِ حبهُ لها وشدة غرامهِ وعزم عزمًا اكيدًا على هجر دورا والابتعاد عن اشراكها ولما اعدّ الخدم الخيل والمركبات ركب ويوستينوس وخرجت مارتينا ودورا لوداعهما ولما عادتا لقيتا كاترينا في البيت فدعتاها لزيارتهما اما هذه فابت واسرعت في الخروج وذلك ان انوبيس اطلعها على ما سمعهُ من حديث اوريون ونيلس في شأن فرار الراهبات فهرعت الى مركبتها فركبتها وذهبت الى المطران فحدثتهُ بحديث انوبيس وهذا اذ سمع الخبر اخذ الغيظ منهُ كل مأخذ فعبر النهر الى الفسطاط ليطلب من عمرو القبض على الراهبات ومنقذيهن ولما انبئ بغيابهِ لقي عبادة فحدثهُ بما كان

الفصل الثاني والثلاثون

ولم يبطئ نيلس في انفاذ رغائب سيدهِ فذهب الى روفينس ونقل اليهِ كلام اوريون وبسط عذرهُ فلم يسع الشيخ الاَّ الاعتراف بفضل ابن المقوقس الى ان قال وقد اجاد في اعداد

اسباب الفرار اجادة تغنينا عن استصحابهِ وتعريضهِ للمهالك وجميع ما فعلهُ يدل على شهامتهِ وكرم عنصرهِ وعذرهُ في التخلف واضح بخدمة اصدقائهِ واجب لا يستطع التخلص منهُ ولما سمعت باولين الخبر حزنت لكنها عادت فسرَّت عِلمًا منها بان حبيبها نجا من خطر عظيم وكانت قد سمعتهُ يصف صداقة يوستينوس واهل بيتهِ لهُ وما افرغوا عليهِ من الرعاية والاكرام ايام كان في القسطنطينية فقالت في نفسها لقد احسن في انتهاز الفرصة لمكافأتهما على سابق معروفهما وغدًا يأتي فأراهُ

وفي تلك الليلة قبل طلوع القمر خرجت الراهبات من ديرهنَّ متنكرات بزي الفلاحات وركبن السفينة واحدة فواحدة وتبعتهنَّ الرئيسة ثم جاء روفينس فتعلقت بهِ زوجتهُ وابنتهُ فقبلهما وقال تشددا واقتديا بهذه الفتاة الباسلة فانا مرعي بعين السلامة ما دامت عين الحب لا تنعس ولا تنام فالوداع يا خير النساء فاذا ادركني اجلي في الطريق فاعلمي ان زوجك الغبي جلب الموت على نفسهِ في سبيل انقاذ خمس وعشرين نفسًا بريئة من العذاب والنفي فبكت زوجتهُ وناحت وقالت لهُ خذ البستاني معك فقد تحتاج اليهِ وقال البستاني خذني معك يا مولاي اذ لا فائدة من بقائي هنا فالازهار تذبل رغمًا عني لقلة الماء وشدة الحرّ فقال لهُ روفينس اسرع وهات فراشك ثم دفع النوتية السفينة الى وسط النهر حتى غابت عن عيون النسوة وبعد قليل قرعت اجراس الدير وكانت القارعات باولين وهيلانة عملاً باقتراح الرئيسة لتوهما الناس بان اهل الدير فيهِ وسكنت الريح فقبض الملاحون على مجاذيفهم وطفقوا يجذفون الى ان غابت منف عن عيونهم لكنهم لم يكادوا يتجاوزون الفسطاط حتى جنحت السفينة فاضطروا الى النزول على البر ومعالجتها الى ان طفت ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا عند شق الفجر الى ليتوبوليس حيث يتفرع النهر الى شعبتيهِ وانتشر ضباب كثيف حجب سفينتهم فلم يرَها الحفظة المكلفون بقبض الرسم من السفن وعند طلوع الشمس كانوا في الفرع الدمياطي وقد تجددت قواهم بما بدا لهم من تباشير النجاح ناسبين ذلك الى شفاعة الراهبات وكان ماء النهر قليلاً على غير المعتاد في ذلك الفصل فلا تقع اشعة الشمس الاَّ على حقول عارية من الخضرة وضفاف يبست فصارت كالحجر وتردَّت الحلفاء ثوبًا من الصفرة عليهِ طبقة ثخينة من الغبار ولم تكن الراهبات قد اعتدن السفر ومشقاتهِ فذقن صنوف العذاب الوانًا وغلب عليهنَّ العطش الشديد ولم يروِ الماء غليلهنَّ لشدة الحرّ فلما غابت الشمس وانخفض جأش الحرارة هبَّ النسيم البليل فانعشهنَّ وردَّ اليهنَّ ارواحهنَّ بعد ان خلنَ الموت اقرب اليهنَّ من حبل الوريد فلما أزف وقت العشاء جلسنَ معًا وتعشين بعد ان لم يتناولن طعامًا النهار بطولهِ فلما اكتفين أخذن يتساءلن عمَّا اذا كانت نجاتهنَّ في حكم المقرَّر فقالت

الواحدة اذا تبعنا الجند فانهم يأتون على خيولهم وقالت اخرى بل يسيرون مشاة فقالت الثالثة وما يمنعهم عن لحاقنا في سفينةٍ يدفعها عدد كبير من الرجال الاشداء وما زلن كذلك حتى طلع القمر وهدأ الليل فساد السكون في السفينة واستحوذ عليهنَّ الخوف فشرعت احداهنَّ تترنم فاقتدت بها الباقيات وصحت النوتية يصغون الى تلك الاصوات الرخيمة وبعد نصف الليل نعسنَ ونمنَ ولم يفطن احدٌ الى الضفاف لاهتمام الربان والملاحين في تسيير السفينة فلا تجنح لكنَّ الربَّان سمع حفيفًا في النبات والانجم استمرَّ الليل بطولهِ فلما بدا ذنب السرحان حانت منهُ نظرة الى الشاطىء الشرقي فرأى ما راعهُ فصاح بمن معهُ وقال ما هذا الذي اراهُ فدنا منهُ البستاني وقال لقد رأيتهم وسمعت صهيل خيولهم فانظر ثم اشار بيدهِ الى جواد بين الادغال وقال — لقد ادركونا فامرهُ الربَّان بالسكوت وقال اذهب ونبّه روفينس والملاحين وقل لهم ان يدخلوا الراهبات الى مخدع السفينة ثم اخذ يحدّث اخاهُ فقال لاجسر في هذه الانحاء والنهر كما ترى عريض فمن اراد الدنوَّ منا فانما يفعل ساعيًا ولا اخالهم يجسرون على ذلك

اثمرت البذور التي بذرتها كاترينا فلما اطلع المطران عبادة على امر الفرار اسرع هذا فارسل كوكبة من الفرسان لتقبض على الراهبات والنوتية وغيرهم ممن في السفينة وتعود بالجميع الى منف فلما بلغ الفرسان لتيوبوليس سألوا الحفظة عن السفينة فلم يستطع هؤلاء تعيين الفرع الذي سارت فيهِ فانقسموا فريقين في كل منهما اثنا عشر فارسًا وسار الفريق الواحد حذاء فرع دمياط واتبع الآخر فرع رشيد فلما ادرك الفريق الاول السفينة نحو نصف الليل امرهم قائدهم بالبقاء على الشاطىء الى الصباح ففعلوا ولمَّا طلعت الشمس صاح بالربَّان وقال امرني الامير ان اعود بهذه السفينة ومن فيها الى منف فخشي الربَّان ان يعصي الامر لعلمهِ بما وراء ذلك من العواقب الوخيمة وبدت امارات الخوف على وجههِ فالتفت الى من حولهُ وقال ارى المقاومة ضربًا من الحماقة فالتسليم خير لنا فابى روفينس وقال للامبوس صانع السفن لا تكن كيهوذا فانت مقتول سلمت او قاومت فاذا اطعتَ امرهم سفكتَ دمك فقرع الربَّان صدرهُ ونتف شعرهُ وبكى وقال انا مكلف بمعاش اهل بيتي فاذا عصيتهم حجزوا مالي وانتزعوا مني بيتي وبستاني ووقعت في قبضة ايديهم بعد نجاة الراهبات فدعوا الرئيسة واطلعوها على جلية الامر فقالت لا تخشَ باسًا فانا اعيضك من ثمن بيتك وبستانك فاذا نجونا حملناك واهل بيتك من دمياط على سفينتنا وسرنا بك الى بلاد الروم حيث يعجز العرب عن الاقتصاص منك . فلما سمع كلامها سكن روعهُ واحسَّ ان حملاً ثقيلاً سقط عن كتفيهِ فاشار الى اخيهِ بوجوب الدفاع ثم دار الى حيث كان الفارس العربي وصاح بهِ اذا اردت القبض علينا فتعالَ بنفسك الى السفينة وافعل ما تشاء فعيل صبر

هذا وصاح برفاقهِ فاندفعوا بخيولهم الى النهر لكنهم لم يكادوا ينزلون فيهِ حتى غاصت الخيل في الوحل ولم تستطع الخطو فامرهم بالعودة وانقلب حصان براكبهِ فغاص كلاهما فترجل الباقون وجلسوا يتشاورون فيما بينهم والنوتية يرقبونهم وبعد ساعة انقسم العرب قسمين فانفرد ستة منهم القائد وربطوا خيولهم ثم استلَّ كل واحد منهم فاسهُ من منطقتهِ واخذ يعملها في جذع شجرة من اشجار النخيل وركب الخمسة الباقون وتقدموا على نيَّة ان يخوضوا النهر شمالي السفينة فيسيروا الى الغرب ويهاجموها منهُ ويركب الستة الاول اشجار النخيل فيستعينوا بها على عبور النهر والوصول اليها من الشرق وكانت الضفة الغربية حيث السفينة مكسوة بالاعشاب والانجم اليابسة فلما دار الفرسان الخمسة نحوها هبت ريح من الشرق فخطر للربان ان يحرق الاعشاب حتى اذا ما اندلع لسان اللهيب والتهمت النار ذلك اليابس علقت بالفرسان فاكلتهم او يلقوا بانفسهم في النهر فيغوصوا في الوحل لجهلهم السباحة فامر نوتيًّا بتسلق الصاري ومراقبتهم منهُ ففعل حتى اذا ما رآهم عبروا النهر وتغلغلوا في الانجم انبأ الربان وهذا امر بعض الملاحين فاسرعوا واحرقوا الهشيم ولم يكن الاكلمح البصر حتى اكلت النار ما حولها وانبعث منها دخان سدَّ منافس الجوّ ورأى الفرسان الستة في الضفة الشرقيَّة النار فامتلأوا غيظًا وحقدًا فشدوا جذوع النخيل والقوها في النهر ثم عمدوا اليها فتعلق كل واحد منهم باليد الواحدة وحمل درعهُ باليد الاخرى ووضعوا قسيهم وكناناتهم على الجذوع فتسلح النوتية واستعدوا للقائهم وارسل الربان احد رجالهِ الى العدوة الشرقية وقال لهُ اذهب واذبح خيولهم جميعًا حتى لا يفلت منهم من ينقل الخبر ولما بلغ الجند السفينة امسك احدهم بعتبة نافذتها وصعد آخر على كتفهِ فوثب الى ظهرها وطعن اول نوتي صادفهُ فخرَّ صريعًا وتبعهُ رفيقهُ فشهرا حساميهما وضرب احدهما الربان فالقاهُ جريحًا ولم يكن الاكلمح البصر حتى سقطت خشبة من الصاري على رأس زعيم الجند فسحقتهُ وانتشب القتال بين النوتية والجند وفيما روفينس مهتم بتضميد جراح الربان عاجلهُ احدهم بضربة سيف فجرحهُ جرحًا بالغًا وسال دمهُ وبعد ساعة انجلت الموقعة عن ثمانية قتلى من النوتية وستة من العرب غير من جرح من اولئك ورأى النوتي من اعلى الصاري الفرسان الخمسة يلقون بانفسهم في الماء فغاصوا في الوحل وغابوا عن بصرهِ وذبح الآخر جميع الخيل فلم يفلت من اللاحقين احد وحينئذٍ خرجت الراهبات للعناية بالجرحى ونقل النوتية جثث القتلى الى البرّ فدفنوها واهتمت الرئيسة اهتمامًا شديدًا بروفينس فظللتهُ بمظلتها وجلست بجانبهِ تضمّد جرحهُ فلما رأى الربان قال

— انا اب عائلة مثلك ولي زوجة وابنة تركتهما في منف فانَّى لي بمن يحملني اليهما

ناولوني شربة ماء فاني اكاد اموت عطشاً فناولتهُ الرئيسة شيئاً من الخمر فشرب وشكرها فقالت لهُ هل لك وصية توصيها فقال نعم فهيلانة لا يهنأ لها عيش الاَّ في الدير فوصيتي لها ان تبقى مع امها فتؤنس وحدتها وتعزيها في حزنها آه انني اشعر ببرد شديد وقد اصابني الجرح في كتفي ولكن الالم في رأسي فايتوني بقلم وقرطاس ومتى فرغت من الكتابة فاختموا الرسالة وليأخذها البستاني الى فيلبس الطبيب فناولوهُ فاخذ يكتب ويداهُ ترتجفان من شدة الالم حتى اذا ما انتهى دفع القرطاس الى الرئيسة وقال اختميهِ وسلميهِ الى البستاني وهو يدفعهُ الى الطبيب وحينئذٍ أُغمي عليهِ فرشوا ماء على وجههِ فافاق وقال رأيت زوجتي وهيلانة في الحلم فوبخاني على ما فعلت ولكنهُ الواجب وعلى المرء ان يقوم بعمل ما قبل مفارقة هذه الدنيا الباطلة . ولم يزل يردد هذا الكلام ونحوهُ حتى انعقد لسانهُ وبعد الظهر فاضت روحهُ فجزع عليهِ البستاني جزعاً شديداً ولما بلغوا دمياط انفصل عنهم عائداً الى منف وكانت السفينة التي استأجرها اوريون معدة فركبتها الراهبات واستصحبن معهنَّ الربّان الجريح واهل بيتهِ واخاهُ ومن بقي من النوتية

وفي اليوم الذي مات فيهِ روفينس جاء مطران منف الى دير الراهبات يطلب تسليمهُ اليهِ باسم البطريرك وفي الغد سافر الى الصعيد ليرفع تقريرهُ الى رئيسهِ

الفصل الثالث والثلاثون

ظلَّ ماء النيل يتناقص والحرُّ يشتدّ حتى ضاقت الارض على رحبها باهل منف واشتدَّ بهم اليأس اذ علموا من الرسائل التي جاء بها حمام الزاجل من ايثوبيا ان النيل لم يرتفع ماؤهُ في تلك الاصقاع وكثرت الاقذار في النهر والترع فاخضرَّ لونها وامتلأَت بالنباتات والحيوينات فضاق السكان ذرعاً بماء الشرب ولما كان الفقراء منهم لا يعنون بترشيحهِ تفشَّى فيهم وباء جارف لم يسمع بمثلهِ في مصر وزاد في خوفهم ظهور نجم ذو ذنب في القبَّة الزرقاء فانهم عزوا اليهِ ما كان من شدة الحرّ وتأخر الفيضان وتفشي الوباء وكان في مقدمة القائلين بهذا القول والمنادين بهِ ابولون صديق فيلبس وكان منظر البلاد يشفُّ عمَّا اصابها ونزل باهلها من المصايب فيبست الاشجار وفسدت الاثمار وانتشر الغبار على البيوت وفي الطرق واصبحت المساكن افراناً لا تطاق لشدة الحرارة ومات السمك في النهر فقذفهُ الماء على الشاطىء فانتن وانتشرت رائحتهُ فملأَت الهواء واشتدَّت وطأة الوباء حتى لم يعد الاطباء يذوقون راحة لكثرة المصابين ولم ينقطع فيلبس عن زيارة بيت روفينس لمداواة من فيهِ لكن اهل البيت كانوا على احرّ من الجمر فان ابطاء روفينس في العودة الى منف وانقطاع اخبارهِ عنهم بدد الفرح من قلوبهم واورثهم القلق وكانت زوجتهُ وابنتهُ تشكوان امرها الى فيلبس كلما لقيتاهُ وفي احد الايام انبأَتاهُ بأن نفراً

من جند العرب طرقوا البيت ثلاث مرات يتنسمون اخباره وفي المرة الثانية الحوا على الزوجة لتخبرهم بمكانهِ فلم يسعها الا كتم الحقيقة على كرهها الكذب فاجابتهم قائلة لقد ذهب الى الاسكندرية في قضاء مهمة وقد يضطرُّ الى السفر الى سورية لاتمامها ولم يكن اهل الحلّ والعقد في الفسطاط يجهلون ما اصاب روفينس ولكنهم ارادوا كتم ما ألمّ بالفرسان لئلاَّ يدري بهِ اهل منف فينحط شأن العرب في عيونهم

واشتدَّ الضعف بنفورس فعادها الطبيب وادرك من ذهولها انها تتعاطى الافيون لتسكين آلامها وقيل لهُ انها تجرع كميات وافرة منهُ فاستاء واخذ يبيّن لها مغبَّة عملها فتوسلت اليهِ ان لا يتركها وشأنها فاخذتهُ الشفقة واجابها الى طلبها ظنًّا منهُ بانهُ يستطيع تخفيف عذابها وانقاص ما تتجرعهُ من السمّ

وكانت كاترينا تتردد على السيدتين اليونانيتين فتطلعهما على اخبار المدينة وفي ذات يوم اخذت تصف لهما باولين وافاضت في الكلام حتى تاقت السيدتان لرؤيتها فعرضت كاترينا ان تعرّفهما بها وطلبت اليهما ان ترافقاها الى بيت روفينس لكنّ مارتينا اعتذرت عن الذهاب بعلة الحرّ وقبلت دورا الدعوة فاحسنت باولين استقبالها وتلطفت في حديثها لكنها التزمت الحذر ولم تخلِ مجالاً لما يشتم منهُ رائحة حبها لاوريون فلما رأتها دورا علمت انها لا تستطيع مناظرة هذه الحسناء التي تفوقها جمالاً وتعقُّلاً وعلماً

وبعد ثلاثة اسابيع من مقتل روفينس كان فيلبس وابولون جالسين يأكلان طعام الفطور والطبيب يسرع في التهام طعامهِ لضيق الوقت فدخل العبد وقال — بالباب رجل يطلب لقاء الطبيب لامر ذي خطرٍ فاجاب هذا وقال ليس في طاقتي معالجة احد الا اذا أُعطيتُ اربع ارجل وست ايدٍ فقال العبد ليس الرجل مريضًا فهو بستاني روفينس فارتعد فيلبس وادرك الغرض من مجيء الرجل وحدهُ فامر بادخالهِ واذا بهِ مكسوٌّ بالغبار من قمة رأسهِ الى اخمص قدمهِ وقد تمزقت ثيابهُ وغارت عيناهُ حتى لم يكد يعرفهُ فلما وقعت عينهُ على فيلبس بكى فقال الطبيب امات روفينس فاومأ بالايجاب ثم طفق يحدثهُ بما جرى وكيف لقي سيدهُ حتفهُ والرجلان يصغيان الى حديثهِ فلما فرغ صاح الطبيب

ايموت هذا الشهم ويخلف بعدهُ فضلى النساء وخير البنات ويبقى مثلي في قيد الحياة ثم اخذ الكتاب وقرأهُ ولما فرغ دار الى البستاني وقال

— أنجت الراهبات

— نعم

— من لنا الآن برجل ينقل خبر موتهِ الى زوجتهِ وابنتهِ

— ليس من يستطيع ذلك سواك

— اصبت فغيري يا كل الحصرم وانا اضرس فقال ابولون

— ذلك واجب عليك لصديقك فما يكون من امر هاتين السيدتين اذا ابصرتا صاحبنا كما نراهُ

— قد تموتان جزعاً. ثم خاطب البستاني فقال اذا درى بك العرب مجنوك واقتصّوا منك ولا يصعب تمييزك وانت على هذه الحال فاذهب الآن واغتسل والبث في بيتنا واكتم ما تعرفهُ لئلاَّ ينمَّ بك بعض العبيد والخدم ولا اخال السيدتين في حاجة ماسة اليك فالاجدر بك ان تقوم على العناية ببستاننا

— رأيك الصواب بعينهِ ولكني وعدت سيدي بملازمة اهل بيتهِ وانا العتيق الوحيد في ذلك البيت فلا يحسن بي مفارقتهما في مثل هذه الساعة فاذا اراد العرب قتلي فاهلاً وسهلاً بهم فحياتي لا تطيب لي الآن ثم بكى واخذتهُ الرعدة فسقط مغمًى عليهِ فاسرع اليهِ فيلبس وسقاهُ كاس خمرٍ فافاق فدعا عبداً وامرهُ بنقلهِ الى المطبخ والعناية بهِ ولمَّا خلا الصديقان قال ابولون

— تبينت من هيئتك وانت تقرأُ الرسالة ان ذلك المنكود الحظ كلفك امراً غريباً

— صدقت فهاك كتابهُ فاقرأهُ فتناول ابولون القرطاس وقرأ

— من روفينس المحتضر الى صديقهِ العزيز فيلبس

ارى الموت قريباً مني واعلم انَّ ساعاتي معدودات ويدي لا تطيق القلم فساتوخَّى وبالايجاز ان همي الاول زوجتي وابنتي فكن لهما الصديق الوفي والسند الاكيد وقم على حراستهما فقد جعلتك وصيّاً عليهما بعدي وتركت لهما ما يكفيهما مؤونة التعب ويضمن لهما الراحة فاعلم ان عقاراتي في يد اخي وهو مثال الامانة والاستقامة فاذا اتاك كتابي هذا فاذهب اليهما وبلغهما بركتي وسلامي وشكري لزوجتي على حبها لي واهتمامها براحتي ورفاهتي مدة زواجنا اما انت فاسمع نصيحة شيخ عرك الدهر وبلى شرَّهُ واقلع عن حب باولين فهي نصيب غيرك فان اللواتي ولدن في القصور لا يناسبننا نحن الذين ارتقينا بجدّنا وهمتنا فانبذ حبها واقتصر على صداقتها فهي اهل لصداقتك واكرامك وانما لا تعلل نفسك بالاقتران بها ولا تقضِ حياتك عزباً فالمرأة ريحانة الرجل يزداد بها سرورهُ وسعادتهُ وتتضاعف همتهُ ونشاطهُ امَّا انت فتجهل ذلك كما يجهلهُ صديقك الشيخ ابولون فقد قضى حياتهُ مقتدياً بالزهَّاد وهيلانة تحسبك خير الناس واكملهم

ولا يخفى عليك حسن تربيتها وكمال اخلاقها ولستُ بقائل لك تزوجها وانت تحبُّ اخرى لكني اطلب اليك ان تسكنا وصديقك في بيتي مع زوجتي وابنتي فاذا فعلتما فلن تندما . فاصغ الى طلب رجلٍ على حافة القبر وانت وصيهما والحارس عليهما فكن امينًا في وصايتك واذكر صداقتنا. وكانت الكلمات الاخيرة معمّاة لكثرة تعاريجها فلما فرغ ابولون من القراءة قال فيلبس وما رأيك

— اما كما يقول

— لم يؤدهما حقهما من المدح

— فلا مانع يمنعنا اذًا من قبول دعوتهِ فنستريح من هذا العناء ونقضي بقية العمر في بيت حسن ونتخلص من هذا الكهف فقد سئمت نفسي الاقامة فيهِ واراهُ يتداعى الى الخراب وليس من يرممهُ ثم ثاب الى الجدّ فقال ولكنهُ حلم يعبث براحة المرء فلننبذهُ .

— على كل حال وما دام امر باولين كما هو فمن العبث النظر في هذا الشأن

— قاتلها الله فلا تبرح اتبع لنا من ظلنا وكأنّ اسمها عنوان شقائنا على اني ساكيدها واتخلص منها. ثم ناديا البستاني واوصياهُ بوجوب الحذر وملازمة السكوت وقال لهُ فيلبس ابقَ في بيتنا ريثما انعي سيدك الى زوجتهِ وابنتهِ وليس من الحكمة ظهورك في منف فالجند يطرقون البيت كل يومٍ فاذا رأوك اوقعوا بك وعرضت سيدتيك للخطر الشديد

الفصل الرابع والثلاثون

اشتهرت مصر من قديم الزمان بمهارة سحرتها وحذاقة عرّافيها فكان الاجانب يقصدونها من كل حدب وصوب ليتلقوا فنّ السحر عن اهلها وكانت دورا في عداد من سمع بشهرة هؤلاء السحرة فارادت مكاشفة بعضهم علها تقف على ما خبأ لها الدهر فسألت كاترينا ان تدلها على ساحرة عليمة وطلبت اليها ان ترافقها فلبت هذه الطلب وذهبت الاثنتان الى واحدة اسمها ميديا فلما رأتهما وابصرت ما على دورا من الحلل الفاخرة والحلى الثمينة ادركت انها من النبيلات فاحسنت ملقاها ولم تحفل بكاترينا لجهلها بها فلما دخلتا البيت الفتاهُ مملوءًا بالبواتق والكؤوس وامثلة الشمع واقفاص الخفافيش وزجاجات كثيرة فيها انواع الدبابات والحشرات السامة والضفادع تتصاعد فيهِ الجرة وروائح كريهة فانقبضت نفس الزائرتين واشمئزتا اما الساحرة فاخذت تبين لهما فوائد ما رأتا وطلبت اليهما ان تعودا بعد ثلاثة ايام قائلة ينقضي اليوم اشياء كثيرة لا يتمّ العمل بدونها فاذا اتيتما في الموعد الذي ضربتهُ لكما كنت على اتم استعداد فوعدتاها بالرجوع ولم يحلّ الاجل المضروب حتى ركبتا مركبة نفورس وسارتا تقصدان ميديا

وكلتاهما مضطربتان امَّا دورا فخشيةً منها ان تأْتي النبوة على خلاف ما تشتهي واما كاترينا فلانها ابصرت في صباح ذلك اليوم فيلبس خارجًا من بيت روفينس وسمات الكآبة على محياهُ وجاءَ بعدهُ جند من العرب فداروا في البستان وعادوا من حيث اتوا وقبل الظهر ابصرت باولين تبكي في البستان واذ خرجت زوجة روفينس وابنتهُ وقعت على عنقيهما وقبلتهما فادركت كاترينا انهنَّ لامرٍ ما يبكين فاسرعت الى بيت روفينس لتستطلع الخبر فلقيتها مرضع باولين بوجه عبوس ومنعتها عن الدخول قائلة ان السيدات منفردات فلا يقبلن الزائرات

وفيما هما سائرتان الى بيت الساحرة طلع عليهما كوكبة من فرسان العرب فدنا القائد منهما واخذ يسألها عن اسميهما وغرضهما من الخروج ونحوهِ فارتاعتا ولم تصدقا بالنجاة حتى اذا ما بلغتا بيت ميديا لقيتهما هذه بالحفاوة والاكرام وقد عرفت كاترينا فقالت لقد طلع الهلال وطلوعهُ من ادلة السعد وحسن الفال وقد قضيت الايام الثلاثة صائمة فطهرت نفسي من الادران وتهيأت للعمل فلا يفوتني امرٌ الآن. ثم قدَّمت لهما كرسيين فجلستا ووضعت اناء على النار فلما غلا ما فيهِ وسمع ازيزهُ قالت ألا تسمعان غليان آنية السعد فهذه اصوات جدكما وبختكما ثم طفقت تعزّم وتدعو باسماء غريبة فلما فرغت من دعائها ربطت خيطًا الى بنصر يد دورا اليسرى وفعلت كذلك بكاترينا وطلبت من كل واحدة شعرة من شعر رأسها وامسكت الشعرتين فالقتهما في القدر وصاحت بهما

— ضعا الاصبع المربوطة على القلب وحدّقا الى القدر والبخار المتصاعد منها فانما يصعد هذا البخار الى ارواح النور في العلاء ففعلتا وقد امتلأتا رعبًا وحينئذٍ وقفت الساحرة واخذت تدور على رجليها كانها مغزل وظلت كذلك نحو ساعة ثم جمدت فجأَة وانطفأَت الانوار وفاحت رائحة الطيب في البيت فسجدت ورفعت لحاظها الى السماء حتى انتشر شعرها خلفها وشرعت تنشد العزائم حتى كلَّت عن الغناء فافاقت من ذهولها وامسكت القدر وقالت لدورا هاتي سبعة دنانير فنفحتها دورا بها فوضعتها في القدر ثم سكبت بعض ما فيهِ في صفحة فاذا هو اسود كالحبر ولهُ بصيص كبصيص المرآة فحدقت اليهِ واخذت تعيد ما تراهُ فوصفت شابًّا تنطبق اوصافهُ على اوريون انطباقًا تامًّا كانهُ مرسوم امامها وقالت اراهُ مسافرًا صحبة شيخ غريب وهاانذا اراهُ عائدًا من سفرتهِ ثم وقفت برهة وعادت الى الكلام فقالت وارى في المزيج صورتكِ وقد طوّقكِ بذراعيهِ وها انتما الآن واقفان امام حبر جليل في كنيسة فخيمة صفتها كذا وكذا ثم وصفت الكنيسة وصفًا دقيقًا جدًّا

فلما سمعت كاترينا كلامها احست بدوخة والم في قلبها وصدقت جميع ما انبأَت بهِ خصوصًا

بعد ان اجادت في وصف اوريون ولم يفت كاترينا من وصف الكنيسة انها كنيسة القديسة صوفيا في القسطنطينية فلما فرغت الساحرة من دورا نبهت كاترينا وطلبت منها الدراهم فنقدتها سبعة دنانير فالقتها في القدر الآخر ولكنها لم تكد تصبّ المزيج حتى سمعنَ اصواتاً كهزيم الرعد فاخذ منهنّ الخوف كل مأخذ وصاحت ميديا والقت الاناء من يدها فتبدد ما فيهِ وكاد يغمى عليها فاسندتها دورا وسألتها عن علّة اضطرابها فلم تجبها بشيءٍ بل افلتت من يديها وتوارت عن ابصارها وراء الستارة وحينئذٍ دخل فتىً وفتاة فجمعا الآنية والعقاقير والمساحيق وقذفا بها في فتحة في ارض البيت واطفأا النار وامسكا السيدتين فدفعاهما الى زاوية البيت وخرجا فارتاعت دورا وخفيت عليها علّة هذا الانقلاب فارادت الخروج واذا بميديا داخلة فقالت ان حياتي في خطر عظيم وجزاء العرافة القتل فقولا انكما اتيتما الى بيتي لتمرّضا مَنْ فيهِ ثم سارت بهما الى غرفة صغيرة فيها نور ضئيل فالفتا فيها شيخاً وطفلاً ملقيين على سريرين من القش وقد بدت اعراض الحمّى فيهما كليهما فقالت الساحرة لتدنُ كلٌّ منكما الى سرير فاطاعتاها امّا كاترينا فوقفت ترتجف خوفاً اذ لم تكن قد رأت مريضاً في حياتها وامّا دورا فكانت قد اعتادت تمريض ذوي الاسقام لاسيما زوجها فدنت من الطفل وامسكت بيدهِ ومسحت العرَق عن جبينهِ ولم يستقرّ بهما المقام حتى سمعتا قرع الاسلحة ورنينها واصوات الجند فما راعهما الاّ فيلبس الطبيب وقد دخل وراء ميديا فلما ابصرها دهش والتفت الى ميديا فاسرعت هذه وقالت ان الشفقة حركت فؤادي السيدتين النبيلتين فجاءتا لتمرضا هذين المسكينين فقال كذبتِ فلا تحاولي مخادعتي ثم اخرج دورا وكاترينا من الغرفة وقال لهما لقد اخطأتما خطأ كبيرًا في مجيئكما الى مكان موبوءٍ فعودا الى البيت واغتسلا واطرحا ثيابكما واحرقاها لئلا تقعا فريستين لهذا الداء الوبيل فخرجتا وهما لا تصدقان بالنجاة ولا تعلمان كيف درى الطبيب بزيارتهما

اما مجيء فيلبس فكان بناءً على طلب مجلس منف الذي نمي اليهِ ان ميديا لا تزال تمارس العرافة فيأتيها الناس من المدينة وغيرها وفي بيتها مرضى بالوباء فارسل نفرًا من الجند وكلف فيلبس ان يرافقهم ويتحقق صحة التهمتين حتى اذا ما ثبتت احداها اقتصوا من ميديا فجاء ورأى كاترينا ودورا فاخرجهما من حيث لا يشعر بهما الجند ثم امر هؤلاء بنقل المصابين وانصرف واسرعت السيدتان الى المركبة وكاترينا تقول في نفسها اذا كانت هذه فاتحة السعادة التي بشرتك بها الساحرة يا دورا فحبذا هي واودّ الاّ تنقضي. ومرّت المركبة بقصر المقوقس فاستوقفها بعض فرسان العرب وسألوا عمَّن فيها فاخبرتهُ كاترينا وقد كادت تذوب خوفاً وحياءً ولما رأت كثرة الجند سألت القائل عنهم فقيل لها ان اوريون متهم بتهم فظيعة فرأى الامير ان يحجز على

بيتهِ وامواله وان يخرج مَن فيهِ من اهلهِ وضيوفهِ في الغد فشقَّ ذلك الخبر على دورا فدعتها كاتربنا للمبيت عندها فقبلت الدعوة ولما بلغتا البيت هرعتا الى الحمَّام فاغتسلتا وذهبت كل واحدة منهما الى مضجعها

الفصل الخامس والثلاثون

كانت تلك الليلة من اشدّ ما لاقاهُ اهل بيت المقوقس فان فرسان العرب قدموا من الفسطاط نحو العتمة يتقدمهم عبادة فاحاطوا بالقصر احاطة السوار بالمعصم ولما لم يجدوا اوريون القوا القبض على نيلس الخازن وسأل عبادة عن السيدة نفورس فقيل لهُ انها في غرفتها فارسل الترجمان اليها يستأذنها في الدخول عليها ويطلعها على سبب قدومهِ فاتاها هذا وانبأها بان اوريون متهم بمكيدة كادها للعرب قُتل فيها اثنا عشر فارساً من فرسانهم فاصبح بفعلتهِ هذه جانياً يستحق عقاب الموت وحجز املاكهِ الى ان قال وهو متهم بالسرقة ايضاً ثم عرض عليها ما طلبهُ الوكيل من لقائها فقالت تربص مكانك ريثما اعود ثم دخلت حجرة اخرى فجرعت شيئاً من الافيون ورجعت اليهِ فقالت اراني مستعدة للقائهِ فايتوني بهِ فدخل عبادة وقال بعد التحية ينبغي ان تخرجي من هذا البيت غداً ولك الخيار في البقاء في منف او الاقامة في بيتك الآخر في الاسكندرية فاجابت ساري في ذلك فهل قبضتم على اوريون

فقال كلاَّ ولكننا لا نجهل مكانهُ فسنقبض عليهِ بعد يوم او يومين ومتى فعلنا فجزاؤهُ الموت فقالت ومن يتهمهُ بالسرقة فقال بطريركهُ

فقالت ابنيامين ثم تبسمت وقالت ولو درى بنيامين بما اعددتهُ لهُ لما اتهمهُ هذه التهمة الفظيعة قالت ذلك مشيرة الى وصيتها التي اوصت فيها بجميع مالها للبطريرك والكنيسة وحينئذٍ نهضت واومأت الى عبادة بالانصراف فخرج وهو يقول في نفسهِ اذا لم تكن مجنونة فهي بطل في صورة امرأة

ولما خرج دعت جواريها فحملنها الى غرفتها ووضعنها في سريرها فامرت احداهنَّ بان تأتيها بصندوق صغير دلتها على مكانهِ فجاءت بهِ ووضعتهُ على المائدة بجانب السرير ولما فعلت امرتهنَّ جميعاً بالانصراف وعمدت الى الصندوق ففتحتهُ واخرجت منهُ كتابين بخط زوجها كتبهما اليها قبل زواجها وقصيدة نظمها اوريون لها فحاولت قراءة الكتابين والقصيدة فلم تفلح فعادت الى الصندوق وابرزت منهُ ذؤابتين من شعر ابنيها المقتولين وغديرة من شعر زوجها فامسكت الجميع وطفقت تتأملها وقد غلب عليها الحنوّ وهاجتها الذكرى ثم تجرعت شيئاً من الافيون وعادت تتأمل الغدائر وهي تقول لنفسها ايريدون طردي من بيتي حيث قضيت اهنأ ايام حياتي فاحببت زوجي وربيت اولادي وفيهِ كنز آمالي وذكرى ايام صباي أأطيع هذا

العبد بعد ان كنت في قمة المجد والعز اذا هم لا يعقلون وحينئذٍ مثلت امامها خيالات زوجها وولديها المقتولين وعقبها خيال اوريون ورأَت زوجها في السماء فاتحاً ذراعيهِ ليرحب بهِ وقضت بضع ساعات على هذه الحال نهضت في ختامها فسكبت ماءً في زجاجة الافيون وذوَّبت ما فيها من الحبوب ثم جرعت المذوب دفعة واحدة واسرعت الى سريرها وقد انبسطت اساريروجهها وبدت عليهِ امارات الراحة والطأنينة لكنها لم تضطجع حتى احست ببرد شديد فنادت جاريتها وقالت اسرعي وادعي كاهناً فانّي في غمرات الموت فركضت الجارية الى القهرمان واخبرتهُ بامر سيدتها فاستأذن هذا عبادة فاذن لهُ في الذهاب فلما خرج من القصر لقي شماساً فدعاهُ وادخلهُ الى غرفة نفورس فالفياها في حشرجة الموت وقد ضاع رشدها ولما دنا منها الشماس ظنتهُ اوريون فاخذت تدعوهُ باحب الاسماءِ فزودها الاسرار وهي غائبة عن الوعي واعتراها برد شديد ورجفة فاسلمت الروح فبكى سبك بكاءً مرًّا حزناً عليها وخرج الى عبادة فانبأَهُ بموتها فانقبض والتفت الى احد رجالهِ فقال كان في نيتي رعاية هذه المرأَة واكرامها فماتت وسيتهمونني في المدينة بقتلها ثم انقطع عن الكلام فجأَةً وقال في نفسهِ من يسعى في امتلاك بلاد لا ينبغي لهُ ان يكترث لهذه الحوادث

البراكين واسبابها

وحادثة مرتنيك

العاقل مَن رأَى العبرة فاعتبر بها واستفاد منها ولذلك لم تكد انباء ما حلَّ بجزيرة مرتنيك وجزيرة سنت فنسنت تصل الى الاندية العلمية حتى اوفدت كثيرين من كبار علمائها للبحث عن اسباب ما حلَّ بهما وما يمكن ان يستنتج منهُ من النتائج العلمية وما يمكن ان يبنى عليهِ في الاستدلال على ثوران البراكين قبل حدوثهِ

وقد كانت الاخبار التي وردت عن هذا الثوران حال حدوثهِ صحيحة منطبقة على الواقع لان لا غرض لمرسليها الاَّ الاخبار عمَّا حدث على مرأَى منهم اوعمَّا بلغهم خبرهُ . ثم هرع مكاتبو الجرائد اليومية ولاسيما الجرائد الاميركية وهؤُلاء غرضهم الاول التهويل والتعظيم لكي يزيد وقع اخبارهم في النفوس ويكثر ما يباع من جرائدهم فلم تعد الاخبار تروى على صحتها ولذلك اضطررنا ان نمسك عن اذاعتها في المقتطف بعد ما اذعنا الاخبار الاولى الصحيحة الى

ان صدرت تقارير العلماء الذين مضوا الى هناك قصد البحث العلمي وسنورد الآن خلاصة ما وقفنا عليهِ من هذا القبيل ونشفعهُ بما يزيدهُ ايضاحاً فنقول

يظهر من المقابلة بين كرتنا الارضية والاجرام السموية ان الارض كانت في العصور الغابرة قبلما وُجد الإنسان عليها وقبلما عاش فيها حيوان او نبات جسماً يكاد يكون سائلاً او متفرق الدقائق من شدَّة حموهِ ثم برد سطحها وجمد بتوالي العصور ولكن بقي جوفها شديد الحرارة ومن ادلَّة ذلك المواد البركانية التي تُقذَف منهُ من وقت الى آخر فقد يكون فيها اجسام معدنية مصهورة من شدَّة حموها ·

ولكن وجود الحرارة في باطن الارض لا يكفي لتعليل البراكين وثورانها في اوقات غير معلومة وان كان السبب الاول لها لان هذه الحرارة موجودة دواماً واما البراكين فلا تثور الاَّ نادراً وبراكين كثيرة انطفأت منذ زمن طويل ولم يعد يبدو منها اقل علامة تدل على قرب ثورانها . وهذه البراكين المنطفئة كثيرة لا يخلو مكان منها حتى انَّ البلدان التي لم يذكر في اقدم التواريخ انهُ ثار فيها بركان مَّا كالقطر المصري والقطر الشامي ثارت البراكين فيها في العصور الجيولوجيَّة الغابرة . وكذلك من البراكين ما خمد سنين كثيرة ثم ثار ومنها ما ثار منذ مئات من السنين ثم خمد ولم يعد يذكر انهُ ثار ثانية . من ذلك ما جاء في تاريخ ابن اياس عن ثوران بركاني في الحجاز فقد قيل فيهِ انهُ في سنة ست وخمسين وستمائة (للهجرة) في خامس جمادى الاخرى جاءت الاخبار من المدينة الشريفة انهُ ظهر في التاريخ نار بوادي شطا في المدينة وانهُ يخرج منها شرر يأكل الحجارة وقبل ظهورها بخمسة ايام وقع بالمدينة زلزلة ولم تزل هذه النار مستمرة ليلاً ونهاراً نحو شهر وكان طولها اربعة فراسخ في عرض اربعة اميال وفي ذلك يقول القائل

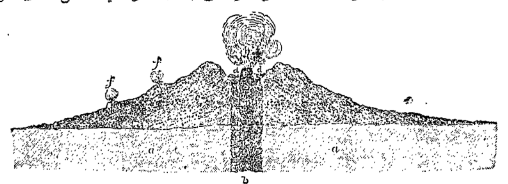
بحر من النار تجري فوقهُ سفنٌ من الهضاب لهُ في الارض ارساء
منها تكاثف في الجو الدخان الى ان عادت الشمس منهُ وهي دهماء
يرمى لها شرر كالقصر طائشة كانها ديمة تنصبُّ هطلاء

ولاشبهة في ان ذلك الحادث من نوع الثوران البركاني لكن كان لهُ سبب آخر غير الحرارة التي في باطن الارض فزال ولذلك لم يعد يظهر مرةً أُخرى .

وقد اتَّضح الآن ان السبب الآخر للبراكين هو الماء الذي يخالط المواد المعدنية الحارَّة فانهُ اذا حدث ما رفعها ولو قليلاً تمدَّد الماء الذي فيها ودفع ما فوقهُ وكلما صعد زاد تمددهُ لان طبقات الارض التي فوقهُ تكون ضاغطة عليهِ بثقلها فكلما صعد خفَّ هذا الضغط عنهُ واخيراً تبلغ قوة تمددهِ درجة عظيمة جدًّا حتى يمزّق الارض التي فوقهُ تمزيقاً كانهُ الديناميت ويدفعها

في الجوّ صخورًا واتربة بل يمزّق دقائق الصخور حتى تطير في الجو كالغبار المتطاير ويصعد بها الى علوٍ شاهق جدًّا وقد يرفعها من عمق كبير حيث تكون حرارتها شديدة حتى اذا بلغت وجه الارض جرت عليها كالسوائل او كصهارة المعادن . وقد ثبت ذلك كلهُ من وجود البخار بكثرة في مقذوفات البراكين حتى ان ما يظن دخانًا خارجًا منها ليس الاَّ بخارًا مائيًّا . ولا غرابة في ذلك لأن البخار الذي في مرجل الالة البخارية قد يشق المرجل ويمزق حديد الآلة البخارية والبناء الذي هي فيهِ ويفتت حجارتهُ تفتيتًا وما حرارة هذا البخار بالشيء المذكور في جنب حرارة باطن الارض حيث تبلغ الفي درجة او اكثر

ومتى اندفع البخار من البركان على هذه الصورة فكثيرًا ما يرفع قمة الجبل ويمزقها ويرمي بها في الجو فيصير الجبل مجوَّفًا من اعلاهُ كالكاس وهو كاس البركان كما ترى في الشكل الاول وهو



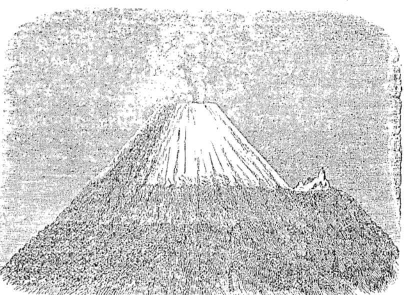
الشكل الاول

صورة وهمية لجبل ناري ترى فيها مقطوع هذا الجبل وعنق البركان حيث يخرج البخار وما معهُ من المواد المقذوفة بهِ من جوف الارض . وعلى جانب هذا الجبل فوهتان صغيرتان حيث الحرفان f f كان يظن اولاً انهما من البراكين الصغيرة المتصلة بالبركان الاصلي لكن ثبت الآن من ثوران جبل بيلي في مرتنيك ان ما كان كذلك ليس براكين صغيرة بل ابخرة صاعدة من الحمم الواقعة على جوانب البراكين

ثم ان الحمم التي تقذف من البراكين تتجمع حول فوهتها حتى يصير بها شكل الجبل مخروطيًّا ويرى هذا الشكل المخروطي على اتمهِ في بركان كوتوبكسي المرسوم في الشكل الثاني . ومن غريب امر هذا البركان ان الثلوج تغطي الجزء المخروطيّ منهُ كما ترى في الشكل لان ارتفاعهُ اكثر من ١٩ الف قدم عن سطح البحر وهو من اعلي البراكين فترى عمود الدخان او البخار فوق رأسهِ والنار تتأجج فيهِ غالبًا والثلج يغطي جوانبهُ وهو من مدهشات الطبيعة . وقد ثار هذا البركان سنة ١٧٤١ وارتفع عمود الحمم منهُ خمسة آلاف قدم وبقي ثائرًا ثلاث سنوات متوالية

ومن جملة المقذوفات التي قذفها صخر ثقله ٢٠٠ طن رمى بهِ مسافة عشرة اميال وكان ذلك سنة ١٥٣٣ . وعاد الى الثوران سنة ١٧٦٨ وكان ثورانهُ حينئذٍ على اشدهِ ثم خمد الى سنة ١٨٥١ فثار تلك السنة وسنة ١٨٥٤ و ١٨٥٥ و ١٨٥٦

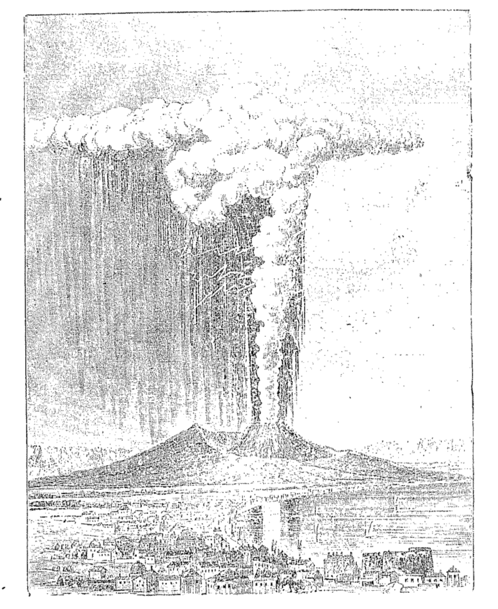
واذا كان كاس البركان وسعاً جدًّا كما صار بركان يزوف حينما قُذفت قمتهُ كلها سنة ٧٩ للميلاد وطمر ثلاث مدن بمباي وهركولانيوم وستابيا فقد تجتمع الحمم فيها في ثوران تالٍ وتكوّن كاساً مخروطية ضمن الكاس الاولى كما ترى في الشكل الثالث فانهُ صورة هذا البركان في ثورانهِ الذي ثارهُ سنة ١٨٢٢ والكاس الكبيرة التي حول الكاس المخروطية باقية من الثوران الاول الذي ثارهُ سنة ٧٩ للميلاد . وتفصيل ذلك الثوران ان يزوف خمد زمانًا طويلاً



الشكل الثاني صورة بركان كوتو بكسي باميركا الجنوبية

قبلما ثار حتى نسي الناس انهُ كان بركانًا فغرسوا الاشجار والكروم على جوانبهِ وشادوا المنازل والقصور ومصّروا عند سفحهِ ثلاث مدن كبيرة وبقيت قمتهُ العليا جرداء فاستدلَّ منها كبار المؤرخين مثل سترابو وديودورس الصقلي انها كانت بركانًا في سالف الزمن . وسنة ٧٩ للميلاد كان بلينيوس الاكبر العالم الطبيعي المشهور اميرًا على الاسطول الروماني في تلك الجهات وكان معهُ ابن اخيهِ بلينيوس الاصغر وهو فتى في السابعة عشرة من عمرهِ فوصف ما شاهدهُ هو وعمهُ في كتاب كتب بهِ الى تاشيتس لم يزل محفوظًا وقد جاء فيهِ انهُ صعد من قمة يزوف عمود اسود انبسط في اعالي الجو كشجرة كبيرة من الصنوبر بسطت اغصانها في الفضاء فاسرع بلينيوس الاكبر مع بعض رفاقهِ الى البر ليبحث عمَّا حدث لذلك الجبل لانهُ كان من ارباب البحث والتحقيق فبلغ مرفأً راسينا ولكنهُ لم يستطع النزول هناك لكثرة ما كان ينهال عليها من

الحجارة والرماد ولأَنَّ البركان قد حسر عن الشاطئ . فمضى الى مدينة ستابيا ونزل فيها واسرع الى بيت صديق لهُ اسمهُ بمبنيانوس وبقي فيهِ الى المساء وهو يراقب الجبل . ثم ظهرت السنة النار على جوانبهِ فحسب انها من احتراق القرى والحراج لكنهُ لم يكن يوجس خيفة فدخل



الشكل الثالث ثوران بركان بزوف سنة ١٨٢٢

مخدعهُ ونام . وكثر وقوع الرماد والحجارة في ستابيا تلك الليلة حتى امتلأَت دار البيت بها فايقظهُ خدمهُ وخرج الجميع من البيت بعد ان ربطوا الوسائد فوق رؤُوسهم لكي لا تصرعهم الحجارة المنهالة عليهم وكان الظلام حالكاً مع ان النهار كان قد طلع فساروا على ضوء المشاعل الى

ان بلغوا الشاطئ ثم اغمي على بلينيوس وخنقتهُ الغازات السامَّة ففاضت روحهُ وانقضى اجل ذلك العالم الطبيعي شهيدًا في سبيل العلم

اما الثوران الذي حدث سنة ١٨٢٢ ورُسم في الشكل الثالث فارتفع فيهِ عمود السحاب المقذوف من الجبل عشرة آلاف قدم وتواسلت البروق فيهِ وهطل منهُ مطر حارٌّ كالسيل العرم

وقد تبلغ المواد المقذوفة من البراكين ارتفاعًا شاهقًا جدًّا حتى تصير تدور حول الارض كما تدور الاقمار حول كواكبها ان الغبار الذي قذفهُ بركان كراكاتوى بين جاوى وسومطرة سنة ١٨٨٣ بلغ ارتفاعهُ ١٧ ميلاً على اقل تقدير وبقي ثلاث سنوات يدور حول الكرة الارضية واظلمت البلاد بهِ على اكثر من الف ميل حول البركان. وكان ذلك الثوران اشد من ثوران بركان بيلي اضعافًا مضاعفة لان صوتهُ سُمع على مسافة الفي ميل واما ثوران بركان بيلي فلم يسمع على مئتي ميل لكنهُ كان من اشد الثورانات فتكًا بالنفوس ومن اقواها على تحريك عاطفة البشر ومن انفعها في تحقيق شرائع البراكين

وسبق هذا الثوران حوادث بركانية كثيرة اولها ثوران بركان كوليما في غربي بلاد المكسيك في اواخر العام الماضي ثم زلزلة المكسيك والقسم المتوسط من اميركا التي اخربت بعض المدن في ١٨ ابريل الماضي. وكأنَّ هذه الزلزلة حركت شقًّا متصلاً ببركان بيلي في جزيرة مرتنيك او نكأت جرحًا قديمًا كان قد خمد منذ سنة ١٨٥١ وحركت جرحًا آخر متصلاً ببركان سوفرير في جزيرة سنت فنست وكان قد خمد منذ سنة ١٨١٢ فجعل هذان البركانان يقذفان البخار ولم ينتهِ شهر ابريل حتى توالت الاصوات كهزيم الرعد وكثر رجفان الارض واندفاع الوحول من بركان بيلي وامتحن الاستاذ لاند من اساتذة مدرسة سان بير الهواء فوجد فيهِ غازات مما يكون في طبقات الارض السفلى فبعث الى حاكم مرتنيك ينبئهُ بدنو الخطر وكان بعضهم قد انبأ بهذا الخطر قبل ذلك باكثر من عشر سنوات حيث قال ما ترجمتهُ

" ثار جبل بيلي سنة ١٨٥١ وقذف النار والدخان فاضطرب السكان ولجأ بعضهم الى السفن الراسية في المرفإِ وثورانهُ حينئذٍ لم يكن لهُ شأن كبير لانهُ اقتصر على طمر مئات من التداوين بالمواد الكبريتية لكنهُ دلَّ على ان البركان لم ينطفئ بل هو خامد . ثم تنبَّه مرةً او مرتين بعد ذلك دلالةً على انهُ سيستيقظ يومًا ما ويطمر سان بير بالرماد والحمم كما فعل بركان بزوف بمدينة بمباي ". وقد طبع هذا القول ونشر سنة ١٨٩٢ وتمَّ الآن حرفيًّا كأنَّ صاحبهُ أُوتي علم الغيب . لكن ثوران سنة ١٨٥١ وذهابهُ من غير ضرر اغرى السكان بان ما حدث الآن من قبيل ما حدث حينئذٍ فلم يوجسوا خيفةً

وفي اليوم الخامس من شهر مايو ثار بيلي وقذف حثالة الصخور مازجاً اياها ببخار الماء فانهالت على الارض ماء غالياً وطيناً حاراً واكتنفت معمل سكر وقتلت من فيهِ . ومع ذلك بقي حاكم الجزيرة يمنع الناس من المهاجرة حاسباً ان هذا الثوران سليم العاقبة مثل الثوران السابق الذي حدث سنة ١٨٥١

وثار بركان السفرير في جزيرة سنت فنسنت في السابع من مايو ثوراناً شديداً جداً لكنهُ قطع الاسلاك البرقية فلم يصل خبرهُ الى سان بير لينذر سكانها بدنو الخطر فتربصوا في اماكنهم يتوقعون منيتهم وما خبئ لهم في مخابئ القدر الى اليوم التالي وهو الثامن من مايو ذلك اليوم المشهود. وفي صباحهِ انبثق البركان من رأسهِ وجانبهِ وكان لانبثاقهِ صعقة صمت الآذان على ما قيل فارتجت الارض ومادت بسكانها فلاذوا بمنازلهم ومعابدهم وكان الجبل قد ارسل عليهم سحاباً من الغازات الملتهبة ومطراً من الحجارة المحماة فانهالا على المدينة والسفن التي في مرفإها فغمراها في لحظة من الزمان وكانت السفن سبع عشرة فلم ينجُ منها الاَّ اثنتان واصاب القرى المجاورة لسان بير ما اصابها فمحيت من لوح الوجود واهتزت جزيرة مرتنيك كلها بهذه الصعقة وحملت الامواج صوتها مئتي ميل من كل جهة وارتفع عمود البخار والغبار اميالاً وانتشر الغبار على سطح الاوقيانوس اكثر من مئة الف ميل مربع

ولم يكن هذا الثوران خاتمة المطاف ولا اقصى ما استطاعهُ ذلك البركان. واستمرَّ السفرير على قذف البخار والطين وبيلي على قذف الحمم الى العشرين من مايو فثار بيلي حينئذٍ ثورة اشد من الاولى بلغ تأثيرها المغنطيسي مدينة باريس شرقاً وجزائر هنولولو غرباً وتنبهت لها حمائم مكسكو الجديدة وبراكين كثيرة كانت خامدة . وبلغ عدد النفوس التي قضي عليها بثوران بيلي والسفرير اربعين الفاً وهم ٢٥ الفاً في مدينة سان بير وسبعة آلاف في القرى المجاورة لها والفان في جزيرة سنت فنسنت ونحو خمسة آلاف في بلدان أُخرى

وارتفاع جبل بيلي نحو خمسة آلاف قدم عن سطح البحر وهو مجوَّف من جانبهِ الجنوبي الغربي كأن جانباً منهُ خُسف من تلك الجهة في غابر الزمن فصار كالراحة المجوفة . هناك بنيت مدينة سان بير عاصمة جزيرة مرتنيك حتى اذا ثار هذا البركان يوماً لا تجد مقذوفاتهُ سبيلاً الاَّ اليها. لكن مضت السنون وهو خامد فاغفل الناس امرهُ ثم ثار سنة ١٨٥١ كما تقدَّم لكنهُ اكتفى بقذف الرماد والوحل فحسبوا ان هذا كل ما في وطابهِ فاستناموا وازدهت المدينة وكانت عروس المدن في جزائر الانتيل الصغرى وواسطة عقدهنَّ. وفيها ولدت جوزفين زوجة نبوليون الاول واليها يُنسَب برناردين الكاتب الفرنسوي الشهير مؤلف رواية بول وفرجيني التي جعل

وقائعها في جزيرة مرتنيك . وهي عاصمة تجارة جزائر الانتيل

وكانت جوانب جبل بيلي مغطاة بالمزارع والقرى تجري فيها جداول المياه وتتخللها طرق المارة فلا يبين من الارض سواها . وفي كاس البركان بحيرة يجري الماء منها وينضمّ اليهِ غيرهُ من الينابيع فيتكون منها نهر يقال لهُ النهر الابيض

ومن رأي الدكتور مكجي الاميركي " ان الثوران الاول الذي حدث في الخامس من مايو قذف ماء البحيرة التي في اعالي جبل بيلي فانهالت بعزم شديد وجرفت الاتربة ومعمل السكر على ما تقدَّم ثم في صباح الثامن من الشهر كان في حلق البركان صخور ذائبة فتمدد بخار الماء تحتها وقذفها في الجو فعلت فوقهُ بخارًا ودخانًا وغبارًا وحجارة محماة تكاد تكون مائعة لشدة حموها . وكان لانقذافها في الجوّ تأثير شديد في الهواء فتكونت فيهِ امواج شديدة الضغط ثم وقعت هذه المقذوفات بثقلها فلقيت امواج الهواء فجرت معها نحو المدينة كزوبعة هوجاء وفي جانب بيلي فوهة صغيرة انفجرت حينئذٍ وقذفت بخارًا وغازات اثقل من الهواء فجرت امام مقذوفات البركان كغمامة كثيفة وجبها اسود عبوس وسافتها نار مضطرمة او بروق كهربائية فطارت سقوف البيوت من وجهها كالعصافة امام الريح وقُذفت المدافع الكبيرة من فوق مركباتها وهناك تمثال من المعدن ثقلة مئة وخمسون قنطارًا رمى بهِ العاصف فابعدهُ عن مقرهِ مئة وعشرين قدمًا وبلغ هذا العاصف السفن التي في مرفإِ المدينة فقلبها وقطع مراسيها ودفع ماء البحر امامهُ فحسرهُ عن الشاطيء الى امد بعيد حتى اذا بلغ ابعد مداهُ ارتدَّ بعنف شديد واجهز على المدينة وما فيها

" وحالما سمع الاهالي صعقة البركان وشعروا بارتجاف الارض تحت اقدامهم ورأوا الغمامة السوداء تعدو اليهم لجأوا الى منازلهم ومعابدهم او هاموا على وجوههم لا يدرون الى اين يذهبون لكن العاصفة ادركتهم حالاً وضربت بهم جدران البيوت ثم انهالت عليهم الحجارة المحماة بجمر النار واكتنفتهم الابخرة الكبريتية والغازات السامة فقضوا ترضضًا واحتراقًا واختناقًا واشتعلت الغازات فاجهزت على مَن بقي حيًّا

" هذه خلاصة ماشهد بهِ الذين كانوا في السفينة رودام التي نجت من الغرق والاحتراق بشق الانفس وما شهد بهِ اناس كانوا واقفين على شواهق تطل على سان بير وشهادة هؤلاء كلهم متفقة على ان بركان بيلي حرق سان بير بنارهِ . وفي اقل من عشر دقائق اهلك ثلاثين الف نفس سكانها وسكان ضواحيها ثم كأنهُ ابى ان تبقى اشلاء قتلاهُ من غير دفن فثار في العشرين من مايو وطمرهم بالتراب والحجارة وكان الثوران الاول قد ابقى جانبًا كبيرًا من

جدران البيوت والمباني العمومية قائماً فلم يبقِ الثوران الثاني شيئاً منها بل مهّد المدينة تمهيداً".
هذه خلاصة ما قالهُ الدكتور مكجي

ولا تخلو اقوال العلماء الباحثين في هذا الموضوع من الاختلاف والتناقض في بعض الامور ويؤخذ مما ذكرهُ الاستاذ ملن حديثاً في الجزء الاخير من جريدة ناتشر الصادر في ١٤ اغسطس ان القبطان فريمن ربَّان السفينة رودام التي نجت ببعض بحارتها راقب الثوران الاول مراقبة دقيقة رغماً عن انهيال الرماد الحار عليهِ حتى حرق وجههُ ويديهِ فانهُ كان واقفاً على ظهر سفينتهِ حينما ثار البركان وكانت السفينة قد دخلت المرفأ حينئذٍ وصارت على امتار قليلة من الشاطئ وقد قال انهُ رأى سحابة سوداء آتية من جانب البركان بسرعة فائقة وهي التي قلبت السفن فلما رآها مسرعة اليهِ كان البخار لا يزال في سفينتهِ فاجراها الى الوراء باشد سرعتها حتى انقطع حبل مرساتها ومنع الرماد سيرها الى الوراء فعاد بها الى الامام ثم عاد الى الوراء وجعل يبتعد ويقترب وهو يرى السفن تحترق بجانبهِ والناس هائمين على الشاطئ دلالةً على انهم لم يموتوا كلهم دفعةً واحدة وكانت الحجارة والرماد تنهال على سفينتهِ كما تنهال على غيرها فقتلت ٢٦ من بحّارتهِ واخيراً تيسَّر لهُ الهرب فنجا بنفسهِ وبالذين بقوا احياء من رجالهِ وفي سفينتهِ ما زنتهُ ١٢٠ طنًّا من الرماد او التراب الناعم المقذوف من البركان وبقي هذا الرماد سخناً ثلاثة عشر يوماً وبلغ سمك طبقة الرماد في سان بير قدماً واحدة

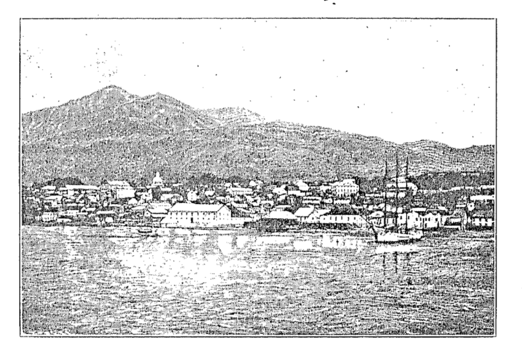
ومن رأْي الاستاذ ملن ان الناس اختنقوا باستنشاق الرماد السخن او احترقوا بهِ او بالبخار السخن والسنة النار واحترق معهم كل نبات اخضر في المدينة وحولها ولكن لم يحترق من الجزيرة كلها سوى جزء من عشرين جزءا وما بقي لا يزال اخضر نضراً. ولم تجرِ من البركان انهر من المعادن المصهورة بل انهر من الطين

ومن الذين مضوا الى تلك الجزائر للبحث عمَّا فعلهُ بركان يلي والسوفرير الدكتور توماس جغّار الاميركي من مدرسة هارفرد الجامعة وقد قال في هذا الصدد ما خلاصتهُ

"وصلنا فور ده فرانس في الحادي والعشرين من مايو وانتقلنا الى سان بير حالاً ونزلنا فيها وكان الثوران الثاني قد حدث في اليوم السابق . وخاف رئيس الباخرة التي كنا فيها ان يفاجئنا مفاجئ فوقف يرقب البركان وامرنا ان نعود الى القوارب حالما نسمع صفير السفينة فجعلنا نضرب بين الخرائب فلم نرَ بناء قائماً بل كانت الشوارع كلها مغطاة بالانقاض والحجارة المستديرة كأنها من زلط البحر يعلوها كلها مسحوق رمادي ضارب الى الخضرة كأنهُ الرمل . ورأينا كثيراً من الجثث متفرقة ومجتمعة وتدل الصور الفوتوغرافية وشواهد العيان على ان الثوران الاخير

الذي حدث في العشرين من الشهر كان اشد من الثوران الاول الذي حدث في الثامن منهُ "

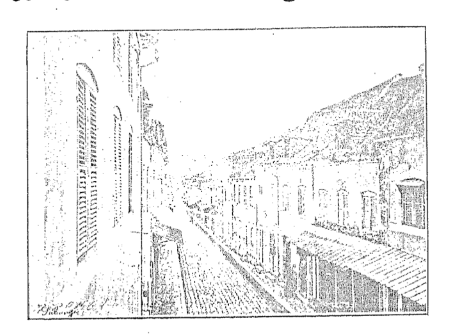
ويظهر ذلك جليًّا من الصور الاربع التالية فان الاولى وهي الشكل الرابع صورة المدينة قبل ثوران البركان والثانية وهي الشكل الخامس صورة شارع من شوارعها وهو شارع فكتور هيغو قبل الثوران ايضاً والثالثة وهي الشكل السادس صورة هذا الشارع عينهِ بعد الثوران الاول الذي حدث في الثامن من الشهر والرابعة وهي الشكل السابع صورتهُ بعد الثوران الاخير الذي حدث في العشرين منهُ فانهُ لم يبقَ فيهِ الاَّ انقاضاً مبعثرة



الشكل الرابع مدينة سان بيرقبل خرابها

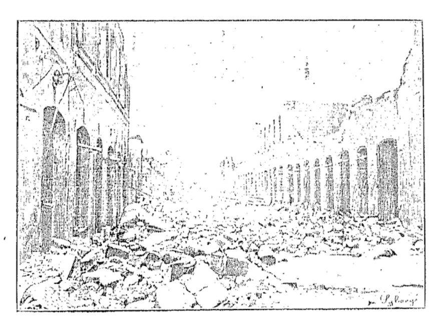
وقال الدكتور جنَّار "ان جثث الموتى كانت لينة بعد الثوران الاول فيبست وتقلَّصت بعد الثوران الثاني كأَن نفحتهُ كانت احر من نفحة الثوران الاول والجانب القريب من البركان يطمرهُ الرمل والحصى الى عمق عميق واما الجانب الجنوبي فلا يزيد سمك ما عليهِ عن قدم او قدمين. ولمَّا مررت في شارع فكتور هيغو لم آكد اصدق ان تلك الخرائب كانت منذ اسبوعين شارعًا في مدينة فرنسوية عامرةً فانهُ لم يكن فيهِ غير الانقاض وقد حُرِق الخشب منها. والتفتُّ الى البركان وكانت قمتهُ مغطاة بالضباب ولكن الشمس مشرقة على سفحهِ يبين في نورها معفرًّا بالغبار كأَنهُ تمثال قديم علاهُ غبار النسيان. والجانب الذي فيهِ البركان ومجراهُ رمادي صخري لا حياة فيهِ ولا حراك غير منافس البخار تتنفس منهُ وحول ذلك آكام مكسوة خضرة. ولكن

ما هذه المنافس البخارية . لما نزلنا من القارب لم نرَ منها الاَّ منفساً او اثنين وهي الآن ثمانية بل عشرة بل عشرون وقد امتلأً بها سفح الجبل وهي تعلو الى قنتهِ . كان الدكتور تشرش واقفاً



الشكل الخامس شارع فكتور هيغو في مدينة سان بيرقبل خرابها

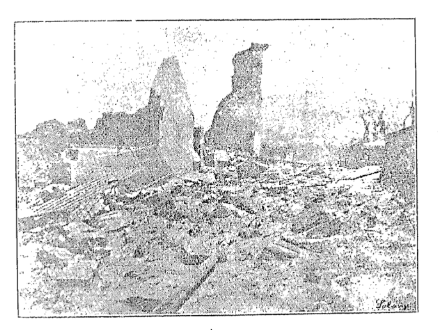
الى جانبي ورآني ارقبها موجساً منها خيفةً . صارت الآن اربعين منفساً كأنها آلات بخارية



الشكل السادس شارع فكتور هيغو بعد الثوران الاول

خرجت من اسرابها واطلقت بخارها دفعةً واحدة . وكان العلماء الذين معنا والضباط متفرقين

بين خرائب المدينة حيث لا يُرى البركان فلم يروها فالتفتنا الى السفينة فرأيناها قذفت البخار من صفّارتها ونادتنا بصوت دوت له الجبال والقيعان لنعود اليها سريعاً منذرةً ايانا بالخطر فانقلبنا راجعين الى الشاطئ وهرعنا الى القوارب لا نلوي على شيء ولم نبعد عن البر الاَّ قليلاً حتى اقبل اثنان لم يسمعا الصفير الاول او كانا بعيدين فعدنا اليهما بالقارب ونظرنا الى الجبل واذا البخار يصعد عنهُ من كل ناحية كأنهُ يتحفَّز للثوران لكنهُ لم يثر. ويظهر لي الآن ان ذلك البخار حدث من مطر وقع عليهِ من السحاب الذي كان يكتنفهُ فجرت المياه على جوانبهِ فاصابت



الشكل السابع شارع فكتور هيغو بعد الثوران الثاني

بقعاً فيها حجارة حامية فاستحالت بخاراً . ثم رأينا ذلك مراراً وتبيَّناهُ جيداً في سنت فنسنت كما سيجيءُ

ثم وصف شكل الجبل ووضع سان بير في تجويفهِ مما يلي البحر وقال ان هذا التجويف يحيط بها من الشرق والجنوب وان البحر يحدها من الغرب . ورجَّح ان المواد التي انهالت عليها في الثوران الاول كانت حامية كالجمر وصغيرة الاجزاء كالرمل وهي اذا نُظرت في الظلام بانت كالمعدن المصهور او كأنهار من النار جارية على جوانب الجبل وان كاس البركان طولها نحو الفي قدم وعمقها نحو ثمانمئة قدم تتصل بشِعْب من جهة الغرب واصل الى البحر وقد كان هذا الشِعْب هناك قبل الثوران الاخير

وسنأتي على تتمة وصفهِ وما قالهُ هو وغيرهُ مما فيهِ فائدة وذكرى

الخمر والتبغ والطعام

بحثنا لنرى ما يشربهُ سكان القطر المصري من المسكرات فوجدنا انهُ دخلهُ من الخمر في العام الماضي ما ثمنهُ ١٤٧٣٨٣ جنيهاً وهي تباع بالتفاريق باكثر من اربعة امثال ثمنها الذي قدّرت بهِ في الجمرك فلا يقل ما تباع بهِ عن ستماية الف من الجنيهات . ودخلهُ من البيرا ما قدّر ثمنهُ في الجمرك بنحو ٨٣ الف جنيه ولعلها تباع بالتفاريق بنحو ثلثمئة الف جنيه ودخلهُ من سائر الاشربة الروحية كالكنياك والوسكي ما قدّر ثمنهُ في الجمرك بمئة الف جنيه واكثر هذه الاشربة يباع بالتفاريق بثمن فاحش جدًّا فيبلغ ثمن زجاجة الكنياك من مئة غرش الى مئتي غرش واذا قدّرنا الثمن الذي يدفعهُ سكان القطر بالتفاريق عشرة اضعاف الثمن الذي نقدّر بهِ هذه الاشربة في الجمارك لا نكون قد زدنا بل قلّلنا ولذلك فسكان القطر المصري يدفعون نحو مليوني جنيه كل سنة ثمن الاشربة الروحية من خمر وبيرة وكنياك ووسكي وما اشبه وهم عشرة ملايين نفس فمتوسط ما يخص النفس الواحد في السنة عشرون غرشاً

ويأتي التبغ بعد المسكرات لانهُ من نوعها لذةٌ وقتية يعقبها الضرر الدائم او لا تعقبها فائدة تذكر وقد دخل القطر المصري في العام الماضي نحو ستة ملايين ونصف مليون كيلو من التبغ وصدر منهُ نحو نصف مليون كيلو فاستعمل فيهِ ستة ملايين كيلو وهي تباع بالتفاريق باربعة ملايين جنيه او اقل قليلاً فمتوسط ما يخصُّ كل نفس من سكان القطر اربعون غرشاً في السنة

وخلاصة ما تقدم ان سكان القطر المصري يدفعون كل سنة نحو مليوني جنيه ثمن المسكرات التي يشربونها ونحو اربعة ملايين جنيه ثمن التبغ الذي يدخنونهُ

نأتي الى ثمن الخبز الذي يأكلهُ سكان هذا القطر . وليس عندنا احصاء مدقق لهُ ولكن اذا كان ثمن حاصلات القطر ثلاثة واربعين مليونًا من الجنيهات وثمن القطن منها وبزرتهُ خمسة عشر مليونًا فالباقي وهو ٢٨ مليونًا هو ثمن الحنطة والذرة ونحوهما مما يؤكل وثمن علف المواشي والفاكهة ولعلَّ ثمن الحنطة والذرة لا يزيد على خمسة عشر مليونًا من الجنيهات وثمن بقية اصناف الطعام لا يزيد على عشرة ملايين وهذا ينطبق ما يقدرهُ السكان وهو اردب ونصف من الحنطة في السنة لكل نفس فسكان هذا القطر ينفقون في السنة على طعامهم خمسة وعشرين مليونًا من الجنيهات وعلى التبغ والاشربة الروحية ستة ملايين من الجنيهات الاَّ ان الطعام لازم لكل الناس ويشترك فيهِ الجميع واما التبغ والمسكرات فلا يستعملها الاَّ بعضهم فيخرج منهم اولاً الصغار كلهم من ابن اربع عشرة سنة فنازلاً وهم نحو ثلاثة اخماس السكان وثانيًا النساء

كاهنٌ وكل الذين لا يشربون مسكرًا ولا يدخنون تبغًا . واذا قلنا ان عدد الذين يدخنون التبغ يبلغون مليوني نفس والذين يشربون المسكرات اكثرهم منهم لا من غيرهم لا نكون قد زدنا عددهم عمَّا هو عليهِ حقيقة ولذلك فالذين يدخنون التبغ ويشربون المسكرات لا يزيد عددهم على مليوني نفس ومتوسط ما ينفقهُ الواحد منهم في سنتهِ على التبغ والمسكرات ثلاث جنيهات وهو ينفق على طعامهِ الضروري لحياتهِ جنيهين ونصف جنيه لا غير كما تقدم وهذا على غرابتهِ امر واقعي لاجدال فيهِ

ثم ان بلادًا ينفق سكانها ستة ملايين من الجنيهات في السنة على بعض الملاذ يُنتَظر انهم ينفقون ما يقاربها على ما منهُ فائدة كبيرة او ما هو اساس عمرانهم وقوام كيانهم كالتعليم والتهذيب والكتب والجرائد

اما التعليم فغاية ما تنفق عليهِ الحكومة والتلامذة الذين يتعلمون في مدارسها نحو مئة وستين الف جنيه في السنة . وما ينفقهُ الاهالي على المدارس الاهلية من كل الانواع وما ينفقونهُ على اولادهم في المدارس الاجنبيَّة لا يزيد على مئة واربعين الف جنيه فجملة ما ينفق على التعليم في القطر المصري لا يزيد على ثلثمئة الف جنيه في السنة . واذا اضفنا الى ذلك ما ينفق على الكتب والجرائد لم يبلغ المجموع مليون جنيه اي ربع ما ينفق على التبغ وحدهُ ونصف ما ينفق على المسكرات فكان كل صاحب بيت في القطر المصري ينفق على التبغ والمسكرات ثلثمئة غرش في السنة وعلى تعليم اولادهِ خمسة عشر غرشًا لا غير على فرض ان اصحاب البيوت مليونان وفي كل بيت خمس انفس

وانظر كيف يُنفَق دخل السكان في هذا القطر فان دخل الزراعة الآن يبلغ ثلاثة واربعين مليون جنيه في السنة ودخل الصناعة والتجارة والاستخدام نحو عشرين مليون جنيه في السنة فجملة دخل السكان نحو ثلاثة وستين مليون جنيه في السنة وهي تنفق هكذا بالتقريب

ثمن الطعام	٢٥	مليون جنيه
ثمن اللباس	٨	ملايين جنيه
ربا دين الحكومة والاهالي	٧	« «
نفقات الحكومة	٦	« «
ثمن التبغ	٤	« «
ثمن الفحم والخشب	٣	« «
ثمن المعادن والآلات المعدنية	٣	« «

ثمن المسكرات	٢	ملايين جنيه
ثمن السكر والشاي والبن	١	مليون جنيه
ثمن الحجارة والجير والرخام والخزف	١	« «
ثمن الاصباغ والمواد الكيماوية	١	« «
ثمن الورق والكتب واجرة التعليم	١	« «
ثمن مواد متفرقة	١	« «
والجملة	٦٣	مليون جنيه

فالذي يدخن التبغ ينفق عليهِ في السنة اكثر مما ينفق الفرد على طعامهِ واضعاف ما ينفق على لباسهِ والمدخنون وشاربو المسكرات ينفقون في السنة ستة اضعاف ما تنفق البلاد كلها على التعليم والتهذيب والكتب والجرائد والورق والحبر والاقلام وكل وسائل الارتقاء العقلي :

وسكان هذا القطر غير منفردين في ذلك ولا هم ممتازون على غيرهم بهِ فان اهالي الولايات المتحدة الاميركية مثلاً ينفقون في السنة على التبغ ٩٦ مليون جنيه وهم ثمانون مليونًا اي ثمانية اضعاف اهالي القطر المصري فكل عشرة ملايين منهم ينفقون في سنتهم على التبغ اثني عشر مليون جنيه اي ثلاثة اضعاف ما ينفقهُ سكان القطر المصري . وينفقون على المسكرات نحو ٢٧٠ مليون جنيه فينفق كل ١٠ ملايين نفس منهم نحو ٣٤ مليون جنيه اي سبعة عشر ضعف ما ينفقهُ سكان القطر المصري لكن شتان بين دخل السكان هناك ودخلهم في هذا القطر فقد تقدم ان دخل العشرة الملايين سكان القطر المصري يبلغ ٦٣ مليون جنيه في السنة اما دخل سكان الولايات المتحدة فيبلغ ٣٦٠٠ مليون جنيه فدخل كل عشرة ملايين نفس منهم يبلغ في السنة ٤٥٠ مليون جنيه او اكثر من سبعة اضعاف دخل السكان في القطر المصري وهم ينفقون على التعليم نحو خمسين مليون جنيه في السنة

وهاك جدولاً ابنَّا فيهِ متوسط دخل الشخص الواحد من سكان الولايات المتحدة ومن سكان القطر المصري ومتوسط ما ينفقهُ كلٌّ منهما على التبغ والتعليم

	متوسط دخلهِ	نفقاتهُ على التبغ	نفقاتهُ على التعليم
الاميركي	٤٥٠٠ غرش	١٢٠ غرشًا	٦٢ غرشًا
المصري	٠٥٣٠ غرشًا	٤٠ «	٣ غروش

فمتوسط دخل المصري سُبْع متوسط دخل الاميركي ولكنهُ ينفق على التعليم نصف عشر ما ينفقهُ الاميركي وعلى التبغ ثلث ما ينفقهُ الاميركي . والاميركي ينفق على التبغ اقل من مضاعف

ما ينفقهُ على التعليم واما المصري فينفق على التبغ اكثر من ثلاثة عشر ضعف ما ينفقهُ على التعليم

وهذه المقابلة بيننا وبين سكان الولايات المتحدة الاميركية تصلح ان تكون بيننا وبين سكان انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وغيرها من الممالك المرتقية فان الدخل فيها كلها اكثر كثيرًا منهُ في هذا القطر وكذلك ما ينفق على التعليم واما ما ينفق على التبغ والمسكرات فقليل جدًّا بالنسبة الى الدخل .

مكاتب المسلمين

« تابع ما قبلهُ »

وهاك ما ذكرهُ ابن نديم عن مجموع آخر من الكتب وهو حقيق بالنظر والاعتبار

"قال محمد بن اسحق كان بمدينة الحديثة (مما يلي الموصل) رجل يقال لهُ محمد بن الحسين ويعرف بابن ابي بعرة جمَّاعة للكتب لهُ خزانة لم أرَ لاحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربيَّة في النحو واللغة والادب والكتب القديمة . فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي وكان نفورًا ضنينًا بما عندهُ خائفًا من بني حمدان فاخرج لي قمطرًا كبيرًا فيهِ نحو ثلثماية رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصري وورق صيني وورق تهامي وجلود أدَم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسماء والانساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم . وذكر ان رجلاً من اهل الكوفة ذهب عني اسمهُ كان مشتهرًا بجمع الخطوط القديمة وانهُ لمَّا حضرتهُ الوفاة خصهُ بذلك لصداقة كانت بينهما وافضال من محمد بن الحسين عليهِ ومجانسة المذهب فانهُ كان شيعيًا . فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبًا الاَّ ان الزمان قد اخلقها وعمل فيها عملاً ادرسها واحرقها وكان على كل جزء او ورقة او مدرج توقيع بخطوط العلماء واحدًا اثر واحد فذكر فيهِ خط مَن هو وتحت كل توقيع آخر خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض . ورأيت في جملتها مصحفًا بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي رضي الله عنهُ . ثم وصل هذا المصحف الى عبد الله بن حسان رحمهُ الله ورأيت فيها بخطوط الامامين الحسن والحسين. ورأيت عندهُ امانات وعهودًا بخط امير المؤمنين عليهِ السلام و بخط غيرهِ من كتَّاب النبي صلعم ومن خط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو اسحق بن العلاء وابي عمرو الشيباني والاصمعي وابن الاعرابي وسيبويه والفراء والكسائي ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عينية وسفيان النوري والاوزاعي وغيرهم

ورأيت ما يدل على ان النحو عن ابي الاسود ما هذه حكايتهُ وهي اربعة اوراق احسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من ابي الاسود رحمة الله عليهِ بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحتهُ هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيهِ فما سمعنا لهُ خبرًا ولا رأيت منهُ غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنهُ

[المقتطف . ذكر ما تقدم ابو الفرج محمد بن اسحق الوراق البغدادي المعرف بابن اسحق النديم في كتاب الفهرست الذي الَّفهُ سنة ٣٧٧ للهجرة]

وذكر ياقوت الرحالة المشهور انهُ رأى في مرو اكثر من اثني عشر خزانة للكتب وهناك جمع اكثر ما ذكرهُ في معجم البلدان وكان اصحاب الكتب لا يضنون عليهِ بكتاب يستعيرهُ منهم وكثيرًا ما كان يبقى عندهُ مئتين من الكتب المستعارة

وقد اشرت قبلاً الى خزائن الكتب التي جمعها الحكم في الاندلس واقول الآن انهُ لم يفقها الاَّ خزائن الكتب التي جمعها الخلفاء الفاطميون في القاهرة . وقد اختلف المؤرخون في عدد ما كان فيها من الكتب وهي مئة الف مجلد على اقل تقدير وكان فيها كرتان الواحدة قديمة جدًّا والثانية صنعها ابو الحسن لاسد الدولة

وسنة ٣٩٥ انشأ الخليفة الحاكم دار العلم المسماة ايضًا دار الحكمة وجمع اليها اعظم علماء العصر في كل فن وقطع لهم ٢٥٧٠ دينارًا في السنة نفقة

ثم تفرق الجانب الاكبر من هذه الكتب ايدي سبا وصارت تعطى للناس بدل رواتبهم

[المقتطف. وقد اشار الكاتب بذلك الى ماذكرهُ المقريزي في خططهِ فرأينا ان ننقل كلام المقريزي برمتهِ اتمامًا للفائدة قال نقلاً عن المسيحي " انهُ ذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فامر خزَّان دفاترهِ فاخرجوا من خزانتهِ نيفًا وثلاثين نسخةً من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد . وحمل اليهِ رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمئة دينار فامر العزيز الخزَّان فاخرجوا من الخزانة ما ينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطهِ. وذكر عندهُ كتاب الجمهرة لابن دريد فاخرج من الخزانة مئة نسخة منها . وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر اربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة قال وكنت بمصر في العشر الاول من محرَّم سنة ٤٦١ فرأيت فيها خمسة وعشرين جملاً موقرة كتبًا محمولة الى دار الوزير ابي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت ان الوزير اخذها من خزائن القصر هو والخطير

ابن الموفق في الدين بايجاب وجبت لهما عمّا يستحقانهِ وغلمانهما من ديوان الحسبيين وان حصة الوزير منهما قوّمت عليهِ من جاري مماليكهِ وغلمانهِ بخمسة آلاف دينار. وذكر لي من لهُ خبرة بالكتب انها تبلغ اكثر من مئة الف دينار . ونُهب جميعها من دارهِ يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نُهب من دور من سار معهُ. هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة ابي الفضل بن المحترق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتلهِ الى المغرب وسوى ما ظفرت بهِ لواتة محمولاً مع ما صار اليهِ بالابتياع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة احدى وستين واربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التي اخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونهُ في ارجلهم واحرق ورقها تفاؤلاً منهم انها خرجت من قصر السلطان اعز الله انصارهُ وان فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليهِ الرياح التراب فصار تلالاً باقية الى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب . وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت في احد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيجيء الخليفة راكباً ويترجّل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليهِ من يتولاها وكان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القويّ فيحضر اليهِ المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحهُ من الكتب فان عنَّ لهُ أخذُ شيء منها اخذهُ ثم يعيدهُ وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب ما يزيد على مائتي الف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات. فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائرهِ كابن البوّاب وغيرهِ وتولى بيعها ابن صورة في ايام الملك الناصر صلاح الدين . فاذا اراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها . وفيها ناسخان وفرّاشان صاحب المرتبة وآخر فيعطي الشاهد عشرين ديناراً ويخرج الى غيرها . وقال ابن ابي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوهُ خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انهُ لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها انهُ كان فيها الف ومائتا نسخة من تاريخ الطبريّ الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على الف وستمائة الف كتاب

ومن الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهى. ومما يؤيد ذلك ان القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن علي لما انشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة الف كتاب مجلد . وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدة اعوام فلو كانت كلها مائة الف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء . وذكر ابن ابي واصل ان خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين الف مجلد " انتهى ما ذكرهُ المقريزي]

وذكر المقريزي وابو المحاسن والنويري ان من جملة ما وجد في دار امين الدولة ابي يحيى السامري كتب ثمينة يبلغ عددها مئة الف مجلد وبعضها من خط امهر النسّاخ . ولمّا توفي الامام نور الدين علي ابن جابر في القاهرة سنة ٧٢٥ وُجد في خزانة كتبهِ ٦٠٠٠ مجلد

والظاهر ان جانبًا كبيرًا من الكتب التي كانت في القاهرة حُمل الى الشام فوضع بعضهُ في طرابلس وحرقهُ الصليبيون لمّا فتحوها سنة ٥٠٢ للهجرة على ما قالهُ مؤرخو العرب والبعض الآخر وُضع في المدرسة الناصرية بدمشق التي بناها الملك الناصر يوسف الايوبي . وذكر النويري ان الملك الناصر بعث من جملة هدية الى الخليفة في بغداد ثلثمئة مجلد بديعة النسخ

وقال ابن خلدون ان الوزير ابا الحسن علي بن يوسف القفطي جمع من الكتب ما لا يوصف قُصد بها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها واوصى بكتبهِ للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين الف دينار(١)

وقال احمد العسقلاني المؤرخ عن محمد بن يعقوب الفيروزبادي مؤلف القاموس انهُ لم يكن يسافر الاَّ ومعهُ احمال كثيرة من الكتب . ومن الغريب ان افريقية لم تكن دون غيرها من ممالك الاسلام في الكتب والمكاتب فقد قال مؤرخ من اهالي القيروان ان قاضيها واسمهُ ابو الفضل احمد جمع كتبًا بيعت بعد وفاتهِ بالف دينار . ولما استولى الافرنج على سبتة سنة ٨١٧ للهجرة حملوا منها كل ما وجدوهُ فيها حتى كتب العلم وكانت كثيرة

ومما يذكر بالاسف ان مؤرخي العرب لم يذكروا تاريخ المكاتب العربيَّة وكل ما ذكروهُ عنها جاء عَرَضًا في كلامهم على غيرها . وقد ذهبت هذه المكاتب ايدي سبا ولا سبيل لجمع شملها الآن فان الفتن السياسية والحروب الاهلية والخصومات الدينية كل ذلك قلّص ظلّ العمران وابعد العلم والعرفان عن معالم الاسلام . ولولا المغول الذين فاجأوا ممالك المسلمين كالسيل العرم واستباحوا محارمها وقوّضوا معالمها لبقيت من كنوزها العلمية بقية تذكر الى اليوم فانهم لما فتحوا بخارى وسمرقند غالوا في التخريب والتدمير فحرق ابن هولاكو مدرسة مسعود

(١) (المقتطف) نقلنا ذلك عن ترجمتهِ في فوات الوفيات

بك في بخارى سنة ٦٧١ وكانت من اوسع دور العلم في ذلك العصر فالتهمت النار كتبها الكثيرة . ولما فتح هولاكو مدينة حماه باع كتبها بابخس الاثمان. واثبت ابن بطوطة ان التتار قتلوا في العراق اربعة وعشرين الفًا من العلماء ولم ينجُ منهم الاَّ اثنان

ولا بدَّ لي قبل ختم هذه المقالة من ان اشير الى حالة العلم في الهند فاقول : ان المغول عادوا الى تعضيد العلم بعد ان تمهَّدت لهم الامصار ولو لم يبلغوا في ذلك شأو العرب في بغداد والقاهرة وقرطبة . فابناء جنكيز خان وتيمور لنك اعتنقوا الاسلام ورفعوا منزلة علمائهِ وتحت لوائهم نشأ نصير الدين الطوسي وقطب الدين الشيرازي وسعد الدين التنتزاني وغيرهم من المشاهير . وكان لدولة المغول في الهند اليد البيضاء في تعضيد العلوم والفنون . كان السلطان شاه جهان كثير المطالعة مغرمًا بالكتب واقتفى عادل شاه وقطب شاه صاحبا دكَّان خطى سلاطين المغول من حيث الاهتمام بالعلم وتقريب العلماء فنشأت مكاتب كثيرة في بلاد الهند ولكن لم يبقَ منها اثر بعد الفتنة لانها حُرقت او اخذت كتبها منها والقليل الذي بقي من كتب الهند بيع بثمن بخس . وليس في بلاد الهند الآن مكتبة عربية تقابل بمكاتب القاهرة او المدينة او القسطنطينية

وعسى ان لا أُنسَب الى التباهي اذا اشرت الى المكتبة التي وهبتها لمدينة بطنا لان غرضي من ذكرها انما هو تنبيه المستشرقين اليها. وهذه المكتبة في كنف الحكومة الآن وهي تعتني بحفظها شديد الاعتناء ولكنها تبقى دون المراد حتى تضاف اليها مطبعة تطبع ما فيها من الكتب النادرة المثال وتنشرها على الملا. وقد كان المرحوم والدي شديد الغرام بالكتب وانفق على جمعها واستنساخها اكثر دخلهِ فبلغ عددها حين وفاتهِ ١٤٠٠ مجلد . ولما حضرتهُ الوفاة اوصاني بها وامرني ان اجعلها مكتبة عمومية حالما استطيع ذلك وقد ورثت منهُ محبة جمع الكتب وجمعت كثيرًا منها بعد وفاتهِ وفتحتها للجمهور سنة ١٨٩١ وكان فيها حينئذٍ سبعة آلاف مجلد من كتب الخط . وعدد كتب الخط فيها الآن ثمانية آلاف وفيها ايضًا نخبة كبيرة من الكتب الانكليزية العلمية والادبية

وفي هذه المكتبة كثير من كتب مشاهير المستشرقين مثل ده ساسي والسر غور اوزلي والمستر بلتشمان من مدرسة كلكتا وعلى بعضها حواشٍ بخطهم

اشرت سابقًا الى ما حلَّ بالكتب العربية في زمن الفتن السياسية والحروب الصليبية ولذلك قلَّت الكتب التي أُلفت بين القرن الثاني والسابع للهجرة وما يوجد من الكتب العربية الآن مؤَلَّف اكثره بين اواسط القرن السابع واواخر القرن الحادي عشر للهجرة . ولكنني توفقت الى جمع كتب قديمة في الفلك والجراحة والطب والفلسفة والتعاليم واكثرها مخطوط باقلام اناس

من المشاهير . وقد وصفت هذه الكتب بالاسهاب في المجلد الاول من الفهرست الذي طبعتهُ. من ذلك كتاب خط للزهراوي في الجراحة تاريخهُ سنة ٥٨٤ للهجرة وفيهِ صور الآلات الجراحية مصورة بالاتقان التام ويستدل منها على ان بعضها كان مثل الآلات الجراحية التي يظن انها اخترعت منذ عهد قريب . ومنها كتاب ديوسقوريدس في النباتات الطبية الذي ترجمهُ العرب في زمن هرون الرشيد . والنسخة التي عندي هي نفس النسخة التي وضعها جلال الدين شروان شاه في صيدلية شيراز منذ ستمائة سنة . وفي المكتبة كتب كثيرة الَّفها علماء العرب في هذا الموضوع بانين اياها على كتاب ديوسقوريدس . وفيها ايضاً كتاب قديم جداً من كتب ثابت بن قرة وشيء من كتب نصير الدين الفارابي وعبد الرحيم البيروني . وقال لي احد مشاهير المستشرقين ان النسخة التي عندنا من شرح المعلقات للنحّاس اصح من النسخ التي في مكاتب اوربا . وفيها كتب كثيرة من كتب سلاطين دهلي واكثر من اربع مئة ديوان من دواوين الشعر وبعضها مكتوب بخط بديع مذهب

وفيها كثير من كتب الدين كالحديث والفقه والاصول والتفسير وعليها تواقيع كثيرين من مشاهير المؤلفين كالسبكي والذهبي وابن حجر . وتاريخ الهند كتبهُ كثيرون من الكتاب المسلمين وترجمات سلاطين المغول

هذه الكتب نادرة المثال واذا لم تبذل العناية بحفظها فقدت في نصف قرن وعلى المتولين امر هذه المكتبة الآن ان يهتموا بتنقيح هذه الكتب وطبعها . وعسى ان تهتم حكومة الهند بطبع كتب الادب والتاريخ المهمة ونشرها بدلاً من تركها مدفونة في زوايا المكاتب فانها اذا فعلت ذلك افادت الجمهور باذاعتها كتباً يود الكثيرون الوقوف عليها

واذا التفتنا الى ما يحيق الآن بالمسلمين من ليل الجهل الدامس رأينا تاريخ المعارف التي كان لهم فيها القدح المعلَّى رواية بديعة لا يكاد يرجى عوْدها. ولكن على المرء ان يطرق باب الامل . فلنرجُ ان فجر المعارف قد دنا والامل بحسن المآل ليس بعيدًا وان المسلمين الذين استيقظوا الآن من سباتهم ورأوا ان لا بدَّ لهم من مجاراة الامم التي سبقتهم في العمران سيحرزون قصب السبق في العلم والعمل

(المقتطف . لقد تمكَّنا من رد بعض ما اقتبسهُ الكاتب الى اصلهِ العربي ولم نتمكَّن من رد البعض الآخر واضطررنا ان نتصرَّف قليلاً في بعض ما ذكرهُ مراعاة للفرق بين اللغتين)



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الانذار بثوران البراكين

حضرات استاذيَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

ان فاجعة المارتنيك المؤثرة جعلتني افتكر كثيرًا في هل كان ممكنًا ان يدرأ بعض ذلك الخطب المؤلم بمعرفة انفجار بركان بيلي قبل حدوثهِ بايام ريثما يهرب السكان المجاورون فيسلمون من شرّهِ فنتيجة افتكاري جعلتني اعتقد بان ذلك ممكن وها انا اعرض لديكم سبب اعتقادي هذا لكي تنشروهُ في المقتطف لعلهُ لا يخلو من فائدة

ان من تأمل في اسباب الزلازل وكيفية حركتها مع كيفية وقوف تلك الحركة يمكنهُ ان يستنتج ان ثوران البراكين العظيم لا يكون الاَّ نتيجة الزلازل ويمكنهُ ان يعرف ايُّ الزلازل يعقبها هذا الثوران فينذر بهِ قبل حدوثهِ بايام ولا يضاح ذلك اقول

الشائع عن العلماء المحققين ان باطن الارض جامد وان يكن صائرًا الى درجة تجعلهُ سائلاً ولكن هذا الجمود حاصل من ضغط قشرة الارض الباردة على ذلك الباطن السائل فعلى فرض صحة قولهم يكون جمودهُ حاصلاً فعلاً على انهُ هو سائل حكمًا . ولو فرضنا ان باطن الارض جامد ابدًا فلا يمكننا ان نتصور ان قشرة الارض تتحرك عليهِ اذ يكون اساسها صخرًا فلا تتزلزل ولكن اذا فرضنا انهُ سائل فقد تتحرك قطعةٌ منها على وجههِ كما تتحرك سفينةٌ على الماء . ثم ان جمود باطن الارض حاصل من شدة ضغط ثقل القشرة الباردة عليهِ فلو فرضنا ان ذلك الضغط خفَّ عما هو عليهِ الى حدٍ تحول باطن الارض حالاً الى سائل فعلاً

تعليل الزلازل — ان باطن الارض آخذ بالتبرُّد بسبب الاشعاع وبالاكثر بسبب التنفس من البراكين وبالنتيجة هو آخذ بالتقلص فلو فرضنا ان قطعة من قشرة الارض مساحتها

عشرة آلاف ميل مربع حاوية بركانًا او براكين عاملة فبميئات او بعشرات من السنين تنقص حرارة القسم الذي تحتها من باطن الارض بسبب التنفُّس نقصاً يؤثر في حجمهِ فيصغر عما كان وتقلّ إذ ذاك مقاومتهُ لقشرة الارض فينقص ضغطها عليهِ فيسيل. وكان من الضروري ان تتدرج تلك القطعة من القشرة في الهبوط تدرُّج ما تحتها بالتبرُّد والتقلص بحيث يبقى ثقلها وقوة مقاومتهِ لها متساويين تماماً ولكن بما انها ممسكة من محيطها بالتحامها بما يجاورها من اجزاء القشرة فلا تهبط الاَّ اذا اصبح الفرق بين ثقلها ومقاومة ما تحتها كافياً لكسر ملتحمها وفصلها عما حولها فتهبط اذ ذاك وتترجح على وجه السائل الذي تحتها وهذا الترجح هو الزلزلة

تعليل تنوع حركة الزلازل — فاذا تمَّ انفصالها من كل محيطها دفعةً واحدةً هبطت كلها باتفاق جميع اجزائها في الهبوط معاً في وقت واحد وبقوة الاستمرار مع قوة مقاومة السائل لها تصعد وتهبط عدة مرات مترجحة كترجح كرة خشبية وضعت على وجه الماء واخيرًا تقف وهذه هي الزلزلة ذات الحركة العمودية . ولكن اذا انفصل احد جوانبها اولاً ثم تلا ذلك انفصال الجانبين المواليين لهُ ثم انفصال الجانب المقابل هبط اولاً الجانب الذي انفصل اولاً ثم صعد وهبط الجانب المقابل لهُ ثم صعد هذا وهبط ذاك وهكذا تتكرر هذه الحركة الميزانية الى ان تقف وهذه هي الزلزلة ذات الحركة الموجية الافقية. او اذا ابتدأ الانفصال من نقطة في محيط القطعة المذكورة وتقدم في محيطها الى جهة واحدة حتى ينتهي حيث ابتدأ فيسير الهبوط تابعاً لهُ جارياً وراءهُ في دائرة ويتلوهذا الارتفاع جارياً في ذات الدائرة وهذه هي الزلزلة ذات الحركة الرحوية

ما ذا ينتج عن كل من انواع الزلازل الثلاث : — ان النوع الثاني من الزلازل افعلها في تقويض المنازل ودكِّ الرواسي فاذا تصوَّر القارئ حركتها الغربالية يفهم جيدًا كيف تنسف الابنية . ويتلوها في كثرة التدمير النوع الثالث اي ذات الحركة الرحوية واما النوع الاول فقلما يهدم الابنية ولكن هو الذي يعقبهُ ثوران البراكين الجهنمي مثل ثوران بيلي ويزوف او يصحبهُ الانفجار الهائل مثل انفجار كركاتوى الذي اشرتم اليهِ في الصفحة ٥٧٥ من مقتطف هذه السنة

التعليل — ان القطعة المتزلزلة بحركة عمودية اما ان تستقر على الحد الذي يتوازن عندهُ ثقلها ومقاومة الباطن لها او تستقر على اعلى منهُ قليلاً وفي هاتين الحالتين لا يعقب الزلزلة ثوران بركاني لان باطن الارض يكون حينئذٍ غير منضغط ولا تقف على احدى هاتين الحالتين الاَّ اذا انتهت الزلزلة بانتهاء الحركة الصاعدة . واما ان تستقرَّ على اوطأ من حدِّ التوازن المذكور بقليل وذلك لا يحدث الاَّ اذا وقفت الزلزلة عند انتهاء الحركة النازلة وذلك لان تجاوزها ذلك

الحد الى الاسفل بقوة الاستمرار اذ يكون قليلاً واذ تندفع المواد السائلة في ثلم الانفصال على محيط القطعة بسبب انضغاطها فتبرد تلك المواد حالاً لملامستها الاجزاء الباردة وتجمد فتلتحم بها القطعة الهابطة بالاجزاء الثابتة من قشرة الارض المحيطة بها واذ يكون تغلُّب قوة دفع الباطن على ثقل القطعة الهابطة قليلاً فلا يكفي لفصل ذلك اللحام فتقف حركة الزلزلة وباطن الارض منضغط بزيادة فتندفع موادهُ من افواه البراكين لكنها لا تظهر من فم البركان حالاً بعد الزلزلة بل تتأخر بعض ايام وذلك بسبب برودة قصبة البركان فانها تجمّد السائل حال مروره في اسفلها فيسدها ثم يعود فيسيل بسبب حرارة السائل الذي يزاحمهُ من الاسفل فيصعد مسافة أخرى ثم يجمد ايضاً وهكذا يتكرر الجمود فالسيولة في مقدمة المواد المندفعة في قصبة البركان الى ان تصل الى فمهِ مصحوبةً باصوات الزفير البركاني ومتى حميت القصبة كلها تدفقت المواد ووصلت الاراضي المجاورة . فبين حدوث الزلزلة وانبثاق مقذوفات البركان لا بدَّ من مدة تختلف طولاً باختلاف حالة قصبة ذلك البركان كما حدث في ثوران بيلي وسوفرير فانهُ وان كان تحديدها غير ممكن لكنها يغلب ان تكون اياماً كافية لهرب الناس المجاورين

اما سبب انفجار جزيرة كراكاتوى فهو زلزلة عظيمة من النوع الاول اي من ذات الحركة العمودية وكانت خطراتها طويلة المدى اي كانت تعلو كثيراً وتهبط كثيراً وفي احدى حركاتها النازلة اذ تجاوزت القطعة المتزلزلة حد الثوران بزيادة الى الاسفل بقوة الاستمرار ضغطت على سوائل باطن الارض بشدةٍ عظيمة وهذه السوائل ضغطت على الوجه السفلي لقشرة الارض الثابتة المجاورة للقطعة المتزلزلة واذ كان ثلثا الجزيرة الذي انقلب غير مشترك بالزلزلة وكان متصدعاً من قوة الارتجاج فسهل انفصالهُ عمَّا حولهُ فانفصل بقوة دفع السائل لهُ من الاسفل وطار في الجو

الانذار — فبناء على ما تقدم يمكن الانذار بهيجان البراكين قبل حدوثهِ بايام اي بحال وقوف الزلزلة التي تكون سبباً لهُ وذلك بان يكون في مجاورة البراكين مراصد للزلازل تحتوي على آلات تدل بدقة على حدوث الزلازل وعلى نوع حركتها وعلى جهة الحركة الاخيرة اذا كانت الزلزلة من النوع الاول وهذا هو الاهم وعلى مقدار انخفاض الارض الذي ينتج عن الزلزلة فاذا حدثت زلزلة حينئذٍ وعلم انها وقفت على الحركة النازلة فانذر بثوران بركاني عقبها . ومما يؤكد ذلك تحقيق انخفاض الارض بالزلزلة ويزيد التأكيد تأكيداً سمع اصوات الزئير كما سمع قبل ثوران بيلي

الدكتور ابرهيم الصليبي

نابلس

الوهابية

من صالح بن دخيل بن جاد الله النجدي الى جناب منشئي المقتطف سلام على من اتبع الهدى وجانب طرق الغي والردى . وموجب تحريرهِ اني وقفت على ما جاء في مقتطفكم في المجلد السابع والعشرين في الجزء الثالث ١٩٠٢ عن مقالة القس الدكتور زويمر التي تليت في جمعية فيكتوريا الفلسفية في اصل الوهابية وتاريخهم وعقائدهم واضطرابهِ في ذلك فاحببت ان انبه على مقالتهِ . فاما اصل الوهابية فنسبتهم لوالد صاحب الدعوة النجدية العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لقبهُ واتباعهُ بذلك بعض معاصريهِ بغياً وحسدًا ليعمي على الجهال انهم مبتدعة ضالون ليستوحش السالك على اثرهم ويأبى الله الاَّ ان يتم نورهُ ولو كره المشركون . وتركوا نسبتهم لاسم الشيخ نفسهِ حيث يكونون محمدية فيحصل لهم نوع تشريف لمشاركة اسم النبي محمد صلى الله عليهِ وآلهِ وصحبهِ .

وقد ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هجرية ودخل البصرة والشام والحجاز واخذ عن مشايخها واجازوهُ ثم رجع الى نجد واظهر دعوتهُ وكان قبل ذلك قد عرض كتاب التوحيد وكشف الشبهات على جملة من مشايخهِ فوافقوهُ الاَّ انهم لا طاقة لهم بالدعوة حيث تحتاج الى كلفة . وهذه الدعوة مشتملة على توحيد الله واسمائهِ وصفاتهِ . فاهل الفرقة الناجية ومن تبعهم مثل الشيخ واتباعهِ يثبتون لله ذاتًا لا تشبه الذوات وصفات لا تشبه الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل مشتملة على توحيد الالهية والعبادة . وقد حصلت الخصومة بينهُ وبين معاصريهِ من المنتسبين للعلم في هذا القسم عنادًا وحسدًا فرموهُ بالافك والبهتان ونسبوا لهُ اشياء ما عندهم من الله فيها برهان. وهذا النوع المذكور هو إفراد الله وحدهُ بانواع العبادة قولاً وفعلاً وذلك مثل الدعاء والذبح والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والذل والرهبة والانابة والخشوع والرغبة والخشية والتوكل وغير ذلك كلهُ لله وحدهُ . ومن ذلك الشفاعة لا تطلب الاَّ من الله ولا تكون الاَّ باذنهِ ولا يأذن الاَّ لمن رضي قولهُ وعملهُ ولا يرضى من ذلك الاَّ بما امر بشرعهِ لا بالاهواء والبدع ولا يرضى الاَّ ما كان خالصاً لله وحدهُ صوابًا وهو ما شرعهُ على لسان رسولهِ. وادلة ذلك مبسوطة مقررة في كتاب الله وسنة نبيهِ صلى الله عليهِ وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كلٍ وصحبهِ اجمعين

وقولهُ يسمي اصحابها انفسهم اهل الحديث الى آخرهِ فكلٌ يدعي انهُ من اهل الفرقة الناجية المذكورة في الحديث الآتي ذكرهُ ولكن ذلك لهُ ميزان وهو الاتباع وترك الابتداع .

قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية. وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعًا الى ان قال فآمنوا بالله وكلماتهِ واتبعوهُ لعلكم تهتدون . وقال ما اتاكم الرسول فخذوهُ وما نهاكم عنهُ فانتهوا . وقال صلى الله عليهِ وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الاَّ فرقة واحدة قالوا وما هي قال ما انا عليهِ اليوم واصحابي . وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الى آخر الحديث

وقولهُ انهُ لقي واحدًا الى آخرهِ . فمن المعلوم ان اهل نجد وهابية حنابلة المذهب فامامهم الامام احمد وكذلك كل ما ينتسب الى السنة ينتسب الى الامام احمد فهو امام اهل السنة على الاطلاق . وقولهُ وهذا شأن الامام عبد الله ابن ابي بكر بن قيم الجوزية فانهُ يقول انهُ حنبلي ولا يقول انهُ وهابي فهذا وهم منهُ لعدم وقوفهِ على تاريخهم ومذهبهم فان ابن القيم وجد في القرن السابع وتوفي في الثامن وابن عبد الوهاب وجد في الثاني عشر ولما كان كل من امر بسنة ونهى عن بدعة يسمي وهابيًا دخل عليهِ هذا الوهم من هذا الوجه لان ابن القيم وشيخهُ ابن تيمية كثيرًا ما كانا ينتصران لاقامة السنة وترك البدعة فظن ان من كان كذلك فهو وهابي تقدم او تأخر . ومن هذا اضطرب الناس في الوهابية اضطرابًا شديدًا لعدم تحقيق احوالهم فالناس فيهم ما بين قادح ومادح فمنهم من جعلهم كالروافض والخوارج والبابية والحق انهم متبعون للسنة لا غالون ولا جافون حتى اني اجتمعت بكثير من مثل هؤُلاء بالشام ومصر والعراق سنة ١٣١٨ وبينت مأخذهم ومعتقدهم ومذاهبهم فاذعنوا لذلك ووافقوا عليهِ وقالوا انهُ الحق وطلبوا كتابًا يطبع من تآليفهم يزيل ما لبس على كثير منهم فان بعض السيَّاح يجهل حقيقة حالهم . ولا عبرة ببعض العوام الجهال فانهُ قد يفرط منهم بعض افراط فيجعلهُ الخصم حجة لهُ فان الحق لا يخفى على المنصف . فطبعت في اواخر رجب سنة ١٣١٩ كتاب توضيح توحيد الخلاق في جواب اهل العراق وتذكرة اولي الالباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فانتشر في الآفاق وتلقاهُ اهل الانصاف بالقبول والوفاق لانهُ كتاب وحيد في فنهِ يحتاج اليهِ المبتدي ولا يستغني عنهُ المنتهي وحقيق ان تشد اليهِ الرواحل وتقطع دون الوصول اليهِ المنازل ولم اكن اطلعت على مقالة هذا القس في مصر ولكن قبل هذه الايام ببغداد فحررت الى وكيلنا البابي الحلبي بمصر ان يدفع اليكم نسخة منهُ كي تقفوا على الحقيقة وتحرروا في مقتطفكم ما ترون من ذلك لان مقتطفكم هو الخطيب شرقًا وغربًا حيث لا يحكي الاَّ ما صحَّ لديهِ

[المقتطف] نشرنا هذه الرسالة قيامًا بالواجب ولكننا نعتذر الى حضرة الكاتب الفاضل

عن ابداء رأينا في مسألة ليست من موضوع المقتطف على اننا نقول قولاً عامًّا ان نشر العلوم التي تنير الاذهان خير وسيلة لاصلاح العقائد الدينية ونزع ما تطرّق اليها من الشوائب

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزوج والزوجة

حينما يشرع الشاب يفكّر في الزواج يتصوَّر صورًا يطلب وجودها في زوجتهِ من حيث جمال وجهها واعتدال قوامها ولون شعرها ومقدار معارفها ومقام اهلها . هذا اذا كان على شيءٍ من التهذيب والاَّ فيتزوَّج لان العادة تقضي بذلك او لان اباهُ وامهُ حثَّاهُ على الزواج فيسير فيهِ على غير هدًى

وغنيٌّ عن البيان انهُ لا يهنأُ عيش الزوج الاَّ اذا احسن اختيار زوجتهِ لا لان الزوجة الفاضلة تُصلح الزوج بل لان الزوجة السليطة تنغص عيشهُ . وكل بليَّة اخف من بليَّة زوج امرأتهُ سليطة تخاصمهُ ويخاصمها دوامًا

والشاب الذي يتطلَّب هناءَ العيش يجب عليهِ ان ينظر اولاً الى الحسن الداخلي لا الى الحسن الخارجي الى حسن الطباع لا الى حسن الوجه لا لان حسن الوجه امر طفيف لا يعبأُ بهِ فان الحسنَ حسنٌ كيفما كان ولهُ مقدار ومقام في النفوس بل لان المرأة الذكية العقل الذكية الفؤَاد الطاهرة النفس السامية المطالب المترفعة عن الدنايا لا يمكن ان يستقبح الانسان منظرها ولو لم يكن فيها لمحة من الجمال لان نفسها الجميلة تجمّل منظر وجهها وتفيض عليهِ اجمل المعاني . والحسن كالحب لا يخفى وفي الوجه تظهر كل عاطفة شريفة من عواطف النفس ويبدو كل معنى جميل من معاني العقل فاذا كان الوجه جميلاً شكلاً ولونًا زاد بهذه المعاني جمالاً واذا لم يكن جميلاً افاضت عليهِ جمالاً معنويًّا ترتاح اليهِ النفس كما ترتاح الى الجمال الحسي ولا سيما اذا بدت المعاني بمستعذب الالفاظ فان هذا الجمال المعنوي يبقى بعد ان يزول الجمال الحسي بالمرض او بالشيخوخة ويزيد نموًّا وريعانًا كما يزيد الحبُّ في النفس

. ثم ان للزواج شرائط حتى يكون موفقاً هنيئاً الحبُّ اولها ولا بدَّ منهُ ولكنهُ لا يكفي وحده لهناء المعيشة . ويساويهِ او يفوقهُ اتفاق الطباع او اتفاق العقول والمشارب فاذا كان عقل الزوج والزوجة مهذَّبين في نوع واحد من التهذيب ومدرَّبين على النظر في المسائل على اسلوب واحد اتَّفقا اتفاقاً يفوق اتفاق الحب واذا كان الحب موجوداً مع هذا الاتفاق كان الهناء على اتمهِ من هذا القبيل

والقاعدة التي يصحُّ اتباعها فيقل وقوع الخطاٍ هي ان يتزوَّج المرء من الذين من طبقتهِ في المقام والتهذيب فاذا كانت الفتاة من قوم ذوي وجاهة وربيت تربية الرفاهة وتهذبت في المدارس العالية وعاشرت علية القوم ثم تزوجت بشاب ليس من طبقتها ولا هو متهذب مثلها تنغص عيشها معهُ وعيشهُ معها لانهما يختلفان كل يوم في امور طفيفة او جسيمة اختلافاً يضعف لذة الحب الاول الى ان يزيلها وقد لا تعبأ الزوجة بذلك في اول الامر كبراً منها او تغلباً على طبعها ولكن القوة العصبية التي تبذلها في سبيل هذا التغلب تجعلها بعد زمن ضعيفة الاعصاب عاضةً على كف الندم

ومن شرائط الزواج التي لا بدَّ من مراعاتها ولو لم تكن لازمة لهُ مثل الحب الحالة المالية . نعم ان الحب اسمى من ان تمسهُ الاعراض ولكن مقر الحب في الجسد والجسد لا يعيش بالحب بل لا بدَّ لهُ من طعام وشراب وكساء واواء ولا يمكن ان نتجرَّد عن حطام الدنيا ما دمنا فيها . فالشاب الخالي الوطاب الذي لا يملك شيئاً لا يستحق ان يتزوج لانهُ اذا كانت الفتاة التي يطلب التزوُّج بها غنيَّة عاش معها ذليلاً واذا كانت فقيرةً عاشا كلاهما ذليلين واذا كانت تحبهُ حقيقة وتريد الاقتران بهِ لا يصعب عليها انتظارهُ ولا يصعب عليهِ ان يعمل عملاً يكتسب منهُ ما يمكنهُ من اعالتها اذا كان يحبها حقيقةً وحينئذٍ يقترن بها شاعراً من نفسهِ انهُ صار كفأً لها. واذا لم تنتظرهُ فذلك دليل على انها لا تستحق ان يعنى بامرها ويبذل جهدهُ في ارضائها

والرجل قيم على المرأة اي انهُ يمونها ويقوم بشأنها وهو يشعر من نفسهِ ان ذلك واجب عليهِ مطلوب منهُ ويسرُّ بالقيام بهِ . وهذا الشعور من اشرف ما يشعر بهِ الرجل . وكما تفتخر المرأة بلطفها ودعتها يفتخر الرجل بقوتهِ وقدرتهِ على العمل والكسب . ويسرُّهُ ان زوجتهُ محتاجة اليهِ معتمدة عليهِ تنتظر منهُ مسرَّتها وحمايتها واعالتها . وقيامهُ بذلك كلهِ هو الشيء الذي نتطلبهُ فيهِ . ومهما قويت الزوجة تبقى تودُّ ان يكون زوجها اقوى منها واقدر . واعتماد الزوجة على الزوج خلق مغروس في كل النساء يزيد بزيادة خلق النساء فيها وخلق الرجال في زوجها اي ان اكمل النساء هي المعتمدة على زوجها واكمل الرجال هو القائم بما تحتاج اليهِ زوجتهُ

والمرأة الكاملة تقصر معيشتها على دخل زوجها والرجل الكامل يجعل دخلهُ كافياً لراحة زوجتهِ . وهذا سبب آخر يدعو الى جعل الرجل يختار زوجتهُ من اهل طبقتهِ الاّ اذا كانت الزوجة غنيَّة جدًّا وارادت ان تسلم ثروتها لزوجها للانفاق على ما لا يستطيع الانفاق عليهِ من عندهِ

ولا تتم للزوجين راحة ولا يهنأ لهما عيش الاّ اذا نظرا الى الوجه المالي نظر الحكيم المدبّر لان الجسم لا يشبع من الحب وآلة الحياة لا تسير من غير قوة تسيّرها وزيت يمنع احتكاك دقائقها

غسل الموزلين والكمبريك

لا بدَّ من الاعتناء في غسل الموزلين لكي لا يزول لونهُ ولا تتفتَّح خيوطهُ . وطريقة ذلك ان تسخن الماء الى درجة معتدلة الحرارة لان الحرارة الشديدة تتلف الالوان . وتذيب في الماء قليلاً من الصابون حتى يصير يرغي جيدًا . ثم تنفض ثياب الموزلين من الغبار وتضعها في الماء بعد ان تحركهُ جيدًا حتى تكثر رغوة الصابون فيهِ وتدعكهُ دعكًا ولكن لا تفركهُ فركًا لان الفرك يبعد الخيوط من جهة ويقربها من اخرى فيتلف منظر الموزلين . وبعد ذلك اغسلهُ مرتين في ماء فاتر بدون صابون ثم في ماء بارد . واذا نفض اللون قليلاً في الماء السخن فاضف الى الماء البارد ملعقة كبيرة من الخل الى كل اربع اقات من الماء . واذا كان اللون يحلُّ في الماء فاضف اليهِ ملحًا ملعقة كبيرة الى كل اربع اقات من الماء

واذا غسلت الكمبريك الابيض فضعهُ بعد غسلهِ في ماء بارد اذبت فيهِ قليلاً من النيلة ولا بدَّ من تحريك الماء جيدًا قبل وضع الكمبريك فيهِ لئلاَّ ترسب النيلة في اسفل الاناء فتلطخ الكمبريك تلطيخًا ثم يعصر الكمبريك ويطوى وينشَّى ويكوى

ويحضَّر النشاء لهُ هكذا : تمزج ملعقة كبيرة منهُ بملعقتين من الماء ونصف ملعقة من البورق وقليل من الشمع الابيض الشفاف الذي قُطع حتى صار قشورًا رقيقة ثم يضاف الى هذا المزيج رطل من الماء الغالي وهو يحرَّك جيدًا فيشتد قوام النشاء ويصير شفافًا ثم يمزج ذلك برطلين ونصف من الماء ايضاً ويوضع الموزلين فيهِ ويعصر وينفض حتى يقع عنهُ ما يمكن ان يكون قد اجتمع عليهِ من النشا ويكوى وهو رطب قبلما يجف

ولا بدَّ من ان يكون اسفل المكواة نظيفًا صقيلاً لامعًا واذا اصابهُ شيءٌ من الصدإ يمسح بقليل من البارافين ومسحوق السمباذج الناعم . واذا لم تكن المكواة نظيفة نظافة تامَّة ابقت اثر الصدإ في ما يكوى بها ولا بدَّ من غسل المكاوي بالماء السخن والصابون مرةً كل

اسبوع ولو كانت تستعمل دائمًا وتفرك بعد احمائها على ورقة ثخينة رُشَّ عليها قليل من مسحوق الخزف . ويجب ان لا تكون حرارتها شديدة حينما يكوى بها الموزلن والاَّ تلف لونهُ

ويكوى الموزلين والكمبريك على وجهيهما ما لم يكن على الوجه تطريز نافر فيكويان على قفاهما

الاغتسال في البحر

لا يزال الناس قرب الشواطئ البحرية يقضون ما بقي من فصل الصيف في الاغتسال او ما يسمَّى بالحمامات البحرية . وخير الاوقات لهذا الاستحمام الصباح لانهُ يغني المرء عن لبس ثيابهِ وخلعها ثم لبسها ثانيةً . ولا بدَّ للمستحم من ان يأكل شيئًا قليلاً قبلما يغتسل . ولا يجوز الاستحمام والجسم سخن او متعب او متهيج تهيجًا عصبيًا . ولا يجوز بعد الطعام الثقيل باقل من ساعتين . والذين تؤلمهم آذانهم وقت الاستحمام يجب ان يسدوها جيدًا بالقطن قبلما ينزلون في الماء واذا تبلَّل الشعر بماء البحر وجب غسلهُ بعدئذٍ بماء نقي فاتر . واذا لم ترتدَّ الحرارة الى الجسم سريعًا بعد الاستحمام فذلك دليل على ان الاستحمام غير نافع او لا يخلو من الضرر فيجب ابطالهُ

واجبات الزوجة وقت الكوليرا

اول واجب على ربَّة البيت في هذا الوقت الذي انتشرت فيهِ الكوليرا في كل انحاء القطر ان تهتم بنقاوة ماء الشرب . ففي البلاد التي ليس فيها شركات توزع المياه على البيوت يجب استقاء الماء من اكبر الترع واكثرها جريانًا ومن وسط الترعة قبل مرورها في البلد ثم يغلى هذا الماء ويرشح في زير نظيف موضوع في مكان نظيف . واما التي فيها شركات توزع الماء فالترشيح بِرَشح باستور او بالزير البلدي يكفي . ودفعًا لكل شبهة يغلى الماء قبل ترشيحهِ

ويحسن ان يضاف الى الماء وقت شربهِ قليل من عصير الليمون الحامض (المالح) لمساعدة حموضة المعدة

ويجب ان تعتني بالخبز بعد الاعتناء بالماء فتسخنهُ على النار قبل اكلهِ وكذلك بكل اصناف الطعام فلا تؤكل الاَّ بعد طبخها او تسخينها او غسلها بماء سخن

ولا بدَّ من ان تهتم بصحة اولادها وتمنعهم من اكل كل ما يضعف المعدة او يجلب الاسهال واذا اصابهم سوء هضم او شيء من الاسهال او القيء فعليها ان تخبر الطبيب بذلك حالاً

ثم انهُ لا داعي للخوف الشديد فان الذين يموتون بالكوليرا الآن في هذا القطر ليسوا اكثر من الذين يموتون فيهِ بالحميات المُعدية كالتيفوس والتيفويد والحمَّى الملارية وباساليب الامهال المختلفة كالدوسنطاريا . والذين كانوا يموتون بالامراض المعدية والمعوية التي تسبب اسهالاً كانوا دائمًا من ثلاثين الى اربعين في المئة من كل الذين يموتون في اشهر الصيف من يونيو الى سبتمبر والذين يموتون بالكوليرا الآن ليسوا اكثر من اربعين في المئة من الذين يموتون عادةً . ومن المحتمل ان بعض الذين يُحسَب الآن انهم ماتوا بالكوليرا انما ماتوا بمرض معدي او معوي عادي وذلك كلهُ دليل على ان هذه الكوليرا غير فتَّاكة او ان التوقي منها افاد الفائدة المطلوبة

الرياضة بتغيير العمل

يراد بالرياضة عادة ترويض الجسم بالمشي والركض والحركات العضلية . ولكن اذا أُريد بالرياضة ما يفعلهُ الانسان في الفسحة التي يأخذها للراحة من عناء الاعمال فقد تكون حركات عضلية كالمشي والركض والركوب وما اشبه وقد تكون جلوسًا وانقطاعًا عن الحركة على قدر الامكان وذلك حسب نوع العمل الذي يعملهُ الانسان . فالذين عملهم يقتضي الجلوس المستمر تكون رياضتهم بالحركة على انواعها من مشي وركض وركوب وما اشبه والذين اعمالهم تقتضي الحركات الكثيرة تكون رياضتهم بالجلوس والسكون حتى تستريح عضلاتهم وهذا الحكم يصدق على العقل كما يصدق على البدن . فالذين اشغالهم عقلية متعبة يجب ان ينقطعوا عن الاشغال العقلية في زمن الفسحة والرياضة والذين اشغالهم بدنية ولا يشتغلون اشغالاً عقلية يجب ان يروضوا عقولهم بالدرس والمطالعة ويريحوا ابدانهم

علاج الهبريَّة (القشرة)

علاج القشرة التي تكون في الراس امَّا منعي واما شفائي وهو في الحالين اوقية من البورق تذاب في اثنتي عشرة اوقية من الماء فاذا اريد العلاج المنعي يفرك الرأس بهذا السائل مرةً في الاسبوع واذا اريد الشفائي يفرك بهِ مرتين في اليوم . واذا كانت القشرة كثيرة جدًّا ولم تزل بهذا العلاج يستعمل لها علاج آخر وهو مذوَّب نصف اوقية من الغليسرين في رطل من من الماء يغسل بهِ الرأس جيدًا مرةً كل يوم



بعض الامزجة المعدنية الصناعية

معدن بدر

يصنع الهنود مزيجاً معدنياً في مدينة بدر بقرب حيدر اباد لونهُ بين الفضة والزنك لا يتلف بالتعرُّض للهواء او للرطوبة وهو شديد الصلابة يصنع من ٣١ جزءا من الزنك وجزئين من النحاس وجزئين من الرصاص تصهر معاً تحت مزيج من القلفونة وشمع العسل لكي لا يتأكسد سطحها

النحاس الابيض

لذلك تراكيب كثيرة اشهرها ما يأتي

الاول رصاص ٧٠ جزءا انتيمون ٢٠ جزءا نحاس ١٠ اجزاء

الثاني زنك ٨٢ جزءا انتيمون ١١ جزءا نحاس ٧ اجزاء

الثالث رصاص ٢/١ ٤٢ جزءا زنك ٢/١ ٤٢ انتيمون ١٥ جزءا

الرابع رصاص ٢/١ ٣٧ جزءا قصدير ٢/١ ٣٧ انتيمون ٢٥ جزءا

الخامس قصدير ٦٦٧ جزءا انتيمون ١١١ نحاس ٢٢٢

السادس قصدير ٩٠ جزءا انتيمون ٧ اجزاء نحاس ٣ اجزاء

تبيض الحديد الزهر

يبيَّض الحديد الزهر (اي الحديد المصبوب صبًّا) هكذا : ينظَّف اولاً من كل ما يكون لاصقاً بهِ من الرمل والصدإ ثم يوضع في الحامض الهيدروكلوريك الخفيف حتى ينظف سطحهُ جيداً . ويحسن ان يسخَّن الحامض بادخال البخار السخن اليهِ فيسرع فعلهُ واذا بقي على الحديد بقع سود تزال عنهُ بمقشطة من السلك ويردُّ الى السائل الى ان ينظف جيداً ثم يغسل بالماء النقي ويترك في الماء الى حين تبييضهِ لانهُ ما دام تحت الماء النقي لا يصدأ . وقبل تبييضهِ بالقصدير يدهن بسائل فيهِ اربعة اجزاء من مذوب ملح النشادر مذابة في جزء من الحامض

الموريانيك . ويصهر القصدير الجيد في اناء من الحديد ولا تزاد الحرارة عليهِ لئلا يحترق . وينظف من الشوائب حينما يصهر بان يوضع عود اخضر فيهِ ويمسك من اعلاهُ بشيءٍ ويبقيهِ في القصدير المصهور مدة ساعة او ساعتين بحسب ما فيهِ من الشوائب . ويزال الزبد عن وجه القصدير مرةً بعد أُخرى ويمكن ان يوقى سطحهُ المصهور من الاكسدة بتغطيتهِ بملح النشادر او بالشحم او زيت النخل . ويمسك الحديد بملقط ويغطَّس فيهِ ويترك مدة الى ان يكتسي سطحهُ قشرةً من القصدير . ويجب ان لا تكون حرارة القصدير شديدة لانها اذا كانت شديدة اكدَّ لونهُ على الحديد حينما يخرج منهُ . ويحسن ان يكون هناك اناءٌ آخر فيهِ شحم او زيت نخل على النار فيوضع الحديد فيهِ بعد نزعهِ من اناء القصدير فتنبسط قشرة القصدير عليهِ اذا لم تكن منبسطة على السواء ويقع عنهُ ما ربما يكون زائدًا عليهِ من القصدير . وينظف الحديد من الشحم او الزيت بفركهِ بنشارة الخشب ثم بالنخالة

الصناعة السوريَّة

كتب الينا شاب سوري من الذين هاجروا الى اميركا يعترض على المدارس الصناعيَّة المنشأَة في سورية لانها لا تعلم تلامذتها العلوم الطبيعية والكيماوية التي تبنى الصناعة عليها حتى يخرج التلميذ عالمًا المبادئ التي تبني الصناعة عليها مستنيرًا عقلهُ قادرًا على الاستنباط في صناعتهِ. وكانهُ قابل بين حال الصنَّاع في بلادنا وحالهم في اميركا وحال المدارس الصناعية عندنا وحالها في تلك البلاد التي رقيت الى ذرى العمران . وهو مصيب في هذا الانتقاد لان الصانع الذي لا يتعلم اصول صناعتهِ العلمية لا يستطيع ان يباري صانعًا آخر تعلم هذه الاصول . وان كان الانكليز يشكون من قصورهم في تعليم المبادئ العلمية في المدارس الصناعية وتقصيرهم عن الالمان من هذا القبيل فماذا نقول نحن وصنَّاعنا مقصرون عن كل الصناع الاوربيين من كل الطبقات . وان كان رجال اليابان يحسبون انهُ لا يمكنهم ان يجاروا الصناع الاوربيين في اقل من عشرين سنة مع ما هو مشهور عن اجتهادهم وتنشيط حكومتهم لهم فماذا نقول نحن اهالي القطر السوري والقطر المصري . وان كانت اوربا كلها تخاف من مزاحمة اميركا لها في ميدان الصناعة لانها (اي اميركا) ادخلت العلم الى كل معاملها الصناعية وهي تناظر اوربا الآن بذكاء العقل لا بمهارة اليد لانها تستنبط كل يوم اساليب جديدة لاتقان المصنوعات وتسهيل عملها وترخيصها وهي لا تعطي مديرًا مثل شواب مليون جنيه في السنة اجرةً الَّا لانها تربح من علمهِ وحسن ادارتهِ عشرة ملايين فما يكون شأننا نحن امام هذه المناظرة

اذا نظر المرء الى ما تقدَّم وخطر لهُ انهُ يجب علينا ان نبتدئ الآن بما ابتدأ بهِ الاوربيون والاميركيون منذ مئة عام وقع في اليأس ولكن المعارف العلمية والصناعية لم تعُد سرًّا غامضًا ولا هي في حرَم يتعذَّر الدخول اليهِ بل موائدها مباحة للجميع فما قضى الاوربيون والاميركيون مئة عام في استنباطهِ واتقانهِ يمكننا ان نقتبسهُ منهم في عشر سنوات وما وضعوهُ من القواعد العلمية واكتشفوهُ من النواميس الطبيعيَّة يمكننا ان نتعلمهُ منهم في سنين قليلة فليس ثمة وجه لليأس اذا كان عندنا همَّة وارادة وقصدنا مجاراة الاوربيين في امر من الامور ولا يحول دوننا الاَّ العوائق الطبيعيَّة والسياسيَّة مثل عدم وجود الفحم او القوة وارتباطنا ببعض المعاهدات الدولية فاذا نشطت الحكومة الى فك القيود التي تمنع تقدُّم الصناعة وعني بعض الموسرين بجعل الصناعة مطلبًا لهم فلا يبعد ان ننجح فيها نجاحًا اكيدًا

باب الزراعة

القطن المصري

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية من اول سبتمبر الماضي الى ٢٩ اغسطس هذا العام ٦٤٧٧١٤٩ قنطارًا اي انهُ زاد اكثر من مليون قنطار عمَّا كان عليهِ في العام الذي قبلهُ لان مقدار الوارد فيهِ بلغ ٥٤٧٤٢٩٩ قنطارًا فدلَّ ذلك دلالة واضحة على ان موسم القطن قد يزيد او ينقص مليون قنطار وهو يساوي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فكأن القطر المصري يكسب او يخسر نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات اذا كان الماء كافيًا لري القطن او غير كافٍ . الاَّ ان ثمن محصول القطن لا يزيد بزيادة المحصول بل قد ينقص كثيرًا بزيادتهِ . ولو كان الارتباط مضطردًا بين الثمن والمحصول اي لو زاد الثمن دائمًا بقلة المحصول وقلَّ بزيادتهِ متبعًا في ذلك نسبة ثابتة لرأت الحكومة ان مصلحة البلاد تقوم بقلة المحصول ففرضت على الاهالي ان يقتصروا كل سنة على ربع الاطيان الصالحة لزراعة القطن. فاذا فرضنا ان مساحة هذه الاطيان ثلاثة ملايين وستماية الف فدان فيزرع منها تسع مئة الف فدان بدل المليون والمئتي الف فدان التي تزرع الآن فيكون ثمن محصول هذه التسع مئة الف فدان مثل ثمن محصول الالف والمئتي فدان ولكن سعر القطن لا يتوقف على محصول القطر المصري وحدهُ

بل على محصول القطن الاميركي ايضاً فاذا زاد محصول القطن الاميركي عن اللازم للقطوعية هبط ثمن القطن سواء كان المحصول المصري كثيراً او قليلاً . واذا نقص المحصول الاميركي عن اللازم ارتفع السعر ولو كان المحصول المصري زائداً لان الزيادة في المحصول الاميركي تبلغ مليون بالة اي خمسة ملايين قنطار او اكثر فيكون لها التأثير الاكبر في سوق القطن . ومع ذلك فالنقص في المحصول المصري يدعو الى ارتفاع سعرهِ حتماً ولو كان هذا الارتفاع قليلاً في السنين التي يكثر فيها محصول القطن الاميركي

ومما يذكر في هذا الصدد ان الطلب على القطن المصري بلغ حدهُ في انكلترا وهو نحو مليونين ونصف مليون قنطار ولكنهُ آخذ في الزيادة في بقية الممالك الاوربيَّة وفي الولايات المتحدة الاميركية فقد زاد المرسل الى ممالك اوربا نحو ثمانمئة الف قنطار والى الولايات المتحدة الاميركية نحو اربع مئة الف قنطار . وزيادة المرسل الى اوربا واميركا من اصح العلامات على ان للقطن المصري سوقاً ثابتةً وحاجةً لا يقوم بها غيره وان صح ما بلغنا وهو ان الرطل من القطن المصري يقوم مقام ارطال من القطن الاميركي وما ثبت من التجارب الزراعية وهو ان القطن المصري لا يجود زرعهُ في اميركا فلا خوف من ان يهبط سعرهُ او تقل الحاجة اليهِ

ثم ان ما قالهُ الكونت كليخن حديثاً من ان القطن يجود في السودان لا يفهم منهُ ان قطن السودان يمكن ان يناظر القطن المصري في نوعهِ لانهُ ان كان قطن الفيوم والمنيا بل قطن الجيزة لا يناظر قطن الغربية والبحيرة فيبعد عن الاحتمال ان يخرج من السودان قطن جيد مثل القطن المصري او قريب منهُ هذا فضلاً عن ان اتساع الزراعة في السودان بعيد جداً لا يتم الاَّ بعد سنين كثيرة

النيل

بلغنا آخر اغسطس والنيل مقصر عن الوفاء لم يبلغ في الروضة سوى ١٥ ذراعاً و ٢١ قيراطاً مع انهُ كان في السنة الماضية في مثل هذا الوقت ٢٠ ذراعاً وفي التي قبلها ٢٠ ذراعاً و ٨ قراريط وكان سنة ١٨٩٩ خمس عشرة ذراعاً و ١٧ قيراطاً وكانت تلك السنة اشد السنين وطأة على القطر المصري . والفرق بين سنتنا هذه وسنة ١٨٩٩ اظهر في اصوان منهُ في الروضة فانهُ بلغ في اصوان حينئذٍ ١٣ ذراعاً و ١٧ قيراطاً وبلغ هذه السنة ١٢ ذراعاً و ١٤ قيراطاً . واكثر الهبوط في النيل الابيض ونهر الاتبرة وقد وردت الاخبار ونحن نكتب هذه السطور

ان امطاراً غزيرة هطلت في جهات سنّار ولذلك ينتظر ان يزيد النيل ايضاً فيبلغ ما بلغهُ سنة ١٨٩٩ على الاقل

وسواءٌ زاد او لم يزد فالري الكافي مكفول للوجه البحري من فضل خزان اصوان ومكفول ايضاً للمنطقة المتوسطة من اسيوط فنازلاً التي تروى من الترعة الابرهيمية من فضل خزان اسيوط حتى كأن هذين الخزانين قد وفيا بنفقات انشائهما في سنة واحدة واما الصعيد من فوق اسيوط فسيبقى جانب منهُ من غير ري (شراقي) ومن ذلك خسارة كبيرة ولكن بعض الشر اهون من بعض

التعليم الزراعي

نرى الآن بالاختبار ان من امسّ ما يحتاج اليهِ هذه القطر رجال يعلمون طرق الزراعة وما يتعلق بها كالاعتناء بالمواشي وتدبير الري وحفر الترع واقامة الجسور وحساب مكعباتها فان امهر رجل بين نظار الزراعة لا يعلم كيف يداوي ثوراً من ثيرانهِ ولا كيف يحسب مكعبات ترعة حفرها اوجسر اقامهُ اوعزبة بناها ولا يستطيع ان يعلم مناسيب ارض يريد تقصيبها واصلاحها . واذا اصاب زراعتهُ آفة من الآفات عجز عن معرفة سببها . ويسوءُنا ان المدرسة الزراعية الوحيدة في هذا القطر قد رفعت اجرة التعليم حتى صار يتعذَّر على متوسطي الحال التعلم فيها ولم يعد تعلم الزراعة ميسوراً الاَّ للاغنياء الذين لا يهمهم ان يتعلموا شيئاً وان تعلموا لم يرضوا ان يقرنوا العلم بالعمل وعلى كل حال لا يستخدمون نظاراً ومفتشين في الزراعات حيث تكون اجرة الناظر او المفتش من خمسة جنيهات الى عشرة او اكثر قليلاً

ويقيننا ان الحكومة تقصد خير الرعية وتودُّ ان تنتشر المعارف الزراعية الصحيحة في البلاد لان ذلك يزيد ثروتها كثيراً ولكن فعلها هذا جاء منافياً لهذا القصد . فان كانت تجد الطلبة كثاراً ومدرستها لا تسعهم واساتذتها لا يكفون لهم فعليها ان توسّع المدرسة وتكثّر عدد الاساتذة . وكل جنيه تنفقهُ في هذا السبيل تستردهُ من البلاد جنيهات كثيرة والبلاد تربح منهُ الوفاً

الفاكهة في مصر

لما نقلنا المقتطف الى القطر المصري منذ سبع عشرة سنة كان اول شيء استوقف نظرنا من باب زراعي قلة الفاكهة فيهِ مع ما هو معلوم من ربح زراعتها ولزومها لطعام السكان من

باب صحي . ومن ثم اخذ زرع الفاكهة يزيد عاماً فعاماً فكثر العنب على اشكالهِ وقد رأينا منهُ بالامس ثلاثة انواع من اجود انواع العنب في حديقة لحضرة سليم بك فرج في عزبة النخل مما يسمَّى في بلاد الشام بالجوزاني وخدود البنات . وكثر التين على انواعهِ حتى التين الشامي الابيض والاحمر ونوع يشبه تين ازمير . وكثر الموز البلدي والهندي والبطيخ الناتج من نقاوي البطيخ اليافاوي والمنجو والغوافيا والشليك . وقد رخص ثمن الكثير من هذه الانواع حتى انهُ نقص اربعين او خمسين او مئة في المئة عمَّا كان عليهِ منذ عشر سنوات ولولا كثرة الآكلين لرخص اكثر من ذلك ومع هذا فان الفاكهة لا تزال غالية جدًّا حتى يسهل على البلدان البعيدة كبرّ الاناضول وبلاد اليونان ان ترسل فاكهتها الى القطر المصري وتبيعها فيهِ . ولا يزال المجال واسعاً جدًّا للاكثار من زرع الجنائن والبساتين ولا سيما من زرع ما لا يتلف اذا لم يبع في حينهِ كالتين والعنب فان العنب ييبس ويباع يابساً باغلى مما يباع طريًّا والعنب يصنع زبيباً وخمرًا . ويجب ان تبلغ غلة الفدان المزروع فاكهة اضعاف اضعاف غلة الفدان المزروع قطناً او حنطة ولا سيما اذا كانت الاطيان قرب المدن الكبيرة التي يسهل نقل الفاكهة اليها

زراعة الصبر السقطري

الصبر من النباتات التي تعيش في هذا القطر والقطر الشامي حيث لا تجود الزراعات الاخرى وقد اطَّلعنا على مقالة في كيفية زراعتهِ للمستر وليم فريمان في جريدة الهند الغربية الزراعية فترجمناها لعلَّ الاطلاع عليها يغري احدًا بزرع هذا النبات واستغلالهِ

كيفية زراعتهِ — تركس الارض وتسمد وتقطع بالمراوي والمصارف وتزرع فيها فسائل الصبر التي تنمو حول اصولهِ ووقت الزرع في بربادوز من ابريل الى يونيو وتزرع الفسائل صفوفاً بين الصف والآخر ١٨ عقدة او قدمان وبين الفسيلة والاخرى نصف قدم الى قدم

ونفقات الركس والتعشيب والتسميد والزرع تبلغ من جنيهين الى ثلاثة لكل فدان عدا ثمن الفسائل

واذا كان الزرع متقناً امكن جني الغلة الاولى بعد سنة من الزمان . ويمكن زرع الذرة بين فسائل الصبر في السنة الاولى واما في السنة الثانية وما بعدها فلا يزرع بين الصبر الاَّ القرع لانهُ يستعمل لجمع العصير من ورق الصبر

جني الصبر — حينما يكبر الصبر ويصير عمرهُ سنة او اكثر يمرُّ العامل بينهُ والسكين في يدهِ ويقطع الاوراق السفلى كلها من حول الساق ويضعها في حوض كبير من الخشب وكعوبها

المقطوعة الى اسفل حتى تخرج العصارة منها الى الحوض ثم تصبُّ منهُ في قرعة او اناء آخر

اغلاء العصير . يجمع العصير ويترك يومين حتى يرسب ما فيهِ من العكر ثم يغلى في اناء معدني ويحرَّك جيدًا فيسود لونهُ ويشتد قوامهُ وحينئذٍ تخفف الحرارة . والذين يغلون الصبر يعلمون من منظرهِ وشكل الفقاقيع التي تتكون فيهِ ما اذا كان قد أُغلي الاغلاء الكافي وحينئذ يرفع بمناشل طويلة من الاناء ويصب في القرعات حتى تمتلئ وحينما يجمد فيها يقل حجمهُ كثيراً فتملأ من طبخة أُخرى من الصبر وتسع القرعة من الصبر الجامد عشرين رطلاً الى ستين

وتبلغ نفقات الفدان لتعشيبهِ وقطع اوراق الصبر واغلاء عصيرها نحو خمسة جنيهات

ويترك نبات الصبر في الارض اربع سنوات ويجني منهُ في السنة الاولى ١٠٠ رطل وفي السنة الثانية ٢٥٠ رطلاً وفي الثالثة ٥٠٠ رطل وفي الرابعة ٥٠٠ رطل ايضًا وثمن قنطار الصبر من جنيه ونصف الى خمسة جنيهات او ستة واجود انواعهِ السقطري وهو اغلاها وقد يبلغ ثمن قنطارهِ عشرة جنيهات

الزيوت العطرية

في القطر المصري اشجار ونباتات كثيرة فيها زيوت عطرية طيارة يمكن استخراجها والاتجار بها كزيت قشر البرتقال والليمون والمندرين وزيت اليوكالبتوس وزيت النعناع عدا الورد الكثير الذي يمكن ان يستخرج عطرهُ . ولا يستخرج من ذلك كلهِ الآن الاَّ ماء الورد وماء النعناع وماء الزهر . وقد بلغنا ان الاسرائيليين الذين عادوا الى بلاد فلسطين زرعوا الورد الجوري قرب بحيرة الحولة وهم يستخرجون عطر الورد منهُ ويبيعون الكيلو بنحو تسعمائة جنيه وما هو ميسور لهم يجب ان يكون ميسورًا لاهالي هذا القطر ولكل سكان القطر الشامي

مرض القطن

ظهر الآن ان مرض القطن الذي خيف من انتشارهِ في اول الموسم لم ينتشر ولا رأينا لهُ اثرًا في كثير من الزراعات الواسعة ولكن ظهر نوع من الفطر الاسود على قليل من شجيرات القطن اتلف جوزها غير ان انتشارهُ قليل جدًّا كنا نرى بضع شجيرات مصابة بهِ في الفدان وسائر القطن سليم منها . ولم يرتفع شجر القطن كثيرًا هذا العام كما ارتفع في العام الماضي ولكن الجيد منهُ جوزهُ كثير جدًّا رغمًا عن عدم ارتفاعهِ

باب التقريظ والانتقاد

الاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم

حضرة الفاضل محرر المقتطف الاغر

بعد الاحترام ابعث اليكم بالكلمات الاتية رجاء نشرها في " باب التقريظ والانتقاد " ردًّا مني على تقريظكم لكتاب فريد بك المحامي في تاريخ الرومان وهي :

ادهشني كلامكم على كتاب " تاريخ الرومان تأليف محمد بك فريد المحامي " الذي استفتحتم بهِ باب التقريظ والانتقاد في الجزء الثامن من المقتطف حيث دار محور انتقادكم بدون ان يلتفت الى ما شملهُ الكتاب من الاخبار التاريخية فقط حول كلمات قالها حضرة المؤلف في مقدمتهِ من جهة ومن جهة اخرى فان الفقرة التي انتقدتموها بسؤالكم الذي قلتم فيهِ "لو سألناهُ ذلك وانصف .... الخ " كان يجب عليكم ان تستحثوا الناس على مطالعتها واتباع ما حوتهُ من فضائل النصائح المفيدة عوضاً عن التعرض لها بمثل هذا السؤال الذي يحمل القارئ على الشبهات في حسن نية المنتقد . وفي رأيي انكم لو انصفتم انتم لما وجهتم مثل هذا السؤال الى رجل يقول لقومهِ قد اخترت نشر تاريخ الرومان بينكم لانهُ " مفعم بالحوادث الصادرة عن حب الوطن والاخلاص لهُ والتفاني في خدمتهِ والتهالك في الدفاع عنهُ والذود عن حوضهِ" الى آخر ما ذكر من الفضائل التي اتفق علماء الاخلاق في كل الامم على وجوب غرس جرثومتها في نفوس الافراد وهم اطفال وانمائها في جسومهم وهم فتيان وتحريضهم وحثهم على اتباعها والعمل بها وهم كهول وشيوخ . فما السبب الذي حملكم يا ترى على هذا الانتقاد وانتم لا شك ممن يعرف الفضيلة ويحق قدر الناصح بها قدرهُ . وما العامل الذي حرك قلمكم الى عرض سؤال مثل خلط الحابل بالنابل وارادة طمس وجه الحقيقة وهي ظاهرة كالهلال في ليلة صحواء ؟ ! فان كنتم تجهلون من يعني فريد بك " بالاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم " فاسمحوا لي بيان ذلك ايجازاً

ينقسم سكان القطر المصري الحاليين في نظر الشبيبة المصرية الى ثلاثة اقسام الاول وهو الفريق الاكبر من كان يسكن القطر قبل الاحتلال الانكليزي وكان ولا يزال يخضع لاحكام الحكومة الخديويَّة المصرية ومن خلفهم ويخلفهم من اعقابهم والى هذا الفريق المعروف باسم الامة

المصرية قد وجهَّ فريد بك كلامهُ في مقدمتهِ . والقسم الثاني رعايا كل الدول الاجنبية صواحبات ما يسمونهُ "الامتيازات الاجنبية" من جهة والدولة المحتلة من جهة أُخرى ويطلق عليهم اسم "الاجنبي المهاجم" واما القسم الثالث وهو فريق الدخلاء فيطلق في عرف الشبيبة المصرية على افراد من مصريين وغيرهم ممن تمصر من الاجانب وعلى الاخص من الشرقيين رعايا المملكة العثمانية وباع ذمتهُ في خدمة "المعتدي الظالم والاجنبي المهاجم" مع سبق علمهِ ضرر ذلك بجسم الامة التي دخل فيها

فهذان الفريقان هما يا حضرة الفاضل اللذان نوه عنهما فريد بك في مقدمتهِ "بالاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم" ويوافقهُ على ذلك كل ذي احساس شريف وبصيرة لم تعمها الاغراض الذاتية الدنيئة . فان وافقتموني كنتم واياي سواء والاَّ فمطارحتكم البحث والمناقشة في هذا الموضوع واجبة عليَّ حتى يقنع احدنا الآخر والسلام

موبخ الدكتور محرم بك

[المقتطف] ان لم يخطئ حزرنا فالدكتور محرم بك هو ابن المرحوم محرم بك الذي عرفناهُ في هذا القطر وكنَّا نسرُّ بحديثهِ المفعم بالفوائد والنوادر . والدكتور محرم بك درس في اشهر مدارس اوربا ولذلك نرغب في مذاكرتهِ في هذا الموضوع على امل ان يزن اقوالنا بميزان العقل ولا يدع لاهواء النفس سبيلاً الى احكامهِ فنقول

ان ردَّهُ علينا يشتمل على امرين حريين بالنظر الاول تفسيرهُ للاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم والثاني ارتيابهُ في صدق نيتنا لاغضائنا عن اقوال قالها المؤلف

امَّا عن الامر الاول فنقول انهُ اطلق كلمة "الاجنبي المهاجم" "على رعايا الدول الاجنبية صواحبات الامتيازات الاجنبية" والدولة المحتلة بنوع خاص . واطلق كلمة "الدخيل المزاحم" "على افراد من مصريين وغيرهم ممن تمصَّر من الاجانب وعلى الاخص من الشرقيين رعايا المملكة العثمانية وباع ذمتهُ في خدمة المعتدي الظالم والاجنبي المهاجم مع سبق علمهِ ضرر ذلك بجسم الامَّة التي دخل فيها"

امَّا القسم الاول اي الاجنبي المهاجم فالمراد بهِ صريح واضح من كلام حضرة الدكتور وهو يشمل الانكليز والفرنسويين والالمانيين والنمسويين والايطاليين ونحوهم من رعايا الدول صاحبات الامتيازات الاجنبية . وتسميتهم بالاجنبي لا غبار عليهِ ولكن نعتهم بالمهاجم غير صحيح لانهُ لم يهاجم مصر احد منهم والانكليز انفسهم اتوا بطلب من الخديوي السابق وللمحافظة على حياتهِ وقمع الثورة العرابية واقاموا في القطر برضى الباب العالي صاحب السيادة وهو الذي ابطل

الاتفاق لتجديد زمن الجلاء . هذا هو ظاهر السياسة واما باطنها فهو ان اسراف الخديوي الاسبق دعا الى ارتهان المداينين الاوربيين لاكثر القطر المصري واجبارهم دولة من دولهم على احتلاله ائتماناً على اموالهم. وهذه الحقائق يعلمها حضرة الدكتور محرَّم بك كما نعلمها نحن فلا داعي للتطويل في شرحها ولا وجه لانكارها

ويتضح استنكارنا لنعت الاجانب بالمهاجمين من تطبيق وصف المهاجم على حضرة الدكتور محرم وعلى المرحوم والدهِ فان المرحوم والده كان يفتخر برعويتهِ النمسوية. ولاننسى كم مرة ذكر لنا ذلك وقصَّ علينا اخبار ذهابهِ الى بلاد النمسا ومقابلتهِ العظماء فيها. فهل نلقبهُ هو واباهُ واخوتهُ بالاجانب المهاجمين الظالمين المعادين لمصر وابنائها

ومما يذكر في هذا الصدد اننا قلما سمعنا رجلاً يتكلم بحماسة عن الوطن والوطنية المصرية وسألناهُ عن اصلهِ الاَّ وجدنا انهُ من غير المصريين. سمعنا بالامس رجلاً ينادي بالوطنية ويتشدَّق بكلام ثقيل فانتظرنا الى ان سكن جاشهُ وقلنا لهُ اين وُلد المرحوم والدكم فاطرق قليلاً ثم قال في بغداد واصلنا من ديار بكر فصمتنا ونحن نقول في انفسنا يا سبحان الله ان هؤلاء الناس يتبجحون بالوطنية واما المصريون الاصليون الذين يمتد نسبهم الى رعمسيس فلا نسمع منهم مثل هذه الدعوى

نأتي الآن الى فريق الدخلاء وقد وصفهم حضرة الدكتور بانهم "باعوا ذمتهم في خدمة المعتدي الظالم والاجنبي المهاجم" وكلمة باعوا ذمتهم غير محدودة المعنى ولا هي صريحة ولكن القرينة تدلُّ على انها وصف قبيح جداً اقل ما فيهِ الخيانة للوطن وهي تدلُّ على ان الاجانب الذين في مصر كلهم او جلهم مهاجمون معتدون ظالمون. وقد وصفهم بذلك صريحاً ولو لم يصفهم هذا الوصف الصريح لاستدللنا عليهِ من اتهامهِ بعض السكان ببيعهم ذمتهم لهم لان بيع الذمَّة لا يكون الاَّ للعدو

فتهمة المؤلف التي ذكرناها بالازدراء ودافع عنها حضرة الدكتور محرَّم بك هي هذه: ان الاجانب الذين في القطر المصري عموماً (ومحرَّم بك واخوتهُ منهم) اعداءٌ للمصريين معتدون عليهم ظالمون لهم . وزاد حضرة الدكتور محرَّم على ذلك الآن ان كل من يحاسنهم ولا يعاديهم فهو بائع ذمتهُ لهم ومشارك اياهم في الاعتداء على المصريين وظلمهم وان هذا هو معتقد الشبيبة المصرية ومعتقد كل ذي احساس شريف وبصيرة لم تعمها الاغراض الذاتية الدنيئة. ونحن ننكر ذلك كلهُ ونستهجنهُ ونعتقد ان الذين يقولونهُ اما انهم يعلمون بطلهُ ولكنهم يتخذونهُ وسيلة للكسب او انهم مغرورون بطيش الشباب او بقلة الاختبار وانهم متى عركوا الدهر قليلاً

ادركوا خطأهم وانصاعوا الى الحق . ونعتقد ايضًا ان الذين يحاسنون الاجانب ويجاملونهم من الجناب الخديوي ونظارهِ فنازلاً الى اصغر فلاّح في هذا القطر قد افادوا القطر بصنيعهم وان الذين اظهروا العداء للاجانب جرُّوا على القطر الويل والشر . وان اكبر صديق لهذا القطر هو الذي يحث ابناءهُ ويساعدهم على مناظرة الاجانب والاكتساب منهم والاقتداء بهم . وان اكبر عدو لهُ هو الذي يقنع المصريين بمعاداة الاجانب والابتعاد عنهم وعمَّن يواليهم

ونحن والاجانب من حيث ضعفنا وقوتهم وجهلنا وعلمهم وكسلنا واجتهادهم وخمولنا ونشاطهم كالخشب والحديد كلُّ احتكاك بيننا وبينهم يعود علينا وحدنا بالضرر والتلف. نعم انهُ لو لم يقيِّد الخديوي الاسبق البلاد بقيود الدين ولو لم تأتِ الثورة العرابية فتقيد البلاد بقيود الاحتلال لفضَّلنا ان نبقى وحدنا نسير الهوينا الى ان نبلغ اشدنا فلا تشعر اوربا الاَّ ونحن دولة عزيزة الجانب مثل اليابان ولكن الخطأ الذي لسنا بمسئولين عنهُ اوقعنا في احوال لا يمكن التخلُّص منها بالمشاغبة والمناواة بل بالصبر والسعي والموالاة

ويقيننا ان حضرة الدكتور محرم بك لا بدَّ من ان يقول قولنا اذا تبصَّر في شرحنا هذا ونؤكد لهُ اننا لم ننتقد كلام صديقهِ المؤلف محمد بك فريد الاَّ لانهُ مضرٌّ يجب الاقلاع عنهُ. وهنا يصل بنا الكلام الى الامر الثاني وهو اغضاؤنا عن اقوال قالها المؤلف فنجيب ان المناداة بخدمة الوطن والاخلاص لهُ والتفاني في خدمتهِ في مثل المعرض الذي وردت فيهِ هذه المناداة وهو اتهام الاجانب بمعاداة الوطنيين وظلمهم — هذه المناداة اذا وثقنا بصدق المنادي بها قلنا انها تحريض على الثورة والاَّ فلا معنى للتهالك في الدفاع عن الوطن والذود عن حوضهِ في هذا المقام . واذا لم نثق بصدقهِ قلنا انها رياء وتضليل فاي الغرضين نمدح

وعسى ان لا يرى حضرة الدكتور بعد هذا البيان اننا "خلطنا الحابل بالنابل" ولا اننا اردنا "طمس وجه الحقيقة" وسيعلم ان اكثر ذوي الاحساس الشريف والبصيرة التي لم تعمها الاغراض الذاتية الدنيئة لا يعتقدون معتقدهُ ولا معتقد الذين نعتهم بالشبيبة المصرية وفقنا الله جميعًا الى ما بهِ خدمة ابناء نوعنا خدمةً حقَّة

رواية المروءة والوفاء

كان المرحوم الشيخ خليل اليازجي شاعرًا مطبوعًا ولد في بيت الشعراء وربي فيهِ فنظم الشعر الحسن فتًى صغير السن وبرَّز فيهِ على الاقران وظلَّ الشعر طوع قريحتهِ الى ان تغلَّب باشلس السل على رئتيهِ . ورواية المروءة والوفاء من اول منظوماتهِ " وقد اختار موضوعها من

اشهر وقائع ملوك العرب الجاهلية واجدرها بالتمثيل اذ جمعت يوم البؤس ويوم النعيم وظهر فيها الفرج بعد الضيق وقد شخص فيها غوائل السكر وقباحة الظلم وكرم الاخلاق عند العرب . . . وصدرها بقصيدة طويلة بسط الكلام فيها على الاصول والاحكام الواجب مراعاتها في هذا النوع من الروايات مما وضعهُ من نفسهِ واتمّ نظمها سنة ١٨٧٦ " وعمرهُ عشرون سنة ومثّلها سنة ١٨٧٨ وحضرنا تمثيلها حينئذٍ فكان غاية في الجودة

وقد طبعت هذه الرواية اول مرة سنة ١٨٨٤ واعيد طبعها الآن في مطبعة المعارف بمصر

آثار الفيوم الجيولوجية

SOME NEW MAMMALS
FROM THE
UPPER EOCENE OF EGYPT.

BY
C. W. ANDREWS, D. Sc., F. G. S.,
of the British Museum (Nat. Hist.)
AND
HUGH J. L. BEADNELL, F.G.S.. F.R.G.S.,
OF THE GEOLOGICAL SURVEY OF EGYPT.

اخذ قسم المساحة الجيولوجية يخلد اسم الفيوم وما فيها في ديوان العلم فقد اكتشف مؤلفا هذه الرسالة آثار حيوانات كثيرة في بلاد الفيوم ووصفا بعضها وصفاً موجزاً في هذه الرسالة من ذلك الحيوان الذي سمياهُ فيوميا سريدتس نسبة الى الفيوم وهو من الحيوانات المتوسطة بين ذوات الكيس والضواري وتعرف عند علماء الحيوان باسم creodont وقد كشفت آثار هذه الحيوانات في اوربا واميركا في طبقات الميوسين والايوسين ولا نعلم انها كشفت في افريقية قبل الآن . ومنهُ آثار الحيوان الذي سمياهُ صاغتريوم انتيكوم نسبة الى قصر الصاغة الذي وجد قربهُ وهو من نوع الوبر الموجود الآن في فلسطين ويدل شكلهُ على انهُ من القارضات وهو ليس منها . ومنهُ نوع من ذوات الخف سمي انكودس غورنجي نسبة الى المستر غورنج من رجال ادارة المساحة الجيولوجية الذي مسح اكثر الفيوم سنة ١٨٩٨ وفي هذه الرسالة صور هذه الآثار مصنوعة في دار المساحة الجيولوجية ويا حبذا لو اسرعت دار المساحة في نشرها حتى لا تنشر في غيرها قبلها

ويظهر من بقايا الاشجار المتحجرة الموجودة مع آثار هذه الحيوانات ان الماء جرفها كلها معاً ورسبت منهُ حيث وُجدت الآن

التصوير الفوتوغرافي

خُصَّ اهالي اسيا الوسطى من ايران الى بخارى فالصين بالمهارة في صناعة التصوير والنقش ولم تزل لهم هذه المزية مع ما نزل ببلدانهم من النوازل منذ اكثر من الف عام الى الآن . والظاهر ان حضرة مؤلف هذا الكتاب علي افندي شمس الدين البخاري اصلاً ورث هذا الميل عن اسلافهِ فتعلَّم صناعة التصوير الشمسي وألَّف فيها هذا الكتاب النفيس بانياً ما كتبهُ فيهِ على ما علمهُ بالعلم والعمل وما رآهُ في الكتب والجرائد والمجلات الفنيَّة فجاء كتاباً وافياً في بابهِ كما كان كتاب الدر المكنون حينما أُلِّف لكن العقبة الكبرى في سبيل الكتب الصناعية التي مثل هذا الكتاب هي انهُ لا يمضي سنة او سنتان حتى تستنبط اساليب جديدة فيقدم الكتاب بالنسبة اليها قبلما يباع منهُ ما يقوم بنفقات طبعهِ فعسى ان يكون نصيب هذا الكتاب احسن من نصيب غيرهِ ويستفيد منهُ كثيرون . والكتاب جامع لما يحتاج الى معرفتهِ من يريد ان يتعاطى هذه الصناعة وموضح بكثير من الصور التي تزيدهُ بياناً فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرِّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الكوليرا والطيور

المنيا . سيداروس افندي بطرس . يقال انهُ في زمن الكوليرا خصوصاً والاوبئة عموماً تختفي الطيور مطلقاً ولا سيما الجنزور ولا تظهر الاَّ بعد انتهاء الوباء . ولكننا نرى الآن العصافير طائرة على جاري عادتها والجنازير مطلقة الجناح فكيف ذلك وقد بلغني ايضاً انهُ لما انتشرت الكوليرا في القطر المصري سنة ١٨٨٣ اختفت العصافير فهل ذلك صحيح

ج سمعنا هذه الدعوى قبل الآن ولكننا راقبنا الطيور في بر الشام وفي القطر المصري في وبائين آخرين فلم نرَ لها صحة والآن نرى الطيور كيفما اتجهنا مع ان الوباء منتشر

(٢) حموضة المعدة والكوليرا

مصر . احد التجار . يقال انهُ اذا كانت المعدة تفرز عصيرًا حمضيًّا عند الهضم فانهُ يميت ميكروب الكوليرا اذا دخل المعدة فهل ذلك صحيح وما هو احسن اساوب او احسن دواء يسهل تعاطيهِ لحفظ حموضة المعدة

ج اذا كانت المعدة سليمة فعصارتها العادية حامضة وهي تميت ميكروب الكوليرا. راجعوا ما كتبناهُ في هذا الموضوع في اول الصفحة ٧٩٧ من الجزء الماضي من المقتطف . ويشير الاطباء باضافة نقط قليلة من الحامض اللبنيك او الهيدروكلوريك الى الماء وقت شربهِ تسهيلاً للهضم ومساعدةً لحموضة المعدة على قتل ميكروب الكوليرا . ويكفي عصير الليمون الحامض يمزج بهِ الماء وقت شربهِ

(٣) الاصابة بالكوليرا مرتين

ومنهُ . هل يمكن ان يصاب الانسان بالكوليرا مرتين اي انهُ اذا اصيب بها وشفي هل يصاب بها مرةً اخرى واذا كان يمكن ان يصاب بها مرةً اخرى فهل يجوز ان يكون ذلك بعد شفائهِ تمامًا او لا بدَّ من زمن معيَّن كتاقيح الجدري فانهُ لا يفعل في الانسان مرةً ثانية الاَّ بعد خمس سنوات او اكثر

ج اذا قسنا الكوليرا على غيرها من الامراض الميكروبية ترجح لنا ان الاصابة الواحدة بها تقي من الاصابة بها مرةً اخرى بعد زمن قصير او طويل ويؤيد ذلك دعوى الذين ادَّعوا وجود طعم بقي منها لان الطعم لا يقي الاَّ على مبدإِ ان ميكروبها يأخذ من البنية شيئًا لازمًا لنموهِ فيها او يبقي في البنية شيئًا يمنع نموهُ فيها ولكننا لم نقف على حوادث يوثق بصحتها تدلُّ على ان الكوليرا تقي الجسم او لا تقيهِ ولا على مدة الوقاية اذا كانت تقيهِ

(٤) علاج الكوليرا بالتطعيم

ومنهُ الم يتَّصل علماء الطب حتى الآن الى كيفية علاج لداء الكوليرا بالتلقيح بعد ما عانوهُ من اهوالها في اسيا

ج لقد اتصلوا الى التطعيم بمادة يقال انها تقي من الكوليرا فيصير دم المطعَّم بها اقوى من دم غير المطعم بها على مقاومة الكوليرا مئتي مرة الاَّ ان التدابير الصحية اوقى من كل الوسائل العلاجية لاسيما وانها تقوم بحفظ ماء الشرب نقيًّا

(٥) اتساع الحدقة

ومنهُ . لاحظت كثيرًا في طفل صغير ان انسان عينهِ (الحدقة) يكبر احيانًا حتى يصير كالعدسة الكبيرة ويصغر احيانًا حتى يصير كالنقطة الكبيرة وهذا يحصل نهارًا وليلاً فاذا زاد الضوء صغر واذا نقص كبر فما سبب ذلك هل هو النور

ج ان ذلك يحدث في الصغار والكبار على حدٍّ سوى في حال الصحة. والحدقة فتحة في القزحية يدخل النور منها فاذا كان النور كثيرًا فالقليل منهُ يكفي لاظهار صور

المرئيَّات والكثير يشوش صورها ولذلك تضيق الحدقة في النور الكثير واذا قلَّ النور لم يعد القليل منهُ كافيًا لاظهار صور المرئيات واضحة فتتسع الحدقة ليدخل منها المقدار الكافي من النور . ولا شبهة في ان النور نفسهُ يؤَثر في المراكز العصبية المتسلطة على الحدقة فتوسعها او تضيقها حسب الاقتضاء كما ينفض الانسان يدهُ اذا اصابتها جمرة ولو كان غير ناظر اليها

(٦) الاسفلت في البناء

ومنهُ . ما هي فائدة طبقة الاسفلت التي توضع على اساسات (جدران) المنازل وهل تضر بعدم ربطها المباني بعضها ببعض

ج فائدتها منع رطوبة الارض من الصعود الى ما فوقها ولا ضرر منها في عدم ربط البناء لانها افقية

(٧) امساك الاطفال

ومنهُ . اذا كان الطفل حديث الولادة ومعهُ امساك على الدوام وتولدت فيهِ غازات فما هو احسن علاج لمنع ذلك

ج ان يسقى نصف ملعقة صغيرة من زيت الخروع مع نصف ملعقة صغيرة من زيت اللوز

(٨) هواء شارع الاهرام

ومنهُ . ما هو رأيكم في شارع الاهرام هل هواؤُهُ أصح من هواء خط المطرية والعباسية لمن يريد السكنى فيهِ

ج لا نظن انهُ اصح ولا هو مثل هواء الجانب الشرقي من خط المطرية صحة لان شارع الاهرام سيبقى الزرع على جانبيهِ سنين كثيرة والارض الزراعية الكثيرة الري تبقى فيها مستنقعات صغيرة يتولَّد فيها البعوض مسبّب الحمَّى الملارية فضلاً عمَّا يكون في هوائها من البخار الكثير

---

(٩) تولد التوأمين

العزازي . حافظ افندي سليمان . هل يتم العلوق بتوأمين في وقت واحد

ج نعم وهذا هو الغالب اذا وجدت في المبيض بيضتان بالغتان مستعدتان للعلوق . واذا وجد فيهِ بيض كثير بالغ تلقَّح كلهُ

(١٠) حرافة البصل

ومنهُ . جربت زرع البصل الافرنكي الاحمر الكبير فنبت ولكن جاء طعمهُ حريفًا جدًّا مثل البصل المصري فهل اذا زرع البصل المصري في الارض التي نبت فيها البصل الحلو يأتي حلو الطعم مثلهُ

ج هذا هو المرجح لان البصل كلهُ من نوع واحد واختلف طعمهُ باختلاف الاراضي والاقاليم لكنهُ قد يفقد الصفات الجديدة سريعًا في سنة واحدة وقد لا يفقدها الاَّ بعد سنين كثيرة حسب رسوخها فيهِ فان كان البصل الاوربي الحلو قد صار حريفًا في القطر المصري في سنة واحدة فمن المحتمل او المرجح ان البصل المصري يصير حلوًا اذا زرع في

بلاد باردة ليس فيها المواد التي تسبب حرافة البصل او لا تساعدهُ على امتصاصها وادخارها

(١١) ميل المطر

ومنهُ . لماذا تسقط الامطار بميل لا رأسيًّا

ج لان الجو لا يخلو من الريح اي من حركة في الهواء ولو طفيفة فتندفع نقط المطر وهي نازلة حسبما تدفعها الريح الهابّة حينئذٍ

(١٢) الفتن في المدارس

ومنهُ . قال جول سيمون اذا امتلأَت المدارس فرغت السجون فلماذا نرى الفتن في مدارس روسيا

ج للفتن في مدارس روسيا اسباب خصوصية في نظام الحكومة الروسية ونظام مدارسها وطبيعة سكان البلدان الشمالية . ولا غبار على القول المنسوب الى جول سيمون لان الاحكام التي من قبيلهِ لا يشترط ان تصدق على كل الناس وكل البلدان وكل الازمنة بل هو حكم اغلبي مثل كل الاحكام الاجتماعية التي لا تخلو من الشواذ

---

(١٣) المشد وتصغير القدم

طنطا . ابرهيم افندي نقولا يارد ارجو ان تخبروني ايهما اضر وضع قدم الولد في قالب من الحديد كما يفعل الصينيون او لبس المشد كما يفعل نساءُ الافرنج ولماذا نحسب العادة الاولى من عوائد التوحش والثانية من عوائد التمدُّن

ج ان تصغير اقدام الصينيَّات منعهنَّ من العمل والفائدة واما تضييق خصور الاوربيَّات فلم يمنعهنَّ من ذلك . ولا شبهة في ان المشد ضارٌّ ولا فائدة منهُ ولكن بعض الكتَّاب بالغوا في ضررهِ جدًّا وهو ليس كذلك وهواي المشد ليس من لوازم التمدُّن بل من شوائبهِ

---

(١٤) قِدَم الانسان

مدينة جاكسن باميركا . الخواجه رشيد ابو ريحان . يقول العلماء ان الانسان صار لهُ على وجه الارض مئات الالوف من السنين . ولكن يظهر من تاريخ الخليقة على ما هو وارد في التوراة ان ليس لهُ في الارض الاَّ نحو سبعة آلاف سنة فنرجو ان تفيدونا هل من دليل تاريخي على قدم الانسان بهذا المقدار او هل وجد في الارض اناس قبل آدم

ج ان الادلة التاريخية المعروفة الآن تمتدُّ الى نحو عشرة آلاف سنة وكان الانسان حينئذٍ قادرًا على تمصير المدن وبناء المباني الفخيمة وتنظيم الجيوش واثارة الحروب فلا بدَّ من انهُ وجد على وجه البسيطة قبل ذلك بالوف من السنين . اما تاريخ آدم على ما هو مذكور في التوراة ووجود اناس قبلهُ فمن المسائل العويصة التي يختلف فيها الآن علماءُ التفسير ويتعذَّر علينا ذكر اقوالهم فيها هنا لضيق المقام وربما عدنا اليها في فرصة اخرى وذكرناها بالتفصيل

(١٥) قدم بركان اتنا

ومنهُ . على ماذا تعتمدون في قولكم ان بركان اتنا في صقلية ما زال يثور من وقت الى آخر منذ ٣٠٠ الف سنة على الاقل

ج معتمدنا في ذلك على علماء الجيولوجيا وهم يعتمدون على ما يرى من طبقات الارض تحت المواد المقذوفة منهُ والآثار الآلية الفارقة بينها فاذا وجد بين حممهِ آثار حيوان لا يعيش هناك الآن بل كان يعيش في العصر الجليدي او قبلهُ استنتجوا ان البركان كان ثائرًا في ذلك العصر وقبلهُ. وتاريخ العصر الجليدي يعرف بالتقريب بدلائل جيولوجية لا محل لبسطها هنا

وقد وجد ليل الجيولوجي الشهير ان اتنا كان ثائرًا قبل ان انقضى العصر الجليدي من اواسط اوربا وان اساسهُ كان في عصر البليوسين من العصور الجيولوجيَّة . ويعرف العصر من هذه العصور بما يوجد في الارض من المتحجرات ويستدلُّ على تاريخها من مقدار ما تجرفهُ الامطار الآن من صخور الارض واتربتها

(١٦) السفر نحو القطب الشمالي

ومنهُ . قرأت مرارًا ان اناسًا يجتهدون حتى يصلوا الى آخر البحر المتجمد الشمالي فما هو قصدهم من ذلك هل هو مجرَّد الشهرة او لهم غرض آخر وهل يجدون هناك ارضًا يابسة واناسًا ساكنين فيها

ج الغرض الاول تجاري فان البعض يظنون وجود بحر خالٍ من الجليد حول قطب الارض فاذا صحَّ ظنهم سهل السفر من اوربا الى اطراف اسيا في هذا البحر ويضاف الى ذلك ان الذين يرحلون الى تلك الاصقاع يصفون ما يشاهدونهُ في رسائل وكتب تباع فتغني مؤلفيها . والغرض الثاني علمي وهو البحث عن الظواهر الجوية وبعض الامور الطبيعية كمغنطيسية الارض والآثار الجيولوجية . وهناك جزائر صخرية ولكن لا سكان فيها

(١٧) سبب ملوحة البحر

ومنهُ . لماذا جُعلت مياه البحر مالحة

ج ان الملح موجود في طبقات الارض وهو يذوب في الماء فكلما وقع مطر على سطح الارض اذاب بعض الملح الذي فيها وجرى بهِ الى البحر ثم ان الماء يتبخر من البحر ولا يصعد الملح معهُ حينما يصير بخارًا فيزيد مقدار الملح في ماء البحر على توالي الازمان . وهو في البحار الكثيرة التبخر كما في البلدان الحارَّة اكثر منهُ في البحار القليلة التبخر كما في البلدان الباردة فالبحر الاسود مثلاً اقل ملوحةً من البحر الاحمر

---

(١٨) تولد الحيوانات

بغداد . الخواجه اسكندر مسيح . عند ما تكلمتم عن تولد الحيوانات العليا في الجزء السابع من المقتطف قلتم قد ثبت بالامتحان

امكان التولُّد في بعض الاحوال من غير تلقيح اي ان كلاًّ من جرثومتي الذكر والانثى قد تنمو وحدها من دون ان تمتزج بالاخرى ونرجو ان تشرحوا لنا اساليب الامتحان وثبوت هذا الامر وهل يمكن ان نستنتج ان فرساً تحمل وتلد من غير تلقيح

ج ان الذي ثبت بالامتحان حتى الآن هو ان بيوض بعض الحيوانات البحرية الدنيئة تفرخ من غير مباشرة اللقاح لها بل بمجرد وضعها في سائل يظن انهُ يفعل بها فعلاً كهربائيًّا وقد شرحنا ذلك في الصفحة ٧١٥ من الجزء السابع

اما ثبوت هذا الامر في بعض الحيوانات الدنيا فلا يدعو الى اطلاقهِ على الحيوانات العليا لان هذه قد افترقت ذكورها عن اناثها منذ زمن بعيد جدًّا وكثرت اعضاؤُها حتى يتعذر ان توجد كل الاعضاء المقومة للنوع في بيضة الانثى او في جرثومة الذكر اما الحيوانات الدنيا فلا يزال بعضها يتولَّد بالانقسام كالنبات مثال ذلك الاسفنج فانهُ حيوان ونقطع قطعة منهُ وتزرع فتنمو وتصير حيواناً كاملاً لان اعضاءهُ قليلة بسيطة توجد في كل جزء واما الحيوانات الكبرى فاعضاؤُها كثيرة ولكل عضو منها عمل خاص بهِ فلا يقوم مقام بقية الاعضاء

(١٩) الشهوات والسكر

القاهرة م . ك . يرى بعض العمرانيين ان استفحال داء الشهوات بين الامم من اكبر العوائق التي تصدهم عن التقدم الحقيقي ويرى آخرون ان الشهوات على نوعيها عادية وغير عادية هي الباعث الوحيد لذلك الارتقاء ويستشهدون على ذلك بما عليهِ اوربا اليوم من اباحة ما كان محذورًا عند غيرهم من الامم الاخرى حتى كان ذلك من اكبر العوامل لاندفاعهم وراء تحصيل المكاسب واستجلاب الفوائد

ج اذا كان مرادكم بالشهوات الموبقات كالفسق والسكر والخلاعة فهذه يستحيل ان تأول الى الارتقاء الحقيقي لانها تسقم الجسم وتضعف العقل وتذهب المال واذا انتشرت في بلاد افسدت عمرانها وقوَّضت اركانها كما حدث في اواخر المملكة الرومانية

(٢٠) عمل الطحال

سنورس . حنا افندي ملطي . ما هو عمل الطحال

ج نقل الدكتور ورتبات في فسيولوجيتهِ "ان الطحال يصلح مواد الدم الالبومنية لاجل التكوين ويعيها الى زمن ثم يأخذها الدم منهُ شيئًا فشيئًا بحسب احتياج الطبيعة وانهُ عامل في تكوين جراثيم الكريَّات الدموية كالغدد اللمفاوية وربما شاركتهُ في ذلك بقية الغدد الوعائية . ومن وظائفهِ ايضاً على ما يظن انهُ تنحلُّ فيهِ الكريات الحمراء الدموية بعد اتمام وظيفتها وحلول الدثار فيها . وقيل ايضاً ان

لهُ وظيفة في الدورة البابية التي بينهُ وبينها علاقة شديدة" وبين علماء الفسيولوجيا اختلاف كبير في وظيفة الطحال لاسيما وانهُ ينزع كلهُ من الجسم من غير ضرر وآخر ما اتصل بنا علمهُ من هذا القبيل ان الطحال يصلح الكريات المكسرة من كريات الدم او يكون الكريات الحمراء

باب الاخبار العلمية

جوائز البالونات

عيَّن مديرو معرض سنت لويس باميركا مئتي الف ريال جوائز للبالونات من ذلك مئة الف ريال (اي عشرون الف جنيه) جائزة لاحسن بالون يعرض في ذلك المعرض . وخمسون الف ريال جوائز صغيرة للبالونات التي دونهُ . وخمسون الف ريال نفقات المتحكمين والمعدات اللازمة لهذه المباراة. والمباراة للجائزة الكبرى مباحة لكل مَن يثبت انهُ صنع بالوناً مثل البالون الذي يريد عرضهُ طار بهِ مسافة ميل على الاقل ثم عاد الى مكانهِ. والمظنون ان المسيو سنتوس ديمون يربح هذه الجائزة . وزمن المباراة بين اول يونيو سنة ١٩٠٤ و ١٢ سبتمبر وسبعين يوماً بالضبط بعدئذٍ

الطائر الطويل الذنب

الشائع ان الطاووس اطول الطيور ذنباً ولكن في بلاد يابان طائراً اصغر من الطاووس كثيراً فان طول بدنهِ ورأسهِ نحو قدم وطول ريش ذنبهِ اثنا عشر قدماً وهو يتدلى منهُ كالشرائط والخيوط الدقيقة . وقد تمكن اليابانيون من توليد هذا الطائر بطول الاعتناء ويبلغ ريش ذنبهِ هذا الطول في سنتين من الزمان فانهُ يطول نصف قدم كل شهر وفي ذنب كل طائر ١٥ او ١٦ ريشة طويلة ويبلغ ثمن الطائر منهُ نحو عشرة جنيهات

التلسكوب العيني

رسم الاستاذ طُد الفلكي الاميركي رسم تلسكوب يشبه عين الانسان وهو كرة كبيرة مجوفة قطرها مئة قدم يمتد منها انبوب طولهُ مئتا قدم وقطر بلورتهِ خمس اقدام فتجتمع اشعة النور بها على نقطة في باطن الكرة المجوفة حيث تكون الشبكية في عين الانسان. والكرة منصوبة حيث تتحرَّك كما تتحرَّك العين في محجرها فكأَن هذا التلسكوب عين طبيعية كُبّرت الوفاً من المرات لكي ترى الاجسام البعيدة بعداً شاسعاً رؤية واضحة . ولا بدَّ للراصد من ان يدخل هذه الكرة ويجلس حيث يجتمع النور على مقعرها ويرى صور

المرئيات كما ترتسم هناك . وحسب ان نفقات عمل هذا التلسكوب تبلغ ٢٧٥ الف ريال

ذهب الترنسفال

بلغ الذهب الذي استخرج من الترنسفال سنة ١٨٨٧ نحو ٢٣ الف اوقية وبلغ المستخرج منها سنة ١٨٩٨ اكثر من اربعة ملايين و٢٩٥ الف اوقية قيمتها ١٥١٤١٣٧٦ جنيهاً ويقدر الذهب الذي في كل ميل مربع من الريف الى عمق الف قدم بعشرة ملايين من الجنيهات واذا بلغ العمق ٦٠٠٠ قدم بلغ الذهب المستخرج من الميل المربع ستين مليوناً من الجنيهات وليس بعيداً ان يستخرج الذهب كذلك مما مساحتهُ عشرة اميال مربعة فيبلغ المستخرج منها ستمئة مليون من الجنيهات

واقية القطرات

قالت جريدة السينتفك اميركان ان اشد الاصطدام فتكاً بالنفوس اصطدام قطار بآخر بحيث تدخل المركبات بعضها في بعض كانها انابيب التلسكوب . وهذا الاصطدام كثير الوقوع وقتلاهُ كثار جدًّا . وقد يلتقي قطار بآخر فتثب قاطرة القطار الواحد فوق مركبات القطار الآخر وتسحقها ومن فيها وهذا كثير الضرر ايضاً . اما خروج القطار عن الخط فقليل الضرر لان القاطرة والمركبات تسير مسافة قصيرة بعد خروجها عن الخط ثم تقف من نفسها او تنقلب . فاذا امكن ان تُستنبط واسطة تحوّل كل الاصطدام الى خروج عن الخط قلَّ ضرر الاصطدام كثيرًا . وقد استنبط المستر ولدن هيبرن الاميركي اسلوبين لتحويل الاصطدام الى خروج عن الخط وشرحت هذين الاسلوبين وصورتهما وخلاصة ذلك ان توصل مركبة مثلثة الشكل بالقاطرة من الامام وبالمركبة الاخيرة (السبنسه) من الوراء بحيث يكون رأس المثلث امام القطر او وراءهُ على منتصف المسافة بين الخطين فاذا التقى قطار بقطار او ادرك قطار قطارًا سائرًا امامهُ انحرف رأس المثلث الواحد عن رأس المثلث الآخر فخرج احد القطارين عن الخط او خرجا كلاهما معاً ولا ضرر من ذلك الاَّ اذا كان هذا الخروج في مكان ضيق مرتفع فيتدهور احد القطارين او كلاهما ولكن ذلك قليل واذا اصطدم القطاران من غير هذين المثلثين فلا يسلمان من الانكسار والتدهور . وبعض الشر اهون من بعض

بركان بيلي والسفرير

لا يزال هذان البركانان يثوران كانهما لم يُفرغا كل ما في جوفيهما من قذائف الهلاك والتدمير. وكأن الكرة الارضية كلها شاركت جزيرة مرتينيك في مصابها فاخذت براكينها تثور الواحد بعد الآخر ويعتريها الاهتزاز والرجفان فثار بركان في كلبريا بايطاليا في الثاني والعشرين من اغسطس وكثرت الزلازل

في ذلك اليوم والذي تلاهُ وشعرت بها ارصاد اوربا وثار بركان في بلاد اسبانيا وبركان آخر في الازورس واستيقظت براكين اخرى كانت خامدة وثار بركان في جزيرة صغيرة اسمها توري سيما قرب بلاد يابان بين الثالث عشر والخامس عشر من اغسطس وكان فيها ١٥٠ نفساً فاماتهم كلهم وغطى الجزيرة بالقذائف. وعاد بركان بيلي فثار ثوراناً شديداً في آخر الشهر اهلك الف نفس . وجاءت البواخر القادمة من مرتينيك بخبر فحواهُ ان الماء والوحل الغالي انصبا على قرية مورن روج بغتة فلم يسلم احد من سكانها وان سيلاً من الوحل ووابلاً من الحجارة هطل على قرية اجوبا بوليون فدمرها وان قطعة من الارض تزيد عن ميل في شرق الجزيرة غاصت تحت البحر

وورد في تلغراف رسمي ان ٥ قرى دمرت في ٣٠ اغسطس ليلاً و٨٠٠ نفس قتلوا و٢٠٠ جرحوا وقد جيء بالفي نفس فروا من الجهات الشمالية الى فور دو فرانس

وسام الاستحقاق

انشأ ملك الانكليز وساماً جديداً سماهُ وسام الاستحقاق انعم بهِ على اثني عشر من العظماء فكان منهم اربعة من رجال العلم وهم لورد ربلي الطبيعي ولورد كلفن الرياضي ولورد لستر الجرَّاح والسر وليم هجنس الفلكي . وقد اعترض البعض لان هذا الوسام لم يعطَ لهربرت سبنسر شيخ فلاسفة هذا العصر وفاتهم انهُ لا يقبل وساماً من ملك وقد عرض عليهِ امبراطور المانيا وساماً مثل هذا فاعتذر عن قبولهِ

مقاومة البعوض في مصر

استدعت شركة ترعة السويس الماجور روص مكتشف فعل البعوض في نقل الحمَّى الملارية ليأتي الى الاسمعيلية في شهر سبتمبر ويشير بالوسائل اللازمة لاهلاك البعوض منها

مقاومة السرطان

قبل البرنس اوف ويلس ان يكون رئيساً للجنة التي أُلِّفت للبحث عن سبب السرطان وعلاجهِ وقد صار المال المجموع لهذا الغرض ٣٢٣٩١ جنيهاً والمال الموعود ٤١٠٠ جنيه

الخفاش والطاعون

ثبت الآن ان الخفاش ينقل جراثيم الطاعون كما ينقلها الجرذ . والظاهر ان البراغيث تمتص دم المطعونين وتعلق بالخفافيش كما تعلق بالجراذين فتصاب بالطاعون ثم تعدى منها براغيث اخرى وتنقل العدوى الى الذين تلسعهم

تتويج ملك الانكليز

تُوّج ملك الانكليز وزوجتهُ في كنيسة وستمنستر في التاسع من اغسطس وكان للعلم

اليد الطولى في اتمام هذا التتويج واظهار بهجتهِ فعلم الجراحة نجَّى الملك من آفة قتَّالة وردَّهُ الى الصحة والعافية سريعاً وعلم الكهربائية زيَّن الكنيسة والمدينة كلها زينة باهرة واذاع اخبار الاحتفال في كل المسكونة بسرعة البرق فعسى ان يمتاز حكمهُ بتوسيع نطاق العلوم والمعارف

مجمع ترقية العلوم الفرنسوي

التأم مجمع ترقية العلوم الفرنسوي في اوائل اغسطس في مدينة منتوبان في جنوبي فرنسا وخطب رئيسهُ المسيو كربنتيه خطبة الرئاسة وموضوعها التلغراف الذي لا سلك لهُ . وقد وُهب هذا المجمع ۳۲ الف فرنك في غضون السنة الماضية

تمثال باستور

نُصب تمثال للشهير باستور في دول مسقط رأسهِ في الخامس من اغسطس وحضر وزير التجارة الاحتفال برفع الستار عن التمثال وخطب خطبة حسناء ذكر فيها ترجمة باستور بالاختصار وفوائد مكتشفاتهِ العلمية

الصابون الطبيعي

وجد في كولمبيا البريطانية صابون طبيعي طبخَتهُ الطبيعة واضافت اليهِ قليلاً من البورق وقد تألفت شركة لاستخراجهِ فاستخرجت منهُ ۲۷٥ طنًّا ويقدَّر ما يمكن استخراجهُ منهُ بعشرين الف طن

نيزك كبير

اكتشف الاستاذ هنري ورد الاميركي حجرًا نيزكيًّا كبيرًا في غربي بلاد المكسيك ثقلهُ خمسون طنًّا وطولهُ ۱۳ قدماً وقد غار في الارض حين سقوطهِ عشرين قدماً

الدكتور شنك

توفي الدكتور شنك النمسوي الذي ادَّعى انهُ يمكن تعيين جنس الجنين بالطعام الذي تطعمهُ الحامل كما ابنَّا ذلك في حينهِ

الذباب والامراض المعدية

خطب الاستاذ جمس برون رئيس المجمع الصحي عن الذباب وما يفعلهُ في نقل الامراض وقال ان للذبابة اليد الطولى في نقل الامراض الميكروبية وقد امتحنت مبرزاتها حديثاً بالاستنبات فوجد فيها كثير من ميكروبات الامراض وهي السبب الاكبر في نقل الحمَّى التيفويدية . واستئصال الذباب صعب جدًّا لانهُ قد يولد من الذبابة الواحدة خمسة وعشرون مليون ذبابة في فصل واحد

ميكروب السل في اللبن

وُجد بالامتحان انهُ اذا سخِّن اللبن الى الدرجة ٦٠ بميزان سنتغراد مات ميكروب السل منهُ ولو لم تطل مدة التسخين سوى عشر دقائق اذا كان الاناء مسدودًا و ٢٥ دقيقة اذا كان مفتوحاً

الاكادمية الانكليزية

رخَّص جلالة ملك الانكليز لجماعة من العلماء بانشاء اكادمية للعلوم مثل الاكادمية الفرنسوية الغرض منها تعزيز درس العلوم الادبية والسياسية اي التاريخ والفلسفة والشريعة والسياسة والاقتصاد السياسي واثار الانسان وعلم اللغات وعدد اعضائها ٤٩

سر النجاح

ان ركفلر الغني الاميركي الشهير الذي تقدَّر ثروتهُ الآن باكثر من خمسين مليونًا من الجنيهات لم يكن يملك سنة ١٨٦٥ سوى الف جنيه وعندهُ الآن مئتا سفينة تجارية وسبعون الف مركبة من مركبات سكك الحديد وخمسة وعشرون الف عامل. في اوائل هذا العام اخبرهُ ناظر من نظار معاملهِ ان العمال اخذوا يتذمرون ولا يبعد ان يعتصبوا ويضربوا عن العمل فلم يقل شيئًا بل لبس في الغد ثيابًا مثل ثيابهم وحمل مزودهُ بيدهِ مثلهم ودخل بينهم وجعل يشتغل معهم كأنهُ واحد منهم وقضى يومهُ كذلك وعاد في المساء ولم يقل شيئًا ولكن لم تمضِ بضعة ايام حتى غيَّر نظام ذلك المعمل فزالت شكوى العمال وجروا في اعمالهم بالهدو والسكينة

عدد المسيحيين

كتب اسقف ربون مقالة "الكنيسة المسيحية" في الجزء الثالث الذي صدر الآن من الانسكلوبيذيا البريطانية الجديدة وقال فيها ان عدد المسيحيين كان في غرة القرن السادس عشر مئة مليون نفس لا غير فصار عددهم الآن خمس مئة مليون نفس اي زادوا اربعة اضعاف في اربعة قرون. وكانت زيادتهم السنوية قبل الاصلاح الديني ٦٧ الف نفس فصارت بعدهُ مليون نفس. ومنذ ثلثمئة سنة كان المسيحيون يسودون على جزءٍ من ثلاثة عشر جزءًا من المسكونة اما الآن فيسودون على اربعة اخماس المسكونة وتحت سيادتهم اربع مئة مليون من غير المسيحيين فعددهم وعدد الخاضعين لهم تسع مئة مليون نفس. وهم ثلاث طوائف كبيرة البروتستانت والكاثوليك والارثوذكس. وعدد البروتستانت والخاضعين لهم ٥٢٠ مليونًا وعدد الكاثوليك والخاضعين لهم ٢٤٠ مليونًا وعدد الارثوذكس والخاضعين لهم ١٣٠ مليونًا

ثروة الاوربيين

اكثر الاوربيين من اصول ثلاثة التوتون واللاتين والسلاف ومتوسط ثروة النفس من التوتون ٢٣٦ جنيهًا ومن اللاتين ١٤٠ جنيهًا ومن السلاف ٦ جنيهات

عقل المرأة

كتب المستر جمس سونبرن مقالة مسهبة في مجلة وستمنستر قابل فيها بين عقل الرجل وعقل المرأة. فقال ان عقل الرجل يعتمد على

الاستدلال والابتكار واما عقل المرأة فيعتمد على الذاكرة والتقليد . وعنده ان من الرجال مَن عقله مثل عقل المرأة ومن النساء مَن عقلها مثل عقل الرجل ولذلك وصف العقل الواحد بالعقل الرجلي والعقل الثاني بالعقل النسائي وقال ان العقل النسائي يمتاز باخذهِ بالمسلمات واحترامهِ لكل ما هو قديم وتصديقهِ للتعاليم والاحكام التي قال بها السلف ولو لم يقم دليل على صدقها . واستدلَّ على ذلك من ان المرأة تفلح في علوم الادب لان تحصيلها يتوقف على جودة الذاكرة وفي علم التاريخ لانهُ منقول لا معقول فتجاري الرجال فيهِ الاَّ فروعهُ العليا حيث يستلزم قوة الاستدلال. وتحصّل العلوم الرياضية ولكنها لا تفلح في فروعها العليا لان ليس فيها قوة الاستنباط والابتكار . اما العلوم الطبيعية والطب في جملتها فتحصيل النساء منها قليل محدود وليس لهنَّ اكتشاف مهم فيها

والمظنون ان الموسيقى من الفنون التي يفلح فيها النساء ولكن الامر على ضد ذلك لانهُ لم يقم منهنَّ امرأة استنبطت الحاناً جديدة وغاية ما تفعلهُ المرأة البارعة في فن الموسيقى انها تماثل الآلة الموسيقية في إحكام حركاتها

اما الرجال الذين عقولهم نسائية فتراهم مقيدين بقيود التقليد خاضعين لاحكام المسلَّمات وتعاليم القدماء ومنهم اكثر خدمة الدين في رأي الكاتب واكثر اساتذة المدارس الذين يكتفون بالجري في الطرق المطروقة وعلى الاساليب المألوفة ويسلمون بكل ما قالهُ الاولون تسليماً اعمى بخلاف الرجال الذين عقولهم رجليَّة فانهم فكوا قيود التقليد وخرجوا عن احكام المسلمات واختطُّوا لانفسهم خططاً جديدة وهم الذين اوجدوا العمران الحديث وبثوا فيهِ قوة النمو. وعند الكاتب ان المدارس الحالية تجعل العقل نسائياً لانها تقيدهُ بقيود الكتب وتعاليمها وتضعف حريتهُ الطبيعيَّة

تلغراف مركوني

من رأي السر وليم بريس الكهربائي الانكليزي الذي كان اول مَن بحث عن التلغراف لاسلاك لهُ ان تلغراف مركوني لم يفِ بالغرض المقصود منهُ حتى الآن وان نجاحهُ في البحر لا يدلُّ على نجاحهِ في البر واذا سهل ارسال الاشارات بهِ في البحر لا يسهل ارسالها في البر وانهُ لم يفِ بالمراد لما جُرِّب في جنوبي افريقية . وتدلُّ الدلائل على ان التلغراف الالماني اي تلغراف "سلابي اركو" اصلح منهُ لارسال الاشارات الكهربائية . واكبر ما يُعترض بهِ الآن على تلغراف مركوني ان الآلاتهِ تتأثر بعضها من بعض عن غير قصد ولذلك لم يشع استعمالهُ ولا اثَّر اكتشافهُ في قيمة اسهم الشركات التي لها الخطوط التلغرافية تحت البحر فان بين اوربا واميركا ١٤ خطاً تلغرافياً في قاع البحر وهي تستعمل كلها دواماً

من غير ان يؤثر بعضها ببعض . وعندهُ انهُ لا يمكن ان يرسل بتلغراف مركوني اكثر من عشر كلمات في الدقيقة . ولكن فائدتهُ كبيرة جدًّا في تمكين السفن من ان يخاطب بعضها بعضًا وهي في عرض البحر

اما مركوني فقال لاحد مذاكريهِ في هذا الموضوع انهُ سوف يربط الممالك الانكليزية بعضها ببعض بواسطة تلغرافهِ حتى يصير الانسان يقف في لندن ويكلم آخر في الهند او في زيلندا الجديدة وحتى تصير المراكب تتكلم بعضها مع بعض في البحار الشاسعة كما يتكلم اهالي المدينة الواحدة الآن بالتلفون

بطرية اديصن

قال المستر اديصن المخترع المشهور انهُ مضى عليهِ ثلاث سنوات وهو باذل جهدهُ في اتقان البطرية التي تخزن فيها الكهربائية فتمكن اخيرًا من عمل بطرية ثقلها ٣٣٢ ليبرة وضعها في اوتوموبيل ثقلهُ نصف طن وجلس فيهِ رجلان فسار بها في طريق سهل مسافة ٨٥ ميلاً . وسار بهاورة اخرى ٦٢ ميلاً في طريق جبلي بعضهُ مائل اثنتي عشرة قدمًا في كل مئة قدم . وثمن هذا الاوتوموبيل وبطريتهِ ١٤٠ جنيهًا ويمكن ان يسير ثمانين ميلاً بعشرة غروش لا غير فيغني صاحبهُ عن السائق والسائس والاسطبل وعن الاهتمام بالخيل والعلف

وبطريتهُ مؤلفة من صفائح من النكل والحديد توضع في سائل قلوي . وتخدم زمانًا طويلاً جدًّا ولا تتلف فان عندهُ بطرية ملأَها واستعملها اكثر من سبع مئة مرة ولم يظهر فيها شيء من التلف او التآكل

فاي الفلكي

نعت الجرائد العلمية في الشهر الماضي العالم فاي الفلكي الفرنسوي الشهير وهو في الثامنة والثمانين من عمرهِ . واول ما اشتهر بهِ اكتشافهُ المذنب المعروف باسمهِ منذ نحو ستين سنة وهو اول مذنَّب اهليلجي عُرف مدارهُ بالحساب وحدهُ وبلا ارصاد سابقة وكان فاي اذ ذاك مساعدًا في مرصد باريس

ولهُ آراء مشهورة في اصل العالمين وتركيب الشمس واسباب كلفها وكيميائها عمومًا خدم امتهُ وبلادهُ خدمة جليلة بعلمهِ وكتبهِ الكثيرة وكان عضوًا في المجمع العلمي الفرنسوي وعينهُ المارشال مكماهون ناظرًا للمعارف في وزارتهِ . وقد زالت بموتهِ حلقة من الحلقات التي تربط العلم الحديث بالعلم القديم

اكبر القواطر

صنع معمل اميركي قاطرة لسكة الحديد في سنتافه ثقلها ٢٦٧٨ قنطارًا فهي اكبر القواطر واثقلها تسير على عشر عجلات قطر كل عجلة منها ٥٧ عقدة وقطر اثنانها ست اقدام وست عقد

اكتشاف مهمّ

اكتشف عالم انكليزي اسمهُ الدكتور بركنس من منشستر اكتشافًا مهمًّا في صناعة نسج القطن وهو وقاية المنسوجات القطنية ونحوها من الاحتراق. وقد توصَّل الى اكتشافهِ هذا بعد عمل الفي تجربة. والمنسوجات التي تعالج كذلك تبقى غير قابل للاحتراق على الدوام ولو غسلت من حين الى آخر حتى تبلى. ويمكن لبسها ملاصقة لسطح البدن لان المادة التي تعالج بها لا تضر بالصحة. ولم يزل هذا الاكتشاف سرًّا غامضًا

آثار تدمر

زار البرنس لازريف الروسي آثار تدمر وخرائبها منذ سنوات قليلة واكتشف حجرًا كبيرًا طوله ١٢ قدمًا وعرضهُ ٨ اقدام عليهِ كتابة واضحة باللغة اليونانية ولغة تدمر يظن انها نقشت عليهِ في القرن الثالث بعد المسيح وانها تتضمن تعريفة رسوم الجمارك والضرائب في تلك الايام. وفي السنة الماضية توجه الاستاذ امبنسكي الاثري الروسي الشهير من قبل المتحف القيصري في بطرسبرج الى تدمر ومعهُ البعض من أُلي الخبرة ليكتب تقريرًا عن الكتابة المذكورة ويرى ما اذا كان يمكن قطعها من الحجر الكبير المنقوشة عليهِ نقرَّر ان قطعها سهل فاستأذنت الحكومة الروسية السلطان في ذلك فاذن لها. وارسلت الحكومة الروسية قنصلاً من قبلها بنفر من العمال فقطعوا الحجر الذي عليهِ الكتابة ثلاث قطع وارسلوها الى بطرسبرج

قواد البوير

اتى قواد البوير بعد التسليم الى بلاد الانكليز فلقوا منتهى الحفاوة والاكرام من الامة الانكليزية ومن ملكها ايضاً. وقد فسَّر الاكثرون ذلك بان رجال الحكومة الانكليزية يريدون اصطناع هؤلاء القوَّاد لكي يستعينوا بهم على ادارة بلادهم ونزع الضغائن من نفوس سكانها وان الشعب الذي اظهر هذا الاحتفاء بهم انما عبَّر عمَّا يشعر بهِ من الاعجاب بشجاعتهم واستبسالهم. لكن قام الآن رجل من كبار الكتَّاب عند الانكليز وهو المستر ادورد ديسي وكتب مقالة شديدة اللهجة في مجلة القرن التاسع عشر شدَّد فيها النكير على الذين احتفلوا بقواد البوير هذا الاحتفال وبيَّن ببلاغتهِ المشهورة ان البوير لجأُوا في حربهم الى كثير من الحيل الدنيئة التي لا تعدُّ من البسالة في شيءٍ وان هذه الحيل وان جازت للضعيف لكي يشدَّ بها ازرهُ لا تصير شريفة بوصف الملتجئ اليها بالبسالة فانهم كانوا يلبسون ثياب الجنود الانكليزية وينشرون الراية البيضاء راية التسليم والصليب الاحمر شعار المستشفيات لكي يخدعوا الانكليز وينجوا منهم. والانكليز ابوا ان يكيلوا

لهم بهذا الكيل او ان يستعينوا عليهم بالامم الافريقية المعتادة الكر والفر مثلهم وزادوا على ذلك ان اخذوا على انفسهم الاعتناء بنسائهم واطفالهم فبقي البوير يشنون الغارات عالمين ان عند نسائهم القوت والمأوى ولولا ذلك لاضطروا الى التسليم حالما فتحت مدنهم

قال ولا فضل لهؤلاء القواد يُشكَرون عليهِ بوجه من الوجوه لانهم ظلوا يحاربوننا حتى لم يبقَ لهم سبيل الى محاربتنا وكان يجب عليهم ان يسلموا حالما فُتحت بلفنتين وبريتوريا ويوهنسبرج لانهم علموا من ذلك الحين انهُ لا يمكن ان تقوم لهم قائمة بعد ذلك لكنهم بقوا سنة ونصفًا يشنون الغارات. وناصبوا جنودنا العدوان وهم يقنعون رجالهم كذبًا ان عزائمنا ضعفت وقوانا خارت وانهُ لا بدَّ من ان تقوم الدول الاوربية علينا وتقف بيننا وبينهم او يقوى حزبهم في انكلترا نفسها ويغلُّ يد حكومتنا عن الحرب. وكان غرضهم الوحيد من اطالة الحرب الانتقام منا بما تصل اليهِ طاقتهم. ولو كانت امَّة غيرنا في مكاننا لعاملتهم كما عامل الالمان الفرنسويين الذين لجأوا الى شن الغارات بعد الحرب الفرنسوية اما قواد البوير فكانوا يعتمدون على كرم اخلاقنا وانهُ في اليوم الذين يسلمون فيهِ نرحّب بهم ونرد اليهم املاكهم ومقتنياتهم ولذلك لم يهتمُّوا ان يسلموا الاَّ حين لم يبقَ لهم سبيل الى الحرب والمشاغبة ولم يبقَ في جعبتهم سهم يرشقوننا بهِ

ويقال ان قوَّاد البوير يستحقون شكرنا لانهم اعترفوا بانغلابهم علانيةً وبذلوا جهدهم في العمل بشروط التسليم وساعدوا قوادنا في ذلك وهذا لا ننكرهُ عليهم ونعترف لهم بهِ ولكنني اذا رأيت انهُ احتُفل بهم في بلادنا اكثر ممَّا احتُفل بجنودنا الذين حاربوا حروبنا وسفكوا دماءهم عنَّا لا يسعني الاَّ ان اسأل قائلاً ماذا فعل ده وت وماذا فعل دلاري وماذا فعل بوتا حتى يستحقوا شكر انكلترا فانهم لو لم يساعدونا في اجراء شروط التسليم لاضرّوا بانفسهم وبقومهم. واقل ما ينتظر منهم في مثل هذه الحال اذا كانوا رجالاً ذوي حنكة ان يقنعونا بانهم تركوا كلَّ عدوان وصاروا يرغبون في ان يكونوا على تمام الوفاق والوئام

وبمثل هذا الكلام لام قومهُ لاحتفالهم بقواد البوير وقال ان هذا الاحتفال ليس من الشهامة في شيء ولا هو من حسن السياسة في شيء لانهُ يحمل الناس في جنوبي افريقية على الظن اننا في حاجة الى هؤلاء القواد لكي يساعدونا على نشر راية الامن في البلاد ولولا ذلك ما احتفينا بهم هذا الاحتفاء

المناظرة الصناعية

اشد الدول مناظرة في هذه الايام انكلترا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية والظاهر ان الفوز سيكون للولايات المتحدة ثم لالمانيا وتدور الدائرة على انكلترا اذا لم

تطرق سبيلاً آخر فقد كانت انكلترا تستخرج من الحديد نحو خمسة ملايين طن في السنة بين سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٧٠ فصارت تستخرج الآن ثمانية ملايين طن وكانت اميركا تستخرج اقل من مليون ونصف مليون طن فصارت تستخرج الآن نحو ١٦ مليون طن وكانت المانيا تستخرج نحو مليون وربع مليون طن فصارت تستخرج الآن نحو سبعة ملايين ونصف مليون طن

ميكروب الكوليرا

شاعت كلمة الميكروب حتى صار عامة الناس يحاولون تصوُّرهُ. وفاتهم ان الميكروبات كميكروب الكوليرا وميكروب السل صغيرة جدًّا فلا ترى بالعين ولو كبرت عشرة اضعاف او عشرين ضعفًا او مئة ضعف وانها اذا كُبرت الف ضعف بانت كاصغر الاشياء فميكروب السل يرى حينئذٍ كالخطوط الدقيقة القصيرة وميكروب الكوليرا يرى كالاهلة الصغيرة ولذلك فلا امل ان يراهُ احد بعينهِ ولا يرى الاَّ بالميكرسكوب الذي يكبّر الاجسام الصغيرة اضعافًا كثيرة ولا غرابة اذا بان الماء نقيًّا صافيًا وهو مشحون بالميكروبات . وكما يختبي الميكروب في الماء يختبي في اللبن وفي كل السوائل التي تمزج بالماء فاذا انتشرت الكوليرا في مكان وخيف من اتصال ميكروباتها بالماء خيف ايضًا من اتصال ميكروباتها بكل ما يمزج بالماء وبكل ما يغسل بهِ وهي لا ترى بالعين حتى تحذر فلا بد اذًا من واسطة تزيلها من الماء او تميتها منهُ ومن كل ما يمزج بهِ وهذه الواسطة هي الحرارة فانهُ اذا أُغلي الماء مات ما فيهِ من الميكروبات واذا طبخ الطعام او غسلت الفاكهة بماء مغلى مات ما يكون فيهِ وفيها من الميكروبات

ميكروبات الكوليرا مكبرة جدًّا

ثم ان ميكروبات الكوليرا تصل الى الماء من مبرزات المصابين بها فاذا مرض انسان بالكوليرا وتلطخت ثيابهُ بمبرزاتهِ وغسلت في ترعة فانها تنشر ميكروب الكوليرا في مائها

ويصل الميكروب الى الطعام بواسطة الذبان التي تحوم على مبرزات المصابين فتحمل الميكروبات بارجلها وتمتصها بخراطيمها وتنقلها الى ما تحوم عليهِ من الطعام

ولو كان كل من يدخل جوفهُ ميكروب الكوليرا يصاب بها لمات اكثر الناس ولكن المعدة تميت ميكروب الكوليرا غالبًا فلا يصاب بها الاَّ من كانت معدتهُ ضعيفة او عاجزة عن امانتهِ او كانت الميكروبات التي دخلتها كثيرة جدًّا فعجزت عن امانتها كلها . ومن ادرك ذلك لم تخفَ عليهِ طرق الوقاية

فهرس الجزء التاسع من المجلد السابع والعشرين

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد السابع والعشرين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠

كلام الملوك

يقول البديعيون كلام الملوك ملوك الكلام. وان صدق هذا القول على كلام احد من ملوك العصر الحاضر فهو يصدق بنوع خاص على كلام ملك الانكليز ولاسيما على الاقوال التي قالها في بعض المجتمعات الكبيرة . وقد جمعت مجلة لندن فقرات كثيرة من اقوالهِ ونشرتها كمقالة بقلمهِ فحذونا حذوها ونشرنا اقوالاً قالها في بعض المجتمعات العموميَّة وهو لا يزال وليًّا للعهد واردفناها ببعض ما نشرتهُ مجلة لندن من هذا القبيل

القول الاول

قالهُ لما افتتح مؤتمر علم حفظ الصحَّة الذي التأم في مدينة لندن في العاشر من اغسطس سنة ١٨٩١ وهو :

ان من اسرّ الامور واحبها اليَّ ان افتتح اعمال هذا المؤتمر وارحب بجميع اعضائهِ ولاسيما الذين وفدوا من اقاصي البلدان . ولقد كان من نصيبي الترأس على اجتماعات كثيرة ولكن هذا الاجتماع افيد منها كلها باجماع الثقات . ويظهر ما لهذا المؤتمر من الشأن العظيم من كثرة اعضائهِ وشهرتهم فانهُ متمتع بحماية الملكة وقائمة اعضائهِ تتضمن اسماء كثيرين من عائلتها واشهر رجال حكومتها واكبر رؤساء المدارس والجمعيات الطبية التي في المملكة البريطانية ونوابًا من كل الممالك العظيمة في المسكونة ومن كل مدارسنا الطبية ومراكزنا الصحية ونوابًا عن مستعمراتنا واكثر الذين اشتهروا في درس المسائل الصحية وملابساتها وهؤلاء كلهم دليل على عظم نفع المؤتمر ولا شبهة في ذلك لانهُ اذا وفى بغايتهِ فمنهُ نفع لكل نوع الانسان

واذا التفتنا الى مواضيع البحث فيهِ راعتنا المخاطر الكثيرة المحيطة بنوع الانسان من كل

ناحية . وبعض هذه المخاطر لا مناص منهُ ولكن اكثرها يمكن تلافيهِ او التغلب عليهِ . ولا ادّعي انهُ يمكنني البحث عن هذه المخاطر كلها ولكنني كنت عضوًا في اللجنة المعينة للنظر في مساكن العمّال ومعاملهم فيمكنني ان اخوض في هذا الموضوع لانني علمت حينئذٍ كثيرًا عن المخاطر الناتجة عن ازدياد معاملنا المتوالي وما يترتب على ذلك من ازدحام مدننا وفساد الهواء والماء وتراكم الفضلات والاقذار — علمت ذلك وعلمت ايضًا شدَّة ما نلاقيهِ من المشقة في توسيع اعمالنا او ابقائها على حالتها الحاضرة بدون ان تزيد الاخطار على الصحة والحياة ولاسيما حيث يكثر السكان . وقد كان يُظَن قبلاً ان تلافي هذه الاخطار ضربٌ من المحال ولكنني مسرور بما تم في هذا الشأن حتى الآن من تقليلها وتقليل عدد الوفيات في مدننا الكبيرة وزيادة متوسط العمر التي عمَّت الامة كلها وبامور اخرى كثيرة تشهد بفضل التدابير الصحيَّة . وليس من غرضي الاطالة في هذا البحث فحسبي ان اقول ان ما حدث من النفع حتى الآن وما نراهُ من تزايد معرفتنا بهذه المواضيع دليل على ان النفع سيزيد عظمة وشمولاً وعلى ان هذه الامة وكل الامم الاخرى لا تكتفي الاَّ اذا بلغت اسمى الدرجات من النجاح المادي والصحة الاهلية معًا

وستبحث فروع هذا المؤتمر عن افضل الاساليب لتلافي الاخطار المشار اليها في قائمة مواضيعهِ واذا امكن ان تعرف مصادرها وادويتها فذلك امرٌ عظيم ولاسيما اذا جرى البحث على اسلوب علمي خالٍ من كل تسرُّع وتعصُّب ومجرَّد عن كل غاية سياسية او غرض آخر غير اجادة الصحة . وعلى هذا النمط فقط يمكن لمديري الدوائر الصحية ان يغيروا ما يريدون تغييرهُ لان كل تغيير يجرونهُ لا بدَّ من ان يضرَّ بالبعض فلا يجوز لهم ما لم يثبت انهُ مفيد للجمهور وحينئذٍ تفضَّل مصلحة الجمهور على مصلحة هذا البعض . وارجو ان لا يقتصر هذا المؤتمر على ما يؤثرهُ في رؤساء الادارات الصحية بل يكون لهُ نفع اعظم اذا علم كل احد من كل الطبقات مقدار النفع الذي ينتفع بهِ الجمهور باعتمادهِ على الوسائط الصحية في البقعة التي هو فيها . وقد قلت كل الطبقات لانهُ ما من طبقة من البشر بأمن من اخطار سوء التدابير الصحية او هي على تمام الاستعداد لمقاومتها ولو كان معظم ضررها واقعًا على الفقراء . ايُّ عائلة لم يصب احد اعضائها بالتيفويد او الدفثيريا او نحوهما من الامراض التي يقال انها مما يمكن التوقي منهُ واي عائلة لا تقول " اذا كان التوقي من هذه الامراض ممكنًا فلماذا لم نقونا منها "

وفوق ذلك فان المسائل التي لدى المؤتمر والتي يجب ان يهتمَّ بها كل احد اهتمامًا خاصًّا لا تنحصر في دفع الموت او الامراض الخطرة بل تتناول استخدام الوسائل التي تمكننا من استعمال كل ما يمكننا من القوى الجسدية والعقلية لان النجاح التام الممكن للامة يستدعي

استطاعة كل فرد من افرادها لإتمام كل ما يمكنهُ عملهُ من الاعمال النافعة التي هو مطالب بها من الذين يعيش بينهم . ولذلك يلزم ان يتمتع كل فرد من افراد الامة باحسن صحة واجود عافية ولايتم ذلك ما لم تُستخدم كل الوسائل الممكنة لحفظ صحة الامة وإجادتها . وهذا عملكم بل هو عملنا كلنا ولا استطيع ان اطيل الكلام ولا ان اقدم لكم مقالةً من انشائي ولكنني ساراقب اعمالكم وابذل جهدي في تقوية كل ما تثبتون انهُ مفيد للصحة العمومية

القول الثاني

كتابان كتبهما الى السرجون لوز والدكتور غلبرت اعترافًا بفضلهما على البلاد الانكليزية بما افادا بهِ علم الزراعة وقد تليا في احتفال حافل بالعلماء والعظماء في ٢٩ يوليو سنة ١٨٩٣ وهما

الى السرجون لوز الدكتور في الشريعة والشرائع المدنيَّة وعضو الجمعيَّة الملكيَّة الخ .

انني بالنيابة عن لجنة هذا الاحتفال والمشتركين في المال المجموع لهُ من كل اقطار المسكونة اقدم لك التهنئة القلبيَّة بانقضاء خمسين سنة قضيتها في التجارب الزراعيَّة التي لا شيءَ يفوقها نفعًا

وهذه التجارب التي انت مبدعها تتعلق بنمو الحبوب والغلال تحت اشد الاحوال اختلافًا ولا تقتصر على ذلك بل تتناول البحث عن نسبة انواع العلف المختلفة الى المواشي وفعلها بها وتركيب الارض الكيماوي ومقدار المطر وماء المصارف ومصدر النيتروجين الذي يغتذي بهِ النبات

وقد عاونك مدة هذه السنين الخمسين صديقك الدكتور يوسف هنري غلبرت الذي سيبقى اسمهُ الى الابد مقترنًا باسمك ونحن نهنئك واياهُ معًا في هذا اليوم

ولقد تكرَّمت ووقفتَ مالاً وافرًا للانفاق على مواصلة التجارب التي قمت بها هذه السنين الطويلة ولذلك سيستفيد خلفاؤُنا من اتصالها وربما استفادوا من اعمالك المفيدة اكثر مما استفدنا نحن

ونرجو ان التذكار الذي أُقيم لك الآن يبقي اسمك مقرونًا بالشرف مدى العصور التالية وصورتك التي أُهديت اليك تبقي الى الاجيال الآتية اسم اعلم الرجال الساعين في نفع الجمهور واكثرهم ايثارًا لغيرهِ على نفسهِ (الامضاء) البرت ادورد

الى يوسف هنري غلبرت المعلم في العلوم والدكتور في الفلسفة والدكتور في الشرائع وعضو الجمعيَّة الملكيَّة الخ

يستحيل ان يفرَّق بين اسمك واسم السرجون لوز في الاحتفال بعيد التجارب الزراعية التي جرَّبت في رثهمستد ولذلك فاني بالنيابة عن المكتتبين بالمال الذي أُنفق في هذا الاحتفال

المجموع من كل اقطار المسكونة اقدّم لك التهاني القلبية بمضي خمسين سنة واصلتَ فيها الاعمال افادةً للعلوم الزراعية ، وحقيقة هذه الاعمال وفائدتها معروفتان لدى الجمهور فلا داعي لاطالة الكلام عليهما لكن اذا كان انشاء المعامل التي جرت فيها هذه الاعمال منسوبًا الى السر جون لوز فنجاحها منسوب اكثرهُ الى مهارتك العلمية واجتهادك المتواصل وزد على ذلك انك قد اوضحت اساليب هذه التجارب وأُسسها العلمية والعملية لاهل هذه البلاد وغيرها من البلدان بواسطة خطبك وكتاباتك. واشتراكك في العمل مع السر جون لوز الذي مرَّ عليهِ الآن اكثر من خمسين سنة ولا مثيل لهُ في تاريخ العلوم . واني ارجو لكما دوام التعاون واثق ان اسمي لوز وغلبرت اللذين اقترنا مدة هذه السنين الكثيرة يبقيان مقترنين اقترانًا مجيدًا مدى الادهار

(الامضاء) البرت ادورد

القول الثالث

قالهُ عند رفع الستار عن تمثال الاستاذ هكسلي في الثامن والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٠٠ وهو

ايها السادة والسيدات . اني احسب فخرًا عظيمًا لي أَنْ انتدبتني لجنة هذا التذكار لارفع الستار عنهُ واقبلهُ في المتحف البريطاني بالنيابة عن امنائهِ الذين لي الشرف ان اكون عضوًا منهم . ولم انسَ انني قمت بعمل مثل هذا منذ خمس عشرة سنة حينما رفعت الستار عن تمثال تشارلس دارون الشهير . ولقد سمعنا اليوم خطبًا في منتهى البلاغة وسحر البيان عن هذا العالم العظيم والفيلسوف الكبير الاستاذ هكسلي . وفضول مني بل غرور ان اطنب في مدحهِ في حضرة هذا العدد العديد من رجال العلم الذين يعرفون عن اشغالهِ اكثر مما اعرف لكنني اوافق على كل كلمة فاه بها هؤُلاء العلماء واكرر لكم الاعراب عما يخالج ضميري من السرور بانتدابكم اياي مرة ثانية لقبول تمثال رجل ثانٍ من اعاظم رجال العلم المشهورين

القول الرابع

نشرتهُ مجلة لندن ولم تقل اين فاه بهِ الملك وجعلت موضوعهُ "لماذا تضيع التجارة من انكلترا"

كان الناس عندنا يعتمدون في التعليم حتى الآن على تثقيف العقل بنوع خاص لكي يتأهل المتعلمون لاستخدام عقولهم في العمل الذي يتولونهُ وقد وجدنا هذا التثقيف العقلي كافيًا بالاجمال الى عهد قريب . ولكن مناظرة الامم لنا في المصنوعات التي كان عملها خاصًا بنا قد اشتدَّت كثيرًا فان التقدم العظيم المبني على سكك الحديد واستخدام البخار في كثير من الشؤُون جعل المواد الاصلية التي تصنع منها المصنوعات تتوزَّع في المسكونة وقلل النفقات

اللازمة لما يصنع منها . والامم التي لا يكثر الفحم الحجري والحديد في بلادها كما يكثران في بلادنا استغنت بالتعليم الصناعي عمَّا ينقصها منهما ولذلك رأينا المصنوعات تصنع في كل مكان تديرها يد التعليم الصناعي . واقيمت المدارس الصناعية في اوربا واميركا في المراكز الصناعية وهي تعلم العلوم التي تبنى الصنائع عليها .وقد رأت انكلترا الآن ان لا بدَّ لها من ان تضيف المدارس الصناعيَّة الى مدارسها العلميَّة ولذلك فاكثر مدننا الصناعيَّة شرع في انشاء هذه المدارس او انشأها ولكنها قلما ارتقت وصارت مدارس صناعيَّة عمليَّة

ثم ان تغيير الاسلوب التي يتعلَّم بهِ الصنَّاع وابدال الاعمال اليدية باعمال الآلات جعلا تعليم العلوم اللازمة للصنائع امرًا محتومًا على كل الذين يتعاطون الاعمال الصناعيَّة . ولم يكن وقت عُرفت فيهِ قيمة التعليم الصناعي مثل هذا الوقت ويسرُّني ان تعضيد الحكومة لتعليم العلوم والصنائع قد سهَّل لجمهور الصناع منا تحصيل العلوم الصناعيَّة التي افادت مصنوعاتها وستفيدها اكثر كثيرًا

القول الخامس

قالهُ في منشستر وهو : بادرت عن طيب نفس الى اغتنام الفرصة التي سنحت لي لزيارة هذه المدينة التي لا تفوقها مدينة في الامبراطورية الانكليزيَّة في اهميتها التجاريَّة ولكي ازيد معرفةً في تاريخها وموقعها ومصادر نجاحها . ولقد سهَّل عليَّ والداي منذ حداثة سني زيارة عواصم الدنيا وفي ذلك درس جزيل النفع اذ يرى المرءُ فيهِ اسباب التقدُّم والغنى وكنت وانا اعجب بالنتائج العظيمة التي وصل اليها غيرنا اعجب ايضًا بالاعمال البديعة التي انتجها حذق الانسان وصبرهُ ونتجت من ايدي ابناء وطني ورؤُوسهم ولاسيما الذين يحيطون بي منهم الآن فلنشكر كلانا العناية الالهيَّة التي وفَّقت مشروعاتنا التجاريَّة ومناشئنا العموميَّة التي هي ضمان لنجاحنا المستقبل

القول السادس

يسرُّني انهُ أُبيح لي منذ حداثتي ان امضي الى مشاهد التمثيل وارى تمثيل افضل الروايات وامهر الممثلين والممثلات . ولقد تسليت بذلك تسلية عظيمة . وعضدت التمثيل لاني احسبهُ عملاً شريفًا . وهل يخطر على بالنا ونحن نسرُّ ونبتهج بما نراهُ ونسمعهُ في المشاهد ان الممثلين والممثلات يتعبون اشد التعب ويتجشمون اشد المشاق. وقد يحاول الواحد منهم اضحاك الحاضرين وتسليتهم واعز اقاربهِ مريض على فراش الموت. فهل يليق بنا ان نتركهم يتضورون جوعًا اذا لم يعودوا قادرين على التمثيل لسبب الشيخوخة كلاَّ . ولهؤُلاء الممثلين والممثلات الذين عجزوا عن التمثيل قد انشئت هذه الجمعيَّة وجمعت لها الاموال

الغناء العربي

ماضيهِ وحاضرهُ

كان الناس من قديم الزمان كما هم الآن مختلفين بعضهم عن بعض في كثير من الاخلاق والعوائد والاذواق والمشارب ولكنهم مع هذا الاختلاف كلهِ اتفقوا في كل زمان ومكان على التعبير عن عواطف نفوسهم واميال قلوبهم بكلام يكيفون فيهِ اصواتهم ويوقعونها على صور تختلف في الارتفاع والانخفاض والطول والقصر وتتفاوت في الاحكام والاتقان تفاوت اصحابها في درجات الحضارة والعمران ويختلف وقعها في المسامع اختلاف المؤثرات الباعثة عليها والداعية اليها فترفع النفس الى سماء الطهارة والقداسة وتبث فيها روح التبتل والتعبد والزهد والقنوت او تشوقها الى الاستبسال في حومة النزال فتموت لتحيا وتأبى ان تحيا لتموت او تهزها الى الطرب فتنشط اليهِ من عقال الغموم والاتراح وتصبح نشوى المسرات والافراح او تهيج بها لواعج الحزن والجوى فتوغل في النوح والبكاء وتجود ان بخل الدمع بالدماء . او تفعل بها فعل المخدر بالاجسام وتجرّدها عن مطلق الافتكار والاهتمام

هذا هو فن الموسيقى (او الغناء او صناعة توقيع الالحان) احد الفنون الجميلة وهو طبيعي في البشر فكل انسان موسيقيٌّ بالقوة وقلما ترى شخصاً من الطفل الصغير الى الشيخ الكبير الاَّ وتجدهُ منصرفاً في خلوتهِ وانفرادهِ الى الترنم بما يلذ لسمعهِ وترتاح اليهِ نفسهُ . واذا كان الغناء عامًّا بين جميع الطيور ولعلهُ كذلك بين الحيوانات ايضاً فالانسان العاقل اولى بان يكون مطبوعاً على الاخذ بهِ والميل اليهِ . ولا حاجة بعد هذا التمهيد الى بيان ما في النفوس من الارتياح الى سماع الغناء ولو اذن المقام لاشرنا الى بعض ما لاحظهُ علماء الحيوان من تأثير الغناء والايقاع في نفوس الحيوانات الاليفة والآبدة . وفي هذا فقط كفاية للتنويه بعلوّ شأن هذه الصناعة وعظم اهميتها وشدة حاجة الناس اليها

وكان اعيان الفرس القدماء يحتقرونها ويترفعون عن العناية بها فانحصرت في فريق من القوم واقتصر استعمالها على الخدمة الدينيَّة وكان تعليم ابنائهم مقصورًا على ما يشرب قلوبهم حماسة وبسالة ويكسب اجسادهم قوة ونشاطاً كالرماية والطعان والصيد والفروسيَّة والرياضة البدنيَّة وقول الصدق لانهُ اول فضيلة عندهم والالمام بشيء من خواص العقاقير والنباتات لمداواة جراحهم وامراضهم . ففاقوا الاقران في بسالة القلوب وقوة الابدان لكن معظمهم فقدوا عواطف الشفقة والرفق والحنان وسلامة الذوق وحسن التناول اما اليونان فكانوا يروضون

صبيانهم بهذه المذكورات كلها لكنهم لم يقتصروا عليها كالفرس بل كانوا يخرّجونهم ايضاً في صناعة الموسيقى وكان الشاب اليوناني يظل مزدرًى بهِ ومعرَضاً عنهُ حتى يتهذب فوق ذلك كلهِ بالقدوة الجيدة وتصقل طباعهُ بصقل علم الايقاع

ويظهر ان قدماء الفرس غيروا حكمهم في الموسيقى بعد ذلك فاحلُّوها محلها من الاعتبار والاهتمام وجاروا المصريين والعبرانيين واليونان في العناية بها والاقبال عليها حتى انها لما ظهرت في العرب كان المأخوذ منها عن الفرس اكثر من المنقول عن اليونان ومن ادلة ذلك تسمية اكثر الالحان العربيَّة الى الآن باسماء فارسيَّة كاليا كاه والراست والدوكاه والجهاركاه وغيرها

ومن يراجع تواريخ العرب يجد ان الغناء عندهم كان قبل نقلهِ عن الفرس واليونان مأخوذاً عن الأذان وكان اول ظهورهِ بينهم محصوراً في افرادٍ من الرجال والنساء كابن سريج وابن محرز وعزة الميلاء ورائقة وطويس وحنين وبلغ غاية من الاتقان في عهد الرشيد والبرامكة حين ظهر ابرهيم الموصلي وابنهُ اسحق مجلّيًا في مضمارهِ وكانا غاية في احكام الايقاع واجادة الغناء

وكثر على توالي الايام سواد المشتغلين بهذه الصناعة الجميلة وزاد عدد الضاربين على العود والقانون والعازفين في الناي والناقرين على الدف وعمرت مجالس الخلفاء والملوك والامراء والاغنياء بالمغنين وكان كثيرون منهم كابرهيم الموصلي وابنهِ اسحق من اهل الادب ورجال الشعر فكانوا يتغنون بما ينظمونهُ من القصائد والمقاطيع والقدود والموشحات او ينتقون احاسنها من كتب الادب ودواوين الشعر. وفي السفينة لشهاب الدين الموصلي وديوان الشيخ امين الجندي ما يزيدك بيانًا عن غنى اللغة العربيَّة بالقدود والموشحات وكل ما يصح ان يغنى في اكرم المجالس واشرف الاندية لانهُ جامع بين فصاحة التراكيب وبلاغة الاساليب ورقة الغزل والنسيب ونزاهة اللفظ عن كل معنى معيب

ولما عزت دولة العرب في الاندلس والمغرب وعمرت مجالس ملوكها وامرائها بالشعراء استحدث المتأخرون منهم فنًّا من الشعر سمَّوهُ الموشح وتفننوا فيهِ ما شاؤوا وابدعوا ما ارادوا وجميعهم أحسنوا وأجادوا وكان اكثر منظومهم للغناء والتوقيع كقول احدهم

"كحل الدجى يجري . من مقلة الفجرِ . على الصباح . ومعصم النهرِ . في حلل خضر . من البطاح"

وكقول ابن سنا الملك المصري :

"يا حبيبي ارفع حجاب النورِ : تنظر المسك علي الكافور : في جلنار : كللي يا سحب تيجان الربى : بالحلي : واجعلي سوارها منعطف الجدول"

ولما شاع فنُّ التوشيح وأقبل الناس عليهِ لسلاستهِ وتنميق كلامهِ نسج العامة في جميع الامصار

العربيّة على منواله واهملوا الاعراب والتزموا النظم على مناحٍ مختلفة ووجوهٍ متعددة فكان منها الزجل والمواليا والقوما والدوبيت وكان وكان وغير ذلك مما يعرف في هذه الايام بالادوار والطقاطيق وكان عامة بغداد اسبق الناس اليها فتبعهم فيها اهل مصر القاهرة فبلغوا غاية الاجادة والاتقان

وظل مغنو سورية والعراق الى اواسط القرن الماضي حفاظاً للغناء العربي وقوّاماً على الحانهِ ونغماتهِ واهل مصر والمغرب يحذونهم ويأخذون إخذهم في التلحين والتوقيع وجميع ما يتعلق بفن الغناء . ثم نحا المصريون في غنائهم منحى ابرهيم بن المهدي وجماعتهِ في عهد هرون الرشيد فنزعوا فيهِ منزعاً جديداً وخالفوا السوريين والعراقيين الذين ظلوا الى عهد قريب آخذين مأخذ اسحق النديم وجماعتهِ في التعصب للغناء القديم على ان المصريين استظهروا عليهم في ميدان السباق واذاعوا اسلوب غنائهم في اطراف سورية والعراق

وفي هذه الايام تناقص عدد المغنين العالمين حق العلم باصول الغناء العربي وفروعهِ وفرّط الكثيرون منهم في حفظ القصائد الجميلة والمقاطيع الرشيقة والموشحات اللطيفة المنتقاة من دواوين الشعراء المجيدين واقتصر بعضهم من ذلك على ما تعاف الآذان سماع الفاظهِ وتبذأ النفوس المهذبة معانيهُ فانحطّت منزلة الغناء العربي في عيون كثيرين من شبان هذا العصر واصبحوا ينظرون اليهِ والى المشتغلين بهِ بعين الازدراء والاحتقار

على ان كل الشبان تقريباً لا يرون لهم مندوحة عن سماع الغناء في بعض اوقات الفراغ وليس من العدل عذلهم لان المرء مطبوع على ذلك والموسيقى خير غذاء للنفس في مطلق احوالها وقد اشرنا الى فائدتهِ في صدر هذه المقالة فلا حاجة الى المراجعة ولعل كل انسان تقريباً يستحسن جواب ابي عبيدة لعمر بن الخطاب حين وجدهُ يتغنى وسألهُ ما هذا فاجاب منشداً :

"ولله مني جانب لا اضيعهُ ولِلهو مني والخلاعة جانب"

وبناء على شدة ميلهم الى سماعهِ تراهم فريقين فريقاً يقصد الاماكن حيث الغناء الافرنجي فيألفهُ ولا يبقى فيهِ اقل ميل الى سماع الغناء العربي وفريقاً يذهب الى حيث تعرض بضاعة الخلاعة باسم الغناء العربي فيغرى بها وينساق الى ما لا تحمد عواقبهُ

وليس هذا وحدهُ مبعث الاسف ومدعاة الحزن والكدر بل ان هنالك سبباً آخر لا يقل عنهُ شأناً واعتباراً وهو بلوغ فن الغناء الجميل هذا المبلغ من الضعة والانحطاط . نعم نأسف اشدَّ الاسف ان نرى ما خلفهُ لنا السلف منذ بضعة عشر قرناً مشرفاً على الزوال وصائراً الى الملاشاة والاضمحلال والتاريخ يرنُّ بموسيقى اسلافنا التي سارت بشهرتها الركبان وكادت تحوز السبق على موسيقى اليونان

اسعد داغر

لوثيروس وابن تيمية

ما الحكومات وقوانينها المسطورة ولا الملوك والقياصرة وقواهم المأثورة ولا الفاتحون وايامهم المشهورة ولا المدارس والمجامع وآثارها المشكورة — ما كل هذا هو الذي كان العامل على ارتقاء الغرب والبالغ بهِ من ذرى الحضارة الى هذا الحدّ وانما هو نور من العلم وفيض من الذكاء انتجا تلك السعادة وولدا هذه الخوارق التي ظهرت الى اليوم وما هي الا جرثومة لما سيظهر في المستقبل

فلقد عدَّ المصلحون للعالم في القرن الماضي مثلاً بعض رجال تعبوا لراحة البشر مثل ستفنسن الانكليزي مخترع الآلات البخارية وامبير الفرنساوي مكتشف السالك الكهربائي وفارادي وباستور وداڤي واديسون وبرتلو واضرابهم ممن بدّلوا الارض غير الارض وخدموا العمران بما لم يخطر في بال انسان

وانَّى لنابوليون وغاراتهِ ومولتكه وكرّاتهِ وولنتون ونصراتهِ ونلسون وشجاعاتهِ ووشنطون وهمتهِ وغاريبالدي وقيادتهِ وبسمرك وسياستهِ وروشفور وحماستهِ ان يبلغوا في التفضل على العالم مبلغ عالم طبيعي او رياضي او اجتماعي ممن استنبطوا من عالم الحيوان والنبات والجماد فائدة تُذكر لهم بالمحمدة على المدى. ولكنَّ من ربّى الارواح وهيأ الملكات والكفاءات ليس في فضلهِ دون مَنْ افاد الماديات لما عُلم من انهُ قلما يعمل عملاً نافعاً في كِبَرهِ من لم ينشأ على ادب النفس من صِغرهِ

اليك حال مَنْ ذكرتُ وعملهم بالنسبة لذاك المصلح "لوثيروس" الالماني الذي حرَّر العقول من رقها وخلص النفوس من شوائب الاوهام في صدر القرن السادس عشر فاعدَّها للعمل بالنافع وقد كانت معتقداتها تحول بينها وبينهُ . الا ترى انهُ أُوذي قبلهُ كثير من علماء الطبيعة والاجتماع فاتُّهموا بامانتهم وضُربوا على ايديهم وافواههم . وللاعتقاد تأثير كبير في النفوس لا يصلح المرءُ بعدهُ شيئًا اذا لم يُبادر بالإصلاح فهو بمثابة المؤثّر وعمل الانسان أثرهُ بل هو العين وكل عمل الانسان من بعض آثارهِ "واذا صَلُحت العين صلحت سواقيها"

دعا لوثيروس الى حذف الزيادات من النصرانية ولم يكن اول من قام بمثل هذه الدعوة فقد سبقهُ أُناس من احبار الكنيسة كولدوس في القرن الثاني عشر ووكليف في القرن الرابع عشر ويوحناهوس في القرن الخامس عشر فباؤوا بالخسران ولكن نفساً كبيرة بين جنبي لوثيروس حملتهُ على النهوض بما لم يتيسر لغيرهِ من قبلهِ . والحوادث العظيمة لا تظهر في العادة الا بعد انضاجها وتهيئة اسبابها

فاستعمل باديءَ بدءٍ اسلوب حكيم في مؤلفاتهِ وجرى فيها على هيئة استفهام وتحكيم وتشكيك

ليستميل اليهِ قلوب العلماء فاستجاش لهُ منهم انصاراً اكفاء ساعدوهُ على نشر التآليف والقاء الخطب والمواعظ مثل روشلين وهوتان وهما الرجلان اللذان احييا الآداب في المانيا فنالت تآليفهما منزلة سامية من النفوس . وكان لوثيروس دونهما في طلاوة الانشاء مع انهُ عني بدراسة آداب لغتهِ واحكم اللغات العبرية واليونانية واللاتينية

اما خصومهُ فظنوا ان هذه الجذوة منبعثة من تعلُّم الادب لان اهل المانيا اذ ذاك شغفوا بمطالعة كتب اليونان والرومان وتوفروا على دراسة العلوم والفنون والآداب فسلمت اذواقهم وحسنت اخلاقهم وطفقوا يعملون ويفكرون ولذا تصدوا لصدّ الناس عن هذا السبيل فذهبوا الى ان الاولى لحفظ سيادتهم ان يحظروا تعلم الادب. فكان شأنهم في عملهم هذا شأن بعض الفقهاء المتأخرين في منعهم الاخذ من كل علم يجهلونهُ لانهُ غير موصل الى علم الدين ومن جهل شيئاً عاداهُ

وساعد لوثيروس على الاسراع في بث الدعوة اختراع صناعة الطباعة قبل قيامهِ بخمسين سنة فاخذت تنشر مؤلفاتهِ ومؤلفات اصحابهِ بين طبقات القوم جمعاء . وصادف ان كانت بلاد المانيا آمنة من الحروب على حين كانت تلتظى نارها في سائر الممالك المجاورة خصوصاً بين شارلكان ملك اسبانيا وفرنسيس الاول ملك فرنسا. وقد ارعب الاول ممالك اوربا على عهدهِ كما اذعرها نابوليون بونابرت في اوائل القرن التاسع عشر

ولم تكن بيعة رومية لتهتم بقيام لوثيروس لاول وهلة لما لها من السطوة على افكار الخاصة والعامة فسرت دعوتهُ على غرة منها سريان النار في الهشيم

ولم يتظاهر بالخروج على الكنيسة الرومانية الاَّ بعد ان اخذت دعوتهُ مأخذاً من النفوس وما فتىء يسرُّ حسوًا في ارتغاء حتى اشتدَّ ساعدهُ فحرق جهاراً في وتمبورغ مرسوم البابا ليون العاشر .فعندها همَّ بقتلهِ ديوان رومية بمالئةُ هنري الثامن ملك انكلترا وبعض ملوك اوربا ولم ينالوهُ بأذى لان منتخب سكسونيا كان يحبهُ ويعينهُ . ولما رأى هذا تربصهم الدوائر بخصيصهِ ابقاهُ في قصر بقلعة ورتمبرغ نحو تسعة اشهر ضيفاً كريم الوفادة توفر فيها المترجَم على التأليف وتفرغ لبث الدعوة في القاصية والدانية

انفرجت مسافة الخُلْف بين المؤرخين بشأن لوثيروس فافرط فريق في القدح فيهِ وفرَّط آخر في مدحهِ والحقيقة وسط بين القولين الاَّ انهُ كان على جانب من التربية الصحيحة تقشَّف لاول امرهِ وزهد في زخارف الدنيا واعتزل في احد الاديرة فدرس في غضون ذلك الفلسفة التي كانت معروفة في اوربا وتبحر في علم اللاهوت فنال منهما حظّاً وافراً ثم عدل عنهما ودأب يدرس

متن الانجيل . ولما عرف الامير فريدريك منتخب سكسونيا ما كان عليهِ من العلم اقامهُ مدرساً للفلسفة واللاهوت في مدرستهِ بمدينة وتنبرغ سنة ١٥٢٠ فقنع بما كانت تدرُّهُ عليهِ المدرسة من المشاهرات اليسيرة وتجافت نفسهُ عن تناول ما لا تبجحهُ لانفسها كبار الرجال من الاموال

قال جول سيمون في كتابهِ حرية الضمير لم يبتدع لوثيروس بدعة بل انشأ ديانة وخرق حدود السلطة الزمنية كما خرق السلطة الروحية واستمال الى حزبهِ الامراء وبذل البذول لتأليف قلوبهم على دعوتهِ . فما كان غير قليل حتى رأى نماء محازبيهِ ومشايعيهِ بما جاوز ما كان يأملهُ بحيث ساغ لهُ ان يناجي نفسهُ وهو يموت انهُ غلب باباوات ثلاثة اعني بهم ليون العاشر والامبراطور شارلكان وملك فرنسا فرنسيس الاول اه

ولقد عيب عليهِ اعجابهُ بما كان يتم على يديهِ حيناً بعد آخر من تكثير سواد المهتدين الى مذهبهِ ولكنهُ لم يخرج في هذا عن مألوف عادة البشر. وقليل مَنْ لا يفاخرون بملء اشداقهم اذا عملوا ابسط الاعمال . وكذلك أُخذ عليهِ تحاملهُ على خصومهِ ووصفهم في مصنفاتهِ بما لا تبيحهُ آداب هذا العصر فكان في مناظراتهِ يزري عليهم خُطتهم ويقابلهم بمثل شتائمهم ويُوقع الغميزة فيهم . ويُعتذر عنهُ بان ذلك كان جارياً مجرى العادة في تلك الاعصر ولم تكن الآداب والاخلاق قد تحسنت . وكان يخلط الهزل بالجد في حِجَاج مَنْ يريد ضمهم الى حزبهِ . وهكذا ظلَّ بين بث دعوة وكتابة تأليف وردّ على مخالف حتى اخترمتهُ المنية في الثالثة والستين من عمرهِ وقد خلَّف الوفاً ممن أُشربت قلوبهم دعوتهُ وترك اولاداً من زوجة تأهل بها في الكهولة

هذا لوثيروس وهذه حياتهُ واعمالهُ ولكم جاء مثلهُ من قبل ومن بعد فلم تلاحظهم عيون العناية فقضوا وما قضوا من لُباناتهم إما لضعف نفوسهم ونقص استعدادهم او خيفة من الناصبين الجاهلين وفاقهُ الى الناصرين العالمين كما قضى في هذا الشرق رجال كانوا يقدرون على القيام بمثل ما قام بهِ لوثيروس فاختاروا السلامة ولم تبح صدورهم بما خالجها من ضرورة الاصلاح او اقدموا فعُذّبوا لتصريحهم بما يخالف الاهواء وتصديهم الى العمل بما تدفعهم اليهِ سلامة وجدان وعقول نيرة لا تصبر الاَّ على اضاءة مَنْ حولها .

يرى الناظر في تاريخ العرب عدداً كبيراً من هذه العصابة وأُناساً لم يتعرض لهم لعدم اشتهارهم وما رأسهم ان حققت الذي قام بالدعوة قولاً وفعلاً ألاَّ شيخ الاسلام "ابن تيمية" فهو كلوثيروس في افكارهِ ودعوتهِ . دعا هذا الى حذف ما في النصرانية من الفضول وجاهر ذاك بتعرية الاسلام ممَّا أُلصق بهِ من البدع فكانا متشابهين في علمهما ودعوتهما ومحنهما الاَّ ان ابن تيمية اعلم والمحن التي لقيها اشدُّ . وكأَن تقدُّم ميلاد ابن تيمية كان اشارة الى انهُ السابق

لداعية النصرانية الاَّ في سريان الدعوة وكثرة الخصوم . ومن عادة الغرب ان يقبل اهلهُ على ما ينفع بدلالتهم عليهِ ومن طبع الشرق ان ينبذ سكانهُ كل ما يفيدهم من التجديد مما هو ولا مراء من علل تقدم الاول على الثاني

ولد ابن تيمية في حرّان سنة ٦٦١ ه وقدم بهِ والدهُ عند استيلاء التتار على البلاد الى دمشق وهو في السادسة من عمرهِ فاخذ الفقه والاصول والعربية عن مشايخ عصرهِ وعُني بالكلام والحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرّات حتى قيل إن كل حديث لا يحفظهُ ابن تيمية ليس بحديث . واقبل على تفسير القرآن فكان فيهِ الحجة الثبت واحكم اصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغيرها من العلوم ودرس تاريخ الاسلام حتى صار يسلسل ما توالى عليهِ وعلى اهلهِ ساعة ساعة. ثم نظر في الفلسفة الالهية وردّ على رؤسائها

كان خارقة في الجمع بين توقد الخاطر وشدة العارضة فما حفظ شيئاً ونسيهُ . وقد أَلَّف في التفسير والفقهِ والاصول والحديث والكلام والردود على الفرق الضالة والمبتدعة . وكتب فتاوي عديدة بلغت على روايةٍ اربعة آلاف كراس اما مؤلفاتهُ فثلثمائة وبالغ احد مترجميهِ فقال وما ابعد ان تصانيفهُ الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد . وكلها مما لم يسبقهُ اليها احد . وكان لجودة قريحتهِ وسرعة براعتهِ يكتب الرسالة في ليلة ويمليها مسوّدةً مبيّضةً كأنها كانت مسطورة امام ناظريهِ لا تحتاج الاَّ الى النقل . وكان درسهُ مجمع اشعة العلم النافع يقرأ الإخلاص في سطور اقوالهِ ولهذا حسدهُ معاصروهُ ممن تسموا بالعلماء لان علمهم كان تمويهيًّا يشبه الخرز وعلمهُ كان يقينيًّا يشبه الدرّ . قال ابن الزملكاني كان الامام اذا سئل عن فن من الفنون ظن الرائي والسامع انهُ لا يعرف غير ذلك الفن وحكم ان احداً لا يعرف مثلهُ وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معهُ استفادوا في سائر مذاهبهم ما لم يكونوا عرفوهُ قبل ذلك ولا يُعرف انهُ ناظر احداً فانقطع معهُ ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع او غيرها الاَّ فاق فيهِ اقرانهُ. ولذا شغف بهِ العقلاء في عصرهِ فهدى كثيرين من اهل الملل والنحل ولما قام يدعو الناس الى ترك التوسل بالاموات والاستشفاع بالصالحين والشهداء والاولياء وعدم الإسراج على قبورهم وانكر الواسطة بين الخالق والخلائق لان الله يجيب دعوة الداعي اذا دعاهُ دون وسيلة وليّ او نبيّ وانكر على الفلاسفة بعض آرائهم وتكلم في الصوفية ومذهبهم واراد إرجاع الدين الاسلامي الى ما كان عليهِ زمن الرسول والصحابة عادوهُ وآذوهُ ولم يتوجه لهم عليهِ ما يشين فلفقوا دسيسة وزعموا انهُ ربما يدعي الامارة فوجد اعداؤهُ السبيل اليهِ مع ان اولاد الكتاتيب لا تصدق ان ابن تيمية يتطال الى الامارة ولا عصبية لهُ

فاخذ يلقى من الاهوال ما تشيب لهُ نواصي الاطفال ولا يصبر عليهِ ابطال الرجال . وقد قام بنفسهِ في نوبة غازان التتري سنة ٦٩٩ واجتمع بنائبهِ حللوشاه وبتولاي وجرأ على المغول ونصحهم وبكتهم واستصرخ اركان الدولة لحرب التتار لما انقضوا على الشام انقضاض الصواعق ووقف الموقف الحسن سنة ٧٠٢ في وقعة شقحب المشهورة واجتمع بالخليفة والسلطان وحرضهما على الجهاد . وذهب سنة اربع لقتال الكسروانيين في جبل لبنان . وناظر المخالفين في المجالس التي عقدت بحضرة نائب السلطنة الافرم فظهر عليهم بالحجة فرجعوا الى قولهِ طائعين . ثم ذهب الى مصر وعُقد لهُ المجلس بحضور القضاة واكابر الدولة فحُبس في جب يوسف بقلعة الجبل ومعهُ اخواهُ سنة ونصفاً ثم خرج بعد ذلك فعُقِد لهُ مجلس سنة سبع لكلامهِ في الاتحادية ثم أُمر بتسفيرهِ الى الشام على البريد وأُمر بردهِ من مرحلة وسجن بحبس القضاة سنة ونصفاً ايضاً

وبعد ذلك توجه الى الاسكندرية وجُعل في برج اقام فيهِ ثمانية اشهر ثم توجه الى دمشق. ولما تكلم في مسألة الحلف بالطلاق وانهُ لا يتثلث بالقول ورد كتاب السلطان بالمنع من الفتوى بها فعاد هو الى الافتاء بها بعد ان كتم افكارهُ وقال لا يسعني كتمان العلم وبقي كذلك الى ان حبس بقلعة دمشق خمسة اشهر وثمانية عشر يوماً ثم ظفر لهُ اعداؤهُ بجواب يتعلق بمسئلة شد الرحال الى قبور الانبياء والصالحين كان قد اجاب بهِ من نحو عشرين سنة فشنعوا عليهِ فورد مرسوم السلطان سنة ٣٢٦ بجعلهِ في القلعة

هذا وهو لم يفتر عن العبادة والتلاوة والتصنيف والرد على المبتدعة وكتب على التفسير جملة صالحة تشتمل على نفائس اوضح فيها مواضيع كثيرة التبست على خلق من المفسرين وكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة . ولما انتشر ما كتبهُ في البلاد مُنع من الكتابة والمطالعة واخرجوا ما كان عندهُ من كتب ودواة وقلم وورق فاخذ يكتب على الحيطان بالفحم وقد شق عليهِ ذلك فقال ان نزع كتبهِ منهُ كان عليهِ من اعظم النقم . وبقي على ذلك اشهراً حتى وافاهُ اليقين سنة ٣٢٨ فقامت دمشق لموتهِ وقعدت وهرع الناس يمشون في جنازتهِ فقدر من شيعوهُ من الرجال والنساء بمائتي الف نسمة يبكون منار الاسلام في زهدهِ وسخائهِ وشجاعتهِ وعلمهِ وعقلهِ وامرهِ بالمعروف ونهيهِ عن المنكر واخلاصهِ في السر والعلن . ولم يخلُ مشهدهُ من بعض بدع وثنية كان ابن تيمية يئن منها وينفر النفوس عنها كضرب الصدور وشق الجيوب والقاء الناس انفسهم او عمائمهم على نعشهِ للتبرك بهِ. وشرب بعضهم ما فضل من ماء غسلهِ. قيل ان الطاقية التي كانت على رأسهِ دُفع فيها نحو خمسمائة درهم وقيل ان الخيط الذي كان فيهِ الزئبق ويعلقهُ في عنقهِ طرداً للقمل سيم بمائة وخمسين درهماً

مات الامام ولم يتزوج وقبرهُ باقٍ الى اليوم وحيدًا في مقابر الصوفية غربيّ دمشق على كثرة من دُفن فيها من العلماء والامراء ممن دثرت قبورهم على شدة حرصهم على تخليد اسمائهم فكأن لسان حالهِ ينادي بافصح مقال اليكم يامن تمشون على قدمي في الدعوة الى الاصلاح فتلاقون الشدائد وتُسامون العسف والخسف فالحق يعلو ولا يُعلى عليهِ والجواهر تبقى ولو صُبغت بالسواد حيناً من الدهر والاعراض تزول ولو موّهت قرونًا واجيالاً

هذا هو الرجل الآسياوي العظيم الذي تقدم المصلح الاوربي بقرن واحد . وربما يتبادر الى ذهن المطالع ان لوثيروس احسن السياسة مع قومهِ فلم يصلوا اليهِ بمكروهٍ وانتشرت دعوتهُ وذاك لم يحسنها فاضطهد وأُوذي . ومن يتروَّ في الامر يجد ان ابن تيمية فعل الواجب ان يفعل فحال دون الوصول الى الغرض تلك العوارض المارة آنفًا ولو سكت عمَّا لا يحسن الاضطلاع بهِ غير من كان يقوم مقامهُ. وما كل عشرة قرون تُنتج الامة عقلاً كعقلهِ وعلماً كعلمهِ وشجاعة كشجاعتهِ وصفات كصفاتهِ ولكن الاقدار ما برحت تناصب اهل الاقدار

واعلم ان لوثيروس لم يُوفق بان ظهرت على يدهِ اعظم حوادث القرون الاخيرة (اذ قسم باصلاحهِ اوربا الى شطرين متباينين كاثوليكي وبرتستانتي حمي بينهما وطيس الفتن منذ اوائل القرن السادس عشر الى منتصف القرن السابع عشر) بقوة خارقة للعادة فيهِ او ذكاء وعلم ما اوتيهما بشر مثلهُ ولكنهُ كان على التحقيق نسخة صحيحة من عصرهِ وجد مجالاً فسيحًا لجائل وآذانًا واعية لخطب ونفوسًا متشوقة فكتب واحسن منشط وجدهُ على نيل بغيتهِ ذاك الملك العظيم الذي حماهُ من وصول الاذى اليهِ

امَّا ابن تيمية فكان الشعب عارفًا قدرهُ فاستاء من ذلك معاصروهُ فسعوا فيهِ وشنعوا عليهِ. وممَّا يُعجب لهُ ان قلوب الملوك والامراء في ايامهِ جُبلت على حبهِ ولكنهم لم ينفعوهُ بسلطانهم لما وشى بهِ اعداؤُهُ ولو خدمت الظروف ابن تيمية كما خدمت لوثيروس لما انفضَّ القوم من حولهِ وتركوهُ يتقاذفهُ تيار الاهوال من كل مكان

ومن العجيب في المشرق ان اهلهُ تبع لكبرائهم مع قربهم من الخير وسلاسة قيادهم. وامراء الغرب وكبراؤُهم تبع لاهلهِ لا ينطقون الاَّ بصوت شعوبهم . ولذا رأيت لما انبثق نور التمدن في اوربا بعد لوثيروس استفادت اوربا بهذا الانقسام لما عقبهُ من المنافسة فلم تعمل مملكة عملاً نافعًا الاَّ وقلدتها جارتها ان لم يكن برضى سادتها فبرغمهم حتى تشاكلت هاتيك الممالك بهيئة حكوماتها وادارتها ومعارفها وعمرانها الاَّ قليلاً . ولا غروَ فان السبب الخفي في نجاح لوثيروس اكثر من ابن تيمية انما كان بفضل الشدة والاعنات . ذلك ان رؤَساء الدين كان لهم في

اوربا سلطة روحية عظيمة فلما اشتدت وطأتها عافتها النفوس وسعت الى الخلاص منها اما المسلمون فليس لرؤساء الدين فيهم حكم نافذ بلغ ذاك الحد عند المسيحيين وما حكمهم ان تبصَّرت الاَّ ادبيٌّ وان استسلم بعض الشعب للعلماء فلا يكون الاَّ من باب المجاملة لا الغرض الواجب ولذلك قلما فكرت النفوس في الاصلاح على ان المذهب الاصلاحي الذي قام بهِ ابن تيمية لم يعدم انصارًا واشياعًا وما فتئ من أُشربوا دعوتهُ ينقلها من صدر الى صدر على توالي الايام الى زمن محمد بن عبد الوهاب الذي جاهر بالدعوة في غربي جزيرة العرب فاثمرت مساعيهِ ثم انتقلت الى الهند الغربية ولم تزل آخذة في النمو وإن كان دون نمو الدعوة البروتستانتية والله اعلم

باحث دمشقي

نبأٌ من اليابان

الصناعة والشركات الصناعية

لما اشرنا الى الصناعة اليابانية في الجزء الماضي من المقتطف قسمناها الى قسمين الصناعة اليدية التي يُعتمد فيها على يد الصانع والصناعة الآلية التي يعتمد فيها على البخار ونحوهِ من القوى الطبيعية. وقلنا ان الصناعة الاولى قديمة في بلاد يابان وقد بلغت فيها حد الانقان قبل هذه النهضة الجديدة واما الصناعة الثانية فحديثة ووعدنا ببسط الكلام عليها في هذا الجزء وانجازًا لذلك نقول

لا يخفى ان الصناعة الآلية لا تقوم الاَّ بالشركات لما تقتضيهِ من النفقات الطائلة التي قلما يستطيعها او يُقدِم عليها رجل واحد. وقد ادرك اليابانيون ذلك وعملوا على مقتضاهُ. وأُدخلت الشركات الصناعية الى بلاد يابان سنة ١٨٨٨ اي منذ اربع عشرة سنة لا غير فلم تمضِ ست سنوات حتى صار فيها ٢٩٦٧ شركة صناعية رأس مالها المدفوع ٢٥ مليون جنيه. وفي ذلك الدليل القاطع على ان البلاد حيَّة مستعدة للنمو السريع وكان هذا قبلما نشبت الحرب بينها وبين الصين وقبلما اثبتت قوتها بالامتحان

والظاهر ان تلك الحرب لم توقف سير التقدُّم مع ما استنزفتهُ من اموال البلاد لانهُ لم تأتِ سنة ١٨٩٩ حتى صار عدد الشركات الصناعية ٧٨٢٩ وصار رأس مالها المدفوع ٧٠ مليون جنيه. ولو جرى القطر المصري هذا المجرى منذ عشر سنوات لوجب ان يكون فيهِ الآن شركات صناعية رأس مالها عشرون مليون جنيه. ولو كان محمد علي باشا قد حرض اهالي القطر المصري على انشاء المعامل الصناعية بدلاً من ان ينشئها هو وتكون متوقفة عليهِ تقوم بقيامهِ وتسقط

بسقوطهِ وجرى القطر المصري من ذلك الحين في الخطة التي جرت فيها بلاد يابان لصار اغنى بالمعامل الصناعية من انكلترا او فرنسا او بلجكا

وقد اقتضى انشاء الشركات الصناعية في بلاد يابان انشاء البنوك المالية فأُنشئ البنك الوطني فيها سنة ١٨٧٢ ومن ثمَّ اخذ عدد البنوك يزداد سنة فسنة فصارت ١٥٣ بنكاً سنة ١٨٧٩ و ٣٥٣ بنكاً سنة ١٨٩٠ . وكان رأس مالها حينئذٍ ثمانية ملايين وربع مليون من الجنيهات وبلغ عددها ٢١٠٥ بنوك سنة ١٨٩٩ رأس مالها المدفوع نحو ٢٩ مليون جنيه وفيها من الودائع ما قيمتهُ ٧٥٠ مليون جنيه . وبعض هذه البنوك صغير جدًّا ولكن بعضها كبير اكبر من البنك الاهلي المصري فبنك يابان الاهلي رأس مالهِ المدفوع ثلاثة ملايين من الجنيهات وفيهِ وحدهُ من الودائع ما قيمتهُ ٢٨٣ مليون جنيه

والاموال التي في بنوك يابان لاهل يابان كلها ولكن الحكومة سمحت حديثاً بانشاء بنك يجوز ان يكون رأس مالهِ من الاجانب وهو مليون جنيه ولكنها جعلتهُ تحت سيطرتها التامَّة فهي التي تختار رؤساءهُ ومديري حساباتهِ وتراقبهُ المراقبة التامَّة ولناظر ماليتها ان يوقف اعمالهُ وقتما يشاء اذا حسب انهُ خالف قوانينهُ او خاف من اضرارهِ بالبلاد . وهو يعين مراقبين يراقبون حساباتهِ ودفاترهُ وصناديقهُ وقتما يشاء فكأَنهُ بنك ياباني بحت لكن الحكومة ضمنت لاصحاب اسهمهِ خمسة في المئة ربحاً سنويًّا

وانشاء هذا البنك بالاموال الاجنبيَّة دليل على ان اليابان لم تعد تخاف من مزاحمة الاجانب لابناء بلادها . وهي تحظر على الاجانب ان يمتلكوا املاكاً في بلادها لكنها عازمة ان تبطل ذلك ايضاً حتى تتقوى ثقة الناس باليابانيين. وربما عدنا الى هذا الموضوع في الكلام على مالية حكومة اليابان

ومن اول الاعمال الصناعية في بلاد يابان صناعة غزل القطن ونسجهِ وقد ابتدأَت سنة ١٨٨٠ وبلغ عدد معامل الغزل ثلاثين معملاً سنة ١٨٩٠ وكان فيها حينئذٍ ٢٧٧٨٩٥ مغزلاً يغزل بها في السنة اكثر من ٤١ مليون ليبرة . ثم الغت الحكومة رسوم الجمرك عن المغزولات الصادرة وعن القطن الخام الوارد الى البلاد تنشيطاً للصناعة الوطنية فبلغ عدد المعامل سنة ١٨٩٩ خمسة وتسعين معملاً فيها ٢٠٧٤٤٧٥ مغزلاً تغزل في السنة ٣٤٥ مليون ليبرة وبلغت قيمة الغزل الصادر من البلاد تلك السنة مليونين و ٨٥٢ الفاً من الجنيهات

وكانت قيمة المنسوجات اليابانية سنة ١٨٩١ نحو ثلاثة ملايين جنيه وهي تساوي الآن نحو ١٥ مليون جنيه

وللحرير شأن كبير في صناعة اليابان وتجارتها وقد كانت قيمة الصادر منهُ سنة ١٨٩٩ خاماً ومنسوجاً نحو تسعة ملايين جنيه

والوراقة قديمة في بلاد يابان وورقها مشهور بمتانتهِ حتى لقد يستعمل كالمنسوجات القطنية. وبلغت قيمة الورق المصنوع فيها سنة ١٨٩٩ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات. وللحكومة معامل خاصَّة بها فيها الف عامل يصنعون ورقها فلا تشتري درهماً من بلاد اخرى. وقد انشئ فيها معمل جديد يصنع ٢٣ الف ليبرة من الورق كل يوم وسبعة ملايين ليبرة في السنة فما اشبه ذلك بنا في مصر والشام ونحن لم نستطع ان نقوم بمعمل واحد

وكان الزجاج الذي يصنع في بلاد يابان حقيراً كزجاج القناني الذي يصنع في هذا القطر والقطر الشامي فأنشئ فيها معمل جديد يصنع الزجاج الجيد فناظر زجاجهُ الزجاج الوارد من المانيا وبلجيكا

وكذلك المنسوجات الصوفية كانت ترد كلها من اوربا لكن تاجراً من باعة الفلانلا انشأ معملاً لنسجها فوفى بالغرض

ويصنع اليابانيون الخزف على انواعهِ والساعات والادوات المعدنية والخشبية على انواعها حتى انهم يصدرون من عيدان الثقاب ما قيمتهُ ٦٠٠ الف جنيه في السنة. ويظهر لنا مما شاهدناهُ في معرض باريس ان عندهم معامل كبيرة لعمل المربيات على انواعها وحفظ الاثمار والخضر والاسماك

وحكومة يابان تبذل الجهد في تنشيط المعامل الصناعية وستنشئ معرضاً في السنة المقبلة لهذه الغاية وتقيم فيهِ داراً مخصوصة تُعرَض فيها المصنوعات الاوربية الاميركية التي تفوق في دقة صنعها ما كان من نوعها من المصنوعات اليابانية حتى يراها اليابانيون ويتعلموا منها كيف يتقنون مصنوعاتهم

ولا تفلح الصناعة في بلاد ما لم تحمِ مصالح الصنَّاع والمخترعين بحقوق الامتياز ولذلك جرت اليابان في خطة الممالك الاوربية والاميركية فانشأت ادارة لاعطاء الامتيازات بالمخترعات والمكتشفات الجديدة وقد اعطت ٢٩٣ امتيازاً سنة ١٨٩٨ و٥٩٧ امتيازاً سنة ١٨٩٩ و٦١٥ امتيازاً سنة ١٩٠٠

وقوانين اليابان في الامتيازات صارمة جداً تحمي حقوق المخترعين والمستنبطين سواء كانوا وطنيين او اجانب ومدة الامتياز ١٥ سنة وصاحبهُ يدفع ضريبة تزيد بزيادة انتفاعهِ منهُ على هذه الصورة

في الثلاث السنوات الاولى	١٠٠	غرش في السنة
« « « الثانية	١٨٠	غرشاً « «
« « « الثالثة	٢٠٠	غرش « «
« « « الرابعة	٢٥٠	غرشاً « «
« « « الخامسة	٣٠٠	غرش « «

ومن يقلّد مخترع غيرهِ او يبيع بضاعة مقلدة وهو عارف ذلك يعاقب عقاباً صارماً فيسجن من ١٥ يوماً الى ثلاث سنوات ويغرَّم جنيهاً الى خمسين جنيهاً . ولا يعطى امتياز بشيء منهُ ضرر لاهالي البلاد مهما كان

ويعطى الامتياز بالعلامات الصناعية والتجارية كما يعطى بالمخترعات والمكتشفات ومدتهُ عشرون سنة وتسجل الرسوم لكي تحفظ لاربابها

وقد اندفع اليابانيون في ميدان الاختراع والاستنباط اندفاعاً عجيباً وجاروا الاوربيين حتى في استنباط آلات الهلاك فالبندقية الشخانة المسماة بندقية موراتا من استنباطهم وكذلك المدفع السريع الطلقات الذي يستعملهُ الجنود اليابانيون . واستنبطوا حديثاً دهاناً يقي السفن من التصاق الاعشاب والاصداف بقاعها . وآلة تصنع اكثر من الف سيكارة في الساعة

وفي اليابان جمعية لارشاد المخترعين والمستنبطين فاذا اخترع احد اختراعاً او ظنَّ انهُ استنبط شيئاً جديداً جاءها واستشارها في امرهِ فتشير عليهِ بما ترى فيهِ مصلحتهُ . قال المستر ستد في هذا الصدد "ان الاختراع ليس خاصاً بالاوربيين والاميركيين ولا هو مقصور على امةٍ من الامم بل حيثما سلمت القرائح وتوقدت الاذهان فهناك رجال الاختراع والاستنباط وعندي ان في اليابانيين من الذكاء مقدار ما في غيرهم من امم الارض وهم يحتاجون ان يتعلموا من غيرهم كما يحتاج غيرهم ان يتعلَّم من غيرهِ ولكنهم ليسوا دون غيرهم في ذكاء العقل وتوقد الذهن"

ثم ان الصناعة لا تفلح ولا تروج ما لم تتيسر لها وسائل النقل وهذا ادركهُ اليابانيون فانشأُوا السكك الحديدية في بلادهم وتباروا هم وحكومتهم في هذا المضمار ولم تقف الحكومة في سبيلهم ولا فضَّلت الاجنبي عليهم بل هي تبذل جهدها دائماً لتمنع الاجنبي من مزاحمة شعبها في بلادها

وقد أُنشئت اول سكة اهلية سنة ١٨٨٣ وكان طولها ٦٣ ميلاً وبلغ طول السكك الاهلية ٨٤٨ ميلاً سنة ١٨٩٠ و ٢٨٠٨ اميال سنة ١٩٠٠ . وكان دخلها تلك السنة مليونين و٥٧٤ الف جنيه ونفقاتها مليوناً و ٣٢٠ الف جنيه اي ان المصروفات نحو ٥١ في المئة من الايرادات

وللحكومة سكك اخرى بلغ طولها ٨٩٣ ميلاً سنة ١٩٠٠ ودخلها مليونًا و ٣٧٢ الف جنيه ونفقاتها ٦٥٩ الف جنيه

وكما تحتاج الصناعة الى سكك حديدية تحتاج الى سفن تجارية وقد استوفينا الكلام على سفن اليابان التجارية في الجزء الماضي في الكلام على تجارتها

وهذا البيان من حيث ارتقاء الصناعة في بلاد يابان واستئثار اهلها بها وبمواردها ومصادرها يكاد يوقعنا في اليأس ولاسيما اذا علمنا ان القطن المصري يرسل الآن الى بلاد يابان ليغزل وينسج فيها واهالي مصر تُلقَى في سبيلهم العثرات لكي لا يناظروا معامل اوربا. ولا عزاء لنا الاَّ ان المعمل الذي انشئ في القطر المصري وأُلزم بدفع رسم الجمرك على مصنوعاتهِ كما يُدفع الرسم على البضائع المصنوعة في اوربا واميركا ليس وطنيًّا اي ان اكثر ربحهِ يذهب الى منشئيهِ لا الى حاملي اسهمهِ من الوطنيين فدفع هذا الرسم الى الحكومة المصرية خير من دفعهِ ربحًا الى منشئي المعمل . لكن هذا الحكم اذا تمشَّى على ما يمكن ان ينشئهُ الوطنيون من المعامل لم يبقَ فيهِ سبيل للعزاء

وقس على ذلك البنوك المصرية فان اصحابها وحاملي اسهمها كلهم او جلهم من الاجانب وكذا الشركات الصناعية فلم يبقَ للوطنيين الاَّ الاطيان والاجانب يأخذون من ريعها خمسة ملايين او ستة من الجنيهات كل سنة ربا دين الحكومة وديون الاهالي . واذا تألفت في اوربا شركات زراعية لاستحياء الارض الموات وامتلاك الجزر والسواحل لم يجد ابناء مصر الذين يزيدون موردًا للثروة بعد الآن وغاية ما يصلون اليهِ انهم يتبلَّغون تبلغًا باجرة عملهم الى ان يعم الاعتماد على الآلات البخارية للحرث والحصد والدرس. ولا ندري كيف يغفل ولاة الامر هذه القضايا الاجتماعية ولا كيف يسكت ابناء مصر عن المطالبة باول حق من حقوق الانسان الطبيعية وهو حق المعيشة ولوازمها

وما يصدق على هذا القطر مقيدًا يصدق على سائر الممالك العثمانية من غير قيد فان البنوك فيها للاجانب وللاجانب تعطى الامتيازات بسكك الحديد ومناجم المعادن وحراج الاشجار ومرافئ الثغور البحرية وكل موارد الثروة حتى اذا افاق الوطنيون يومًا ما لا يجدون موردًا يردونهُ عدا عمَّا يكابدونهُ الآن من الارهاق وهم لو اعتني بامرهم كما اعتني باهالي اليابان لرأيتهم اليوم لا يحسدون امَّة من امم الارض

لماذا يكثر العميان في وادي النيل

اذا كان لا بدَّ لكل معلولٍ من علة فلا ريب ان لكثرة العميان في وادي النيل علة لا يليق باولي العلم اهمال البحث عنها ومتى وجدت لا يجدر باولي الامر التقاعد عن ايجاد الوسائط لازالتها او تلطيفها على الاقل . والحقيقة ان لكثرة امراض العين وكثرة العميان في هذه البلاد عللاً كثيرةً لا علة واحدة كما سنوضح ذلك . غير انهُ وإن كانت كثرة امراض العيون قد بلغت في مصر حداً يُضرب بهِ المثل فليست مصر البلاد الوحيدة في المنطقة الحارة التي تكثر فيها تلك الامراض بل على سطح الكرة اماكن اخرى في هذه المنطقة او على مقربةٍ منها كبلاد العرب والهند وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وفي تلك البلاد تكثر ايضاً امراض العيون ويكثر العميان لا لمجرد وقوعها في المنطقة الحارة بل لاسباب اخرى جمَّة سنأتي على بيانها . غير ان تلك الاسباب تختلف في الزيادة والنقص باختلاف تقهقر البلاد او تقدمها في العلم والمدنية والعمران والثروة . ولا شك ان كثرة العميان ضربة من اشد الضربات وعلة من اقوى العلل التي تعيق البلاد في سبيل الارتقاء . ولا بدَّ لنا اذا اردنا تخفيف وطأة امراض العين في مصر ان نبحث عن اسباب هذه الامراض وشدة وطأتها لنتقيها او على الاقل نخفف مضارها

وقبل الخوض في الموضوع اقول كلمةً لكل من يقرأُ هذه السطور راجياً منهُ ان يعمل بها وهي ان يفيد بما سيقرأُهُ الاميين المحيطين بهِ الذين لا يدركون فائدة اتقاء الشرور ولا يعرفون للنظافة قيمة وفيهم تكثر الامراض بوجه العموم وامراض العين بوجه خاصٍ وهم الفئة التي لاجلها نكتب ونؤلف وننشر فاذا كانوا لا يطَّلعون على ما نكتب ونحن لا نكتب الاَّ لهم فما الفائدة من كتاباتنا واضاعة الوقت . ولكن اذا كان كل واحدٍ من قراء الجرائد والمجلات يفيد بما يقرأُهُ بعض الذين يعرفهم من الذين لا يقرأُون امكننا ادراك بعض الغرض المقصود ان لم ندركهُ كلهُ

اذا نظرنا الى امراض العين بوجه عام امكننا ان نقسمها الى قسمين كبيرين : القسم الاول يشمل الامراض التي تنشأ عن اسباب مصدرها الجسم نفسهِ لعلةٍ او عالٍ فيهِ واهم هذه العلل الداء الزهري وهي تعتري في الغالب القسم الخلفي من العين حيث تضر باغشيتها الباطنة . والامراض التي من هذا النوع تضر باهل الشرق اكثر مما تضر باهل الغرب لان هؤلاء يقدرون الامور قدرها ويهتمون بمعالجة انفسهم ويتداركون المرض في بدء ظهورهِ فيخففون

عنهم اضرارهُ ويلجأون الى الاطباء غير معتمدين على خرافات العصور الخوالي بخلاف الجهلاء من اهل البلاد الشرقية الذين لا يبالون بما يصابون بهِ من الامراض او يركنون في معالجة انفسهم الى غير اهل العلم او يعتمدون على الخرافات الباطلة كما سنذكر ذلك. ومع هذا فلا تُعدُّ اضرار هذه الامراض الباطنة شيئاً بالنسبة الى اضرار الامراض الاخرى التي يشملها القسم الثاني

والقسم الثاني يشمل امراض العين التي تسببها العوامل الخارجية وتعتري القسم الامامي من العين. وهي الامراض التي يهمنا البحث في اسباب كثرتها في مصر والبلاد الحارة وتعذُّر شفائها وفقد البصر الذي ينشأُ عنها

فلنبحث الآن في هذه الاسباب ولنشرح الطرق الواقية من كل سبب على حدتهِ

السبب الاول والاكبر — الجهل : لا مشاحة ان الجهل هو من اقوى الاسباب في كثرة امراض العين وتعذُّر شفائها ووفرة العميان في البلاد الشرقية الحارة المقصرة في مضمار العلم والمدنية . وقد قدَّمت الجهل على كل سبب لان الاسباب الاخرى التي تساعد انتشار امراض العين في البلاد الحارة يمكن العاقل المتعلم ان يتقيها والدليل على ذلك ان العقلاء من اهل مصر والبلاد الشرقية الحارة والعدد العظيم من النزلاء الاجانب قلما يصابون بما يصاب بهِ اهل الجهل في تلك البلاد نفسها مع انهم كلهم معرضون لاسبابها على حدٍ سوى . واذا اصيب العامل بمرض في عينهِ لا يضر بهِ مثل ما يضر الجاهل اذا اصيب بهِ لان العاقل يتداركهُ فيتخلَّص منهُ والجاهل يهملهُ فيعمى بهِ

والجهل اشبه شيءٍ بجزع شجرة ضخم تتفرع منهُ فروع كثيرة وكل فرع يكون اصلاً لعلل وشرور كثيرة . ومن فروع الجهل

اولاً ترك الوقاية والعلاج اعتماداً على القضاء والقدر للخلاص من المرض. فاذا كان انسان معتقد انهُ لا يعدى بمرض معدٍ ولو تعرَّض لهُ اذا كان ذلك غير مقدور لهُ ويعدى بهِ ولو لم يتعرَّض لهُ اذا كان ذلك مقدوراً لم يتّقِ المخاطر ولم يسلم منها بل يكون معرضاً للخطر في كل لحظة من حياتهِ . وفي كل دين آيات واحاديث كثيرة توجب على المرء ان يعتني بنفسهِ ولا يلقي بها الى التهلكة فيجب على ائمتهِ ان يقشعوا عن المحيطين بهم من الاميين غياهب الغباوة وظلمات الجهل وان يهدوهم سواء السبيل الا ترى العاقل الذي يعتقد ان الوقاية من الشرور لا تتم الا باجتناب اسبابها يهرب من المصاب بداء معدٍ كما يهرب من الاسد فينجو من العدوى وتراهُ اذا مرض يعتني بمعالجة مرضهِ ولذا قلما يصيبهُ من اضرار امراض العين ما يصيب اهل الجهالة

ثانياً عدم الاعتناء بالنظافة . لا يدرك الجاهل ما هي النظافة ولا يدري انها افعل الوسائط لانقاء الامراض وشفائها فيترك غسل بدنهِ ويهمل نظافة ملابسهِ حتى تتلبد عليهِ الاقذار وتفوح منهُ الروائح الكريهة ويحوم عليهِ الذباب . وجهل الامهات يحملهنَّ على عدم الاعتناء بنظافة اولادهنَّ فيتركن الاقذار تتلبد على وجوههم وابدانهم وتسبب لهم كل علة . وكم من مرض تجلبهُ الوساخة وتبعدهُ النظافة . اما رأيت في ازقة المدن والقرى الاطفال يدبون ويتمرغون في التراب والاوحال والاقذارُ متلبدة على اجسامهم وملابسهم والذباب يحوم عليهم. او لم ترَ بائعة السمن كلما تلوثت اصابعها بهِ مسحتها بازارها وزوجها يحدثك والبق يسرح على ثوبهِ والقمل يدب على عنقهِ وجارتهُ في وسط دارها وابنها على قدمها يتغوط ويبول فيلمها وبلها ثم تذر على روثهِ شيئاً من التراب وتتركهُ يجف في عرصة الدار او تدوسهُ برجلها وتطلي بهِ الارض

واذا اردت ان اعدد لك انواع القذارة وضروب الوساخة التي تصم لسماعها الاذن وتخبيش النفس اقتضى لي مجلد ضخم . فكيف لا تكثر امراض العين في مثل هؤلاء القوم وكيف لا يعمون اذا اصيبوا بها . والماء الذي لا بدَّ منهُ للنظافة قد يكون في بعض الترع ممزوجاً بدقائق التراب وهذا حكم الطبيعة لا يمكننا دفعهُ ولكن في الامكان ترشيح هذا الماء حتى يصبح صافياً زلالاً صالحاً للشرب والاغتسال . غير ان الجاهل لا يفكر في شيء من ذلك بل يشرب الماء بما فيهِ من العكر والكدر ويغتسل بهِ فيزيد طينة وجههِ بلَّة . اما رأيتَ ان بعض الجهلاء اذا قدمتَ لهم كأساً من ماء النيل المرشح امتنعوا عن شربها وقالوا لك هذا ماء افرنجي لا يصلح شربهُ اذ ليس لهُ طعم وخير الماء ما كان بخيرهِ اي بعكرهِ فالجهل سبب الوساخة والوساخة مجلبة للامراض ومن هذه امراض العين وهي لعدم النظافة والاعتناء بالمعالجة تأتي بالعمى لصاحبها وتسري عدواها الى المحيطين بهِ وهذه سلسلة متتابعة الحلقات لا ينبغي للانسان ان يكون فيلسوفاً حتى يتتبعها من اولها الى آخرها

ولماذا لا تكثر امراض العين في رجال مصر المتعلمين المتفننين وقلما تجد بينهم اعمى أليس لانهم يهتمون بنظافة اجسامهم وملابسهم ومساكنهم وفرشهم ولأن نساءهم يعتنين بنظافة اجسام اولادهنَّ وملابسهم ومضاجعهم. وهذا برهان حسي ودليل قاطع على ان النظافة من اقوى مقاومات امراض العين والعمى . فلماذا لا نتشبه كلنا بهؤلاء الرجال ونحذو حذوهم. ايظن احد ان النظافة تقتضي كثيراً من النفقة لا وحقك فمن من الناس لا يمكنهُ الحصول على شيء من الماء والصابون وعلى زير من الفخار ليرشح بهِ الماء. حتى ان سكان بعض المدن الكبيرة

في مصر كالقاهرة والاسكندرية وطنطا لم يعودوا في حاجة الى آلات للترشيح لان مياه الآبار الارتوازية التي كثر الآن حفرها صافية نقية لا تحتاج الى ترشيح واذا كانت شركات المياه في احدى المدن المذكورة تستقي من النيل فهي تعتني بترشيح مائهِ

ثالثًا . طب الركة : وهذا ضربٌ آخر من ضروب الجهل كثيرًا ما يكون سببًا في ضياع العمر والبصر فقد ترى كثيرين من الجهال اذا اصيب احدهم برمدٍ لا يستشير لمعالجتهِ طبيبًا خبيرًا بطب العيون بل يعتمد على اشارات الدجالين والعطارين والعجائز ويسلم امرهُ لهم ويضع في عينهِ كلما يصفونهُ لهُ من الذرور والمراهم وما شاكلها وهي ان لم تعمِ العين باسهل طريقة تعيقها عن الشفا وتكون احيانًا كثيرة سببًا في تولُّد السحابات على القرنية وضمور المتحمة الى غير ذلك من المضاعفات التي تضر بالعين ضررًا كبيرًا . ولو اردت ان اعدد للقارئ انواع العقاقير والمواد الكاوية وغير الكاوية المتباينة الانواع التي يصفها الدجالون والعطارون وتصادق على استعمالها كل حيزبون لضاق بي المقام ولأخذ العجب من القارئ كل مأخذ ولكن على سبيل الفكاهة آتي على ذكر بعض تلك المواد فمنها مسحوق اللؤلؤ والزمرد والياقوت وعصارة الطماطم والزرنيخ وعصارة البصل وجلد الفسيخ وروث البقر والحمير وبول البغال والبصل المسلوق الى غير ذلك من المواد التي يضحك ذكرها العاقل ويبكيهِ

هذا من قبيل المعالجة بالعقاقير اما العمليات الجراحية التي يجيز الدجالون والدجالات عملها فحدث عنها ولا جرج ولاسيما عملية الشعرة . فكم وجه يتشوهُ بهذه العمليات وكم ملتحمة تضمر وكم جفنٍ يقصر لكثرة ما قُصَّ من جلدهِ حتى لا يعود يغطي العين لانهُ لا ينطبق على الجفن الاسفل فينتج عن ذلك جفاف الملتحمة والقرنية ولا تلبث هذه ان تتقرح لتعرضها للعوامل الخارجية وقصور الجفن عن سترها من غبار الهواء ولا تزال تقرحاتها تتزايد حتى يفقد البصر

اما الطرق التي يتخذها الدجالون لعمل هذه العمليات فما يقشعر منهُ البدن لانها كلها طرق وحشية بربرية قاعدتها الوساخة وقص الجلد وتمزيقهُ حتى انهُ كثيرًا ما يصاب المريض الذي يوقعهُ سوء حظهِ بين ايدي اولئك القتلة بفلغموني في اجفانهِ او بالحمراء التي تمتد الى دماغهِ وتذهب بحياتهِ . وكيفية عملية الشعرة عند الدجالين والدجالات هي ان تؤخذ طية من جلد الجفن العلوي وتوضع في شق قصبة شديدة المرونة فيلزم الشقُ طية الجلد وتبقى القصبة مدلاة فوق العين حتى يعمل الفناء بالجلد المضغوط بشق القصبة فيسود لونهُ ويسقط منفصلاً عن باقي جلد الجفن وتسقط القصبة معهُ

هذه هي عقاقير الدجالين وطرق عملياتهم في وادي النيل ونحن في القرن العشرين وتكاد

لا تخلو قرية من طبيب معهُ شهادة قانونية يمكنهُ القيام مقام الدجال . ولو كان هؤلاء الدجالون يكتفون بالقليل من الرزق ومتاع الدنيا مقابل ما يأتونهُ من ضروب الجنايات لالتمسنا لهم بعض العذر وقلنا ربما كانوا في فقر مدقع وهم يسعون وراء القوت وقد يدفع الجوعُ الانسان الى قتل اخيهِ . ولكنهم مع ما يقصفونهُ من الاعمار ويمزقونهُ من الاجفان والاشفار ويطمسونهُ من الابصار لا يرحمون ولا يشفقون في جمع الدينار

وقد ادرجت في جريدة المقطم في اوائل شهر اوغسطس حادثة الدجالة الشهيرة ام مخلة التي هتكت اجفان فتاة بعملية الشعرة بطريقة القصبة التي اتيت على ذكرها. وقد قطعت هذه الجانية من جلد الجفنين العلويين جانباً عظيماً حتى انهما لم يعودا ينطبقان فتشوه وجه الفتاة وصار منظرهُ قبيحاً واصبحت هذه المسكينة معرضة بسبب قصر جفنيها العلويين لجفاف الملتحمة فضمورها فتقرح القرنية فتلفها فالعمى . أليست هذه الجناية مما يقضي بالعجب ونحن تحت ظل حكومة عادلة ذات قوانين صارمة . واعجب من ذلك هو ان تلك الفتاة المظلومة لم تكن مصابةً بداء الشعرة مطلقاً فقد وجدتُ بعد البحث المدقق ان كل اهدابها متجهة الى الامام والاعلى كما هي الحالة الطبيعية . واعجب من هذا وذاك ان تلك الدجالة الجانية اخذت من ابي الفتاة في مقابل ذلك الفعل الفظيع ثمانية جنيهات حتى الزمتهُ الى بيع ما في دارهِ

ولا شك ان وجود مثل هؤلاء الدجالين ضربة قاضية على ابصار المصريين ويجدر برجال الحكومة ان يبحثوا عنهم ويعاقبوهم على فظائعهم لينقطع دابرهم ويستريح الناس من شرهم وهم على ما يقال كثار العدد ومنتشرون في البلاد انتشار الوباء

الست ترى معي ان الجهل هو الذي يدفع البسطاء الى مشاورة الدجالين والعمل بمشورتهم والاكتحال بكاوياتهم التي تطمس البصر والتماس العمى من عملياتهم الجراحية . وهل بقي عندك ذرة من الريب في ان مثل هذه الامور لا تتناقص في بلاد مصر وما شاكلها من بلاد الشرق الاَّ باتساع نطاق التعليم . لان الولد متى شب في المدارس وتعلم وتهذب عرف ان لكل فنٍ رجالاً ولكل صناعة صناعاً وادرك خلافاً للجهلاء انهُ لا يجوز ان يكلَّف العطار بتطبيب العيون والدجال باعمال الجراحة كما لا يجوز ان يكلف المصور بعمل الاحذية والنجار بخياطة الثياب والكاتب ببناء البيوت والعربجي برصد الافلاك . ولكن كم سينقضي من الاعوام حتى نصل الى هذا الحد من الارتقاء والسواد الاعظم من سكان الشرق اميون لا يحسنون القراءة حتى اليوم

ستأتي البقية

الدكتور ابرهيم شدودي
طبيب العيون

امثال المتنبي

جمعها الصاحب بن عباد لفخر الدولة

ويليق بكل طالب ان يكثر من تلاوة هذه الابيات حتى يستظهرها ويصير قادرًا على استحضارها والتمثّل بها في المواقع التي يحسن التمثّل بها فيها . وقد علّقنا عليها حواشي تفسر ما نظنهُ غامضاً من كلماتها اتماماً للفائدة

فَعُدْ بها لاعدمتُها ابدًا خيرُ صلاتِ الكريم اعودُها
صبرًا بني اسحق عنهُ تكرُّماً ان العظيم على العظيم صبورُ
يمّمت شاسعَ دارهم عن نيّةٍ ان المحب لمن يحبُّ يزورُ (١)
فموتي في الوغى أربي لأني رأيتُ العيشَ في أرب النفوسِ
لو كان سُكناي فيهِ منقصةً لم يكنِ الدرُّ ساكنَ الصدفِ
غيرَ اختيارٍ قبلتُ برّك بي والجوعُ يرضي الأسودَ بالجيفِ
إذا قيلَ رفقاً قالَ للحلم موضعٌ وحلمُ الفتى في غير موضعِهِ جهلُ
يفنى الكلامُ ولا يحيطُ بوصفكم أيحيطُ . ما يفنى بما لا ينفدُ
يفدي بنيك عبيدُ اللهِ حاسدَهم بجبهة العير يفدى حافرُ الفرسِ (٢)
خيرُ الطيور على القصور وشرُّها يأوي الخراب ويسكنُ الناووسا (٣)
وما الكرمُ الطريف وان تقوّى بمنتصفٍ من الكرم التلادِ (٤)
وانّ الجرح ينفرُ بعد حين اذا كان البناء على فسادِ (٥)
يجني الغنى للئامِ لو عقلوا ما ليس يجني عليهم العدمُ (٦)
ودهرٍ ناسهُ ناسٌ صغارٌ وان كانت لهم جثث ضخامُ
وما انا منهمُ والعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغامُ (٧)
خليلك انتَ لا من قلتَ خلي وان كثُر التجمُّلُ والكلامُ
ولو حيز الحفاظ بغير عقل تجنّب عنق صيقلهِ الحسامُ (٨)

(١) النية الوجه الذي ينويهِ المسافر (٢) عبيد الله منادى والعير الحمار (٣) الناووس القبر
(٤) الطريف المستحدث وانتصف منهُ استوفى حقهُ والتلاد القديم الموروث (٥) نفر الجرح ورم ويروى نغر اي فار منهُ الدم (٦) يجني يجرُّ والعدمُ الفقر (٧) الرغام التراب (٨) الحفاظ الذود عن المحارم والصيقل من يصقل السيوف

وشبه الشيء منجذبٌ اليهِ . واشبهنا بدنيانا الطغام (٩)

ولو لم يرعَ الأَ مستحقٌ لرتبتهِ لسامهم المسام (١٠)

ولو لم يعلُ الأَ ذو محلٍ تعالى الجيشُ وانحطَّ القتام (١١)

ومن خبر الغواني فالغواني ضياءٌ في بواطنهِ ظلامُ

وما كلٌّ بمعذورٍ ببخلٍ ولا كلٌّ على بخلٍ يلامُ

تلذُّ لهُ المروءة وهيَ تؤذيهِ ومن يعشقْ يلذّ لهُ الغرامُ

وفيض نوالهِ شرف وعزٌّ وفيضُ نوالِ بعض القوم ذام (١٢)

اقامت في الرقاب لهُ ايادٍ هي الاطواق والناس الحمام (١٣)

وما الفضة البيضاء والتبر واحدٌ فنوعان للمكدي وبينهما صرف (١٤)

ولكل عين قرّة في قربهِ حتى كأنّ مغيبهُ الاقذاء

ولكن حبًّا خامر القلب في الصبا يزيدُ على مرّ الزمان ويشتدُّ

واصبح شعري منهما في مكانة وفي عُنق الحسناء يستحسن العِقدُ

في سعة الخافقين مضطربٌ وفي بلاد من اختها بدل (١٥)

ابلغُ ما يطلب النجاح بهِ الط بعُ وعند التعمق الزللُ

ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريض يجد مرًّا بهِ الماء الزلالا

ما كلُّ مَن طابَ المعالي نافذًا فيها ولا كلُّ الرجال فحولا

الحب ما منع الكلام الالسنا والذ شكوى عاشق ما اعلنا

ومكايدُ السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى

لُعنت مقارنة اللئيم فانها ضيف يجر من الندامة ضيفنا

وانفس ما للفتى لبهُ وذو اللب يكرهُ انفاقهُ

لا افتخارٌ الاَّ لمن لا يضامُ مدرك او محارب لا ينامُ

ذل من يغبطُ الذليل بعيش ربَّ عيش اخفُّ منهُ الحِمامُ

كل حلم اتى بغير اقتدار حجةٌ لاجئٌ اليها اللئامُ

---

(٩) الطغام اوغاد الناس (١٠) لم يرعَ اي لم يسُسْ و يروى اسامهم المسام . اي ساسهم من يسوسونه (١١) القتام الغبار (١٢) النوال العطاء والذام العيب (١٣) الايادي النعم والحمام الطائر المعروف ويكون مطوقًا (١٤) المكدي الفقير والصرف التفاوت (١٥) الخافقان الشرق والغرب والمضطرب مكان الجولان

مَنْ يهنْ يسهل الهوان عليهِ ما لجرح بميت إيلامُ
ان بعضاً من القريض هراءٌ ليس شيئاً وبعضهُ احكامُ
وربما فارق الانسان مهجتهُ يوم الوغى غير قالٍ خشية العار (١٦)
افاضلُ الناسِ اغراضٌ لدى الزمنِ يخلو من الهمّ اخلاهم من الفطنِ
فقر الجهول بلا عقل الى ادبٍ فقر الحمار بلا رأس الى رسنِ
لا يعجبنَّ مضيماً حسن بزّتهِ وهل يروق دفيناً جودة الكفنِ (١٧)
الى مثل ما كان الفتى يرجع الفتى يعودُ كما ابدي ويكري كما ارمى (١٨)
انعمْ ولذّ فللامور اواخرٌ ابداً كما كانت لهنَّ اوائلُ
واذا اتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كاملُ
في الناس امثلة تدور حياتها كمماتها ومماتها كحياتها
ومن ينفق الساعات في جمع مالهِ مخافة فقر فالذي فعلَ الفقرُ
ضروب الناس عشّاق ضروبا فاعذرهم اشفّهم حبيباً (١٩)
ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوّاً لهُ ما من صداقتهِ بدٌّ
واكبر نفسي عن جزاءٍ بغيبة وكل اغتياب جهد من لا لهُ جهدُ
فما في سجاياكم منازعة العلا ولا في طباع التربة المسك والندُّ
من الحلم ان تستعمل الجهل دونهُ اذا اتسعت في الحلم طرق المظالمِ
اذا لم تكن نفس النسيب كأصلهِ فماذا الذي يغني كرام المناسبِ
لو كان يمكنني سفرت عن الصبى فالشيبُ من قبل الاوان تلثّمُ
والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرمُ
ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ واخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلق ينسى الذي يولي وعافٍ يندمُ
لا تخدعنك من عدوك دمعة وارحم شبابك من عدوٍّ ترحمُ
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ
يؤذي القليل من اللئام بطبعهِ من لا يقلُّ كما يقلُّ ويلؤمُ
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلمُ

(١٦) المهجة الروح والقالي المبغض (١٧) المضيم المظلوم (١٨) ابدي خلق واكرى نقص وارمى زاد
(١٩) الضروب الانواع والاعذر الاحقّ بالعذر والاشف الافضل

ومن البليّة عذلُ من لا يرعوي عن جهلهِ وخطاب من لا يفهمُ
والذل يظهر في الذليل مودة واودُّ منهُ لمن يودُّ الارقمُ[٣٠]
ومن العداوة ما ينالك نفعهُ ومن الصداقة ما يضرُّ ويؤلمُ
افعال من تلدُ الكرام كريمةٌ وفعال من تلدُ الاعاجم اعجمُ
ولكن الغيوث اذا توالت بارض مسافر كره الغماما
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في امر عظيمِ
يرى الجبناء ان العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيمِ
وكل شجاعة في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في الحكيمِ
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفتهُ من الفهم السقيمِ
ولكن تأخذ الآذان منهُ على قدر القرائح والفهومِ
كلامُ اكثر من تلقى ومنظره مما يشق على الآذان والحدقِ
والغنى في يد اللئيم قبيحٌ قدر قبح الكريم في الاملاقِ
ومن قبل النطاح وقبل يأني تبين لك النعاج من الكباشِ
ويظهر الجهل بي واعرفهُ والدرُّ درٌّ برغم من جهلَهْ
نصرت كالسيف حامداً يدهُ ما يحمدُ السيف كلُّ من حملَهْ
وقد يتزيَّا بالهوى غير اهلهِ ويصطحب الانسان مَن لا يلائمُهْ
فني تغرم الاولى من اللحظ مهجتي بثانية والمتلف الشيءَ غارمهُ[٣١]
وما خضب الناسُ البياض لانهُ قبيحٌ ولكن احسن الشعْر فاحمهْ
وما كل سيف يقطعُ الهامَ حدهُ وتقطع لزبات الزمان مكارمهُ[٣٢]
واذا كانت النفوسُ كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ
فكثيرٌ من الشجاع التوقي وكثيرٌ من البليغ السلامُ
ومن لم يعشق الدنيا قليلٌ ولكن لا سبيلَ الى الوصالِ
نصيبك من حياتك من حبيب نصيبك في منامكَ من خيالِ
ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجالِ
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

(٣٠) الارقم اخبث الحيات (٣١) اي فني لانظرك نظرة ثانية تردُّ اليَّ مهجتي التي تلفت بالنظرة الاولى لان متلف الشيء غارمهُ (٣٢) اللزبات الشدائد

فان تفقِ الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزالِ
الى مَ طماعية العاذلِ ولا رأي في الحب للعاقلِ
يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقلِ
خذوا ما اتاكم بهِ واعذروا فان الغنيمة في العاجلِ
اعلى الممالك ما يبني على الاسلِ والطعن عند محبيهنَّ كالقبلِ
ولا يجير عليهِ الدهر بغيتهُ ولا تحصن درعٌ مهجة البطلِ[23]
بذي الغباوة من انشادها ضررٌ كما تضرُّ رياح الورد بالجعلِ
اذا ما تأملت الزمان وصرفهُ تيقنت ان الموت ضربٌ من القتلِ
وما الدهر أهل ان تؤمل عندهُ حياة وان يشتاق فيهِ الى النسلِ
وربما قالت العيون وقد يصدق فيها ويكذب النظرُ
اعاذك الله من سهامهمِ ونخطئ مَنْ رميَّهُ القمرُ
واذا وكلتَ الى كريم رأيهُ في الجود بان مذيقهُ من محضهِ
ان الرياح اذا عمدن لناظر اغناهُ مقبلها عن استعجالهِ
دون الحلاوة في الزمان مرارةٌ لا تختطى الأَّ على أهوالهِ[24]
وهل تغني الرسائل في عدوٍ اذا ما لم يكنَّ ظبىً رقاقا
وان جزعنا لهُ فلا عجب ذا الجزر في البحر غير معهودِ
فما ترجي النفوس من زمن احمد حاليهِ غير محمودِ
من يعرف الشمس لا ينكر مطالعها او يبصر الخيل لا يستكرم الرمكا[25]
وما ذاك بخل بالنفوس على القنا ولكن صدم الشر بالشرّ احزمُ
اهل الحفيظة الأَّ ان تجربهم وفي التجارب بعد الغي ما يزعُ[26]
ليس الجمال لوجه صحَّ مارنهُ انف العزيز بقطع العز يجتدعُ
والمشرفية لا زالت مشرفة دواءُ كل كريم او هي الوجعُ
لا تحسبوا من اسرتم كان ذا رمق فليس تأكلُ الأَّ الميتَ الضبعُ
من كان فوق محل الشمس موضعهُ فليس يرفعهُ شيءٌ ولا يضعُ

(٢٣) اجارها عليهِ منعهُ منها (٢٤) تختطى اي تجاز للوصول الى الحلاوة
(٢٥) الرمك ج رمكة وهي البرذونة تتخذ للنسل
(٢٦) الحفيظة الحمية والغي الاغترار ويزع يردع

فقد يظن شجاعاً من به خرَق وقد يُظن جباناً من به زَمَع (٢٧)
ان السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المخلب السبُعُ
وما الخوف الاَّ ما تخوَّفهُ الفتى وما الامن الاَّ ما رآهُ الفتى امنا
وحيد من الخلان في كلّ بلدة اذا عظُم المطلوب قلّ المساعدُ
بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائدُ
وكل يرى طرق الشجاعة والندى ولكن طبعَ النفسِ للنفس قائدُ
فان قليل الحبِّ بالعقل صالحٌ وان كثير الحب بالجهل فاسدُ
وقد فارق الناس الاحبة قبلنا واعيا دواءَ الموت كلُّ طبيبِ
وللترك للاحسان خيرٌ لمحسنٍ اذا جعل الاحسان غير ربيبِ (٢٨)
فرب كئيب ليس تندى جفونهُ وربُّ كثير الدمع غيرُ كئيبِ
وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد ان يأتي لها بضريب (٢٩)
ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينهِ حتى يرى صدقها كذبا
ومن تكن الاسدُ الضواري جدودهُ يكن ليلهُ صبحاً ومطعمهُ غصبا
اعيذها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسبَ الشحمَ في مَنْ شحمهُ ورمُ
(اذا ترحلتَ عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون همُ)
وما انتفاعُ اخي الدنيا بناظرهِ اذا استوتْ عندهُ الانوار والظلَمُ
اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظننَّ ان الليث يبتسمُ
ان كان سرَّكمُ ما قال حاسدنا فما لجرحٍ اذا ارضاكمُ أَلمُ
وبيننا لو رعيتمْ ذاكَ معرفةٌ ان المعارفَ في اهل النهى ذِممُ
شر البلادِ بلادٌ لا صديق بها وشر ما يكسبُ الانسانُ ما يصِمُ (٣٠)
وشر ما قنصتهُ راحتي قنصٌ شهبُ البزاةِ سواءٌ فيهِ والرخمُ (٣١)
وان كان ذنبي كل ذنب فانهُ محا الذنبَ كلَّ الذنب من جاء تائبا
وما صبابة مشتاق على املٍ من اللقاء كمشتاق بلا املِ
والهجرُ اقتل لي مما اراقبهُ انا الغريق فما خوفي من البلَلِ
خذ ما تراهُ ودعْ شيئاً سمعت بهِ في طلعةِ الشمس ما يغنيك عن زحلِ

(٢٧) الخرق الطيش والزمع الارتعاد (٢٨) ربيب تام (٢٩) الضريب المثيل (٣٠) يصم يعيب
(٣١) الرخم طائر ضعيف

ان كنت ترضى بان يعطوا الجزى بذلوا   منها رضاك ومن للعور بالحولِ [٣٢]

لعل عتبكَ محمودٌ عواقبهُ   وربَّما صحتِ الاجسامُ بالعلَلِ

لان حلمك حلم لا تكلفهُ   ليس التكحُّل في العينين كالكحلِ

وما ثناك كلامُ الناس عن كرم   ومن يسدُّ طريق العارض الهطلِ

وليس يصحُّ في الاذهان شيءٌ   اذا احتاجُ النهارُ الى دليلِ

وما كمدُ الحسادِ شيءٌ قصدتهُ   ولكنهُ من يزحم البحرَ يغرقِ

واطراق طرف العين ليس بنافعٍ   اذا كان طرفُ القلب ليس بمطرقِ

ومن كنت بحرًا لهُ يا علي   يُّ لا يقبل الدرَّ الاَّ كبارا

ليالِيَّ بعد الظاعنين شكول   طوال وليل العاشقين طويل [٣٣]

فان تكن الايام ابصرن صولهُ   فقد علَّم الايام كيف تصولُ

ايدري ما ارابك من يريبُ   وهل ترقى الى الفلك الخطوبُ

يجمشك الزمان هوى وحبًا   وقد يؤذى من المقة الحبيب [٣٤]

لكل امرئٍ من دهرهِ ما تعودا   وعادات سيف الدولة الفتك في العدى

وما قتل الاحرار كالعفو عنهمُ   ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

اذا انت اكرمت الكريم ملكتهُ   وان انت اكرمتَ اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

وقيَّدت نفسي في ذراك محبةً   ومن وجد الاحسان قيدًا تقيدا

واتعب من ناداك من لا تجيبهُ   واغيظ من عاداك من لا تشاكلُ

وما تركوك معصيةً ولكن   يُعافُ الوردُ والموتُ الشرابُ

ترفقْ ايها المولى عليهم   فان الرفق بالجاني عتابُ

وما جهلت اياديك البوادي   ولكن ربما خفي الصوابُ

وكم ذنبٍ مولّدهُ دلالٌ   وكم بعدٍ مولدهُ اقترابُ

وجرمٍ جرهُ سفهاءُ قومٍ   فحلَّ بغير جارمهِ العذابُ

ومن طلب الفتح الجليل فانما   مفاتيحهُ البيض الخفاف الصوارمُ

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا   اذا لم يكن فوق الكرام كرامُ

(٣٢) اي اذا رضيت اعطوا الجزية فدية كما يختار الحول على العور

(٣٣) شكول جمع شكل اي متشابهة (٣٤) يجمشك يغازلك والمقة المحبة

فان تكُ لا تعطي الذمام طواعةً نعوذُ الاعادي بالكريم ذمامُ
وشرُّ الحامين الزؤامين عيشةً يذلُّ الذي يختارها ويضامُ
وما الحسن في وجه الفتى شرف لهُ اذا لم يكن في فعلهِ والخلائقِ
وما بلد الانسان غير الموافقِ وما اهلهُ الادنون غير الاصادقِ
وما يوجع الحرمان من كف حارمٍ كما يوجعُ الحرمان من كفِّ رازقِ
ولو لم يبقِ لم تعش البقايا وفي الماضي لمن ابقى اعتبارُ
لعلَّ بنيهمُ لبنيكَ جندٌ فاوَّلُ قُرَّح الخيل المهارُ
وما في سطوة الارباب عيب وما في ذلة العبدان عارُ
لك إلف تجرهُ واذا ما كرُمَ الاصل كان للالف اصلاَ
ان خير الدموع عونًا لدمعٌ بعثتهُ رعايةٌ فاستهلاَّ
واذا لم تجد من الناس كفوءًا ذات خدرٍ تمنت الموت بعلا
ولذيذ الحياة انفس للنفس واشهى من ان يُمَلَّ واحلى
واذا الشيخ قال افٍّ فما ملَّ حياةً وانما الضعف ملاَّ
آلةُ العيش صحةٌ وشبابٌ فاذا وليّا عن المرء ولّى
ابدًا تسترد ما تهب الدنيا فياليت جودها كان بخلا
ربَّ امر اتاك لا تحمد الفـ عّال فيهِ وتحمد الافعالا
والعيان الجليّ يحدث للظن زوالاً وللمراد انتقالا
واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحدهُ والنزالا
اقسموا لا رأوك الاَّ بقلب طالما غرت العيون الرجالا
انما انفس الانيس سباع يتفارسنَ جهرة واغتيالا[٣٥]
من اراد التماس شيءٍ غلابا واغتصابًا لم يلتمسهُ سؤالا
كل غادٍ لحاجة يتمنى ان يكون الغضنفر الرئبالا
ورفلت في حلل الثناء وانما عدم الثناء نهاية الاعدام
الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اولٌ وهي المحل الثاني
ولربما طعن الفتى اقرانهُ بالرأي قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان

(٣٥) الانيس الانس اي البشر و يتفارسنَ يفترس بعضهنَّ بعضًا

عروسة النيل

الفصل السادس والثلاثون

بكّرت كاترينا في النهوض من النوم كعادتها ونزلت الى البستان فابصرت فيلبس آتيًا الى بيت روفينس فاستوقفتهُ وتوسلت اليهِ ان يكتم ما رأى في الليلة السابقة لئلاَّ يدري بهِ ذووها فوعدها خيرًا ثم انبأها بوفاة نفورس زوجة المقوقس وقال انها ماتت غمًّا وحزنًا. فجزعت وبكت حتى سالت دموعها على خديها وتذكرت احسان المتوفاة اليها وحبها لها واحتفاءها بها واهتمامها بشؤونها فاخذ الطبيب يعزيها بما حضرهُ من الكلام الرقيق وقبل ان فارقها اوصاها بوجوب حرق ثيابها وثياب دورا قائلاً ان جراثيم الوباء تعلق بجميع ما يلامسها ولا سيما النسيج فاذا مسَّ مصاب بهِ ثياب شخص سليم لوثها فانتقلت العدوى اليهِ وانتشرت فقلقت كاترينا واخبرتهُ بانهما حرقتا جميع ما كان عليهما من الثياب في موقد الحمَّام

ولما انصرف الطبيب اخذت تخطر في البستان على غير هدًى مفكرةً في ما آلت اليهِ الحال وحاولت التملص من هذه الافكار فلم تفلح وتمثلت لها المصايب سلسلة بدت اول حلقاتها لعينيها ولا تعلم اين تنتهي وخيل لها ان في الجوّ عاصفة ستنقضُّ على المدينة فتذيق من فيها العذاب الاليم ووراء العاصفة سحابة قاتمة السواد هي الوباء. ولم يخفَ عليها ما كان لها من اليد في جرّ ذلك الخراب المشوم وتلك النوازل المفجعة لكنَّ علمها بعظم الشر الذي جلبتهُ لم يدفعها الى النوم بل هاج حقدها واثار كامن غيظها فاحسَّت بقوة شيطانية فيها تحاول اهلاك مبغضيها ومحق مناظريها فقالت في نفسها كأني أرى اوريون يقاد الى القتل لكنهُ قد يموت قبل ان اطلعهُ على من دبَّر المكيدة لهُ فآخذ بثاري فاذا نجا من الموت عاش فقيرًا اذ لا يصدق ان العرب يردون اليهِ ما غنموهُ من اموالهِ وفي ذلك ما فيهِ من العار والذل فيعلم ذلك الفتى الخائن ان من البنات من لا تصبر على الضيم ولا تطيق الاذى واما باولين ودورا فالتي حفرت الحفرة لاوريون لا يعسر عليها ان تلقيهما في التهلكة

وكان رستم المجوسي وماندانى الفارسية جالسين تحت جميزة كبيرة في بستان روفينس وفي يد رستم وشيعة من الصوف تلفُّ ماندانى خيوطها على كرة فرآهما الطبيب كذلك فراقهُ منظرهما وابرقت اسرَّتهُ وحمد ربهُ على شفاء الفتاة من جراحها ولبث يتأملها ساعة وقد بدت سمات العقل والادراك في عينيها ووجهها ثم دنا منهما وحياهما وقال كيف انتما فقال رستم مثلنا في الصحة مثل السمك في الماء فقال فيلبس اياك والوقوع في الحبائل والاشراك فقد يدعوك

هاشم اليهِ في ساعة لا تعرفها ثم ادار ظهرهُ ومشى الى البيت وهو يقول في نفسهِ ليس في هذا العالم ما يشرح صدري اليوم سوى هذين وماري . ولما دخل ابصر هيلانة تهيئ المائدة للفطور فتضع العنب والتين والرمان في الصحف امام مجالس الآكلين والدموع تسيل على خديها فعلم انها تبكي اباها فتذكر رسالة روفينس اليهِ وما كتبهُ عن ابنتهِ فوقف يتأمل حركاتها فاعجبتهُ لباقتها وحسن ذوقها واكبر جمال شعرها الذهبي وقد تدلّى على كتفيها كانهُ حبال من النور فقال ليس في اثينا ما هو ابدع من هذا وحينئذٍ تحوّلت هيلانة عن مكانها فرأتهُ واقفاً يتأملها فبدا الاضطراب والدهشة في وجهها فحيتهُ باسمة فاجاب التحية باحسن منها وقال هانذا قد جئت

فقالت الحمد لله فامي في حاجة اليك

فقال اتيتكم امس باخبار السوء واراني بشير الشؤم اليوم

فقالت أفأنت تأتي باخبار السوء قالت ذلك وابتسمت ابتسامة الريب ففكر فيلبس وقال في نفسهِ انها طاهرة القلب سليمة النية كريمة الاخلاق بارعة الجمال ولا غرو فهي ابنة ابويها ثم طفق يحدثها بموت نفورس زوجة المقوقس وما اتفق لها من اسباب الغمّ قبل وفاتها فتأثرت هيلانة علماً منها بما سيكون لهذا النبإ من سوء الوقع في نفسي باولين وماري ولم يخفَ على الطبيب علة حزنها فانها لم تكن تعرف المتوفاة فزادهُ ذلك احتراماً لها وعزم من تلك الساعة على مفاتحة امها بشأن رسالة ابيها اليهِ ولحظت هيلانة سكوتهُ فراعها واوجست خيفةً لئلاً يكون لديهِ نبأ آخر مشومٌ فسكّن روعها وقال لا تستسلمي لليأس فلا بدَّ من وقوع المصايب وسيوافيكِ المستقبل بايام الصفاء والرغد فانتِ لا تزالين في سنّ الصبوة ألا تثقين بي فاجابت بالايجاب ولما قالت ذلك طلع عليهنَّ اهل البيت فانبأهنَّ بوفاة نفورس فشهقت ماري والقت نفسها على باولين فاحتضنتها هذه واصفرّت لكن رزانتها عاودتها فالزمت السكوت وهي تسمع تفاصيل الخبر فلما رأى الطبيب منها ذلك التعقل اكبرهُ وعاودهُ اضطرابهُ فلم يكد يتم حديثهُ حتى استأذن في الانصراف وخرج فمرّ برستم وماندافي فقال رستم ارى الطبيب كئيباً اليوم وعهدي بهِ طلق المحيّا فقالت ماندافي صدقت فلأمر ما تبدَّل وكانا يتكلمان بالفارسية

فقال رستم أصحيح انكِ تستائين اذا دعاني هاشم اليهِ

فقالت نعم فاذا فارقتني يا رستم تكدر صفو عيشي

فقال وما يحزنكِ

فقالت لقد كنت لي صديقاً صدوقاً وانت فارسيٌّ مثلي بلادك بلادي ولغتك لغتي وانت اول من خاطبني بالفارسية بعد موت امي

فقال افهذا علة حزنكِ الوحيدة

فقالت كلاَّ فانك اذا ذهبت اليوم فلن تعود

فقال فانتِ ترغبين في بقائي معكِ

فقالت اترتاب في ذلك وقد فرحت بلقائك فرحًا عظيمًا ولما قالت هذا صبغ الحياء وجهها فحوَّلت نظرها عنهُ

فقال فعلامَ نفترق اذًا

فقالت قد يكون سيدك في حاجة اليك فيدعوك ولا يسعنا ان نبقى عالة على غيرنا امَّا وقد اعتقوني فسأبحث عن عمل اتعيش منهُ ومن كان في قوتك وسنك فلا يجب ان يستسلم الى الكسل

فقال اكره الامور اليَّ الكسل فساعمل واكسب من المال ما يكفي ثلاثة وقد عقدت النية على العودة الى وطني فاشتري ارضًا واعنى بتربية المواشي وعندي من المال ما يكفي ذلك اتعرفين القراءة فقالت لا فقال انا اجهل منكِ بها فاعلمي اذًا ان في منطقتي صكًّا بخط سيدي وتوقيعهِ وفيهِ انهُ مديون لي باحد عشر الف درهم وثلاث مئة وستين درهمًا فما قولكِ ألاَ استطيع ابتياع ارضًا بهذا القدر من المال

فقالت نعم لاسيما في بلاد فارس

فقال اعلمي انني فارقت بلادي منذ تسع سنوات وانا الآن في التاسعة والعشرين وفي قلبي حنين الى وطني وارى زمان العودة اليهِ قد حان فاذا رضيتِ اخذتكِ معي فكنتِ زوجتي وقضينا الحياة في هناء وسرور قال ذلك وقبض على يدها فاضطربت وقالت اني اسيرة فضلك وغريقة معروفك لكني لا استطيع ان اكون زوجتك . فقال مغضبًا وما علَّة رفضك فقد مرَّ بي زمن وانا اعلل النفس بهذه الامنية فالقت يدها على ذراعهِ وقالت بلطف

ما اسرع غيظك ان فراقك يؤلمني وبي من الحب اضعاف ما بك ولطالما تمنيت ان اعود الى بلادي معك كزوجتك وكأَنك نسيت من انا فماذا يكون من امرك اذا عدت الى قومك واهلك وزوجتك جارية معتقة

فقال أَهذه علة إِبائكِ وغاب عنكِ انني مجوسي وان الناس في عين المجوسي اكفاءٌ فاعلمي انهُ سيأتي زمان تنسخ فيهِ نواميس هذا العالم الفاسدة فلا يبقى البشر سيدًا وعبدًا بل اخوة لا ميزة للواحد على الآخر وتصير الارض فردوسًا والحياة نعيمًا فتبطل الحروب والخصومات وينتهي الشقاء ولا اخالكِ تجهلين ان رباط الزواج محترم ومقدس عندنا ولو لم يكن لنا من

الطقوس فيهِ ما للنصارى فاذا رآكِ شعبي اعتبروكِ اسيرة حرب لا جارية واعتبروني منقذاً لكِ . ويشهد الله اني لو لقيتكِ تئنين تحت نير العبودية لمددت يدي الى منطقتي واخرجت فداءكِ من المال وحملتكِ الى بلادي زوجة لي فاقلعي عن اوهامكِ

فسكتت ماندانى لكنها اشارت الى اذنيها المصلومتين فقال اراكِ لا تملين من القاء العثرات في سبيلي لكن صلم اذنيكِ لم يؤثر في سمعكِ ومن يستطيع تمييزها بعد ان عقصت السيدة هيلانة شعركِ على هذا النمط ولعلكِ تذكرين نقاب النساء في فارس فانهنَّ متى لبسنهُ لا يستطيع الناظر اليهنَّ ان يرى اذني المرأة فلا يدري اطويلتان هما ام قصيرتان . ثم ضحك طويلاً ضحك الفائز فاخذت هي تبكي حتى اوجعتهُ فقال ما يبكيكِ قولي ولا تخفي عني صغيرة او كبيرة ثم فطن وقال لا تفعلي فقد ادركتُ علة حزنكِ وذلك ما حدا بي الى التردد والاحجام حتى كدت اخسر راحتي واضيع سعادتكِ فكيف تلامين على ما جرى رغماً عنكِ وانتِ جارية صغيرة السن لا قوة لكِ ولا عضد وحسبكِ ان رجلاً ساذجا مثلي يرى وجه الصواب في الامر ويعلم انكِ بريئة من كل ذنب فاعلمي انني نسيت هذا الامر وسأنساهُ الى الابد . فامسكت يدهُ وقبلتها وقالت

— انت خير الناس يا رستم وستباركك امي من قبرها فانا في يديك ورهن اشارتك فقد كان الامر كما قلت فاساءوا اليَّ وانا فتاة قليلة الدربة معدومة التدبير وليس لي من استند اليهِ وارى الماضي كحلم مزعج انقضى الآن

— فقال صدقتِ فسنعود الى بلادنا ونمتع العين برؤية تلك المناظر البديعة التي نهيم بها ونذكرها في غربتنا وكما ان الامَّ لا تقلع عن حب ابنها اذا رزقت غيرهُ فتحب الاثنين كذلك انتِ فقد احببتِ واحداً ولكن في استطاعتكِ ان تمنحيني جزءا كبيراً من حبكِ

فقالت ان ما في فؤادي من الحب والاخلاص هو لك وحدك فقط

فقال هذه اسعد ساعات حياتي فقد جلست تحت هذه الجميزة رجلاً فريداً وحيداً غريباً وساقوم من تحتها خطيباً لاجمل فتاةٍ في العالم وهكذا جلسا يتحدثان غير حافلين بالحرّ الشديد وهو يطرح عليها الاسئلة التي يسألها المحبون فكفَّت عن الخياطة واندفعت بكليتها اليهِ تصغي الى كلامهِ وتجيبهُ اجوبة الحبيب المخلص

الفصل السابع والثلاثون

لم تقعد شدة الحرّ عبادة عن متابعة عملهِ فقضى النهار يطوف في قصر المقوقس وهو يقلّب ما فيهِ من متاع ورياش لعلّهُ يعثر على ما يؤيد التهمة على اوريون فادهشهُ ما رأى من

الحلى والجوهر والتحف النادرة واكبر ما في البيت من الاثاث الكثير الفاخر واعجبتهُ روائح الطيوب الغالية في غرفتي نفورس وابنها فايقن ان هنالك من الثروة ما لم يحلم بهِ عربي في مصر. وكان الترجمان يعرّب لهُ ما يجدهُ من العقود والصكوك والالواح فلم يكن فيها جميعًا ما يطلبهُ حتى وصلا الى غرفة اوريون فتناول عبادة بعض الالواح المطروحة في ارض الغرفة ودفعها الى الترجمان فاذا في واحد منها ما يأتي

من اوريون بن المقوقس الى باولين ابنة توما سلام

انهُ يستحيل عليَّ الآن الاشتراك في انقاذ الراهبات فلا تلوميني واعلمي ان سموّ غايتكِ وغيرتكِ المحمودة على بنات جنسكِ المظلومات يكفيان ل .... وكانت الكلمات بعد هذه العبارة ممحوة لا تمكن قراءتها فلما وقف عبادة على مغزى الرسالة دسَّ اللوح في جيبهِ وعزم على اتخاذهِ حجة على كاتبهِ ولم يكن يجهل ما بين الفتى وباولين من الرُبط وانهُ وصيها والقيّم على اموالها فارتأى أن يلقي القبض عليها فيستنطقها لعلَّها تبوح ببعض السرّ فيأتي كلامها مصدقًا لتهمة البطريرك التي اتهم اوريون بها من سرقة الزمردة والسعي في انقاذ الراهبات لكنهُ اجَّل القيام بهذا العمل ريثما يفرغ من التنقيب في قصر المقوقس فاسرع الى الخزينة مستصحبًا نيلس وهناك امر باخراج عقود البيع والصكوك والنقود وحملها على مركبات وامر بنقلها الى الفسطاط ولم يذق ذلك النهار بطولهِ طعامًا ولا شرابًا خشية ان يفوت الوقت فلما فرغ من عملهِ جلس ينتظر مجيء مطران منف اذ نمي اليهِ خبر عودتهِ من الصعيد حيث لقي البطريرك بنيامين وقصَّ عليهِ واقعة الحال وتلقى اوامرهُ بشأنها وعهد اليهِ البطريرك بمهمة سرية الى عمرو او وكيلهِ . فلما رجع الى منف عوَّل على لقاء عبادة فآنس من نفسهِ ضعفًا ونعاسًا فنام على نية ان يفيق بعد ساعتين لكنهُ ابطأ في النهوض واعترتهُ حمَّى واصابهُ عطش شديد فارتاعت مدبرة بيتهِ وبعثت خادمهُ الى الطبيب فيلبس يدعوهُ لعيادة سيدها فرجع الخادم وقال ان فيلبس غائب عن منف وذلك ان هاشمًا ارسل يستدعيهِ الى جدَّة لتطبيب ابنهِ المريض

وفي الغد جاءت مارتينا زوجة يوستينوس الى بيت روفينس فلقيتها النساء بالترحاب ولمَّا ابصرت باولين سحرها جمالها وخلب لبُّها لطفها ووقارها فعطفت عليها تحدثها وكانت تعرف ابويها وقد لقيتهما ايام عزهما في القسطنطينية فاطنبت في مدحهما والثناء عليهما ثم اتت على ذكر اوريون فاعربت عن ميلها اليهِ واحترامها لهُ ووصفت ما لقيهُ من الحفاوة والاكرام في العاصمة وما اصابهُ من الفوز على جميع شبَّان تلك المدينة وافاضت في الكلام حتى مالت اليها باولين فانتفى حذرها وصارتا تتكالمان كما تتكالم الصديقات وجاء من يدعو باولين فنهضت وودعت

مارتينا قائلة سنلتقي قريباً ان شاء الله وساسعى بنفسي اليكِ فانا الصغرى ومن واجباتي السعي لزيارتكِ ولما خرجت صاحت مارتينا لله ما اجملها فهي ابنة ابويها ولم تقع عيناي على اجمل منها وقد زيّنها الباري بالاخلاق الكاملة والاوصاف الباهرة ثم التفتت الى كاترينا وقالت لقد كذب من نقل اليَّ اخبار السوء عن هذا الملاك فهي جوهرة كريمة ودرة يتيمة ولا يخفى عليَّ الآن علة كرهكِ لها فاننا نبصر الاشياء كما نروم ان نبصرها لا كما هي ثم تنهدت وقالت في نفسها يالسوء بخت دورا فلا يسعني الاَّ الاعتراف بميزة باولين عليها فأنَّى لدورا ان تناظرها. وحينئذٍ اندفعت كاترينا تدافع عن نفسها قائلة ان باولين مختالة متعجرفة رغماً عمَّا فيها من الاخلاق الطيبة والمزايا الشريفة فاعترضتها هيلانة وتولَّت الدفاع عن صديقتها كانها لبوءة تدافع عن شبلها ولم تكد تفوه ببعض كلمات حتى سمعنَ جلبة وضجة في الدار ودخلت عليهنَّ مرضع باولين وهي تنوح وتلطم خديها فقالت

— وامصيبتاهُ فقد جاء العرب وهم يريدون القبض على حبيبتي باولين وزجها في السجن. فصعقت النساء لهذا الخبر وجزعنَ جزعاً شديداً فصاحت مارتينا

— تبًّا لهذا البلد أمثل هذا الملاك يسجن فيهِ وليس بين اهلهِ من يقول كلمة ايسرقونها خافية في الشوارع والازقة كأنها من القتلة ونحن قعود لكن سابذل ما في وسعي في اسعافها فاسرعي يا كاترينا ومريهم يأتوا بمركبتكِ ولا تحملقي بعينيكِ كالمتوهة فاركضي وافعلي ما قلتُ. ثم مدَّت يدها الى كيس النقود وقالت الحمد لله فهذه لغة يفهمها جميع الناس وسا كلمهم بها ثم نزلت الى الدار ودعت رئيس الجند فاسرَّت اليهِ شيئاً فاومأ بالقبول وامر ان يحملوا باولين في المركبة ووعدها بالاحسان الى الفتاة في سجنها واذن لمرضعها بمرافقتها امَّا باولين فتلقت الخبر بسكينة تامَّة كعادتها ولم يبدُ على وجهها شيءٌ من الاضطراب حتى اذا ما انطرحت النساء عليها يقبلنها انهمرت الدموع من عينيها فسألت الترجمان عن علة القبض عليها فقال ان المطران يتهمكِ بالاشتراكِ في تسهيل السبيل لفرار الراهبات فدنت حينئذٍ من زوجة روفينس وقالت احذري كاترينا فقد نمَّت بنا وجلبت علينا هذا الشرَّ العظيم اما انا فلن افوه بكلمة ولو قطعوا رأسي ثم ودعتهما وقبَّلت ابنتها هيلانة وشكرتهما على معروفهما وفضلهما واوصتهما خيراً بماري وقالت اذا جاء ابي فبلغاهُ سلامي وليحبَّ اوربون كابن لهُ وقولا لهما انني احببتهما الى آخر نسمة من حياتي فالوداع الوداع يا خير الصديقات وارادت كاترينا ان تدنو منها لتودعها فقبضت مارتينا على ذراعها واوقفتها قائلة قفي مكانكِ فليس لكِ نصيب في هذا العمل فبين هذه القلوب الطاهرة من الروابط ما لا يجد مكاناً من فؤادكِ . ولما طال زمان الوداع امر الرئيس بالاسراع والمسير

فتعلقت ماري بباولين واصرّت على مرافقتها الى سجنها وهي تبكي من كبدٍ مقروحة فدفعتها باولين برفق بعد ان قبلتها مراراً ثم ركبت المركبة فتبعتها كاترينا وقالت اليس عندكِ ما تقولين لي

فقالت شكراً لكِ على ما فعلتِ من اعارتي المركبة التي تحملني الى السجن ذلك السجن الذي ازج فيهِ بفضل خيانتكِ فاذا كنتِ بريئة مما اتهمتُكِ بهِ فاغفري لي والاَّ فقصاصكِ اشدّ من عذابي

الفصل الثامن والثلاثون

ولما رجعت كاترينا الى بيتها انبأَت امها بما اصاب باولين فشقّ الخبر عليها وبكت حزناً وغمّاً فقالت لابنتها يجب علينا ان نهتم في تخفيف بعض عذابها واسعافها في سجنها وسابذل جهدي في اعانتها على احتمال مصيبتها بالصبر وسارسل اليها الطعام من بيتنا فان طعام السجون لا يؤْكل. ثم اخذت تندب سوء حظ تلك الفتاة وتدعو لها بالخلاص العاجل من السجن والاسر اما كاترينا فكانت كمن ينقلب على الجمر فلم تذق طعم الراحة بعد الذي شهدتهُ ونالها من تقريع ضميرها عذاب شديد فطفقت تدور في البيت كالحائرة وهي لا تهتدي الى ما تفعل الى ان مضى اكثر الليل وحاولت النوم فلم تستطعهُ لان الارق والاضطراب نازلاها فاقلقا بالها وحرماها الراحة فخرجت عند الفجر الى الشرفة وجلست على كرسي فيها واطلَّت على النهر امامها تتأَمل السفن والمراكب الكثيرة واطلقت لافكارها العنان وفيما هي كذلك رأَت جنازة يتبعها عدد كبير من الخلق ثم تلاها اخرى فاستولى الرعب عليها واستحوذ عليها القلق فاطرقت خوفاً وخشيةً وخيل لها ان احدى الجنازتين لها ورأَت امها ميتة وقد خلفتها فريدة وحيدة لا انيس لها ولا صديق كأَنها شجرة اقتلعت جذورها او ورقة مطروحة على سطح اليمّ وحينئذٍ خطر ببالها ما تلقتهُ في المدرسة وما سمعتهُ في الكنيسة عن عقاب الاشرار وفاعلي الاثم وتمثلت لها جهنم مأْوى الخطأَة وبحيرة النار المحرقة حيث يطرح القتلة والهراطقة وشهود الزور فخفق قلبها جزعاً وتمنت لو تبتلعها الارض فتخلص من شقائها ثم رفعت رأْسها وصاحت كمن اصابهُ سهم اذ رأَت جهنم فاغرةً فاها والنار تنبعث منها فتتصاعد السنتها في الجوّ حتى يغص بها وابصرت الدخان يلتفُّ غيوماً تدور في الهواء وتنتشر في الفضاء وكأَن اللهيب يعمل على ابتلاع المدينة والنهر وما حولها وسمعت اجراس الكنائس تقرع ورأَت الوف السكان يتجمهرون في الشوارع وقد علت جلبتهم واختلطت اصواتهم يمازجها قعقعة الاسلحة حتى يخال السامع ان الارض زلزلت زلزالها فارادت ان تقف على جلية الخبر فاطلت على الشارع وانصتت فلم تسمع سوى كلمات متقطعة من مثل قصر الوالي — العرب — المقوقس — اوريون — النار — اطفئوها — انقذوا البيت وحينئذٍ ناداها البستاني

من اسفل وقال لقد احترق القصر فلينقذ الله المدينة فتخاذلت ركبتاها ومدَّت يديها تطلب ما تستند اليهِ وللحال طوقتها ذراعان والتفتت وابصرت امها وقد اسندتها الى صدرها

الفصل التاسع والثلاثون

تداعت اركان قصر المقوقس فاصبح بعد العز والرفعة انقاضًا ورمادًا ولم يبقَ من بيت زعيم المصريين سوى طلل بالٍ لبس ثوب الحداد على اهلهِ الغابرين واشتمل رداء الحزن على ما حلَّ بهم من المصايب والاهوال واندلع لسان اللهيب فامتدَّ الى الجزء الشمالي من المدينة والتهم مساكن الفقراء المجاورة للصحراء فبات مئات منهم بدون مأوى لكن عبادة ورجالهُ لم يألوا جهدًا في اخماد النار فانقذوا ما بقي من منف واعانهم المصريون من اهلها وكلهم يعجب ببسالة العرب وحسن تدبيرهم وشدة باسهم فانهم كانوا ينازلون النار بقلوب لاتهاب الموت ولاتحسب لهُ حسابًا

وتمَّ لعبادة ما تمناهُ فانهُ احرق القصر بعد ان نقل الى الفسطاط ما نقل من المال والتحف والعقود والصكوك . وفي ذلك اليوم عينهِ وصلت قافلة الى المحطة الاخيرة بين البحر الاحمر وحصن بابل وكان في القافلة اوريون ابن المقوقس وقد احاطت بهِ كوكبة من الفرسان تولَّت اسرهُ وحراستهُ واتت بهِ الى الفسطاط ليحاكم على ما اتُّهم بهِ وكان برفقتهم يوستينوس وابن اخيهِ الضابط الاسير . ورأى اوريون اللهيب يتصاعد من جهة منف وقد احمرَّ الافق فصار بلون الدم فلم يخطر ببالهِ انهُ بيتهُ وقصر اجدادهِ فلما بلغوا المحطة ترجل وفعل رفيقاهُ فعلهُ واقتدى بهم الجند وعرجوا جميعًا على الخان

وتحرير الخبر ان يوستينوس واوريون تبعا عمرًا حتى ادركاهُ فرفعا اليهِ امر الضابط الاسير فوعدهما خيرًا وطيب خاطر يوستينوس واعطاهُ وصاةً الى رئيس العمال حيث كان ابن اخيهِ يقاسي العذاب ويكرّع مرارة الاسر فأسرع الاثنان الى شاطىء البحر الاحمر فالفيا الاسير في غمرات المنون وقد انهكهُ الاعياء والمرض فنقلاهُ من مكانهِ واقاما على العناية بهِ حتى ردَّا اليهِ بعض قوَّتهِ واصبح يستطيع السفر فازمعوا على الرحيل والعودة الى منف. وفيما هم عائدون بسط اوريون لصديقهِ حقيقة حالهِ واطلعهُ على حبهِ لباولين ناسبًا جميع ما فيهِ من المحامد الى حسن ظنها بهِ وشدة تأثيرها فيهِ الى ان قال ولا اراني احب دورا كما تحبني فاذا تزوَّجت فباولين زوجتي لا سواها والذي يسوءني ان ثروتي تغل يديَّ عن العمل وبودي لو استطيع التخلص منها اذًا لكنت اتجر بما منحنيهِ الله من المواهب فاكتسب ثقة الناس واحترامهم باعمالي لا بمقامي وجاهي ومالي. فوقع كلامهُ في نفس صديقهِ وقعًا حسنًا لكنهُ اسف لخيبة امل نسيبتهِ وقال في نفسهِ سنعود ادراجنا الى القسطنطينية ومعنا اثنان في مقتبل العمر

يجب علينا تعزيتهما والعناية بهما هذا الذي كان اسيرًا تعيسًا وتلك التي برَّحها الوجد والهيام
ولما دخلوا الخان وجلسوا الى الطعام واحاط الفرسان باُوريون احاطة السوار بالمعصم لئلاَّ يفلت من ايديهم اقبل عليهم فيلبس الطبيب فانهُ كان يقصد جدة لمداواة ابن هاشم كما تقدم فنمي اليهِ امر اوريون فشقَّ عليهِ الخبر وساءهُ ان يبتلي هذا الفتى بالمصايب فاستأذن القائد وجلس بجانب اوريون فحدَّثهُ بما كان من احتلال الجند القصر فغضب اوريون وعزم على التظلم الى عمروٍ ثم نعي الطبيب اليهِ امهُ فاخذ الحزن منهُ كل مأخذ واغمي عليهِ واسرع اليهِ من حضر وعالجوهُ حتى افاق وهو ينوح ويبكي من فؤاد محروق فرثى الجميع لمصابهِ لا سيما العرب لما اعتادوهُ من اكرام الوالدات فابتعد الجند عنهُ احترامًا واغتنم الطبيب تلك الفرصة فأخبر اوريون بفرار الراهبات ونجاتهنَّ وموت روفينس ولم يكن يعلم بحرق القصر وسجن باولين فلم ينبئهُ بهما

وبعد ان استراحوا ساعة نهضوا الى خيلهم فركبوها واستأنفوا المسير الى الفسطاط واوريون كالذاهل لا يعي على شيءٍ وبدت جميع مصايبهِ هينة في جنب خسارة والدتهِ فلم يعد يكترث لمنزلهِ اعادهُ العرب اليهِ ام غنموهُ ونسي ما يتهدد حياتهُ من الخطر والعقاب وكان قلبهُ لا يسع سوى ذكرى امهِ والحزن على موتها بعيدة عنهُ وفيما هم في بعض الطريق طلع عليهم نفر من جند الفسطاط جاؤوا لملاقاتهم فأنبأوهم بخبر الحريق فدنا الترجمان من اوريون وترجم لهُ الخبر وقال لا تزال النار تعمل في المدينة فزادت لوعتهُ واحسَّ ان جبلاً هوى عليهِ فسحقهُ فاخذ يندب سوء حظهِ ويبكي منزل آبائهِ واجدادهِ ومباءة مجدهم وفخرهم وعزَّ عليهِ ان يخسر اباهُ وامهُ ويبيت بدون مأوى طريدًا اسيرًا لا منزل لهُ ولا سقف يظلهُ كأنهُ في سفينة ضاعت دفتها فعبثت بها الريح والامواج واصبح راكبها عرضة للغرق فقال في نفسهِ لذنب ما يقتصُّ مني الله. فهل اقترفت هذا الذنب او اخطأ اسلافي في عينيهِ فاوقع بي وانتقم لذنوبهم مني وشاء ان يفني هذا البيت فكنت الفرع الاخير فيهِ ثم عاودتهُ شجاعتهُ فقال ولكن على المرء ان يسعى الى الخير جهدهُ وسأظلُّ سائرًا في السبيل الذي اختطتهُ لنفسي فلا اخشى عدوًّا ولا ارهب شرًّا والامر لله ثم ذكر باولين فهزَّهُ الشوق اليها وتمنى لو يستطيع لقياها فيضمها اليهِ قبل مفارقة الحياة

ولما بلغوا الفسطاط اخذوهُ الى بيت القاضي عثمان وكان ساعتئذٍ في مجلس عقدهُ عبادة للنظر في امر منف ولم يخفَ على عبادة ما كان الباقون يضمرون لهُ من العدوان لا سيما القاضي وخالد امين بيت المال فهذان لم يكتماهُ ما كان يخالج فؤاديهما من سوء الظن بهِ

فوقف القاضي وقال لقد جرت يا عبادة واسرفت فعاقبة عملك تعود عليك ونحن جميعاً براء مما فعلت فلا ناقة لنا ولا جمل في هذا الامر. فاجاب عبادة وقال فعلت ما فعلت واني المسئول عن عملي وقد امرت باعداد الملاجئ للذين باتوا بدون مأوى ويشق عليَّ ان تروا رأيكم هذا فيَّ بعد ان ابليت البلاء الحسن فالقيت بنفسي في المهالك سعياً في انقاذ المدينة فافعلوا ما يروق في اعينكم . وبعد الاخذ والردّ اقرُّوا على تاجيل الحكم في الامر الى ان يوافيهم كتاب الخليفة من المدينة ردًّا على شكاويهم التي رفعوها اليهِ . ثمَّ نهض الجميع وانصرفوا وتركوا عبادة يحرق الارم ويقول في نفسهِ سألزم السكينة الى ان تقع الضربة القاضية في المدينة . . . وحينئذٍ دخل عليهِ رسول فحيَّاهُ وانبأَهُ بأمر اوريون وعودة الفرسان وقال لقد اخذوهُ الى بيت القاضي فصاح عبادة مغضباً وعلامَ لم يأتوا بهِ الى بيتي واني عامل الخليفة في هذه الديار فمرهم يخرجوهُ من بيت القاضي ثم قام الى بيتهِ وجلس ينتظر مجيئهم لكنهُ لم يلبث طويلاً حتى وافاهُ احد رجال القاضي فقال امرني القاضي ان اقرئك سلامهُ واقول ان الخليفة اقامهُ قاضياً على مصر وخوَّلهُ حق النظر في هذه الامور فاذا شئت ان ترى الاسير ففي بيتهِ او في سجن منف حيث يكون محبسهُ . فوقع هذا الكلام من نفس عبادة اسوأ وقع فهبَّ من مكانهِ واسرع الى بيت القاضي فلقي من عثمان سكينة وثباتاً اقعدا ما ثار من غيظهِ وحدتهِ فاخذ يعيد على مسمعهِ التهم الموجهة الى اوريون فقال القاضي سمعتها كلها وسينال الجاني عقاب ما جنت يداهُ فاذا كان اوريون انزلت بهِ القصاص ولو مكرهاً فقد عرفت اباهُ من قبلهِ خير معرفة فرأيت منهُ رجلاً فاضلاً كاملاً . فأصرَّ عبادة على انزال العقاب بأوريون حالاً واصرَّ القاضي على محاكمتهِ حتى يتضح ذنبهُ فاذا ثبتت جريمتهُ عوقب والاَّ اطلقوا سراحهُ . فاخذ عبادة يصيح والقاضي ساكت لا ينبس ببنت شفة وكأَنما هو جبل لا يتزحزح فلما فرغ عبادة قال القاضي

— لم يسمع بعد في الاسلام ان رجلاً كاوريون خدم الاسلام والمسلمين تنزع املاكهُ لمجرد شبهة عزيت اليهِ فاذا فعلت كما تقول فاين عدل الاسلام . فقال عبادة ولكن البطريرك اتهم اوريون بذنوب اقترفها ولم ننزع املاكهُ منهُ بعد وانما ضبطنا اموالهُ ووضعناها في مكان حريز حرصاً عليها من الضياع وفضلاً عن ذلك فبيدي لوح مكتوب بخط اوريون يثبت جريمتهُ واشتراك خطيبتهِ باولين في الجناية وقد امرت بحبسها وساتولى استنطاقها بنفسي وكأَنك نسيت او تناسيت اننا نفر قليل في هذه البلاد فاذا تجرأَ احد الاهالي على قتل جنودنا كما فعل ابن المقوقس فانَّى لنا بمناوأَتهم ودفعهم عنا اذا انتقضوا علينا وحاولوا سفك دمائنا

فقال القاضي لستَ اشدَّ مني اهتماماً بمعاقبة الجاني لكنني لا آذن بعقابهِ قبل ان اتحقق

جنايتهُ وانهُ الفاعل فاذا اردت استنطاق باولين فافعل اما المحاكمة فلن يتولاها غيري ولا اتنازل عنها لاحد فلم يرَ عبادة بدًّا من موافقتهِ

الفصل الاربعون

وبعد ظهر ذلك اليوم امتطى عبادة جوادهُ وسار الى سجن منف ولما وصل الى المدينة سأل عن المطران فقيل لهُ انهُ مات مطعونًا في الصباح فساءهُ هذا النبأ اذ كان يتوقع منهُ ان يكون شاهدًا على ما ارتكبهُ اوريون وباولين في تسهيلهما سبيل فرار الراهبات ولما دخل السجن امر الحراس فاتوهُ بباولين وكان يعرف اباها وقد شهد بنفسهِ قتالهُ وبلاءهُ في الشام فلما رأى الفتاة اخذ يحرضها على الاعتراف بجريمة اوريون ويغريها بالوعود الطائلة ليتخذ كلامها حجة عليهما كليهما وتهددها بالقتل اذا كتمت ما تعرفهُ اما باولين فقابلت وعودهُ بالاعراض وتهديدهُ بالاستخفاف واصرَّت على السكوت فلما آنس منها الاباء عمد الى الوعيد لفظًا وايماءً وهو يحسب انهُ يخيفها فيحملها على الاقرار واخيرًا قال لها لا ينفعكِ هذا الصمت فعندي كتابة تثبت جريتكما فاجابت قد يكون ذلك كما تقول لكنني لا اصدق حتى ارى اللوح الذي تشير اليهِ واتفهم مغزاهُ قال سترينهُ قريبًا يوم تقفين في مجلس القضاء

ولم يكن عبادة يجهل ان بين النساء من تضارع الابطال الشداد في البأس والصبر والبسالة وقد رأى نساء قومهِ يخرجن الى الجهاد غير خائفات الموت ولا مكترثات للجراح لكن جميع هؤلاء كنَّ زوجات وامهات برزن الى ساحة القتال حبًّا بزوج او ابن مدفوعات بعاطفة الدفاع عن اقرب الناس واعزهنَّ اليهنَّ واما الجواري فلا يبرحن الخباء فلما شهد من باولين ثباتها الغريب وعدم مبالاتها بوعيدهِ وقلة اكتراثها للموت اخذ العجب منهُ كل مأخذ فامر الترجمان ان يخبرها ان لا امل لها بالخلاص وان الموت عقابها فعلت وجهها الصفرة لكنها لم تبدِ اضطرابًا ولا جزعًا فعادت الى غرفتها حيث كانت المرضع بانتظارها ولما كانت شديدة الثقة ببراءتها القت اتكالها على الله وعلى ما كانت تعرفهُ وتسمعهُ من عدل قضاة المسلمين لكنها خشيت ان يكون لعبادة رأي في الحكم عليها فاستحوذ عليها القلق وجلست تفرك يديها ولم تكن تخشى المنون وانما شق عليها الموت قبل ان ترى اباها وقبل ان تبرهن لاوريون على اخلاصها في حبهِ وشدة تعلقها بهِ

وعاد عبادة فركب جوادهُ وسار في شوارع منف حتى وصل الى حيث مجلس المدينة فالفى حولهُ جمهورًا غفيرًا من الشعب فلكز جوادهُ واخترق صفوفهم ولم يقف ليسأل عن علة اجتماعهم بل ظلَّ سائرًا في طريقهِ حتى بلغ الجسر فعبر النهر عليهِ الى الفسطاط

اما اهل منف فاحاطوا بالمجلس وهم يصرخون ويطلبون من مشيري المدينة العون والاسعاف في ضيقهم وكان المجلس ملتئماً وقد اقفل اعضاؤهُ الابواب النحاسية واقاموا الحراس على المداخل خشية ان يهاجمهم الشعب فجلسوا حيارى لا يدرون ما يفعلون واخيرًا اطلَّ الرئيس على الجمهور وقال ان ما تطلبونهُ منا ليس في طاقة البشر القيام بهِ انستطيع ان نزيد الفيضان او في وسعنا تخفيف ويلات الوباءِ وهل لنا ان نمنع فساد الاثمار. فاجاب الشعب بصوت واحد نعم انكم تستطيعون فقد وليتم احكام المدينة على شرط ان تحسنوا حكومتها. ثم اخذوا يرشقون الحجارة فتتساقط من السقف المفتوح على الاعضاء حتى اضطر هؤلاء الى التخلي عن كرامي العاج وهرعوا الى ما وراء الاعمدة والتماثيل ليتقوها ولمَّا لم يلقَ الشعب مجيباً عمدوا الى الابواب فاخذوا يقرعونها بايديهم ليفتحوها فاستولى الخوف على من في المجلس وحسبوا ان الساعة قد اقتربت وبغتةً هدأت الجلبة وكفَّ الشعب عن الصياح ثم علت اصوات الهتاف والفرح وسمعوا الجمهور يصيح قائلاً اهلاً وسهلاً بالشيخ الحكيم اعنَّا ايها الاب الصالح فعندك كنوز حكمة القدماءفادخل المجلس ودلَّ هؤلاء المثرين قساة القلوب على السبيل المؤدّي الى الخير. فتاق رئيس المجلس الى معرفة ذلك الحكيم ورؤيتهِ فتسلق سلماً واشرف على الجمهور من نافذةٍ عاليةٍ فرأى شيخاً وقورًا مترديًا ثيابًا بيضاء لامعة على حمار فارهٍ وامامهُ نفرٌ من حرس المدينة يحملون الفؤوس وقد شدوا اليها سعف النخل علامة الترحيب وفي يد الشيخ طروس صفراء قديمة العهد فصاح الرئيس لقد جاء ثم اسرع فنزل وامر بفتح الابواب فدخل ابولون وحدهُ واقفلت الابواب ولما صار في وسطهم دعاهُ الرئيس الى الجلوس في مجلسهِ ففعل كمن يحسب ذلك واجباً عليهم وحقًّا من حقوقهِ ولما استراح خاطب المجلس فقال اراني اقصر من ان اقوم بما ضاق بهِ حضرات المشيرين ذرعاً ولكني رجل قضيت العمر في درس حكمة القدماء وقد جئتكم اليوم لاطلعكم على ما كانوا يفعلونهُ في مثل هذه الاحوال عساكم تقتدون بهم فتهتدوا بهداهم وتنقذوا البلاد. ان الوباء فاشٍ في المدينة وقد مررت اليوم بالجزء الذي احترق فلقيت نحوًا من خمسين مريضاً مطروحين في الشارع فاذا عملتم على ايواء اولئك المساكين برهنتم لاهل المدينة على حكمتكم واخلاصكم واهتمامكم بامرهم. فاقترح احد الاعضاء ان ينقلوا الى دير القديسة سيسيليا وقال آخر بل نضعهم في المكان الفلاني فاجاب ابولون وقال لا يحسن ان يبقى هؤلاء المرضى بين الاصحاء فوجودهم في المدينة يعرض ساكنيها للمرض ولهذه الصحراء المجاورة فائدة لا تزالون تجهلونها فالرأي عندي ان يعزل المصابون فيها. فقال الرئيس ولكننا لا نستطيع ان نتركهم عرضة للشمس المحرقة وقال آخر وليس في طاقتنا ان نبني بيوتاً لهم فيها فقال ابولون ومن يقول

بهذين القولين ان في منف شيئاً كثيراً من الكتان والاعمدة فلتنصب خيام كبيرة ينقل اليها المصابون وليتولَّ نصبها لجنة منكم وعندكم عدد كبير من النوتية الذين لا عمل لهم فاذا استأجرتموهم نصبوا الخيام في يوم واحد. فاستحسن الجميع هذا الرأي واقروا عليهِ وكان بينهم بعض تجار الكتان فعرضوا ان يقدموا ما يلزم للخيام من هذا النسيج فخرج الرئيس الى الشرفة واعلن قرارهم للشعب فتلقوا الخبر باصوات الابتهاج والحبور وفي ذلك اليوم نصبت خيمة كبيرة بقرب المدافن ونقل اليها عدد كبير من المرضى وبعد ان فرغ ابولون من النظر في امور متفرقة اخذ يبحث في حاجة البلاد الكبرى ملتزماً جانب الحذر فقال ان فيضان هذا العام من اردإ الفيضانات ومن يتأمل حوادث الشهر الفائت يعلم أن الآلهة ارادت الانتقام منا فارسلت المذنب نذير السوء وبشير الخراب علامة على غضبها ولا يخفى عليكم ان تحسين الفيضان ليس في طاقة البشر على ان القدماء كانوا اعلم منا بالنواميس التي يجري عليها هذا الكون فكانوا اذا قصر النيل عن الوفاء يقدمون لهُ ضحية ثمينة نعم ان الطبيعة البشرية تنفر من تقديم هذه الضحايا وأنا اول من يستنكف من تقديمها لكنها الوسيلة الوحيدة التي تؤدي الى الغرض المطلوب فلا بدَّ منها وها كم الدليل قال ذلك مشيراً الى طروسهِ . فسكت الاعضاء كأن على رؤُوسهم الطير ثم قال واحد وما هي الضحية يا ترى وقال آخر وهل نستطيع ان نجدها في منف فاجاب ابولون وقال عفواً اذا طلبت تأجيل الردّ على اسئلتكم الى فرصة اخرى فلا فائدة من وقوفكم عليهِ اليوم قبل ان اتحقق بنفسي اية الضحايا ترضي الآلهة . فصاح الجميع بصوت واحد بحقك قل ولا تخلنا على مثل جمر الغضا فابى ان يجيبهم الى طلبهم وقال متى حان الزمان دعوتكم الى الاجتماع وبحث لكم بما اعرفهُ من هذا القبيل ثم طلب الى الرئيس ان يعلن نتيجة مفاوضتهم للشعب فلما فعل هذا هتف السامعون وتلقوا البشارة بفرح عظيم واحسَّ اعضاء المجلس ان حملاً ثقيلاً ازيح عنهم

ولما خرج ابولون من المجلس لقيهُ الشعب بالترحاب واصوات الهتاف والاكرام فحملوهُ وهم يترنمون بمديحهِ كانهُ ازال عنهم المكروه فانقذهم من شدتهم وبدل ضيقهم بالفرج. ولما خلا بنفسهِ اخذ يتأمل ما فعل فعلم انهُ اتخذ على نفسهِ عملاً قد يؤُول الى سقوطهِ لكنهُ لم يبالِ بل قال ان خلاص فيلبس من تلك الساحرة لهُ عندي المقام الاول ولو كان في خلاصهِ هلاكي . وفي طريقهِ عرج على بيت روفينس فاخبرتهُ النساء بما كان من القبض على باولين فارتاح الى هذا النبإ لكنهُ عاد فقال وهب انهم اطلقوا سراحها فانها تظل حجر عثرة في سبيلنا فلست بحائل عن عزمي حتى القيها في مهلك واستريح منها فاذا قضى عليها العرب بالموت سهلوا عليَّ القيام بعملي وسالق عبادة فاجتهد في اقناعهِ ليصادق على ما دبرت لها (ستأتي البقية)

بيوت الزنابير

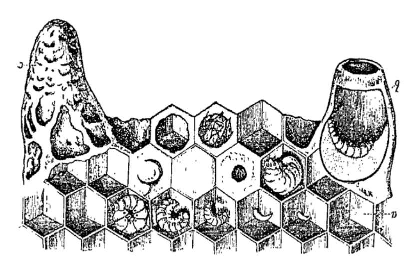
الموضوع غير جليل لكنهُ من افكه المواضيع الطبيعيَّة واكثرها فائدة تظهر فيهِ غرابة الخلق وعناية الخلّاق حتى لو جارينا الدهريين وقلنا مثلهم نموت ونحيا وما يهلكنا الاَّ الدهر لرأينا في خَلْق هذه الحشرات من الحكمة والتدبير ما يحق ان يوصف بهِ الخالق القدير

الزنابير معروفة لا نزيدها بالوصف تعريفًا . نخشى لسعها فنستحلُّ قتلها وتخريب بيوتها وكلنا يحسبها شرًّا محضًا لا خير فيهِ

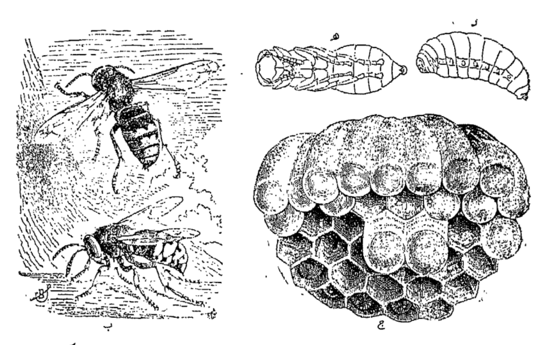
قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى " انها صنفان جبلي وسهلي فالجبلي يأوي الجبال يعشش في الشجر ولونهُ الى السواد وبدء خلقهِ دود ثم يصير كذلك ويتخذ بيوتًا من تراب كبيوت النحل ويجعل لبيتهِ اربعة ابواب لمهاب الرياح الاربع ولهُ حمة يلسع بها وغذاؤهُ من الاثمار والازهار وتتميز ذكورهُ عن اناثهِ بكبر الجثة والسهلي لونهُ احمر ويتخذ عشهُ تحت الارض ويخرج منهُ التراب كما يفعل النمل ويختفي في الشتاء لانهُ متى ظهر فيهِ هلك فهو ينام من البرد طول الشتاء كالميتة ولا يدَّخر القوت للشتاء بخلاف النمل فاذا جاء الربيع وقد صارت الزنابير من البرد وعدم القوت كالخشب اليابس نفخ الله تعالى في تلك الجثث الحياة فتعيش مثل العام الاول وذلك دأبها. ومن هذا النوع صنف مختلف اللون مستطيل الجسد طبعهُ الحرص والشره يطلب المطابخ ويأكل ما فيها من اللحوم ويطير منفردًا ويسكن بطن الارض والجدران وهذا الحيوان باسرهِ مقسوم من وسطهِ ولذلك لا يتنفس من جوفهِ البتة "

وما اوردهُ الدميري من طبائع الزنابير قليل تافه وقد اخطأَ في اكثرهِ وهو دون ما اوردهُ الاقدمون من اليونان والرومان ودون ما ذكرهُ الاوربيون قبل القرن التاسع عشر

والمعروف الآن ان الزنابير انواع كثيرة وُصف منها نحو الف نوع اشهرها النوع المعروف الذي لونهُ اصفر الى الحمرة وخلاصة طبائعهِ ان الانثى من اناثهِ تختبىء في فصل الشتاء في مكان يقيها من بردهِ حتى اذا اقبل الربيع ودبَّت الحرارة في الطبيعة خرجت تفتش عن مكان تبني فيهِ بيتًا لصغارها لكي يبقى نوعها ولا ينقرض فاذا وجدت المكان المناسب في خرق جدار او ثقب جسر جمعت نتفًا من الاخشاب البالية ومضغتها حتى تصير كالرب الذي يصنع منهُ الورق وصنعت منها بعض الخلايا وباضت فيها ولا يطول الزمان على بيضها حتى يصير دودًا ثم يتخلَّق زنابير خناثًا يساعدن امهنَّ في توسيع البيت وزيادة خلاياهُ والاعتناء بصغارهِ وامهنَّ تبيض في الخلايا وتولد الخناث من بيضها واخواتهنَّ اللواتي ولدنَ قبلهنَّ يربينهنَّ الى ان يكبرنَ



خلايا النحل او الزنابير وقد رسم البيض فيها حسب درجات نموهِ و يظهر منها ان
الخلايا المتطرفة تكون اسطوانية غير مسدَّسة لانهُ لم يقع على جوانبها ضغط



ج خلايا الزنابير او خميرتها وبعضها مسدود بسدادات مستديرة ود دودة كبيرة
من دود الزنابير وه دودة تخلَّقت بخلق الزنبور وشكلها اكبر قليلاً من القد الطبيعي

ويساعدنهنَّ في عملهنَّ وهلمَّ جرًّا حتى اذا توسط الخريف واقترب الشتاء ودنا الاجل المعيَّن للزنابير اولدت ذكورًا واناثًا تطير وتتزاوج ثم تهلك الخناث والذكور وتلتجيء الاناث الى امكنة تقيها برد الشتاء الى الربيع التالي ويدور الدور المتقدم الى ما شاء الله. اما كون خلاياها مسدَّسة الجوانب فمن التصاقها وانضغاطها ولا صحة لما قيل من ان النحل والزنابير تصنع خلاياها مسدَّسة بمعرفة هندسيَّة وغذاءُ الزنابير من الاثمار والديدان والحشرات ولا تعفُّ عن اللحم الغريض فتهجم على المطابخ وتنتزع قطع اللحم من ايدي الطهاة

ولنعد بعد هذا الاجمال الى تفصيل مسهب وقفنا عليهِ حديثًا للدكتورة مني انترمن من مدرسة شيكاغو الجامعة قالت ما خلاصتهُ وهو نتيجة اختبارها

ان الزنابير تلتقط القطع البالية من الخشب وتمزجها بلعابها حتى تصير كرة لينة قريبة من السيولة وتبسطها بايديها وتصنع الخلايا منها مازجة اياها بمادة غروية من لعابها تصيرها كالورق الصفيق الذي لا يخرقهُ الماءُ وتكون الخلايا الاولى اسطوانية مستديرة ومتى كثرت وانضغطت يصير شكلها مسدسًا ويبقى ما على الاطراف منها مستدير الجوانب

وتبيض الانثى في هذه الخلايا ويصير بيضها دودًا فتطعمهُ من اري الازهار اي عسلها وبعض الحشرات التي تجمعها وتقلبها بين ايديها حتى تموت وتصير كرة فتأتي بها الى صغارها وتقطع قطعةً صغيرة منها تلقمها اياها وهكذا الى ان تأتي على آخرها وتجري في تلقيمها على اسلوب بديع فانها تدخل رأسها في الخلية وتلمس دودتها بقرنيها فتنتبه الدودة وتفتح فاها فتلقمها قطعة من الطعام الذي انتها بهِ وتدخلها في جوفها ثم تنتقل الى الخليَّة التالية وتفعل بدودتها كذلك وهلمَّ جرًّا

وانثى الزنابير تميز بيتها عن بيت غيرها وبيضها عن بيضهِ وتتفقَّد بيتها وبيوضها من وقت الى آخر فقد كنت اقطع قطعةً صغيرة من البيت فترى المكان الذي قطعت منهُ وتصلحهُ. واخرجتُ مرةً بيضةً من خلية ووضعت مكانها بيضة من بيت آخر فلما وصلت الانثى الى هذه الخلية وقفت مبهوتة كأنها لا تصدق حواسها ثم اخرجت البيضة منها ونظفتها وباضت فيها بيضةً اخرى. وكانت البيضة الاجنبيَّة التي وضعتُها في الخلية مدهونة بدهان غروي فظننت انهُ هو الذي جعل الانثى تطرحها من خليتها فاتيت بهذا الدهان ودهنت بهِ بعض بيوضها وتركتها في اماكنها فلما اتت اليها لتفقدها ورأت الدهان عليها لم تطرحها من خلاياها بل مسحتها من الدهان ونظفتها وابقتها في اماكنها فثبت من ذلك انها تميز بين بيضها وبيض غيرها

ومدة حياة دود الزنابير ثلاثة اسابيع يقضيها في الاغتذاء بما تلقمهُ اياهُ امهُ او اخوتهُ من الطعام فيبلغ اشدَّهُ في هذه المدة وينسج نسيجًا حريريًّا يبطن بهِ خليتهُ ويسد بابها كما تنسج دودة

القز شرنقتها . وتكون الخلية قصيرة والدودة صغيرة فمتى كبرت الدودة كبّرت امُّها او اخواتها الخلية حتى تسعها هذا اذا كانت الزنابير مطلقة اما اذا كان بيتها موضوعاً حيث يراهُ الانسان فلا تهتم بتكبير الخلايا وتضطر الدودة ان تجعل شرنقتها كبيرة حتى تسعها فيبرز جانب منها من الخلية

ومتى اتمت الدودة نسج الشرنقة تنام فيها وتستحيل زيزاً وتنقطع عن الحركة الاَّ بطنها فانهُ يتحرَّك قليلاً من وقت الى آخر وبعد ثلاثة اسابيع يبدو مشفراها فتقرض غطاء الشرنقة بهما وتخرج منها زنبوراً كاملاً وقد تلتفت الى الخلية وتمعن نظرها فيها قبل خروجها منها وتقابل بينها وبين الخلايا المجاورة لها كأنها تبحث عمَّا كانت فيهِ وما صارت اليهِ. ثم تقيم مدة على ظاهر البيت الى ان يجف بدنها وتشتد عضلاتها وهي خنثى كما تقدم (اي انثى ولكنها لا تبيض كالاناث الاَّ نادراً) وتأتي امها في هذا الوقت الى الخلية وتنظفها جيداً وتبيض فيها بيضةً اخرى وتعود بعد مدة بكُرَة من الطعام وتقدمها الى ابنتها وتتركها وشأنها وتواظب على العمل امامها وهو تليين الطعام واطعام الديدان بهِ وكأن ابنتها تتعلَّم ذلك منها فتجعل تلين كرة الطعام وتطعم بها الديدان ولا تتعلَّم ذلك سريعاً ولا تتقنهُ الاَّ بعد مدة . وقد اردتُ ان امتحن ما اذا كانت الخناث تتعلم من امها كيفية تليين الطعام واطعام اخواتها بهِ او تفعل ذلك من طبعها من غير تعليم فنقلت بيتاً من بيوت الزنابير الى مكان لا زنابير فيهِ ولم يكن في هذا البيت انثى ولا خنثى بل كان كل ما فيهِ دوداً فلما كبر دودهُ وصار خناثاً خرجت الخناث من خلاياها وبقيت اسبوعين قبل ان اهتدت الى كيفية اطعام اخواتها مع انني كنت اقدم لها الطعام المطلوب دائماً لكنها اهتدت من نفسها اخيراً وجعلت تمزج الطعام وتلينهُ وتطعم اخواتها بهِ كأن غريزتها لم تتنبَّه لهذا الفعل الاَّ بعد ان عضها الجوع فالغريزة فيها ولكنها تبقى ساكنة مدة الى ان تتنبَّه ومتى تنبهت جرت مجراها بسرعة. وتختلف الزنابير في سرعة انتباه غريزتها فبعضها تنتبه غريزتهُ بعد خروجهِ من الخلية باربع ساعات فقط وبعضها لا تنتبه غريزتهُ الاَّ بعد بضعة ايام . وهي عبدة لغريزتها فانها تمزج كرة الطعام لإطعام اخواتها بهِ ولو كانت في كاس من الزجاج ليس فيهِ غيرها ثم تفعل بالكرة كما تفعل وهي تطعم اخواتها وتبقى كذلك مدة ثم تترك الكرة ولا تعود تلتفت اليها كأنها اطعمتها لاخواتها او قضت غرضها منها او كأنها آلة ميكانيكيَّة تعمل عملها بالضبط التام ولكن على غير رويَّة . بل الزنابير اجهل من ذلك فاني رأيت واحدةً منها رأت امامها دودة ميتة من دود الزنابير فقطت جانباً من طرفها ولاكتهُ ودوَّرتهُ ثم قدمتهُ اليها تريد اطعامها اياهُ بل رأيت ما هو اغرب من ذلك وهو ان خنثى قطعت قطعة كبيرة

من دودة حيّة من دود الزنابير ولاكتها ودوّرتها ودارت بها تطعم الديدان منها وكانت تأتي الى هذه الدودة نفسها بعد ان قتلتها بما قطعتهُ منها وتحاول اطعامها مما قطعتهُ من جسمها . وكرّرت ذلك ثماني مرات وفي المرة الثامنة رمت قطعة الطعام على فم الدودة الميتة وعادت ادراجها كأنها عملت الواجب عليها . (فكل ما تفعلهُ خناث الزنابير من اطعام اخواتها والاعتناء بهنّ انما هو مما يسمّى بالافعال المنعكسة اي لادخل للارادة فيهِ بل هو مثل هضم المعدة للطعام فاذا دخلها الطعام تنبهت عصارتها وافرزت لهضمهِ وتحركت حركاتها المعلومة وهي لا تفعل شيئًا مما تفعل عن قصد وروية)

ومتى اتقنت صغار الزنابير اطعام اخواتها تكون قد قويت اجنحتها وصارت قادرة على الطيران فتخرج من بيتها لترى العالم الذي حولهُ وتسعى في طلب الرزق . تخرج مدفوعة الى الطيران مشتاقة اليهِ فتطير مسافة قصيرة وتقع على الارض معياة من التعب فتمشي برهة على غير هدًى ثم تطير ثم تقع ولا تبعد عن بيتها واخيرًا تعود اليهِ ولعلّها تهتدي اليهِ برائحتهِ الشبيهة برائحة العسل البري وقد لا تهتدي اليهِ ابدًا بل تبقى ضالّةً منفردة . والتي تهتدي تعاود الطيران والجولان حول البيت حتى تتعرّف الاماكن المحيطة بهِ وتقوى اجنحتها وتصير تخرج من بيتها وتعود اليهِ بسهولة ولا بدَّ من انها تعثر في اثناء جولانها باشياء تؤكل فتمتص عصارها اولاً ثم تحاول تقسيمها كما كانت تقسم الطعام في البيت وقد تطير حينئذٍ فتحمل الطعام معها الى اخواتها ومتى كررت ذلك اعتادتهُ وسهل عليها " انتهى

والظاهر ان الزنابير تهتدي الى عشها بقوَّة الاتجاه المرتبطة بالنور ومجاري الرياح لا بالرائحة وحدها فان الكاتبة نقلت بيتًا من بيوت الزنابير من مكان الى آخر وكان واحد منها يأكل عسلاً من صحفة بعيدة عن البيت نحو نصف متر فلما اكل كفافهُ من العسل عاد الى البيت فلم يجدهُ فطار ووقع على صحفة العسل ثانيةً ثم طار منها نحو المكان الذي كان فيهِ البيت اولاً فلم يجدهُ وعاد الى الصحفة وطار منها ثالثة فلم يجد البيت وكرر ذلك ثماني مرات قبلما اهتدى الى البيت كأنهُ جعل الصحفة علمًا يهتدي بهِ الى بيتهِ . واطالت الكاتبة في الكلام عن كيفيَّة اهتداء الزنابير الى بيوتها ولكنها لم تثبت شيئًا لان التجارب التي تبنى الاحكام الصحيحة عليها لاتزال قليلة

على هذا النمط ارتقت العلوم عند الاوربيين والاميركيين فانهم لا يبنون احكامهم على الاوهام والمعتقدات بل على التجارب والمشاهدات ولا يأنفون من درس طبائع اصغر الحشرات . وقد بارت نساؤُهم رجالهم في هذا المضمار

مجالي الطبيعة

جعلنا هذا العنوان موضوعاً للخطبة التي القاها الاستاذ ديور العالم الكيماوي الشهير في مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي التأم حديثاً في مدينة بلفست بصفتهِ رئيساً لهُ . والخطبة مسهبة جداً تملأُ ثلاثين صفحةً من المقتطف بدأها الخطيب بالاشارة الى ولاء اعضاء المجمع البريطاني لملكهم واهتمامهم بمرضهِ وسرورهم بشفائهِ وتتويجهِ . وقال " انهُ ما من احد ادرى من الملك بما هو مديون بهِ لعلم الطب وسائر العلوم الطبيعيَّة التي افادت علم الطب ومكنتهُ من النجاح في الاعمال الجراحيَّة كيف لا وقد كانت فاتحة اعمالهِ الالتجاء الى علماء الطب ليكتشفوا علاجاً للداء العقام الذي ضاعت فيهِ حيَل الاطباء (يريد بهِ داء السرطان) ولا شبهة عندنا في انهُ موجِّهٌ همتهُ ايضاً الى غير ذلك من المباحث العلميَّة التي يحسن بها حال الاصحاء ولا يخفى ان الوراثة توجب على المرء اموراً وتمنحهُ المقدرة على القيام بها فان كان حكم امهِ السعيد الطويل المدة قد علَّمهُ كيف يسوس رعيتهُ ويقوم باعباء سياستها فسيرة المرحوم والدهِ تدلُّ على الخطة التي يمكن ان يجري عليها في تعضيد العلوم. وقَدْرُ العلوم قدرها في المقامات العليا هو الآن الزم لنا ممَّا كان منذ ثلاث واربعين سنة لما قال المرحوم والدهُ قولهُ المأثور وهو "يحقُّ لنا ان ننتظر من الامَّة كما ننتظر من حكامها الاعتراف بفضل العلم وبالحقوق الواجبة لهُ وذلك بنشرهِ المتدرّج وبادراك نفعهِ في تربية الامَّة . فلا تبقى بهِ حاجة الى طلب الصدقات بل يصير يخاطب الحكومة كما يخاطب الولد امهُ واثقاً بعطفها عليهِ وحبها لهُ واهتمامها بنجاحهِ وتصير الحكومة ترى العلم عنصراً من عناصر قوتها ونجاحها تضطرها مصلحتها الخاصة الى حمايتهِ والمدافعة عنهُ"

ولو سمع حكام بلادنا هذا النصح وعملوا بهِ من ذلك الحين لبلغنا من النجح حدًّا لا نحلم بهِ الآن وما كنَّا نخبط الآن خبط عشواء في تطلُّب اسلوب نجري عليهِ لتعليم اولادنا . ولا كنَّا ننفق الاموال والاوقات التي هي اثمن من الاموال في انشاء مبانٍ تمثّل ما عند غيرنا ولا اساس لما عندنا . وكان يجب علينا ان نضع اساسها منذ ثلاث واربعين سنة لو انتصحنا بنصح ذلك الامير لكننا لم نفعل ونحن مضطرون الآن ان نبذل كل قوتنا حتى نسترد ما فات . ولملكنا السلطة وليس لهُ ادارة الاحكام ولكن دستورنا ونظام حكومتنا يخولانهِ سلطة عظيمة على الذين بيدهم زمام احكامنا فلا حدَّ للمنافع التي تنجم عن اهتمامهِ بجعل التربية العلمية متسلطة على هذه الامة . واننا نهنئ انفسنا بان وليَّ عهدهِ استنتج ممَّا شاهدهُ في جهات مختلفة من ممالكهِ نتائج كبيرة النفع من حيث حاجات الامَّة في هذا الزمان

ثم التفت الخطيب الى تأبين الذين توفوا في هذا العام من العلماء وانتقل الى الكلام على مدينة بلفست التي التأم فيها المجمع البريطاني وما لرجالها من اليد البيضاء في خدمة العلم وما فيها من دور الصناعة وقال ان الرجال الذين يكسبون الشهرة الفائقة لا ينبغون الاَّ من بين الامم الحيَّة النامية . وذكر لورد دفرن ولورد روبرتس الارلنديين لان بلفست من مدن ارلندا مستدلاً بهما وبغيرهما على ان الامَّة الارلنديَّة امَّة حيَّة نامية . وبعد ان وصف مدينة بلفست ونموها السريع التفت الى خطبة تندل المشهورة التي خطبها في هذه المدينة لما كان رئيس المجمع البريطاني في اجتماعهِ فيها وقد كان لتلك الخطبة اعظم وقع في اندية العلماء ورجال الدين وظلت المناظرة في موضوعها محتدمة سنين عديدة . واطنب في وصف تندل ووفاهُ حقَّهُ من المدح وجاهر بان ما نحسبهُ الآن نواميس الطبيعة لا نعني بهِ انهُ النواميس المقرَّرة لهذا الكون بل التعليل الاخير الذي وصلنا اليهِ والذي نستطيع بموجبهِ ان نعلل ما نراهُ من ظواهر الطبيعة . ولكن ما من احد يجسر ان يقول ان تعليلهُ هو التعليل الحقيقي وانهُ ثابت لا يتغير لانهُ قد تكشف غداً امور جديدة تضطرنا الى تغيير كلّ رأي وتعليل . وبعد ان اسهب في هذا المعنى قال ان تندل كان يعلم انهُ لا يستطيع ان يدرك حقائق الاشياء ولا مصادرها ولا ما ستاول اليهِ اخيرًا فلم يعنَ بالبحث عن ذلك ولكنهُ لم يقل ان رجال العلم ممنوعون عن الحدس والتخمين وفرض الفروض في هذه المواضيع . وجملة القول ان العلم يعترف بعجزهِ عن ادراك حقائق الاشياء او البلوغ الى العلَّة الاولى وغاية ما يبحث عنهُ العلل الثانوية والظواهر الطبيعيَّة . وقد اكتشفت امور كثيرة من حيث جواهر الاجسام وتركيب موادها منذ خطب تندل خطبتهُ المشار اليها وزاد ما نعرفهُ عن قوة المادة منذ نصف قرن الى الآن زيادة عظيمة تطمعنا بان معرفتنا ستزيد ايضاً على نسبة هندسية . ونحن مديونون لتندل دينًا عظيمًا على الحياة التي بثها في المباحث العلميَّة وعلى مباحثهِ الخصوصية في اسرار الطبيعة .

وانتقل من الكلام على تندل الى الكلام على الذين ينفعون العلم فقال ان هذا العصر عصر الذين يجودون على العلم والتعليم وقد رحَّبت الامَّة بهم بعد ان مرَّ عليها زمن طويل لم ترَ فيهِ مثلهم . فقد ترك سسل رودس اموالاً وافرة للتعليم في مدرسة اكسفرد وغايتهُ سياسيَّة كما هي علميَّة فانهُ اراد ان يجمع في تلك المدرسة الشبان الذين ينتظر ان يكون لهم شأن في سياسة المتكلمين باللغة الانكليزية حتى تتمكن بينهم عرى الوئام .

وهبة كارنجي للمدارس الجامعة في سكتلندا انفع للعلم من هبة سسل رودس لان هبة رودس تمكّن بعض الشبان من تحصيل العلوم التي في مدرسة اكسفرد واما هبة كارنجي فتمكن

المدارس ورجال العلم من توسيع نطاق العلم نفسهِ . وقد وهب كارنجي حديثاً عشرة ملايين من الريالات لتوسيع نطاق العلم وجلاء المباحث العلمية واكتشاف الرجال الذين فيهم ميل الى البحث العلمي ومساعدتهم حتى يقضوا حياتهم في الاشتغال بالعلم ولتسهيل الوسائل للتعليم العالي ومساعدة المدارس الجامعة ودور العلم ونشر الكتب العلمية . وغرض الواهب ان تصير الولايات المتحدة في مقدمة البلدان في العلوم الطبيعية واستخدامها في ترقية الاعمال الصناعية . ولما نظرتُ في هبة كارنجي هذه خطر ببالي ان ابحث عن مقدار ما ننفقهُ نحن على المباحث العلمية وكنت قد قرأْت في مجلة اميركا الشمالية مقالة لكارل سنيدر قال فيها ان دار العلم الملكية (رويال انستيتوشن) قد افادت العلم في بلاد الانكليز مدة المئة السنة الماضية اكثر من كل المدارس الانكليزية الجامعة فجرَّأني هذا القول على البحث الذي اشرت اليهِ واخذت دار العلم الملكية اساساً لبحثي ومما يحسن ذكرهُ هنا ان الذي انشأَها اميركي وهو كونت رمفرد فوجدت بعد البحث المدقق في دفاتر هذه الدار ان النفقات التي انفقت فيها في القرن التاسع عشر على المباحث العلمية هي هذه

رواتب الاساتذة في الطبيعيات والكيمياء	٥٤٦٠٠ جنيه
نفقات التجارب العلمية والمعامل	٢٤٤٣٠ جنيهاً
رواتب المعاونين	٢١٥٩٠ »
والجملة	١٠٠٦٢٠ »

يضاف الى ذلك ما وهبهُ اصدقاءُ هذه الدار لاجل البحث العلمي وهو ٩٥٨٠ جنيهاً والمعاش الذي قطع لفاراداي وهو ٣٠٠ جنيه في السنة مدة ٣٢ سنة ومجموعهُ ٩٦٠٠ جنيه وجملة ذلك ١١٩٨٠٠ جنيه او نحو ١٢٠٠ جنيه كل سنة هذا كل ما انفق على المباحث العلمية في تلك الدار التي افادت العلم والصناعة اكثر مما افادتهما المدارس الانكليزية كلها جملةً وسينفق من هبة كارنجي كل سنة اكثر مما انفقتهُ هذه الدار في مئة سنة

واستطرد الخطيب من هذا الموضوع الى المقابلة بين ما تفعلهُ المانيا وما تفعلهُ انكلترا من حيث الاعتناء بالبحث العلمي واستخدام العلم في الصناعة فقال ان في المانيا ٤٥٠٠ كيماوي يشتغلون في المعامل الصناعية واما انكلترا فليس فيها الفا كيماوي وان قيمة المصنوعات الكيماوية في المانيا تبلغ في السنة خمسين مليون جنيه على الاقل وقد شرع الالمانيون في هذه المعامل الصناعية منذ سبعين سنة فقط ووسعوا نطاقها في الثلاثين سنة الاخيرة . واليكم وصف معمل واحد منها وهو معمل فردرك بير الذي يستخرج الاصباغ والطيوب من قطران الفحم الحجري فقد انشئَ هذا

المعمل سنة ١٨٧٥ وكان فيهِ حينئذٍ ١١٩ عاملاً فصار فيهِ هذا الصيف ٥٠٠٠ عامل و١٦٠ كيماويًّا و٢٦٠ مهندسًا وميكانيكيًّا و٦٨٠ كاتبًا وكان يدفع ربحًا لحاملي اسهمهِ ١٨ في المئة سنويًّا ودفع هذه السنة ٢٠ في المئة عدا عمّا انفقهُ على توسيع اقسامهِ المختلفة . وواضح من ذلك ان المانيا تكتسب من غيرها من الامم مكاسب وافرة بواسطة هذه المعامل الصناعية مع ان القضايا العلمية الاساسية التي بنيت عليها اكتُشفت في البلاد الانكليزية — اكتشفها علماء الانكليز واشتغلوا بها مدة ثم ماتوا ولم يخلفهم احد او لم يستطع خلفاؤهم ان يصنعوا مصنوعات تناظر المصنوعات الالمانية في رخص ثمنها لقلَّة العلم عندنا ولكثرتهِ وشيوعهِ في المانيا فأُهملت مصنوعاتنا وشاع استعمال المصنوعات الالمانية مع اننا اغنى من المانيا في المال وفي المواد الاصلية التي تصنع منها هذه المصنوعات ولكن عجز مدارسنا عن ايجاد الرجال الأكفاء لادارة المعامل الصناعية وقصور معاملنا عن استخدام هؤلاء الرجال اخَّرانا حتى تقدَّمت المانيا علينا . ولا يظننَّ احد اننا نقدر ان نرد ما فات ونسدَّ هذا النقص بما عندنا من المدارس ووسائل التعليم لان الاميال العقلية توجد في النفس قبل المدارس الصناعية فيجب علينا ان نربي ابناءنا من صباهم تربية عقلية حتى يزنوا الامور بميزان العقل ويحلوا المشكلات بعين التروي لا بما يحفظونهُ من القواعد العلميَّة. يخرج من مدارسنا كل سنة كثيرون من المتعلمين فن الكيمياء ولكن لا يصلح احد منهم لمعمل بير وشركائهِ المشار اليهِ آنفًا فان عقولهم متخمة بما استظهروهُ من القواعد العلميَّة ولكن اذا عرضت لهم مسألة عويصة ليست في كتبهم عجز عقلهم عن حلها لانهُ لم يصر جزءًا من عقولهم ولذلك يوحلون كلما عرضت لهم مسألة جديدة . والذين يسهل عليهم حل المشاكل هم الذين اعتادوا التفكير والتدبير قبلما دخلوا المدارس الجامعة . فالامر المهم ليس هو ان الالمانيين اخذوا من يدنا هذه الصناعة او تلك بل انهم سبقونا في التربية العقلية العمومية حتى لا نستطيع ان نلحق بهم في اقل من ستين عامًا هذا اذا بذلنا اقصى الجهد

وعاد الخطيب من هذا البحث الى تندل وبحثهِ عن الحرارة والبرودة تمهيدًا للكلام في الموضوع الذي هو شغلهُ الخصوصي كما لا يخفى على قرَّاء المقتطف وقال ان الفيلسوف باكون كان اول من التفت الى موضوع الحرارة والبرودة مسميًا اياهما يدي الطبيعة لكنهُ لم يكن يعرف واسطة لإحداث البرد الصناعي ثم جاء روبرت بويل العالم الكبير وقرأ مقالة سنة ١٦٨٢ في الجمعيَّة الملكيَّة موضوعها تجارب وملاحظات تتعلَّق بالبرودة ذكر فيها تاريخ كل ما يعرف عن البرودة الى ذلك الوقت وضمنها تجارب كثيرة جرَّبها بالامزجة المبرّدة كالثلج والملح . وقد انتبه من ذلك الحين الى ان الاملاح التي لا تسرع ذوبان الثلج لا تزيد البرودة وان جرم

الماء يكبر نحو العشر حينما يصير ثلجاً حتى يشق المدافع . وذكر الخطيب جانباً من ادلة بويل واستطرد الى ذكر الثرمومتر او مقياس الحرارة وتعيين الدرجة التي يجمد عندها الماء والدرجة التي يغلي عندها مقياساً للحرارة واكتشاف امنتُنس للدرجة التي حسبها درجة البرد المطلق حيث لا يعود في الهواء مرونة وهي على نحو ٢٤٠ درجة تحت الصفر ثم ثبت ان درجة البرد المطلق هي على ٢٧٣ تحت الصفر

واطال في الكلام على درجة البرد المطلق وانكار بعض العلماء لها الى ان ثبتت بالامتحان وانتقل الى تسييل الغازات بواسطة البرد الشديد والضغط الشديد وقال ان ثيلوريه صنع مقادير كبيرة من الحامض الكربونيك السائل سنة ١٨٣٥ وبيّن ان درجة برودته تزيد كثيراً بتبخره حتى يجمد من شدة البرد فتناول فاراداي هذا الموضوع وخفض درجة الحرارة الى ١١٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد فسيّل الغازات كلها سنة ١٨٤٤ ما عدا الهيدروجين والنيتروجين والاكسجين و الاكسيد الكربونيك وغاز المستنقعات والاكسيد النيتريك وعجز العلماء عن تسييل هذه الغازات الى سنة ١٨٨٣ حين سيّل دبلوسكي غاز الاكسجين وحينئذٍ سهل تسييل الهواء

وتكلم بعد ذلك على تسييل الهيدروجين واكتشاف الهاليوم والارغون وسائر العناصر التي كشفت حديثاً وعن تأثير البرد في النور والكهربائية والمغنطيسية وانتقل الى تأثير البرد الشديد في الاحياء الصغيرة كالميكروبات وقال ان الحرارة الشديدة اقتل لها من البرد الشديد وان بعض انواعها عُرّض عشرين ساعة للبرد الشديد الذي يسيل عندهُ الهواء فبقي حيًّا . وكذلك بزور النبات تعرَّض للبرد الشديد الذي يسيل عندهُ الهواء ومع ذلك تبقى حيَّة . ونُقع حب الشعير والباقياء والقرع والخردل ست ساعات في الهيدروجين السائل ثم زرع فنبت مثل غيره من البزور . وبيّن الاستاذ مكفادن ان انواعاً كثيرة من الاحياء المكروسكوبية تعرَّض للبرد والهواء السائل ستة اشهر ولا تزول حيويتها مع ان الفعل الحيوي يجب ان يتوقف فيها عن العمل بهذا البرد الشديد

وختم الخطيب خطبتهُ المسهبة معتذراً عن طولها ومؤملاً ان سير العلماء في المستقبل يكون مجيدًا كما كان في الماضي بمن يضاف الى صفوفهم من الاكفاء الذين تهيج في صدورهم الحمية العلميَّة ويباهون بما يستتبُّ لهم من النجاح

سفن هدن في بلاد التبت

ذكرنا في الاجزاء الماضية فقرات كثيرة من اخبار سفن هدن الرحالة الاسوجي الشهير الذي ضرب في بلاد التبت واخترق قفارًا لم يخترقها احد قبلهُ ولقي فيها من المشاق ما يفوق الوصف

وقد اتمَّ هذا الرحَّالة رحلتهُ الاخيرة الآن بعد ان قضى ثلاث سنوات انقطع فيها عن الاتصال بالعالم المتمدن وعن محادثة احد من الناس غير الرجال القليلين الذين كانوا معهُ وطوى في هذه السنوات الثلاث ستة آلاف ميل ليس منها في بلاد معروفة الاَّ اربع مئة ميل وما بقي ففي مجاهل لم تطأها رجل اوربي قبلهُ ويقال ان اهالي اسيا ايضًا لم يكونوا يعرفونها . وقد رسم الطرق التي سار فيها وصوَّر البلاد التي حولها صورًا فوتوغرافية وقال ان غرضهُ علمي محض وقد يكون كذلك ولكن اوربا مشحونة بطلاَّب المكاسب وهؤلاء لا بد من ان يجدوا سبيلاً للكسب من قفار اسيا ومجاهلها بالتجارة اولاً ثم بالامتلاك والاستعباد . وكأننا بالاوربيين اربعة رجال جغرافي ينظر في الخريطة التي رسمها سفن هدن لرحلتهِ وهمُّهُ الوحيد ان يضيف ما اكتشفهُ هذا الرحَّالة الى خزانة معارفهِ . وتاجر ينظر اليها ويبحث عن الاقوام الساكنين في تلك البلاد وطرق الوصول اليهم وما يمكن ان يروج في بلادهم من البضائع . وقائد يدرس مواقعها الحربية والسبل الموصلة الى فتحها او احتلالها اذا دعت الحال الى ذلك . ووراء هؤلاء الثلاثة الرجل المالي الكبير الذي لا همَّ لهُ الاَّ استخدام الامم لتشغيل اموالهِ واستخدام حكوماتهم لضمانة ريعها واستخدام حكومة بلادهِ للسيطرة على تلك الحكومات حتى تكون ضمانًا للضمانات وهو القوة التي تحرّك سياسة العالم وميزان السياسة وسائر القوى ثانويَّة بالنسبة اليهِ

لما كان سفن هدن في بطرس برج سنة ١٨٩٩ رفع الى القيصر نسخة من رحلتهِ الاولى واخبرهُ انهُ عازم على رحلة ثانية تبرَّع ملك اسوج وزوج بتقديم نفقاتها فقال لهُ القيصر اذًا اعطيك الحرَّاس اللازمين لك من رجالي القزاق لاني اود ان تكون بأمن من كل خطر فخذ معك هؤلاء الرجال تجد منهم ما يرضيك . فقبل ذلك شاكرًا وقام قاصدًا اواسط اسيًا ومعهُ اربعة من هؤلاء القزاق فكانوا خير الرفاق لانهم معتادون تجشم المشاق بارعون في الصيد والقنص وواحد منهم يحسن الطبخ وتدبير الطعام وكلهم يحسنون رسم البلدان بالفوتوغراف

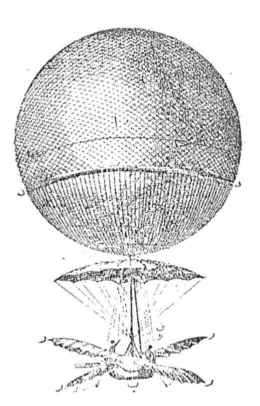
ووصل الى كشغر في ١٧ اغسطس سنة ١٨٩٩ وسار الى نهر يركند وابتاع قاربًا من هناك فنزل في هذا النهر مسافة شهرين ونصف ثم منعهُ الجليد من مواصلة السير فعاد يجول في صحراء غوبي فلم يجد فيها غير كثبان الرمال وكانت الرياح هاجمة فلم تلحق بهِ اذى . وكان معهُ

ثمانية جمال محملة ثلجاً بدل الماء فقطع جانباً من الصحراء ثم عاد ادراجهُ الى مخيمهِ لان رجالهُ اعيوا من شدة التعب فاختار غيرهم وعاد يضرب في الصحراء فعثر بخرائب بيت فوقف وجعل يحتفر الرمل فوجد امامهُ مدينة غمرتها الرمال ولم يكن في طاقتهِ حينئذٍ ان يتابع النقب لشدة الحر فتركها بعد ان عيَّن موقعها وعاد اليها في الشتاء التالي فوجد انها مدينة كبيرة كانت عامرة حينما عصفت عليها الزوابع وطمرتها الرمال ووجد فيها كتباً كثيرة اتضح منها ان تلك المدينة كانت للمغول وهجرت منذ ثمانمئة سنة على الاقل

واكتشف في رحلتهِ هذه الجمال البرية وقطع بحيرة لبنور ومضى الى شمالي بلاد التبت واختار نفراً من نخبة اتباعهِ وسار بهم مسافة ثلاثة اشهر في بلاد عالية شديدة البرد وجد فيها من المشاق اشدها ومات واحد من رجالهِ واربعة من جمالهِ وكل خيولهِ وكان معهُ قطيع من الغنم لطعامهِ فيهِ ستة عشر خروفاً فافترست الذئاب تسعة منها. واكتشف في طريقهِ بحيرات مالحة كبيرة وكان معهُ قارب يمكن طيهُ ونشرهُ صنعهُ في لندن لهذه الغاية فنشرهُ وقطع البحيرات بهِ. ووصل الى بحيرة كوم كول ولا اثر لهذه البحيرة في خريطة من الخرائط المعروفة مع انها كبيرة اقتضى قطعها من طرف الى طرف يوماً كاملاً وضفافها قاحلة مثل كل البلاد التي حولها

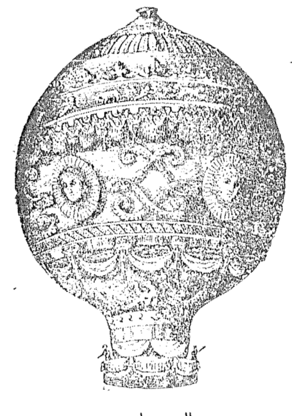
واطول هذه السفرات واشدها خطراً اختراقهُ بلاد التبت جنوباً حتى بلاد الياك وتزيَّا حينئذٍ بزي المغول وقصد مدينة لاسا حرم اهالي تبت واخذ معهُ رجلين فقط واحداً من القزاق وواحداً من المغول حتى صار على خمسة ايام منها بطريق القوافل فأوقف هناك بامر من رجال الحكومة في لاسا. والظاهر انهم كانوا يعلمون غرضهُ فمنعوهُ من الوصول الى مدينتهم فعاد ادراجهُ ومعهُ حرَّاس من اهالي تبت الى ان وصل الى رجالهِ. فعزم ان يقصد مدينة لاسا بطريق آخر وان يسير اليها جهرةً بكل رجالهِ ففعل ووجد هذا الطريق كثير الينابيع والغدران ولكنهُ لم يبعد كثيراً حتى وجد خمس مئة من جنود تبت ارسلوا لصدهِ عن الوصول اليها فرأى السلامة في الرجوع. ولما رأوا انهُ اقلع عن عزمهِ مختاراً تودَّدوا اليهِ وعاملوهُ بالحسنى وقدموا لهُ كل ما يحتاج اليهِ من الزاد وساروا في حراستهِ عشرة ايام الى حدود بلادهم وكان عددهم يقل بابتعادهم عن مدينتهم واقتناعهم انهُ راحل عنهم حتى اذا بلغ التخوم الانكليزية لم يبقَ معهُ منهم سوى عشرة وكانوا في اول الامر مئتي رجل شاكي السلاح. وكان معهُ في رجوعهِ تسعة وثلاثون جملاً فمات منها ثلاثون وخمسة واربعون فرساً فمات منها ٤٤ وسبعون حماراً فماتت كلها

وسنعود الى وصف بعض المشاق التي لقيها في هذه الرحلة. ونكرّر ما قلناهُ سابقاً وهو ان غرضهُ علمي جغرافي على ما يظهر ولكن الطامعين يستخدمون مكتشفاتهِ الجغرافية لاغراض اخرى



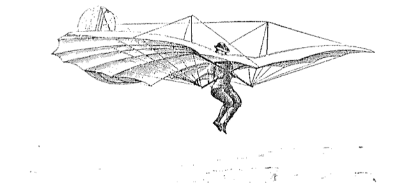
بالون بلنشار

انظر وصفهُ في الصفحة ٩٨٦



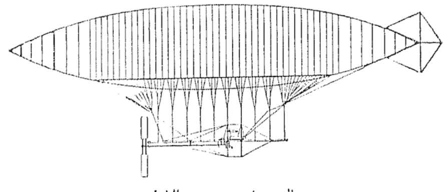
بالون منغلفيه

انظر وصفهُ في الصفحة ٩٨٦

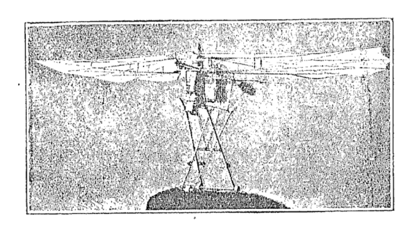


ليلنثل في طيرانهِ

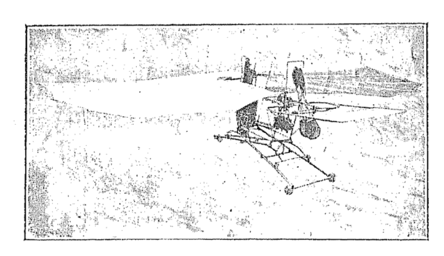
انظر الصفحة ٩٩٠



باﻟﻮن سنتوس ديمون الاول



آلة هفمن جارية على الارض
انظر الصفحة ٩٩٠



آلة هفمن طائرة

ركوب الهواء

قلما نرفع نظرنا الى السماء في هذه الايام ولاسيما بُعَيد الظهر وقُبَيل الغروب الاّ ونرى فيها طيّارة او اكثر سابحة في طبقات الهواء العليا وذنبها يختال عُجْبًا . واذا امسكتَ خيطها بيدك وجدتَ انها غير قانعة بالارتفاع الذي بلغتهُ بل تطلب المزيد كأنها النفوس الكبار . واذا كانت واسعة جدًّا فقد تقطع خيطها وتترك نفسها لعبث الرياح. رأينا مرةً طيارة في رأس البر حملت كرسيًّا ضخمًا وبقيت تطلب المزيد حتى لوكان خيطها في يد ولد صغير لحملتهُ وطارت بهِ

وبعيد عن الظن ان يكون الناس قد اطاروا الطيّارات منذ الوف من السنين ولم يخطر لهم ان يَطيروا بها . ويقال ان اهالي الصين واليابان وملقًا كانوا يطيرونها لغايات دينية قبل المسيح بقرون كثيرة وان اهالي يابان كانوا يطيرون بها لاجل استكشاف مواقع الاعداء منذ ستمئة سنة . وقد نوَّع الاوربيون والاميركيون الطيارات الآن ونزعوا منها اذنابها كانهم رقوها كما ارتقى نوع الانسان من حيوان ذي ذنب او كما ترتقي الضفادع من العُوم ذوات الاذناب وصاروا يضعون فيها مقاييس الحرارة وآلات التصوير ويستخدمونها لقياس حرارة الجو وتصوير البلدان من ارتفاع شاهق

والطيّارة هي المركب الطبيعي لركوب الهواء تستمدُّ قوتها من الطبيعة لا غير وكأن الطبيعة نفسها علّمت الانسان عملها لان في الطبيعة ما يشبهها وهو العناكب الطيارة التي تغزل خيطًا طويلاً تطلقهُ في الهواء وتسلّم نفسها لهُ فتطير من مكان الى آخر محمولة على اجنحة الرياح

لكن الانسان رأى الطيور تحلق في الجو من اول نشأتهِ ولا بدَّ من ان يكون قد حسدها على خفّة ابدانها وسرعة حركاتها وقطعها من بلاد الى أُخرى من غير عناء ظاهر وحلم وهو نائم انهُ طائر مثلها وودَّ لوكان الحلم يقظة . والظاهر انهُ حاول التمثّل بها منذ عهد بعيد جدًّا فقد جاء في اقاصيص اليونان ان ديدالوس الاثيني قتل حفيدهُ غيرةً منهُ وهرب بابنهِ ايكاروس الى جزيرة كريت وبنى فيها القصر المشهور للملك مينوس الذي كشفت خرائبهُ في العام الماضي. وغضب مينوس عليهِ وسجنهُ فصنع اجنحة من الريش لهُ ولابنهِ والصق الريش بالشمع لكي يطيرا بها ويهربا واوصى ابنهُ ان لا يحلّق في الجو كثيرًا ولا ينخفض كثيرًا بل يتبعهُ في سيرهِ ويسير معهُ على وتيرة واحدة الاّ ان ايكاروس اغترَّ بنفسهِ ونسي وصيَّة ابيهِ وحلّق في الجو حتى اذابت الشمس شمع جناحيهِ فوقع في البحر قرب صاموس وسميت جزيرة ايكاريا باسمهِ اما ابوهُ فنجا سالمًا

ولم يصدّق الاقدمون هذه القصة بل قالوا ان المراد بها ان ديدالوس وضع الشراع في

سفينة وسار بها فنجا من اسطول الملك مينوس لان الاسطول كان يسير بالمجاذيف لاغير

ويقال ان راهباً صنع اجنحة في اسبانيا منذ تسع مئة سنة وطار بها من برج عالٍ اي رمى نفسهُ في الهواء وهو باسط هذه الاجنحة فلم يقع على الارض في خط عمودي بل في خط مائل. وطار آخر من قبة كنيسة البندقية على هذه الصورة. وذلك ليس من قبيل التمثُّل بالطيور حقيقةً بل من قبيل التمثل ببزور النبات ذوات الحراشف او الاهداب كبزر الصنوبر فانهُ اذا وقع من اعلى الشجرة لم يسقط على خط عمودي بل حملتهُ الريح وابعدتهُ عن امهِ حتى لا ينازعها البقاء. امَّا التمثل بالطيور في تحريك اجنحتها فاقدم عليهِ رجل اسمهُ بسنير منذ نحو مئتي سنة وذلك انهُ علق بكتفيهِ مجذافين كبيرين اوصلهما بقدميهِ بسيور متينة وكان طرفا المجذافين مجوفين ككأسين كبيرتين ويقال انهُ طار بهما مسافة قصيرة

ومنذ مئة وعشرين سنة ظهرت بدعة جديدة في ركوب الهواء لا مثيل لها في الطبيعة لكن قُدّر لها ان تبقى حيَّة الى الآن ولو عبثت بحياة كثيرين وهي البالون الذي استنبطهُ اسطفان منغلفيه واخوهُ يوسف منغلفيه وهما ابنا ورَّاق من انوناي على اربعين ميلاً من ليون فانهما صنعا اكياساً من الورق وملآها هواءً سخناً فطارت في الجو واخيرًا صنعا بالونًا كبيرًا محيطهُ ١٠٥ اقدام واشعلا تحت فيهِ نارًا في الخامس من شهر يونيو سنة ١٧٨٢ فامتلأ هواءً سخناً وطار في الجو وبقي طائرًا نحو عشر دقائق ونزل على ميل ونصف من المكان الذي صعد منهُ وظنَّا ان الدخان اطارهُ والحقيقة ان الهواء السخن اطارهُ لانهُ اخف من الهواء الذي حولهُ

وبلغ خبر هذا البالون باريس وذاع في اوربا كلها واهتمَّ العلماء بتجربتهِ وابدل المسيو شارل الهواء السخن بالهيدروجين لانهُ اخف منهُ كثيرًا ومن ثم اخذ ارباب العزائم يكبّرون هذا البالون ويزيدونهُ اتقانًا واضافوا اليهِ المجاذيف والصابورة التي يرفعونهُ بها ويخفضونهُ . وقد رأيناهُ في هذه العاصمة يملأ بغاز الضوء ويطير حاملاً ثلاثة او اربعة ويحلّق بهم في الجو ويبقى الليل طائرًا ثم ينزل على اميال من القاهرة ورأيناهُ في معرض باريس يطير بكثيرين وينتصب في الجو ساعات متوالية ولم يخفَ على كل من رآهُ انهُ حالما يطلِق الارض ويرتفع في الجو يصير تحت رحمة الرياح لا قيد ولا شكيمة وكم من نفس زكية ذهبت فيهِ ضحيَّة الغرور

ثم رأى صانعو البالون ان الشكل الكروي ليس اصلح الاشكال فصنعوهُ مغزليًا مستطيلاً مستدق الطرفين ورأوا ايضًا ان تركهُ لرحمة الرياح ليس من الحكمة في شيءٍ فصنع المسيو جفَّار بالونًا مستطيلاً منذ سنة ١٨٥٢ وضع فيهِ آلة بخارية من عملهِ وشهد الذين رأوهُ انهُ سيفي بالغرض اذا زيد اتقانًا لكن كُفَّ بصر صانعهِ قبلما اتقنهُ

ثم اخترع دپيوي دولوم بلونًا يساق بواسطة آلة كهربائية يديرها ثمانية رجال واطاره وسار بهِ سنة ١٨٧٢ مسافة ٢٫٦ من المتر في الثانية وانقطع خبر اختراعهِ هذا منذ ذلك الزمان وسيأتي لنا كلام عليهِ . ثم تلاهُ الاخوان تيساندیه وساقا بالونًا بالقوة الكهربائيَّة مسافة ٣ امتار في الثانية سنة ١٨٨٣ . ولا يخفى فضل الكهربائيَّة على البخار في مثل هذه الاحوال سواء كان من حيث صغر حجم الآلات اللازمة لها وكبر الآلات اللازمة لهُ او من حيث سلامة عواقبها وشدَّة الخطر الذي يخشى من نار الآلة البخاريَّة او من تفرقع الآلة نفسها. الَّا ان اختراع تيساندیه لم يشع لضعف الآلة الكهربائيَّة وقلة سرعة البالون المسوق بها حتى لم يستطع ان يتغلَّب على الرياح المضادة لهُ ولذلك لم يحتفل الناس بهِ كما احتفلوا باختراع اثنين آخرين وهما رينار وكريب . ولما كان هذا الاختراع قريبًا من اختراع دپيوي دولوم السابق ذكرهُ نشرح اولًا اختراعهُ ثم اختراعهما لزيادة الايضاح

المتبادر الى الذهن أنَّ البالون جسم كرويُّ الشكل الَّا ان دپيوي وجد ان الشكل الكروي اذا استطال ولم يبقَ تامَّ الاستدارة قلَّت مقاومة الهواء لهُ. ولذلك صنع بالونهُ على هذا الشكل لكي لا يعاوقهُ الهواء كثيرًا . وزاد على هذا التحسين انهُ علَّق الزورق الذي يركب فيهِ الركاب بالبالون على وجهٍ يكون فيهِ ثابتًا لا يتقلقل . وزاد على هذا ايضًا انهُ وضع في جوف البالون زقاقًا مملوءة هواء حتى اذا ضغط الهواء فيها صغر حجمها واشغلت حيِّزًا اصغر من الحيِّز الذي كانت تشغلهُ قبلًا . والغرض من ذلك ان يبقى جرم البالون على حالٍ واحدة سواء علا في الجو او سفل. وبيانهُ انهُ اذا كان البالون واطئًا يكون ضغط الهواء على خارجهِ اعظم ممَّا اذا علا لان ضغط الهواء يقلُّ كلما علا عن سطح الارض . ولذلك كانت العادة ان لا يملأوا البالون كلهُ غازًا قبل ارتفاعهِ حتى اذا علا في الجو وخفَّ الضغط عنهُ وتمدَّد الغاز في داخلهِ بسبب ذلك وجد الغاز مكانًا يتمدَّد فيهِ ولم يشدَّ على داخل البالون ولم يشقهُ. الَّا ان البالون كان يتجعَّد قبل ارتفاعهِ كثيرًا في الجو وتمدُّد الغاز داخلهُ وملئهِ لهُ . ولسبب تجعدهِ هذا تزيد مقاومة الهواء لهُ فيعاوقهُ في سيرهِ . ولذلك عدلوا عن هذه الطريقة الى طريقة أُخرى استنبطها رجل فرنسوي يسمَّى مُسنيه منذ نحو ثمانين سنة . وهي ان تنفخ زقاق وتوضع في البلون حتى اذا علا وتمدَّد الغاز داخلهُ وخيف ان يشقهُ تفرَّغ الزقاق فيكون للغاز متسع يتمدَّد فيهِ . واذا وطؤ البالون فتقلَّص الغاز داخلهُ من تزايد ضغط الهواء عليهِ من الخارج تنفخ الزقاق فيبقى جوفهُ ممتلئًا فلا يتجعَّد سطحهُ . وعلى ما تقدَّم يثبت جرمهُ على حال واحدة في الصعود والهبوط فلا يعاوقهُ الهواء كثيرًا

وزاد على ما تقدَّم انهُ وضع في المؤخر قلعاً مثَّلث الشكل ليقوم مقام الدفَّة واطار البالون في ٢ فبراير سنة ١٨٧٢ وساقهُ بلفَّة كهربائية يديرها ثمانية رجال بايديهم (وهذا مكان الضعف في اختراعهِ) فذهب بسرعة ٢,٦ المتر في الثانية كما تقدَّم فلم يقدر ان يغالب الريح التي كانت تهبُّ بسرعةٍ اعظم من سرعتهِ يومئذٍ

فهذا اختراع دپپوي واما اختراع رينار وكريب فيشبههُ في اكثر الامور فشكل بالونهما يشبه شكل بالونهِ الاَّ انهُ اقرب منهُ الى البيضوية فهو غليظ من عقبهِ الذي يتجه الى الامام في سيرهِ ودقيق من رأسهِ الذي يتجه الى الوراء . والغرض من ذلك تقليل مقاومة الهواء لهُ . وزورقهما الذي يجلسان فيهِ معلَّق بهِ على شكلٍ تعلُّق الزورق في بالون دپپوي بحيث يبقى ثابتاً لا يتقلقل وهو مصنوع من قصب الزان ومغطى بالحرير ليقل فرك الهواء عليهِ وطولهُ ٣٣ متراً وعلوهُ نحو مترين . وفي البالون زقاق ينفخانها عند ارتفاعهِ ويفرغانها عند نزولهِ ليبقى جرمهُ على حال واحدة. والفرق الجوهري بين اختراعهما واختراع دپپوي انهما يسوقان البالون بمحرك في مقدم الزورق يدور بقوة الكهربائية المتولدة من رصيفٍ كهربائي لا بقوة الرجال كما في اختراع دپپوي . وهذا وجه فضل اختراعهما على سائر ما أُخترع قبلهُ لان سرعتهُ تبلغ ٥ امتار او اكثر في الثانية حال كون سرعة غيرهِ لم تبلغ الاربعة مع تكبير الآلات المحرّكة فيهِ

وقد جرَّبا الطيران في بالونهما ثلاثاً . الاولى في ٩ اغسطس سنة ١٨٨٤ فبلغ معدل سرعتهِ نحو ٥ امتار في الثانية مدَّة ٢٣ دقيقة وكان الهواء يومئذٍ رهواً فثبت للناظرين انهما يسوقان سفينتهما الهوائية كما يشاءان ولاسيما لانهما عادا فنزلا في المكان الذي صعدا منهُ بعد ان جالا في الهواء طويلاً . والثانية في ١٢ سبتمبر وكانت سرعة الريح ٧ امتار في الثانية حينئذٍ فلم يقدرا ان يثبتا ضدَّها اكثر من عشر دقائق والثالثة في ٨ نوفمبر وفيها صعدا دفعتين استرجعا فيهما صيت بالونهما واستظهرا على الريح. اما في الدفعة الاولى فصعدا نحو الظهر وطارا مسافةً ضد الريح ثم اوقفا المحرك فوقف البالون حتى قاسا سرعة الريح التي كانت تهبُّ حينئذٍ فوجداها ثمانية الاف متر في الساعة وكانت سرعة بالونهما ثلاثة وعشرين الف متر فيكونان قد قطعا الجوَّ في سيرهما على معدَّل ١٥ الف متر في الساعة . ولما فرغا من قياس سرعة الريح ادارا المحرك ليرجعا فدار البالون في نصف دائرة قطرها نحو ١٦٠ متراً ثم سارا على خط موازٍ لخط مسيرهما الاول حتى اتيا ونزلا في المكان الذي صعدا منهُ . وبعد ساعتين من نزولهما عادا فصعدا دفعةً ثانية الاَّ انهما خشيا ان تغيب الارض عن بصرهما اذا اطلقا لمركبتهما العنان لان الضباب كان كثيفاً ساعتئذٍ فاقتصرا على ترويضها امام الناظرين فكانا يجريانها والريح

تهبُّ تارةً من امامها واخرى من ورائها واخرى عن جوانبها كل ذلك وهما يوقفان المحرك فتحملهما الريح تارةً ويديرانهِ فيجريان كيف شاءا اُخرى . وداما يروضان مركبتهما كذلك خمساً وثلثين دقيقة ثم نزلا في المكان الذي صعدا منهُ وقد اقتنع الذين كانوا ينظرون اليهما على ما يظهر واقرُّوا انهما حلاَّ المسألة التي حيَّرت العالم زماناً واُهرقت دون حلها دماء المخاطرين وانفقت اموال المجرّبين ولكن لم تثبت الايام اقرارهم

وقد نشرنا هذا التفصيل في المجلد التاسع من المقتطف الذي صدر حينئذٍ . ومن عهد رينار وكريب زيد اتقان البالون ولكن لم يُضَف اليهِ استنباط كبير . نعم ان بالون الكونت زبلن استرعى النظر لكبرهِ فان طولهُ كان اكثر من اربع مئة قدم وهو مقسَّم الى غرف كثيرة لكي لا يجتمع الغاز في طرف من طرفيهِ لكن الريح قاومتهُ لكبر جرمهِ وكانت الحرب بينهُ وبينها سجالاً في اول الامر ثم تغلبت عليهِ ودقت اضلاعهُ

وبالون سنتوس ديمون الذي اكثرنا من ذكرهِ اصلح من بالون الكونت زبلن ولكنهُ قلما يفوق بالون رينار وكريب ولا يزال ذكرهُ حديثاً في اذهان القراء فلا نعيد وصفهُ

ونقلت الينا شركة روتر ونحن نكتب هذه السطور ان المستر ستنلي سبنسر طار من قصر البلور ببلاد الانكليز ووصل الى هري مسافة ثلاثين ميلاً ففاق بذلك سنتوس ديمون وزبلن. وطول البالون الذي طار بهِ ٧٥ قدماً وقطرهُ ٢٠ قدماً وهو يطاوع دفتهُ بسهولة

وقد كاد البالون الغازي يبلغ ما بلغهُ الآن من الاتقان منذ اول نشأتهِ فان المسيو بلنشار صنع بالوناً سنة ١٧٨٤ قطرهُ ٢٧ قدماً طار بهِ من باريز ونزل قرب سافر . ثم طار بهِ من دوفر بانكلترا في السنة التالية هو والدكتور جفرس الاميركي وسارا قاصدين كالي فوق الخليج الانكليزي فلما صارا في منتصف الطريق رأيا البالون آخذاً في النزول فرميا كل ما فيهِ من الاثقال وظلَّ البالون آخذاً في النزول فرميا المرساة وثيابهما وكادا يقطعان المركبة ويرميانها لانهما خافا من الغرق لكنهُ صعد بهما حينئذٍ وظلَّ سائراً الى ان مرَّ فوق الخليج كلهِ ونزل في البر الفرنسوي سالماً

وقد صوَّرنا هذا البالون وبالون منغلفيه في صفحة ملحقة بهذه المقالة وطبعنا فيها صوراً اُخرى لايضاح ما ذكر في هذه المقالة

هذا من حيث البالون وخلاصتهُ ان الطيران بهِ ممكن ولكن راكبهُ يبقى تحت رحمة العواصف فاذا كانت الرياح هاجعة سار بهِ كيف شاء وكذلك اذا هبَّت هبوباً بطيئاً ولكنها اذا ثارت شديدًا عبثت بهِ ولم يسلم من شرها الاَّ اذا رضي من الغنيمة بالاياب العاجل ولا غرابة

في ذلك لان البالون مخالف للطبيعة ولا مثيل لهُ فيها فلا عجب اذا لم يجد منها نصيرًا

هذا ولنرجع الى الاسلوب الطبيعي وهو اسلوب الطيران بالاجنحة فنقول اننا ابنّا في المجلد الثالث عشر من المقتطف ان الطيران غير مقدور للانسان اذا اعتمد على قوتهِ العضلية وحدها لانها غير كافية لرفع جسمهِ ودفعهِ في الهواء ولذلك فما حاولهُ ليلنثل اولاً كان من قبيل المستحيل وغاية ما استطاعهُ ان يقع في خط مائل بدلاً من ان يقع في خط عمودي واخيرًا دق عنقهُ وذهب شهيد الطيران مع ان السطوح الواسعة التي كانت في جهازهِ ساعدتهُ كثيرًا في طيرانهِ

الّا ان ما تعجز عنهُ عضلات الانسان تقدر عليهِ قوة البخار او قوة الكهربائية وقد نقلنا عن المرحوم الاستاذ بروكتر في المجلد الثاني عشر من المقتطف كلامًا تزيدهُ الايام اثباتًا وهو "ان طيران الانسان في البالون وانتقالهُ بهِ من مكان الى آخر وافقتهُ الرياح او لم توافقهُ ضرب من المحال لان البالون كبير الجرم جدًا فاذا ضادّتهُ مجاري الرياح مزقتهُ او عجز ما فيهِ من الآلات عن صدها . ولكن لا يبعد ان يتمكّن الانسان من الطيران بالاجنحة الصناعية او ان يتّصل الى ما هو انفع من ذلك وهو ان يخترع آلة تسير في الهواء بتحريك اجزائها فيهِ كما يطير الطائر بحركة جناحيهِ "

الّا ان كيفية طيران الطائر غير مدركة تمامًا حتى الآن لكي يسهل التمثل بهِ وغاية ما وصل اليهِ الباحثون من هذا القبيل آلة صنعها المسيو بنو تطير من نفسها لكنها صغيرة جدًا لا يبنى عليها حكم لان ما يصدق على الآلات الصغيرة لا يصدق على الكبيرة

واهتمّ الاستاذ لنغلي الاميركي بمسألة الطيران اهتمامًا عظيمًا وجرَّب التجارب العملية الكثيرة فيها فوجد ان الآلات التي صنعها لتطير بحركتها لا تطير ما لم تكن قوتها اضعاف قوة ما يعادلها من الطيور . واقتفى السر حيرام مكسيم خطوات الاستاذ لنغلي وصنع آلتهُ التي طارت ثم افلتت وتكسَّرت بعد ان انفق عليها الالوف من الجنيهات . واصلح منها آلة هفمان وهي تمتاز على كل ما تقدمها من آلات الطيران بان لها اربع ارجل ذات بكر تنتصب عليها كالحيوان وتجري على عجلها جريًا حتى اذا حانت الفرصة المناسبة للطيران رفع من فيها هذه الارجل فوقف معلقًا بين الارض والسماء ويحرك جناحي الآلة حينئذٍ يضرب بهما الهواء فيسير الى الامام كالطائر وفيها دفة ولولب لتعديل سيرها واتجاهها

وستجتمع زبدة آلات الطيران في معرض اميركا في العام المقبل وسنرى حينئذٍ غاية ما بلغتهُ وما يحكم لهُ بالفوز منها

حكيم فيلبين

حينما يُذكر اسم فيلبين وسكانها الذين سامهم الاسبانيون ضروب الذل والاستعباد الى ان نُشرت فوق جزائرهم الراية الاميركية لا يتصوَّر السامع الَّا اناساً سود الابدان مثل زنوج افريقية بعيدين عن كل اسباب الحضارة ويظن اننا نعني بحكيم فيلبين رجلاً من الاوربيين سكن تلك الجزائر او وُلد فيها من ابوين اوربيين فنُسب اليها . لكن هذا الظن على خلاف الواقع لان الحكيم المشار اليهِ من اهالي فيلبين ابًا عن جد ومن اعرقهم نسبًا واشدهم حميَّة كما انهُ من اوسعهم علمًا واعلاهم همَّة وقد ختم حميتهُ الوطنيَّة بدمهِ . وها نحن موردون طرفًا من سيرتهِ وفلسفتهِ نقلاً عمَّا كتبهُ عنهُ الاستاذ بلومنترت الالماني وكان صديقًا لهُ قال :

في الثلاثين من دسمبر سنة ١٨٩٦ قتل ولاة الامر الاسبانيون في مانيلا اعظم ابناء فيلبين الدكتور ريزال زاعمين انهُ من مهيجي الثورة فيها . وهو من التغال احدى القبائل المغوليَّة الاصل التي استوطنت جزائر فيلبين من عهد بعيد جدًّا. درس في مدارس الاسبانيين في بلادهِ وتعلم علم الطب في مانيلا ومدريد ونال من مدرسة مدريد الجامعة دبلوما الدكتورية في الطب والفلسفة . ثم تخرَّج من مدرسة باريس ومدرسة هيدلبرج ومدرسة ليبسك ومدرسة برلين وعكف على المباحث اللغويَّة والشعبيَّة وانتظم في عضويَّة جمعيَّة برلين الانثروبولوجيَّة اي الباحثة عن الانسان ونشئهِ . والَّف رواية ترجمت الى اللغة الانكليزيَّة باسم طيران النسر اغتاظ منها ولاة الامر الاسبانيون في مانيلا فلم يسمحوا لهُ بالاقامة في بلادهِ فطاف في بلاد يابان واميركا الشمالية ثمَّ جاء الى مدينة لندن واقام فيها مدة وهو يوسع معارفهُ اللغويَّة والَّف رواية أُخرى سياسية المغزى ثم انتقل الى هنغ كنغ ومنها الى بورنيو وعزم ان ينشئ هناك مستعمرةً لابناء وطنهِ الذين تضطرهم احوال السياسة الى مهاجرة بلادهم . وأُذن لهُ حينئذٍ في زيارة وطنهِ ولكن قُبض عليهِ حالما وطئتهُ قدماهُ وأُودع السجن ثم لما انتشرت الفتنة في البلاد سنة ١٨٩٦ اتُّهم بانهُ مثير نارها فبرَّأ نفسهُ ونجا واتُّهم ثانيةً وثالثة وفي المرة الثالثة حكم عليهِ بالقتل فذهب شهيدًا

ومن المباحث الفلسفيَّة التي عكف عليها تحليل ما يعتقدهُ البيض في السود وما يعتقدهُ السود في البيض وكان من اقدر الناس على هذا البحث لانهُ من السود وقد نشأ بينهم وتعلَّم علوم البيض وعاشرهم زمانًا طويلاً نخبر احوال امم كثيرة مختلفة الالوان والدماء في وطنهِ فيلبين وفي اليابان وهنغ كنغ واوربا واميركا وكان يعرف لغات كثيرة معرفة تامَّة فيستطيع

ان يطالع ما كتب فيها في هذا الموضوع ونحوهِ من المواضيع المرتبطة بهِ. وقصر بحثهُ على علاقة السود بالبيض في فيلبين وما يشعر بهِ كل فريق منهما نحو الآخر لكي لا يتسع مجال البحث عليهِ

قال انهُ رأى وهو فتى صغير السن ان الاسبانيين المقيمين في فيلبين يحتقرونهُ لانهُ من اهالي فيلبين لا لسبب آخر فلما رأى منهم ذلك جعل يبحث عمَّا اذا كان هناك مسوّغ يسوّغ لهم ولغيرهم من الاقوام البيض الوجوه ان يحتقروا اناساً يعقلون مثلهم ويدرسون مثلهم لان جلدهم اسمر فان الاوربيين يدَّعون انهم سادة الناس وموجدو العلم والعمران وانهم هم نوع الانسان العاقل وسائر الشعوب دونهم ولا يستطيعون ان يبلغوا مبلغهم . وقد لا يجاهرون بهذه الامور ولكن معاملتهم لغيرهم تدل على انهم يعتقدون ذلك ويجرون عليهِ . فقال الدكتور ريزال في نفسهِ ترى هل هذه الدعاوى صحيحة . قال ذلك وهو تلميذ في المدرسة ثم نظر الى من حولهُ من التلامذة الاسبانيين وقابل قواهُ العقليَّة بقواهم فوجد ان لا فرق بينهُ وبينهم في المدرسة فان فيهم المجتهد والكسلان والاديب والسفيه والذكي والخامل كما في ابناء وطنهِ . ثم جعل يناظرهم لا كولد يسابق ولداً آخر بل كشعب يناظر شعباً وكان يسرُّ كلما حلَّ مسألة اعتاصت عليهم. واقتنع من ذلك الحين ان القوى العقليَّة واحدة في ابناء بلادهِ وفي الاسبانيين وتجري على اسلوب واحد في التصور والاستدلال وسائر الافعال العقليَّة

وولَّد هذا الاستنتاج في نفسهِ شيئاً من التباهي الجنسي فاعتقد ان التغال الذين هو منهم ارقى من الاسبانيين عقلاً (ولم يكن قد رأى غيرهم من البيض) لان الاسبانيين يتعلمون بلغتهم واما هو وابناء امتهِ فيتعلمون بلغة غير لغتهم فيضطرون ان ينفقوا جانباً من جهدهم في فهم اللغة الاسبانية وهم يتعلمون العلوم بها وهذا لا يفعلهُ اولاد الاسبانيين فاذا استطاع ابناء امتهِ ان يجاروا اولاد الاسبانيين فهم اذكى منهم عقلاً لكنهم لا يجارونهم فقط بل يفوقونهم ايضاً

وهناك امر آخر جعلهُ ينكر امتياز الاوربيين عقلاً وهو انهُ رأى الاسبانيين يعتقدون ان الوطنيين يحسبونهم اسمى منهم عقلاً وافضل جبلة وكان يعلم ان اكرام ابناء وطنهِ للاسبانيين لم يكن ناتجاً عن اعتقادهم ان الاسبانيين افضل منهم بل عن خوفهم منهم اوعن تملقهم بقصد الاكتساب بالتقرُّب منهم ما دامت ادارة البلاد في يدهم وقد لحظوا ان هذا التملُّق يرضي الاسباني فاكثروا منهُ واذا ادار ظهرهُ اغتابوهُ وضحكوا عليهِ واستخفوا بهِ لانهُ لا يدرك احتيالهم عليهِ. وهذا اتخذهُ ريزال وهو فتى دليلاً على امتياز ابناء بلادهِ على الاسبانيين ذكاء ودهاء ثم اضطرَّ ان يعدل عن هذه النتيجة لما زاد اختباراً وعاشر غير الذين عاشرهم في صباهُ وقال انني صرت كلما قرأت في كتب الاوربيين او سمعت في حديثهم ما تشتمُّ

منهُ رائحة الاستخفاف باهل وطني اضحك على نفسي وعلى الغيرة العمياء التي كنت اغارها في صباي وصرت اراجع المثل الفرنسوي القائل من ادرك الامور تساهل فيها

وانقشعت الغشاوة عن عينيهِ حينما اتى اسبانيا واقام فيها فان الاسبانيين في فيلبين عنوان التعصب والاستبداد راهبهم وضابطهم وحاكمهم سواء . اما في مدريد فالامر على ضد ذلك . رأى هناك المعطِّل والدهري يصرّحان بآرائهما علناً وساطة الحكومة على اضعفها والاحرار يناظرون الحزب الاكليريكي والكارلوسيون يبثون آراءهم في كل مكان

وزادت مداركهُ اتساعاً بسكناهُ في فرنسا والمانيا وانكلترا واتَّسع نطاق معارفهِ فانكشف لهُ معنى الشعوب ومزايا الامم فقرأ اشهر الكتب الموضوعة في البحث عن طوائف الناس واخلاقهم ودرس طبائع الفلاحين في فرنسا والمانيا حاسباً انها ادل على اخلاق الامَّة من طبائع سكان المدن وقابلها بطبائع اهالي بلادهِ وكان ينقطع الى بعض القرى المنفردة يقيم فيها الاسابيع والشهور يراقب احوال الفلاحين ويدرس طبائعهم وجمع نتائج ابحاثهِ في القضايا التالية

الاولى : ان طوائف الناس تختلف منظرًا وبنية ولكنها لا تختلف عقلاً او نفساً فالبيض والصفر والسمر والسود يشعرون ويسرُّون ويتألمون على حدٍّ سوى وتؤثر فيهم المؤثرات على منهاج واحد ولكنهم يختلفون في التعبير عمَّا يخالج ضمائرهم . وطرق التعبير هذه لا تجري مجرًى واحدًا في الشعب الواحد بل تختلف اختلافاً كبيرًا تبعاً لاختلاف الاحوال

الثانية : ان اختلاف اجناس الناس امر عرفي فقط والحقيقة انهم جنس واحد لهُ طبقات مختلفة اختلافها اجتماعي اكثر مما هو جنسي كأنَّ كل شعب منها جبلٌ فيهِ طبقات كثيرة . وكما ان بعض الجبال يكون ناقصاً الطبقات العليا ولكن الجبال كلها تحوي الطبقات السفلى كذلك طوائف الناس ينقص بعضها الطبقات العليا ولا ينقصها كلها شيء من الطبقات السفلى

ففي فرنسا والمانيا القديمتي العمران جانب كبير من السكان يشبه قبيلة التغال ولا يمتاز عنها الَّا باللباس واللغة ولون البشرة لكن الشعوب تفرق عن الجبال في انها تنمو والجبال لا تنمو فتتولَّد فيها الطبقات العليا وتولُّدها لا يتوقف على مقدرتها العقليَّة وحدها بل لهُ اسباب أُخرى ايضاً بعضها معلوم وبعضها غير معلوم ومنها ما يأتي اتفاقاً

الثالثة : يقول كثيرون من حكام المستعمرات ومن رجال العلم ايضاً ان عقول سكانها محدودة لا تبلغ عقول الاوربيين فان صحَّ ذلك فسببهُ ان العقل الثاقب كالغنى الوافر لا ينالهُ كل انسان فان كان الغني يحسب انهُ ولد غنيًّا فهو خادع نفسهُ لانهُ ولد فقيرًا عاريًا مثل افقر الناس لكنهُ ورث الثروة التي خلَّفها لهُ والداهُ كذلك الانسان يرث العقل الثاقب من

اسلافهِ . فان الشعوب التي دعتها احوال المعيشة الى استعمال قواها العقلية وترويضها نمت قواها حتى صارت اقوى مما هي في غيرها واورثتها لاولادها فزادت فيهم مضاءً بالاستعمال . نعم ان عقول الاوربيين ذكية الآن ولكن اسلافهم الاولين لم يكونوا كذلك بل قد مضى عليهم قرون وهم يجاهدون ووافقتهم احوال الزمان وخدمهم السعد فتمتعوا بالحرية والشرائع العادلة وقادهم اناس فضلاء حتى تمكنوا من توريث اولادهم ذكاء العقل . والموصوفون منهم بالفطنة والذكاء الآن لم يبلغوا ما بلغوهُ الا بعد ان جاهد اسلافهم قروناً كثيرة في هذا السبيل . ويظهر من التاريخ ان الرومانيين لم يكونوا يحسبون الالمانيين في عهدهم افضل مما يحسب الاسبانيون اهالي فيلبين الآن . ولما مدح تاشيتوس الالمانيين كان مدحهُ لهم فلسفياً محضاً مثل مدح اتباع روسو لاهالي تهيتي حاسبين اياهم عنوان البشرية

الرابعة : ان احتقار الاسبانيين لاهالي فيلبين يسهل تفسيرهُ ولكن ذلك لا يخلصهم من المؤاخذة . فان الضعاف لا يهاجرون بلادهم ولا يهاجر الا الاشداء وهؤُلاء يصلون الى المستعمرة وقد رسخ في اذهانهم انهم آتون اليها ليسودوا اهاليها ثم هم اذا كتبوا عنها ذكروا اهاليها بالازدراء والاهالي لا يقرأُون ما يُكتَب عنهم او لا يستطيعون الردَّ عليهِ . وزد على ذلك ان هؤُلاء المهاجرين يعاشرون الطبقة السفلى من الناس في الغالب فيصدق حكمهم على الاهالي كلهم كما يصدق حكم من يحكم على اخلاق الالمانيين والفرنسويين مثلاً من معاشرة بائعات اللبن وساقة المركبات

الخامسة : ان الوصمة الكبرى على اهالي فيلبين هي لون جلودهم لا غير فان كثيرين من اهالي اوربا ارتقوا من ادنى المراتب الى اعلاها ولم يعترض عليهم احد واما الرجل منَّا فهما امتاز بذكاء العقل وكرم الاخلاق يبقى لون وجههِ وصمة موصوماً بها امام البيض يحتقرونهُ لاجلها وتراهم يحاسبونهُ على كل هفوة . فاذا ارتقى ابن الاسكاف الاوربي وصار باروناً نسوا اصلهُ واغتفروا زلاتهِ واما الرجل منَّا فان اخطأَ ولو خطأً طفيفاً هزوا رؤُوسهم وقلبوا شفاههم وقالوا ماذا يُنتظر منهُ اكثر من ذلك وهو وطني . واذا لم يؤْخذ بهفوة ولا خالف قاعدة من آداب المعاشرة وكان طبيباً ماهراً او قاضياً عالماً لم يمدح على مهارتهِ بل نُظر اليهِ بعين الاستغراب كما يُنظَر الى كلب يحسن اللعب في ملعب الخيل لا كما ينظر الى رجل من الاكفاء

ومن الغريب ان المرأَة الالمانيَّة التي ترى من خادمتها ما يغيظها لا تشرك كل الجنس الالماني في لومها لها ولكن الاوربيين الذين يسكنون المستعمرات وخدامهم من اهاليها يأْخذون الاهالي كلهم من غير حياء بجريرة خدامهم ويرتكبون هذا الوزر ولا ضمير لهم يوبخهم عليهِ

ثم ان التجار الاوربيين يقصدون بلادنا لكي يغتنوا منها باسرع ما يمكن من الزمن فيشترون البضائع من الاهالي بابخس الاثمان ويرى الاهالي انهم عاملون على غشهم وابتزاز اموالهم منهم فيعاملونهم بالمثل ويكيلون لهم الصاع صاعين اذا استطاعوا واما معاملتهم بعضهم لبعض فليست كذلك بل هي على تمام الصدق والامانة ولذلك يعتقد الاوربيون ان الوطنيين كذابون خادعون ولا يخطر ببالهم انهم هم الذين الجأوهم الى الكذب والخداع بكذبهم وخداعهم

وقال الدكتور ريزال انهُ لما اتى اوربا ورأى كيف يعامل اهاليها بعضهم بعضاً لم يعد يعجب من معاملتهم لاهل بلادهِ

وكان هذا الرجل مصوراً ورساماً ونحاتاً وعند الاستاذ بلومنترت ثلاثة تماثيل من عملهِ وهي بديعة الصنعة جداً تكاد تتكلم الواحد منها يمثل برمثيوس مقيداً والثاني يمثل غلبة الموت على الحياة وهو هيكل من العظام لابس قلنسوة راهب وفي يدهِ جسم فتاة . والثالث تمثال فتاة واقفة على رأس الموت وبيدها مشعال رفعتهُ فوق رأسها وهو يمثل غلبة المعرفة على الموت. انتهى

هذا ومَن طالع تاريخ الاوربيين في الهند وافريقية رأى فيهِ ادلةً كثيرة تؤيد ما قالهُ الدكتور ريزال وقد كنا نظن ان النعرة التي ترى من بعضهم انما هي خاصة بالذين اصلهم وضيع منهم او بالحديثي النعمة وهؤلاء ثقيلو الوطأة في كل مكان اوربيين كانوا او غير اوربيين امَّا ابناء البيوتات الكبيرة الرابون في النعمة والرفاهة فهم في الغالب ودعاء لينو العريكة . هذا الذي كنا نراهُ فنطلقهُ على جمهور الاوربيين ثم اتضح لنا حديثاً ان النداء الذي نادى بهِ كبلن وهو ان اهالي اوربا واميركا سادة المسكونة وغيرهم كالانعام المسوَّمة ويجب على السادة ان يتسلطوا على الانعام ويسوسوها كما يسوس الانسان ماشيتهُ لكي يجز صوفها ويشرب لبنها ويستخدمها في قضاء حاجاتهِ هذا النداء صدى ما يشعر بهِ اكثر الذين بيدهم الامر والنهي من الاوربيين وقد كاد الاميركيون يحذون حذوهم الآن حتى يصدق عليهم كلهم قول المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلة لا يظلمُ

والاَّ فما معنى ايثارهم انفسهم على غيرهم من المشتغلين معهم من غير جنسهم ولو في ما لا تفاضل فيهِ وما اساسهُ الاول منع التمييز بين الناس كالتعليم والتبشير . وحقيقة الامر ان التنافس القديم الذي كان بين الشرق والغرب في عهد الفرس واليونان لا يزال جارياً مجراهُ ولم يعد الآن سجالاً كما كان قبلاً لان الشرق استنام الى الذل منذ سنين كثيرة والغرب ركب متن السوابق ولن تتغير هذه الحال الاَّ اذا فشت في اوربا ادواء الحضارة والرفاهة فافسدت عمرانها وقام في الشرق كثيرون من المصلحين فاصلحوا شؤون اهلهِ ومعتقداتهم

سكك الحديد في تركيا

نقلاً عن جريدة التيمس

زاد اهتمام الناس حديثاً بسكك الحديد في تركيا على اثر مشروع السكة التي يراد انشاؤها بين بغداد وخليج العجم وتخوُّف الجرائد الروسيَّة منها ولذلك فاحوال السكك الحديدية الموجودة الآن في تركيا مما تفيد معرفتهُ وهذه السكك هي

(١)	السكة بين ازمير وايدين	للانكليز	طولها	٥١٥	كيلومترًا
(٢)	السكة الشرقية	للحكومة العثمانية	»	١٣٤٣	»
(٣)	سكة الاناضول	للالمان	»	١٠٣٢	»
(٤)	السكة بين ازمير وكسب	للفرنسويين	»	٥١٣	»
(٥)	» بين سلانيك ومونستير	للالمان	»	٢١٩	»
(٦)	» الموصلة بين سلانيك والاستانة	للفرنسويين	»	٥١١	»
(٧)	» بين بيروت ودمشق وحوران	للفرنسويين	»	٢٥٨	»
(٨)	» بين يافا والقدس	للفرنسويين	»	٨٧	»
(٩)	» بين مرسين وادنه	»	»	٦٧	»
(١٠)	» بين مودانية وبورصة	للالمان	»	٤١	»

وجملة ذلك ٤٥٨٦ كيلومترًا او ٢٧٥١ ميلاً . وخمس من هذه السكك تأخذ اعانة من الحكومة وهي الاولى والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة. وقيمة الاسهم والسندات تساوي ٧٧٠٠ جنيه عن كل كيلومتر من السكة الاولى و ٧٩٤٥ جنيها عن كل كيلومتر من الثانية و ٩١٤٢ جنيهاً عن كل كيلومتر من الرابعة و ٨٤٠٢ عن كل كيلومتر من الخامسة و ٨٤٦٠ جنيهاً عن كل كيلومتر من السادسة و ٦٦٠٠ جنيه عن كل كيلومتر من التاسعة

اما السكة الثانية اي السكة الشرقية فللحكومة وليس لها اسهم وسندات والسكة السابعة التي بين بيروت ودمشق وحوران اضطرت شركتها ان تصفى وتؤلف شركة اخرى وكذلك السكة الثامنة بين يافا والقدس والعاشرة بين مودانية وبورصة

السكة بين ازمير وايدين

هذه السكة اهم سكك الحديد في تركيا وهي السكة الوحيدة التي اصحابها من الانكليز وليس لها اعانة من الحكومة لكن لها ما هو افضل من ذلك وهو كثرة ما تنقلهُ من البضائع

والركاب فقد بلغ صافي دخلها من ذلك في العام الماضي ٢١٧٦٨٦ جنيهاً اي ٤٢٣ جنيهاً عن كل كيلومتر او ٢/١ ٥ في المئة بالنسبة الى رأس مالها من الاسهم والسندات وسينتهي امتيازها سنة ١٩٣٥ ولكن لا بدَّ من ان يجدَّد او ان تشتريها الحكومة العثمانيَّة بمبلغ يساوي ما تساويهِ اسهمها وسنداتها حسب اسعار السوق. فحالتها الماليَّة حسنة وفائدة سنداتها ٤ في المئة فتستغرق من الربح ٧٢٦٠٠ جنيه فقط تدفع قبل دفع حصص الاسهم ولذلك فهي بمأمن من كل خطر. وقد بلغت مصروفات هذه السكة في العام الماضي ٣٦ وثلث في المئة من ايراداتها

سكة الاناضول

تقسم هذه السكة الى قسمين الاول خط حيدر باشا واشميد وانقره وطولهُ ٥٧٨ كيلومترًا والحكومة تضمن لهذا الخط ٤١٢ جنيهاً عن كل كيلومتر من الاثنين والتسعين كيلومترًا التي بين حيدر باشا واشميد و ٦٠٠ جنيه لكل كيلومتر من المسافة الباقية وهي ٤٨٦ كيلومترًا فكانها تضمن لكل كيلومتر من الخط كلهِ ٥٧٠ جنيهاً او ١٤٢٥٢ فرنكاً ايرادًا عمومياً . وقد بلغ ايراد الكيلومتر منهُ في العام الماضي ٥١٩ جنيهاً او ١٢٩٦٢ فرنكاً فما اضطرت الحكومة الى دفعهِ قليل جدًّا وينتظر ان لا تدفع شيئاً هذا العام بل يبلغ الايراد ما ضمنتهُ الحكومة

والقسم الثاني وطولهُ ٤٤٥ كيلومترًا ضمنت لهُ الحكومة ٥٤٩ جنيهاً ايرادًا عمومياً لكل كيلومتر او ١٣٧٢٥ فرنكاً ولكنها اشترطت ان يكون معظم ما تدفعهُ لكل كيلومتر ٢٧٠ جنيهاً او ٦٧٤٠ فرنكاً. وقد بلغ ايراد الكيلومتر من هذا الخط في العام الماضي ٢١٧ جنيهاً فاذا أضفنا اليهِ اكثر ما تضطر الحكومة الى دفعهِ وهو ٢٧٠ جنيهاً بلغ ايراد الكيلومتر ٤٨٧ جنيهاً

وهناك فرع صغير طولهُ تسعة كيلومترات من الحميديَّة الى ادابازار لم تضمن الحكومة لهُ شيئاً

وقد بلغت مصروفات سكة الاناضول كلها في العام الماضي ١٧ و ٤١ في المئة من الايرادات. وبلغ المال الذي دفعتهُ الحكومة العثمانية لها ١٤٨٤٦٢ جنيهاً . وقد دفعت شركة هذه السكة في العام الماضي ٥ في المئة لحاملي اسهمها وسنداتها وابقت مبلغاً كبيرًا مالاً احتياطيًّا ولذلك فاشغالها رابحة. وقد قلنا آنفاً ان الكيلومتر منها يساوي ٧٩٤٥ جنيهاً هذا اذا قسمنا قيمة الاسهم والسندات الاصلية على الكيلومترات ولكن لم تبلغ نفقات انشاء الكيلومتر حقيقة سوى ٧٤٧٢ جنيهاً فالباقي وهو ٤٨٨٠٠٠ جنيه لا يزال مالاً احتياطيًّا

سكة ازمير وكسب

القسم الاول من هذه السكة وطولهُ ٢٦١ كيلومترًا قديم كان امتيازهُ لشركة انكليزيَّة ولكن الحكومة العثمانيَّة حفظت لنفسها حق ابتياعهِ بعد سنة ١٨٩١ فابتاعتهُ سنة ١٨٩٣

واجَّرتهُ لشركة فرنسويَّة الى ٩٩ سنة وتأْخذ الشركة نصف الايرادات لاجل النفقات وقد اعطت الحكومة المال الذي ابتاعتهُ بهِ وقسطت عليها ايفاءَهُ اقساطاً سنويَّة كل قسط منها ٩٢٤٠٠ جنيه او ٢٣١٠٠٠٠ فرنك فاذا نقص النصف الثاني من الايرادات عن هذا القسط فالحكومة تدفع الفرق الى الشركة

وقد بلغت ايرادات هذا الخط في العام الماضي ٤١٢٤٦٥٢ فرنكاً ونصيب الحكومة من ذلك ٢٠٦٢٣٢٦ وهو يقل عن القسط السنوي ٢٤٧٦٧٤ فرنكاً او ٩٩٠٧ جنيهاً التزمت الحكومة ان تدفعها فيكاد هذا الخط يقوم بنفقاتهِ وايفاء دينهِ

والقسم الثاني من هذه السكة من ابو شهر الى قراحصار طولهُ ٢٥٢ كيلومترًا انشأَتهُ الشركة الفرنسوية وضمنت لها الحكومة العثمانية ايرادًا سنويًّا ٧٥٥ جنيهاً عن كل كيلومتر وفتح الخط سنة ١٨٩٧ وبلغ ايراد الكيلومتر منهُ في العام الماضي ١٩١ جنيهاً فكان على الحكومة ان تدفع لها ٥٦٤ جنيهاً عن كل كيلومتر والجملة ١٤١٦٤١ جنيهاً . وسيزيد ايراد هذا الخط مع الزمان ولكن لا بدَّ من ان يبقى معتمدًا على مساعدة الحكومة العثمانية سنين كثيرة

وتبلغ مصروفات هذه السكة كلها ٥٢ وثلث في السنة من ايراداتها عدا الرسم الذي تدفعهُ في فرنسا ويقابل ذلك ٤١ في المئة في سكة الاناضول و٣٦ وثلث في المئة في سكة ازمير وايدين

سكة سلانيك ومونستير

أُعطي امتياز هذه السكة لشركة المانية مدة ٩٩ سنة من سنة ١٨٩٠ وضمنت لها الحكومة العثمانية ٥٧٢ جنيهاً عن كل كيلو متر وقد بلغ ايرادها في العام الماضي ٢٨١ جنيهاً عن كل كيلومتر فاضطرت الحكومة ان تدفع ٢٩١ جنيهاً عن الكيلومتر وجملة ما دفعتهُ ٦٣٧٧٧ جنيهاً . ونفقات التشغيل ٤١ في المئة من مجموع الايراد وما تدفعهُ الحكومة

الوصلة بين سلانيك والاستانة

امتيازها لتسع وتسعين سنة ابتداؤُها سنة ١٨٩٢ وتضمن لها الحكومة ٦٢٠ جنيهاً ايرادًا لكل كيلومتر وقد بلغ دخل الكيلومتر منها في العام الماضي ١٤٤ جنيهاً فكان على الحكومة ان تدفع ٤٧٦ جنيهاً عن كل كيلومتر . وعلى هذا الخط نقلت الحكومة جنودها في حربها مع اليونان فهو خط حربي ولا بدَّ من ان يبقى معتمدًا على مساعدة الحكومة . وبلغ دخلهُ في العام الماضي ٧٣٢٥٩ جنيهاً ونفقاتهُ ٧٦٧٤٢ جنيهاً

سكة بيروت ودمشق

هذه السكة ضيقة وليس لها اعانة من الحكومة ولما لم تنجح تصفَّت في العام الماضي ونُقلت

الى شركة اخرى لكي تمد فرعًا واسعًا الى حماه وقد ضمت الحكومة لهذا الفرع ٦٠٠ جنيه لكل كيلو متر في السنة وسيتصل اخيرًا الى حلب ويوصل بخط قونية وبغداد

سكة يافا والقدس

هذه السكة لم تنجح وليس لها اعانة من الحكومة ويبلغ صافي دخلها في السنة ١٢٠٠٠ جنيه وتعطي حاملي سنداتها اثنين وثُلثَين في المئة سنويًا وحاملي اسهمها نحو ثلث في المئة او ثلاثة في الالف

سكة مرسين وادنه

كانت هذه السكة لشركة انكليزية ثم انتقلت الى شركة فرنسوية واشغالها غير ناجحة والمرجح ان شركة سكة الاناضول تشتريها فتصير فرعًا من سكة قونية وبغداد

سكة مودانية وبورصة

هذه السكة ضيقة ولا اعانة لها من الحكومة . انشأتها الحكومة ثم اعطتها للمسيو جورج نجلماكر لتسع وتسعين سنة وقيمة اسهمها الاسمية ١٥٣٠٠٠ جنيه وقد بلغ ايرادها سنة ١٩٠٠ مئتين وثلاثة واربعين جنيهاً عن كل كيلومتر فلم تدفع شيئًا من الربح لحاملي اسهمها

والاعانة التي تدفعها الحكومة العثمانية لهذه السكك مضمونة بعشور بعض الولايات يستولي عليها صندوق الدين ويدفعها لها وقد كانت تدفع حتى الآن في ميعادها تمامًا لان العشور تزيد على المطلوب كثيرًا وقد زادت في العام الماضي ١٣٣٠٠٠ جنيه . وبلغت جملة ما دفعتهُ الحكومة العثمانيَّة في العام الماضي اعانات لهذه السكك نحو ٦٦٠ الف جنيه انتهى

[المقتطف] هذه ستمئة وستون الف جنيه تدفعها الحكومة العثمانية الى الشركات الاجنبيَّة كل سنة من دماء رعاياها . وهي تماثل ربا دين مقدارهُ عشرون مليونًا من الجنيهات قيَّدت رعاياها بهِ الى نحو مئة سنة مع ما يترتَّب عليهِ من السيطرة الاجنبيَّة ولقد كانت في غنًى عن ذلك كلهِ لو برَّت برعاياها واحسنت سياستهم لانهُ ان كانت جمهورية فقيرة مثل سويسرا تستطيع ان تنشيء سككها باموالها وان كانت مملكة قاصية حديثة كمملكة يابان تنشىء ٣٦٣٥ ميلاً من السكك الحديديَّة بمال اهاليها من غير ان تستدين غرشًا من الاجانب فاحرِ ببلاد قديمة العمران غناها الطبيعي يفوق الوصف ان تستطيع ذلك من غير ان تتقيَّد بقيود لا تفك ولكن ما الحيلة والرشوة تنيل الامتياز بكل شيءٍ وباي شرط كان

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزوجة الفاضلة

نشرنا في الجزء الماضي مقومات الزوج الفاضل وسننشر هنا مقوّمات الزوجة الفاضلة حسب رأي ابناء هذا العصر او المتهذبين منهم

اول شرط لازم للزوجة الفاضلة ان تكون قد ربيت في بيت فيهِ زوجة يحبها زوجها وهي تحبهُ لانها ان لم تربَّ كذلك يعسر عليها ان تحب زوجها وان لم تحبهُ فلا فائدة من الزواج ولا مسرَّة فيهِ ولا راحة منهُ بل هو تعب ونغص . والحب قوة في النفس ولكنهُ لا يظهر الظهور الواجب الاَّ بالقدوة والتمرين فالفتاة التي ترى المحبة في بيت والديها من حين تولد الى ان تبلغ اشدها وترى من حبهما لها ما يحرك محبتها ويمرنها يستحيل عليها ان تبقى قوة المحبة كامنة في نفسها غير بادية بل لا بدَّ من ان تظهر وتقوى بالاستعمال يوماً فيوماً. واما الفتاة التي لا ترى المحبة في بيت ابويها فلا تفهم معنى المحبة الحقيقي ولا تدرك شيئاً من لوازمها كانكار الذات وايثار الغير على النفس والاهتمام بالزوج في اليسر والعسر والسرَّاء والضرَّاء

يدَّعي البعض ان هناء المعيشة لا يتوقف على محبَّة الزوجين لان المحبة تضعف مع الزمان وتفتر او تزول بل على اتفاق الاذواق والاكرام المتبادل الذي يزيد بالتقدم في السن . هذا هو رأْي العزَّاب الذي تقدموا في السن ولعلهُ سبب تأخرهم عن الزواج او ان تأخرهم عن الزواج جعلهم يرتأُون هذا الرأْي القائل وهم مخطئون في رأْيهم وفي تأَخرهم عن الزواج سواء كان كلٌّ منهما سبباً او نتيجة

وهل يغني الاكرام المتبادل شيئاً اذا هبَّت عواصف الاختلاف بين الزوجين او اذا ظهر من الزوجة قصور في اتمام اعمالها البيتية او اضطرَّ الزوج ان يغيب عن بيتهِ او ان يقصّر في الاهتمام بشؤُونهِ

كل قوانين المنطق وكل قواعد العقل لا تصلح ما يقع من الخلاف بين الزوج والزوجة وانما يصلحهُ الحب المتبادل ولا يصلحهُ سواهُ

المحبة تشرك الزوجين في الفرح مهما كان وتخفف عنهما الترح مهما كان . والمحبة المقصودة هنا لا تقتصر على التدليل والتقبيل بل تتناول كل ما هو فاضل وجميل في الحياة الزوجية فهي التي تبث البهجة في البيت وفي المكتب. هي التي تجيد صحة الطفل وتدمث اخلاق الخادم وترحب بالضيوف وتيسر الاعمال وتمنع الخصام وتوثق الوئام

أرأيت زوجاً وزوجة مشهورين ببشاشة الوجه وطلاقة المحيا فاعلم انهما على تمام الحب والوئام لان البشاشة والطلاقة لا تكونان في بيت لا حبَّ فيهِ . واذا ساد الحب والوئام توحدت المقاصد والاغراض والآمال والاماني والاميال وصار الزوج يُسَرُّ بما يَسُرُّ الزوجة وصارت الزوجة تشارك زوجها في اعمالهِ كلها ولو بالفكر والتصوُّر والعواطف وتشعر معهُ بالتعب فتقاسمهُ مسارَّ الحياة ومضارها ونعيمها وبؤسها تفرح لنجاحهِ وتستاء لفشلهِ فتزيد سرورهُ بالنجاح وتقلل كدرهُ من الفشل . ورأيان خير من رأي ولاسيما اذا كان القلبان مشتركين . وكم من رجل اخطأ سهمهُ لانهُ لم يكن لهُ زوجة ترشدهُ بفراستها الى معرفة الناس تلك الفراسة التي تمتاز بها المرأة وكأنها مسبار يسبر غور الرجال. وكما تحتاج السفينة الكبيرة الى دفة صغيرة يحتاج الرجل الى امرأة تسدّد حركاتهِ مهما كان كبير العقل عالي الهمَّة. وما من احد الاَّ وفيهِ شيءٌ من النقص مهما كان كاملاً وفيهِ ايضاً شيءٌ من الضعف مهما كان قويًّا حتى الفضائل لا تكون في المرء مجرَّدةً بل يكون معها شيءٌ من النقائص. وهنا مزية الزوجة الفاضلة للرجل والزوج الفاضل للمرأة فان كلاً منهما يكمل نقص الآخر

والمرأة المستكملة صفات الزوجة ليست البارعة الجمال ولا البليغة المنطق ولا الذكيَّة الفؤاد ولا المؤلفة الكتب ولا المنشئة الروايات ولا التي تتزين وتتبرج وتقف امام زوجها كالصنم المزوَّق ولا المدبرة المقتصدة ولا المبذرة المسرفة ولا التي تقضي ايامها في تنظيف بيتها. هذه كلها ليست من المناقب التي تقوم بها الزوجة الكاملة ولا من المثالب التي تعيبها . فقد تكون كذلك وقد لا تكون . وما هي بالمرأة التي فاقت بفضائل مخصوصة ولا هي قعيدة بيتها التي تخيط ثياب زوجها وترفأ جواربهُ ولا هي التي تسافر معهُ وتحتمل مشاق الاسفار بل هي التي تدرس طباع زوجها بالمحبة والانعطاف كأنها تدرس كتاباً تشوقها مطالعتهُ

وهذه الزوجة تكون في قصور الامراء وفي اكواخ الصعاليك على حد سوى . وقد تكون قارئة كاتبة متعلمة متبحرة وقد تكون اميَّةً لا تعرف الكتابة ولا القراءة . قد تترفع عن الاعمال اليدية وقد تطبخ بيديها كل طعام بيتها . قد تكون حسناء بديعة المنظر وقد لا يكون عليها لمحة من الجمال . قد تكون عذبة المنطق وقد تكون لكناء او مستهجنة اللفظ. انما الشرط اللازم

لها ان تكون تكملةً لزوجها تكمل نقصهُ وتقوم بما يحتاج اليهِ وتساعدهُ وتسرُّهُ وتكون ريحانة لهُ ودعامة لنجاحهِ ولا تترفع عليهِ مهما كانت حالتهُ . هذه هي الزوجة الفاضلة التي استوفت شروط الزوجيَّة

والزوجة الفاضلة تهتم باعمال زوجها حتى تدركها وتحيط بها فتصير تعرف مركزهُ المالي كما يعرفهُ هو وتعرف مقامهُ في الهيئة الاجتماعية وتبذل اقصى جهدها في تعزيزهِ كما كانت تفعل زوجة دزرائيلي وزوجة غلادستون . والزوج يسرُّ بذلك ويود ان يراهُ يزداد في زوجتهِ ويقدر فطنتها وفراستها قدرها ويصير يستشيرها في امورهِ ويجد الاصابة في رأيها ويعاملها كما يعامل الشريك شريكهُ المساوي لهُ عقلاً وادراكاً

وخير ما ينتظرهُ نوع الانسان ان يشارك نساؤهُ رجالهُ في اعمالهم واشغالهم والعابهم وافراحهم واتراحهم ودرسهم وبحثهم فيثبت لهم ان الراحة والسرور والهناء والرغد والنجاح والفلاح كل ذلك يمكن اجتناؤهُ من هذه الحياة ولو احاطت بها المشاق كما يجنى العسل من الزهر ولو كان الزهر ساماً واكتنفتهُ الاشواك . هذه هي المرأة التي تنال حقوق المرأة المهضومة ولو لم تلفظ كلمةً في طلبها . وقد وُجدت في العصور الغابرة وهي موجودة الآن وستبقى ما دام الانسان على وجه البسيطة . وغاية ما نتمنَّاهُ ان يزيد عدد النساء الفاضلات حتى يصير اكثر بنات حواء منهنَّ

السمك

السمك من اطيب المآكل واكثرها غذاء وهو في الغالب من ارخصها ثمناً ولاسيما في السواحل البحرية او حيث تكثر الانهر والبحيرات وانواعهُ كثيرة بعضها طيب الطعم جدا غالي الثمن كالسمك المرجاني (سلطان ابرهيم) وبعضها تفه الطعم رخيص الثمن ككثير من السمك النهري

ولا بدَّ من ان يكون السمك جيداً لكي يكون لذيذ الطعم خالياً من الضرر . واصدق علامة للسمك الجديد صلابة جسمهِ اذا شددت عليهِ باصبعك واحمرار خياشيمهِ وصفاء عينيهِ

ويؤْكل السمك مسلوقاً او مقلوًّا او مشويًّا ولا بدَّ من تنظيفهِ وتمليحهِ قبل طبخهِ . ووضعهُ في الماء الشديد الملوحة خير من رش الملح عليهِ ووضعهِ في بطنهِ. ولا يحسن طرح الكبد والبطرخ لانهما لذيذا الطعم جداً فيطبخان مع السمك اي يسلقان معهُ او يقليان او يشويان ويوضعان بجانبهِ حتى يؤْكلا معهُ . واذا اريد سلق السمك يوضع في الماء وهو بارد ثم يوضع على النار واما اذا وضع في الماء وهو غالٍ تشقق جلدهُ قبلما ينضج داخلهُ . وحالما ينضج السمك يرفع من

الماء والاَّ تهرَّأ او زال اكثر طعمهِ او لونهِ. واذا اريد قليهُ يدهن بزلال البيض ويذر عليهِ قليل من الخبز المحمص المدقوق دقًّا ناعمًا . واذا اريد شيهُ يلف بورق مزيَّت ويوضع على النار حتى ينضج. ولا بدَّ من وضع التوابل والبقول مع السمك لكي يزيد طيباً وسنفصل ذلك في فرصة اخرى

فوائد بيتيَّة

اذا أُضيف قليل من الصودا الى الماء توفر كثير من الصابون . وهي تذاب في ابريق كبير ويضاف منها الى الماء الذي تغسل بهِ الثياب

صف الواح الصابون على رف بعيدًا بعضها عن بعض حتى يتخللها الهواء ويجففها جيدًا فان الصابون الجاف الناشف يوفر الثلث في الاستعمال

اذا احتجت الى زلال البيض للطبخ فاطبخ ايضاً انواع الحلوى التي يستعمل فيها المح (الصفار) حتى لا يضيع شيء سدًى

اذا اعتنى الطبَّاخ بغسل حلل النحاس بقي البياض عليها زمانًا طويلاً والاَّ زال سريعًا . ولا يجوز ترك الطعام في حلل النحاس من يوم الى آخر ولا من ساعة الى أُخرى . واذا زال البياض عنها ولو من بقعة صغيرة وجب ان يعاد تبييضها

اذا تركت آنية الحديد المبيض مبللة صدأَت وتخرَّقت فلا بدَّ من تنشيفها دائمًا

اذا تركت الخضر والاثمار في الآنية المعدنيَّة او الخزفيَّة المدهونة حمضت وفسد بها دهان الآنية الخزفيَّة الحمراء وتولَّد من ذلك مادَّة سامَّة . وكذلك يفعل الخل بالآنية الخزفيَّة فالذين يصنعون المخلَّلات في البلاليص والقدور المدهونة يتلفونها ويسمون انفسهم لان في دهان البلاليص والقدور مادَّة تذوب في الخل فيتكوَّن منها سم زعاف . امَّا الخزف الصيني والزجاج فلا يفعل بهما الخل

اذا اغليت القهوة او الشكولاتا او الهلام مدة طويلة زال منها الطعم الطيب

اذا بُلَّ دقاق الفحم بقليل من الماء صارت نارهُ اشد حموًّا من نار الفحم الكبير

اذا انصبَّ الماء البارد على الحديد الزهر المحمى شقَّقهُ

لا بدَّ من ان يكون عند كل ربة بيت دفتر تكتب فيهِ كل ما في بيتها من الاثاث والثياب والصحون والحلل والآنية على اختلافها مع اثمانها ان امكن وتقابل ما في بيتها على هذا الدفتر مرتين في السنة على الاقل ويحسن ان تقابلهُ اربع مرات واذا كان في البيت خادم وسُلم شيئًا من امتعة البيت وجب ان يُسلَّم معها قائمة بها وان يكتب حرف او اكثر من اسم صاحب

البيت على كل قطعة من امتعتهِ وعلى الخادم ان يسلم كل ما في عهدتهِ وقت الطلب واذا انكسرت صحفة او تمزّق منديل فعليهِ ان يري صاحبة البيت شقف الصحفة المكسورة وعلامة المنديل الممزّق

لا بدَّ من ان يكون في كل بيت ما تكثر الحاجة اليهِ دائماً كالملح والبهار والسكر والبن وان يوضع كل صنف في آنائهِ الخاص بهِ ويجدَّد قبلما ينفد

سوءُ الظن ليس من المحامد ولكن لا بدَّ منهُ لامانة الخدم وراحة البال فعلى ربَّة البيت ان تزن اللحم والخبز والخضر وكل ما يشتريهِ الخادم او الخادمة لاسيما وان الخادم قد لا يكون غاشًّا بل يكون مغشوشًا

الستائر وغرف النوم

لا يجوز تعليق الستائر الكبيرة الثخينة في غرف النوم ولا سيما اذا كانت مبطنة لانها تحجز الهواء وتحمل الغبار واقبح منها ما اعتادهُ الاوربيون من تجليل اسرتهم بستائر كبيرة من القطيفة او الاطلس فيبيت من في السرير كأنهُ في كوخ ضيق لا منفذ لهُ . وهم يعتذرون عن ذلك بشدَّة البرد في بلادهم مع ان شدَّة البرد لا توجب افساد الهواء وتنفسهُ فاسدًا . وقد رأينا الفقراء منهم والمتوسطي الحال لا يجللون اسرتهم بهذه الستائر ولا في فصل الشتاء ومع ذلك لا يتعبهم البرد اكثر مما يتعب الاغنياء ولكن ان اعتذر الاوربيون بشدَّة البرد في بلادهم فما عذر اهالي بلادنا الذين حذوا حذو الاوربيين في احاطة اسرتهم بستائر كبيرة ثخينة . اما منع الناموس عن النائم فامر واجب صحيًّا وناموسيَّة (كلَّة) التول تفي بهِ ولا تمنع تجديد الهواء ولا تعسر المبالغة في تزيينها

ربة البيت وقت الوباء

توفي في القطر المصري بهذا الوباء الى حين كتابة هذه السطور في اواخر سبتمبر اكثر من ثلاثين الفًا . هؤلاء الذين درت بهم مصلحة الصحة والله يعلم كم عدد الذين توفوا بهِ ولم تدرِ بهم . فقتل الوباء من السكان اكثر مما قتلت حرب البوير

وكان الناس درجات متفاوتة من حيث اتقاؤهم العدوى فبعضهم اتَّبعوا التدابير الصحيَّة فكانوا يغلون ماءهم قبل شربهِ ولا يأكلون الطعام الَّا مطبوخًا او مسخنًا على النار او مغسولًا بماء غالٍ . ولم نسمع ان احدًا من هؤلاء اصيب بالكوليرا ومات بها الَّا واحدًا اختلفت الروايات

في اتباعهِ التدابير الصحيَّة والذين يثبتون اتباعهُ لها يقولون انهُ سهر في حانة قبلما أُصيب ووضع الوقاية جانباً

وفشت الكوليرا في الاسكندرية ومات بها كثيرون من الاوربيين الذين ينتظر ان يعتنوا بمائهم اكثر مما يعتني الوطنيون ولكن ماء الشرب في الاسكندريَّة غير تام التصفية والباعة يمزجون بهِ اللبن ويغسلون البقول والخضر والفاكهة فمن لا يعدى بشرب الماء قد يعدى باكل فجلة او خسَّة مغسولتين بهِ او بشرب كاس من الكونياك مزجت بالماء

الاَّ ان اغلاء الماء ثم تبريدهُ وغسل الفاكهة بالماء الغالي واتباع الاعتناء التام بنظافة الماء كيفما استعمل كل ذلك ليس بالامر السهل على ربَّة البيت ولا هي قادرة ان تكل امرهُ الى الخدَم ولذلك عدل كثيرات من النساء عن اتباع هذه الوسائط وجاء عدولهنَّ بعد ان علا النيل وزاد الفيضان وانتفى كل خوف من وصول العدوى الى مائهِ فلم يكن لذلك ضرر ظاهر ولكن لو حدثت هذه الكوليرا في التحاريق وقت قلَّة الماء لفتكت بالذين لا يغلون ماءهم كما تفتك بالذين يشربون ماء الترع من غير تقطير. فلو وُجد في البلاد اسلوب لتطهير الماء بنوع عام او لايجاد الماء النقي للسكان بحفر الآبار العميقة واستخراج مائها بالطلمبات فقط ومنع تطرُّق العدوى اليها لانتفت اكبر طرق العدوى وهذا يوصلنا الى بحث آخر يعد من اهم المواضيع الاداريَّة وهو كيف يوجد الماء النقي للسكان ويكون غزيراً مجانياً حتى يسهل على الفقير ان يستقي منهُ كما يستقي الغني ويصير الماء النقي مباحاً للجميع كما ابيح لهم النور والهواء يشتركون فيهِ على حدٍّ سوى

ثم ان ربات البيوت عانينَ مشاق اخرى من حيث صحة اولادهنَّ وقد جاء اعتناؤهنَّ بفائدة كبيرة نقلت الامراض التي تحدث عادةً في فصل الصيف ويصاب بها الاولاد من اكل الفاكهة وقلة الاعتناء كالاسهال وسوء الهضم كما علمنا من جمهور من الاطباء. فوقع اكثر التعب على ربات البيوت ولكن جاء تعبهنَّ بفائدة كبيرة وعسى ان لا يُدعَيْنَ لمقاومة الوباء مرةً اخرى ولكن لابدَّ من ان يُدعَيْنَ دواماً لمقاومة امراض الصيف الكثيرة بمثل الوقاية التي جرين عليها هذا العام فان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب لا لسم موجود فيهما بالذات بل لانهما قلما يخلوان من الميكروبات الضارة بنوع الانسان ولو لم تكن من الكوليرا في شيء. والنظافة والوقاية لازمتان في غير وقت الكوليرا كما هما لازمتان فيهِ

الفضة القرنفليَّة

تصير الفضة قرنفليَّة اللون اي يضرب لونها الى الحمرة الوردية بتنظيفها ووضعها مدة ثوانٍ قليلة في مذوب كلوريد النحاس القوي السخن

باب الصناعة

الزجاج اللين

اهتمَّ الزجَّاجون من الاوربيين والاميركيين بعمل الزجاج اللين منذ عهد قديم لانهم رأوا ان القدماء كانوا يصنعون زجاجاً ليناً لا ينكسر كما ينكسر الزجاج عادةً بل يحتمل الطرق وتغيرات الحرارة والبرودة كانهُ النحاس او الفضة وهو شفاف مثل الزجاج المعروف . وقد جاء في السينتفك اميركان الآن ان رجلاً اميركيًا اسمهُ كوفلد اكتشف اسلوبًا لعمل الزجاج اللين بعد تجارب سنين كثيرة . وكتم طريقة عملهِ لكنهُ قال ان زجاجهُ ليس فيهِ جير (كاس) ولا رصاص . والسر في المواد الكيماوية التي يستعملها وفي نسبة الاجزاء بعضها الى بعض وفي شكل البوانق والاتون

وقد ذكرت السينتفك اميركان التجارب التي يجربها المخترع امام زائريهِ ليقنعهم ان زجاجهُ لا ينكسر وصوَّرتهُ وهو يجري هذه التجارب . من ذلك انهُ وضع مدخنة زجاجيَّة في اناء فيهِ ماءٌ وثلج حتى بردت بردًا شديدًا ثم رُفعت من الماء ووُضعت حالاً على قنديل مشتعل وجُعل لهب القنديل يقع عليها فاجتمع الدخان عليها وجرى عنها مع الماء الذي كان لاصقاً بها من غير ان تنكسر

ووضع مدخنة اخرى على اجر اتون محمًّى حتى حمي جانب منها وذاب من شدَّة الحمو ولم تنكسر

ووضع ماء في مدخنة اخرى ووضعها فوق النار حتى غلى الماء فيها فلم تنكسر ثم طرحها في اناء فيهِ ماءٌ بارد فلم تنكسر

وامسك مدخنة بيدهِ واستعملها كالمطرقة وسمَّر بها صندوقًا كاملاً كأنها مطرقة من الحديد

واستعمل مدخنة قالبًا وسبك عليها مدخنة اخرى من الزجاج فلم تنكسر هي ولا انكسرت المدخنة التي سبكت عليها

وهذا الزجاج شفاف صافٍ مثل الزجاج العادي او اصفى منهُ واذا كان مصهورًا فهو اكثر مرونة من الزجاج العادي ويمكن سبك الآنية الرقيقة منهُ كما يمكن سبك الآنية الثخينة . ويقطع ويخرَط كما يقطع الزجاج العادي او الخشب ويخرطان

صفائح سبك الحروف

ان الجرائد التي تطبع مئات الالوف من النسخ لا تستطيع ان تطبع هذه النسخ كلها على مطبعة واحدة بل على مطابع عديدة . اما الحروف فترتّب مرةً واحدة ويصنع لها صفائح من الورق الثخين توضع عليها وتضغط فترتسم الحروف فيها غائرة وتصير قالبًا يفرغ فيهِ معدن الحروف فيخرج صفيحة كالحروف الاصليَّة المرتبة ويفرغ المعدن ثانية وثالثة فتكثر هذه الصفائح قدر المراد

ويصنع الورق هكذا :

تصنع عصيدة من الدقيق والنشا والطباشير ويبل فرخ من الورق النشاش وتبسط العصيدة عليهِ ويوضع عليها فرخ من الورق المتين ويدهن بالعصيدة ويوضع فوقهُ فرخ آخر من الورق المتين وهلمَّ جرًّا حتى يوضع ستة فروخ من الورق فيكون من ذلك الصفيحة التي يصنع منها القالب

تنظيف الدهان

احضِرْ اجود نوع من الطباشير الناعم جدًّا وبلَّ قطعة من الفلانلاَّ بالماء السخن واعصرها جيدًا وغطّها في الطباشير حتى يلصق بها شيءٌ منهُ وامسح بها الدهان فيزول ما عليهِ من الوسخ ثم اغسلهُ بماء نظيف وافركهُ جيدًا بقطعة من الحور الناعم فيظهر كأنهُ جديد

تبييض الفضة

شاع استعمال الفضَّة التي ازيل لمعانها فابيضت وصارت كأَنها قديمة . ويبيض لونها هكذا : تحمى الى درجة الحمرة وتترك حتى تبرد ثم توضع في مزيج من جزئين ونصف من الحامض الكبريتيك وخمسين جزءًا من الماء وتترك في هذا السائل ساعة او ساعتين فاذا خرجت حسب المطلوب فيهِ والاَّ تغسل ويعاد العمل ثم تغسل بماء سخن وتنشف بنشارة الخشب

تجليد الفضة

وشاع ايضًا معالجة الفضة حتى يصير سطحها كانهُ مغطًّى بالجليد ويتمُّ ذلك بان تحميها وتضعها في مزيج من درهم من الحامض الكبريتيك واربع اواقي من الماء . ولذلك طريقة أُخرى وهي ان تدهن الفضَّة بسائل فيهِ نصف اوقية من سيانيد البوتاسيوم مذابة في ثلاث اواقي من الماء

باب التقريظ والانتقاد

الدروس السينائية (عدد ١١)
STUDIA SINAITICA No. XI.

هذا الكتاب الحادي عشر من الكتب التي اكتشفتها السيدة اغنس لويس واختها مسز جبصن وترجمتاها وطبعتا اصلها وترجمتها . وهو يشمل انجيل يعقوب الرسول وآيات من الترجمة السبعينيَّة والقرآن وفقرات من البشيتا وبعض التراتيل وذلك كلهُ مكتوب على رق الغزال المطرَّس في القرن الخامس المسيحي وما بعدهُ

وقد قالت مسز لويس في مقدمة هذا الكتاب انها اشترت النسخة الاصلية سنة ١٨٩٥ في السويس وهي مطرَّسة على رق الغزال اي نُحيت الكتابة الاولى عن الرق ثم كتبت عليهِ كتابة اخرى . والكتابة الحديثة عربيَّة من القرن التاسع المسيحي او العاشر وهي فصول من كتب اثناسيوس وفم الذهب وثيودوسيوس ومار افرام ومار يعقوب وغيرهم من الاباء . والكتابة الممحوَّة اقدم منها من القرن الثامن وما قبلهُ وخطها العربي كوفي يقرب من الخط النسخي ولكن اكثر ما فيها سرياني . اما العربي فاكثرهُ اجزاءٌ من القرآن والسرياني انجيل يعقوب الرسول وانتقال السيدة . والظاهر ان كاتب الفصول من كتب الآباء لم يلتفت الى ما كان مكتوبًا على هذه الرقوق فطوى كل رق منها اثنين وخاطها كراريس ولم يراعِ فيها ترتيبها الاصلي

وقد اضطرَّت مسز لويس ان تمضي الى دير طورسينا وتنسخ بيدها ما تعذرت عليها قراءتهُ في هذا الكتاب من الاصل الممحو لانها وجدت هناك ما يماثلهُ

امَّا اكتشافها للكتابة العربيَّة القديمة فيهِ فكانت على هذه الصورة قالت : من حينما ابتعت هذا الكتاب لحظت انهُ كانت فيهِ كتابة عربيَّة محوَّة وقد حاولت قراءتها مرارًا فلم استطع لانها لا تظهر الاَّ في الحاشية الداخليَّة وكان تجليد الكتاب يمنعني من استجلائها وانا اكرهُ قص خيوطهِ وفك تجليدهِ وزد على ذلك انني لحظت ان الكتابة كوفية تعسر قراءتها وكان همي حينئذٍ موجهًا الى قراءة الاصل السرياني . ثم اضطررت ان افك ملزمة واعالجها بالمادة الكيماوية التي تظهر الكتابة القديمة فظهرت على حواشيها كتابة عربيَّة كوفيَّة وجدت بعد امعان النظر انها آية من سورة دخان " فضلاً من ربك ذلك " فاتضح لي حينئذٍ ان في تلك الرقوق جزءًا

من القرآن من القرن الثامن او السابع للميلاد والخط كلهُ كوفي لا نقط فيهِ ولا شكل لكن الرقوق كانت مقصوصة من جانب من جوانبها لكي تساوي بقيَّة الكتاب فنقص منها كلمة او اكثر من كل سطر

ثم وجدتُ في هذا الكتاب اجزاء اخرى من القرآن مقطوعة من نسخة أُخرى فيها بعض النقط نعلى بعض التاءات نقطتان الواحدة فوق الاخرى وتحت بعض الباءات نقطة . وكتابة النسخة الاولى من القرآن محوَّة تماماً لا تظهر الاَّ بالمظهر الكيماوي واماَّ كتابة النسخة الثانية فظاهرة بعض الظهور

ولم يقتصر كاتب هذا الكتاب على اخذ الرقوق من انجيل يعقوب والقرآن بل اخذ بعضها من حجَّة عربيَّة قديمة فاستعانت مسز لويس على قراءتها بالاستاذ مرغوليوث استاذ العربية في مدرسة اكسفرد فوجدا فيها ما يلي على ترتيبهِ

بسم الله الر[حـ]ـم . . . .

. . . .

. . . . جميعه ارض بيضا سقى على نهر لا . له حد

. . . . مزرعة تنسب الى اهل

من عبد الله بن عيسى السكوى ومن اخته سمانة ابنت عيسى ومن ام[ـه

الكتاب بجميع ما يصير لذلك من حق ومرفق وطريق ومرب ومسيل ماء وبكل

مقتضيها منهما عبد الله بن عيسى بن ابي وردان السكوى واخته سمانـة

. . . . المـ]ـذكور في هذا الكتاب

* * * * * * * * * * * *

عبد الله بن عيسى[بن ابي وردان] السكوى ومن اخته سمانة ابنت عيسى السكوى ومن امه رق[ـية]

. . مد بحضرتهما شي وهذه القطعة من الارض تعرف بالمزرعة المتوجها لى الراشدية حدها م[ن]

ورحبتها ومن الغرب تنتهي الى مزرعة تنسب الى ابي سعيد بن ايوب وصالح بن فار اشترى اسط

ر]قية ابنت محمد بن عمرو ومن . . . واسماء ابنت عبد الله هذا المذكور سابقاً من جميع د . . .

ولد . . . الوجوه كلها باثنين وعشرين دينارًا ذهبًا عينًا ماه و . . . جيادا د . . .

عي[سى وامه رقية ابنت محمد بن عمرو وحفيدتها اسماء ابنت عبد الله وافية بجوده وابراوه[م

بجميع حقوقهِ عند عقدهِ هذا البيع المسمى في هذا الكتاب من قبلهِ لم يحق عليهم شيء منهُ

* * * * * * * * * * * *

. . . . . . لا فساد فيهِ ولا باس ولا خسار فكل ما ارادوا . . . . .
فعلى الجماعة المسمين في هذا الكتاب ان يسلموا لها واليهما كل حق يجب لها عليهم
لها عن صاحب امرهم جميع الدين . . . . . يجب عليهم ان يأخذوهم بذلك
حياته وصيا عنهُ دون ما سواهُ بعد وفاتهم راض كل واحد منهم بما حكم . . .
. . . .
بدين . . . يجيء بحق ثابت نحو ام واخت لا من لا حق لها بعينها في ذلك ولا . . .
لهم دونهما وهؤلاء لهم ولكل واحد منهم المطالبة بما اوجبهُ الحق لهم
اقر عبد الله بن ابي وردان السكوي عن اختهِ سيانة ابنة عيسى وامهِ رقية
. . . . واقروا بسماعهِ وفهمهِ ومعرفته واشهدوا بذلك كلهِ

هذا وقد نشرنا الصورة التي قرئ بها هذا الكتاب حتى اذا استطاع احد من القراء ان يصلح شيئًا فيها بمقابلتها بحجة قديمة وافانا باصلاحهِ ولهُ الشكر سالفا . اما انجيل يعقوب وانتقال السيدة فنشرت اصلهما السرياني وترجمتهما الانكليزية

تربة الفيوم وماؤُها

Soil and Water of the Fayum Province *by* A. Lucas F. C. S. etc.

من الكتب ما نودُّ ان نعفى من تقريظهِ او ما لا نعنى بالالتفات اليهِ الَّا دفعًا للعتاب ومنها ما نسعى الى تقريظهِ سعيًا لكي نرصّع المقتطف ببعض فوائدهِ ومن ذلك هذه الرسالة فان فيها من الفوائد ما لا نجدهُ في غيرها وهي مما تهمُّ معرفتهُ كل العاملين بالزراعة من ابناء هذا القطر

قال الكاتب ان نحو خمسين عينة من ماء الري الذي يستعمل في الفيوم وستين عينة من ترابها أُخذت من الجانب الشرقي من تلك المديرية وحُللت في المعمل الكيماوي التابع لقسم المساحة ثم بيَّن نتيجة ذلك في هذه الرسالة بعد ان بيَّن الاساليب التي جرى عليها في التحليل لمعرفة كل مركَّب من المركبات التي في تربة الفيوم ومائها . والغرض من ذلك ان يعرف ما اذا كان خصب الاطيان في الفيوم آخذًا في النقص وما هو سبب ذلك لاجل تلافيهِ . وقال في النتيجة ان الخصب ينقص امَّا بنفاد عنصر من العناصر اللازمة لنمو المزروعات او بتولد مادة سامَّة تمنع نموها وهذا السبب الاخير هو السبب الظاهر لقلَّة الخصب هناك ولذلك اقتصر البحث عليهِ فبان ان المواد التي تقلل خصب الارض هي ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) وكبريتات الصوديوم . والضرر الاكبر من اولها اي من الملح

وقد ثبت من التجارب في اميركا انهُ اذا كان الملح موجوداً في الارض الى حد ربع في المئة فهو غير ضار واذا وجد من حد ربع في المئة الى نصف في المئة فضررهُ قليل لا يمنع نمو النبات . واذا كان اكثر من نصف في المئة فهو ضار ويمنع نمو النبات وهذا شأن كبريتات الصوديوم ايضاً

امَّا ماء الري فان كان كثير الملح بقي ملحهُ في التربة وقتاً يتبخر فيتراكم فيها مع الزمان ويجعلها غير صالحة لنمو النبات ولكن اذا كانت مصارف الارض جيدة فلا خوف من الماء ولو كان فيهِ شيء من الملح لان الملح يذهب مع ماء الصرف. وقد وجد في اميركا ان غاية ما يمكن وجودهُ في الماء من الاملاح من غير ان تضرَّ بالنبات ضرراً كبيراً هو خمسة اجزاء في الالف او نصف في المئة وقد يظهر الضرر قبل ذلك حتى لو كانت الاملاح ربعاً في الالف . اما الاملاح التي تكون ذائبة في الماء عادةً فليست ضارَّة جميعها بل نصفها ضار ونصفها غير ضار

وقد امتحن ٤٨ عينة من ماء الفيوم فلم يبلغ الملح ثلاثة في الالف الَّا في عينة واحدة منها وهي مأخوذة في ابريل من الطرف الاخير من مصرف من المصارف الكبيرة ولذلك فالمياهُ في كل ترع الفيوم ومصارفها سواء أُخذت في يناير او فبراير او مارس او ابريل جيدة جميعها حسب التقدير الاميركي وصالحة للري واذا ظهر ضرر في المزروعات فهو من الملح الذي في الارض لا من الملح الذي في ماء الري

لكن اذا كان ماء الري خالياً من الاملاح الضارَّة فارض الفيوم قلما تكون خالية منها حتى الاطيان الجيدة لا تخلو من شيء قليل من الملح كما ظهر من تحليل العينات المشار اليها آنفاً . فاقل ما وجد فيها من ملح الطعام نحو ربع في الالف واكثرهُ نحو واحد وربع في المئة . والملح في الطبقة السفلى من الارض الزراعية اكثر منهُ في الطبقة السطحيَّة. والملح كثير في رمل الصحراء خارج الارض الزراعية وما تحتها من الطفال والحجر الجيري فهناك اصل الملح الذي في الاطيان الزراعيَّة

وحُلِّل المليح (اي الطبقة البيضاء التي تكون على وجه الارض) فوجد مزيجاً من الملح وكبريتات الصودا. وكان الملح في بعض العينات اربعة او خمسة في المئة وما بقي كبريتات الصودا وكان الملح في البعض الآخر ٧٧ في المئة والباقي وهو ٢٣ في المئة كبريتات الصودا

وحُلِّلت عينات مختلفة من السباخ الكفري فوجد الملح فيها من اثنين في المئة الى ٢/١ ٤ في المئة ولذلك فالملح كثير في انواع السباخ الكفري التي حُلِّلت

وظهر من البحث في اطيان الفيوم ان الاطيان الواطئة تحمل ضرر الاطيان العالية بما ينصبُّ فيها من مصارف الاطيان العالية او يرشح اليها منها . ويزيد الضرر بزيادة الري اذا لم تنشأ المصارف المتقنة . وكل زيادة في الماء المستعمل لري الاطيان العالية لا بدَّ من ان يظهر

ضررها في الاطيان الواطئة وكذلك الترع العالية تجرف الاملاح من الاراضي المارة فيها وتوصلها الى الاطيان التي تروى منها ويصل الضرر اخيرًا الى الاطيان الواطئة

والعلاج لذلك كلهِ واضح وهو انشاء المصارف المتقنة ومنع الرشح من الترع ان امكن والاقتصاد التام في استعمال الماء في الاطيان العالية

وحبذا لو توسع المؤلف في هذا الموضوع ونشر ما يكتبهُ فيهِ باللغة العربية لغة اهالي البلاد الذين ينفق على هذه التجارب والامتحانات من مالهم ويجب ان يستفيدوا منها قبل غيرهم

الوقاية الصحية

هي رسالة صغيرة الحجم كبيرة النفع ترجمها حضرة الاديب محمد افندي خيري من كتاب قانون الصحة تأليف الدكتور اوبرت والمسيو لا برستي المطبوع سنة ١٨٩٣ وترجم فصل الطاعون من دائرة المعارف الفرنسوية الكبرى . ولقد احسن في الاشارة الى مآخذ هذه الرسالة لان مواضيعها طبية لا يعتمد فيها على غير الطبيب الماهر . وهي فصول في نظافة الجسم ونظافة المأكل والمشرب والهواء والتنفس والملابس والمساكن . وبعض الامراض المعدية كالسل والدفثيريا . وعبارتها سهلة وحبذا لو جرى دائمًا على مصطلحات الذين كتبوا قبلهُ في هذه المواضيع ولاسيما في الاسماء الكيماوية التي توصل بها حروف مخصوصة تدل على المركب بعينهِ وعلى عناصرهِ الكيماوية فاذا تصرف المترجم فيها فسد المعنى ويتضح مرادنا بذلك من كلمة حامض كبريتيك وحامض كبريتوس فان الذي لم يتعلم علم الكيمياء ولم يتخرج فيهِ حسب ان حرفي يك في كبريتيك وحرفي وس في كبريتوس هما لمجرد النسبة فترجم الكلمتين بالحامض الكبريتي مع انهما مادتان مختلفتان تمام الاختلاف والفرق بينهما كالفرق بين الحجر والبيت فاذا جاز ان نترجمهما بكلمة واحدة كأن معناهما واحد جاز ان نترجم كلمة كبريتيك وكبريتوس بكلمة واحدة ونحسب معناهما واحدًا

هذا واننا نرى اكبر عيب في ترجمة المواضيع العلمية قصور المترجمين في معرفة المصطلحات العلمية ولاسيما الكيماوية منها

السائح الازهري

هي الرواية التاسعة من مسامرات الشعب وضعها حضرة الكاتب الاديب زكريا افندي نامق وجعل مدارها على شيخ ازهري تقلبت عليهِ الشؤُون وبيَّن فيها تأثُّر الانسان باحوال الزمان والمكان " وان الغنى قد يبعث الى المفسدة والسعادة لا تكون في الثروة وان راحة الضمير وسعادة العائلة لا تقوم الا بالزواج " . وقد اكثر الكاتب من ذكر الآيات القرآنية دبج بها عبارتهُ تدبيجًا فاكتسبت منها الرواية بلاغةً تزيد وقعها في النفوس

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرره سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عدوى الكوليرا

طنطا . الخواجه يوسف اسحق هراري . يظهر مما كتبتموهُ في المقتطف والمقطم ومما نشرتهُ مصلحة الصحة ان للكوليرا ميكروباً فتاكاً قتالاً يدخل امعاء البشر بواسطة شرب الماء او اكل الطعام اذا كان هذا الميكروب قد اتصل بهما من مبرزات شخص مصاب بالكوليرا لانها تكون مشحونة بهذا الميكروب . وقد قلتم ان ما كان اسلافنا يعتقدونهُ من ان سبب الكوليرا فساد في الجو وان الانسان يصاب بالتنفس جميع ذلك باطل . ولكن لماذا كان هذا الداء ينتشر في ايام اسلافنا ثم يزول من نفسهِ بعد ثلاثة اشهر ان لم يكن سببهُ في الهواء نرجو ايضاح ذلك بالاسهاب ولكم الفضل

ج اولاً ان الكوليرا تقيم شهراً او اكثر حسب التدابير التي تتخذ لمقاومتها فاذا لم تقاوم فالغالب انها لا تقيم اكثر من شهر في البلد الواحد واذا قاومها السكان او الحكومة بعد انتشارها فالغالب انها تقيم زمناً اطول . فالكوليرا التي حدثت في القطر المصري في عهد محمد علي باشا سنة ١٨٣١ لم تقم في كل بلد الاَّ نحو شهر مع انها كانت فتاكة جداً فتكت بنحو مئة الف او اكثر من السكان على قلتهم حينئذٍ . وفشت سنة ١٨٦٥ ففتكت بنحو ثمانين الفاً من السكان وسنة ١٨٨٣ ففتكت بنحو ثمانين الفاً ايضاً وظهرت في مايو سنة ١٨٩٥ ودامت الى سبتمبر سنة ١٨٩٦ ولم يمت بها الاَّ نحو عشرين الفاً . وسبب فتكها ببعض السكان وعدم فتكها بالبعض الآخر وسبب رحيلها السريع اذا لم تقاوم وطول اقامتها اذا قاومها السكان بعد انتشارها بينهم هو انها لا تفعل الاَّ بالذين اجسامهم مستعدة لفعلها بضعف معدهم وامعائهم او بسبب آخر غير معروف . اما ضعف المعدة فظاهر من ان المعدة التي في حالة الصحة تكون عصارتها حامضة واذا كانت عصارة المعدة حامضة مات ميكروب الكوليرا فيها . فاذا دخلت مدينة من المدن ولم يتعرَّض لها الاَّ نفر قليل من اهاليها واصيب بعضهم بها ودرى بهم

اولياء الامور ومنعوا انتقال العدوى منهم الى غيرهم انحصر المرض فيهم ولم ينتشر في المدينة. وقد حدث ذلك مرارًا في البلاد الانكليزية منذ عشرين سنة الى الآن . واذا لم يدرِ بهم اولياء الامور او لم تتخذ التدابير اللازمة لمنع انتشار العدوى واتصلت الى الماء الذي يشرب منهُ السكان كلهم او بعضهم تعرَّض لها كل الذين يشربون من ذلك الماء ولكن لا يكونون كلهم مستعدين لمرور ميكروب الكوليرا في معدهم سليمًا ووصوله الى امعائهم حيث يفعل فعلهُ الذريع لانهُ لا يبقى سليمًا اذا كانت المعدة سليمة ولذلك لا يصاب بهِ منهم الَّا الذين معدهم غير سليمة . فاذا اصيب هؤلاء وماتوا ولم يبقَ احد مستعدًّا للاصابة بها زالت من ذلك البلد . واذا استعملت الوسائط الفعالة لمقاومتها بعد انتشارها في البلد لم تتمكن من الوصول الى كل المستعدين للاصابة بها دفعةً واحدةً فيبقى هؤلاء معرضين لها ما دامت جراثيمها في بلدهم فيصاب بها منهم الواحد بعد الآخر ولذلك تطول مدتها في بلدهم. فان تغلَّب الناس عليها بالتدابير الصحية كاقفال الآبار الملوثة واطلاق الماء الغزير في الترع زال ميكروبها منهُ قبل ان يفتك بكل المعرَّضين لهُ من الاهالي ولذلك تطول مدتها ويقل فتكها

وثانيًا انهُ لم تبقَ شبهة الآن في ان الكوليرا ناتجة عن نوع من الاحياء الصغيرة التي سميناها ميكروبات . نعم قد اشتبه العلماء في ذلك في اول الامر حينما اكتشف كوخ ميكروب الكوليرا في القطر المصري وقاوموهُ زمانا طويلاً ولكن ثبت اخيرًا بالتجارب العملية الكثيرة ان الكوليرا ناتجة عن هذا الميكروب لا عن سواهُ

ولو استطاع اهالي هذا القطر كلهم ان يتحكموا بماء الشرب كما يتحكم بهِ اهالي لندن وجنيفا مثلاً لما كنَّا نخاف من الكوليرا فيهِ اكثر ممَّا نخاف من ضربة الشمس. ولكن معرفة هذه الحقيقة وهي ان الكوليرا ناتجة من العدوى بجرثومة خاصَّة وهذه الجرثومة تنتقل من المصاب الى السليم بواسطة ماء الشرب غالبًا قد افادت كثيرًا في قمع الكوليرا وتخفيف وطأتها وتقليل فتكها حتى في هذا القطر

---

(٢) عدد اليهود

مصر . الخواجه اسرائيل موريس نرجو ان تفيدونا عن عدد اليهود حسب آخر تقويم في اوربا وفي اسيا وفي افريقية وفي اميركا وفي سائر العالم

ج عددهم في اوربا نحو ٦٧٥٠٠٠٠

وفي اسيا نحو	٠٥٠٠٠٠٠
« افريقية «	٠٣٥٠٠٠٠
« اميركا «	٠٥٠٠٠٠٠
« استراليا «	٠٠٢٠٠٠٠
والجملة	٨١٢٠٠٠٠

وذلك حسب احصاء سنة ١٨٨٨ ولا يبعد ان يكون عددهم الآن عشرة ملايين او اكثر

(٣) السنون الهجرية والميلادية

سنورس . عزيز افندي ابرهيم . سنة ١٢٥٠ الهجريَّة توافق اي سنة من سني الميلاد وكذا سنة ١٢٥٢ هجريَّة توافق اي سنة من سنين الميلاد

ج ان سنة ١٢٥٠ ابتدأت في ١٠ مايو سنة ١٨٣٤ وانتهت في ٢٨ ابريل سنة ١٨٣٥ فبعضها يوافق سنة ١٨٣٤ وبعضها سنة ١٨٣٥ . واماَّ سنة ١٨٥٢ فابتدأت في ١٨ ابريل سنة ١٨٣٦ وانتهت في ٦ ابريل سنة ١٨٣٧.

(٤) احسن آلة بخارية

مصر . احد التجار . لمن آخر اختراع لاحسن آلة بخاريَّة تدار بزيت البترول لطحن الغلال بحيث تكون متينة الصنعة ومصروفها غاية في الاقتصاد

ج ان الآلة المعروفة بآلة متزوويس Mietz and Weiss Kerosene Engine الاميركية نالت الجائزة الكبرى في معرض باريس الاخير والمدالية الذهبية في المعرض الاميركي الاخير ويقال انها في غاية المتانة وتمام الاقتصاد . وادارة المقتطف تعلم وكيلها في القاهرة

(٥) عدم ملوحة المطر

ثابوكس بالبرازيل . الخواجه الياس مارون . نعلم ان ما تمطرهُ علينا السماء هو من البحر وماء البحر مالح فكيف يصل الينا المطر عذبًا لا ملح فيهِ

ج ان ماء البحر وحدهُ يصعد بخارًا ولا يصعد الملح معهُ لانهُ لا يتبخر بالحرارة كما يتبخر الماء . ويتضح لكم ذلك بان تذيبوا درهمًا من الملح في فنجان من الماء وتضعوا الماء في الشمس او فوق النار فيتحوَّل بخارًا ويطير واما درهم الملح فيبقى كلهُ في الفنجان ولذلك فالمطر المتولد من البخار يكون خاليًا من الملح

(٦) اصابة العين

ومنهُ . يعتقد البعض ان مرض الاطفال ناتج عن الأصابة بالعين فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ وكل ما رُوي من هذا القبيل خرافات لا تحتمل الامتحان

(٧) الالعاب الرياضية

ناهيا . الخواجه ادولف مارون . هل تنفع الالعاب الرياضيَّة من كان في سن الخامسة والعشرين فما فوق وهو لم يتمرَّن عليها في حداثتهِ

ج نعم تنفعهُ كما تنفع حديث السن

(٨) دائرة المعارف الانكليزية

بولاق . محمود افندي زكي الجزيري . يفهم من مطالعة مقتطفكم الاخير ان دائرة

المعارف الانكليزيَّة تراجع ويعاد طبعها الآن. فان كان ما فهمناهُ صحيحاً فنرجو ان تتكرموا بتعريفنا عن اسم الملتزم وكم هي المدة المقدرة لهذا العمل وكم قيمة الاشتراك وطريقة دفعها وكم طبع منها الى الآن وما هو رأيكم فيها

ج ان الذي اشرنا اليهِ هو ملحق بالانسكلوبيذيا البريطانية وهو احد عشر مجلداً كبيراً في كل مجلد منها اكثر من ثمانمئة صفحة شرعت ادارة جريدة التيمس في طبعها هذا العام فصدر المجلد الاول منها في شهر مايو الماضي والمجلد الثاني في شهر يونيو ولا تتم سنة حتى تصدر المجلدات كلها لانهُ يصدر منها مجلد كل شهر وقد اناطت بكتابة مقالاتها اكبر علماء اوربا واميركا ويظهر لنا مما قرأناهُ في انتقاد بعض مقالاتها انها ليست على تمام المراد لان العالم الكبير يكون لهُ مذهب خاص في العلم غالباً فيعززهُ ولا يعبأ كثيراً بما سواهُ فلو انيطت كتابة مقالاتها بالكتّاب المعدودين بين معممي المعارف وطُلب من كبار العلماء ان يراجعوا مقالاتهم وينقحوها لكان ذلك اتم فائدة . وهذه الاجزاء الاحد عشر لا تغني عن الخمسة والعشرين مجلداً التي هي الطبعة التاسعة من الانسكلوبيذيا البريطانية ولكنها تتمة لها يذكر فيها ما جدَّ في العلوم والمعارف والاخبار والحوادث بعد طبع تلك وما تمحص وتنوَّع

ويقال ان ادارة التيمس ستنفق على هذه المجلدات نحو مئة الف جنيه . امَّا قيمة الاشتراك وطرق الدفع فتخابر بها ادارة التيمس وباعة الكتب الاوربيَّة

---

(٩) حياة مكروب الكوليرا

المطرية السيد حسين العقاد . لكل حي اجل على وجه الارض تنتهي حياتهُ بانتهائهِ فهل يصدق ذلك على انواع الميكروبات وخصوصاً ميكروب الكوليرا . فقد ثبت ان تغيرات الجو تلائم بعض هذه الاحياء الصغيرة وتضرُّ البعض الآخر فهل ميكروب الكوليرا يعيش في كل فصل من فصول السنة او لهُ وقت مخصوص ينمو فيهِ (بعد التلوُّث بهِ طبعاً) ويكثر ثم يأتي عليهِ زمن آخر يموت لعدم ملائمة الجو او لقضاء اجلهِ او هي المضادات التي تكون سبباً في محو اثرهِ .

ج ان ميكروب الكوليرا يعيش في كل فصل من فصول السنة واذا وجد غذاء يغتذي بهِ تكاثر حالاً بالانقسام اي ان الفرد منهُ يصير اثنين او اكثر فيكون قد زال هو بعينهِ وخلَّف نسلاً بدلاً منهُ وكل فرد من نسلهِ يكبر ويبلغ اشدَّهُ سريعاً ويتكاثر بالانقسام وهلمَّ جرًّا ويبقى كذلك الى ما شاء الله بدليل ان الكوليرا الاسيوية هذه معروفة منذ اكثر من اربع مئة سنة فلم يزل ميكروبها يتناسل من ذلك الحين . واذا لم يجد غذاء كافياً لتكاثرهِ ولم يعرض لهُ شيء يأكلهُ او يميتهُ فالغالب

انهُ يبقى حيًّا بضعة اشهر فقط فقد صنع بعضهم حوضاً كبيرًا ملأهُ ماءٍ ووضع فيهِ ترابًا واعشابًا مائيَّة وسمكًا وانواعاً مختلفة من الميكروبات التي تكون في الماء عادة وادخل فيهِ خمسة آلاف ميكروب من ميكروبات الكوليرا ووضعهُ بحيث يقع عليهِ نور الشمس وابقاهُ ثلاثة اشهر ثم فتش فيهِ عن ميكروب الكوليرا فوجد شيئًا منهُ في الماء وفي الطين الذي في اسفل الحوض وعلى الاعشاب المائية النامية فيهِ . ثم زال هذا الميكروب منهُ تمامًا وآخر ما زال منهُ الطين الذي في اسفل الحوض . ولكن اذا كان الماءُ جاريًا زال الميكروب منهُ سريعًا

وثبت من مباحث الدكتور بالرمو الايطالي ان نور الشمس يضعف ميكروب الكوليرا اذا تعرَّض لهُ من ثلاث ساعات الى اربع فلا يعود يحدث الكوليرا ولو لم يمت

وقد ابنَّا في جواب السؤَال الاول سبب بقائهِ في البلد الواحد زمانًا طويلاً او قصيرًا او فعل التدابير الصحية في مقاومتهِ وطول مدة اقامتهِ

---

(١٠) الصفائح البابلية

بغداد . الخواجه اسكندر مسيح . ذكرتم في مقتطف يونيو ان قد كشفت اربع مئة صفيحة من صفائح الاجر البابليَّة في مكان اسمهُ نشان الاسود فنرجو ان تخبرونا اين هذا المكان ومن وجد هذه القطع وبيد من هي الآن وماذا وجد فيها ومن اين نقلتم هذا الخبر

ج اكتشف هذه الصفائح الباحثون الالمانيون من الجمعية الشرقية الالمانية في موقع بابل القديمة ونظن انها لا تزال في يدهم وقد قرئت الكتابة التي على صفيحتين منها فوجد في الواحدة خلاصة شرح الكتابة السفينية البابليَّة وهي قاموس جزيل الفائدة وفي الثانية النشيد الذي كان ينشد في هيكل اساجيلا عند رجوع المعبود مردُك الى هيكلهِ . ونظن اننا نقلنا الخبر عن جريدة نانشر او عن السينتفك اميركان او عن مجلة العلم العام الاميركية او غيرها من الجرائد العلمية . والخبر منقول اصلاً عن تقرير الجمعية الشرقية الالمانية الذي نشر في الربيع الماضي

(١١) الآلة البخارية الشمسية

ومنهُ . نرجو ان تزيدونا بيانًا عن الآلة البخاريَّة الشمسية التي ورد ذكرها في الصفحة ٣٨٢ من مقتطف السنة الماضية و ١٩٢ من مقتطف هذه السنة

ج لم نقف حتى الآن على شيءٍ جديد من هذا القبيل ولا ينتظر ان استعمال هذه الآلة ينتشر كثيرًا بل يبقى محصورًا في البلاد التي حرارة الشمس فيها شديدة في اكثر ايام السنة . ثم ان الذين يستعملون الآلة البخاريَّة يطلبون ان يكونوا حاكمين عليها يديرونها وقتما يشاؤُون ويوقفونها وقتما يشاؤُون والآلة الشمسية ليست كذلك بل هي خاضعة لحكم الشمس تدور حينما تشرق عليها وتقف حينما تحجب

عنها فلا ينتظر ان تستخدم في الاعمال التي فيها عمّال او التي يراد التدقيق في عملها الاَّ اذا اضيفت اليها آلة رخيصة لخزن القوة من وقت الى آخر واستعمالها عند الحاجة اليها وهذا ليس بالامر البعيد. امَّا بقية ما طلبتم معرفتهُ عن هذه الآلة فسنكتب الى اميركا نسأل عنهُ

(١٢) بناء جسم الانسان

ومنهُ . سأَلكم نسيم افندي فهمي كيف يعيش الانسان بعد نزع ثلثي امعائهِ حالة كون الخالق لو لم يعرف اهميَّة لزوم اقل عضو او عرق في الانسان ما كان خلقهُ فيهِ . فهل يمكن ان يجاب ان كل المخلوقات وجدت بنظام بديع اي ان كل دقائقها واجزائها واعضائها مقومة بعضها لبعض ومتعاضدة على اكمال الوظائف ونمو الجسم وحياتهِ وقضاء حاجاتهِ الخارجية والداخلية وهذا ينطبق ايضاً على ناموس بقاء الانسب لانهُ لو لم يكن لزوم او فائدة من الاعضاء المنزوعة ما كانت بقيت حتى اليوم غير ان الجسم لا يموت اذا نزعت منهُ بعض تلك الاعضاء او قسم منها لان الباقي من الاعضاء يقوم بما يحتاج اليهِ الجسم كما اجبتم لكن تضعف مقدرتهُ على النمو وعلى مقاومة العوارض التي تطرأُ عليهِ وعلى قضاء حاجاتهِ حسب اهمية العضو المنزوع والاَّ فهل نقدر ان نقول ان فسيولوجية الانسان ستتغير وتتغيَّر اعضاؤُهُ ايضاً حتى يمكن الاستغناء عنها فتزول ولا يبقى فيهِ الاَّ ما تمسُّ الحاجة اليهِ والى اي حدٍّ يصل هذا التغير

ج ان جوابكم حسن الاَّ في الاعضاء الرئيسة كالقلب فانهُ لا يمكن نزعها ويبقى الجسم حيًّا. والتغيير الذي اشرتم اليهِ ممكن وهو جارٍ الآن فقد زال ضرس العقل من كثيرين للاستغناء عنهُ كما ضعفت العضلات التي تحرك الاذن حتى كادت تزول لكن هذا التغيُّر بطيء جدًّا يقتضي الوفاً كثيرة من السنين وقد تعترضهُ امور لا نعلمها فلا يجري في الخطَّة التي نظنها ولذلك فكل قول من هذا القبيل ظنون ورجم بالغيب ومن هذه الظنون واغربها ان دماغ الانسان سيزيد نموًّا وجسمهُ ضعفاً حتى يصير اكثرهُ دماغاً . هذا ولا يعلم الى اين ينتهي التغير ولا ما هو مستقبل الانسان على هذه البسيطة

(١٣) صلصة الطماطم

بني مزار . محمود افندي كاني . كيف تعمل الصلصه من الطماطم حتى تحفظ مدة طويلة

ج نظن انكم تريدون بالصلصه ما يسمَّى عندنا برب الطماطم وهو يصنع هكذا يقطع الطماطم في المساء ويذر عليهِ الملح ويترك الى الصباح . وفي الصباح يمرث ويوضع في منخل دقيق او كيس من الشاش ويفرك حتى يخرج كل العصار منهُ ولا يخرج معهُ شيء من البزر ولا من القشر . ويضاف اليهِ ما يكفي

من الملح والبهار ويغلى على نار معتدلة حتى يشتد قوامهُ فيوضع في قناني نظيفة ويغطى بورق مزيت فيحفظ زمناً طويلاً

(١٤) اصلاح الارض الضعيفة

ومنهُ . الاراضي الزراعية الضعيفة التي ريها وصرفها منتظمان هل يمكن اصلاحها حتى تضاهي الاراضي الخصيبة وفي كم سنة يتم ذلك

ج ان كان ضعفها ناتجاً عن وجود ملح فيها فاذا عمقت مصارفها كثيراً واتقن صرفها زال سبب ضعفها في مدة ثلاث سنوات او اربع . واذا كان ضعفها ناتجاً عن قلة المواد المغذية فيها فلا تصلح الا باضافة السباخ البلدي او الكيماوي اليها والغالب ان السباخ يجيدها في بضع سنوات ايضاً . والظاهر ان الزرع المتوالي واختلاط تراب الارض بتراب ارض اخرى جيدة يوجدان فيها انواعاً من الميكروبات لازمة لجودتها لانها تكوّن فيها الغذاء اللازم للمزروعات فاذا امكن جمع هذه الميكروبات وبثها في الارض اي تطعيمها بها قرب زمن اصلاحها ويقال ان الالمانيين جمعوا الميكروب الذي يجيد الارض لزرع القطاني وهم يبيعونهُ الآن باسم النيتراجين . والسباخ الكفري قلما يصلح الارض الضعيفة لان فيهِ املاحاً كثيرة تبقى فيها وتزيدها ضعفاً

واذا كان صرف الارض غير منتظم او غير ممكن فلا يمكن اصلاحها بوجه من الوجوه

(١٥) جابر ابن حيان

الشين . حنا افندي شيبه . قال جابر ابن حيَّان الصابي في كتاب لهُ في فن الكيمياء في باب التدبير " اعلم يا هذا ايدك الله بروحهِ ان التدبير هو اعتدال الحار بالبارد والعكس وهذه الصناعة حكمها حكم الانسان من كل جهة وهذا لا يخفى على هذه الفطنة من ان الجسد العليل دواؤهُ عكس ما يعترضهُ من انحراف المزاج " . . . . الى ان قال " ان النبات اذا نما فوق الارض فصار كاملاً وأُكل صار غذاء فتصيرهُ الحرارة دماً وماء ثم نطفة ثم علقة ثم خلقاً في بطن امهِ ثم اذا ولد وربتهُ امهُ صار حيّاً مريداً مفكراً عاقلاً بالامور حر الادارة فكذلك الاجزاء المعدنية نقيمها مقام النبات والانبيق معدة لابيها وبطن لامها فاذا صارت كاملة اشبهت الانسان نتغير بها المعادن وتنتقل مراتبها من الاسفل الى الاعلى . ولهُ جملة كلام من هذا القبيل يفيد انهُ مخترع الاحماض الحالية ونرجو ان تفيدونا عن تاريخ حياتهِ ومؤلفاتهِ والصحيح منها وافادتنا عن صحة ما نقلناهُ آنفاً

ج قيل هو ابو موسى جابر بن حيَّان بن عبد الله الصوفي الطرسوسي الكوفي ذكرهُ الورَّاق في كتاب الفهرست الذي الفهُ سنة ٣٧٨ للهجرة وذكر لهُ خمس مئة كتاب في الكيمياء وغيرها ولا يزال كثير من كتب الكيمياء العربية في مكاتب اوربا وعليها اسم

جابر بن حيَّان . وقد ترجم بعض كتبهِ الى اللاتينية والانكليزية ويظهر منها انهُ هو الذي اكتشف حجر جهنم والسليماني وطريقة تمحيص الذهب والفضة وطرق التقطير الثلاث التصعيد والتكثيف والترشيح واعاد اكتشاف ماء الفضة واملاح النشادر وهو القائل ان المعادن كلها مركبة من الزيبق والزرنيخ والكبريت على درجات مختلفة وباختلاف الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف مستدلاً على ذلك بقياس التمثيل الذي اشرتم اليهِ في ما نُقل عنهُ

الأَ ان كثيرين من الباحثين في كتبهِ من علماء اوربا يرجحون انهُ شخص وهمي وان الكتب المنسوبة اليهِ الَّفها او ترجمها اناس كثيرون في ازمنة مختلفة . وربما اشبعنا الكلام عليهِ في فرصة اخرى . اما رأيهُ وهو تحويل المعادن من نوع الى نوع آخر حتى تصير الفضة ذهباً والرصاص فضة فليس من الامور المستحيلة لذاتها لان جواهر العناصر الاصلية يحتمل ان تكون كلها واحدة وانما اختلفت صورها وسائر خواصها باختلاف وضعها بعضها مع بعض كما ينسج من الخيوط الواحدة نسيج متقارب الخيوط ونسيج متباعدها ولكن لا دليل على ان احداً من الناس استطاع ان يحول الفضة ذهباً او الرصاص فضة مع ان كثيرين حاولوا ذلك ولا يزال كثيرون يحاولونهُ

(١٦) برج بابل

فاقوس . عبد العال افندي محمد . نرجو ان تفصلوا لنا مسألة برج بابل اين بني وكيف كان شكلهُ ومَن بناهُ

ج جاء في التوراة ان اولاد نوح وجدوا بقعة في ارض شنعار فسكنوها وقالوا هلمَّ نبنِ لانفسنا مدينة وبرجاً رأسهُ الى السماء ونقيم لنا اسماً حتى لا نتبدد على وجه الارض كلها فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال هوذا شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة وهذا ابتداؤُهم في العمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون ان يعملوهُ هلمَّ ننزل ونبلبل لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الارض فكفُّوا عن بناء المدينة ولذلك دعي اسمها بابل لان الرب بلبل هناك لسان كل الارض . وقال المفسرون ان ارض شنعار في العراق العربي اي القسم الجنوبي مما بين النهرين الفرات ودجلة وان الله قصد ان يفرّق الناس على وجه البسيطة وهم ابوا ذلك وارادوا ان يبنوا برجاً مرتفعاً حتى يروهُ عن بُعد ويعودوا اليهِ فلا يتفرقوا فبابل الله السنتهم لكي يكفُّوا عن بناء هذا البرج ويتفرقوا على وجه البسيطة . ولم يذكر في التوراة كيف كان شكل ذلك البرج

وقد قال علماء اللغات القديمة ان اسم بابل ليس من الفعل بلبل بل هو باب ايل

بالاشورية اي باب الله وهو ترجمة حرفية للاسم القديم كادمبرا بالاكادية اي باب الله من كا باب ودمبرا الله . ووجد جورج سمث الباحث الشهير اصل هذه القصة في كتابة اسفينيَّة قديمة يقال فيها ان رجالاً افكار قلبهِ شريرة قاوم ابا الالهة واخذ هو ورجالهُ يبنون برجاً كالاكمة لكن الرياح هدمت ما بنوا والقى انو التشويش فيهم كباراً وصغاراً وبلبل السنتهم وفيَّل مشورتهم فان بعل ابا الالهة اغتاظ منهم ولكن انو هو الذي اهلكهم . وقد نقل الفنيقيون هذه القصة الى اليونان منذ عهد قديم

والمظنون ان القدماء عنوا ببرج بابل المكان المعروف الآن ببرج نمرود في ضواحي بابل على ثمانية اميال منها وكان يسمى بهيكل الكواكب السبعة وقد وجد السر هنري رولنص انهُ مبني من سبعة ادوار من الاجر على دكة من التراب واجر كل دور لونهُ مختلف عن لون الادوار الاخرى . والبرج كبير طولهُ ٦٤٣ قدماً وعرضهُ من جهة ٤٢٠ قدماً ومن اخرى ٣٧٦ قدماً وبقي غير تام الى ان اتمهُ نبوخذ نصر والمظنون ان القصة المتقدمة نشأَت لما كان غير تام

ويظن آخرون ان المراد ببرج بابل البرج المسمى عمرام وهو في بابل نفسها وهو تل من الانقاض طولهُ ١١٠٠ قدم وعرضهُ ٨٠٠ قدم

والظاهر ان علماء اليهود كانوا يعلمون ان كلمة بابل ليست مشتقة من بلبل او بالل بالعبرانية فقد قال الدكتور بدج في كتابهِ الذي نشرتهُ جمعية نشر الكراريس الدينية "سئل في التلمود لماذا سميت بابل كذلك فاجاب ربي يوحنان لانها مبلبلة في التوراة والمشنى والتلمود" ولما فسَّر التلمود كلمة ظلمات الواردة في مراثي ارميا قال "هي ما كان مثال بابل" لغموض معناها . اما اسم المدينة في الآثار البابلية فتفسيرهُ دائماً بيت الله .

---

(١٧) ليبريا

مصر . امين افندي محمد . اين سكن العبيد الذين حرَّرهم الاميركيون وقت حرب الحريَّة

ج بقي اكثرهم في اميركا وذهب بعضهم الى ليبيريا وهي جمهوريَّة للزنوج في الشاطئ الغربي من افريقية يبلغ عدد سكانها الآن مليوناً وستمئة الف نفس ستون الفاً منهم من الزنوج الذين كانوا في اميركا . ونظام هذه الجمهوريَّة مثل نظام الولايات المتحدة الاميركية لها رئيس ومجلس نواب ومجلس شيوخ واقليم البلاد من احر ما يكون في الدنيا والزنوج الذين بقوا في الولايات المتحدة تكاثروا فيها جداً ويبلغ عددهم الآن اكثر من تسعة ملايين نفس وكانوا وقتئذ تحرروا نحو اربعة ملايين نفس

باب الاخبار العلمية

الاستاذ فركو
Prof. Virchow



نشرنا ترجمة هذا الاستاذ الكبير في العام الماضي حينما اتمَّ السنة الثمانين من عمرهِ عمرٍ قضاهُ في توسيع نطاق المعرفة وتقرير قواعد العلم وافادة نوع الانسان ومقاومة آثار الاستبداد فاحتفلت الامة الالمانيَّة بذلك وشاركها في ذلك الاحتفال نوَّاب الجمعيَّات الطبيَّة والعلميَّة من اقطار المسكونة وكتب اليهِ امبراطور المانيا يقول

"في هذا اليوم الذي مُنحتَ فيهِ بنعمة الله ان تتمَّ السنة الثمانين من عمركَ وانتَ في تمام النشاط العقلي والجسدي أُعربُ لكَ عن تهنئاتي القلبيَّة وما ارجوهُ لك من السعادة الدائمة . انَّ علم الطب مديون لكَ لانكَ قضيتَ عمركَ في البحث فيهِ واكتشفت امورًا مهمَّة لذاتها وقد قادت الى اكتشافات اخرى فرسخ اسمك في صفحات تاريخ الطب مدى الادهار وأُكرم في بلادك وفي كل الاقطار والامصار . وفوق ذلك جدتَ بمعارفك الطبيَّة واختبارك الواسع في السلم والحرب لخدمة نوع الانسان وكنتَ دائمًا الطبيب الامين والمعين الصادق . وقد منحتك الآن نشان العلم الذهبي العظيم علامةً لشكري لك واعترافي بفضلكَ واني اسرُّ بارسالهِ اليك في هذا اليوم الذي يحتفل فيهِ بعيدك "

ولم يتم الحول على هذا الاحتفال حتى قضى الاستاذ فركو نحبهُ سائرًا في طريق كلّ حي. وهاك ملخص الترجمة التي نشرناها هناك وشيئًا يسيرًا مما لم ننشرهُ فيها

ولد سنة ١٨٢١ ودرس الطب واجيز لهُ فيهِ وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة وجُعل مساعدًا لاستاذ التشريح في مستشفى الرحمة وفشت حمى التيفوس بين الحاكة في جبال سلسيا على اثر مجاعة فأُرسل للبحث عن سببها فبحث وكتب تقريرًا مدققًا كان لهُ وقع عظيم وهو الذي جعلهُ يسير في الخطة التي سار فيها علمًا وسياسة فعكف على درس الامراض الباطنة وصار من احرار الالمان . ثم جُعل استاذًا في مدرسة برلين الجامعة وأُخرج منها

بسبب مذهبهِ السياسي وجعل استاذاً للتشريح الباثولوجي في مدرسة ورزبرج سنة ١٨٤٧

ولم يمارس صناعة الطب بل اقتصر على تعليم الاطباء وسيبقى اسمهُ في الطبقة الاولى بين علماء الطب الذين وضعوا اصولهُ ووسعوا نطاقهُ حتى يقال انهُ هو واضع علم الباثولوجيا لانهُ بيَّن فعل الامراض بالخلايا التي تتركب منها الانسجة الحيوانية . ولما اكتشف باستور سبب الامراض البكتيريولوجي ظُن ان تعليل فركو للامراض منقوض ثم اتضح ان ما اكتشفهُ باستور من اسباب الامراض لا ينقض مذهب فركو بل يعززهُ

وكان من غلاة الاحرار وهو زعيمهم في مجلس النواب الالماني وكان ينتقد اعمال الحكومة بكلام احد من السهام حتى اضطر بسمارك مرةً ان يدعوهُ الى المبارزة . وكان يحسب الحرب علة البلايا حتى رأى الامبراطور مرةً ان يجاهر بمدح غيرهِ من العلماء لانهم لا يتعرَّضون للسياسة مثلهُ

وكانت لهُ مشاركة في علوم أُخرى غير الطب فاشتهر بعلم الانثروبولوجيا واليهِ انتهت رئاسة الجمعية الانثروبولوجية وكتب عن سكان الكهوف وسكان الخصاص التي كانت قائمة على الاوتاد في بحيرة جنيفا في العصور الغابرة

ورأس اللجنة المالية ٢٥ سنة وهو الذي نظَّم مالية بروسيا وبقي ٤٢ سنة في مجلس برلين البلدي واليهِ ينسب اصلاح تلك العاصمة .

وما احسن الادارة اذا خدمها العلم فقد كانت برلين من افسد المدن هواءً واقلها صحةً فصارت بسعيهِ وعلمهِ من اصح المدن هواءً واجودها صحةً واجرى اسرابها الى ما حولها من القفار القاحلة فصيرتها رياضاً نضرة وهو الذي نظَّم مستشفيات برلين حتى صارت مثالاً في الانتظام والاتقان

وطُلب منهُ سنة ١٨٧٢ ان يخرج من عضويَّة الجمعيَّات العلميَّة الفرنسويَّة فابى ذلك قائلاً ان قطع الاتصال العلمي بين المانيا وفرنسا مخالف لمقتضى العلم والعمران ومصلحة نوع الانسان . وساعد الدكتور شليمن مكتشف خرائب ترواده وكتب المقدمة لكتابهِ اليوس

والَّف كتباً ورسائل شتى اشهرها كتابهُ في الباثولوجيا الخلويَّة وكتابهُ في الطب والعلاج وهو ثلاث مجلدات . وباثولوجيَّة الاورام وهو ثلاث مجلدات ايضاً ومقالات في الطب والحكومة مجلدان وخطب في الاركيولوجيا والاثنولوجيا وفائدة العلوم الطبيعيَّة وتعليم النساء وتيفوس المجاعة والاسراب والمصارف واساليب التشريح وحريَّة العلم والامراض المعدية في العساكر والفحص الرمي والتريخينا وهيجين الاسراب والتكنات وغير ذلك مما يطول شرحهُ وترجم كثير من كتبهِ الى اللغة الانكليزية وكانت وفاتهُ في الخامس من شهر سبتمبر

اميل زولا

فقدت فرنسا رجلاً من اشهر كتابها في هذا العصر ان لم يكن اشهرهم كلهم وهو اميل زولا الذي انتشرت رواياتهُ في الآفاق كما انتشرت روايات ديماس من قبلهِ

ولد بباريس سنة ١٨٤٠ وابوهُ ايطالي كما يدلُّ اسمهُ وامهُ فرنسويَّة وتوفي ابوهُ وعمرهُ ست سنوات وكفلتهُ امهُ وجدتهُ وبدت عليهِ مخايل النجابة منذ حداثتهِ فنظم الشعر والَّف الروايات الشعريَّة . وساءت احوال عائلتهِ فعاش في الفاقة الشديدة الى ان اتمَّ دروسهُ حتى كان يضطرُّ احيانًا ان يقيم في فراشهِ النهار كلهُ اذا اشتدَّ البرد لانهُ لم يكن قادرًا ان يدفع ثمن الوقود لاشعال النار . وبقي سنة ونصفًا يطوف في شوارع باريس بثياب اخلاق حتى كان باعة الكتب القديمة يطردونهُ اذا وقف ينظر في كتبهم . وكثيرًا ما كان يبيت على الطوى جائعًا عاريًا. قابلْ ذلك بما وصل اليهِ اخيرًا حينما عُرِض عليهِ عشرون الف جنيه لاجل ثلاث روايات الَّفها فلم يقبل بها

ولكن لم تطل عليهِ هذه الحال بل استخدمهُ محل هاشت وعمرهُ ٢٢ سنة وقطع لهُ مئتي فرنك في الشهر فاقام فيهِ خمس سنوات يعمل النهار كلهُ ويدرس ويكتب في المساء فلما طبع روايتهُ الثانية (رؤيا كاود) رأى ان باب النجاح قد فتح في وجههِ فاستخدم في تحرير جريدة الحوادث وجعل راتبهُ خمس مئة فرنك في الشهر والَّف حينئذٍ رواية خفايا مرسيليا ورواية تريز راكين ثم خطر لهُ ان يعارض بلزاك ويؤلف سلسلة من الروايات يصف بها الضرَّاء كما الَّف بلزاك الروايات التي وصف بها السرَّاء وقصد اولاً ان يجعل هذه الروايات اثنتي عشرة فبلغت عشرين وشرع في الرواية الاولى منها سنة ١٨٤٩ ولكنهُ لم ينشرها الاَّ بعد سقوط الامبراطورية وقيام الجمهوريَّة ولم يفلح فيها ولا في الرواية التي تلتها فلم يفِ دخلهما براتبهِ فالتجأَ الى مطبعة اخرى وتعهَّد ان يقدم لها روايتين في السنة وهي تعطيهِ مئة وعشرين جنيهاً عن كل رواية فالف لها الرواية الثالثة فاقبل القراءُ عليها وصار يأخذ رسمًا قليلاً على كل نسخة تباع من رواياتهِ وكان هذا الرسم اولاً اربعين سنتيمًا فصار خمسين ثم ستين وقد قيل منذ مدة انهُ ربح من رواياتهِ مئة الف جنيه

وسيأتي الكلام على هذه الروايات واسلوب مؤلفها وفلسفتهِ في جزءٍ تالٍ

وكانت وفاتهُ بالاختناق وُجد ميتًا في غرفتهِ في التاسع والعشرين من سبتمبر وزوجتهُ مغمًى عليها كأَنَّ الغاز خرج من موقد النار فسمَّمهُ وسممها . ولما افاقت من اغمائها قالت انها شعرت بصداع شديد فايقظت زوجها وطلبت منهُ ان يفتح شبَّاكًا فقام ليفتحهُ فوقع على ظهرهِ

وأُغمي عليها فلم تعِ على شيءٍ الى ان وُجدت في الصباح بين حية وميتة وزوجها ميت

الحراج والوقود

كتب المستر هتشنس في جريدة ناتشر انهُ وجد منذ سنة ١٨٨٢ ان شجر اليوكالبتوس اذا زرع في جبال البلاد الاستوائية امكن ان يقطع من كل فدان منهُ عشرون طنًّا من الخشب اليابس سنويًّا والشجر الذي يقطع ينمو ثانية من غير زرع فتبقى الحرجة على حالها الى ما شاء الله من غير اقل نفقة وحطبها اثقل من الفحم الحجري فان ثقل القدم المكعبة من الفحم الحجري من ٥٠ الى ٥٢ رطلاً واما ثقل القدم المكعبة من خشب اليوكالبتوس فستون رطلاً ولذلك فحرارة القدم المكعبة منهُ تساوي حرارة القدم المكعبة من الفحم الحجري او تزيد عليها . واذا اجيد انتخاب الشجر وزرعهُ فلا يبعد ان يقطع من الفدان اكثر من عشرين طنًّا من الخشب كل سنة . وكل ما يحتاج اليهِ اليوكالبتوس شمس ساطعة ومطر غزير واذا نظرنا في الكرة الارضية وجدنا ان المطر الغزير يقع على ثمانية آلاف مليون فدان منها اي على نحو ربع مساحة اراضيها لان مساحتها نحو ٣٥٢٠٠ مليون فدان واذا قصرنا نظرنا على الارض التي بين خط الاستواء والدرجة ٤٠ حيث يبلغ ما يقع من المطر سنويًّا اربعين عقدةً وحسبنا ان نصفها فقط زرع حراجًا امكن ان يقطع منهُ في السنة ١٦١ الف مليون طن اي اكثر مما يحرق الآن من الفحم الحجري في الدنيا كلها بمئتين وثمانية وثمانين ضعفًا . والحراج الموجودة الآن في هذه البلدان يمكن ان يقطع منها نحو نصف ذلك كل سنة اي ٨٠٠٠٠ مليون طن . واذا زرع ربع الارض حراجًا كما هي الحال الآن في المانيا بلغ ما يمكن قطعهُ منها ٤٠ الف مليون طن كل سنة . واذا تساهلنا كثيرًا وجعلنا ما يمكن ان يقطع منها نصف ذلك بلغ ٢٠ الف مليون طن اي اكثر مما يحرق الآن من الفحم الحجري ثلاثين ضعفًا لانهُ يستخرج من الفحم الحجري الآن في الدنيا كلها ٦٦٢ مليون طن

ويتضح من ذلك انهُ اذا زرعنا ربع الاراضي حراجًا في البلاد الحارة والمعتدلة من خط الاستواء الى ٤٠ درجة من العرض امكن ان يقطع منها كل سنة حطبًا يزيد على ما يحرق الآن من الفحم الحجري ثلاثين ضعفًا الى ١٢٢ ضعفًا ويمكن ان يزيد الى ٢٤٣ ضعفًا . فاذا نفد الفحم الحجري واستعملت كل الشلالات ومجاري المياه يبقى ما يقوم مقامها كلها وهو الحراج او الغابات

مجمع ترقية العلوم البريطاني

بلغ عدد الاعضاء والسيدات الذين اجتمعوا هذا العام ١٦٢٠ وكان عددهم في

العام الماضي ١٩٥١ وفي بعض الاعوام السالفة أكثر من ثلاثة آلاف لكن هذا الاجتماع جرى على تمام الانتظام والفائدة وتليت فيهِ الخطب النفيسة ومنها خطبة الرئيس وقد نشرنا خلاصتها في هذا الجزء . وانتخب السر نورمن لكاير محرر جريدة ناتشر رئيساً للمجمع في الاجتماع المقبل وسيعقد في سوثبرت ويبتدئ في ٩ سبتمبر ومن المرجح ان الاجتماع الذي بعدهُ يعقد في مدينة الرأس في جنوبي افريقية

مؤتمر السل

تجتمع اللجنة الدولية التي عينها مؤتمر السل حديثاً في مدينة برلين من الثاني والعشرين الى السادس والعشرين من اكتوبر وتكون مواضيعها عمل الحكومة في منع السل وتنظيم الصيدليات التي تعطي العلاج مجاناً للمسلولين . وواجبات المدارس من حيث منع السل . والتوقي من ضرر اللبن . والسل في الطفولية . ووقاية العمال من السل . وتقسيم المسلولين الى فرق وقت اوائهم

الوفد العلمي الياباني

قام وفد من علماء اليابان الى اواسط اسيا بقيادة الكونت اوتاني كوزوي للبحث عن الآثار البوذيَّة فيها وفي الهند والصين ولاقتفاء آثار الديانة البوذيَّة الى مصادرها الاولى

تجميد اللبن

جاء في جريدة جمعية الصناعة ان طبيباً استنبط اسلوباً يجمَّد بهِ اللبن والدقيق فيصير كدقيق الحنطة ولا يفقد شيئاً من خواصهِ المغذية وهو يذوب في الماء تماماً ويمكن استعمالهُ في كل ما يستعمل بهِ اللبن ويقال انهُ لا يحمض ابداً مثل اللبن ولا تؤَثر فيهِ تغيرات الهواء اذا كان دقيقاً وتبلغ النفقة اللازمة لتجميد القنطار من اللبن نحو غرشين ونصف

سترمبولي و يزوف

ثار بركان سترمبولي في اواسط سبتمبر وبدت من بركان يزوف دلائل تدلُّ على قرب ثورانهِ

مصلح الهواء

وصف المسيو دسغره آلة صنعها لتنقية الهواء ومنع فسادهِ حتى يستطيع الانسان ان يتنفسهُ ولو كان في صندوق مقفل فان فيها ماء وبراكسيد الصوديوم والماء يقع على البراكسيد نقطاً صغيرة فيحلهُ ويتولد منهُ الاكسجين ويمتص اكسيد الكربون الثاني المتولد بالتنفس وتنحل المواد الاخرى السامة المتولدة من التنفس ايضاً. والآلة التي صنعت الآن تمكّن الانسان من البقاء حيًّا ثلاثة ارباع الساعة ولو كان في اناء من الزجاج محكم السد

الحمى الملاريَّة في الاسمعيليَّة

يؤْخذ مما نشرهُ المقطم ان الدكتور روس يرى ان سبب الحمى الملاريَّة في الاسمعيلية تكاثر البعوض في المستنقعات الواقعة شرقي

المدينة في المكان المسمى ابا رخم حيث الاشجار كثيرة والمياه راكدة . وكذلك المستنقعات الواقعة جنوبيها حيث بركة ابي جاموس . وقد اجتمع الدكتور المذكور باطباء شركة القنال وتذاكروا مليًّا ثم قرَّ قرارهم على ان تنشئ الشركة قلمًا خاصًّا بملاشاة البعوض مقسومًا ثلثة اقسام قسمًا يلاشيهِ من المستنقعات وقسمًا يلاشيهِ من المنازل وقسمًا يلتقط ما تيسَّر منهُ ويرسلهُ الى الدكتور روس لفحصهِ وعينوا الدكتور برسًّا لتلك الاقسام . ثم قفل الدكتور روس راجعًا الى انكلترا وجعل الدكتور برسا يجرب ملاشاة البعوض بصب زيت البترول في المستنقعات المذكورة وغيرها وبعد مضي سنة يُنشر تقرير بنتيجة ذلك كلهِ

التبريد بالهواء السائل

استنبط الهر كروجر الالماني استنباطًا بهِ يصنع الجليد ويبرد الهواء ايام الصيف في الاسواق والمحلات الاخرى العمومية بالهواء السائل والمظنون ان هذا الاستنباط يحلُّ مسألة تبريد الهواء وتلطيف الحر في البلاد الحارة . ولما سمع بهِ امبراطور المانيا ارسل فاستدعى مخترعهُ اليهِ ليشرح لهُ اختراعهُ

تلغراف مركوني

يستفاد من اخبار تورين ان السنيور مركوني اجتمع بمدير البوستة العام في ايطاليا وتكلما مليًّا في انشاء محطة للتلغراف الذي ليس لهُ سلك قرب رومية لمخاطبة من في سان باولو بلاد البرازيل في اميركا الجنوبية لان كثيرين من الايطاليين يهاجرون من ايطاليا اليها فتمس الحاجة كثيرًا الى مخاطبتهم فيها

خلة الادب

كان فرنس شوبير من نوابغ الموسيقيين في عصرهِ ولا يزال يعدُّ في الطبقة الاولى بين موسيقيي اوربَّا عند ارباب الموسيقى كلهم وُلد في فينا سنة ١٧٩٧ وترك للعالم ما يطربهم في افراحهم ويشجوهم في اتراحهم الى ما شاء الله ولكنهُ عاش يشكو الفقر خلة الادب حتى كان يبيع ابدع ما تجود بهِ قريحتهُ بدريهمات يقضي بها حاجتهُ واجهزت الفاقة عليهِ فقصفت المنية غصن شبابهِ سنة ١٨٢٨ في الحادية والثلاثين من عمرهِ من تأثير خلة الادب . ويروى ان كثيرين اغتنوا بطبع منظوماتهِ الموسيقية وبيعها ولكننا قرأنا في جرائد النمسا الاخيرة ان حفيدة اخيهِ باتت الآن في اسوإ حال من الجوع والفاقة فزوجها يمرُّ على الابواب يطلب الخدمة في بيت من البيوت فلا يجد من يستخدمهُ وهي طريحة الفراش منذ عشرة اشهر مما قاست من الضنك وشظف العيش فاخذت الشفقة عليها احدى الجرائد التي تعترف بفضل عم ابيها فقامت تستنهض غيرة اهل الخير ليتصدقوا عليها بما تحفظ بهِ الرمق اعترافًا بفضل ذويها

البعثة الاميركية

يتبارى الاميركيون الآن والاوربيون في الرحلة الى القطب الشمالي وقد عزم الاميركيون ان يسبقوا اليهِ ويرفعوا رايتهم عليهِ فبعث احد اغنيائهم واسمهُ المستر زيغلر بعثة برئاسة المستر بلدوين جهزها بكل ما يلزم لها حتى تضع المؤَن في طريقها رويداً رويداً وتبلغ اقصى ما يمكن البلوغ اليهِ بحرًا ثم تسير من هناك بالمزالق تجرها الكلاب الى ان تصل الى القطب واخذت معها مئتي كلب لهذه الغاية وكل مايلزم للمباحث العلمية لكن اتفق ان البرد كان اشد في العام الماضي مما كان في الاعوام السابقة فاضطرت سفينتها ان تستقر في مكان بعيد لان الجمد منعها من التقدم واصاب الكلاب مرض امات اكثرها وبعد عناء شديد اضطرت هذه البعثة ان تعود ادراجها لكنها تحققت انهُ لا يوجد بحر يمكن الجري فيهِ حول القطب وان اليابسة تصل الى الدرجة الثانية والثمانين شمالاً في جهة فرنس جوزف لند ومن هناك فصاعداً يمكن البلوغ الى القطب بالمزالق. وقد صورت كل ما رأتهُ صورًا فوتوغرافية كثيرة فاقت ما فعلهُ غيرها

وقبل ان تُطبَع هذه السطور قرأْنا ان المستر زيغلر ارسل بعثةً ثانية الى القطب الشمالي كأَنهُ رأَى ان الجو خلا لهُ بعد رجوع بلدوين وسفردرب فعزم ان لا ينفك على الانفاق حتى يبلغ الاميركيون ما عجز غيرهم عن بلوغهِ

البعثة الاسوجية

ثم ان الفرام السيفنة التي قصد بها نتسن القطب الشمالي عادت اليهِ سنة ١٨٩٩ برئاسة سفردرب رفيق نتسن فلم توفق في سفرها لشدة البرد في الشتاء التالي لان متوسط درجة الحرارة فيهِ بلغ ٤٥ تحت الصفر ولم تتمكن الفرام من كسر الجليد والتخلص من قيدهِ الاَّ في السادس من اغسطس الماضي فعادت ادراجها وعاد الذين فيها سالمين

البريد الكهربائي

استنبط مهندس ايطالي اسمهُ بشيتشلي اسلوبًا لنقل البريد بالكهربائية في صناديق من الالومنيوم تجري معلقة في اسلاك معدنية وادَّعى ان سرعتها تكون اربع مئة كيلومتر في الساعة اي ١١١ مترًا في كل ثانية من الزمان وهي سرعة فائقة جدًّا لا نظن ان الهواء يسمح بها ولاسيما اذا هبَّت ريحًا مضادةً لسيرها فان المقاومة تشتدُّ حتى يبطئ سيرها او يمتنع

السر فردرك ابل

ان خسارة الانكليز بموت السر فردرك ابل لا تقلُّ عن خسارة الالمانيين بموت الاستاذ وركو وخسارة الفرنسويين بموت اميل زولا فانهُ كان عالمًا عاملاً عالي الهمَّة شديد الغيرة ولد سنة ١٨٢٧ وابوهُ من اصل اسوجي واخذ

الكيمياء عن الاستاذ هُفمن ثم صار مساعدًا لهُ وجُعِل استاذًا للكيمياء في المدرسة الحربية سنة ١٨٥١ وكيماويًّا لنظارة الحربية سنة ١٨٥٤ وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٨٨٨ فاستخدم علم الكيمياء في ما يفيد الحرب اي في عمل انواع البارود والامزجة المعدنية التي تسبك منها المدافع وهو اول من بحث في قطن البارود واستعمالهِ بدلاً من البارود وعرف بعد التجارب الكثيرة كيفية خزنهِ واتقاء شرهِ ومقدار تفرقعهِ

وجُعل رئيسًا للجنة المتفرقعات وادَّت تجاربهُ الى استنباط البارود المعروف بالكردَيْت وهو مركب من قطن البارود والنيتروغلسرين

واستنبط آلة تعرف بها درجة الحرارة التي يشتعل عندها البترول وكان لهُ اليد الطولى في انشاء دار العلم الملكية وجعل مديرًا لها وفي انشاء دار الكيمياء والجمعية الكيماوية الصناعية ومجمع المهندسين الكهربائيين وجمعيَّات اخرى علمية وكان رئيسًا لها كلها ورأس مجمع ترقية العلوم البريطاني سنة ١٨٩٠ . ونال كثيرًا من الالقاب العلمية . وكانت وفاتهُ في السادس من شهر سبتمبر الماضي

بالون سبنسر

اشرنا الى هذا البالون في المقالة التي كتبناها عن ركوب الهواء في هذا الجزء ثم جاءتنا جرائد انكلترا مشحونة بوصفهِ ووصف حركاتهِ في سيرهِ فوق مدينة لندن ويظهر منها ان المستر سبنسر كان يديرهُ كيف شاء فاذا رأى تحتهُ جمعًا كبيرًا من الناس خفضهُ رويدًا رويدًا حتى يدنو منهم ويسمع صياحهم ثم يحلّق امامهم في الجو ليزيد دهشتهم او يتقي الاصطدام بابراج الكنائس ومرَّ فوق نهر التمس ثلاث مرات ذهابًا وايابًا ودار في دائرة قطرها نصف ميل وبعد ان مرَّ فوق مدينة لندن كلها ابعد عنها ونزل ببالونهِ في حقل لامباني فيهِ فوقع على الارض كما تقع الفراشة على الزهر وهرع الناس اليهِ فوقف يحادثهم كأنهُ نزل من مركبة تجرها الخيل وبلغت المسافة التي قطعها ثلاثين ميلاً واعلى ما بلغ اليهِ ١٥٠٠ قدم وكان يرى الناس تحتهُ من هذا العلو كالنمل الصغير ويقول انهُ يستطع ان يسير ببالونهِ ضد الريح اذا زادهُ ثقلاً

اصغر طفل

رأينا في مجلة الستراند صورة منقولة عن صورة فوتوغرافية لطفل عمرهُ اسبوعان موضوع في صحفة من صحاف الطعام العادية كان ثقلهُ حين ولادتهِ ٢٣٠ درهمًا وبلغ ثقلهُ لما صار عمرهُ اسبوعين ٣٠٠ درهم .

نباهة الحيوان

يضرب المثل ببلادة الحمار والثور في اكثر لغات الارض لكن كتب بعضهم الآن

الى جريدة ناتشر ما يدل على نباهة غريبة في الحمير والثيران قال: "تعلَّم حمار ان يفتح باب الحظيرة التي كان يزرب فيها فصار يفتح ابواب غيرها من الحظائر وذات يوم خرج من حظيرتهِ ومعهُ حصانان ومضى بهما الى حظيرة تبعد ميلاً ونصفاً وفتح ثلاثة ابواب في طريقهِ اليها وكان في هذه الحظيرة فرس ومهرها وكلب كبير فخرجت هذه الحيوانات منها وهامت على وجهها

"وكان عندنا ثور بعناهُ للذبح في مكان يبعد عنا ١٤ ميلاً وارسل الى المذبح بسكة الحديد فافلت في اليوم التالي ورجع الينا وعرف الطريق من نفسهِ مع طول الشقة لكن هربهُ لم ينجهِ فانهُ اعيد الى المذبح وذبح"

اكبر المراسي

صُنعت مرساة في اميركا طولها خمس عشرة قدماً وثقلها اكثر من ثمانية طولوناطات وطول سلسلتها ٢١٦٠ قدماً وثقل كل حلقة من حلقها ستون ليبرة

مكرر التلغراف

ان الاسلوب الشائع في التلغراف وهو اسلوب هيوز يرسل بهِ ٢٢٠٠ كلمة في الساعة على الاكثر ولكن الاستاذ رولند استنبط منذ مدة اسلوباً يرسل بهِ ١٨٠٠٠ كلمة في الساعة الواحدة على الخط الواحد وقد اخذت ادارة التلغراف في المانيا تجربهُ حتى تعتمد عليهِ

واقية الترامواي

قرأنا في السينتفك اميركان في العدد الصادر في ١٣ سبتمبر ان ولاة الامر في برمنجهام ببلاد الانكليزية يجربون الآن اسلوباً يمنع خطر الترمواي الكهربائي فيحسن بشركتي الترامواي الكهربائي في مصر والاسكندرية ان تراقبا هذه التجارب حتى اذا وفى ذلك الاسلوب بالغرض استعملاهُ في هذا القطر

النور والعين

وجد احد علماء الروس ان العين تطرف في نور الشمعة ٦٨ مرة كل عشر دقائق. وفي نور الغاز ٢٨ مرة كل عشر دقائق . وفي نور الشمس ٢٢ مرة كل عشر دقائق . وفي النور الكهربائي ١٨ مرة كل عشر دقائق وقال ان تعب العين من كثرة طرفها ولذلك فهي تتعب في النور الكهربائي اقل مما تتعب في غيرهِ

شبان المشرق

جاءنا من لبنان ان الشاب الاديب شكري افندي صفا نجل الوجيه الفاضل جرجس افندي صفا تلقى علم الحقوق في باريس ففاق الاقران واثنى عليهِ اعضاء لجنة الامتحان ثناءجميلاً وبلغنا مثل ذلك عن اكثر الشبان الشرقيين الذين يتلقون العلوم في اوربا واميركا. ومما يدلُّ على نجابتهم ان اولاد الفرنسويين الذين يدرسون علم الحقوق في بلادهم وبلغتهم يسقط منهم ستون او سبعون وقت الامتحان

النهائي واما الشبان الشرقيون الذين يتعلمونهُ بغير لغتهم وفي غير بلادهم فلا يسقط منهم عشرة في المئة

الراديوم وصحة العين

الراديوم عنصر يشعُّ كأَنهُ الفصفور واشعتهُ تخترق المعادن فاذا وضعتهُ في قنينة ووضعت لوحًا معدنيًّا بينهُ وبين عينيك لم يمنعك اللوح من رؤيتهِ . وقد يعمى الانسان احيانًا من خلل في قرنية عينهِ لا في شبكيتها اي لا يكون الخلل في الجزء الباطن من العين الذي فيهِ العصب البصري وحينئذ تبقى العين ترى اشعَّة الراديوم ولو لم ترَ غيرها لان ظلمة القرنية لا تمنعها من رؤْية هذه الاشعة فتكون رؤيتها دليلاً على ان العين لا تزال مبصرة من الداخل وشبكيتها سليمة ويمكن ارجاع الابصار اليها فان لم ترَ اشعة الراديوم فالخلل في شبكيتها ولا علاج لهُ

اكبر آبار البترول

هي بئر في باطوم بروسيا نبع منها في اليوم الاول ما يملأُ ١٨٠ الف برميل وكذا في اليوم الثاني والثالث وبقي البترول يخرج منها بهذه الغزارة الى ان بلغ اكثر من مليوني برميل وهناك بئر اخرى خرج منها حتى دسمبر الماضي مليون برميل وبقي يخرج منها ٢٥ الف برميل كل يوم. لكن حافري هاتين البئرين خسرا ولم يربحا لان الارض للحكومة ومحتفر البئر يدفع رسمًا على كل رطل يخرج منها فاذا خرج غزيرًا حتى لم يستطع ان يستلقيهُ كلهُ اضطر ان يدفع الرسم على ما لم ينتفع بهِ ثم ان الارض التي يجري الزيت الفائض فيها تتلف بهِ فيضطر ان يعوض اصحابها ما تلف منها وتحملهُ الريح وهو صاعد في الهواء وتلقي رذاذهُ على البيوت والحقول البعيدة فيضطر ان يعوض اصحابها ما يلحق بهم من الضرر حتى لقد اضطر احد اصحاب هذه الآبار مرةً ان يدفع عشرة آلاف جنيه تعويضًا

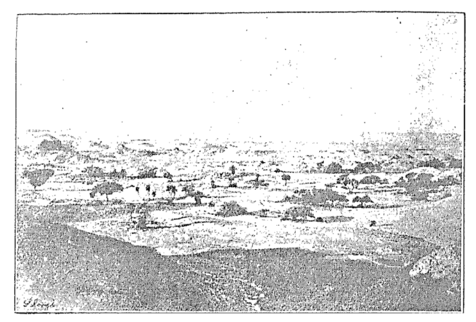
السيار روس

عاد السيار اروس الى الظهور بعد ان اختفى مدةً اكتشفهُ اخيرًا الاستاذ لنج في مرصد تشمبرلين باميركا . وهو السيَّار الصغير الذي اكتشفهُ دەويت في مرصد اورانيا ببرلين سنة ١٨٩٨ وبيَّن انهُ يدنو من الارض حتى يصير اقرب السيَّارات اليها

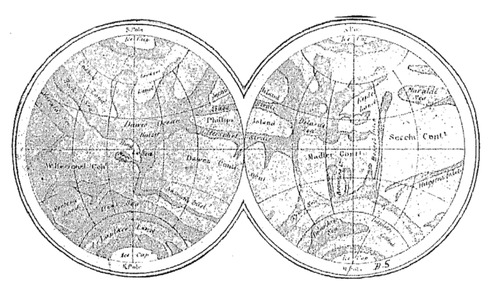
بوارج الدول

اذا دللنا بالارقام على نسبة قوى الدول الحربية البحرية بعضها الى بعض على ما هي عليهِ الآن كانت انكلترا الاولى ولها العدد ٤٥٦ وفرنسا الثانية ولها ١٦٢ وروسيا الثالثة ولها ١٤٤ واليابان الرابعة ولها ١٠٤ والمانيا الخامسة ولها ٨٨ والولايات المتحدة الاميركية السادسة ولها ٧٢

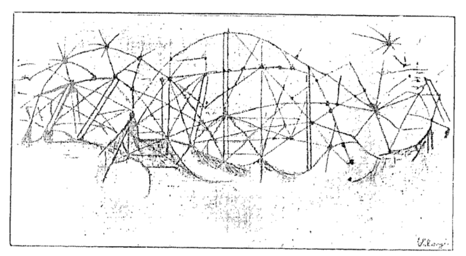
فهرس الجزء العاشر من المجلد السابع والعشرين



واحة كركر كما تظهر للمشرف عليها (انظر الصفحة ١٠٣٩) منقولة باذن نظارة الاشغال



خريطة المريخ كما رسمها بروكتر منذ ثلاثين سنة (انظر الصفحة ١٠٧٣)



سطح المريخ كما يشاهد الآن (انظر الصفحة ١٠٧٤)

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد السابع والعشرين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٢ — الموافق ١ رجب سنة ١٣٢٠

حياة الجماد

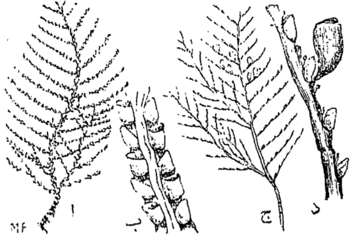
واكتشاف هندي عظيم

ارتأى الفلاسفة منذ عهد قديم ان الموجودات كلها سلسلة واحدة لا يظهر الانفصال الاَّ بين حلقاتها البعيدة واما حلقاتها القريبة فمتصلة بعضها ببعض . ثم دخل اندية العلم قوم سبق الى وهمهم ان اتصال الانسان بغيرهِ من انواع الحيوان واتصال هذه الانواع بعضها ببعض وبالنبات والجماد مخالفان لبعض العقائد الدينية فانكروهما وقالوا انها انواع مستقلة لا اتصال بينها كذا كانت منذ خلقها الله ولا تزال كذلك ابد الدهر. وقد نشرنا في المجلد الاول من المقتطف مقالة لحضرة الدكتور وليم ڤان ديك في تمييز الحيوان عن النبات بيَّن فيها ان التمييز بينهما صعب جدًّا في بعض الاحوال حتى لقد يلتبس النبات بالحيوان ومما ذكرهُ في هذا الصدد قولهُ

"اذا نظرنا الى ظواهر الحيوان والنبات على وجه العموم حكمنا على الفور ان بينهما فرقًا واضحًا لا يعجز الطفل عن معرفتهِ . فمن لا يعرف اختلاف الفرس عن الاعشاب التي يأكلها ومن لا يميز الفرق بين الطائر والشجرة التي يعشش فيها . ومن يحسب النحلة نباتًا والزهرة التي تستخرج العسل منها حيوانًا . على انَّا اذا امعنَّا النظر وبالغنا في البحث نصل الى بعض الكائنات التي لا يمكننا ان نعرف ما اذا كانت نباتًا او حيوانًا الاَّ بعد بحث مستطيل وتفتيش مدقق. فاذا نظرنا الى الاسفنج مثلاً سبق الوهم معنا الى انهُ نبات مائي لان ظاهرهُ يوهم ذلك. وطالما كان العلماء يعتقدون فيهِ هذا الاعتقاد والحال انهُ دعامة او هيكل لحيوان بسيط التركيب جدًّا يُحسَب ادنى من ادنى انواع البعوض بقدر ما تُحسَب تلك الانواع ادنى من الانسان في الرتب الحيوانية . وما دام هذا الحيوان عائشًا في خلايا الاسفنج يكون الاسفنج مغطًّى بمادة هلامية القوام . ومتى مات تبلى تلك المادة كما يحدث بعد رفع الاسفنج من الماء . ومع انهُ

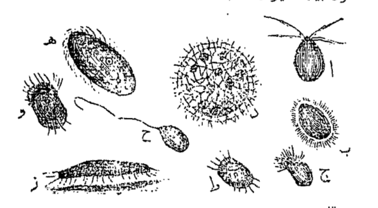
قد ثبت الآن ان الاسفنج ليس نباتاً بل هيكل حيوان ما زال اكثر الذين لم يسمعوا بذلك يحسبونهُ نباتاً لعظم مشابهتهِ للنبات وقلة الفرق بينهما في الظاهر

"وقد تكون المشابهة بين الحيوان والنبات اعظم من ذلك كثيراً حتى يكاد لا يظهر فرق بينهما كما يتضح من النظر الى الشكل الاوَّل فترى فيهِ صورة بناء تبنيهِ وتعيش فيهِ بعض



الشكل الاول

الحيوانات المائية الصغيرة الى الغاية . والحرف ا يدل على صورة بناء كامل وب على قسم منهُ مكبَّر بنظارة مكبرة وترى في هذا القسم كؤُوساً صغيرة تستقرُّ فيها تلك الحيوانات وج نوع آخر من البناء و د قسم منهُ مكبَّر كما يظهر بالنظارة المكبرة . فهذان المثلان يبينان لنا عظم المشابهة التي قد تكون بين الحيوان والنبات



الشكل الثاني

"وكما ان الحيوان يشبه النبات فكذلك النبات قد يشبه الحيوان ايضاً مشابهة كلية كالحويصلات التي في جراثيم بعض النباتات المائية فانها تشبه الحيوانات الصغيرة تماماً كما ترى في الشكل الثاني فان الحروف ا وب وج تدل على صور هذه الحويصلات والحرف د على

صورة نبات كامل والبقية على صور حيوانات صغيرة جداً فانظر الى ما بينهما من المشابهة العظيمة . وكلها مكبَّرة في هذه الصورة كما تظهر لو نظر اليها بنظارة مكبرة

"قال القدماء ان الحيوان يمتاز عن غيرهِ بالحس والحركة الارادية وقد ثبت حديثاً ان هذا الحد غير مانع لان بعض النباتات تشترك في هاتين الخاصتين ايضاً اشتراكاً متفاوتاً فالسنط الحسَّاس ويعرف عند العامة بالعشبة المستحية اذا لمست اوراقهُ ولو لمساً لطيفاً جداً تنطبق حالاً وتتدلَّى فكأنها استحسَّت وتحركت بارادتها. ويظهر تحرك بعض النباتات على وجهٍ اتمّ في الحويصلات الجرثومية المار ذكرها فان لها اهداباً كالشعر (كما ترى في الشكل الثاني) تُحرك حركة الحيوانات الصغيرة التي لا ترى الاَّ بالنظارات المكبرة . ومن امثلة ذلك ما ذكرهُ الدكتور بوست في كتابهِ مبادىء علم النبات عن نبات يعرف بمذبنة زهرة ينبت في الولايات المتحدة باميركا . قال ما معناهُ ان هذا النبات لهُ اهداب على اطراف اوراقهِ وفي وسط الورقة ضلع كالمفصلة ينطبق عليها نصفا الورقة بسهولة فاذا استقرَّت ذبابة صغيرة على اطرافها تطبق عليها فتشتبك باهدابها وتموت ضغطاً . فكأن لهذا النبات ايضاً خاصتي الحيوان اي الحس والحركة الارادية. ولذلك اذا اريد التدقيق الكلي لم يصح ان يعرَّف الحيوان بتعريف القدماء له"

ثم بيَّن الكاتب ان الفروق المعوَّل عليها بين النبات والحيوان تقوم بان اكثر بناء الحيوان من النيتروجين واكثر بناء النبات من الكربون وان الحد الفاصل بينهما على الراجح هو التغذية والتنفُّس فالنبات يغتذي من الجماد والحيوان يغتذي من النبات . والحيوان يتناول الاكسجين من الهواء وينفث فيهِ الحامض الكربونيك والنبات يتناول الحامض الكربونيك من الهواء ويرد اليهِ الاكسجين . لكن هذا الحد غير فاصل لا من حيث التغذية ولا من حيث التنفُّس لان النبات يغتذي بالمواد النباتية وبالمواد الحيوانية ايضاً ويدخل الجماد في غذاء الحيوان كما يدخل في غذاء النبات . ولان النبات يرد الى الهواء حامضاً كربونيكاً كالحيوان

وقد يقول قائل انهُ اذا كان الفرق غير تام بين الحيوان والنبات فهو تامٌ واضح بينهما وبين الجماد. لكن ليس الامر كذلك فقد ابنا غير مرة ان الجماد يتحرك ويتأثر بالمخدرات كالحيوان والنبات وان كثيراً من المواد التي كان يُظنُّ انها نباتية او حيوانية محضة ولا يمكن تكوُّنها الاَّ بفعل النبات او الحيوان صارت تصنع في المعامل الكيماوية بالوسائل الكيماوية المحضة مثل غيرها من المواد الجمادية

وقد وقفنا الآن على خلاصة كتاب في هذا الموضوع للاستاذ بوز احد اساتذة مدرسة كالكتا الجامعة وهو رجل هندي درس في مدرسة كالكتا الجامعة ثم تخرَّج في مدرسة كمبردج

واحرز قصب السبق في العلوم الطبيعية وعاد الى بلاده فجُعل استاذاً للطبيعيات وقرن العلم بالعمل فبحث ونقَّب عن انكسار اشعة النور الكهربائي في المواد المختلفة وزار اوربا مرتين بعد ذلك وفي المرة الاخيرة كان مندوباً من حكومة الهند في المؤتمر العلمي في معرض باريس وابان وهو هناك انهُ اكتشف اكتشافاً مهمّاً جدًّا وهو ان الجماد يتأثر بالمجاري الكهربائية كما يتأثر الجسم الحي بها. ثم اكتشف مشابهات اخرى بين الجماد والحي ادهشت العلماء وفتحت باباً جديداً للبحث والاستقصاء

فلا يخفى ان الحيوان يتأثر بالفعل الكهربائي فيهتز او يتشنج ويظهر التأثر فيهِ على اتمهِ اذا كان مستريحاً فاذا تعب قلَّ تأثرهُ رويداً رويداً حتى يزول تماماً اذا زاد تعبهُ او اذا مات ولم تعد قوتهُ تتجدَّد فيكون تأثرهُ دليلاً على ان الحياة لا تزال فيهِ وعلى ان التعب لم يأخذ منهُ كل مأخذ اي على انهُ لا يزال قادراً على العمل

وكما يتأثر الجسم الحي بالمجرى الكهربائي فيهتز بهِ يؤثر هو في الآلة الكهربائية اذا اهتزَّ تأثيراً ظاهراً للعيان كأن الفعل العصبي او الحيوي الذي في الحيوان والفعل الكهربائي الذي في الآلة الكهربائية من نوع واحد. فاذا وصلتَ قطعة من العصب او العضل بآلة تتأثر بالكهربائية كالآلة المعروفة بمقياس الكهربائية (غلفنومتر) وقرصت هذه القطعة حتى تتأثر ظهر تأثرها في مقياس الكهربائية فيكون ذلك دليلاً قاطعاً على ان القطعة لا تزال حيَّة. فاذا ماتت ولم تعد تتأثر بالقرص لم تعد تؤثر بمقياس الكهربائية وبذلك يثبت وجود الحياة في الاجسام الحيَّة ويرى زوال الحياة منها رويداً رويداً اذا قطعت من الجسم الى ان ينطفئ سراجها

فالجسم الذي تقرصهُ فيتأثر ويؤثر في مقياس الكهربائية فهو جسم حيٌّ والذي تقرصهُ فلا يتأثر ولا يؤثر في مقياس الكهربائية ميت اي كان حيًّا فمات او لم يكن حيًّا قط بل هو جماد

ولما كان الاستاذ بوز يبحث عن فعل النور الكهربائي ببعض المعادن وجد انها تتحرَّك بهِ اولاً ثم تقل حركتها رويداً رويداً حتى لا تعود تتأثر بالمجرى الكهربائي ولكن اذا ارحتها او حرَّكتها باصبعك عادت تتحرَّك بهِ

وامتحن ذلك في كل العناصر المعروفة فوجد ان بعضها يسترجع قوتهُ من نفسهِ حالاً بعد ان تضعف منهُ كما يسترجع الجسم الحي قوَّتهُ

وصنع آلة معدنية تتأثر بالقرص او بالغمز فيتولد منها مجرًى كهربائي يؤثر في آلة اخرى تأثيراً ظاهراً للعيان فهي مثل مشاعر الانسان كالعين مثلاً ترى اشعة النور فتتأثر بها وينتقل هذا التأثر على الاعصاب الى الدماغ حيث يحفظ ويتردَّد مراراً وتردُّده هذا هو الذاكرة او التذكُّر

والمعدن الذي يتأثر كذلك ويظهر تأثرهُ فعلاً كهربائياً يتعب اذا تكرَّر فعل المؤثر بهِ كما تتعب الاعصاب والعضلات ثم يسترد قوتهُ اذا اريح ويزيد استرداده لقوتهِ اذا غُسِل بماء فاتر كما يسترد الانسان المتعب قوتهُ اذا استحمَّ. واذا بُرّد تبريدًا شديدًا ضعف فعلهُ او انقطع وكذا اذا احمي احماء شديدًا فتفعل بهِ صبارة البرد وحمارة الحر كما تفعلان بالحيوان

واذا كان الجماد يتأثر بالمؤثرات كالجسم الحي ويتعب مثله فيقل تأثره رويدًا رويدًا حتى ينقطع فهو حي مثلهُ اذ قد ظهر فيهِ اصدق ادلة الحياة اي الشعور والتأثر. واذا كان الجماد حيًّا فهو يموت ايضًا لان الموت تجلبهُ الحياة . ومعلوم ان السموم تميت الاحياء فهل تميت الجماد او تؤثر فيهِ كما تؤثر في الحي . هذه المسألة بحث فيها الاستاذ بوز فاتى بقطعة معدن تفعل بها المؤثرات كما تقدَّم وعرضها لسم من السموم المميتة فضعف تأثرها حتى انقطع . ثم عرضها لترياق يشفي من ذلك السم او يزيل تأثيرهُ من الاجسام الحيَّة فزال فعلهُ رويدًا رويدًا وعاد المعدن الى التأثر . وقد شاهدنا صورًا تدلُّ على فعل عصب من اعصاب الحيوان ونبات من النباتات وقطعة من المعادن عرضت كلها لفعل المؤثرات ورسمت اهتزازات المقياس الكهربائي المتصل بها فاذا طول الهزة الواحدة من الهزات التي يسببها العصب نحو سنتيمتر وطول الهزة الواحدة من الهزات التي يسببها النبات نحو سنتيمترين وطول الهزَّة من الهزات التي يسببها المعدن نحو اربعة سنتيمترات ولما عُرضت كلها لفعل السم اصبح طول الهزة من هزات العصب نحو ربع سنتيمتر ثم انقطع رويدًا رويدًا وطول الهزة من هزات النبات نحو ربع سنتيمتر ايضًا وانقطعت هزاتهُ بغتةً وطول الهزَّة من هزات المعدن ربع سنتيمتر وانقطعت بغتةً ايضًا

واذا كان المعدن يتأثر بالمؤثرات كالاعصاب فلا يتعذر عمل آلة تشعر بالمؤثرات الخارجيَّة وتكون مثل مشاعر الانسان كالعين مثلاً او كالاذن ولذلك وجَّه الاستاذ بوز عنايتهُ الى عمل عين صناعيَّة او شبكيَّة تتأثر بالمرئيات تأثر العين بها فنجح في ذلك وصنع شبكيَّة ترى ما تراهُ العين البشرية من اشعَّة النور وما لا تراهُ منها ويظهر تأثرها بالمرئيات في مقياس كهربائي متصل بها ولا يعوزها الاَّ الوجدان اي ان تدرك انها ترى المرئيات

ولما كان يمتحن هذه العين الصناعيَّة اكتشف امورًا كثيرة فسَّرت بعض الغوامض من ذلك علة رؤيتنا للمرئيات بعد ان نغمض عيوننا فان العين التي صنعها كان تأثرها بالمرئيات لا ينقطع حالاً بعد حجب المرئيات عنها بل يبقى يتردَّد مدةً كما يحدث في حركة الاجسام المرنة او في اهتزاز الاوتار الموسيقيَّة . فاذا رأيت مصباحًا واغمضت عينيك رأيت صورتهُ تتردَّد مرارًا امام ذهنك تظهر وتختفي على التوالي فسبب ذلك ان تأثر الاعصاب يزول

ويغود من نفسهِ كحركات الاجسام المرنة وهذا هو علة الذاكرة على ما يظهر

ومنهُ ان العينين لا تريان المرئيَّ في لحظة واحدة معاً وتستمران على رؤيتهِ بل تراهُ العين الواحدة ثم الاخرى وتتعاقبان على رؤيتهِ لان التي تلمحهُ اولاً تتعب حالاً وتطلب الراحة فتلمحهُ الثانية وتتعب وتطلب الراحة وتستمران على ذلك دواليك وبهذا يتضح ما يحدث احياناً كثيرة من استجلاء الصور بعين واحدة اكثر من استجلائها بالعينين معاً لانهما اذا لم تتفقا على تداول العمل والراحة بل عملتا معاً واستراحتا معاً اختلطت الصورة التي تراها العين الواحدة بالصورة التي تراها الاخرى فغبشتا

وواضح مما تقدم ان هذا العالم الهندي اكتشف اكتشافاً من ابدع المكتشفات العلمية واثبت الوحدة والمشاركة بين عالم الجماد وعالمي الحيوان والنبات مصداقاً لقول فيلسوف الهند الذي قال منذ ثلاثين قرناً ان الحق الابدي نصيب الذين يرون الوحدة في كل تغيرات هذا الكون وتقلباتهِ

واحة كُركُر

ذكر المستر ولكوكس هذه الواحة في كتابهِ عن الري المصري وقال "انها منخفضٌ في مرتفع من الارض فيهِ ماءٌ واشجار من السنط والدوم". وهذه الواحة يعرفها عرب البادية وينزلونها وهي على مرحلتين من اصوان غرباً في قلب صحراءَ قاحلة لا نبات فيها ولا ماء. زارها الدكتور بول الجيولوجي منذ عهد قريب وبحث فيها بحثاً جغرافيًّا وجيولوجيًّا ووضع خلاصة بحثهِ في رسالة مسهبة نشرتها ادارة المساحة الجيولوجيَّة الآن وقد اطَّلعنا عليها فوجدنا فيها فوائد علميَّة يحسن تسطيرها في المقتطف

من ذلك ان ارتفاع هذه الواحة عن سطح بحر الروم ٣٣٣ متراً وذلك حيث كانت خيمة الدكتور بول مضروبةً وكانت حرارة الهواء حينئذٍ في ساعات الرصد تتراوح بين الدرجة العاشرة والتاسعة عشرة بميزان سنتغراد فتبلغ اوطأها قبل الفجر واعلاها بين الظهيرة والعصر وضغط الهواء بالبارومتر نحو ٧٣٥ مليمتراً

والطريق الى الواحة يمرُّ على جبل الجرَّة وهو كاسي الصخور تقطعت الجنادل منهُ وقامت على جوانبهِ كالدبادبة وفيها حفر مستديرة حفرتها الاعاصير فانها تدير الحصى فيها دوراناً رحويًّا كلما ثارت فتنحتها نحتاً وتجوّفها . وبعد الجبل على نحو ١٩ كيلو متراً منهُ شجرتان من شجر

السنط على جانبي الطريق ليعجب الرائي من نموها في ذلك القفر الاجرد ولكن لا شبهة في ان المطر يقع على النجود التي حولها ويقيم في الارض طويلاً الى ان يصعد كله بخاراً لان الطبقة السفلى من الارض طفالية لا يغور الماء فيها

وسفح جبل كركر على ٦٠ كيلو متراً من اصوان وارتفاعه عن سطح البحر ٣٦٠ متراً وارتفاعه عن الواحة نحو ٣٠ متراً وعن الآبار التي فيها نحو ٣٥ متراً وتظهر الواحة منه كما ترى في الشكل الاول المرسوم في صدر هذا الجزء بما فيها من شجر الدوم والسنط والنخل

والواحة منخفض غير منتظم بين التلال في صحراء ليبية مؤلفة من مجتمع اودية كثيرة تنبت فيها الحلفاء والعاقول والدوم والسنط والنخل. ولا ينحصر السنط في ملتقى الاودية بل يمتد فيها شمالاً وغرباً

وكان النخل مثمراً وقت زيارة الدكتور بول لهذه الواحة فاكل منهُ هو ورجالهُ وجمالهُ مدة الاربعة الايام التي اقاموها هناك . وفيها بئران وهما حفرتان صغيرتان احداهما شرقيَّة قطر محيطها متر وعمقها نصف متر اذا افرغت الماء منها امتلأت حالاً وكانت حرارة مائها ١٥ درجة لما كانت حرارة الهواء ١٦ درجة والاخرى شماليَّة ويفضلها العرب لانها ليست مكتنفة بالهشيم كالبئر الشرقيَّة وهي مثلها عمقاً واتساعاً

ولا ساكن في هذه الواحة الآن الّا ان العبابدة كانوا يقيمون حامية فيها لما كانت ديارهم عرضة للغزو من الجهات الجنوبية ولا تزال آثار الحامية فيها الى الآن اكواخاً صغيرة في الجهة الشمالية ولا ينتظر ان يسكنها احد لان عرض ما ينبت النبات فيهِ منها لا يزيد على مئة متر

ومسألة وجود الماء في هذه الواحة من المسائل العويصة لارتفاع سطحها عن سطح البحر وعن سطح النيل المقابل لها فان الماء الذي ينبع من الواحات الخارجة والداخلة والبحرية ارتفاعه عن سطح البحر ١٢٠ متراً فقط واما الماء في واحة كركر فارتفاعهُ ٣٣٠ متراً ومياه تلك الواحات حارَّة في الغالب واما ماء هذه الواحة فبارد ويظهر في باديء الرأي ان الماء فيها متجمع من الامطار التي تقع هناك احياناً لان اراضيها طفالية لا يغور الماء فيها والصخور صماء او تكاد لا يتشرَّب الماء ويلي البئرين صخور تظللهما من الشمس فلا يجف ماؤُها

لكن الماء غزير استقى منهُ الدكتور بول ورجالهُ وشربت خمسة جمال ولم ينفد ووقع المطر بعد حين ولم يزدَد بهِ وذلك يدلُّ على ان اصلهُ عميق ولعلهُ وارد بمجارٍ تحت الارض من مكان بعيد . ولم يقطع الدكتور بول في هذه المسألة

اما كيف تكونت هذه الواحة وعُمِق جوفها فرأي الدكتور بول فيهِ ان الرياح الهوج تسفي

التراب والرمل منها كلما هبّت والامطار تقع على جوانبها فتجري فيها غدراناً فتخدد الاخاديد وتفتت الصخور وتحلحل الاتربة ثم تأتي العواصف فترفع التراب والرمل وتلقيهما في اماكن أُخرى وعلى هذا النمط تكوّن سائر الواحات

وكان الدكتور بول هناك بين الرابع والعشرين والثلاثين من يناير الماضي وفي السادس والعشرين من الشهر حدثت زوبعة في القاهرة وحدثت زوبعة شديدة قبل ذلك باثنتي عشرة ساعة في اصوان وهي التي خربت السكة الحديد وظهرت آثارها في واحة كركر مساء الخامس والعشرين من يناير. كان الجو مطبقاً بالغيوم النهار كلهُ وكانت الريح تهبُّ من الشمال الغربي هبوباً شديداً مستمرًّا ووقع قليل من المطر رذاذًا وفي الساعة الثامنة مساء اومض البرق من الجنوب الغربي وكان شديد اللمعان وظل يومض متتابعاً الى الساعة التاسعة مساء ومرّت الزوبعة فوق الخيام بعد الساعة الثامنة بنصف ساعة ووقع منها نقط قليلة من المطر وبلغ البرق اشدهُ حينئذٍ وكان يقف اعمدة بين الارض والسماء لأن منظرهُ أثّر في العيون تأثيرا يصعب محوهُ منها. وقصف الرعد حتى صمّ الآذن وعاد البرق والرعد ليلاً وكثر وقوع المطر حينئذٍ ولم يكن اكثر من عشر عقدة ولكنهُ بلّ الارض شديدًا

وشاهد الدكتور بول ورجالهُ اربعة غزلان قرب البئرين فدنت منهم كأنها من الاوانس وشاهدوا ايضاً عظايتين وكثيرًا من الجنادب والفراش هذا كل ما رأوهُ من حيوانات النهار ولم يجدوا هناك الذبان ولا البعوض . وكثر في الليل نوع من الفراش الليلي الاسمر حتى كاد يملأُ الخيمة ويقول العرب ان هذا الفراش يولد من الصخر و يعيش بعضهُ على بعض لانهُ يشاهد حيث لا نبات

وتكلّم عن السراب فقال ان رسومهُ التي ترْسَم في الكتب العلميَّة غير صحيحة لانك ترى فيها الاشجار مثلاً وظلها تحتها واضح جداً كأنها قائمة في بحيرة ماء ولكنهُ رأى السراب مرارًا في الصحراء وكانت الاشجار دائماً بعيدة عن الصور التي ترى فيهِ وصورها صغيرة جدًّا غير واضحة. وقد رأينا نحن السراب مرارًا في هذا القطر وكنَّا نرى الناس وصورهم منعكسة كأنهم واقفون على الماء وهي واضحة اتم الوضوح وقد تكون صغيرة كما قال ولكن الذهن يحسب الصور الصغيرة كبيرةً اذا كانت رؤْيتها جليَّةً فاذا رأَيت رجلاً يبعد عنك الف قدم فصورتهُ على شبكيَّة عينك لا تزيد على جزءٍ من مئتي جزءٍ من العقدة ومع ذلك تدرك انهُ رجل متوسط القامة . ولذلك لا نرى خطأً في صور السراب التي ترسم في الكتب العلميَّة

التواريخ العربيّة

كل أمة لا تخالط مجاوريها ولا تقتدي بالمفلحين من معاصريها وسابقيها تستحوذ عليها الجهالة وكذلك قلما يفلح من لا يتبصَّر بالحوادث الخالية ليقيس عليها الحالية ويبتاع تجارب غيره صبرةً واحدة ويقف على ما ادخرتهُ صروف الدهر لابنائهِ وكيف تغلبوا على المصاعب حتى صافحوا انامل السعادة وايَّ الطرق سلكوا للتجانف عن موارد الشقاء وبالاجمال كيف كانت حالهم في المَنْشَط والمكْرَه والإعسار والايسار

واحقُّ العلوم التي تتكفَّل برفع الحجاب عن تلك الاحوال الغامضة هو علم التاريخ الذي حدَّهُ شيشرون خطيب الرومان بانهُ "شاهد الازمنة والحقيقة مدرسة الحياة رسول السلف الى الخلف" وان شئت فزد عليهِ استاذ الملوك والرعايا وقائدهم الى مناهج السَّداد .

ولقد اجمعت الامم على ان للتاريخ شأنًا خطيرًا بين علوم الاجتماع وما البراهين القائمة على فائدتهِ بقليلة وتكفي منها واقعة رئيس الرؤساء ببغداد لما اظهر اليهود رسمًا قديمًا يتضمن ان الرسول عليهِ الصلاة والسلام امر بإسقاط الجزية عن يهود خيبر وفيهِ شهادة جماعة من الصحابة فعُرض على الحافظ ابي بكر الخطيب فقال انهُ مزوَّر فقيل لهُ بمَ عرفتهُ فقال فيهِ شهادة معاوية وهو انما اسلم عام الفتح سنة ثمانٍ للهجرة وخيبر فُتحت سنة سبع وفيهِ شهادة سعد بن ابي وقَّاص وهو مات يوم قُرَيظة قبل فتح خيبر. فسرِّي عن الناس بذلك بعد ان عظمت حيرتهم

ولقد ظلَّ التاريخ قرونًا مشتت الشوارد والاوابد مشوش المبادئ والمقاصد شأن معظم العلوم اول نشأتها حتى اذا توفرت الاخبار والآثار احتيج الى تدوينها ليكون في الماضي لمن بقي اعتبار وامست الحوادث العريقة في القدم نسيًا منسيًّا لتطاول العهد بها

كان قدماء المؤرخين يثبتون الحادثة وزمانها ومكانها واشخاصها ويهملون ارتباط الوقائع بعضها والنسبة بين الامم والدول وكيفيَّة الاختلاط والاجتماع . ولما هبَّ الاوربيون من رقدة الجهل وفَّروا العناية بالتاريخ على اختلاف الوانهِ واشكالهِ وصرفوا وكدهم كشفًا لما بطن من الكائنات وضاع من الحادثات فساعدتهم على نيل المآرب تلك المحفورات والنقود وورق البردي التي عُثر عليها في بعض انحاء المشرق وكانت سالمة من الشوائب اذ لم يكن يمسها ما يغيِّر من حالها. وبُعيد ان حلَّ الاثريون الكتابات الاشوريَّة والبابليَّة والمصريَّة واليمانيَّة وكانت مخطوطة بلغات انقرضت هي والعارفون بها ظهر كثير من مكاتيم الايَّام وضائعات الحادثات

وما القصد هنا الالمام بحال التاريخ عند الامم السالفة كالمصريين والكلدانيين والأشوريين

والبابليين والفينيقيين واليونان والرومان او الامم الخالفة من شرقيين وغربيين بل الالماع الى حالهِ عند العرب لانهم كانوا خير رابطة بين عصر يونان الاسكندرية والدول الاوربية الحديثة ولانهم احتفظوا لما زها ملكهم بعد سقوط مملكتي فارس والروم بمصنَّفات مَن قبلهم واليونان منهم خاصةً ونقلوها الى لسانهم ومنها اقتبس الافرنج لما فقد الاصل فكان العرب اساتذة منْ بعدهم من الشعوب الراقية وان كان من التلامذة مَن يفوقون اساتذتهم

أُولع علماء العرب قديمًا بدراسة التاريخ حتى ان الامام الشافعي اقام على تعلمهِ والادب عشرين سنة وقال ما اردت بذلك الاَّ الاستعانة على الفقهِ ولا عجب فلولا التاريخ ما عُرفت الاديان والمذاهب لكن المجيدين المحققين قلائل وهم بالاجمال في المتقدمين من العرب اكثر منهم في المتأخرين بخلاف الامم الغربية

فممن انتحلهُ من الاعلام عند العرب الطبري والذهبي والبخاري والكلبي وابن تيمية وعبد اللطيف البغدادي وابن عساكر وابن خلدون وابن الخطيب وابن حجر وابن النجار وابن شاكر وابن شهبة وابن السباعي وابن الاثير وابن سلامة وابن البواب وابن الفرات وابن خلف وابن بشكوال وابن عربشاه وابن اياس وابن خلكان وابن الكتبي وابن العمري وابن العميد وابن اسحق وابن الوردي وابن عباس وابن الجوزي وابن دينار وابن العبري وابن بطريق وابن ابي أُصيبعة وابو الفدا وابو شامة وابو نعيم وابو المحاسن وابو الفرج والفخري والقرطبي والبلاذري والعبدي والصولي والمسبحي والصدفي والصابي والمراكشي والمقريزي والواقدي والسيوطي والنويري والصفدي والسخاوي والغزي والمسعودي والقرماني والمحبي والرازي والنجار والجبرتي والسمعاني وعشرات غيرهم ممن كان التاريخ من جملة علومهم وربما اشتهروا بغيرهِ وصنَّفوا فيهِ التصانيف الممتعة التي سرد منها صاحب كشف الظنون الفًا وثلثمائة تاريخ منوعة. قال صاحب النتائج ان منها خمسة عشر مصنَّفًا حسنة الترتيب قليلة الكلام على الحوادث التاريخية القديمة ينبغي ان تدرس في المدارس لكنها خلت عما يلزم في التاريخ من الربط المعنوي

واذ تصدَّى الاعاظم لتسطير الحوادث خشية ضياعها جاءت مكتوباتهم بالنسبة لعصورهم حسنة في بابها الاَّ انهُ ينتقد على بعضهم ما وقع فيهِ مؤرخو الامم السائرة من الانقياد للدين وهو عيب عام في جماع المؤرخين من متقدمين ومتأخرين فيحملون على مخالفيهم في معتقداتهم حملة منكرة يغمطون حسناتهم ويقلبونها سيئات وكثيرًا ما يطعنون في انسابهم ويوقعون بهم الغميزة والنقيصة وان كانوا لا يستحقون في الواقع ونفس الامر الاَّ المحمدة والثناء وبالعكس يموّهون في سيئات ابناء دينهم ويحاولون صبغتها بصبغة الحسنات

ولا تتصرف عبارات الواقدي في فتوح الشام بشأن الروم والانحاء عليهم باللعنات الأعلى التعصب وليس هو وحده سقط في هذه المهاوي فان لهُ اضرابًا من مؤرخي القرون الوسطى من الفرنجة الاولى رموا الكلام على عواهنهِ ونقوّلوا على الاسلام والمسلمين وحوادث الصليبيين بما لا يسوغ عدّه الاّ في باب الخيالات والترهات[1] كأنهم لا يرون من الدين ان يكتب الانسان بصدق واذا لم تشم من المؤرخ رائحة المعتقدات شقّ ذلك على قومهِ وعدوه مارقًا ساقطًا

وهذا ما دعا طلاّب الحقيقة في هذا العصر ان لا يثقوا بما كتب في القرون السالفة عن كوائن الصليبيين وحروبهم فذهبوا الى ان اخبارها لم تمحص بعد فلا هم يريدون نقلها عن مؤرخيهم والاستسلام لآرائهم لما عرفوا من تعسفهم ولا هم يثقون بمؤرخي العرب لما انهم سقطوا في ما سقط فيهِ مؤرخوهم انفسهم كيف لا وقد خلط بعض كتاب العرب فلم يميزوا ان جيوش الصليبيين التي دهمت الشام ومصر كانت منوعة الاجناس واللغات والعارف منهم من يسمي ريكاردس قلب الاسد ملك انكلترا "ملك الانكتار" ولم يدر ما اسمهُ الحقيقي مع قربهِ من صلاح الدين او يستريح فيطلق على الجميع لفظ الافرنج والعلوج او الكفار

وما ينتقد على المورخين من نعرة الدين ينتقد ما يلاونهُ بلسان العصبيَّة والجنسيَّة والوطنيَّة لانها تفسد التاريخ فلا تبقي من جوهرهِ اثرًا ضئيلاً ولا رسمًا محيلاً فيعمى من يميل مع واحدة عن معايب قومهِ او يتعامى . فاذا ذكر حربًا نشبت بين امتهِ وجارتها اعطى الحق بجملتهِ الى امتهِ واسجل بانها محقة وعدوّتها محقوقة يشمت بقهر هذه ويغالي بانتصار تلك ولا يستكبر هزيمة قومهِ مهما جلت ويفحش في التهويل بما اوقعتهُ امتهُ بجارتها . كأن التاريخ ليس الاّ سرد اقاصيص مدخولة يتوقع منها ان تروق في اعين من كتبت لهم وتستدعي إعجابهم وطربهم لا حقائق راهنة يثبتها كاتبها للعبرة بها والتنصح بمضمونها

ولعلهُ يعد في باب الوطنية تجافي مؤرخي العرب عن ذكر حوادث مجاوريهم من الروم والفرس والحبشة دع عنك مَنْ في القاصية من الامم واقتصارهم منها على جمل متقطعة اذ اختصوا تواريخهم بشرح احوال دولهم وبلادهم واشخاصهم فلم يصلح ماكتبوهُ الاّ ان يُدعى تاريخًا للمسلمين لا تواريخ كلية عامة تُعنَى بهم كما تُعنى بغيرهم . او يفسّر ذلك بانهم احتقروا من عداهم فلم يسعوا الى إشغال صفحاتهم باخبار عداتهم . او انهم آثروا الراحة على البحث ورأوا من الاحرى الاكتفاء بما وصلهم من اخبار دولهم وبلادهم وتلقوا اخبار غيرهم عن اهل

(١) راجع كتاب الاسلام (خواطر وسوانح) الكنت هنري دي كاستري لمعربه احمد فتحي بك زغلول المطبوع في مصر .

القوافل والمكارين والجمالين فجاء اكثرها غثًّا عاريًا عن الفائدة التاريخية . كأنهُ يكفي المؤرخ ان يسطّر ما يتراءى لهُ امام قِمطرهِ دون ان يضرب في مناكب الارض ليحيط خُبرًا بحال الشعوب والامصار ويتحفى في البحث عن معنوياتهم ومادياتهم

وغير نكير ان الامانة والعلم وهما الدعامتان اللتان يستند اليهما التاريخ تقضيان على كاتبهِ ان يتجرّد فيما يثبت عن كل ما يخلّ بشرف غايتهِ . ولكن قلَّ في البشر من خلص من معايب ومعاير تضرّ بجوهر الغرض

ومما يسقط المؤرخ فيهِ طوعًا او كرهًا علمهُ وتربيتهُ فللمرءِ من ورائهما اعظم زاجر ودافع في اطوار حياتهِ . والمحيط حاكم متحكم على الانسان في اخلاقهِ وافكارهِ بحيث يعتقد الوهم صدقًا والصدق كذبًا بحتًا . فمن تأثير البيئة او المحيط مغالاة مؤرخي العرب في تصوّر معنى الجن وايراد الاعجوبات لهم وذكر ما يخالف المحسوس من امرهم وقد كانوا يعتقدون ذلك في الجاهلية ولم يكن الاسلام ليمحو هذه الاوهام من نفوسهم . والجهل بنواميس الطبيعة واحوال المجتمع الانساني حَمَلَ كثيرين من المؤرخين على الاعتقاد بوجود عوج بن عنق او عوق وضخامة جثتهِ فرووا لهُ عن الاسرائيليات ما يكذبهُ العيان وينفيهِ المشاهَد

والجهل حدا مؤرخي اليونان الى مجاراة اهواء عصورهم ومتابعة خرافات جيلهم وقبيلهم . والجهل ساق مؤرخي الرومان الى الاعتقاد بانَّ لهم اصلاً سماويًا فشحنوا مصنفاتهم بما جادت بهِ قرائحهم من الخزعبلات والترهات . والجهل قضى على بعض مؤرخينا ان يذكروا ان والد الاسكندر ذي القرنين كان يحمل الى دارا ملك الفرس كل عام بيضًا من ذهب خراجًا ولم يبينوا لنا تلك الدجاجات (الفراخ) التي باضت تلك البيوض . ومثل ذلك قل عن مغالاتهم في توسيع الارقام ووصف القوى والرجال ومئات من الامثلة التي وقع فيها الافرنج والعرب على السواء والمّ ببعضها ابن خلدون في مقدمتهِ عند ذكر مذاهب التاريخ وما يعرض للمؤرخ من اوهام ومغالط

واما الخوف من بطش الظلمة ورقاعات الجهلة فهو هو مستجمع تلك النقائص ومستوبل هاتيك المشوّهات . وقديمًا لم يكن الامراء يستحلون الضغط على العقول والتلاعب بالعلم واهلهِ وما ذهب اليهِ بعض من كتب على العرب من الفرنجة من انهُ لم يكن لمؤرخيهم الحرية في اظهار الحقائق التاريخيَّة مخافة ان يتربَّص بهم حكامهم الدوائر اذا دوَّنوا ما لا يرفع شأنهم فهو كلام فيهِ نظر ومجمل يحتاج الى تفصيل ينقضهُ ما عُرف من حريَّة العلم والتأليف على عهدهم

ومن السفسطة ما يرتئيهِ كثيرون ايضًا من ان الدولة الأُمويَّة لم تكن من الاستبداد

بالدرجة التي وصفها بها المؤرخون لان معظمهم كانوا عباسيين ومكرهين ضمناً او علناً على الإشادة بمناقب خلفائهم وتكثير معايب مَن سلفهم تزلفاً ونفاقاً فهذا وهمٌ لا مسحة عليهِ من التحقيق. وربما يزيفون ايضاً ما رواهُ ابن تيمية وهو اعلم العالمين بتاريخ الاسلام من ان الجيش العباسي لمَّا هزم الجيش الأُموي في احدى الوقائع التي قُضي بها على الامويين وجد في كل خيامهم دنان الخمر واقداح الراح . ومهما حاول امثال هؤلاء نقض ذلك فليس في المكنة تبرئة ساحة دولة ممَّا اجمع عليهِ الاباعد والاقارب وتناقلهُ سكان المشارق والمغارب . ولا مناص ممَّا قام عليهِ دليلهُ من نفسهِ فان كل خبر تسلسلت روايتهُ وتواتر تواتر مجيء موسى وعيسى ومحمد وابراهيم يُعَدّ من فائل الرأي انكارهُ والقول بخلافهِ

وان الصادقين من الاخباريين ليحدثونا بان فساد الاخلاق لما استشرى اواسط الدولة العباسيَّة وانتشر ملوك الطوائف كثر التشيّع للاغراض فبيعت الضمائر بثمن بخس تزلُّفاً من الامراء والكبراء "واعوز الصدق في الاخبار والقسم" ومع هذا ظهرت حقيقة المحسن والمسيء على جليتها مطهرة مما غشيها رغم الوسائط التي لجأوا اليها تدليساً على من بعدهم. والحقُّ لا يخفى ولو لُبّس عليهِ اعواماً وقروناً

قيل ان احد مؤرخي الاندلس ترجم في كتاب لهُ احد ملوكها بما لا يرضيهِ ونشرهُ في البلاد والمترجم لا يزال حيًّا قادرًا فلما نمي الخبر اليهِ استشاط غضباً فاشار عليهِ ابنهُ ان يكل اليهِ قتل المؤرخ انتقاماً وعبرة فوبخهُ على هذا الفكر قائلاً يا بُنيّ ان قتل المؤرخين يُعدّ منقصة في الملوك فاذا قتلناهُ ونحن على ذلك قادرون ساءت سمعتنا عند مجاورينا من الملوك وانتشر عنا قبح الاحدوثة بين رعيتنا ونحن لا نأمن ان يرمونا بكل كبيرة . والاحجى ان نبعث اليهِ بصرة من الدنانير ارضاءً لهُ . فلما انفذ اليهِ مع رسول من قبلهِ صرّة تستميل قلبهُ وضعت في ثيابهِ وهو داخل الحمام مع رقعة معناها ان من قدر على ايصال هذه الصرّة لك وانت لا تدري بها يهون عليهِ قتلك وهدر دمك فاتّقِ الله فينا ولا تعد الى ما وسمتنا بهِ في تاريخك انفضّ الخلاف بين الملك ومؤرخهِ فكفَّ هذا من غرب لسانهِ ولكن بعد ان ملأَت نسخ تاريخهِ كل قطر ومصر وسارت حثيثاً في البر والبحر

ومن ملوك الطوائف من كان يستعمل القسوة مع المؤرخين ويكرههم على كتابة التاريخ كما يشاء على نحو ما فعل عضد الدولة بن بويه لما ملك بغداد وسائر العراق بان أمر ابا اسحق الصابي الكاتب المشهور بتأليف كتاب في اخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمهِ وحديثهِ فامتثل امرهُ وسمى كتابهُ بالتاجي نسبة الى تاج الملك من القاب عضد الدولة واخذ يشتغل في

تصنيفهِ وينفق عليهِ من روحهِ . فرُفِع الى عضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليهِ فرآهُ في شغل شاغل من التسويد والتبييض فسأَلهُ عما يعمل فقال اباطيل انمقها واكاذيب أُلفقها . فانضاف تأْثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة الى ما سمعهُ من حقدهِ على ابي اسحق وتحرَّك لما كامن ضغنهِ فامر ان يُلقى تحت ارجل الفيلة فاكبَّ جماعة من ارباب الديوان على الارض يقبلونها بين يديهِ ويشفعون اليهِ في امرهِ الى ان امر باستحيائهِ مع القبض عليهِ واستصفاء امواله فبقي في الاعتقال بضع سنين الى ان تخلص في آخر ايام عضد الدولة وقد ساءت حالهُ وتهتك سترهُ

ومن المؤرخين من شايعوا رقاعات العامة الجهال وذهبوا مع كدورات تياراتها وحاذروا من القول بما يبعد عن التصورات الواطئة فاكثروا من ذكر الصالحين وتقديس اهل اليقين وخلطوا في مضاعفة كرامات الاولياء وتسطير مضحكات البلهِ وصقلها بطلاء يقرّبها من الحقيقة وأَغرقوا في التأْويل وطاوعوا وساوس الاغراب وصفُّوا الاغبياء في مصاف العلماء مما لا ينكرهُ من طالع كتب التراجم خصوصاً الحديثة وحكَّم العقل في المقال والمقول فيهِ

الا وان التاريخ الذي يرجع اليهِ هو تاريخ رجل عاقل عالم لا يميل مع ما يقال لهُ دين او وطنية او جنسية او عصبية ولا يصرح الاَّ بما يوافق المعقول ولا يخاف ظالماً ولا يرغب في مرضاة احد . ما التاريخ الحقيقي الاَّ ما كان ملؤُهُ الفلسفة وحشوهُ التحقيق يبحث في الاخلاق والعادات والآراء والمذاهب ويأتي على اوائل اجتماع الامم وما كانت عليهِ احوالهم واصولهم ولغاتهم ومعايشهم وعقولهم وسياساتهم ومنازعهم وفقرهم وغناهم ويدرس احلام مشاهير الناس ومناقبهم ومثالبهم التي اثرت في بلادهم وما الداعي لتقدم المدنية والصناعات والعلوم

واول من كتب التاريخ على هذا الطرز ويسمى بالتاريخ الفلسفي او الادبي هو ابن خلدون فانهُ تفلسف في المقدمة على العمران وما يعرض لهُ وردّ الحوادث الى اصول كلية وضبطها بقواعد وروابط عامة ثابتة مع بيان اسبابها وغاياتها فكان واضع فلسفة التاريخ وعلم العمران في غالب الآراء وعلى اثرهِ مشى مؤرخو الافرنج . لكنهُ لم يحسن في تاريخهِ احسانهُ في المقدمة لانك تجد اشياء تؤخذ عليهِ قد يكون نصَّ عليها في مقدمتهِ ولعلهُ كتبها بعد الفراغ من تاريخهِ لما نضجت افكارهُ وكثر اختبارهُ على انَّ لهُ تاريخاً مطوَّلاً لم يعرف فينا اعلم ولعلَّ فيهِ البلاغ

ومن اشهر تواريخ العرب تاريخ ابن جرير الطبري المدعو باخبار الملوك والامم وهو اقدم تاريخ بين الايدي والمعوَّل عليهِ عند الحفظة الثقات كتبهُ الى سنة ٣٠٢ بما دل على سعة علم وحسن رأْي وصدق في القول والعمل وقد حلاَّهُ برسائل الخلفاء والامراء والعلماء فجاء ملذاً

في المطالعة منشّطاً على التأمل وان اورثهُ ذلك تطويلاً بالنسبة لما يتطلبهُ اهل العصر الحاضر من الاختصار . ذكر ابن الجوزي ان ابن جرير بسط الكلام في الوقائع بسطاً وجعلهُ مجلدات وان المشهور المتداول مختصر من الكبير وانهُ هو العمدة في هذا الفنّ . وذكر ابن السبكي في طبقاتهِ ان ابن جرير قال لاصحابهِ هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا قالوا كم قدرهُ فذكر انهُ ثلاثون الف ورقة فقالوا هذا يفني الاعمار قبل اتمامهِ فقال انا لله وانا اليهِ راجعون ماتت الهمم وخمدت العزائم فاختصرهُ في نحو ما اختصر التفسير

وممن عاصر ابن جرير المسعوديّ صاحب مروج الذهب واخبار الزمان اما الاول فمعروف وقد ترجم الى بعض اللغات الاوربية واما الثاني وهو المعتمد عليهِ والمرجوع في المعضلات اليهِ فلا اثر لهُ هنا ولا في اوربا . وعبارة مروج الذهب واضحة المناهج متينة التراكيب وهو مرتب الاصول لو خلا من بعض ما شوّهُ المقدمة من الخرافات . اما ما يعيبهُ عليهِ بعضهم من نقص جغرافيتهِ فلا يعد الاَّ كلاًّ لان المسعوديّ المَّ بكل ما عرف لعهدهِ من اطراف الارض . واسلوب الجغرافية قد انقلب في الاعصر المتأخرة ظهرًا لبطن فما بالك بهِ منذ عشرة قرون . وكان المسعوديّ رُحلة الآفاق درس — كما قال سيديليو — تاريخ الرومان واليونان والامم المشرقية القديمة والحديثة ولهُ اطلاع واسع على اديان المجوس والوثنيين واليهود والنصارى والاسلام . وصل بتاريخهِ الى سنة ٣٣٢

وممن وُفِّر تاريخهُ في الصدور ونال الحظوة من الناس فعُدَّ الحجة الثبت والأمين في الاستفتاء ابن الاثير صاحب تاريخ الكامل الذي وصل بهِ الى سنة ٦٢٨ وهو مرتب على السنين جمع الحادثة التي وقعت في اوقات متعددة في محل واحد — على ما نقل عن نفسهِ — مع ذكر شهورها وسنيها فأتت الحوادث الكبيرة متناسقة آخذًا بعضها برقاب بعض . جمع هذا المؤرخ شتات الاخبار الجارية في المشرق وتجرّد عن الغرض فجاء تأليفهُ كاملاً في بابهِ يغني عن تصفح المجلدات الضخمة البعيدة على المتناول على ما فيها من الاخلال والاملال واقتصر فيهِ على اللُّباب ولم يطرح العظيم من الكائنات ويتعلق بذكر الامور التافهات . ولو عرّي صدرهُ من بعض ما لا يسلم بهِ مؤرخو هذا العصر من الحوادث المنقولة عن الاسرائيليات لكان بهِ اولى

واختصر الكامل ابو الفداء وزاد عليهِ المتجددات بعد تاريخهِ . قال سيديليو ان ابا الفداء استمدّ تاريخهُ من كتب متوسطة الاعتبار ولا بأس بمراجعتهِ لاجتناء ثمرة التاريخ الاسلامي سياسيًّا كان او ادبيًّا وتاريخ امبراطرة اليونان اهل القرن الثامن والتاسع والعاشر للميلاد . وعبارة ابي الفداء موجزة مسبوكة تشف عما يكن صدر صاحبها من العلم العمراني والسياسي والطبيعي مات سنة ٧٣٢

. واختصر ابن الوردي تاريخ ابي الفداء. وزاد عليهِ ما شهدهُ من الحوادث الى سنة ٧٤٨ فاجاد كل الاجادة بحيث يصح إقراؤُهُ لتلامذة المدارس لخلوّهِ مما يشوش الذهن من التطويل المملّ وان تجرّد كسائر تواريخنا من ذكر الاسباب ومسبباتها . وابن الوردي من العلماء الامناء الذين لا يرقبون في الظلمة والجهلة الاَّ ولا ذمة

واشتهرت بعض التواريخ شهرة متوسطة كتاريخ البلاذريّ وتاريخ مصر لابن إياس وتاريخ الخلفاء للسيوطي وتاريخ القرماني وتاريخ ابن الشحنة وتاريخ العتبي في دولة محمود بن سُبكتكين وتاريخ آل سلجوق للعماد الكاتب . وعبارة التاريخين الاخيرين على الإغراق في حسن سبكها عليها شائبة التكلف لما ان مؤَلفيهما التزما فيها السجع وفنون البديع فعُمي على القارىء مغزى الحوادث التاريخيّة والفوائد السياسيّة

وتاريخ دمشق لابن عساكر هو على اسلوب المحدثين مطوّل باسانيدهِ واختلاف رواياتهِ وفيهِ الغثّ والسمين ولا ينجو المؤَلف من تبعة ما حاول القاءهُ على قائليهِ من الحوادث التي لا يقبلها صغار اولاد المدارس لعهدنا . ولعلّ من اختصروا هذا التاريخ قديمًا من العلماء كالذهبي حذفوا منهُ هذه الضلالات ولكن مَن لنا بتلك المختصرات

وجاء في المتأخرين بعض المؤرخين وافضلهم فيما احسب الجبرتيّ الذي كتب تاريخًا لمصر منذ الفتح الاسلامي مختصرًا ووصل بهِ ما شاهدهُ من الحوادث الى سنة ١٢٧٦ يومًا يوم وشهرًا بشهر بعبارة سهلة لم يعاود تنقيحها فيما يظهر ولهجة يتدفق الاخلاص منها ممزوجةً بآرائهِ. وهو من العلماء المحققين عارف بالسياسة قريب من مصادرها ضليع من احوال بلادهِ وقومهِ . وقد كانت الامانة تقضي على من طبعوهُ ان لا يحذفوا منهُ القسم الخاص بمحمد علي الكبير واخبار الدولة التي عُني بتأسيسها في مصر لان فيهِ فوائد تاريخيّة لا يصح كتمها بحال

امَّا تواريخ التراجم والطبقات فكثيرة العدد كالتواريخ السياسية الاَّ ان معظمها لم يطبع . ومع ان المسلمين كانوا اول الامم التي اجتهدت من وراء الغاية في تحرير السند ونقد الرجال ذهابًا بالسنة عن مظان الضعف نظروا في التراجم الى الجسديات لا الى الروحانيّات ومن السهل ان يتلبّس بالاولى من يريد ان يتلبّس فاختلط المرعيُّ بالهمل. والمجيدون المنصفون قلائل في المتأخرين والمتقدمين والنابغ من كل شيء نادر

وممن اجاد في ترجمة الناس ابن خلكان في القرن السابع وقد قصر تاريخهُ على اعاظم العلماء والكبراء ممن اثّروا في حياتهم . وفي تاريخهِ تقرأُ الاخلاص والصدق والعلم . وجاء الصلاح الكتبي وذيّل تاريخ ابن خلكان الاَّ انهُ عني بالشعراء خاصةً خشية ان تفقد تراجمهم لعدم

اشتهارهم وترك علماء اشتهروا وملأ كتابهُ بالقصائد والموشحات والمواليا وبعضها سقيم . ومنهم ابن ابي أُصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ كتب طبقات الاطباء وترجم جانباً ممن غلبت عليهم الفلسفة من الاعلام وتجافى كتَّاب السير عن سرد اسمائهم في عداد مترجميهم لانهم لم يستحسنوا في غالب الظن ان يُطلقوا اسم العالم الاَّ على الفقيهِ والمحدّث والنحوي والشاعر والزاهد امَّا الطبيب والمهندس والفيلسوف فلا حظَّ لهم من هذا الاسم ولا حق في تخليد اعمالهم

وكتب السخاويءُ كتاب "الضوء اللامع في تراجم اهل القرن التاسع" والنجمُ الغزيءُ كتاب "الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة" والمحبيءُ "خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر" والمراديءُ "سلك الدرر في تراجم اهل القرن الثاني عشر" ويُنْفاهم السخاويءُ بصدق لهجتهِ وإقلالهِ من الاطراء وقلة تحاشيهِ من ايراد المساوىء برمتها . اما الغزيءُ والمحبيّ والمراديّ فانهم رفعوا قدر آبائهم وانسبائهم وحشروا في عداد العلماء من لا يسوغ عدّهُ فيهم كفلان الصالح وفلان الخلاَّط وفلان المؤذّن او المغني . ومع ان في ما دونوهُ عثرات تُتقى ففيها ايضاً فوائد تُنتقى . ذلك لقلة الظفر بتواريخ لاعصارهم فيها مشاهير الناس وخيارهم

ولقد ذهب بعضهم الى ان "قلائد العقيان" للفتح بن خاقان وذيلهُ "مطمح الانفس في ملح اهل الاندلس" و"يتيمة الدهر" للثعالبي و"ريحانة الالباء" للخفاجي "واعيان الشام" هي ايضاً كتب سير وحقيقتها انها كتب ادب فيها دقائق شعريَّة ورقائق نثريَّة وحوادث عصريَّة وليست من التاريخ في شيء . وللمؤلفين في كتبهم مقاصد لا ينبغي التسرّع في الحكم عليهم وعليها قبل افراغ الجهد في الاستقراء والاحاطة بخفيها وجليها

هذا رأيي فيما اطلعت عليهِ من تواريخ العرب اثبتهُ على علاَّتهِ مخمَّراً كان او فطيراً وتركت الحكم على ما لم يسعد الحظ بالاطلاع عليهِ. بقي لي ان استفتي رجال العلم في ما اذا كان تاريخ العصر الحاضر يكتب كما كتب تاريخ العصر الغابر بلسان المحاباة والمداجاة او بلسان النَّصفة والاعتدال. نعم ان الجرائد اليوميَّة والصحف السيَّارة تسطِّر الحوادث غالباً ولكن اذا لم يتفلسف فيها فلسفة مجردة عن الغرض والعرض وتحفظ في كتب خاصة لا يبعد ان تضيع كما انتثر كثير من سلاسل التاريخ

ولعلَّ في المشهورين الثقات لعهدنا من يحسن كتابة تاريخنا على الاقلّ ان لم اقل التاريخ العام فقد كثر الاختلاط وانتشرت الصحف والكتب وقربت الاباعد حتى لم يعد عذر للمؤرخ بعدم تعرّضهِ لحوادث الارض كما يفعل المؤرخون في الغرب هذا العصر فيقرّبونهُ ما امكن من الاذهان ويفرغونهُ في قالب حسن من التنسيق والبيان

محمد كرد علي

امثال المتنبي

جمعها الصاحب بن عباد لفخر الدولة

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندمُ ... ماذا يزيدك في إقدامك القسمُ (١)

لا تطلبنَّ كريمًا بعد رؤيته ... ان الكرام باسخاهم يدًا خُتموا

ولا تبالِ بشعر بعد شاعرهِ ... قد أُفسد القول حتى أُحمد الصَّمَمُ

وما عاقني غير قولِ الوشاةِ ... وان الوشايات طُرْق الكذبْ

ومن ركب الثور بعد الجوا ... د انكر اظلافهُ والغبَبْ (٢)

واذا خامر الهوى قلبَ صبٍّ ... فعليهِ لكلّ عينٍ دليلُ

زودينا من حسن وجهكِ ما دا ... م فحسنُ الوجوهِ حالٌ تحولُ

ان تريني ادِمتُ بعد بياضٍ ... فحميدٌ من القناةِ الذبول (٣)

وكثيرٍ من السؤال اشتياق ... وكثيرٌ من ردّهِ تعليل (٤)

ما الذي عندهُ تدار المنايا ... كالذي عندهُ تدار الشمول (٥)

غدرتَ يا موت كم افنيتَ من عددٍ ... بمن اصبتَ وكم اسكتَّ من لجبِ (٦)

وان تكن تغلب الغلباء عنصرها ... فان في الخمر معنًى ليس في العنبِ (٧)

وعاد في طلب المتروك تاركهُ ... انا لنغفلُ والايامُ في طلبِ

فلا تنلك الليالي ان ايديها ... اذا ضربن كسرن النبعَ بالغَرَبِ (٨)

ولا تغر عدوًّا انت قاهرهُ ... فانهنَّ يصدنَ الصقر بالخربِ (٩)

وان سررت بمحبوب فجعنَ بهِ ... وقد اتينك في الحالين بالعجبِ

وما قضى احد منها لبانتهُ ... ولا انتهى اربٌ الّا الى اربِ (١٠)

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ... الأَ على شجَبٍ والخلق في الشجبِ (١١)

---

(١) الوغى الحرب اي من اقسم انهُ يفوز في الحرب وهو ليس من ذوي الاقدام فعاقبة قسمهِ الندم مثل عاقبة حربهِ لان القسم لا يزيدهُ اقداماً

(٢) الغبب اللحم المتدلي تحت حنك الديك والبقر (٣) ادم اسمرَّ اي علتني السمرة من كثرة السفر

(٤) الرد الجواب والتعليل التلهية (٥) الشمول الخمر (٦) اللجب الجلبة

(٧) تغلب اسم قبيلة والغلباء وصف لها اي العزيزة وعنصرها اصلها

(٨) النبع شجر صلب والغرب نبات لين اي تضرب القوي بالضعيف

(٩) الخرب ذكر الحبارى وهو طائر ضعيف ابله (١٠) اللبانة الحاجة وكذا الارب (١١) الشجب الحزن

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسمَ المرء في العطبِ
ومن تفكَّر في الدنيا ومهجتهِ اقامهُ الفكر بين العجز والتعبِ[١٢]
كفى بك داءً ان ترى الموت شافياً وحسب المنايا ان يكنَّ امانيا
تمنيتها لما تمنيتُ ان ارى صديقاً فارعى او عدوًّا مداجيا
اذا كنتَ ترضى ان تعيش بذلة فلا تستعدنَّ الحسامَ اليمانيا
فلا ينفعُ الاسْدَ الحياءُ من الطوى ولا تتَّقى حتى تكونَ ضواريا
فان دموع العين غدرٌ بربها اذا كنَّ خلفَ الغادرين جواريا[١٣]
اذا الجود لم يكسب خلاصاً من الاذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا
وللنفس اخلاق تدلُّ على الفتى أكان سخاءً ما اتى ام تساخيا
خُلقتُ الوفاً لو رجعتُ الى الصبي لفارقت شيبي موجع القلب باكيا[١٤]
قواصدَ كافور توارك غيرهِ ومَنْ قصد البحر استقلَّ السواقيا
حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية وفي البداوة حسن غيرُ مجلوبِ[١٥]
فما الحداثة من حلم بمانعةٍ قد يُوجدُ الحلم في الشبان والشيبِ
ابى خُلُق الدنيا حبيباً تديمهُ فما طلبي منها حبيباً تردُّهُ
واسرع مفعول فعلتَ تغيرًا تكلُّفُ شيءٍ في طباعك ضدهُ
واتعب خلق الله من زاد همُّهُ وقصَّر عمَّا تشتهي النفس وجدهُ[١٦]
فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ ولا مالَ في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ
وفي الناس من يرضى بميسور عيشةٍ ومركوبهُ رجلاهُ والنعلُ جلدهُ
وما الصارم الهنديُّ الاَّ كغيرهِ اذا لم يفارقهُ النجاد وغمدهُ
وما منزل اللذات عندي بمنزلٍ اذا لم اُبجَّلْ عندهُ واُكرَّمِ
اذا ساءَ فعل المرء ساءت ظنونهُ وصدَّق ما يعتادهُ من توهُّمِ
اصادق نفسَ المرء من قبل جسمهِ واعرفها في فعلهِ والتكلُّمِ
واحلم عن خلي واعلم انهُ متى اجزهِ حلماً على الجهل يندمِ
وان بذل الانسان لي جودَ عابسٍ جزيت بجود الباذل المتبسِّمِ
وما كل هاوٍ للجميل بفاعل ولا كلُّ فعَّالٍ لهُ بمتمِّمِ

(١٢) المهجة الروح والدم (١٣) غدر جمع غدور اي غادرة بربها (١٤) الالوف الشديد الالفة
(١٥) التطرية الدعك بالطيب والحسنات (١٦) الوجد مثلثة الواو الغنى والسعة

ولم ارجُ الاَّ اهلَ ذاك ومن يُرِدْ مواطرَ من غير السحائب يَظلِمِ
فاحسنُ وجهٍ في الورى وجه محسنٍ وايمنُ كفٍّ في الورى كفُّ منعمِ
واشرفهم من كان اشرفَ همةً واكثر اقداماً على كلِّ مُعْظَمِ
لمن تطلبُ الدنيا اذا لم ترد بها سرورَ محبٍّ او اساءة مجرمِ (١٧)
انما تنجح المقالة في المر ء اذا صادفت هوى في الفؤادِ
قد يصيب الفتى المشير ولم يجـ ـهدْ ويخطي المرادَ بعد اجتهادِ
واذا الحلم لم يكن في طباعٍ لم يحلِّمْ تقدُّم الميلادِ (١٨)
واطاعتك اسدُ دهركَ والطا عة ليست خلائق الآسادِ
واذا كان في الانابيب خُلفٌ وقع الطيش في صدور الصعادِ (١٩)
كيف لا يترك الطريق لسيل ضيّقٍ عن أتيّهِ كلُّ وادِ (٢٠)
وما الخيل الاَّ كالصديق قليلة وان كثُرت في عين من لا يجرِّبُ
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها ولبَّاتها فالحسن عنك مغيَّبُ (٢١)
لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ فكلُّ بعيد الهمِّ فيها معذَّبُ
وكل امرئٍ يولي الجميل محبَّبٌ وكل مكان يُنبتُ العزَّ طيبُ
ولو جاز ان يحوُوا علاك وهبتها ولكن من الاشياء ما ليس يوهبُ
واظلم اهل الظلم من بات حاسدًا لمن بات في نعمائهِ يتقلبُ
وقد يترك النفس التي لا تهابهُ ويخترمُ النفس التي تتهيَّبُ
فلا يديمُ سرورًا ما سررتُ بهِ ولا يردُّ عليك الفائت الحزَنُ
يا من نُعيتُ على بعدٍ بمجلسهِ كلٌ بما زعم الناعون مرتهنُ
ما كل ما يتمنى المرءُ يدركهُ تأتي الرياح بما لا تشتهي السفنُ
غير أنَّ الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا (٢٢)
ولوَ أنَّ الحياة تبقى لحيٍّ لعدَدْنا اضلَّنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تكون جبانا

(١٧) اراد بالدنيا المال والجاه (١٨) اي التقدم في السن (١٩) الانابيب ما بين عقد الرمح والخلف الاختلاف والطيش الخفة وصدور الصعاد اعالي الرماح (٢٠) الأتي السيل الغريب اي الاتي من مكان الى مكان . وكلُّ وادٍ فاعل ضيق (٢١) الشيات جمع شية اللون واللبات المناحر (٢٢) كالحات معبسات

كل ما لم يكن من الصعب في الأ نفس سهل فيها اذا هو كانا
فان يكُ انسان مضى لسبيلهِ فان المنايا غايةُ الحيوان
قال الزمان لهُ قولاً فاسمعهُ ان الزمان على الامساكِ عزّال[٣٣]
القاتل السيف في جسم القتيل بهِ وللسيوف كما للناس آجالُ
يروعهُ منهُ دهر صرفهُ ابداً مجاهر وصروف الدهر تغتالُ
لطفت رأيك في وصلي وتكرمتي ان الكريمَ على العلياء يحتالُ
لولا المشقة ساد الناس كلهمُ الجود يفقر والإقدام قتّالُ
وانما يبلغُ الانسان طاقتهُ ما كل ماشيةٍ بالرجل شِملالُ[٣٤]
انّا لفي زمن ترك القبيح بهِ من اكثر الناس احسان واجمالُ
ذكر الفتى عمرهُ الثاني وحاجتهُ ما قاتهُ وفضول العيش اشغالُ
ولما صار ودُّ الناس خبًّا جزيت على ابتسامٍ بابتسامِ
وصرتُ اشكُّ فيمن اصطفيهِ لعلمي انهُ بعض الانامِ
وآنف من اخي لابي وامي اذا ما لم اجدهُ من الكرامِ
ارى الاجداد تغلبها كثيرًا على الاولاد اخلاقُ اللئامِ
عجبت لمن لهُ قدٌّ وحدٌّ وينبو نبوة العضب الكهامِ[٣٥]
ومن يجدُ الطريق الى المعالي فلا يذرُ المطيَّ بلا سنامِ[٣٦]
ولم ارَ في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمامِ
ويصدق وعدها والصدق شرٌّ اذا القاكَ في الكربِ العظامِ
فان لثالث الحالين معنًى سوى معنى انتباهكَ والمنامِ[٣٧]
وللسرّ مني موضعٌ لا ينالهُ صديق ولا يفضي اليهِ شرابُ
وما العشق الاّ غرّةٌ وطماعةٌ يعرّض قلب نفسهُ فيصابُ
وغير فؤادي للغواني رميّةٌ وغير بناني للزجاج ركابُ
اعز مكان في الدنى سرجُ سابحٍ وخير جليسٍ في الزمان كتابُ
ايا اسدًا في جسمهِ روح ضيغمٍ وكم أسْدٍ ارواحهنّ كلابُ

---

(٣٣) الامساك البخل والعزال المبالغة من العزل (٣٤) الشملال الناقة القوية السريعة
(٣٥) العضب السيف والكهام الكليل (٣٦) السنام الحدبة في ظهر البعير اي عجب لمن يجد الطريق الى المعاني فلا يذيب سنام المطايا في تطلبها (٣٧) يريد بثالث الحالين الموت

وقد تحدث الايام عندك شيمةً	وتنعمر الايام وهي يباب[٢٨]
اذا نلت منك الودَّ فالمالُ هيّنٌ	وكل الذي فوق التراب تراب
ولكنك الدنيا اليَّ حبيبةً	فما عنك لي الّا اليكَ ذهابُ
يا من يرى انك في وعده	كمن يرى انك في حبسه
ولا يرجّى الخير عند امرئ	مرّت يد النخّاس في رأسه
فقلّما يلؤم في ثوبه	الّا الذي يلؤم في غرسه
اذا اتت الاساءة من وضيع	ولم الم المسيء فمن الوم
ماذا لقيت من الدنيا واعجبها	اني بما انا باكٍ منهُ محسودُ
جود الرجال من الايدي وجودهمُ	من اللسان فلا كانوا ولا الجودُ
فتى زانَ في عينيَّ اقصى قبيلة	وكم سيّدٍ في حلّةٍ لا يزينها
وما كل من قال قولاً وفى	وما كل من سيم خسفاً ابى
ولا بدَّ للقلب من آلة	ورأيٍ يصدّع صمَّ الصفا
وكل طريق اتاهُ الفتى	على قدر الرِّجل فيهِ الخطا
ومن جهلت نفسهُ قدرهُ	رأى غيرهُ منهُ ما لا يرى
الحزن يقلق والتجمّل يُردعُ	والدمعُ بينهما عصيٌّ طيعُ
اني لاجبن من فراق احبتي	وتحسّ نفسي بالحمام فاشجعُ
ويزيدني غضب الاعادي قسوة	ويلمّ بي عتبُ الصديق فاجزعُ
تصفو الحياة لجاهل او غافل	عمّا مضى منها وما يتوقعُ
ولمن يغالط في الحقائق نفسهُ	ويسومها طلبَ المحالِ فتطمعُ
اين الذي الهرمان من بنيانهِ	ما قومهُ ما يومهُ ما المصرَعُ
تتخلّف الآثار عن اصحابها	حيناً ويدركها الفناء فتتبعُ
بابي الوحيد وجيشهُ متكاثر	يبكي ومن شرّ السلاح الأدمُعُ
واذا حصلت من السلاح على البكا	فحشاك رُعتَ بهِ وخدكَ تقرعُ
قبحاً لوجهك يازمان فانهُ	وجهٌ لهُ من كل قبحٍ برقُعُ
ومن ضاقت الارض عن نفسهِ	حَرٍ أن يضيق بهِ جسمهُ
تسوّدُ الشمس منا بيض اوجهنا	ولا تسوّد بيض العذْر واللمَم[٢٩]

(٢٨) اليباب الخراب (٢٩) العذر جمع عذار وهو جانب اللحية مما يلي الاذن واللمم جمع لمة وهي شعر الراس حتى يتجاوز شحمة الاذن

وكان حالها في الجود واحدةً لو احتكمنا من الدنيا الى حكمِ
حتى رجعتُ واقلامي قوائلُ لي المجدُ للسيف ليس المجدُ للقلمِ
توهّم القوم ان العجز قرّبنا وفي التقرّبِ ما يفضي الى التّهمِ
ولم تزلْ قلة الانصاف قاطعةً بين الانام ولو كانوا ذوي رحمِ
هوّنْ على بصرٍ ما شق منظرهُ فانما يقظاتُ العين كالحلمِ
ولا تشكُ الى خلق فتشمتهُ شكوى الجريح الى العقبان والرخمِ
وكن على حذر للناس تسترهُ ولا يغرّك منهم ثغرُ مبتسمِ
غاض الوفاء فما تلقاهُ في عدةٍ واعوزَ الصدق في الاخبار والقسمِ
كدعواكِ كلٌّ يدعي صحة العقل ومن ذا الذي يدري بما فيهِ من جهلِ
ذريني انل ما لا ينال من العلى فصعبُ العلى في الصعب والسهل في السهلِ
تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من ابر النحلِ
وليس الذي يتّبع الوبل رائدًا كمن جاءهُ في دارهِ رائدُ الوبلِ
وما انا ممن يدّعي الشوق قلبهُ ويحتجُّ في ترك الزيارة بالشغلِ
تحاذر هزل المال وهي ذليلة واشهد ان الذل شرٌّ من الهُزْلِ (٣٠)
قد كنت احذر بينهم من قبلهِ ولو كان ينفع حاذرًا ان يحذرا
ان في الموج للغريق لعذرًا واضحًا ان يفوتهُ تعدادُهُ
ما سمعنا بمن احب العطايا واشتهى ان يكون فيها فؤادُهُ
وغيظ على الايام كالنار في الحشا ولكنهُ غيظُ الاسير على القِدِّ (٣١)
وليس حياء الوجه في الذئب شيمةً ولكنهُ من شيمة الاسد الوَرْدِ (٣٢)
يعللنا هذا الزمان من الوعد ويخدعُ عمّا في يديهِ من النقدِ (٣٣)
كل جريح ترجّى سلامتهُ الاّ فؤاد دهتهُ عيناها
وخلِّ زيًّا لمن يحققهُ ما كلُّ دامٍ جبينهُ عابدْ
لا بدّ للانسان من ضجعة لا تقلب المضجعَ عن جنبهِ
ينسى بهِ ما كان من عُجبهِ ومن اذاقَ الموت من كَرْبهِ
نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بدّ من شربهِ

(٣٠) هزل المال اي المواشي المهزولة (٣١) القدّ سير الجلد الذي يقيد بهِ الاسير
(٣٢) الورد الذي في صفرتهِ حمرة (٣٣) النقد خلاف الوعد اي المعجل

. تبخل ايدينا بارواحنا على زمان هنَّ من كسبهِ
فهذه الارواح من جودهِ وهذه الاجسامُ من تربهِ
لو فكَّر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيهِ لم يسبهِ
يموت راعي الضأن في جهلهِ ميتة جالينوس في طبهِ
وربما زاد على عمرهِ وزاد في الامن على سربهِ(٢٤)
وغاية المفرط في سلمهِ كغاية المفرط في حربهِ
فلا قضى حاجتهُ طالبٌ فؤادهُ يخفق من رعبهِ
ما كان عندي ان بدر الدجى يوحشهُ المفقود من شهبهِ
ان النفوس عددُ الآجالِ . وربَّ قبح وحلًى ثقالِ
احسن منهُ الحسن في المعطالِ . فخر الفتى بالنفس والافعالِ
من قبلهِ بالعم والاخوالِ

لماذا يكثر العميان في وادي النيل

(تابع ما قبلهُ)

رابعاً . الاعتقادات والاوهام الباطلة. وهنا لا ادخل في امر الدين ولا اقصد الاشارة الى ملةٍ او شيعةٍ دون سواها . لان الخرافات والاوهام موجودة عند كل الامم حتى بين اكثر القوم ارتقاء واعرقهم مدنيَّة وان كنتَ في ريبٍ من ذلك فاقرأْ ما كتبهُ اميل زولا الكاتب الشهير في (سنت لورد) لتعلم الى اين ينتهي حد الخرافة عند بعض سكان فرنسا وهم يعدون في مقدمة اهل الارتقاء والحضارة

وخرافات الناس ضروبٌ شتَّى يضيق المقام دون تعدادها وحصرها فمنهم من يشير على المرضى بالاغتسال بمياه ميضأة الجامع الفلاني او بئر الدير الفلاني . ومنهم من يشير بالاكتحال من تراب الضريح الفلاني او الكنيسة الفلانية الى غير ذلك من المضحكات المبكيات . اتاني يوماً شاب صديق لي من شبان مصر الاذكياء ومعهُ شاب آخر اعمى من اقاربهِ لانظر في عينيهِ لعلي اجد لهُ حيلةً فوجدتهُ مصاباً بضمور العصب البصري فانفردت بصديقي وافهمتهُ ان علة قريبهِ لا يرجى شفاؤُها وانهُ سيبقى اعمى طول حياتهِ ولكني طلبتُ اليهِ ان لا يطلعهُ

(٢٤) يقال فلان آمن السرب اي لا يغزى مالهُ ونعمهُ واهلهُ لعزهِ

على كل الحقيقة لكي لا يتنغص عيشهُ بل ان يفهمهُ ان الأمل برجوع بصرهِ ضعيف ويلزمهُ ان يعتصم بالصبر الجميل . فنظر اليَّ وقال لي كلاَّ لا بدَّ لي من ان اطلع هذا المسكين على الحقيقة برمتها . قلتُ لماذا قال لاريحهُ مما يتحملهُ كل يومٍ من العذاب الاليم عملاً بخرافات اقاربهِ قلت وكيف ذلك قال لهذا الشاب اقارب جهلاء كثيرو الخرافات والاوهام والمعتقدات الفارغة فلما رأَى بعضهم ان لاشيءَ ظاهر على عينيهِ من خارجهما حكموا انهُ مصاب باورواحٍ خبيثة وصاروا يتفننون كل يوم في علاج جديد فطالما سقوهُ من المستنقعات المجاورة لاضرحة بعض المشايخ لاعتقادهم ان بركة اولئك الاولياء تبعد عنهُ الارواح الخبيثة وطالما جعلوا المجاذيب يتفلون في عينيهِ وكم غطسوهُ في ميضأَة وسقوهُ من مائها حتى كره حياتهُ فاذا اطلعتهُ الآن على حقيقة امرهِ لا يعود يذعن الى خرافات اهلهِ فيستريح من العذاب . فاستصوبت رأي صديقي واطلعت قريبهُ على حقيقة امرهِ

هذا قليل مما هو شائع بين العامة الجهلاء من ضروب الخرافات وانواع الاوهام . فكيف لا يكثر العمي في البلاد التي تكثر فيها . وتصور ماذا تكون النتيجة اذا اصيب احدهم برمد يستدعي اهتماماً ومعالجة وعوضاً عن ذلك اكتفى بشرب ماء المستنقعات او الاكتحال بتراب القبور ولا تعجب بعد ذلك ان قلت لكن ان الجهل من اقوى اسباب العمى

السبب الثاني — الاقليم والتربة . ارض النيل في منطقة اقرب الى المنطقة الحارة منها الى المعتدلة ولذا يشتدُّ فيها الحرُّ في فصل الصيف ثم ان تربتها ناعمة فاذا هبت الريح حملت الغبار منها وسدَّت بهِ منافس الفضاء . واكثر المدن والقرى في وادي النيل مبنيٌّ على ارض لا تختلف تربتها عن تربة الاراضي الزراعية المجاورة لها ولذا تكثر الاتربة في الازقة والطرقات ولولا كثرة الرش في المدن الكبيرة لما كانت اصلح حالاً من القرى حيث يتصاعد الغبار ويعمي الابصار . ثم ان جسور السكك الحديديَّة يتصاعد منها الغبار الكثيف كلما هبت عليها الريح وكلما مرت عليها القطارات . ومن يجهل فعل الغبار بالاعين فما عليهِ الآَّ ان يسافر مرة واحدة الى الصعيد بطريق السكة الحديديَّة ليقف على حقيقة الامر . ومتى دخل الغبار العين يهيجها ويحدث في الملتحمة خدوشاً دقيقة فتصبح في استعداد تام لقبول كل الامراض المعدية كالرمد الحبيبي المستوطن في وادي النيل والرمد الصديدي وغيرها . وقد يكون الغبار الذي يدخل العين حاملاً بعض مكروبات الرمد فيكون في الوقت نفسهِ جارحاً ومُلقحاً ولكن في الغالب تحصل العدوى باللمس اي ان الذي تقرحت ملتحمتهُ بالغبار اذا خالط مصاباً برمدٍ او لمس شيئاً ملوثاً بمفرزات عين مصابة لا يلبث ان يصاب بنفس الداء وكثيراً ما يكون الذباب واسطة العدوى

لانهُ يكثر في البلاد الحارة ويحوم على الاعين الرمداء ثم ينتقل منها و يسقط على الاعين السليمة ويلقحها بمكروبات الرمد العالقة باجنحتهِ وارجلهِ

والحيلةُ في تخفيف المضار التي تنتج عن كثرة الغبار في وادي النيل هي الاعتناء برش الشوارع والطرقات والازقة لا سيما في زمن الصيف وانَّا نرى الحكومة مهتمة بامر الرش ولكن اعتناءها بذلك مقتصر على الشوارع الكبيرة من المدن واما طرق القرى وازقة المدن حتى في العاصمة فلا تزال مهملة . ولنا وطيد الامل ان الحكومة تزيد في اعتنائها عاماً فعاماً . ولكن لا يخفى على كل ذي بصيرة ان تعميم الرش يكلف من النفقات اموالاً باهظة ويكاد يكون من المحال فيجب والحالة هذه ان يتفق سكان الحارات في المدن والقرى ويتعاونوا على رش الطرق فيرش كل ساكن القسم الذي امام بيتهِ

امَّا جسور السكك الحديدية فلا بدَّ من مرور الاعوام حتى تصير في الحالة التي لا بدَّ منها لكي لا تضر بالمسافرين . وقد شرعت مصلحة السكة الحديدية منذ حين في اصلاح الجسور بتغطيتها بالحصى فعسى ان يتم لها ذلك في البلاد كلها

السبب الثالث الرمد الحبيبي — ان انخفاض ارض مصر وشدة حرارتها الرطبة لاسيما في زمن الفيضان هما السبب في استيطان الرمد الحبيبي فيها فقد اثبت الاختبار ان هذا الرمد يكثر ويتأصل في البلاد المنخفضة حيث تشتد الرطوبة ويندر في البلاد المرتفعة ذات الجبال والوهاد حيث الهواء جاف . ومن المؤكد ان الحرارة ليست السبب الوحيد في استيطان الرمد الحبيبي في مصر والدليل على ذلك هو : اولاً ان هذا الداء الخبيث ينتشر بسهولة في بلاد المنطقة المعتدلة والباردة وهو مستوطن ايضاً في الاماكن المنخفضة من تلك البلاد : ثانياً لان البلاد المرتفعة الجافة الهواء الواقعة في منطقة احر من منطقة مصر لا يكثر فيها الرمد الحبيبي كبعض جهات السودان المرتفعة فقد اقمت خمس سنوات في ارض السودان وكنت لا اعثر بالمصابين برمد حبيبي الاَّ في الاماكن المنخفضة الرطبة الكثيرة الآجام والمستنقعات ثم ان السود القاطنين اواسط افريقية حيث يبلغ الحر اشدهُ قلما يصابون بهذا الرمد لانهم يسكنون قمم الجبال والآكام حيث الهواء جاف . فينتج من ذلك ان انخفاض الارض وبالتالي رطوبة الهواء السبب الاكبر في احياء جراثيم هذا الرمد والذي يساعد على نموهِ وزيادة فتكهِ واكسابهِ شكلهُ الحاد الصديدي المعدي هو الحرارة اذًا الرمد الحبيبي يستوطن ويفتك بالابصار فتكاً ذريعاً حيث يكثر الغبار وحيث الارض منخفضة والهواء رطب حار وهي الحالة في مصر

وقد اطلق الغربيون على الرمد الحبيبي اسم الرمد المصري خطأً وذلك لان بعض رمدبي الغرب ظنوا انهُ لم يظهر في قارة اوروبا الاَّ بعد عودة جنود نابليون الاول في مصر بين عام ١٧٩٨ وعام ١٨٠١ وقبل ذلك لم يكن معروفاً في تلك القارة . والحقيقة انهُ كان معروفاً في اوروبا منذ القرون الخوالي . فقد كتب عنهُ سلسُس الطبيب الروماني الشهير قبل التاريخ المسيحي واتى على اغلب اعراضهِ كخشونة ملتحمة الاجفان والافراز الصديدي الذي يحدثهُ في طورهِ الحاد . وكان الاقدمون يتخذون لمعالجة هذا الرمد نفس الوسائط الفعالة التي نعول عليها الآن كتشريط الاجفان ومسها بالكاويات فكانوا بعد التشريط يفركون ملتحمة الجفن بورق التين ولا يخفى ما في عصارة هذا الورق من المواد الحريفة فلا يجوز والحالة هذه ان يسمَّى هذا الداء بالرمد المصري . وكونهُ مستوطناً في مصر لا يثبت شيئاً من ذلك لانهُ مستوطن ايضاً منذ عهد قديم في غير مصر كطرابلس الغرب وتونس والجزائر وبلاد العرب وقسم كبير من اسيا الصغرى لا سيما في الاماكن المنخفضة من تلك البلاد حيث الهواء رطب حار كما هو في مصر . والخلاصة ان الرمد الحبيبي كان معروفاً في قارة اوربا قبل عودة جنود نبوليون الاول من مصر ولكنهُ كان قليل الحدوث خفيف الوطأة واكثر ظهورهِ كان في البلاد المنخفضة الرطبة ولكن بعد عودة الجنود من مصر الى اوربا وحدوث الحروب البونابرتية ايام كانت جيوش اوربا يختلط بعضها ببعض ثم تتفرق وتخالط بقية سكان البلاد سرى الداء من العساكر الفرنسوية الى عساكر الدول الاخرى وامتدت العدوى وانتشر الرمد الحبيبي بصفة وبائية في اوروبا كلها واشتدت فيها وطأتهُ الى درجة هائلة ولذا دعاهُ رمديو ذلك العصر بالرمد المصري

وهذا الرمد هو ولا شك من اقوى الاسباب في كثرة العميان في وادي النيل لانهُ اذا أُهمل في بدء ظهورهِ ولم يعالج معالجةً فعالة لا يلبث ان يتأصل في ملتحمة الاجفان فتغور الحبيبات وتتضخم الاجفان وتتصلب وتخشن ولا تزال تحك على القرنية حتى تقرحها فتغشاها السحابات او يتكوَّن عليها نسيج من الاوعية وذلك ما يدعونهُ بالبانوس (Pannus) وهذا النسيج الوعائي اذا لم يتدارك في بدء ظهورهِ يتكيف ويتحول الى نسيج ليفي يغشي القرنية ويطمس بصر العين وتصبح ازالتهُ من اصعب الصعوبات والذي يزيد الطين بلة هو ان تضخم الاجفان وتصلبها وضمورها تسبب انقلاب الاشفار الى الداخل فتلامس الاهدابُ القرنيةَ وتهيجها لتواتر الاحتكاك وذلك ما يدعونهُ بداء الشعرة واذا لم يعالج هذا الداء بعملية جراحية تعيد الى الاجفان اتجاهها الطبيعي تظل الاهداب تحك على القرنية حتى تذهب بصفائها وشفافتها فينطمس البصر وتعمى العين

فيجب تخفيف مضار هذا الرمد العمي وتداركهُ منذ اول ظهوره ومعالجتهُ معالجة فعَّالة. وطرق علاجهِ كثيرة تختلف باختلاف نوعهِ وحالتهِ وقد ذهب الرمديون في علاجهِ مذاهب شتى لا سبيل الى بيانها هنا ولكن طريقة الرمدي الشهير ابادي هي احسن الطرق لازالتهِ تماماً لا سيما في الاحوال المستصعبة . اما ما ينسبهُ بعض الرمديين الى طريقة ابادي هذه من ضمور الملتحمة وقصر الاجفان وغير ذلك فكلهُ زورٌ وبهتان ولا يسعنا المقام ايراد البراهين الدامغة التي تفسد زعمهم هذا الباطل

ولكن رب قائل يقول أنَّى يتيسر للفقراء معالجة هذا الرمد وهم المصابون بهِ في الغالب ولا يخفى ما يقتضي لمعالجتهِ من النفقة لاسيما اذا كان مزمناً صعب الشفاء . فالجواب على هذا الاعتراض سهل. وذلك ان مصر محتاجة كل الاحتياج الى مستشفيات رمديَّة يعالج فيها الفقراء مجاناً . ألا ترى ان في كل بلاد اوربا مستشفيات مخصصة لمعالجة امراض العيون مع ان هذه الامراض اقل بكثيرٍ في بلاد الغرب منها في بلاد الشرق وعلى الخصوص مصر . وليست كل بلاد اوربا اغنى من وادي النيل بل ربما كانت مصر اغنى بكثيرٍ من بعض تلك البلاد وهنا نعود فنسأل عن الملوم في التقصر هل الحكومة او الشعب

امَّا الحكومة فلا شك ان رجالها العارفين بحقائق الامور ولا سيما المهتمين منهم بامر الصحة يعلمون ان مصر في حاجة شديدة الى مستشفيات رمدية ولا ندري ما هي اسباب سكوتهم عن ذلك ولكن اذا كان رجال الحكومة لا ينظرون في كل شؤُوننا ألا يمكننا ان ننظر فيها نحن . فلماذا لا نتحد ونؤلف شركة تجمع مالاً وتنشئ بهِ مستشفى رمديًّا في القاهرة يضاهي احسن المستشفيات الرمديَّة في اوربا بحيث يجد المرضى فيهِ كل اسباب الراحة ويعالجوا باحسن الطرُق بمعرفة اشهر من عندنا من اطباء العيون . ويخصص قسمٌ من هذا المستشفى لمعالجة الفقراء مجاناً . فتعود من ذلك على المساهمين في هذه الشركة فائدتان الاولى الارباح من الذين يقدرون على دفع نفقات المعالجة والثانية عمل الخير وكسب الاجر . واذا أُنشئ هذا المستشفى في العاصمة وظهر نجاحهُ حذت حذوها اكثر بنادر القطر فتقل امراض العيون وتخف وطأَتها وتصير عواقبها سليمة

ويكون الرمد الحبيبي وبائيًّا في فصل الصيف اذ يتخذ شكلهُ الحاد الصديدي او بالحري يتضاعف بحدوث انواع اخرى من التهابات الملتحمة الميكروبية لأَن المفرزات التي تحدثها تلك الالتهابات المضاعفة تلوث ايدي المصابين وملابسهم وكل ما يلمسون مما يساعد على انتشار العدوى . ويكثر انتشار الرمد الحبيبي في الاماكن المزدحمة كمنازل الفقراء والمجتمعات العمومية

كالاديرة والجوامع والمدارس والكتاتيب والمعسكرات والتكايا وما شاكلها بسبب المخالطة فاذا تفشى هذا الداء في واحدة من هذه المجتمعات ولم تتخذ الوسائط الفعَّالة لمنع العدوى لا يلبث ان يصاب بهِ الجميع

ومنذ بضع سنوات كان هذا الرمد متفشياً بكثرة في كل المدارس والجوامع وما شاكلها من الاندية الجامعة ومما اورده' علوي بك الرمدي ان تلامذة المدارس الذين كانوا يصابون بالرمد الحبيبي لم يكونوا اقل من ٨٠ في المئة ولكن اصلاح شؤون المدارس والاعتناء بمعالجة المصابين وعزلهم عن الاصحاء انقصت تلك النسبة تدريجاً حتى اصبح عدد التلامذة المصابين بهذا الرمد في ايامنا هذه لا يزيد على ٢٠ في المئة

فيتضح مما تقدم ان اقوى الوسائط الفعالة لتخفيف وطأة هذا الداء حتى يزول هي تحسين شؤون المعيشة وعزل المصابين عن الاصحاء وبناء المستشفيات لمعالجتهم وهذا كله' لا يبلغ حد الاتقان الاَّ بزيادة تحسين احوال الشعب ادبيًا وماديًا والاول اهم لانهُ مجلب للثاني

وخلاصة القول ان لكثرة العميان في وادي النيل ثلاث علل كبرى وهي:

اولاً جهل العامة وتهاونهم في اتقاء امراض العين ومعالجتها متى اصيبوا بها ودواء هذه العلة توسيع نطاق التعليم بانشاء المدارس الكثيرة المستوفية الشروط التي تغرس في قلوب الاحداث حب النظافة

ثانياً اقليم البلاد وحرارتها الرطبة وكثيرة الغبار المساعد على استيطان الرمد الحبيبي ودواء هذه العلة تحسين شؤون المعيشة كسكن المنازل الفسيحة النظيفة التي تدخلها اشعة الشمس ويتخللها الهواء واصلاح طرق المدن بتعميم الرش ثم الكنس (لان الكنس بلا رش او قبل الرش يثير الغبار ويضر اكثر مما ينفع) وزيادة غرس الاشجار واصلاح جسور السكك الحديدية والزيادة في تحسين شؤون المدارس والكتاتيب والجوامع والتكايا وبالاختصار كل الاندية العمومية

ثالثاً افتقار البلاد الى مستشفيات رمدية يعالج فيها الفقراء المصابون بالرمد الحبيبي وامراض العين الاخرى ويجدر باولي الحل والعقد جعل تلك المعالجة اجبارية كما يفعلون في التطعيم لمقاومة الجدري واذا صعب على الحكومة القيام بكل هذه المطالب فلا بدَّ لارباب الحجى واهل النهى والغيرة والثروة من الشعب المصري ان يتكاتفوا ويتعاونوا لايجاد الطرق المؤدية الى الغرض المقصود

الدكتور ابرهيم شدودي

طبيب العيون

نبأ من اليابان

قوتها الحربيَّة البريَّة والبحريَّة

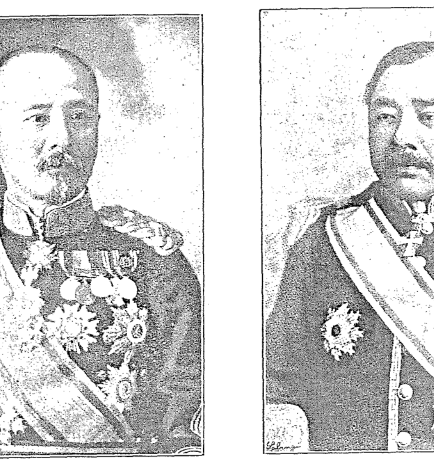
الجهاد سنَّة طبيعيَّة يشترك فيها الانسان والحيوان غايتهُ حفظ النوع "وبقاء الانسب" ووسائلهُ السلاح الطبيعي كالانياب والمخالب والصناعي كالسيوف والبنادق . وقد يعدل الانسان عن هذه الوسائل في المستقبل البعيد لكنهُ لا يعدل عن الجهاد فيلجأ الى وسائل اخرى قد تكون افتك منها كاحتكار المال والقوت . اما في العصر الحاضر فلا مندوحة لامم الارض من الحروب ومن اتقائها بالاستعداد لها والذود عن حوضهم بسلاحهم والاَّ امتُهنوا وساءت حالهم ومن ادلَّة ذلك المقام الذي احرزتهُ اليابان لما برهنت لامم اوربا انها امة حربية برًّا وبحرًا

والظاهر ان محبة الحرب سليقة في قبائل اليابان اعتادوها منذ زمن طويل حتى ان رجالهم لا يخرجون من منازلهم الاَّ شاكي السلاح فيتقلَّد كثيرون منهم حتى الذين في المناصب العالية خنجرًا او سيفًا قصيرًا لئلاَّ يؤخذوا على غرَّة كأنَّ حميَّتهم القديمة لم تنطفئ ولو خبت نارها

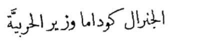
ولما كانت البلاد مقسومة بين امرائها قبل حصر السلطة في الامبراطور الحالي كان عند كل امير صاحب اقطاع جند خاص بهِ وقد بلغ عدد هؤلاء الجنود وقت الغاء النظام الاقطاعي مليونين من المقاتلة فاختيرت الجنود المنظمة منهم وشقَّ عليهم في اول الامر ان ينتظم معهم مَن ليس منهم من السوقة الذين لم يعتادوا الحرب والكفاح مثلهم واضطرت الحكومة ان تعطي الذين لم تستخدمهم منهم عشرين مليون جنيه ليستعينوا بها على معاشهم ومع ذلك ثار بعضهم وذاقت العساكر المنظمة الامرَّين في قمع ثورتهم فكان شأنهم شأن الانكشارية في جنود الدولة العثمانية لكن حكومة اليابان لم تستأصل شأفتهم بل عاملتهم بالشدَّة مرةً واللين اخرى حتى امنت جانبهم

ولما شرعت في تنظيم جنودها استخدمت لهم ضباطًا من الفرنسويين ثم ابدلتهم بضباط من الالمانيين وقد استتبَّ النصر لجنودها في قمع الثورة الوطنية وفي محاربة الصين فقويت عزائمهم وزادوا ثقةً بنفوسهم . وعددهم الآن خمس مئة الف وقت الحرب ومئة وخمسون الفًا وقت السلم وحسب قانون القرعة العسكرية على كل بالغ سنهُ بين السابعة عشرة والاربعين ان ينتظم في الخدمة العسكرية البرية او البحرية ولكن لا يؤخذ للخدمة الاَّ نحو عشر مَن تجب عليهم. وفي اليابان مدارس حربية كثيرة للمشاة والفرسان والمدفعية

ويمتاز الجندي الياباني على غيرهِ من جنود الدول الاخرى بحسن سلوكهِ سواء كان في



الاميرال یاماموتو وزیر البحریّة



الجنرال کوداما وزیر الحربیّة

المعسكر او خارجاً عنهُ فانهُ لا يسكر ولا يعمل عملاً مخلاً بالادب . ترى الجنود ماشين في الشوارع طلقي المحيا غاضي الطرف كاكثر الناس تأدباً وظرفاً . واذا جلت في شوارع عاصمتهم فالغالب ان تراهم جالسين في القهاوي يشربون الشاي مع رفاقهم وهم يكلمونهم في شؤون مختلفة كأنهم من جمهور التجار او تراهم في المكاتب يطالعون الكتب والجرائد كأنهم من طلبة العلم

وينتظر من الجندي الياباني ان يتم تمرنهُ الحربي في اربعة اشهر ويصير اهلاً للنزول الى حومة الوغى . ويشمل تمرنهُ الالعاب الرياضيَّة وكيفية الطعن بحراب البنادق والوثب من فوق الخنادق وتسوُّر الاسوار . ويمشي الجنود على صوت البوق . والموسيقى اقل في العساكر اليابانية منها في غيرها . وتعليم ضباطهم تام اما اليابانيون فيحسبونهُ ناقصاً وهم يدرسون في ثلاث مدارس الواحدة فوق الاخرى في علومها واخيراً يدرسون دروساً خاصَّة حسب المنصب الذين يطلبون اليهِ

والامبراطور رئيس الجند كلهِ واليهِ المرجع في فض الخصومات والمنافسات بين اقسام الجندية وهي اربعة قسم الادارة الحربية وقسم التدريب الحربي وقسم المخابرات وقسم الاعمال الحربية . ووزير الحربية هو القائد العام ولا بدَّ ان يكون في رتبة جنرال وتحتهُ رئيس اركان الحرب يعينهُ الامبراطور وهو المسؤُول عن تعيين الموظفين

والبنادق اليابانية تصنع في اليابان في معمل توكيو حسب اختراع ياباني وكذلك المدافع يسبك اكثرها في مسبك اوساكا ومنها نوع سريع الطلقات اخترع في اليابان . ومعمل البنادق يصنع اربع مئة بندقية كل يوم و ٢٥٠ الف خرطوش وهناك تصنع القنابل ايضاً . والخيل الحربية تولد في اليابان واطباءُ الجيش من اليابانيين وعندهم جمعية لمساعدة الجرحى اسمها جمعيَّة الصليب الاحمر مثل الجمعية الاوربية

ومقدار النفقات الحربية العادية في ميزانية السنة الماضية اربعة ملايين جنيه والنفقات غير العادية مليون و ١٥٠ الف جنيه . وقد ثبت من الحرب الاخيرة في قمع ثورة البكسر ان وسائل نقل الامتعة والميرة والاخبار على اتمها وكذلك ادارة الجنود وآدابهم وحركاتهم الحربية . وبعثت اليابان ضابطاً من ضباطها الى جنوبي افريقية ليرى احوال الحرب هناك ويكتب الى دولتهِ بما يمكن ان يستفاد من ذلك حتى تتجنَّب الخطأَ الذي يرتكبهُ غيرها وتستفيد من التدابير الحربية الجديدة . ويقال ان هذا الضابط وكل الضباط اليابانيين ميالون الى الانكليز ويفضلونهم على غيرهم من الامم

وقد اجمع كتَّاب الصحف على ان سلوك الجنود اليابانية وقتما فتحت بكين كان افضل من سلوك غيرهم من الجنود الاوربية والاميركية فانهُ بينما كان كثيرون من الجنود الاوربية مشغولين

بالسلب والنهب كانت الجنود اليابانية واقفة في مراكزها الحربية لا تعبأ الاَّ بالخضوع لاوامر قوادها . وهاك ما بعث بهِ لورد سلسبري الى حكومة اليابان اظهارًا لاعجابهِ بالجنود اليابانية وحسن سلوكها وهو " ان حكومة جلالة الملكة تعرب عن اعجابها العظيم بالبسالة والكفاءة اللتين بدتا من الجنود اليابانية في الحرب الحديثة وكان لها اليد الطولى في نجاح هذه الحملة "

الاَّ ان فوز اليابان ومقامها السياسي يتوقفان على قوتها البحرية اكثر مما يتوقفان على قوتها البرية فقد ذكرنا في الجزء الماضي بين الاخبار العلمية انهُ اذا دللنا بالارقام على قوى الدول الحربية ونسبتها بعضها الى بعض على ما هي عليهِ الآن كانت انكلترا الاولى ولها العدد ٤٥٦ وفرنسا الثانية ولها العدد ١٦٢ وروسيا الثالثة ولها العدد ١٤٤ واليابان الرابعة ولها العدد ١٠٤ والمانيا الخامسة ولها العدد ٨٨ والولايات المتحدة الاميركية السادسة ولها العدد ٧٢ . فاليابان متوسطة بين روسيا والمانيا على حداثة عهدها . وقد انبأنا روتر بالامس ان وزير بحريتها صادق على بناء بوارج محمولها ١٢٠ الف طن تكمل في ستة اعوام وينفق عليها كل عام ٢٠ مليون ريال ياباني اي مليونان من الجنيهات المصرية وستكون اربع مدرعات و ٦ طرادات من الدرجة الاولى وبوارج اخرى اصغر منها . فالمدرعات تبنى في انكلترا والطرادات في انكلترا وفرنسا والمانيا والبواقي في اليابان " ومعلوم ان انفاق اثني عشر مليونًا من الجنيهات على بناء البوارج في ست سنوات مما تنوء تحتهُ دولة من الدول الاوربية الكبرى فاقدام اليابان عليهِ دليل على قوة وهمَّة فيها غير عاديتين . وقد نشأ اكثر الاسطول الياباني بعد الحرب مع الصين ولذلك فمدرعاتهُ على نسق واحد تقريبًا وهي كبيرة جدًّا سريعة السير سرعة البوارج منها ١٨ ميلاً بحريًّا في الساعة وسرعة الطرادات ٢٣ ميلاً ومحمول البارجة ١٥ الف طن او اكثر وقوة آلتها البخارية خمسة عشر الف حصان ومحمول الطرَّاد من طرَّاداتها نحو عشرة آلاف طن وقوة آلتهِ البخارية ١٨ الف حصان

وامنيَّة اليابان ان تكون الدولة الاولى بين دول المشرق وان تكون لها السلطة المطلقة في البحار الشرقية حتى لا تفوقها فيها سلطة دولة اخرى من دول اوربا . وفيها الآن دارا صنعة كبيرتان الواحدة في يوكاهاما والثانية في كوري لبناء السفن الحربية الكبيرة والصغيرة ولسبك المدافع وعمل القنابل . واكثر مدافعها من معمل ارمسترنغ الانكليزي ولكنها لا تبتاع مدفعًا من معامل اوربا ما لم تمتحنهُ وترى بالامتحان انهُ احسن ما يكون من نوعهِ

والبحَّارة والجنود في البوارج الحربية يؤْخذ نصفهم بالقرعة ونصفهم بالتطوُّع ويفضل رؤَساءُ البوارج ابناءَ المدن المتعلمين على غيرهم لسهولة تعليمهم الفنون الحربيَّة . والتعلُّم في المدارس

الحربيَّة دقيق جدًّا والامتحان صارم لايجوزهُ الَّا البارعون وهم يتعلمون على نفقة الحكومة ويتمرَّنون في سفن حربيَّة معدَّة لذلك وكل ضبَّاط البحريَّة يتكلمون اللغة الانكليزيَّة جيدًا وقد يتكلمون لغات اخرى معها

ويسهل على اليابان تنظيم قوَّتها البحريَّة وتكثيرها لان فيها مناجم غنيَّة بالفحم الحجري فان الفحم مصدر القوة ولا تفلح بلاد بغيرهِ في هذا العصر عصر البخار والكهربائية ولولاهُ لاضطرت ان تكون العوبة بيد الدول يعطينها الفحم في السلم ويمنعنهُ عنها في الحرب ولبعُد عن الاحتمال ان تناظرهنَّ او ان تجري في خطتهنَّ ولو في بحار المشرق

ويتلو الفحم الحجري وجود بحر واسع النطاق داخل بلادها تلجأُ اليهِ سفنها عند الشدة فتبقى فيهِ بأَمن الى ما شاء الله لان مداخل هذا البحر ضيقة تحميها الحصون المنيعة وهي ثلاثة يتعذَّر على العدو حصرها كلها معًا فتكون فيهِ البوارج في حرز حريز ولا تكون مقيَّدة مغلولة الايدي فتخرج وتدخل كما تشاء. والظاهر ان هذا الخاطر لا يخطر على بال اليابانيين لانهم يحسبون بوارجهم اقوى من ان تفرَّ من وجه عدو وان البحار التي حول جزائرهم لهم لا ينازعهم فيها منازع

وفي اليابان زيت البترول وهو مصدر آخر للقوَّة وقد جرَّب اليابانيون ايقادهُ بدل الفحم الحجري في بعض قوارب التربيد فاذا وفى بالغرض صارت لهم المزية الكبرى على الدول الاوربية في بحار المشرق . وهم يرقبون الآن تجارب الفرنسويين والانكليز في بناء الغوَّاصات واستعمالها حتى يحذوا حذوهم اذا نجحت

ويفضل رجال البحريَّة اليابانية البوارج الكبيرة على الصغيرة ما دامت الدول الاوربية تعتمد عليها لكي لا يكونوا دونها في شيءٍ لكنهم يفضلون ان لا يزيد محمول البارجة من بوارجهم على ١٥٠٠٠ طن . ويودُّون الاكثار من قوارب التربيد ومتلفات التربيد وهم يبنونها في بلادهم وفي اوربا ايضًا

ومِمَّا هو حريٌّ بالذكر ان الاسطول الياباني هو الاسطول الوحيد بين الاساطيل الحديثة الذي اشتبك في واقعة حربية نعم ان الاسطول الاميركي حارب في سنتياغو ومنيلا ولكن خصمهُ لم ينازلهُ الَّا مدة قصيرة واما الاسطول الصيني فنازل الاسطول الياباني مدة طويلة ولم يتغلَّب الياباني عليهِ الَّا بشق الانفس ولذلك يفتخر البحَّارة اليابانيون بان التجارب حنكتهم فهم اوفر خبرة من كل مَن سواهم. ومن الغريب ان الاسطول الصيني كان فيهِ عدَّة بوارج واما الاسطول الياباني فلم يكن فيهِ سوى الطرَّادات لكن البوارج الصينية لم تغلب من ضعفها بل من سوءِ ادارتها

وهاك اسماء احدث البوارج اليابانية وسرعتها اميالاً بحرية وغير ذلك مِمَّا يتعلق بها

الاسم	السرعة	سمك درعها	سنة بنائها	محمولها	قوة آلاتها البخارية
ميكاسا	١٩٫٦	٩ عقد	١٩٠٠	١٥٢٠٠ طن	١٥٢٠٧
هتسس	١٩٫١١	٩ «	١٨٩٩	١٥٠٠٠ «	١٤٧٠٠
اساهي	١٩	٩ «	١٨٩٩	١٥٢٠٠ «	١٥٢٠٧
شكيشيما	١٨	٩ «	١٨٩٨	١٤٨٠٠ «	١٤٧٠٠
ياشيما	١٩٫٢	١٨ عقدة	١٨٩٦	١٢٥٠٠ «	١٣٦٨٧
فوجي	١٨٫٥	١٨ «	١٨٩٦	١٢٥٠٠ «	١٣٦٨٧
			الطرّادات المدرّعة		
إدزومو	٢٢	٧	١٨٩٩	٩٨٠٠	١٤٧٠٠
اواتي	٢٢	٧	١٩٠٠	٩٨٠٠	١٤٧٠٠
اساما	٢٣	٧	١٨٩٨	٩٧٥٠	١٨٢٤٨
تُكيوى	٢٢٫٧	٧	١٨٩٨	٩٧٥٠	١٨٢٤٨
يكومو	٢٠	٧	١٨٩٩	٩٨٥٠	١٥٥٠٠
ازوما	٢١	٧	١٩٠٠	٩٤٣٦	١٦٦٠٠
تشيتوسي	٢٣٫٧٦		١٨٩٨	٤٧٦٠	١٥٧١٤
كساجي	٢٢٫٧٦		١٨٩٧	٤٧٦٠	١٧٢٣٥
بوشينو	٢٣٫٠٨		١٨٩٢	٤١٥٠	١٥٩٦٧
تكاساغو	٢٤		١٨٩٧	٤٣٠٠	١٥٩٦٧
نيتاكي	٢٠		١٩٠١	٣٤٢٠	٩٠٠٠
صوشيما	٢٠		١٩٠١	٣٤٢٠	٩٠٠٠

والاخيران مبنيان في اليابان ومدافع هذه البوارج والطرّادات كبيرة شديدة الفعل بعضها قطر فوهتهِ ١٢ عقدة وبعضها عشر عقد او ثمان عقد واكثرها سريعة الطلقات . ولم نذكر السفن الحربية التي بنيت قبل سنة ١٨٩٢ اي التي صار عمرها اكثر من عشر سنوات لان ليس لها شأن كبير عند الدول البحرية ولو كانت اليابان قهرت بها البوارج الصينية. وتركنا ايضاً بعض الطرّادات الحديثة امَّا لانها صغيرة او لان سرعتها اقل من عشرين ميلاً بحريًّا في الساعة وتركنا كذلك خمسة عشر من الطرّادات والبوارج التي غنمتها اليابان من الصين

وقد خطر لنا مرارًا ان نقابل الاسطول الياباني بالاسطول العثماني وكنَّا نطرد هذا الخاطر

لما نشعر بهِ من الخجل والاضطراب واخيرًا تجلدنا وفتحنا كتابًا حديثًا يبحث عن اسطول الدولة العثمانية فلم نجد بين سفنها الحربية التي بنيت بعد سنة ۱۸۸٥ سوى سفينة واحدة اسمها عبد القادر لم تتم حتى الآن وبقية السفن القديمة اريد تجديد واحدة منها في ايطاليا وواحدة في المانيا ودفع المال اللازم لتجديدها كلهُ او بعضهُ. واليك اسماء السفن الكبيرة وتاريخ بنائها ومحمول كل منها منقولاً عن كتاب السياسة لسنة ۱۹۰۱ وكتاب حقائق الاخبار عن دول البحار لسعادة اسمعيل باشا سرهنك ناظر المدارس الحربية المصريَّة

الاسم	تاريخ البناء	سمك الدرع	السرعة	المحمول	قوة آلتها البخارية
العزيزية	۱۸٦٤	٥ ۱/٤ عقدة	۱۲ ميلاً	٦٤۰۰	۳۷٤۰
المحمودية	۱۸٦٤	٥ ۱/٤ «	۱۲ «	٦٤۰۰	۳۷٤۰
العثمانية	۱۸٦٤	٥ ۱/٤ «	۱۲ «	٦٤۰۰	۳۷٤۰
الاورخانية	۱۸٦٥	٥ ۱/٤ «	۱۲ «	٦٤۰۰	۳۷٤۰
المسعودية	۱۸۷٤	۱۲ «	۱۳,٥ «	۸۹۹۰	۷۸۰۰
الحميدية	۱۸۸٥	۰۹ «	۱۳,٥ «	٦۷۰۰	٦۸۰۰
عبد القادر		۱٤ «		۸۰۰۰	۱۱٥۰۰۰
اثار التوفيق	۱۸٦۸	۰۸ «	۱۳,۳ «	٤٦۰۰	۳٥٦۰
عون الله	۱۸٦۹	۰٦ «	۱۱ «	۲۳۱۰	۲۲۰۰
فتح بلند	۱۸۷۰	۰۹ «	۱۳ «	۲۷۲۰	٤۲۰۰
معين الظافر	۱۸٦۹	۰٦ «	۱۲,٥ «	۲۳۳۰	۲۲۰۰
مقدم الخير	۱۸۷۲	۰۹ «	۱۲,٥ «	۲٦۸۰	۳۰۰۰

ويظهر من ذلك باجلى بيان ان هذه المدرعات كلها قديمة بطيئة السير لا تصلح للحروب الحديثة ولو اصلح بعضها حديثًا ولا تقابل بارجة واحدة من بوارج اليابان . فاين ذهبت ملايين الجنيهات التي استدانتها الدولة العلية والملايين التي اخذتها من مصر. واي امَّة حيَّة ترضى ان تكون على ابواب اوربا وسواحلها واسعة وجزائرها كثيرة وليس عندها بوارج تكفي لحمايتها

ورب قائل يقول ان النمسا متاخمة لنا وليس عندها اسطول بحري يذكر بالنسبة الى اساطيل الدول الاوربية . والجواب ان النمسا مستعزَّة بالمحالفة الثلاثية وعندها مع ذلك اسطول اقوى من اسطولنا بما لا يقدر فقد انزلت الى البحر في شهر مارس الماضي ثلاث بوارج كبيرة من الطبقة الثانية واربع بوارج من الطبقة الثالثة ونحو سبعين قاربًا من قوارب

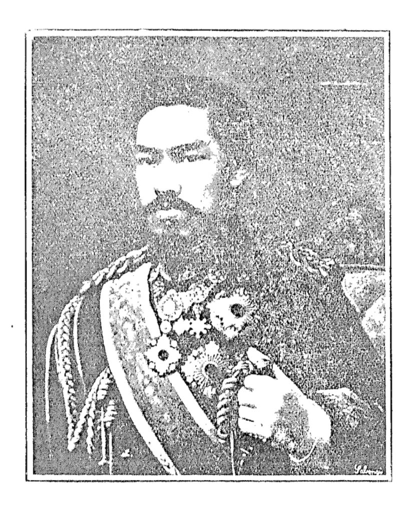
التربيد وهي تبني الآن ثلاث بوارج كبيرة وعندها من البوارج الحديثة ما تراهُ في هذا الجدول

اسم البارجة	سنة انزالها	سمك درعها	سرعتها	محمولها	قوة آلتها البخارية
ارباد	١٩٠١	٨٫٦ عقد		٨٣٠٠	١١٠٠٠
كارل السادس	١٩٠٠	١٠٫٦ «	٢٠	٦١٠٠	١٢٠٠٠
بابنبرج	١٩٠٢	٨٫٦ «		٨٣٠٠	١١٠٠٠
هبسبرج	١٩٠٠	٨٫٦ «		٨٣٠٠	١١٠٠٠
بودابست	١٨٩٦	١٠٫٦ «	١٧	٥٦٠٠	٨٠٠٠
ڤينا	١٨٩٥	١٠٫٦ «	١٧	٥٦٠٠	٨٠٠٠
المونارك	١٨٩٥	١٠٫٦ «	١٧	٥٦٠٠	٨٠٠٠
ماريا تريزا	١٨٩٣	٤ «	١٩	٥٢٠٠	٩٠٠٠
القيصر فرنسيس يوسف	١٨٩٠		١٩	٤٠٠٠	٩٠٠٠
القيصرة اليصابات	١٨٩٠		١٩	٤٠٠٠	٩٠٠٠

اما البوارج التي أُنزلت هذا العام فاقوى من البوارج المذكورة في هذا الجدول لان قوة الآلة البخارية في كلٍّ منها ١٤٠٠٠ حصان وسمك درعها ١٠ عقد وواضح من ذلك ان عمارة دولتنا لا تقابل بعمارة جارتها النمسا مع ما هو مشهور من ان النمسا ليست دولة بحرية وسواحلها البحرية قصيرة جدًّا

هذا ولنعد الى اليابان فنقول ان عندها غير ما تقدَّم من البوارج والطرادات المدرعة طرادات كثيرة محميَّة اي مدافعها ضمن ابراج تحميها وهي كثيرة سريعة السير قوية الآلات البخارية سرعة بعضها ٢٤ ميلاً بحريًّا في الساعة وسرعة البعض الآخر ٢٣ او ٢٢ ميلاً واكثرها حديث بني بعد الحرب الصينيَّة . وكانت قوة الآلات البخارية التي في اسطول اليابان سنة ١٩٠٠ في شهر يوليو ٣٠٩٣٥٨ حصانًا وعدد مدافعها ٨٩٥ وقد زادت بعد ذلك ولا تزال آخذة في الازدياد. وقوارب التربيد التي عندها تزيد سرعة بعضها على ٢٧ ميلاً بحريًّا في الساعة . و ٢٣ من سفن التجار تعطى للحكومة اذا احتاجت اليها وقت الحرب محمول الواحدة من ست عشرة منها ستة آلاف طن ومن البقية اكثر من ٣٣٠٠ طن

وجملة القول ان عند اليابان الآن ست بوارج كبيرة سرعة الواحدة منها ١٨ ميلاً بحريًّا في الساعة و ٨ طرادات كبيرة مدرعة سرعة الواحد منها نحو ٢٣ ميلاً بحريًّا وثماني طرادات مدرعة بعض التدريع سرعة الواحدة منها من ٢٠ ميلاً الى ٢٤ وكل بوارجها وطراداتها على



امبراطور اليابان

نسق واحد وهي ليست مضطرة ان ترسلها الى اماكن بعيدة لحماية املاكها فيها

قال المستر ستد الذي اعتمدنا عليهِ في كثير مما ذكرناهُ آنفاً انهُ كان في كوريا في العام الماضي ففاتتهُ سفينة البريد ورأى الاسطول الياباني عازماً على العودة الى بلاد يابان فبعث تلغرافاً الى عاصمة اليابان ليسمح لهُ بالسفر فيهِ وقال انهُ اول انسان من غير رجال البحرية وغير اعضاء العائلة المالكة سُمح لهُ بالسفر في سفينة حربية يابانية فنزل في الطراد اساما وكان في الاسطول بارجتان جديدتان وثلاث طرادات مدرعة وطراد محمَّى وقاربان من قوارب التربيد . ثم افاض في وصف هذه السفن ومدح ما شاهدهُ في رجالها من المهارة والتدقيق في الاعمال وكان النوءُ على اشدهِ فامال السفن على درجة ٤٥ لكنهُ لم يلحق بها اقل ضرر

هنا يقف القلم وعاملان يتنازعاننا اليأس والرجاء. اليأس لانهُ مضى علينا السنون الطوال ولم نعرف كيف نصل الى هذه العزّة والمنعة وفريق كبير منا من الذين اسلافهم كانوا ملوك البحار وقد طافت سفائنهم حول افريقية وبلغت اقاصي الهند والصين شرقاً واقاصي انكلترا غرباً وشمالاً . والرجاء لانهُ اذا استطاعت جزر اليابان ان تبلغ هذا الشأو في سنوات قليلة فلا يستحيل علينا ان نبلغ بعض ما بلغت اذا مهّدنا لانفسنا سبل النجاح وازلنا منها العراقيل وسنفصّل هذا الاجمال في فرصة اخرى

المريخ وترعهُ

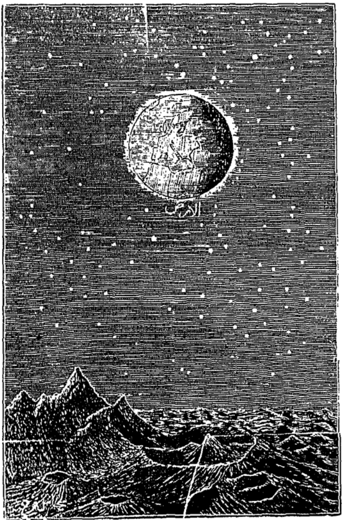
في الانتقال من الارض الى السماء نزهة لذوي الالباب فاذا ملَّ القراء ما نشرناهُ قبيل هذا عن العميان واساطيل اليابان وجدوا شيئاً من الراحة في الانتقال بافكارهم الى كواكب السماء وشاركوا الباحثين عنها في بحث لا يقوت احدًا ولا يكسوهُ ولكنهُ يلذُّ للعقول ويطيّب النفوس ويرفع الانسان من التعلق بهذه الدنيا وحطامها الى البحث عن سنن الكون التي تخضع لها عوالم كل عالَم منها يفوق عالمنا اضعافاً كثيرة . هناك يمتزج العلم بالفلسفة ويسهل الوصل بين الحياة والمعاد

وفي السماء نجوم بل عوالم لا عديد لها لكن سبعة منها لها نسبة الينا لا تقل عن نسبة الاخت الى اختها فانها كلها والارض معها بنات ام واحدة هي الشمس . وهذه الاخوات هي السيّارات السبعة نبتون واورانوس وزُحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد الاول والثاني لم يكونا معروفين عند القدماء من الاشوريين والمصريين والهنود واليونان والرومان والعرب

لانهما لا يُريان الاَّ بالتلسكوب وبين هذه السيارات نجيمات صغيرة لا ترى الاَّ بالتلسكوب ايضاً لصغرها وهي كثيرة عدُّوا منها نحو اربع مئة حتى الآن والسيَّارات اجرام كبيرة جدًّا أكثرها أكبر من الارض نراها صغيرة لبعدها الشاسع على حدِّ ما قيل

والنجم تستصغر الابصار رؤْيتهُ والذنب للطرف لا للنجم في الصغرِ

ولو كانت مسكونة ونظر من فيها الى ارضنا لرآها نقطة صغيرة كاصغر النجوم بل لو نظر اليها من



القمر وهو اقرب اجرام السماء الينا لبانت كما ترى في هذا الشكل كرةً صغيرة معلَّقة في الفضاء

وقد تساءل العلماء من قديم الزمان عن هذه السيَّارات هل فيها برٌّ وبحر كما في كرتنا الارضية وهل هي مسكونة مثلها وما شكل سكانها . وما عُرف عنها حتى الآن يمكن ادماجهُ في السطور التالية

السيار الاول نبتون وهو اقدم السيَّارات اي انهُ انفصل عن الشمس قبل غيرهِ من سيَّاراتها

المعروفة . قطرهُ اكبر من قطر ارضنا اربعة اضعاف وهو ابعد منها عن الشمس ثلاثين ضعفاً فان قطر الارض نحو ثمانية آلاف ميل واما قطر نبتون فنحو ٣٧٢٠٠ ميل وبُعد الشمس عن الارض نحو ٩٣ مليون ميل واما بُعد نبتون عنها فنحو ٣٧٩٤ مليون ميل والمعروف من امره حتى الآن قليل جداً لبعده الشاسع عنا ولم يتحقق علماء الرصد حتى الآن هل يدور على محوره وهل يتم دورتهُ كل بضع ساعات او بضعة ايام او بضع سنين لانهم لم يروا على سطحهِ علامات واضحة يمكن الاستدلال منها على سرعة حركتهِ في دورانهِ على محوره

ويستدلُّ من السبكتروسكوب (وهو آلة بديعة يعرف بها تركيب الاجرام السموية من النور الصادر منها او المنعكس عنها) ان حول نبتون هواء كثيفاً يختلف تأليفهُ عن تأليف هواء ارضنا لعلَّ فيهِ غازات كثيرة مما كان في هواء الارض في العصور الجيولوجيَّة الاولى

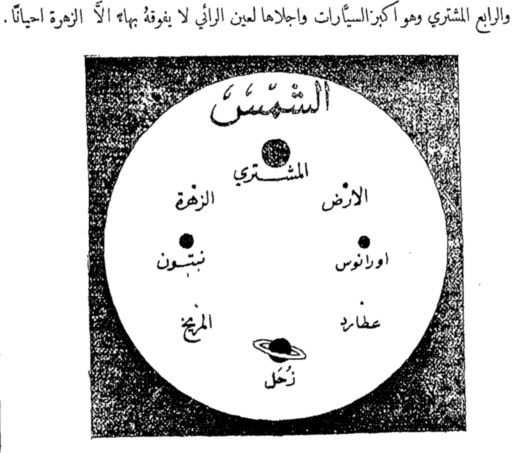
ومادة نبتون اخف من مادة الارض اي ان المتر المكعب منهُ يزن اقل من وزن المتر المكعب من ارضنا وهذا يدلُّ على ان حرارتهُ اشد من حرارة ارضنا لان الحرارة تفرق دقائق المادة فتصير لطيفة خفيفة . ولم يبرد هذا السيَّار حتى الآن كما بردت ارضنا مع انهُ اقدم منها كثيرًا وسبب ذلك انهُ اكبر من ارضنا كثيرًا فان الجسم الصغير يبرد قبل الجسم الكبير اذا تساوت بقية احوالها . وعليهِ فالمخلوقات الارضية لا تعيش فيهِ فان كان مسكونًا فسكانهُ ليست من نوع السكان في ارضنا لا من الحيوان ولا من النبات لانها كلها لا تحتمل حرارة فوق المئة درجة وتبقى حيَّة

الثاني اورانوس وهو كبير ايضاً قطرهُ اطول من قطر الارض نحو اربعة اضعاف فانهُ نحو ثلاثين الف ميل وهو ابعد منَّا عن الشمس تسعة اضعاف ومادتهُ خفيفة ايضاً اذا كان المتر المكعب من الارض خمسة اطنان فالمتر المكعب منهُ طن واحد . يظهر فيهِ بالتلسكوب مناطق سوداء حول جهاتهِ الاستوائية ويظهر بالسبكتروسكوب انهُ يحيط بهِ هواء كثيف مثل هواء نبتون . ويستدل من ذلك ان هذين السيَّارين نبتون واورانوس لا يزالان في حالة السيولة من شدَّة حموها فلا يصلحان لسكن الاحياء التي مثل الاحياء الارضية حيوانات كانت او نباتات

الثالث زحل وكان معروفًا من قديم الزمان لانهُ يرى بالعين وقد عرف القدماء انهُ سيَّار ولكنهم قالوا انهُ يسير حول الارض لا حول الشمس . ومزيتهُ الكبرى التي يختلف بها عن غيره من السيَّارات ان لهُ حلقات كثيرة تحيط بهِ احاطة الهالة بالقمر وهذه الحلقات مؤلفة من ملايين من الاجرام الصغيرة التي تدور حولهُ معًا ولكثرتها وقربها بعضها من بعض تظهر الحلقات بها كانها اجسام متصلة تحيط بالسيَّار لتزيد بها مجدًا وبهاء

وزحل كبير جدًّا اكبر من اورانوس واكبر من نبتون قطره ٧٥ الف ميل اي نحو عشرة امثال قطر الارض لكن كثافتهُ قليلة نحو ثمن كثافة الارض وتحيط بهِ غلالة من الغيوم الكثيفة المنيرة ترى فيها مناطق مظلمة موازية لخطهِ الاستوائي وتظهر فيهِ احيانًا نقطة لامعة تنفجر بغتةً مما يدلُّ على ان هذا السيَّار لا يزال حارًّا وسيمرُّ قرون كثيرة قبلما يبرد بردًا كافيًا لتعيش فيهِ الاحياء الارضية او ما يماثلها

والرابع المشتري وهو اكبر السيَّارات واجلاها لعين الرائي لا يفوقهُ بهاءً الاَّ الزهرة احيانًا .



الشمس الدائرة البيضاء والسيارات الدوائر السوداء وهي مرسومة حسب اقدارها

الهَهُ الاقدمون وحسبوهُ ابا الالهة وقال العرب انهُ سمي بالمشتري لانهُ اشترى الحسن لنفسهِ وهو قريب من الشمس يبعد عنها ٤٨٣ مليون ميل اي خمسة اضعاف بُعد الارض عنها لكن قطرهُ اكبر من قطر الارض احد عشر ضعفًا ومع قربهِ منا وكبر جرمهِ لا يرى فيهِ شيءٌ ثابت ينبئ عن احوالهِ بالتدقيق وغاية ما شوهد فيهِ حتى الآن مناطق موازية لخطهِ الاستوائي بعضها مظلم وبعضها منير ونقط لا تحصى بعضها مظلم ايضًا وبعضها منير ومنها بقعة كبيرة حمراء اللون ظهرت سنة ١٨٧٨ واشتدَّت حمرتها ثم زالت وتكاد البقعة كلها تختفي الآن . وتدلُّ الارصاد على ان سطح هذا السيَّار دائم التغير فهو غير جامد والمرجح انهُ لا يزال سائلاً مشمولاً بغلالة من الغازات

فلا يزال المشتري بعيدًا عن الحالة التي وصلت اليها الارض وهو مثل نبتون واورانوس وزحل من هذا القبيل لانهُ وان كان اقدم من الارض الاَّ انهُ اكبر منها كثيرًا ولذلك لم يبرد سطحهُ حتى الآن كما برد سطح الارض ولكن لا بدَّ من ان يأتي زمن يشعُّ فيهِ جانب كبير من حرارتهِ فيبرد سطحهُ ويصير مثل سطح الارض او ابرد منهُ

والخامس المريخ وهو اقرب الينا من المشتري وكذلك رصدهُ اسهل من رصد المشتري وكأَنَّ الطبيعة وضعتهُ على مقربة منا لنري فيهِ مثالاً على وحدتها ووحدة اعمالها كما قال فلامريون الفلكي الفرنسوي .

وهو اول سيَّار نفتخر عليهِ لانهُ اصغر من كرتنا الارضية فان قطرهُ اقل من ٥٠٠٠ ميل اي خمسة اثمان قطر ارضنا وقد انفصل عن الشمس قبل انفصال الارض عنها فهو اكبر من الارض سنًّا ولو كان اصغر منها حجمًا وهو في الدرجة التي بلغتها الارض ويجب ان يكون سطحهُ جامدًا فيهِ ماء او بخار مائي ولكونهِ ابعد منا عن الشمس يقابلنا وجههُ المنير ويتفق حينئذٍ ان يكون على اقل بعدهِ منا . وقد ظهر من رصدهِ مدة سنين كثيرة ان سطحهُ جامد ولا يبعد ان يكون ارضًا مثل ارضنا وعليهِ علامات او آثار ثابتة . وحول كل قطبة من قطبتيهِ بقعة بيضاء كبيرة لا تبقى مساحتها واحدة بل تتغيَّر فتتسع حينما يكون فصل الشتاء عندها واذا جاء الربيع اخذت تضيق فقطبتاهُ مثل قطبتي الارض وتظهران لنا كما تظهر قطبتا الارض لمن كان واقفًا في المريخ ولا يمكن الحكم البات ان هاتين البقعتين مغطاتان بالثلج والجليد بناء على ما تقدم من لونهما واتساعهما وضيقهما ولكن هناك ادلَّة اخرى ترجح ذلك وتجعلهُ في حد اليقين

واذا التفتنا الى اجزاء اخرى من سطح هذا السيَّار رأينا فيها علامات مظلمة وعلامات منيرة والمظلمة خطوط ضاربة الى الخضرة والمنيرة بقع كبيرة ضاربة الى الحمرة او الصفرة . وهذه اكثر من الاولى واوسع والمظنون الآن انها برور وان الاولى بحار او ان بعضها بحار والبعض الآخر مروج خضراء . وتكثر هذه العلامات قرب القطبتين ويكثر تقاطعها ونقط تقاطعها سوداء واضحة جدًّا وهي التي سماها شيارلي الفلكي الايطالي ترعًا او خلجانًا وسميت نقط تقاطعها واحات . وهذه الترع او الخلجان طويلة جدًّا طول بعضها مئات كثيرة من الاميال والكبيرة منها ثابتة في موضعها وتظهر احيانًا مزدوجة وتبقى كذلك مدة ثم تعود منفردة

ويظهر احيانًا في جو المريخ غيوم سابحة فيهِ وهي دليل قاطع على ان لهُ هواء فيهِ بخار مائي وهذه الغيوم تمرُّ فوق سطحهِ مرَّ السحاب وترى من خلالها اشعَّة منيرة يظن انها انعكاس نور الشمس عن جوانب الصخور او الاماكن المغطاة بالثلج ويرى عند حدهِ نواتئ تدل على ان سطحهُ

غير مسطح بل فيهِ جبال ووهاد

قلنا سابقاً ان الثلج يأخذ في الذوبان عن قطبتيهِ حينما يدخل فصل الربيع . ويؤيد ذلك انهُ يظهر حينئذ عند كل قطبة بقعة سوداء تمتد الى جهة خط الاستواء كأن ماء الثلج يصير بحراً غامراً . وحينئذٍ يزيد عدد الخلجان وتزيد وضوحاً ويقلُّ وضوح ما بينها من البرور . وذلك يشبه فيضان الماء على سطحهِ في فصل معلوم من السنة لتروى بهِ سهولهُ ويحيا نباتهُ . ويؤيد هذا ما يرى من اختلاف الالوان على سطحهِ فان الاخضرار الضارب الى الزرقة يتدرَّج من القطبتين الى نحو خط الاستواء ويشتدُّ دكنةً من الربيع الى الصيف ثم يزول في الخريف. فالبقاع التي لونها ازرق ضارب الى الخضرة مروج خضراء احياها الماء وظل في جريانهِ الى ان بلغ الانحاء الاستوائية

يظهر من ذلك ان هذا السيَّار شبيه بارضنا من وجوه كثيرة ولكن السحاب غير كثير في جوّهِ ولا هو كثيف فيهِ دلالة على ان الحرَّ والبرد هناك اشد مما هما عندنا

وخلاصة ما تقدَّم ان ما يُعلَم حتى الآن من احوال المريخ يدلُّ على ان سكن الاحياء فيهِ ليس من المستحيلات او على ما ستصير اليهِ الارض بعد زمن طويل حينما يقل البخار المائي في هوائها فلا يعود قادراً على حفظ القدر الكبير من حرارة الشمس

هذه خلاصة ما كتبهُ المستر وليم لكير حديثاً عن هذا السيَّار الاَّ ان الناظر في شكل خلجانهِ او ترعهِ وانحنائها وتقاطعها بعضها مع بعض كأنها دوائر تدور حول مراكز معلومة يحسب انهُ يرى جسماً متبلوراً او متشققاً تشققاً طبيعياً بلورياً فان كان فيهِ مخلوقات عاقلة فيدُ الطبيعة غالبة على يدهم والاَّ فقد اتقنوا الصناعة الى حد يفوق ما وصلنا الينا في ارضنا

وبالتقدم من المريخ نحو الشمس نصل الى الارض ثم الى الزهرة وهي ابهى الكواكب كلها لا يفوقها بهاء الاَّ الشمس والقمر وترى للواقف على سطح الارض كالقمر هلالاً وبدراً وما بينهما لكنها تكون هلالاً حينما تكون قريبةً منَّا وبدراً حينما تكون بعيدةً ولو كانت بدراً وهي في اقرب مواقعها منَّا لزاد نورها نوراً وبهاؤُها بهاء . وعلى وجهها علامات غير واضحة وجوُّها كثيف وتتغطَّى قطبتاها بالثلج كما تتغطى قطبتا المريخ وجوُّها يشبه جوَّنا لكنهُ اكثف منهُ او اكثر بخاراً ويدلُّ على انها الآن كما كانت الارض في العصور الخوالي ولكن قربها من الشمس يزيد حرارتها ويرجح انها صارت متقدمة على الارض في نشوئها

وبعد الزهرة يأتي عطارد ويستدلُّ من رصدهِ انهُ صار خاوياً خالياً كالقمر على حداثة سنهِ لا ماء فيهِ ولا هواء وهو في الحالة التي ستصل اليها ارضنا يوماً ما

منزلة الشعر من التاريخ

(٦)

بعض اخبار ملوك العرب وملوك الامم الاخرى الذين اشتهروا عندهم

فمن اخبار الامم العربية ما جاء في شعر الاعشى ميمون

ألم تروا ارماً وعاداً افناهم الليل والنهار
وقبلهم غالت المنايا طسماً فلم ينجها حذار (١)
وحلّ بالحيّ من جديس يوم من الشر مستطار
واهل جوّ اتت عليهم فافسدت عيشهم فباروا (٢)
وصبّحتهم من الدواهي نائحة عقبها الدمار
ومرّ دهر على ديار فهلكت جهرة وبار

وهو قول لا مراء بانهُ تاريخ اقوام انقرضوا وهم طسم وجديس وكانا قبيلتين من عاد وداعي هلاكهما هو ان الملك كان من بني طسم فجار في جديس واستباح المحرّمات كما يؤيد ذلك ما جاء في شعر الشموس عميرة بنت غفار الجديسية فكبر ذلك على هذه الفتاة وقالت في امرها قصيدة اثارت في رؤوس رجال قبيلتها نخوةً فعمدوا الى الايقاع بطسم . واليك بعض ما قالت

فلو اننا كنّا رجالاً وكنتمُ نساءً لكنّا لا نقيمُ على ذلِّ
فبُعداً وسحقاً للذي ليس مانعاً ويختال يمشي بيننا مشية الفحل (٣)
فموتوا كراماً او اميتوا عدوّكم ودبّوا لنار الحرب بالحطب الجزلِ (٤)

ولم يلبث قومها ان مكروا بطسم ففتكوا بها شرَّ فتكة

وقال عدي بن زيدٍ في الاكاسرة واستطرد الى المناذرة

اين كسرى تاج الملوك بني سا سان ام اين قبلهُ سابورُ
واخو الحضر اذ بناهُ واذ دج لة تُجبى اليهِ والخابورُ (٥)
شادهُ مرمراً وجلّلهُ كلـ ساً وللطير في ذراهُ وكورُ
وتذكّرْ ربَّ الخورنق اذ أشـ رف يوماً وللهدى تفكيرُ

(١) غالت اهلكت (٢) باروا هلكوا (٣) سحقاً اي حرقاً وبعداً ويختال يتكبر ويتبختر
(٤) الحطب الجزل الغليظ العظيم منهُ (٥) الجباية جمع الخراج

سرّهُ مالهُ وكثرة ما يـ ـلك والبحر معرضًا والسديرُ
فارعوى قلبهُ فقال وما غبـ ـطة شيءٍ الى المات يصيرُ (٦)

وقال زهير بن ابي سلمى وقد تطرَّق الى ذكر النعمان وحادثة إغضابهِ كسرى ابرويز

أَلم ترَ انَّ الله اهلك تبَّعًا واهلك لقمان بن عادٍ وعاديا
واهلك ذا القرنين من قبل ما ترى وفرعون اودى جندهُ والنجاشيا (٧)
أَلم ترَ للنعمان كان بنجوةٍ من الشرّ لو أَنَّ امرءًا كان ناجيا
فغيَّر عنهُ رشد عشرين حجة من الدهر يوم واحدٌ كان غاديا

وقال النابغة الذبياني ذاكرًا بعض ملوك غسان

هذا غلامٌ حسنٌ وجههُ مستقبل الخير سريع التمامْ
للحارث الاكبر فالحارث الـ أَعرج فالاصغر خير الانامْ
ثم لهندٍ ولهندَ التي جدَّات صدق وجدود كرامْ
خمسة آباءٍ همُ ما همُ همْ خير مَن يشرب ماءَ الغمامْ

وكان جذيمة بن مالك بن فهم الازدي المعروف بجذيمة الوضاح او الابرش من اشدّ ملوك العراق صولة وابعدهم مغارًا وقد صلى العالقة المتاخمين في الجزيرة واعالي الفرات حربًا عوانًا ففتك بهم فتكًا ذريعًا وقتل ملكهم فخلفتهُ ابنتهُ واسمها الزبَّاء فهذه احتالت على جذيمة حتى قبضت عليهِ فثأَرت منهُ بوالدها . وكان لجذيمة وزير اسمهُ قصير بن سعد اللخمي فلم يزل يمكر بها حتى ثأَر منها بمولاهُ وفي ذلك يقول عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ابن اخت جذيمة وقد ذكر ما كان من مكاشفة خالهِ الملك وزراءهُ لمَّا خطب الزباء قال

أَلا يا ايها الغرّ المرجّى أَلم تسمع بخطب الأَولينا
دعا بالبقَّة الوزراء يومًا جذيمة يستشير الناصحينا (٨)
فطاوع امرهم وعصى قصيرًا وكان يقول لو نفع اليقينا
ففاجأَها وقد جمعت جموعًا على ابواب حصنٍ مصلتينا (٩)
وحكَّمت الحديد براهشيهِ فأَلفى قولها كذبًا ومينا (١٠)
فبات نساؤهُ ثكلاً عليهِ مع الابناء يعلين الانينا

(٦) ارعوى كفَّ ورجع (٧) اودى هلك (٨) البقة موضع بالعراق قريب من الحيرة قيل انهُ على شاطىءِ الفرات (٩) مصلتين اي مصلتون السيوف واصلات السيف تجريدهُ
(١٠) الراهشان عرقان في باطن الذراع

فولّى انفهُ الموسى قصير ليخدعها وكانَ بهِ ضنينا
مخاتلة ابنة الريّانِ مكرًا فاذهل عقلها الواسي في الرصينا
اتتها العيرُ تحمل ما دهاها رجالاً في المسوح مسوَّمينا [1]
ففاجأها على الانفاق عمرٌو بشكتهِ ولم تخشَ الكمينا [2]
فجلّلها عتيق الحدّ عضبًا يشق بهِ الحواجب والجبينا

وهذه الابيات فضلاً عن انها تتضمَّن رواية ما كان من امر جذيمة والزباء وقصير وعمرو تعرب عن امورٍ شتى منها (اولاً) ان ملوك العرب كانوا يستوزرون و يشاورون الوزراء واذا اختلف رأي الوزارة فالعمل برأي الفريق الاكبر (ثانيًا) ان العرب اجازوا الضرار اي تعدد الزوجات بدليل ان جذيمة اراد التزوج بالزباء وهو ذو زوجات (ثالثًا) علمنا منهُ ان ابا الزباء كان يسمى او يلقب بالريَّان (رابعًا) افادنا ان الانثى كانت عند العرب ترث الملك كالذكر اذا لم يكن للملك نسلٌ من الذكور وهو نظام يجري عليهِ في هذا العصر المتمدّن بعض الامم الحائزة اعلى منزلة رفيعة من ادراك حقائق الهيئة الاجتماعية والعمل بموجبها

اما عمرو بن عدي قائل هذه الابيات فهو ابن رقاش اخت جذيمة الابرش . ووالدهُ لم يكن من الملوك بل كان صنيعة الملك خالهِ ومتولي شرابهِ وكان جذيمة قد زوَّجهُ اختهُ في حالة سكرهِ فلما افاق من نشوتهِ وعلم بما كان دخل الى خدر رقاش وقال لها

خبريني وانتِ غير كذوبِ احبرٍّ زنيتِ ام بهجينِ
ام بعبدٍ فانت اهل لعبدٍ ام بدونٍ فانتِ اهل لدونِ

فاجابتهُ اختهُ

انت زوَّجتني وما كنت ادري واتاني النساء للتزيينِ
ذاك من شربك المدامة صرفًا وتماديك في الصبا والمجونِ

وقول جذيمة المورد معنا يؤيد ما يروى عن انفة العرب من تزويج كرائمهم بغير الاكفاء كما جاء في شعر المهلهل عدي بن ربيعة التغلبي فانهُ لما أُجبر على تزويج احدى بناتهِ بغير كفءٍ قال

لو بأبانَينِ جاء يخطبها ضُرّج ما انف خاطبٍ بدمِ [3]

وانفة العرب من هذا الزواج كانت لا تتخطى الاستياء . واما بعض الامم القديمة كالرومانيين واليونانيين فاننا نجد في شرائعهم القضاء بقتل الرجل اذا كان من غمار الناس واقترن بفتاة تنتسب

(١) العير الابل تحمل الميرة . المسوَّمين المعلمين بعلامات يعرفون بها وهي من خصائص الشجعان
(٢) الشكة السلاح (٣) ابانان جبلان الواحد لبني اسد والاخر لبني فزارة

الى بيت نبيل فالعرب اذن اعدل منهم حكومة واهدى وجهة الى محجة الصواب

وقد ولي عمرو بن عدي (ابن اخت جذيمة الوضاح) الامر دون بني خالهِ وانقادت لهُ العرب وخلّف اريكة السلطة لبنيهِ واعقابهِ الذين يُسمون بآل محرّق واليهم يشير الاسود بن يعفر الدارمي بقولهِ .

ماذا تؤمل بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم وبعد ايادِ
اهل الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذي الشرفات من سندادِ[٤]
نزلوا بانقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من اطوادِ
جرت الرياح على رسوم ديارهم فكأنهم كانوا على ميعادِ
ولقد غنوا فيها بانعم عيشةٍ في ظل ملك ثابت الاطوادِ[٥]
فاذا النعيم وكل ما يُلهى بهِ يوماً يصير الى بلى ونفادِ

وكانت العرب تعرف فرعون يوسف وتسميهِ الريّان قال الاعشى ميمون

ولأنت أجودُ بالعطاء من الـ ريّان لما ضنّ بالقطرِ

وفاعل ضنّ محذوف لقرينة الشهرة تقديرهُ الافق . ومراد الاعشى في قولهِ الاشارة الى استحياء الناس في زمن القحط الذي انتاب بلاد مصر وسواها في زمن فرعون يوسف وهو اشهر من ان يذكر

وذكر النابغة الذبياني سليمان الحكيم في اثناء امتداحهِ النعمان بن المنذر اللخمي قال

ولا ارى فاعلاً في الناس يشبههُ ولا احاشي من الاقوام من احدِ
الاّ سليمان اذ قال الالهُ لهُ قم في البريّة فاحددها عن الفندِ[٦]
وجيّش الجنّ اني قد اذنتُ لهم يبنون تدمرَ بالصفاح والعمدِ

وكلام النابغة هذا يتضمن اموراً اولها عظمة الملك النعمان وهذا ما يجوز ان لا نثق بهِ لان الشعراء اذا عمدوا الى مدح ذوي التيجان أثنوا عليهم بصفاتهم وبغير صفاتهم وانما يؤخذ كلام الشاعر كأمرٍ تاريخي موثوق بهِ اذا كان الملك ميتاً ومدحهُ الشاعر على غير تزلفٍ الى احدٍ من اعقابهِ ولا لغاية خاصة كأن يكون ممن يتصل نسبهُ بهِ كما نجد في مقصورة ابن دريد في امتداح سيف بن ذي يزن . واما مدح الملك الحي فلا نثق بهِ الاّ مع وجود القرائن الدالة على صدق تلك الاقوال .

---

(٤) الخورنق اسم قصر بناهُ النعمان الاكبر والسدير اسم نهر وقيل اسم قصر . وبارق موضع قريب من الكوفة . وسنداد ايضاً موضع (٥) غني القوم في ديارهم اذا طال مقامهم فيها

(٦) حدّها منعها والفند العجز وهنا بمعنى الفساد وفي البيت القلب اي وامنع الفند عنها

والامر الثاني عزو بناء تدمر الى سليمان الحكيم وهو يوافق ما جاء في التوراة ونصهُ هكذا "وبنى سليمان جازر وبيت حورون السفلى وبعلة وتدمر في البريّة" ولكنّ المؤرخين قد اجمعوا على ان تدمر اقدم عمرانًا من ايام سليمان. وقد صرّح صاحب المرآة الوضيّة الفيلسوف فان ديك ان مراد الكتاب هو ان سليمان حسّنها وزاد في ابنيتها . قلتُ وعلى هذا الوجه يتخرّج ما قالهُ احد مؤرخي العرب ان جبلة بن الايهم الغسّاني بنى جالق اي دمشق وهي اقدم من عصره فكأنَّ المؤرخ اراد ان يبالغ في ما اجراهُ جبلة فقال بنى بدلاً من ان يقول حسّن وزاد وتحسين المدن القديمة حتى تكاد تنسب لمحسنيها من صفات ذوي السلطة من المتقدمين كسليمان ومن المتأخرين كالخديوي توفيق الذي اولى مدينة حلوان من اهتمامهِ مايسوّغ للمؤرخ ان ينسب بناءها اليهِ مع انها كانت قبلهُ بمئين من السنوات

والامر الثالث مما يستفاد من كلام النابغة هو اعتقاد العرب بالجن وانهم هم الذين بنوا تدمر وهذا لا يطابق الكتاب المقدَّس اذا أُخذ على حقيقتهِ ولكنهُ اذا أُخذ على معنى مجازي اي استخدام مهرةٍ فاقوا بمهارتهم حتى كادت قواهم العقلية تعدُّ غير بشرية صحَّ المعنى

وبهذه الفقرة كفاية لتأييد ما ذهبتُ اليهِ من امكان استخراج الامور التاريخية من الشعر وانتقل الى ايراد بعض ما لهُ منزلة خاصَّة من عادات العرب واخلاقهم وصنائعهم الى غير ذلك

امين ظاهر خير الله

عروسة النيل

الفصل الحادي والاربعون

زُجَّت باولين ووضعها في سجن منف سجن القتلة والمجرمين كأنها انت امرًا ادًّا او ارتكبت جناية فظيعة فلما ارخى الليل سدولهُ استولى عليها القلق والقنوط وعبث بها اليأس حتى كاد الجنون يتولَّاها فاذا اطبقت اجفانها وران الكرى عليها علت ضجة المسجونين وجلبتهم في غرف السجن الأُخرى فافاقت مذعورة كمن يفيق من حلم مخيف وفيما هي كذلك سمعت وطأ اقدام في الغرفة التي فوق غرفتها فقالت في نفسها ترى من التعيس الذي جاء بهِ سوء بختهِ الى هذا المكان فان السفلة من المجرمين لا يسجنون في هذه الطبقة ونحو نصف الليل سمعت نقرًا على القيثارة وقع في نفسها احسن موقع حتى حسبتهُ بلسمًا لجراح نفسها فنهضت من فراشها ودنت من النافذة فالقت رأسها على حديد الشبَّاك واصغت فسمعت السجين يحادث السجَّان فراعها

صوتهُ وخفق قلبها وتبادر الى ذهنها انهُ اوريون ولم تلبث ان سمعت السجان يناديهِ باسمهِ فتحقق ظنها وظلاَّ كذلك ساعة ثم اقفل السجان باب الغرفة وانطلق في سبيلهِ ودنا اوريون من النافذة يتنشق الهواء فلما ايقنت ان لا رقيب نادتهُ بصوت رخيم فاجابها وناداها وهو لا يكاد يصدق ما يسمع ثم قال انتظريني فصمتت منتظرة ما يكون وهي تحسب الدقائق اياماً فناداها ثانيةً وقال خذي فمدت يدها وامسكت لوحاً دلاَّهُ اليها بوترٍ من اوتار قيثارتهِ فقالت ليت لي نوراً استضيءُ بهِ ثم ربطت وردتين من الباقة التي ارسلتها اليها هيلانة وقالت انتشل ففعل ولما امسكهما شكرها وعمد الى قيثارتهِ فنقر عليها دوراً شجياً ولم يزد لان السجان حظر عليهِ العزف في الليل ولما عادت باولين الى مضجعها دسَّت الرسالة تحت وسادتها ونامت

هو الحبّ يهزأُ بسلاسل الاسر وقيود السجن فيمزّق نورهُ غياهب الظلمة ويخفف ثقل المصايب والنوازل . فتًى وفتاة لم يذوقا مرارة الاسر ولم يعرفا طعم الهوان والذلّ فلما زجّا في السجن احسّا ان السعادة فارقتهما وان التعاسة خيمت بجناحيها عليهما فما هو الاَّ ان ايقنا الواحد بقرب الآخر حتى تبددت احزانهما واشرقت شمس افراحهما وذهلا عما يحيق بهما من الخطر كانهما في امنع الحصون لا في قرارة السجون فعاود باولين نضارتها واشرق وجهها وردَّ الى اوريون همتهُ ونشاطهُ

وفي صباح الغد دعيت باولين الى المجلس لمحاكمتها فلما رآها القضاة ووجهها يتدفق فرحاً وحبوراً دهشوا حتى القاضي عثمان فانهُ جزع اذ شهد منها هذا الابتهاج لعلمهِ بما امامها من الخطر فقد كان لدى المحكمة من الادلَّة ما يؤيد التهمة عليها وكان نصف القضاة من المصريين لان المتهمة من سكان منف ونصفهم الآخر من العرب لاتهامها بالاشتراك في قتل جندهم وكان عثمان يعلم حق العلم ان القضاة المصريين يقضون على المتهم بالموت اذا كان من ابناء الكنيسة الملكية واحسَّ انهم يريدون الايقاع بالفتاة لاسباب خفيت عليهِ فازداد اضطرابهُ وابصر بين الحضور ابولون فتأملهُ ملياً لعلَّهُ يقف على علة حضورهِ فاذا بهِ يرشق باولين بنظرات تشف عن الغيظ الشديد وحب الانتقام

ولمَّا سئلت عما عُزِي اليها اصرَّت على ما قالتهُ قبلاً واثبتت بالبينة انها لم تفارق منف وانها كانت في بيت روفينس في نفس اليوم الذي قتل فيهِ جند العرب فسرَّ عثمان بما قالتهُ وتفاءل بهِ لكنها لم تكد تفرغ من الكلام حتى وقف عبادة فدفع الى عثمان اللوح الذي وجدهُ في غرفة اوريون قبل ان احترق القصر فقرأهُ المترجم وعرَّبهُ فسألها القاضي عمَّا تعرفهُ من امرهِ وكانت تجهل وجود هذا اللوح كل الجهل فقالت لا يخفى عليكم ان الراهبات من بنات مذهبي وجنسي

فلا غرو اذا تمنيت لهنَّ الخير ودعوت لهنَّ بالفوز على البطريرك وكلكم يعلم ان المقوقس واعضاء مجلس منف كانوا من انصارهنَّ ولم يتداخل العرب في شؤونهنَّ علمًا منهم بما لهنَّ من الفضل على المرضى وذوي الاسقام والعاهات وما قمن بهِ من الخدمات الجليلة ايام الاوبئة وتفشي الامراض . فوقع كلامها موقعًا حسنًا من نفوس القضاة لاسيما المسلمين منهم وخال عثمان ان نجاتها اصبحت في حكم الممكن فامر ان يؤتى باوريون للاستفهام منهُ عن مغزى الرسالة والغرض منها فجيء بهِ ولما وقعت عينهُ على عين باولين ارتبك ارتباكًا شديدًا وسُئل عن اللوح فاعترف بانهُ كاتبهُ وقال ان ما فيهِ اشارة الى ما كان يتهدد الراهبات من الخطر الذي حاق بهنَّ ثم قال صحيح انني رفضت اسعافهنَّ ولكني كنت مستعدًّا لبذل ما في وسعي في سبيل انقاذهنَّ حين تعرض الفرصة المناسبة مستعينًا على ذلك بعامل الخليفة فقد كان يرتإي ما ارتآهُ المرحوم والدي في حياتهِ من وجوب الدفاع عنهنَّ . فقال ابولون يا لهُ من فتى ذكي . فضحك عبادة وقال ايها القضاة لايخدعنَّكم من هذا الفتى كلامهُ البليغ وحسن بيانهِ فهو خبٌّ بينهُ وبين هذه الفتاة روابط شديدة وعندي الدليل على صحة ما اقول فهو القيم عليها والوصيُّ على اموالها وفضلاً عن ذلك . . . . فقاطعتهُ باولين وقالت حسبك ما قلت وقد فهمت تعريضك وادركت الغرض الذي ترمي اليهِ فاسمعوا جميعًا ان ابن المقوقس خطيبي . فصاح اوريون وقد افعم قلبهُ سرورًا وقال لقد سمعتم ماقالت فذلك اسعد امانيَّ واعظمها فابنة توما خطيبتي فذعر القضاة المصريون وتنبهوا كمن اصابهُ صيّب ماء بارد فقال احدهم أنسيت اباك يافتى فهبهُ حيًّا اتراهُ يرضى عن زواجك بملكيَّة وقد قتل الملكيون اخويك وسفكوا دمهما . فاجاب اوريون ان ابي بارك اقتراننا على فراش الموت فقال آخر ان صحَّ ما تقول فقد اصاب البطريرك اذ نهى الكهنة عن الاحتفال بجنازتهِ ولعمري ان هذا الخبر من اغرب الغرائب . لكنَّ هذا الكلام وامثالهُ ذهب كرجع الصدى فلم يفقه لهُ المحبَّان معنًى وحينئذٍ عادت المحاكمة الى مجراها بين اتهام ودفع حتى اوشكت ان تختم فوقف ابولون وخاطب القاضي وقال ان لديهِ امورًا تختص بالقضيَّة وقد تهمهم معرفتها فلما رأتهُ باولين سُرّي عنها ظنًّا منها بأن صديق فيلبس لا ينوي لها سوى الخير فقال ابولون في صباح الليلة التي فرَّت الراهبات فيها ذهبت باولين الى الدير فقرعت اجراسهُ . ثم دار اليها وقال ادفعي هذه التهمة اذا قدرت فعندي غيرها . فنزل كلامهُ عليها كالصاعقة ورأت ان الخطر تجاوزها الى زوجة روفينس وابنتهِ . فقال القاضي وعلامَ قرعتِ الجرس فاجابت فعلتُ ذلك تسهيلاً لفرار الراهبات فاني احبهنَّ . فصاح عبادة انها فعلت ذلك لتخدعنا نحن حكام هذه البلاد فسفكت دم اولئك الرجال . فاومأ اليهِ القاضي بالسكوت ودعا المحامي عن باولين الى

الدفاع عنها وكان هذا قد اعدّ دفاعًا منمق الالفاظ كعادة المحامين في ذلك العصر فاخرج القرطاس وتلاهُ فذهب كلامهُ ادراج الرياح واقرّت المحكمة على اعتبارها مجرمة ثم اخذ القضاة ينظرون في تعيين العقاب فتلا القاضي عثمان خلاصة القضية واشار بالايجاز الى ما ثبت من اتهام باولين بمساعدة الراهبات والسعي في انقاذهنّ الى ان قال وقد ثبت ايضاً انها لم تكن معهنّ يوم الواقعة ولا يستغرب ما فعلتهُ من فتاةٍ متعبدة سعت في انقاذ اخواتها في الايمان من الاضطهاد . وكان يتكلم والبلاغة تنفجر من فيهِ رغمًا عن اعتراض عبادة حتى اقنع جلّ قضاة المسلمين بوجوب الرأفة فلما اقترعوا حكم القضاة المسيحيون بالاعدام بالاجماع وخالفهم قضاة المسلمين الاّ واحدًا فصدر الحكم بالاعدام. ولما سمعهُ اوريون صار الضياء في عينيهِ ظلامًا حتى لم يعد يعي على شيءٍ فدنا منهُ عبادة وقال باليونانية سيأتي يومك قريبًا يا ابن المقوقس . فهمّ اوريون باجابتهِ ولكنهُ التزم الحذر ورأى السكوت من الحكمة فدنا منهُ عثمان وقال اصبت في ما فعلت فالنسر لا يستطيع ان يحلق في قفصهِ كما لو كان في الهواءِ ثم اومأ الى الحراس بردّهِ الى السجن واقترب من باولين فقال لقد حكموا عليكِ ايتها الفتاة النبيلة على ان في وسع مولانا الخليفة نقض حكمهم والعفو عنكِ وقد عزمت انا وبعض اصدقائي على رفع الامر اليهِ . ولما انصرفت التفت الى من حولهُ فقال ارى فؤادي يقطر دمًا وقد كلفني النطق بهذا الحكم عناءً جزيلاً

الفصل الثاني والاربعون

وتبع ابولون عبادة بعد خروجهما من المجلس فطلب اليهِ ان يأذن لهُ في مفاوضتهِ على حدةٍ ففعل ولما خلا بهِ اطلعهُ على ما دبّر لباولين طالبًا مساعدتهُ على اتمام العمل فاستحسن عبادة رأيهُ الاّ انهُ شرح لهُ ما يعترضهما من العقبات فعمد ابولون الى التزلف والاقناع فلم يفلح واخيرًا قال لعبادة اذا منحتني مبتغاي اعطيتك ما يثبت التهمة على اوريون فلا يبقى لهُ امل في النجاة قال وماذاك قال هذا وناولهُ لوحًا من الشمع . ومن خبر هذا اللوح ان ابولون قبل دعوة روفنيس بعد سفر الطبيب فهجر منزلهُ واتخذ بيت الارملة مسكنًا فنقل امتعتهُ وطروسهُ اليهِ فوضعها جميعًا في مكتبة كانت خاصة بباولين ولما فتح المكتبة عثر على رسالة خطها اوريون وارسلها الى باولين يوم جاء الى بيتها مودعًا واستبطأها فقال فيها انهُ ذاهب لوداع عمروٍ وكانت الكتابة محوة الاّ جزءًا منها فيهِ الكفاءة لاثبات اشتراك اوريون في اعداد المعدّات ونحوها فلما اطلع عبادة على ما في اللوح سُرَّ بهِ وقال لابولون امر باولين اليك فافعل ما تشاءُ . ودعا السجان اليهِ وقال اذا نجا هذا السجين من يدك فدمك هدر ثم امتطى جوادهُ وسار في سبيلهِ. اما ابولون فركب حمارهُ وذهب توًّا الى مجلس منف فطلب من الرئيس ان يدعو الاعضاءَ

لعقد جلسة في ذاك المساء وعاد الى مسكنهِ الجديد فدخل غرفتهُ فاذا بها مكنوسة نظيفة وقد رشت ارضها بالماء وصفّت الازهار على الموائد ورتبت الطروس والدفاتر في اماكنها فارتاح لجميع ما رأى واخذ يفرك يديهِ فرحاً وبعد هنيهة جاءت ماري تدعوهُ الى الغداء فامسك بيدها ونزل الى حيث كانت النساء لحياهنَّ وقد ابرقت اسارير وجههِ وانبعث الفرح من عينيهِ فاخذ يطرفهنَّ بالنكات والاحاديث ويقابل بين سوء معيشتهِ في الماضي ورخاء عيشهِ في بيتهنَّ ثم دار الى هيلانة فقال ومتى عاد الحبيب فيلبس كمل عددنا فكنا كنجم مصري مخمَّس لجميع نجوم المصريين المنقوشة على الحجر او المصورة مخمسة. فصاحت ماري وقالت اذاً آمل ان نكون حينئذٍ نجماً مسدساً اذ يحدث ان تعود الينا الحبيبة باولين. فامّنت الارملة وابنتها على دعائها اما ابولون فانقبض وعبس وبدا الغيظ في وجههِ فسألتهُ هيلانة عن علة انقباضهِ فقال لست اطيق اسمها فلا تعدنهُ على مسمعي فقالت ماري اتعني باولين فآه لو عرفتها . . . . .

فقال عرفتها حق المعرفة فاعلمن انني احب اهل هذا البيت وقد لقيت فيهِ تلك الراحة التي كنت اطلبها في ما غبر من حياتي واراني اليوم شاباً لا شيخاً هرماً على اني اكره تلك الفتاة واكره اسمها فاذا اصررتنَّ على التحدث بشؤونها والاطناب في وصف محاسنها بغية ان تحببنها اليَّ اضطررت الى مغادرة هذا المنزل بما فيهِ من رغد العيش وعدت الى بيتي ففي صدر تلك الفتاة قلب مملوء مكراً وخداعاً وتريني افضل مساكنة الافاعي على العيشة معها . فوثبت ماري من مكانها وقالت احقّاً ما تقول

فقال نعم يا حبيبتي — فقالت اذاً لست حبيبتك فانت ظالم قاسٍ ولو كنت تعرفها لما وصفت قلبها هذا الوصف

فقال مهلاً يا ابنتي فلنضرب صفحاً عنها فقد حاكوها اليوم وقضي على قلبها بالسكون.

فصاحت هيلانة وكاد يغمى عليها وقالت امها رحماك خلِّ الهزل فليس هذا مقامهُ

فقال لست هازلاً فقد قضي عليها بالموت . فقالت ماري اتيتنا وانت تعلم هذا فقضيت ساعة في الهزل والضحك غير حافل بالامر اني ابغضك اشدّ البغض ولو لم تكن شيخاً فانياً . . . .

فاسكتتها الارملة واخذت النساء في البكاء والعويل . فقال ابولون لا يأخذكنَّ الحزن فقد اختارتها العناية لامر عظيم قد يكون فيهِ انقاذ البلاد من القحط والوباء فتخلص الامة بموتها نعم ان القاضي عثمان وبعض مريديهِ يبذلون ما في طاقتهم لانقاذها وسيعقدون غداً مجلساً ليقروا فيهِ على ارسال رسول الى الخليفة يلتمس لها العفو لكن الخيبة نصيبهم فعبادة مصرٍ على اعدامها وهو صاحبَ الامر والنهي في مصر في غياب عمرو بن العاص ولا يخفى عليكنَّ ان عمرَ ايميل

الى ابن المقوقس فيرجع انهُ يسعى جهدهُ في انقاذ خطيبتهِ . فقالت النساء ومن خطيبتهُ فقال باولين وقد سمعتهُ يدعوها كذلك امام القضاة . فقالت الارملة وفّق الله الساعين الى الخير فقد حلَّ بهذه الفتاة من المصايب ما يزحزح الجبال وكأنك نسيت يا ابولون ان القضاة الذين حكموا على باولين قد يتوسعون في البحث فينزلون الويل ببيت روفينس فيقبض علينا ونزج في اعماق السجون

فقال لا توجسي شرًّا فاني احميكنَّ ومادام فمي ينطق وقلبي ينبض فلن تسقط شعرة من رؤُوسكنَّ

فقالت اذا كنت نافذ الكلمة فاسعَ في انقاذ باولين فهي اعز الناس الينا والى فيلبس

فقال ليس ذلك في طاقتي ولست بفاعلهِ فلا تحاولن اغرائي. ولما قال ذلك خرج من الغرفة فصاحت ماري خلفهِ يذهب ان الله عادل ثم اجهشت بالبكاء فلم تستطع التلفظ ولما سكن جاشها طلبت من الارملة وهيلانة ان تأخذاها الى السجن فترى باولين فاجابتاها وخرجت النساء الثلاث يردنَ السجن فلما بلغن الاسواق الفينها غاصَّة بالخلق فواصلنَ السير حتى بلغن ساحة المدينة فلم يعدن يستطعنَ التقدم ولا الرجوع فاستولى الخوف على الارملة فقبضت على يد ماري ووقفت مكانها تنتظر الفرج وحانت من ماري التفاتة فرأت رستمًا واقفًا في الجمع وكأنَّ عمامتهُ بين الرجال لواء فاخبرت الارملة فقالت ليتهُ معنا فسلَّت ماري يدها وانسلَّت بين الناس حتى وصلت اليهِ وحينئذٍ ازداد الهياج وعلت الجلبة واتجهت العيون الى المجلس فامسكت بيدهِ وقالت ما الخبر فلم يجبها بل انحنى ورفعها على كتفهِ حيث استطاعت ان ترى ما حولها كانها واقفة على برج ثم سار بها الى حيث الارملة وهيلانة فوقف فقالت ماري يا اماهُ ارى حمار ابولون مربوطًا امام مدخل المجلس والقوم يضعون اكليلاً من ورق الزيتون على عنقهِ. ثم نفخت الابواق فكفَّ القوم عن الهرج وسألت هيلانة ماري عن الخبر فاجابت تطلعا في الشرفة فاني ارى اسكندر رئيس المجلس والى جانبهِ ابولون وارى الاول يتهيأ للكلام فقاطعها صوت الابواق ثانيةً فزادت السكينة وحينئذٍ شرع الرئيس يخطب في القوم فقال

— يا رجال منف التعساء لا اراكم تجهلون عظم المصايب التي ألمَّت بنا فقد نزل بنا ما اجهدنا وكاد يفنينا ولا يزال الشرّ يفاجئنا من حيث لا ندري فنحن اعضاء المجلس الذين وُلّينا حكومة المدينة للنظر في شؤُونها والاهتمام باموركم . . . . . فقاطعهُ الجمهور وتعالت الاصوات فمن قائل اذًا فاهتموا بنا وقائل انكم عبارة عن اكياس من الذهب وقائل احفظوا العهود والمواثيق وانقذونا من الهلاك. فنفخت الابواق وثاب القوم الى الوقار فقال الرئيس ظننتمونا احسن منكم حالاً فقلتم ما قلتم فاعلموا اذًا ان القحط والموت فعلا بنا ما فعلا بكم فقد ماتت زوجتي وابنتي

امس بالوباء . فوقع هذا الخبر من السامعين اشدّ الوقع وبكى بعضهم اذ رأوا قائلهُ يمسح عينيهِ فاستطرد الكلام وقال فاذا كان بينكم من يستطيع اثبات تقصيرنا فليبكّتنا امام الله والخليفة واهل منف فاتركوا النوح والعويل اليوم فالفرج قريب باذن الله ولننظر معًا في الوسيلة الوحيدة التي تبلغنا الغرض فقد تضرعنا الى الله كما يفعل المسيحيون ودعونا الفادي وتوسلنا الى الكنيسة ولم ندخر وسعًا في تقديم الصلوات واقامة الحفلات الدينيَّة والرياضات والتقشفات والتقدمات فلم تغنِ فتيلاً وليت الله اكتفى بما ضربنا بهِ فان الضربات ما برحت تزداد حتى تراكمت علينا كانها رمال الصحراء فعمدنا الى السحرة والعرافين فكنَّا كصارخٍ في وادٍ فتذكرنا حينئذٍ اسلافنا الامجاد وذكرنا ان بين ظهرانينا رجلاً يعرف ما غاب عنَّا من حكمتهم رجلاً قضى حياتهُ في درس علوم الاوائل وفي يدهِ مفتاح اسرار القدماء وكنوز حكمتهم وقد قصَّ علينا هذا الحكيم ما كان يفعلهُ القدماء من سكان هذه البلاد اذا نزلت بهم رزيئة كالتي اثقلت كاهلنا وسيطلعكم ابولون هذا الحكيم الذي ترونهُ واقفًا الى جانبي على السرّ وترون الطروس في يديهِ ففيها ما ينبئكم بالخبر اليقين . فصاح الجمع بصوت واحد فليحيَ ابولون المنقذ فانحنى الشيخ وطلب الى الرئيس ان يتولّى اتمام الحديث فقال اسكندر

ايها الاخوان لا سبيل الى نيل هذه الاماني الاَّ ببذل كل مرتخصٍ وغالٍ هذا ما عرفهُ القدماء فجروا عليهِ فاذا قصَّر النيل عن الوفاء قدموا لهُ ضحيةً ثمينة فاختاروا فتاة بارعة الجمال طاهرة . . . اني اراكم تشمئزون وتنفرون ولا غرو فالنفس تعاف تقديم هذه الضحايا لكني لا ارى موجبًا لهذا الاشمئزاز وذاك النفور فليس هذا اول عهدنا بتقديم الضحايا وبذكر جميعكم اننا في ليلة النقطة القينا في النيل صندوقًا فيهِ اصبع انسان[1] فهذه التقدمة الصغيرة رمز الى التقدمة الكبيرة التي اشرت اليها ولم نسمع في ما اتانا من الانباء ان احدًا من اباء الكنيسة شجبها فقد القيت في الماء بمرأىً من انطونيوس واثناسيوس وثيوفيلس وغيرهم وقد يداخلكم الريب ويستولي عليكم الجزع ظنًّا منكم بان الضحية ستكون من بناتكم ونسائكم فقرُّوا عينًا واعلموا ان شرائع اسلافنا تحظر سفك دم المصريين في هذه الاحوال فلا يضحَّى سوى الاجانب او الذين يعبدون غير آلهة المصريين وقد اسعفنا القدر على نيل بغيتنا اليوم فارسل الينا فتاة اجنبيَّة جميلة حكم عليها القضاة بالاعدام لجريمة لا تشين طهارتها ولا تمسُّ نقاوتها وهي رومية ملكية توفَّرت فيها جميع الشروط المطلوبة فاستعدوا وافرحوا فقد دنا الفرج . فارتفع ضجيج استحسان السامعين

(١) كان المصريون المسيحيون يلقون في النيل صندوقًا فيهِ اصبع انسان ليحملوا ماء النهر على الارتفاع وظلوا يفعلون ذلك الى القرن الخامس عشر — ذكرهُ المقريزي

وعلا صراخهم قائلين خذوها الى النيل زوجوا النيل بهذه الملكية هاتوا الأكاليل لعروسة النيل اسرعوا بالازهار لعرسها . لنجرِ على تعاليم اجدادنا وليحيَ رئيس المجلس والشيخ الحكيم

وبينما القوم يطفرون فرحاً ويرقصون طرباً اذا برجلٍ متردٍ بالحلل الكهنوتية وعليهِ سيماء الرزانة والوقار جاء يخترق الحشد على مهل رافعاً بيدهِ صليباً فلما توسط الجمع خشعت الابصار وهدأت الاصوات وكفت الجلبة وظلَّ الرجل سائرًا على مهل حتى وصل الى سلَّم المجلس فصعد عليهِ ودخل وبعد قليل خرج الى الشرفة واطلَّ على الجمهور فرفع الصليب ولبث كذلك هنيهة فلما رآهُ ابولون قدحت عيناهُ شررًا فطلب الى رئيس المجلس ان يمنعهُ عن الكلام لكن الكاهن نظر الى الاثنين مغضباً فطأطأ اسكندر رأسهُ وسكت سائر الاعضاء اذ لم يخفَ عليهم ان الرجل مطران منف الجديد المشهور بغزارة علمهِ وفضلهِ وشدة بأسهِ فلما سادت السكينة خاطب الجمهور فقال

تأملوا هذا الصليب واصغوا الى كلام كاهنهِ فانتم تتعطشون الى نعمة الفادي ولا تزالون تتوقون الى ضلال الوثنيين وعبثاً تتململون من كلامي فلن يسكتني تضجركم فالحق ينطق بي ولن يخرس احد الحق فاعلموا انني أُقمت خلفاً لمطرانكم المتوفى وعزمت على القبض على عصا الرعاية برفق واحسان فاذا احرجتموني صارت سوطاً وسيفاً في يدي حتى تدمي جراحكم فانظروا صورة فاديكم في يدي فاني ارفعها سدًّا يحول بينكم وبين هذه الضلالة التي تلقيتموها بفرح وابتهاج فانتم ملعونون ملحدون فارفعوا قلوبكم وتأملوا هذا الذي مات على الصليب ليفتديكم ولكنكم قليلو الايمان اذا اظلم الليل قلتم في النور واذا أُصبتم بمرضٍ قلتم عجز الطبيب فما هذا الذي انا سامع ايعجز الله وكنيستهُ وينقذكم السحر وفجور الوثنيين أَبعد هذا تجديف وكفر . اما وقد عدمتم الثقة بالله ولجأتم الى السحر وشرّ الوثنيين فسيتلو القصاصُ القصاصَ والعقابُ العقابَ حتى يطمركم الرماد والتراب فتئنون وتتوجعون وتطلبون العون الالهي في اشد الضيق . يا اولاد مولك ان الفتاة التي عزمتم على القائها في النهر هي تحت حماية الكنيسة العظمى وموت جسدها يؤدي الى هلاك نفوسكم فاطرحوا اميالكم الفاسدة وانبذوا اعمالكم القبيحة . فقاطعهُ ابولون وقال واجلسوا مكانكم حتى لا يبقى القحط والطاعون على احد منكم . وسمع الوفد هذا الاعتراض فقابلوهُ بالاستحسان وقال رئيس المجلس ان الناس يموتون والبلاد سائرة في طريق الخراب وعلة مصابينا هبوط البحر فدلَّنا على سبيل النجاة او فاتركنا وشأننا نلجأ الى حكمة اسلافنا . فانتهرهُ المطران وقال لا علاج لكم سوى الايمان والرجاء والصلاة . فقال الرئيس اراك تجهل مقدار ما اصابنا من النوازل ولا غرو فانك لم ترَ زوجة في حشرجة الموت

او ابناً تخمد انفاسهُ في اول العمر . فصاح الشعب من اسفل " الضحيَّة الضحيَّة " وقال آخرون ايتونا بالفتاة فنلقيها في النيل . فاعترضهم فريق وصرخوا فلنبقَ مسيحيين وليحيَ المطران يوحنا ان نفوسنا اثمن من اجسادنا فحاول المطران ان يخاطب الشعب ثانية فاخفق وسدَّى بوق المبوقون يدعون السامعين الى السكينة فذهب تبويقهم ادراج الرياح وانقسم الجمهور قسمين كلٌّ يناضل عن مبدإِهِ ولم يطل بهم الجدال حتى اخذوا يتلاكمون ويتضاربون فاسرعت النساء في الخروج من الزحام وهجمت كوكبة من فرسان العرب على المتضاربين ففرقتهم

اما المطران فاعلن للمجلس ما عزم عليهِ من منع تضحية الفتاة قائلاً سارسل اليوم رسالة الى البطريرك فنرى ما يقول فاجابهُ ابولون ان عامل الخليفة في هذه الديار اذن في تضحيتها فستضحَّى وينقذ الشعب رغماً عن جميع رجال الكهنوت . فاخذ الغيظ من المطران كل مأخذ وقال ساعاقب الذين اشاروا بهذه الفعلة الشنعاء بالحرم فقال ابولون افعل ما تشاء وانحاز اعضاء المجلس اليهِ فانصرف المطران وهو يتميز غيظاً

الفصل الثالث والاربعون

وبعد ان خرجت النساء سرن الى السجن ليزرن باولين فلم يأذن لهنَّ السجان في الدخول عملاً باوامر عبادة فتوسلن اليهِ وبكين فرقَّ لهنَّ وبعد اللتيا والتي فتح الباب المؤدي الى غرفتها فدخلن وابصرنها واقفة امام النافذة تصغي الى صوت قيثارة اوريون وارادت ماري ان تطرح نفسها عليها فامسكتها الارملة ومنعتها كل هذا وباولين غير منتبهة الى وجودهنَّ معها فلما دعونها دارت اليهنَّ وصاحت فرحاً فاسرعت اليهنَّ وقبلتهنَّ فطوقتها الارملة بذراعيها وبكت وراعهنَّ ما رأين من ثبات جاشها ورزانتها اذ حسبنَ ان سجنها ومحنتها يذهبان بنضارة وجهها ورونقهِ فاذا هي كاحسن ما عرفنها وكأنها في نعيم مقيم لا في اعماق السجون والموت يترصدها فقلن في انفسهنَّ لعلها جاهلة ما سيحلُّ بها فلما جلسنَ انبأتهنَّ بما تمَّ من امرها فبكينَ واعولنَ فقالت لا يحزنكنَّ امري فقد وعدني القاضي خيراً وسيرفع قضيتي الى الخليفة طالباً العفو عني وكانت ماري تنوح فاخذت باولين تعزيها وتطيب خاطرها قائلة ان المصايب تعلّم المرء الصبر والتسليم وقد استفدتُ من مصيبة بيت روفينس ما سهل عليَّ احتمال محنتي هذه . وبعد ان قضينَ ساعة قرع السجان الباب يدعوهنَّ الى الخروج فنهضت باولين وقالت عندي رسالة لاوريون ولست آمن غريباً فخذيها يا حبيبتي ماري اليهِ ثم اخرجت الزمردة وناولتها لماري واعطتها لوحاً مكتوباً وقالت ادفعيهما اليهِ وقولي لهُ ان يعتبر الزمردة ملكهُ فيدفع غضب الكنيسة عنهُ ففعلت ماري كذلك وسلمت الرسالة والزمردة الى اوريون فلما قرأ المكتوب قالت ماري لقد

تمت نبوتي وباولين اليوم خطيبتك فقال صدقتِ ولكني لم اكد اربحها حتى خسرتها

فقالت ان القاضي صديقكما وسيلتمس لها العفو من الخليفة

فقال ولكن عدوًّا جديدًا قام لنا في شخص ابولون

فقالت تبًّا لهُ من خدَّاع ماكر

فقال ليت عمرًا يعود فنجاتنا بهِ وقد كان لي بمثابة ابٍ وقبل ذهابهِ كلفني القيام بعمل شاق وحاولت امس ان اضع قواعدهُ فلم استطع الكتابة اذ ينقصني الخرائط والدفاتر اللازمة وكان نيلس قد جمعها سوية وامرث من يلزم بنقلها الى بيت روفينس ولست ادري ما صارت اليهِ بعد احتراق البيت

فقالت ان هذه الخرائط والدفاتر في بيت روفينس وقد رأيتها بنفسي. ففرح اوريون وضمها الى صدرهِ وجعل يقبلها ثم جمع يدهُ وضرب بها الجدار وقال لقد وجدنا الخرائط والدفاتر الضائعة يا نيلس وسآتي بها غدًا

فقال نيلس انها بشارة مفرحة ونحن في حاجة الى العمل دفعًا للهم والقلق فقد نقل اليَّ اليوم سجين جديد اخبارًا يسوءُك سماعها

— بشأن خطيبتي نعم لقد بلغني

— ويقول السجين ان قد جاء رسول من عمرٍو ينبئ بوصولهِ الى المدينة حيث لا يطيل المكث وعليهِ فسيعود الينا قريبًا

فقال اوريون فينتج من ذلك انهُ غادر المدينة قبل وصول رسول القاضي اليها فلم يبقَ لنا امل الاَّ في عمرٍو وليتنا نستطيع اطلاعهُ على حقيقة حالنا قبل ان يصل

فقال نيلوس من لنا برسول امين يحمل رسالتنا اليهِ فقد تشتت اتباعنا . فقالت ماري انا اجد رسولاً كفأً وقال اوريون وانى لكِ ذلك فاجابت ان الرسول سيبرح منف غدًا فاتكلا عليَّ فعليكما الآن ان تدلاَّني على الطريق الذي يجب على الرسول سلوكهُ واكتب يا عمَّاهُ اسماء المحطات على هذا اللوح فلا انساها ثم ناولتهُ لوحًا من الشمع فرأى عليهِ صورة قلب وحولهُ مربعات فقال وما هذا فاحمرت وقالت هذا قلبي وهذه المربعات اشارة الى اجزائهِ التي وزعتها على من احب فلباولين النصف ولك الربع وهكذا ثم اخذت اللوح فمسحت المرسوم عليهِ وبعد ان كتب اسماء المحطات كما طلبت قال غدًا ارسل اليكِ كتابًا باسم عمرٍو يأخذهُ الرسول معهُ فقال نيلس ولكن سفرة كهذه تقتضي نفقات كثيرة وجميع ما لدينا من المال لا يكفي فاجابت هي لست في حاجة الى ما لديكم فعندي جواهري ومجوهرات امي فقال اوريون اياكِ

وبيع هذه الاشياء ثم انتزع خاتماً ثميناً من اصبعهِ وقال خذي هذا واعطيهِ للارملة وهي تبيعهُ لغالائيل الصيرفي ففي ثمنهِ ما يسدّ الحاجة. ولما فرغوا جاء السجّان وامر ماري بالخروج وفيما هما خارجان سمعا وقع اقدام فخشي السجّان ان يكون القادم عبادة فتوارى عن البصر فاذا بهِ المطران يتبعهُ شماسهُ وقد اتيا لتعزية المسجونين كعادتهما

ولما اجتمعت ماري بالارملة وهيلانة قالت لهما لقد عهد اليَّ بامرٍ ذي شأن وسيشاركني رستم في القيام بهِ وليس من الحكمة انشاء السرّ الآن فسأطلعكما عليهِ متى حانت الفرصة المناسبة وحينئذٍ فتحوا باب السجن الخارجي فخرجنَ وهنَّ يتحسّرن ورستم يشكو غدر الدهر وتقلبات الحدثان

الفصل الرابع والاربعون

ولما توسطوا الطريق مشت ماري ورستم امام الآخرين وهو يحرق الأُرّم و يعدد ما لباولين من الايادي عليهِ وعلى مانداني الى ان قال وبودّي لو استطعت . . . . فقاطعتهُ ماري وقالت ولكن في استطاعتك ان تقوم بعمل كبير اذا اردت اسعافها عن طيبة خاطر فقال انني ابذل آخر نقطة من دمي في خدمة تلك السيدة النبيلة فامسكت ماري بيديهِ وقالت ان كنت تؤمن بالله فاقسم بهِ او اقسم بعروسك مانداني ان لا تبوح بما سامرّهُ اليك ولا تطلع عليهِ احبّ الناس اليك فقال وما ذاك فقالت اقسم اولاً — فاقسم

فقالت اذاً فاعلم اننا في حاجةٍ الى رسول نرسلهُ الى عمروٍ فيسعى في انقاذ باولين فهل تعرف الطريق بين حصن بابل وبرينيس

فقال نعم ولطالما سلكتها فانها اخصر الطرق الى جدّة والمدينة

فقالت ليس في منف كلها سوى رجل واحد يمكننا التعويل عليهِ لكن ذلك الرجل يأبى الذهاب ويفضل البقاء مع خطيبتهِ والعودة معها الى بلادهِ على اسعافنا

فقال تبّاً لهُ من نذلٍ . فضحكت ماري لسذاجتهِ وقالت

الم يخطر ببالك انك الشخص المعنيّ فاعلم اننا لا نأمن سواك في هذه المهمة

فقال ولكن سيدي قد يدعوني اليهِ ولا يسعني الاّ ان البي طلبهُ

فقالت يصعب عليك هجر خطيبتك وانت ترى تلك السيدة التي احسنت اليكما في مخالب المنون

فقال انتِ تعلمين انني رجل نشأت على السير مع القوافل فليس لقاء الحكام والعظام من شؤوني ولو سعياً لانقاذ ابي من الموت فانا رجل ساذج لا احسن الكلام فاذا لقيت عمراً وحدي فلا اجسر على مخاطبتهِ

فقالت ومن يكلفك الذهاب وحدك ومخاطبة عمرو انا اذهب معك ولا بدَّ لي من لقائهِ ولو اضطررت الى اتخاذ البستاني الاحدب معي

فقال وكيف تستطيعين احتمال المشقات والسفر الطويل وانتِ فتاة صغيرة

فقالت ليس رفيقك الفتاة ماري وانما هو فتًى اسمهُ ماريوس

فقال سمعتك تقولين انك انت تذهبين معي

فقالت ما ابطأ فهمك فسأتنكر في زي صبي حتى اذا رآني بعض من يعرفني خالني اخي. فضحك رستم وقال احسنتِ وانا رهن اشارتكِ وترينني مستعداً للسفر وقتما تريدين فماذا نقول هيلانة وامها اذا هما دريا بذهابكِ

فقالت ستعلمان ذلك بعد ان نخرج من منف وحينئذٍ تدعوان لنا بالسلامة ويسهل الله سبيلنا . وظلت ماري تتوسل اليهِ تارة وتهزأ بهِ اخرى وتذكرهُ بما فعلتهُ باولين لهُ ولخطيبتهِ وتعدد الاخطار المحدقة بها حتى اقتنع بوجوب ذهابهِ معها فوعدها خيراً . ولما افترقا ضربت لهُ موعداً للسفر ونحو نصف الليل نهضت من سريرها وكانت المهذبة اليونانية نائمة معها فانسلَّت الى الغرفة المجاورة واضاءت مصباحاً فتبعتها المهذبة ترقب حركاتها فخلعت ثيابها وتناولت ثوب صبي خاطتهُ هيلانة لابن البستاني فلبستهُ وشرعت تتأمل نفسها ثم خلعتهُ وجلست تكتب ولم يطل بها المقام حتى هبَّت من مكانها ونادت المهذبة فخرجت هذه اليها وقبل ان تسألها عن غرضها ابتدرتها ماري بالكلام فقالت

— ان الله يدعوني الى القيام بمهمة ذات خطر وقد رأيت ان اطلعكِ على ما عقدت النية عليهِ واسألك النصيحة ثم طوَّقت عنقها بذراعيها واستحلفتها ان تكتم سرها قائلة ان الامر يتعلق عليهِ خلاص اوريون وباولين من السجن والموت ثمَّ بكت فرقَّت المهذبة لها وقبلتها وهي تدعوها باحب الاسماء والنعوت فزاد ذلك في جرأتها فنهضت من مكانها وامسكت الانجيل ووضعت يد المهذبة عليهِ وقالت اقسمي انكِ تحفظين السرّ فقالت كلاَّ فقد وعدتكِ ولا يجوز لنا القسم فالحت ماري عليها واخذت تستعطفها حتى لم تخلِّ لها باباً للرفض ففعلت اكراماً لها ثم انطرحت على مقعد هناك وجلست ماري بجانبها فبسطت لها ما عرفتهُ من امر باولين والحكم عليها وما يتهدد حياة اوريون من الخطر وافاضت في وصف ما يلقاهُ من العناء علماً منها بان ذلك يحرك قلبها لما آنستهُ من ميلها اليهِ الى ان قالت وقد ارتأيت ان اسافر بنفسي فالاقي عمراً واشكو اليهِ . فلمَّا سمعت المهذبة ذلك الكلام اعتراها اضطراب شديد فنهضت من مكانها وقالت لقد تجاوزتِ الحدّ فلن آذن لكِ في السفر فانما تسيرين الى الموت العاجل . لكن كلامها

لم يحول ماري عن عزمها فاخذت تبين لها ضرورة السفر وقالت انني لا احفل بالمخاطر فقد اعتدت الركوب واجد فيهِ لذة عظيمة امَّا الحرّ فقد نشأت فيهِ ولست بذاهبة وحدي فرستم الجبَّار يرافقني ويحرسني وفضلاً عن ذلك ففي الطريق محطات ينزل فيها المسافر فيستريح من عناء السفر ولا اراكِ تجهلين ان في نيَّة المطران ارسالي الى احد الاديرة لاترهَّب فيهِ ولا اكره اليَّ من الترهُّب فاذا بقيت هنا ارغمني على ذلك ولم تجدكم مقاومتكم لهُ نفعًا فخير الامور لي الذهاب حتى اذا لقيت عمرًا وبسطت لديهِ جميع هذه الامور لقيت منهُ مدافعًا عني ونصيرًا لها. وكانت تتكلم وهي تشرق بدمعها حتى غصَّت فرثت المهذبة لها وقالت افعلي ما تشائين ولا تبطئي

وفي الصباح نهض اهل البيت من النوم واجتمعوا كالعادة فراعتهم من ماري هيئة الرضا والفرح الباديين على وجهها فطلبت ان يؤذن لها في الذهاب الى المدينة لقضاء بعض الحاجات لعمها فاجيب طلبها فارسلت الخرائط والدفاتر الى السجن فلما عاد الرسول ناولها كتابًا من اوريون وهي الرسالة التي كان يريد ارسالها الى عمرو فدستها في جيبها وانطلقت مع رستم الى المدينة فاخبرها انهُ دبر ما يحتاجان اليهِ من الركائب والطعام والخدم وانهُ اشترى خيمة لها للمبيت وظلاً سائرين حتى بلغا بيت غمالائيل فامرتهُ بانتظارها ودخلت فلقيها الجوهري بالترحاب وقد رأى فيها البقية الباقية من ذلك البيت العظيم فسألها عن حالها فتبسمت واحمر وجهها ثم ابرزت الخاتم وقالت اشترِ هذا مني فاني في حاجة الى الدراهم

فاجاب الخاتم ثمين لكننا لا نعامل الصغار

فقالت كيف العمل وبي حاجة الى المال

فقال اذا كنت تحتاجين الى شيء لانفاقهِ في الطعام اعطيتكِ ما تطلبين لكني اعلم ان بيت روفينس مملوء خيرًا وشبعًا وقد اودع جدك عندي منذ سنتين مبلغًا طائلاً من المال باسمك فلستِ اذًا في حاجة الى المال للانفاق على نفسكِ

فقالت اني محتاجة الى المال لا للانفاق على نفسي فاعطني من مالي مقدار ما احتاج

فقال ولكن ذلك ليس بالامر السهل اذ ينبغي لهُ شهود ومجلس ووصي فلا تنسي اننا في مصر

فقالت اذًا فاشترِ الخاتم

فقال لعلكِ نسيتِ الزمردة فقد كلفني ابتياعها عناء كبيرًا ولست اشتهي ذلك العناء فخذي خاتمك فعندي من الحجارة الثمينة ما يقدر بالالوف. فحزنت وسالت دموعها على خديها حتى احزنتهُ فقال

لا تستسلمي لليأس والقنوط وبكاؤكِ يسوءني فاعلمي ان غمالائيل غنيٌّ وانهُ يحب العطاء

كما يجب الاخذ فلست في حاجة الى خاتمكِ. فارفعي عينيكِ الى الرجل الذي كان موضع ثقة جدك وقولي لهُ يلزمني كذا من المال ولا بدَّ لي منهُ. فسرَّت ماري وآنست منهُ الاخلاص في المقال فاستحلفتهُ ان يكتم السرَّ ثم باحت لهُ بجميع ما عزمت عليهِ من لقاء عمرو وبذل كل مرتخص وغالٍ في انقاذ باولين واوريون. وكان غمالائيل يصغي اليها وقد اعترتهُ الدهشة فلما فرغت قال لها كم يلزمكِ من المال فقالت كذا ففتح صندوقاً من الحديد واخرج كيساً ملآن ذهباً وقال اللهمَّ اجعل ابنتي راعوث كماري حفيدة المقوقس العادل . ثم اقفل الصندوق وعدَّ الدنانير ووضع ما بقي في جيبهِ وقال عديها وضعيها في هذا الكيس وانظريني حتى اعود ولما رجع قالت عددتها فوجدتها ناقصة ديناراً واحداً فرفع يديهِ الى السماء وقال لله ما اذكاها فخذي الدينار يا ابنتي واسمعي نبوة رجل عرك الدهر ان الله يبارك جميع اعمالكِ وهنيئاً لمن تكونين زوجتهُ والآن فاكتبي اسمك على هذا الصك نعم ان لا قيمة لهُ اذ انت قاصرة ولكنهُ مطابق للعرف . فاخذت القلم ووقعت اسمها بعد ان قرأت المكتوب في الصك فصاح

— ان هذا لمن الغرائب فتاة .... صغيرة ... تقرأ وتتدبر الامر بنفسها ولا توقع اسمها قبل ان تتفهم ما في الصك فليباركك الله يا ابنتي وليُنجح جميع مساعيكِ

الفصل الخامس والاربعون

وفي الغد امر القاضي بان يؤتى باوريون لمحاكمتهِ فجيء بهِ وكان المجلس مؤلفاً من قضاتهِ بالامس وجيء بباولين والمطران وغمالائيل شهوداً فوقف المدعي العمومي واتهم اوريون بسرقة الزمردة التي وهبها ابوهُ للكنيسة فتولَّى اوريون الدفاع عن نفسهِ وسرد على مسمع القضاة ما قالهُ للبطريرك في شأن الزمردة ثم قال ولما كنت اشتهي ان تنفضَّ هذه المسئلة على وجه لا يبقي مجالاً للقال والقيل فاني مستعد لاعادة الزمردة ثم اخرج الحجر الذي ارسلتهُ اليهِ باولين ودفعهُ الى القاضي فناولهُ للمطران فدهش هذا وبدت امارات الريب على وجههِ فقال — انَّى لنا ان نتأكد ان هذا هو عين الحجر الذي كان في القطيف . فاستاء الحاضرون من ذلك لكنَّ القاضي نبههم الى صوابية كلامهِ وقال اتاني كتاب من هاشم يقول فيهِ ان ابنهُ وزن زمردة القطيف في جدة فبلغت كذا وعليهِ فانني اكلف غمالائيل ان يزن هذا الحجر فصدع غمالائيل بالامر واخرج ميزانهُ فوزن الحجر مرتين وفعل ابولون كذلك . كل هذا واوريون وباولين ينظران الى الميزان وقلباهما يخفقان فلما فرغ من الوزن اذا بالحجر اثقل من زمردة القطيف ببعض قمحات . وقال غمالائيل ان هذه الزمردة من اصفى الجواهر التي رأيتها واثمنها. فسرِّي عن نفس اوريون واخذ القضاة ينظرون في علة هذا الفرق فاجمعوا على انَّ ابن

هاشم اخطأ في الوزن اذ لا يعقل ان الذي سرق زمردة القطيف يستبدلها باخرى ابهى منها واثقل وزنًا فاقتنع المطران بصحة استنتاجهم وسكت

وكان عبادة في خلال ذلك يرشق اوريون بنظرات تشف عن كرهِهِ وايقانهِ بالظفر فلما فرغوا من امر الزمردة وقف المدعي العمومي فاتهم اوريون بالاشتراك في انقاذ الراهبات. فدفع اوريون هذه التهمة مثبتًا براءتهُ الى ان قال وقد كنت يوم القتال في بيت عمرو بن العاص ثم عدد ما لقيهُ من الظلم وما اصابهُ من الاستبداد من حجز املاكهِ ومقتنياتهِ وحرق بيتهِ وقال ان ذلك تم استنادًا الى شبهة لم تؤيد فانا استعين على رفع الظلم بعدل القضاة فاذا لم القَ منهم اذنًا سامعة فاني رافع امري الى الخليفة. ولما فرغ وقف عبادة وناول القاضي لوحًا وقال هذه رسالة ارسلها هذا الفتى الى باولين وفيها ما يؤيد جريمتهُ فاطلب فحصها. ثم اومأ الى ابولون ان اقرأها فاعترضهُ القاضي وطلب من المترجم تعريبها ففعل وكان بعض ما فيها محوًا فلما جاء على آخرها سأل القاضي عبادة فقال اين وجدتم هذا اللوح فاجاب اخرجناهُ من درج باولين وقد وجدهُ ابولون فالتفت القاضي الى باولين وقال أصحيح ما يقولان

فقالت نعم يا مولاي فاللوح لي وقد سرقهُ هذا الشيخ النذل من درجي ثم اشتدَّ بها الحنق فصاحت اليس بينكم من تهزهُ النخوة فيشنق على الطهارة وسلامة النية فيذهب الى زوجة روفينس وينبهها الى ما فعلهُ هذا الشيخ الذي لقي في بيتها الترحاب والحفاوة فاتخذها ذريعة لاتمام مقاصدهِ السيئة. فاضطرب ابولون واخذتهُ الرعدة حتى اذا اراد الكلام خانهُ النطق وتخاذلت ركبتاهُ فجلس مكانهُ لا حراك بهِ واومأ غملائيل الى باولين بانهُ سيقوم بالمهمة التي عينتها فيطلع اهل بيت روفينس على خيانة الشيخ. وحينئذٍ امر القاضي الترجمان ان يقرأ اللوح على مسمع القضاة ففعل وهو يتعثر بالكلمات لعدم وضوحها وآنست باولين منهُ ذلك فخطر ببالها خاطر ملأ فؤادها بهجة ومسرة وكان في جملة ما جاء في الكتاب ما نصهُ

كنت اودّ ان ينقضي هذا النهار الذي قضيناهُ في اعداد المعدات لفرار الراهبات على غير هذا الوجه وقد بذلت طاقتي في اسعاف الاخوات البريئات اللواتي يراد اضطهادهنَّ لغير ذنب واملي اننا نستطيع الاجتماع غدًا في متسع من الوقت فيحمل كل منا ذكرى تنفعهُ ايام الفراق الطويل ويكون منها غذاء لقلبينا في المستقبل. ان العامل عمرًا كبير الهمة ابيّ النفس وهو من العرب ما كان فقيدنا الذي نرثيهِ من المصريين ...... وهنا لم يعد في طاقة الترجمان القراءة فاعلن ذلك للقاضي فقال عثمان اذا صحّ احتمال ان الكاتب لم يقاتل جندنا فلا ريب في انهُ كان عالمًا بفرار الراهبات وانهُ ساعدهنَّ على قدر طاقتهِ فقولي ايتها الفتاة متى جاءتكِ هذه الرسالة

فقالت انها لم تأتني بل قد كتبتها بنفسي

فقال أصحيح ما تقولين

فقالت نعم فالرسالة مني لاوريون

فقال فكيف اتفق وجودها في درجك

فقالت الامر بسيط فقد كتبتها لخطيبي واردت ارسالها اليهِ فجاء بنفسهِ ولم يعد ثمَّت من حاجة لارسالها فالقيتها بين سائر الالواح في الدرج . فصاح اوريون وقال انهُ اختلاق محض فلا يغرنكم قول هذه الفتاة فانا كاتب الرسالة وهذا خطي. فقاطعتهُ باولين قائلة اتصدقون كلامهُ ألا ترون انهُ يحاول التلبُّس بجريمتي حبًّا بي فلا يخدعنكم منهُ اضطرابهُ فليس هو بالكاتب فقال اوريون انا الكاتب يا قوم واراد متابعة الكلام فاعياهُ النطق فرفع عينيهِ الى السماء وسقط مكانهُ كمن لا يعي على شيء فقالت باولين

ارأيتم يا سادة سكوتهُ فقد اتضح لهُ خطأهُ فصمت فانا مستعدة للتكفير عمَّا بذلتهُ من المساعدة للراهبات . فصاح عبادة

كذبتِ وربِّ الكعبة وانما فعلتِ ما فعلتِ قصد انقاذ هذا الفتى أوَ يصدَّق ان كتابًا مختومًا يوجد في درج كاتبهِ بعد مضيّ اسابيع من تاريخ كتابتهِ. ولا يخفى عليكم ضرورة اتخاذنا جميع الوسائل لمعاقبة الذين اعتدوا على جندنا حفظًا للامن وصيانةً لنفوذنا في هذه البلاد . فكان لكلامهِ وقع شديد في نفوس السامعين لكن القضاة المصريين لم يكونوا ليطلبوا دم اوريون كما طلبوا دم باولين لرفعة منزلتهِ فيهم وحبهم لهُ ولاهل بيتهِ فجلسوا للمداولة وبعد ساعة نهض القاضي عثمان واعان نتيجة مداولتهم فقال لم نرَ في فعل المتهم ما يدفعنا الى الحكم عليهِ بالموت كما اننا لا نستطيع تبرئتهُ وعليهِ فسنرفع الامر الى الخليفة او عاملهِ على هذه الديار امَّا المتهم فيعاد الى السجن حتى اذا اتضح ذنبهُ طالتهُ يد العدل

فصاح عبادة حنقًا انا نائب عمروٍ في هذه الديار . فلم يعر القضاة كلامهُ اذنًا سامعة بل اقرُّوا على مضاعفة الحرس على محبس اوريون لئلاَّ يفتك بهِ احد

وعادت باولين الى غرفتها ووجهها يتهلل فرحًا وحبورًا حتى خالت مرضعها ان القضاة قضوا ببراءتها فسألتها عن الخبر فقصت عليها ما كان وانبأتها بخلاص اوريون قائلة اما انا فمقتولة لا محالة واما هو فسيحيا بعدي ويقوم بالاعمال المجيدة التي عُهد بها اليهِ . وحينئذٍ دخل عليهما السجان فقال ان القاضي بالباب يروم مقابلة باولين ثم دخل فحيتهُ باولين احسن تحية فقال اتاني كتاب من هاشم يقول فيهِ ان اباك البطل توما. فقاطعتهُ وقالت أصحيح ما تقول أعثروا على

ابي. فسكّن روعها وقال ان اباك طلب الخلوة في جبل سيناء فقضى هذه السنين فيهِ ناسكاً ولكن الرسول وجدهُ مريضاً على حافة قبرهِ وهو يشكو من الجراح التي اصابت رئتيهِ فايامهُ معدودات. فبكت باولين وقالت أيموت ابي وانا سجينة لا استطيع الذهاب اليهِ. فطيب القاضي قلبها وقال ثم اتاني منذ يومين نبطيٌّ فقال لي ان احد قوَّاد الروم ممن حارب المسلمين مريض مشرف على الموت وهو يطلب المجيء الى مصر فهل يؤذن لهُ في ذلك وهل يكون في مأمن من الاسر فلما علمت ان القائد المذكور هو ابوكِ وعدت الرسول بقبولهِ على الرحب والسعة آمناً مطمئناً باسم الخليفة فوصل الفسطاط اليوم ونزل في بيتي وقد لقيتهُ نحيلاً ضعيفاً لكنهُ يدفع الاجل عنهُ املاً بلقائك فقد نمي اليهِ انكِ قتلتِ في جملة من قُتل في الشام فلما علم انك حية تجددت آمالهُ وعاودهُ بعض القوة وقد امرتهم باعداد الغرفة المجاورة لغرفتكِ هذه فينزل فيها ويبقى الباب مفتوحاً بين الغرفتين. فصاحت باولين أأرى ابي واعيش معهُ فنموت معاً ثم غلب عليها الفرح فاكبَّت على يد القاضي تقبلها اعترافاً بفضلهِ وجميلهِ. فاغرورقت عيناهُ وقال الحمد لله فهو الذي قدَّر نجاة ابيكِ وسهَّل لقاءكما. ولم تغرب شمس ذلك النهار حتى اقبل توما على السجن فلقيتهُ ابنتهُ وانطرحت عليهِ مغمياً عليها ولما افاقت ارسلت كتاباً الى اوريون تخبرهُ فيهِ بعودة ابيها وتقول انهُ يهديهِ بركتهُ. فلما قرأ اوريون الكتاب احسَّ كأن يداً غير منظورة رفعت عن عاتقهِ ثقل اللعنة التي القاها ابوهُ عليهِ فاستولى عليهِ الفرح وشملهُ الحبور

تعاون الحيوان

لما شرحنا طبائع التمساح في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف قلنا ان طائراً صغيراً اسمهُ القطقاط يدخل فاه التمساح ويلتقط فضلات الطعام من بين اسنانهِ والتمساح راضٍ بذلك مرتاح اليهِ لا يغدر بضيفهِ ولو اكل الطعام من فيهِ. ونقلنا ما كتبهُ بعضهم وكان قد رأى التمساح مرأى العين ورأى هذا الطائر يدخل فاهُ ويخرج منهُ (انظر الشكل التالي)

ومن السهل ان يُكتَب فصل طويل عن تعاون الحيوانات لا التي من نوع واحد او من فصيلة واحدة لان هذه امرها في التعاون مشهور بل التي من فصائل مختلفة كالتمساح والقطقاط والطائر الذي يلتقط القراد عن البقر والابل. فقد قضت العناية ان يُسخَّر بعضها لبعض فينتفع الواحد من الآخر ويرد لهُ صاعاً بصاع على غير ما هو شائع بين اكثر طوائف الحيوان والنبات من الجهاد الذي يُقضي بهِ على الالوف لنفع الواحد فيغتذي الطائر الصغير بمئة حشرة

في يومهِ يلتهمها حيَّة ولا يبالي كأنها رزق حلال لهُ ويقوم الانسان رب الحكمة والانصاف على هذه الطيور الصغيرة فيصطادها ويذبحها و يشويها ويأكلها ناعم البال . هذا ليس التعاون الذي نعنيهِ لان فيهِ مصلحة فريق واحد حسب الظاهر لا مصلحة الفريقين معاً وانما نعني ما كان من قبيل ما يفعلهُ القطقاط يلتقط فضلات الطعام من فم التمساح وينظف اسنانهُ و يغتذي بذلك و يشبع جوفهُ وعلى هذا مدار كلامنا الآن

ذكر الاقدمون ان الثعلب يقيم في اجمة الاسد ينبئهُ بالخطر و يرشدهُ الى الصيد فيترك لهُ الاسد فضلات طعامهِ . ولو كان الامر كذلك لعددناهُ من باب تعاون الحيوان الذي كلامنا فيهِ لكن المحققين انكروا الآن ما يخصُّ الثعلب من هذه المعاونة وقالوا انهُ يقتفي آثار الاسود ويأكل ما يفضل من طعامها ولكنهُ لا ينبئها بخطر ولا يرشدها الى صيد فهو طُفَيليٌّ ينتفع ولا ينفع مثل كثيرين من ابناء آدم . الاَّ ان الاسود تنفع ما تفعل من تركها الطعام غير قاصدة نفعهُ ولا نفع غيرهِ واذا التقت بهِ وهي جائعة افترستهُ كما تفترس الحملان فهي غير مشكورة على تركها الصيد لهُ كما انها غير مأجورة

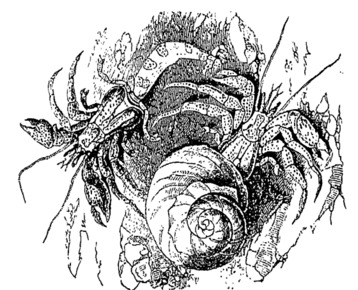
ومن هذا القبيل سمكة اسمها الربّان تتبع التنين (كلب البحر) وتأكل فضلات طعامهِ وكان المظنون انها ترشدهُ الى الطعام وتحذّرهُ من الخطر لكن ثبت الآن انها لا تفعل شيئاً من ذلك بل تكتفي بمصاحبتهِ احتماء بهِ لانها ما دامت على مقربة منهُ لم تجسر سمكة اخرى ان تدنو منها . وهي تلتقط ايضاً فضلات طعامهِ فهو لها بمثابة الكفيل يقيها ويقوتها وقد لا يعلم شيئاً مما يفعل من المبرّات

ومنهُ سمكة دقيقة تعيش في بدن الحيوان المعروف بخيار البحر وهي صغيرة لا سلاح لها يقيها من اعدائها فتلجأ الى خيار البحر تدخل الثقب الذي يتنفس منهُ وتقيم في رئتيهِ ولا تخرج منهما الاَّ اذا عضَّها الجوع وصفا البحر وكانت قريبة من شاطىء لا تكثر فيهِ الاعداء فانها تخرج حينئذٍ تلتمس الطعام واذا شعرت بدنو العدو عادت ادراجها الى رئة حاميها ضيفاً غير محتشم لانها قد يأخذ منها اللؤم كل مأخذ حتى تجازي بالسيئة عن الاحسان فتلتهم جانباً من رئتهِ ولا تبالي . لكن خيار البحر صبور يحمل الضيم و يغتفر السيئات فتنمو رئتهُ حالاً من غير اذًى . والمورد العذب شديد الزحام ولذلك تكثر الحيوانات البحرية التي تضيف خيار البحر وتنمو في جسمهِ فيقبلها على الرحب والسعة وهو لا ينتظر منها اجرًا ولا شكورًا . وما هو بمنفرد في هذا الكرم فالانسان يجري مجراهُ تدخل الديدان معدتهُ وامعاءهُ وتقيم فيها الشهر بعد الشهر والعام بعد العام وهو غير ناقم منها وقد تقيم على ظاهر بدنهِ فلا يشكو منها الاَّ اذا تمادت في اذاهُ

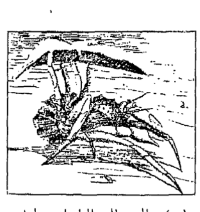
(١) طائر القطقاط في فم التمساح



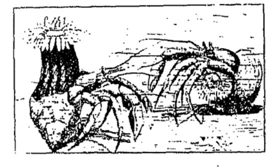
(٤) سرطان حامل شقيقتين



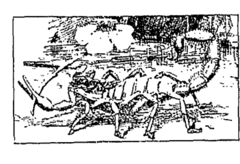
(٢) السرطان الناسك في القوقعة وخارجاً عنها



(٥) السرطان الناسك حامل صدفة يستظل بها



(٣) السرطان الناسك وشقيقة على قوقعته



(٦) عقرب حاملة زهرة تستظلُّ بها

هذا ولنعُد الى الحيوان الاعجم فنقول

قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى " ان السرطان لا يتخلَّق بتوالد ولا نتاج انما يتخلق في الصدف " اي انهُ يتولد في الصدف مباشرة . وهذا خطأٌ فاضح والحقيقة ان نوعاً صغيرًا من السرطان يدخل الصدف ويقيم مع الحيوان الذي فيهِ وقد عرَف ذلك المصريون القدماء وذكرهُ ارسطوطاليس وبلينيوس . وقال القدماء ان السرطان كالحاجب لحيوان الصدف يرى العدو وينذره بقدومهِ فيطبق مصراعيهِ ويجازيهِ على ذلك بالمأكل والمأوى . ولكن لا دليل على ان السرطان يقيم في الصدفة لهذه الغاية وانما يقصدها للسكن ولا تثقل وطأتهُ على حيوانها فيرحّب بهِ ولو لقي منهُ الاذى ما تعذَّر عليهِ الخلاص منهُ لان الحيوانات كلها تحاول الخلاص من كل طُفيلي فتنتفلى وتحتك وتذب الذباب عنها باذنابها امَّا حيوان الصدف فلا يحرك اصبعاً لابعاد السرطان عنهُ . ويشبههُ في هذا الكرَم نحلة هنديَّة سوداء تثقب سوق الاشجار وتصنع فيها غرَفًا بعضها فوق بعض تبيض فيها . ويعلق بهذه النحلة نوع صغير من النَمَس فلا تهتمُّ بالتخلُّص منهُ بل تفتح لهُ جيباً صغيرًا فوق حقويها وتدعهُ يقيم فيهِ وتضم طرفي هذا الجيب اذا شاءت حتى يتعذَّر على النَمَس الخروج منهُ فتحمل ضيفها على ظهرها ولا تبالي لان جيبها مبطَّن بمادة قرنيَّة يعسر على النَمَس نخرها. وكأنها ادركت ان لاحيلة لها بابعادهِ عنها وانهُ اذا بقي لاصقًا بها فقد يقع بعضهُ مع بيضها ويأكلهُ فلجأَت الى اخف الضررين وهو ان تحمل النَمَس في هذا الجيب وتقفل عليهِ بابهُ الى ان يتم غرضها من الحياة وهو وضع بيضها في بيوتهِ واعداد الغذاء الكافي لصغارها من العسل ونحوهِ والنمس نفسهُ يلجأ الى الجيب ولا يعود يخرج منها وهي تحفر البيوت لبيضها وتضعهُ فيها لانهُ يعلم انهُ اذا وقع في تلك البيوت عرَضًا تعذَّر عليهِ الخروج منها فيموت جوعاً ولو استطاع ان يغتذي ببيض النحلة اولاً . فهذا الجيب مفيد لهُ ولصغار النحل لانهُ يقيهِ ويقيها من التلف

واكرم الحشرات وارحبها منازل النملُ فترى الضيوف في بيوتهِ من انواع مختلفة تدخل وتخرج على الرحب والسعة عدا ما فيها من العبيد والجواري والخدم والحشم من ضيف كريم وغريب نزيل وخادم امين وطفيلي ثقيل . ترى هناك المن الذي يفرز العسل يربَّى ويُحلب كالمواشي والنمل الذي من نوع آخر أُسر في الحرب ودُرّب على الخدمة كالعبيد وترى ايضاً انواعاً من العناكب والخنافس تدخل وتخرج والنمل يلتقي بها فيقف قليلاً يتعرَّفها ثم يمرُّ في طريقهِ غير مكترث لها اما هي فتعلم انها ما دامت في بيتهِ فهيَ في حرز حريز من الحشرات التي تسطو عليها

· ويدخل قرى النمل ضيف آخر من نوع النمس وهذا لا يتنازل الى سكن البيوت بل يجعل مقرَّهُ اعناق دود النمل فان بيض النمل يصير دودًا قبلما يصير نملاً فيأتي هذا النمس ويضع بيضهُ على عنق الدود فينقف حالاً ويصير دودًا صغيرًا

وكلما جاء النمل ووضع الطعام لدودهِ في الجيب الذي تأكل منهُ الدودة وهو في نحرها بين فيها ومعدتها اكل دود النمس منهُ كفافهُ ثم ان دودة النمل اذا بلغت حدَّها من النمو نسجت لنفسها شرنقةً واقامت فيها الى ان تبلغ اشدَّها وتخلق نملة وحينئذٍ تثقب الشرنقة وتخرج منها ويبقى دود النمس في الشرنقة وقد بلغ حدَّهُ من النمو ايضاً ودنا وقت صيرورتهِ حشرات طيَّارة فيأتي النمل ويجمع قشور الشرانق ويطرحها خارج قريتهِ ويكون دود النمس فيها وقد صار حشرات مجنحة كما تقدم فيطير في الهواء ويتزاوج وتعود اناثهُ الى قرى النمل وتبيض على اعناق بيضهِ كما تقدم ويدور الدور الى ما شاء الله

وهذا النمس ضيف محتشم وان كان طُفَيليًّا ولكن يقصد منازل النمل ضيف آخر غير محتشم وهو لا يبيض على اعناق دود النمل بل على اعناق النمل نفسهِ ويتولد الدود من بيضهِ وينخر رأس النملة التي هو على عنقها ويأكل دماغها ثم يقطع رأسها عن بدنها ويقيم فيهِ كأنهُ بيت لهُ الى ان يبلغ اشدهُ ويصير حشرة مجنحة . وحينما يكون في رأس النملة دئباً على اكل دماغها تكون هي قائمة على عملها ولو تململت وابدت الضجر من وقت الى آخر حتى اذا فرغ من اكل دماغها وقطع عنقها بقي بدنها قائماً يحاول السير من غير رأس . وعلى ذلك ترى امام قرى النمل كثيرًا من رؤوسهِ المقطوعة . ولا يُعلم لماذا يحجم النمل السليم عن مساعدة اخواتهِ ولكن الباحث في طبائع الخلق بنوع عام يرى في الموت صلاح المجتمع فانهُ اذا لم يمت بعض افرادهِ لم يعُد الغذاء كافياً لهُ فيهلك كلهُ . فان كان النمل يدرك ذلك ويرضى بموت بعضهِ عن طيب نفس لكي ينجو المجتمع كلهُ فيكون قد ادرك ما لم يدركهُ كثيرون من العقلاء حتى الآن

والسرطان بين حيوانات البحر كالنمل بين حيوانات البر في الذكاء والدهاء ومنهُ نوع صغير يسمَّى الناسك ترك البداوة ولجأ الى الحضارة يفتش على قوقعة مهجورة يسكنها ومن ثم اخطأ الدميري ومن جرى مجراهُ وظنوا انهُ يتولد في الصدف . وقد ظن هذا السرطان ان البيت الصدفي يقيهِ من الموت ونسي قول القائل

والموت لا ينجيك من آفاتهِ حصن ولو شيَّدتهُ بالجندلِ

فان السراطين الكبيرة التي تلتهم الصغيرة جريًا على القانون العام وهو ان الكبار يأكلون الصغار تستخرجهُ من هذا البيت وتطحن عظامهُ والسمك القوي الانياب يلتقم البيت والساكن

فيهِ . ولما رأى ان القوة تعوزهُ لجأ الى الحيلة على حدّ ما قيل اذا انت لم تغلب فاخلبْ فانهُ رأى حيوانًا جميل المنظر قبيح المخبر يقال لهُ شقيق البحر يلصق بالصخور كالفطر وتتشعب من رأسهِ شعب كثيرة كالشعر او كالاهداب الوانهُ تزري بالوان الازهار بين احمر واصفر واخضر وبرتقالي وبنفسجي لكنهُ سامٌّ حرّيف اذا اغريت بهِ سمكة وحاولت اكل شيءٍ منهُ لدغها طعمهُ كالعقرب فلم تعد تحاول ذلك مرَّة اخرى . وكأن السرطان الناسك اكتشف مزية هذا الحيوان فصار يقلعهُ عن الصخور ويلصقهُ بالقوقعة التي يقيم فيها فيأمن شر الحيوانات الكبيرة التي تصطادهُ لكنهُ لا يستخدمهُ عفوًا بل يقوتهُ بدل حمايتهِ لهُ وذلك انهُ اذا قبض على فريستهِ مزَّقها قبلما يأكلها فينتشر الفتات منها في الماء والحيوان المشار اليهِ يبتلع ماء البحر على الدوام ويبقى في جوفهِ ما فيهِ من الغذاء فيغتذي من فضلات السرطان ويكتفي بذلك ولا يطمع باكثر. لكن انصاف السرطان لهذا الحيوان لا يبرئهُ من اغتصابهِ القوقعة التي يسكن فيها وهي ليست لهُ . وما ظالم الاَّ ويبلى باظلم فان دودة طويلة من ديدان البحر تخالفهُ الى القوقعة وتسكنها معهُ وكلما خرج ليتناول طعامهُ مدَّت رأسها غير مدعوَّة وقاسمتهُ الطعام وهو صابر عليها صبر الكرام لسبب لا يُعلَم حتى الآن فقد ظُنَّ قبلاً انها تنظف منزلهُ من مبرزاتهِ وهذا سبب صبرهِ عليها ولكن اتَّضح الآن انها لا تفعل شيئًا من ذلك

والظاهر ان طائفة السرطان عرفت خواص شقيق البحر في كل البحار ففي بحر الهند سرطان يقبض على شقيقتين صغيرتين بمخلبيهِ و يستخدمهما سلاحًا للهجوم والدفاع فيهجم بهما على الحيوانات الصغيرة ويلمسها بهما فتنشلُّ من المادة السامَّة التي في الشقيقتين فيقبض عليها ويفترسها . واذا هجم عليهِ عدو يريد افتراسهُ قابلهُ بالشقيقتين واذاقهُ من الالم ما يعلّمهُ ان النجاة بالهرب . والظاهر ان الشقيقتين لا تتألمان من قبض السرطان عليهما بمخالبهِ او انهما تكتمان الكمد وتظهران الجلد لاشتراكهما معهُ في المنفعة فانهُ اذا اصطاد حيوانًا شاركاهُ في اكلهِ على ما تقدَّم

وكثيرًا ما ترى بعض السراطين وعلى ظهرها قطع من الاسفنج والنبات البحري ويُظَن لاول وهلة ان هذه النوامي نمت من نفسها كما تنمو على الصخور ولكن ليس الامر كذلك بل ان السرطان نفسهُ يقتلعها ويزرعها على ظاهر جسمهِ حتى يصير كقطعة من الصخر نما النبات والاسفنج عليها وغرضهُ من ذلك الحيلة على الحيوانات التي تفترسهُ حتى تظنهُ حجرًا فلا تطمع فيهِ وعلى الحيوانات التي يفترسها حتى تدنو منهُ غير موجسة شرًّا . والسرطان يخلع قشرهُ مرارًا وهو ينمو فيضطر ان يزرع النبات والاسفنج على ظاهرهِ كلما خلع القشر القديم وتكوَّن لهُ قشر جديد . عملٌ

شاق يقتضي عناية ورويَّة ولكنهُ يقدم عليهِ من حداثتهِ ويمارسهُ طويلاً فيمضي الى حيث يجد طحالب البحر ويقتلع قطعة منها بمخالبهِ ويمضغ طرفها ويمزجهُ بلعابهِ حتى يسهل عليهِ الصاقهُ ببدنهِ وكلما الصق قطعة على جانب الصق قطعة اخرى مثلها على الجانب الآخر حتى تتغطَّى قشرتهُ واذا ابت قطعة ان تلتصق اعاد مضغها ومزجها باللعاب حتى تلتصق جيداً فيلبس من النبات والاسفنج ثوباً لا يبلى ولا يضطر الى تجديدهِ الاَّ حينما يجدد قشرهُ او حينما يذهب الى مكان يسهل اكتشافهُ فيهِ فاذا غطى جسمهُ بالنبات متلاً ومضى الى مكان ارضهُ مغطاة بالاسفنج واحبَّ الاقامة فيهِ نزع النبات عن جسمهِ وزرع مكانهُ اسفنجاً حتى يسهل عليهِ الاختفاء بين الاسفنج . ولكن الطبيعة لم تتم نعمتها لهُ فاعطتهُ هذا المقدار من الذكاء ولكنها حرمتهُ التمييز بين الالوان فقد يغطي بدنهُ بنبات احمر اللون وهو قائم في مكان نباتهُ اخضر او اصفر وكذا فعلهُ بالاسفنج لانهُ مصاب بالعمى اللوني على ما يظهر ويؤيد ذلك انهُ ينزع لباسهُ او يلبسهُ نهاراً وليلاً في النور والظلام على حدٍ سوى ويفعل ذلك بالدقَّة التامة ولو كان اعور او اعمى كأنهُ يعتمد على حاستي الشم واللمس لا على حاسَّة البصر

ولا تنتهي غرائب السراطين في لبس الثياب المنمقة بل منها ما يحمل مظلة فوق رأسهِ يتقي بها حر الشمس في البلدان الحارَّة وقد تكون هذه المظلة ورقة شجر كبيرة او صدفة او قشرة حيوان من الحيوانات القشرية

ولا يماثل السرطان في حمل المظلة الاَّ العقرب فقد ذكر احد الثقات ان بعضهم رأى عقرباً في عدن تدبُّ وهي ماسكة زهرة باحد قرنيها تظلل رأسها بها . والعقرب تكرهُ الحر الشديد فتخرج ليلاً في طلب فرائسها وتختبئ نهاراً في مكان ظليل والظاهر ان هذه العقرب ابعدت عن سربها فادركها النهار قبلما عادت اليهِ واذتها حرارة الشمس فقطفت الزهرة ورفعتها فوق رأسها تقيه بظلها والاَّ فلا وجه لتفسير عملها لانها لا تأكل النبات حتى تأكلها ولا تشرب الماء حتى تمتص عصارتها

وقد نشرنا مع هذه المقالة صورة القطقاط يلتقط فضلات الطعام من بين اسنان التمساح وصورة السرطان الناسك وصورتهُ وقد زرع شقيق البحر على قوقعتهِ وصورة السرطان الهندي الذي يقبض على شقيق البحر ويقابل بهِ الاعداء وصورة السرطان الذي يحمل مظلَّة فوق رأسهِ والعقرب التي شوهدت في عدن ومعها زهرة تستظل بها ونقلنا اكثر ذلك عن مجلَّة لندن

هذا يسير من موضوع كلهُ فكاهات وغرائب ولا شيءَ الذ للانسان من درس الطبيعة

الكوليرا ومعالجتها الوقتية

رأيت ان انشر ما اهتديت اليهِ في معالجة هذا الوباء خدمة لابناء وطني وقبل ذلك اشرح اعراضهُ شرحاً بسيطاً يسهل فهمهُ على جمهور القراء حتى لا تلتبس اعراضهُ عليهم باعراض غيرهِ من الامراض ولا يحسبوا كل اسهال او مغص او تلبك معدي من اعراض الكوليرا فيفعل بهم الوهم ما يفعلهُ الداء

الكوليرا او الهيضة الوبائية مرض معدٍ ظهر في بلدة موشا من بلاد الوجه القبلي في شهر يوليو الماضي وانتشر منها فوصل الى الوجه البحري وانتشر فيهِ انتشاراً وبائياً وكانت اعراضهُ اشد من الاعراض التي ظهر فيها سنة ١٨٩٦ فقمنا نحن رجال الصحة لمقاومتهِ بارشاد رؤسائنا بالمطهرات والعزل والعلاج رغماً عن مقاومة الاهالي لنا في اخفاء المصابين ودفن المتوفين بهِ بغير كشف ولا تطهير حيث لا اطباء وطرح براز المصابين في الترع التي يشرب منها الاهالي وغسل ثيابهم الملوثة حتى تلوثت المياه بميكروب الكوليرا ولاسيما في الترع الصغيرة

ولا بدَّ من ان يكون ميكروب الكوليرا قد وصل الى القطر المصري من بلاد اخرى لانهُ لا يتولَّد من نفسهِ ولا هو مستوطن في هذا القطر

الاعراض — تبتدئ الكوليرا بانحطاط في الجسم وتكسُّر في الاطراف وغطمشة في البصر وآلام عصبيَّة في الاطراف تؤدي الى انقباض الاصابع وغثيان وقيء وبحة في الصوت وظمإٍ شديد واسهال خفيف . وتكون المواد البرازية سائلة بيضاء كالماء الذي يغسل فيهِ الارز . وبرودةٍ في الاطراف وغور العينين في محجاجهما وتكوُّن هالة مسمرَّة قليلاً حول الحجاج وتلوُّن اطراف الاصابع بلون كدمي خفيف مزرق . ويتغطَّى اللسان بطبقة بيضاء . ويصاب البعض بالقيء فقط ويكون بهم امساك شديد مع الاعراض المذكورة آنفاً وفي اليوم التالي تبتدئ آلام الاطراف تزول وكذلك يزول القيء ويتغير لون المواد البرازية فتصفرُّ وتعود الحرارة الى الاطراف نوعاً وتزول الطبقة البيضاء عن جانبي اللسان وتأخذ سائر الاعراض في التناقص الى اليوم السابع الذي هو نهاية دور الهجوم وتعود قوى المريض تدريجاً في الاسبوعين التاليين وينال الشفاء التام في نهايتهما

وقد تشتدُّ الاعراض في اليوم الرابع او الخامس بعد التحسُّن الظاهر فتزيد بحَّة الصوت ويعتري المصاب ضيق في التنفُّس من غير صمم في الصدر ولا خراخر في شعب الرئة مع ضجر

شديد وخفقان في القلب وقلة في البول بسبب الاحتقان الكلوي الذي يصاحب هذا الداء وارق وتلوُّن اللسان بلون احمر وآلام في قسم المعدة من غير قيء ولا اسهال مع برودة في الاطراف . ويمكث المصاب في هذه الحالة ساعتين او ثلاثاً ثم يموت

وهناك شكل ثالث من هذه الاعراض وهو ان المصاب تعتريهِ آلام شديدة في المعدة والكبد وقيء دفعة واحدة او اثنتين وبرودة شديدة في الاطراف ويموت بعد ساعتين او ثلاث وهذا ما يسمَّى بالشكل الصاعقي . وقد لا يعتريهِ قيء ولا اسهال وانما يشكو من الم شديد في المعدة والكبد ويموت في برهة وجيزة وهذا ما يسمَّى بالشكل الجاف

المعالجة الوقتية — اني اكتفي بذكر طريقة العلاج التي جريت عليها سنة ١٨٨٣و١٨٩٦ وهذه السنة فثبت لي نجاحها نجاحاً تاماً وساقتصر على ما يستطيع اهل المصاب استعمالهُ في غيبة الطبيب الى ان يحضر

حينما تظهر الاصابة بالاعراض المار ذكرها يجب على اهل المصاب عزلهُ في الحال في مكان خاص بهِ شامل للشروط الصحيَّة وتطهير كل الادوات والامتعة التي لامسها ولا سيما الآنية التي تقيأ او تغوط فيها ويكون تطهيرها بمحلول السليماني $\frac{1}{500}$ (اي درهم منهُ في خمس مئة درهم من الماء) ويطرح مقدار كافٍ من الجير الجديد في المرحاض الذي القيت فيهِ مواد البراز والقيء وتطهَّر ايدي الذين خالطوا المصاب وملابسهم بمحلول السليمان $\frac{1}{1000}$. وتوضع الامتعة التي كانت في غرفتهِ في مكان معرَّض لنور الشمس وحرارتها بعد غمر ما يمكن منها في اناء فيهِ محلول السليماني $\frac{1}{500}$ ثم تعرض لحرارة الشمس حتى تجف ويقام خادم خاص لخدمة المصاب ويوصى بان يطهّر يديهِ كلما لامسهُ وبان يفعل ما يأتي

اولاً ان تنزع ملابس المصاب ويدلك جسمهُ بروح الكافور الممزوج بالكونياك النصف من كلٍّ منهما دلكاً شديداً ويلف بثياب نظيفة وتوضع قصريتان بجانبهِ واحدة للقيء وواحدة للبراز ولا يسمح لهُ بشرب الماء مطلقاً ولكن يسقى مغلي الشعير المثلج

ولا يعطى مركبات الافيون في الحال مثل الكلورودين ويكتفى لايقاف القيء باعطائهِ قطعاً صغيرة من الثلج ووضع اوراق خردليَّة على معدتهِ لان خروج الصفراء بالقيء يساعد على انحطاط الاعراض وبعكس ذلك ايقاف القيء بالمركبات المذكورة . ويعطى في الحال اي في ابتداء الاصابة المسهل الآتي

للبالغ { زيت الخروع ٥٠ جراماً
كالومل محضر بالبخار ٤٠ سنتيجراماً

يعمل الزيت مستحلبًا ويعطَّر بروح القرفة ويؤخذ منهُ ملعقة شوربا كل ساعة

للصغير { زيت الخروع ٢٥ جرامًا
كالومل محضر بالبخار ١٥ سنتيجرامًا }

يعمل مستحلبًا ويعطى كل نصف ساعة ملعقة شاي

وفي اليوم التالي يحقن المصاب بحقنة من الماء المقطر بعد اغلائهِ وتبريدهِ حتى يبقى فاترًا ويضاف الى كل لتر ونصف منهُ ملعقة شوربا من ملح الطعام النظيف ومنفعة ذلك اخراج الفضلات الباقية المشحونة بميكروب الكوليرا وادرار البول . ولا يرتكن الى ادرار البول بالدواء بل يلزم قسطرة المصاب دفعتين في اليوم اي اخراج البول منهُ بالقساطير مع اعادة دلكهِ بروح الكافور والكونياك وتغيير ملابسهِ كما في اليوم الاول . ويستمر على شرب مغلي الشعير المعطر بالنعناع ويؤمر لهُ بغذاء من اللبن والشاي ويعطى المركَّب الآتي

للبالغ { كالومل محضَّر بالبخار ٣٠ سنتيجرامًا
سالول جرام ونصف
مسحوق الراوند " " }

يعمل ستة برشامات ويعطى برشامة كل ساعتين

للصغير { كالومل محضَّر بالبخار ١٥ سنتيجرامًا
بترونفتول جرام
مسحوق الراوند ٢٥ سنتيجرام }

تعمل اربعة ورقات يعطى الصغير واحدة منها كل ثلاث ساعات ممزوجة بقليل من اللبن المحلى

ومع نجاح هذه المعالجة النجاح التام في مقاومة الاعراض قد استبدلنا البرشام المار ذكرهُ بحبوب الكالومل مع الراوند تركيب اب جون فاتت بفائدة كبيرة اذ ان كثيرين من المصابين يصعب عليهم تناول البرشام لاسيما وان حبوب اب جون المذكورة اسهل تناولاً وهي سريعة الذوبان وتمتص بسهولة

وفي اليوم الثالث يعالج المصاب حسب مهارة الطبيب

اما المعالجة الواقية من هذا الوباء فقد شرحت في الاعلانات التي نشرتها ادارة الصحة ووزعت في جميع القطر المصري

محمد رشدي
حكيمباشي اسبتالية الفيوم

علم التعليم

ان اهم المسائل التي تشتغل بها الامَّة الانكليزيَّة الآن والتي يخشى ان تكون سبباً لسقوط الوزارة الانكليزيَّة الحاضرة مسألة التعليم . ولا عجب اذا اهتمَّت بها الامَّة الانكليزيَّة هذا الاهتمام لان مستقبل الامم يتوقف على تعليم ابنائها فالامَّة التي تعدُّ ابناءها للجهاد في ميدان الحياة بالتعليم والتهذيب تفوز على غيرها والتي لا تعدُّ ابناءها لهذا الجهاد تُهتضَم حقوقها وتعيش اسيرةً لغيرها خادمةً لهُ .

ومن المقالات الكثيرة التي انشأها كبار الكتَّاب في هذا الموضوع خطبة تلاها الاستاذ هنري ارمسترنغ رئيس قسم علم التعليم في مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي التأم حديثاً في مدينة بلفست وقد لخصناها في ما يلي

ابتدأ الخطيب خطبتهُ بالكلام على تندل العالم الطبيعي لعلاقة مكان الاجتماع بخطبة تندل الشهيرة التي خطبها لما كان المجمع مجتمعاً في بلفست واستشهد بعبارة قالها تندل يحقُّ ان تكتب على جبين الدهر بحروف من ذهب وهي ان كل نظام ليس فيهِ من المرونة ما يكفي لتنوُّعهِ على ما يقتضيهِ اتساع المعارف يكون نصيبهُ مثل نصيب الحيوان او النبات اذا لم يستطيعا ان يتنوعا على ما تقتضيهِ احوال المكان الذي يوجدان فيهِ. اي ان النظام الذي لا يستطيع ان يجاري العلوم العصريَّة يقضي على نفسهِ بنفسهِ سواءٌ كان مذهباً دينيًّا او منهجاً سياسيًّا او اسلوباً صناعيًّا اذ لا بدَّ للناس من مجاراة روح العصر والاَّ تخلَّفوا عن غيرهم وسبقهم السابقون

وبنى الخطيب على هذه الحقيقة بناءً كبيرًا في حث قومهِ على تغيير اساليب التعليم المتَّبعة عندهم والجري على مقتضيات العصر حتى يظنَّ من يقرأ كلامهُ ان الانكليز في الدرك الاسفل بين امم الارض وما ذلك الاَّ من باب المبالغة في النصح والتخوُّف من سوء المصير اذا لم يهبَّ قومهُ الى مسابقة كل الامم التي تبغي سبقهم لانهم اذا لم يكونوا اهلاً للمقام الذي هم فيهِ بين امم الارض لم يُسمَح لهم بالقيام فيهِ طويلاً فان مناظريهم الذين يغارون منهم كثار اقوياء وسنَّة الجهاد لاجل البقاء التي هي اول سنن الطبيعة تقضي بان "يبقى الانسب" ويزول ما سواهُ . قال اذا نشبت الحرب رأينا نتائجها حالاً مرأى العين رأينا اسماء القتلى والجرحى تكتب وتنشر واذا دارت الدائرة علينا علمنا اننا سندفع غرامة الحرب دراهم معدودات بل قناطير مقنطرة من الذهب. اما حرب الحياة فلا تنشب على هذه الصورة البتة ولا تكتب اسماء قتلاها وجرحاها وتُعرض على الانظار لكن ذلك لا ينفي انتشاب القتال ووقوع كثيرين فيهِ بين قتيل وجريح

بل قد لا يسلم احد من الامَّة المغلوبة في هذا الجهاد . والنجاة من الانغلاب ليست ممَّا يتعذَّر نيلهُ اذا انتصحنا بنصح تندل وغالينا بالحياة ورفعنا مقام العقل . وان اكثر التقصير الذي نشكو منهُ ناتج عن ضعف تصوُّرنا او عن قلة تمريننا لقوى عقولنا واخراجنا تصوُّراتنا من القوة الى الفعل . اذا التفتنا الى سسل رودس قال قصار النظر في العواقب انهُ انما كان رجلاً فعَّالاً يعتمد على العمل ويقود غيرهُ اليهِ لكن الذين هم اطول نظرًا منهم واوسع خبرةً يعلمون ان سسل رودس كان من ارباب الرأي والتدبير كان واسع التصوُّر بعيد النظر في العواقب ولذلك بلغ ما بلغ من النجاح . وكذلك لورد روبرتس ولورد كتشنر اللذان خدما الامَّة خدمة لا تقدَّر لم ينتج نجاحهما عن كونهما جنديين محنَّكين وبطلين باسلين بل السبب الاكبر لنجاحهما انهما بعيدا النظر حادَّا التصوُّر قادران على تطبيق العلم على العمل . والقوَّاد الذين ذهبوا الى هذه الحرب وهم يحتقرون القواعد العلمية عادوا منها بالخيبة والفشل

ثم استطرد الخطيب الى فائدة النظريَّات العلميَّة كنظرية نيوتن في الجاذبيَّة ونظرية دالتون في جواهر الاجسام ونظرية داروِن في النشوء وقال ان الامور العمليَّة كلها مبنيَّة على الامور النظريَّة . وانتقد مدارس بلادهِ لان معلميها لا يجارون العلم الحديث اي لا يجرون على ما اكتُشف حديثًا في علم التعليم وكيفية نمو القوى العقلية وانمائها ولا ينظرون الى المطالب الكثيرة التي دعت اليها احوال الزمان وصار التأهُّب لها من اوجب الواجبات والزم ما يلزم على كل انسان

وانتقل من هذا التعميم الى التخصيص فبيَّن خسارة الامَّة من عدم فهم الوقَّادين والطباخين ونحوهم معنى القوة المذخورة في الفحم وكيفيَّة استعمالها حتى لا يتلف منها شيء. وخسارتها الكبرى من جهلها فوائد الطعام الحقيقية وكيفية اعدادهِ حتى يحصل منهُ اكثر نفع باقل ما يكون من النفقة . قال ان اعداد الطعام حتى يكون صالحًا من اهم الامور لان عليهِ تتوقف راحة الناس وصحتهم . والطبخ صناعة كيماويَّة بل هو فرع من فروع علم الكيمياء ويجب ان يتعلم بناتنا في المدارس ما يؤَهلهنَّ لتعاطي هذه الصناعة او لادارتها بقليل من العناء . ولا اظن ان اهل الحل والعقد الذين في يدهم ادارة مدارسنا خطر ببالهم ان يدخلوا علم الطبخ في جملة العلوم التي تعلَّم في المدارس العالية او التي يمتحن التلميذات فيها بل اقتصروا على مسائل النحو والبيان وغوامض الهندسة والتاريخ حاسبين ان علم الطبخ احقر من ان يدخل دار المدرسة لكنهم مخطئون وعلم الطبخ من اهم العلوم واليكم ما يؤيد قولي وهو كلام قالهُ رئيس مدرسة كبيرة في خطبة لهُ على التعليم قال اننا نحن الانكليز نفتخر ببيوتنا ونتغنى بمدحها ونكتب في

وصفها ويحق لنا ان نباهي بها . فهل يخطر ببالكم ان المعنى الذي يفهمهُ اكثرنا من كلمة بيت هو الطعام الذي نأكلهُ في البيت هو الطبخ المتقن الذي نطبخهُ فان اتقان الطبخ يدعو الى الاقتصاد والصحة والراحة والمحبة . اذا عاد العامل الى بيتهِ مساءً خائر القوى من تعب النهار فالطعام الطيب المغذي يجدد قواهُ ويطيّب نفسهُ فيقوم الى العمل في اليوم التالي نشيطاً معافًى والبيت هو المطبخ

ومن الغريب ان الذين بيدهم ادارة التعليم لا يهتمون بامر الطبخ وتعليمهِ وغني عن البيان ان بناتنا لا يتقنَّ هذه الصناعة ما لم يتعلمنَ اصولها ويقرنَّ العلم بالعمل وبالتفكير والتدبير

وانتقل الخطيب الى الكلام على العلوم الطبيعيَّة الامتحانية كالفلسفة الطبيعيَّة والكيمياء وما يبنى عليهما وبيَّن لزوم هذه العلوم حتى للفلاَّح الذي يحرث الارض ويغرس الاشجار وقال انهُ يجب على كل احد ان يعرف الفوائد التي نتجت عن مباحث باستور الذي خلَّص نوع الانسان من بلايا كثيرة ويستحيل ان نعرف حقيقة علم الصحَّة وفائدة التدابير الصحيَّة والعمل بها ما لم نتعلَّم علم الميكروبات ونعلّمهُ في مدارسنا واذا علَّمنا اولادنا مبادئ العلوم الطبيعيَّة صاروا يرون في الطبيعة ما يسرُّهم ويسليهم في اوقات العطلة وابتعدوا عن كل ما يضرهم ولاسيما عن المسكرات فيقل ما يُشرَب منها في البلاد كلها . ولام حكومة بلادهِ لانها لم تأخذ برأي مجمع ترقية العلوم لما قرَّرت لجنة منهُ منذ سنة ١٨٦٧ انهُ يجب تعليم العلوم الطبيعيَّة في كل المدارس الابتدائية وكان الاستاذ هكسلي والاستاذ تندل والقس فرار والقس هتشنصن من اعضاء تلك اللجنة وقال انهُ لو عملت الحكومة برأيها من ذلك الحين ما رأينا شيئاً من الخطإ الذي ارتُكب في جنوبي افريقية في الحرب الماضية ولا رأينا انفسنا مقصرين عن غيرنا في الحرب الصناعية الدائرة رحاها الآن ولا رأينا الفوز للالمانيين علينا

وبعد كلام طويل على التعليم الحربي ونحوهِ انتقد لجان المدارس وقال انهُ يجب ان يكون في البلاد نظارة خاصَّة بالتعليم تكون مسؤولة لدى الامَّة ثم عاد الى ترتيب المدارس الابتدائية وما يجب ان يعلَّم فيها واشار باغراء التلامذة بالمطالعة الكثيرة ونقل ما قالهُ احد المشاهير وهو انهُ يجب ان يُرغَّب التلامذة في المطالعة بكل واسطة ممكنة وتوضع الكتب في طريقهم حتى يجدوها كيفما التفتوا دواوين الشعر وكتب السيَر واخبار الاعمال الجيدة والقصص التاريخيَّة وكتب الرحلات . ويجب ان يقرأُوها بصوت عالٍ وان يتصفَّحوها جيداً لا ان يمرُّوا نظرهم على صفحاتها مرًّا . والذي يبتدئ بالمطالعة يواظب عليها ويستفيد من هذه الكتب اذا كانت منتقاة ومتدرِّجة في لغتها ومواضيعها فوائد لا تقدَّر فيستنير عقلهُ وتزول السآمة من نفسهِ ويتعلم منها اللغة والتاريخ ومعرفة مواقع البلدان

واستطرد الى تعليم التاريخ والجغرافيا وقال ان اسلوب تعليمهما قبيح يقيّد العقل لان التلميذ الذي يقرأ درساً وجيزاً في صفحة من كتاب التاريخ يجد عقلهُ يدفعهُ الى قراءة غيرها الى ان يتم الفصل او الموضوع فحَصْرُهُ في صفحة او صفحات تقييد لهُ عن التوسُّع وهو لا يطيق هذا التقييد فيجب ان نطلق الحريَّة للتلامذة ولا سيما للصغار منهم حتى يطالعوا كل ما تلذُّ لهم مطالعتهُ من الكتب التي يختارها لهم ويجب ان نرغّبهم في الرجوع الى الكتب والاستشهاد بها ولا سيما كتب المراجعة كالقواميس فانهم متى فعلوا ذلك وابنتَ لهم انك راضٍ عنهم وعن عملهم هذا جروا فيهِ وعُقد لهم النجاح

ويجب ان يرغَّبوا في قراءة الطبيعة كما يرغَّبون في قراءة الكتب فان للطبيعة كتاباً منشوراً يستطيع كل مَن في رأسهِ عينان ان يطالعهُ ويرى فيهِ فوائد لا تحدّ. ثم يعلَّموا بالتجارب العمليَّة خواص الاجسام وسنن الطبيعة . ولا يحسن ان يستعملوا كتب التعليم حينئذٍ بل يكفي ان يروا بعيونهم ويستنتجوا بعقولهم . والكتب الموضوعة للتعليم هي اقل الكتب فائدة لان مطالعتها لا تلذ لاحد ولا تفيد الاَّ مَن لهُ المام كثير بالعلم

وهنا دخل الخطيب في موضوع كبير الاهميَّة وهو نوع الكتب التي تفيد مطالعتها وظاهر كلامهِ ان هذه الكتب قليلة في اللغة الانكليزيَّة او غير موجودة فيها ويجب ان تؤَلف من جديد . وان كان الانكليز يقولون ذلك فما نقول نحن وليس في لغتنا كتاب يصح ان نضعهُ في يد اولادنا الاَّ ما ندر

ولما فرغ من الكلام على القراءة تكلم على الكتابة وقال ان اولادهم يعجزون عن الكتابة لقلة المادة كما عجز بنو اسرائيل عن عمل اللبن من غير تبن . والقى اللوم على المعلمين لانهم لا يعلّمون التلامذة كيفيَّة التعبير عن افكارهم كتابةً بلغة فصيحة زاعمين انهم غير مقامين لتعليم اللغة بل لتعليم العلوم . (وماذا عساهُ ان يقول لو رأى مدارسنا وعلم ان معلميها انفسهم لا يحسنون كتابة سطرين بلغتهم) ولا يُحسب ان التلميذ فهم شيئاً فهماً صحيحاً الاَّ اذا قدر ان يعبّر عنهُ تعبيراً صحيحاً بلغة صحيحة . ومعلوم انهُ لا يُطلب من الصغار ما يُطلب من الكبار ولكن اذا دُرّب الصغار على التعبير عن افكارهم بلغة صحيحة مهروا في ذلك سريعاً على غير ما يُنتظر منهم . ويدخل تحت الكتابة الرسم فانهُ يجب على التلميذ ان يستطيع التعبير عن افكارهِ بالكتابة وبالرسم ايضاً

وذكر الخطيب بعد القراءة والكتابة علم القواعد الحسابية ثم تمرين العقل على الاستدلال المنطقي وقال انهُ يجب ان يكون متصلاً بكل العلوم فيُقضى وقت التلامذة في المدارس

الابتدائية في المطالعة وفي التجارب العلميَّة ووصفها بالكلام والكتابة واستنتاج النتائج العلميَّة منها

وانتقل من ذلك الى الكلام على تعليم المعلمين طريقة التعليم والى كيفية التعليم في المدارس العالية وقال انهُ يجب ان يوجَّه التعليم فيها الى تقوية العقل والتصوُّر والاستقلال في الافكار

وختم خطبتهُ بالكلام على المدارس الجامعة وقال ان نجاة الامة متوقفة عليها ولكنها لا تنجيها ما لم تكن عمليَّة واسعة النطاق وما لم يكن الغرض الاول منها تعليم التلامذة واعدادهم ليعلّموا غيرهم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوالدان

الكلام على الزوج والزوجة يوصل الى الكلام على الوالدَيْن فقد ابنَّا في الجزء السابق مقوّمات الزوجة وفي الجزء الذي قبلهُ مقوّمات الزوج اي الصفات التي يتَّصف بها كلٌّ من الرجل والمرأة حتى يكونا زوجًا وزوجة مستوفيين الصفات اللازمة للزوجيَّة . وسيكون الكلام في هذا الفصل على الصفات التي يجب ان يتَّصفا بها حتى يكونا والدَيْن مستوفيين حقوق الوالديَّة قادرين على تربية اولادهما التربية الصالحة . وهذه الصفات يكاد يعرفها كل مَن أُعطي فطانة كافية وراجع الاساليب التي جرى عليها والداهُ في تربيتهِ وما كانا يحسنان فيهِ وما كانا يسيآن فاتَّبع الاول واجتنب الثاني

قالت احدى السيدات في مقالة نشرت حديثًا في مجلة لندن ان الام الفاضلة هي التي تُعِدُّ نفسها لتكون مثالاً فاضلاً لاولادها وتصادقهم متى كبروا وتعاشرهم حتى يروها من اخلص الاصدقاء والصق العشراء

وقليلات من النساء يفتكرن في ما يجب ان تكون عليهِ الوالدة وكذلك قليلون من الرجال يهتمون ليكونوا من فضلاء الوالدين. ترى الوفًا من الشبَّان يبذلون كل مرتخص وغالٍ لكي تقوى ابدانهم ويمهروا في الصراع او ركوب الخيل او الصيد والقنص ولكن كم شاب يحرم نفسهُ الملاذ ويجتهد في تهذيب اخلاقهِ وتقوية جسمهِ لكي يولد لهُ اولاد اصحاء جسدًا وعقلاً .

وكم شابَّة تهتم بتقوية جسمها وتهذيب طباعها وتدميث اخلاقها حتى تورث ذلك لاولادها وكم والدة تهتم بان تربي في اولادها الاخلاق الفاضلة النبيلة. اذا لم يشعر الولد ان امهُ اقرب الناس اليهِ واشفقهم عليهِ فاللوم عليها لا عليهِ لانها لو عرفت ان تربط قلبهُ بقلبها برباط المحبة لارتبط بها ولم يفضل احدًا عليها

وعلى الام ان تكتشف اميال اولادها فتقوي الصالح منها وتنميهُ وتضعف الطالح وتُذويهُ كما يفعل البستاني ببستانهِ فانهُ يربي فيهِ النبات النافع ويقتلع النبات الضار . وهي نفسها تفعل ذلك اذا كان لها بستان او حديقة فاحرِ بها ان تهتم بولدها على الاقل كما تهتم ببستانها. ومن الغريب ان الوالدين لا يهتمون باولادهم كما يهتمون بزروعاتهم

ومن هذا القبيل محاولة الوالدين صرف اولادهم عن الاعمال التي يميلون اليها بالطبع وجعلهم يعملون الاعمال التي لا يميلون اليها فاذا كان الولد ميَّالاً الى التجارة الزموهُ ان يدرس الطب واذا كان ميَّالاً الى الطب الزموهُ ان يدرس المحاماة مع ان الاول لو تعاطى التجارة لبرع فيها اكثر مما يبرع في الطب والثاني لو درس الطب لبرع فيهِ اكثر مما يبرع في المحاماة ولا يراد بذلك ان يترك الولد الى هواهُ ليحترف كل حرفة يميل اليها ولو كانت ضارَّة او لا تناسب مقامهُ ومقام اهلهِ كلاَّ فان اهواء الفتيان قد لا تكون مصيبة وقد تكون شاطَّة جدًّا وحينئذٍ يجب صرف الفتى عنها بكل واسطة ممكنة ولكن اذا مال الى حرفة شريفة تتكفَّل بمعاشهِ لم يكن من الحكمة صرفهُ عنها

ويستصعب كثيرون من الوالدين ان يعرفوا اميال اولادهم ومقاصدهم وسبب ذلك قلة اهتمامهم بهم فترى الوالدين يهتمان بفرس يركبانهِ او بطائر يربيانهِ او بثيابهما وامتعة بيتهما اكثر مما يهتمان باولادهما واكتشاف ما يميلون اليهِ وما يسرُّهم وما يسوءهم وهذا خطأٌ كبير عواقبهُ وخيمة على الوالدين وعلى اولادهما

وجملة القول ان الوالدين المستوفيين شروط الوالديَّة يربيان نفسيهما اولاً تربية جسديَّة وعقليَّة حتى يورثا اولادهما الصحة التامة جسدًا وعقلاً ثم يهتمان بتربية اولادهما الجسديَّة والعقليَّة وباميالهم ويبذلان جهدهما لجعل اولادهما يصادقونهما ويساعدانهم على اتباع ما يميلون اليهِ اذا كان صالحًا شريفًا والابتعاد عنهُ اذا كان قبيحًا دنيئًا وبذلك يقومان بالحقوق الوالديَّة

العلاج بالطعام

من الاقوال المأثورة ان تدبير الغذاء قبل الدواء وان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب . ومن المشهور ان كبار الاطباء الذين مارسوا صناعة الطب السنين الطوال يعتمدون على تدبير

الغذاء اكثر مما يعتمدون على وصف الدواء. نعرف شيخاً جليلاً منهم كاد يقتصر على التدابير الصحيَّة في علاجهِ ويترك العقاقير الدوائية بخلاف صغار الاطباء فانك اذا دعوتهم عشر مرات في النهار الى مريض وصفوا لهُ كل مرة دواء جديداً ولم يخطر ببالهم ان يقولوا كلمة عن طعامهِ

ومما لا شبهة فيهِ ان الناس الذين يعتنون بطعامهم وشرابهم فلا يأكلون الا الطعام الجيد ولا يشربون الا الماء النقي ويقتصرون على ما يقوتهم من الطعام وما يروي عطشهم من الماء لا يمرضون ولا يحتاجون الى الدواء الا نادراً . وقد عبر حكماء العرب عن ذلك بقولهم لا تجلس على الطعام الا وانت جائع وقم ولنت بما دون الشبع قانع

وما دام الانسان صغير السن غير بالغ تمام نموهِ يكون طعامهُ لغرضين الاول انماء جسمهِ باضافة مواد جديدة اليهِ والثاني التعويض عن الدقائق التي تتلف منهُ دواماً بالتنفُّس والحركة وسائر الاعمال الحيويَّة . واذا بلغ تمام نموهِ انحصرت فائدة الطعام بالتعويض عن الاجزاء التالفة الا في الذين يزيد سمنهم بتقدمهم في السن فانهُ يذخر في ابدانهم حينئذٍ من الغذاء اكثر مما يتلف منها

والغذاء لجسم البالغ كالوقود للآلة البخارية فما دامت كميتهُ معتدلة وما دام نوعهُ صالحاً للاشتعال دارت الآلة على تمام الانتظام ولكن اذا زاد الوقود عن الحد المطلوب غصَّ بهِ الموقد وتعذَّر عليهِ الاشتعال وكذا اذا كان الوقود غير صالح للاشتعال فانهُ لا يشتعل ولا تتكوَّن منهُ الحرارة اللازمة لاغلاء الماء وادارة الآلة

ثم ان اعضاء الجسم مختلفة وكل عضو منها يحتاج الى الغذاء والتجديد فيجب ان يكون الطعام حاوياً لكل العناصر التي يحتاج اليها الجسم . ولا يعرف طعام واحد حاوٍ لعناصر الجسم كلها الا اللبن والبيض والخبز

وتقسم الاطعمة كلها الى اربعة اقسام كبيرة الاول الطعام النيتروجيني الذي يصلح لتكوين اللحم في جسم الانسان والثاني الطعام الدهني وهو يصلح لتوليد الحرارة والثالث الطعام النشوي والسكري وهو يصلح لتوليد الحرارة ايضاً ولتسمين الجسم والرابع الماء والمواد الجمادية كالملح وهي لازمة لبناء الجسم ولتسهيل اعمالهِ . والطعام الجيد الكافي يجب يكون شاملاً لهذه الانواع الاربعة على نسب معتدلة

ومن المؤكد ان تسعة اعشار الموسرين وجانباً كبيراً من غير الموسرين يأكلون اكثر مما تحتاج اليهِ ابدانهم والزيادة عن الحاجة تضرُّ ولا تنفع لانها تتعب اعضاء الهضم فتهرم او تتلف قبل الزمن الذي تهرم فيهِ او تتلف لو كان الطعام الى حد الكفاف . واكثر المصابين بسوء

المضم نتج سوء هضمهم عن افراطهم في الطعام ولا يمكن ان يشفوا ما لم يقللوا الطعام كثيرًا ويجيدوا مضغهُ

ولكن اذا سأل سائل ما هو المقدار اللازم من الطعام لم يكن من السهل ان يجاب سؤالهُ لان المقدار يختلف باختلاف السن والصحة والعادة فالمقدار الذي يحتاج اليهِ الشاب اكثر من المقدار الذي يحتاج اليهِ الكهل . والمقدار الذي يحتاج اليهِ الكهل اكثر من المقدار الذي يحتاج اليهِ الشيخ . والمقدار الذي يحتاج اليهِ العامل الذي يعمل بيديهِ اكثر من المقدار الذي يحتاج اليهِ العالم الذي يشتغل بعقلهِ . والمقدار الذي يحتاج اليهِ الكبير الجسم اكثر من المقدار الذي يحتاج اليهِ صغير الجسم . ويأكل الانسان الواحد في الشتاء وفي الخلاء وفي اوقات النزهة اكثر مما يأكل في الصيف وفي الاواء وفي اوقات الاشتغال ولذلك يتعذر وضع قاعدة عامة لجميع الناس .

وقد حسب احد الثقات ان الانسان البالغ يحتاج في يومهِ الى نحو ٢٧٠ درهمًا من الطعام الجامد ويجب ان تكون مقسومة هكذا : ٥٤ درهمًا من الاطعمة النيتروجينيَّة كاللحم او ما يقوم مقامهُ كالعدس والفول والحمص . و٣٦ درهمًا من الدهن او الزيت و١٦٨ درهمًا من المواد النشوية والسكرية و١٢ درهمًا من الملح . ولكن الطعام الاعتيادي لا يكون خاليًا من الماء بل يكون الماء فيهِ من خمسين الى ستين في المئة فيجب ان يكون وزنهُ نحو ستمئة درهم او اكثر حتى يكون فيهِ ٢٧٠ درهمًا من المواد الجامدة

ويطعم الانكليز جنودهم وقت السلم طعامًا تقوم بهِ ابدانهم وتحفظ صحتهم وهو ١٤٤ درهمًا من الخبز و١٠٨ دراهم من اللحم لكل جندي ويعطونهُ نحو غرشين في اليوم فيبتاع بها اطعمةً اخرى و يزاد طعامهُ وقت الحرب . والفرنسويون يقللون اللحم لجنودهم ويكثرون الخبز . والالمانيون ينوّعون طعام جنودهم كثيرًا باضافة الارز والفول والبطاطس اليهِ . والروسيون لا يطعمون اللحم لجنودهم الاَّ في ١٩٦ يومًا من ايام السنة

هذا ولنُعد الى طعام المرضى اوالى تدبير الغذاء في حالة المرض او الضعف او كل حالة يشكو منها الانسان واول شيء ينظر فيهِ تدبير الغذاء للذين زاد سمنهم حتى اتعبهم وهؤلاء يجب عليهم اولاً ان يقللوا شرب الماء ولا يشربوا وقت تناول الطعام بل بعد تناولهِ بنصف ساعة ويقللوا من شرب الخمر على قدر الامكان . وان يمتنعوا عن اكل الاطعمة النشوية والسكريَّة والدهنيَّة او يقللوا منها كثيرًا واذا اكلوا لحمًا فليقتصروا على اكل الهبر منهُ مع الخضر على انواعها وليقللوا من اكل الخبز والزبدة والجبن والحلويات على انواعها ومن شرب اللبن ايضًا

واذا امكن فليمتنعوا عنها كلها فاذا واظب السمين على ذلك قلَّ سمنهُ يوماً فيوماً وقد يقل رطلاً كل ثلاثة ايام

وصف بعضهم الطعام التالي للسمان الذين يريدون ان يقل سمنهم وهو لحم او سمك ١٨٠ درهماً ونحو ٧٠ درهماً من الخضر كالاسبانخ او الكرنب او الكوسى و ٢٤ درهماً من الخبز لا غير وقليل من الاثمار . هذا طعام اليوم الواحد ولا يزيد الماء على نحو مئتي درهم في اليوم

وقد نجح الدكتور وير متشل الاميركي الشهير في ازالة سمَن السمان بطريقة بديعة وهي انهُ يضطرهم الى القيام في فرشهم والاقتصار على شرب اللبن المخيض اي الذي ازيلت الزبدة منهُ فتخف اجسامهم سريعاً وتجود صحتهم

واذا كان الانسان نحيفاً واريد ان يسمن وجب عليهِ ان يجري على ضد الطريقة التي تخف السمين فيكثر من الطعام النشوي ويشرب كثيراً من اللبن ويأكل كثيراً من الزبدة والخبز ويشرب زيت السمك اذا اراد

وقد اخذ الاطباء الآن يعالجون المسلولين بالطعام فيحشونهم بهِ حشواً كأنهم الخرفان التي يراد تعليفها وتسمينها وثبت ان هذه المعالجة تشفي المسلولين الذين لا يزال سلهم في بداءتهِ ولا سيما اذا كان المكان طيب الهواء واقام المسلول وقتاً طويلاً كل يوم في الهواء المطلق وشرب كثيراً من اللبن الى حد اقتين في اليوم

ويصف كثيرون من الاطباء الفرنسويين اللحم النيء للمسلولين يدقونهُ كما يدق لحم الكبيبة ويمزجونهُ بالمرق السخن . ويصف غيرهم انواع الحلازين او شرب دم الحيوانات وقت ذبحها ويصف بعض الالمانيين البطرخ المملح . ولا شبهة في فائدة الطعام الكثير المغذي لمن كان مصاباً بداء السل

وطعام المصابين بالبول السكري يجب ان تنزع منهُ المواد النشويَّة والسكريَّة . فيصنع لهم خبز من غلوتين القمح اي يغسل الدقيق بالماء مراراً كثيرةً حتى يزول منهُ اكثر النشا ويصنع ما بقي خبزاً او يصنع لهم الخبز من النخالة (الرضَّة) بعد اغلائها وغسلها لازالة ما معها من النشا ثم تمزج بدقيق اللوز الحلو ويصنع منها خبز ويطعمون بدل النشا كثيراً من المواد الدهنيَّة او الزيتيَّة

واذا كان الانسان مصاباً بالنقرس وجب ان يقلل من اكل اللحم وكل ما يزيد الحامض الاوريك في بدنهِ وان يقلل ايضاً من شرب الخمور او يمتنع عنها تماماً

ومن أُصيب بالتيفويد فطعامهُ وهو مريض بسيط جداً يقتصر على اللبن مع قليل من مرق اللحم الهبر ولكن حينما تزول الحمَّى يشعر بالجوع الشديد فيطعم اولاً قليلاً من النشا

المطبوخ باللبن مع قليل من الخبز المحمص ثم قليلاً من البيض ويتدرّج الى اكل السمك والفراخ واخيرًا يأكل اللحم

غسل الحرير

الشائع ان الثياب الحريريَّة تفقد لمعانها اذا غُسلت وهذا خطأٌ الاَّ اذا غسلت على اسلوب يتلفها اما اذا غسلت على الاسلوب الآتي بقي لمعانها فيها وهو ان يذاب الصابون في قليل من الماء ويضاف منهُ الى الماء السخن ما يكفي لتوليد الرغوة فيهِ ويجب ان لا يكون الماء شديد السخونة لان الحرارة الشديدة تجعل لون الحرير اصفر . ثم انفض ثياب الحرير حتى يقع عنها كل ما هو لاصق بها من الغبار وضعها في الماء بعد ان ترغي الصابون فيهِ واغسلها برغوتهِ واعصرها ولا يجوز فرك الحرير وقت غسلهِ لانهُ يفتح بالفرك اي تتباعد خيوط السدى وتتجمع بل يربَّص تربيصاً كما يعجن الدقيق ثم يعصر . ولا بدَّ من شطفهِ من الصابون جيدًا لانهُ اذا بقي فيهِ شيء منهُ اصفرَّ لونهُ بهِ . وبعد شطفهِ من الصابون كلهِ يفوح بالماء السخن ثلاث مرات متوالية. اي ينقل من ماء الى ماء واخيرًا يفوَّح بماء بارد . واذا كان الحرير ابيض يحسن ان يفوَّح اخيرًا في ماء نقي فيهِ قليل جدًّا من النيلة ثم يعصر . وعندهم آلة لعصر الغسيل يخرج الماء منهُ بالضغط وذلك خير من اخراجهِ بالفتل واذا كان الحرير ملونًا يضاف الى كل عشرة ارطال من الماء الذي يغسل فيهِ ملعقة صغيرة من الخل واذا كان ملونًا بلونين وخيف من ان يلطخ احدها الآخر يضاف الى الماء الذي يشطف بهِ ملعقة صغيرة من الملح

اختيار المنزل الصحي

اذا غشَّ اللبَّان لبنهُ او السمَّان سمنهُ حتى صارا مضرَّين بالصحة قبضت عليهما الحكومة وعاقبتهما عقابًا صارمًا ولكن اصحاب المنازل يبنونها على اسلوب يضرُّ بصحة السكان ولا يطالبهم احد لانهُ ليس في القانون ما يمنعهم عن ذلك

واول شيء يُلتفت اليهِ في اختيار المنزل في القطر المصري ان يكون متجهًا الى الشمال لكي تدخلهُ الرياح الشماليَّة الباردة في ايام الحر وان يكون متجهًا ايضًا الى الشرق او الغرب او الجنوب لكي تدخلهُ اشعة الشمس

ثم يُلتفت الى ما يجاور المنزل فاذا كان في جوارهِ قهاوي او دكاكين لبيع الفراخ او السمك او اللحم او اسطبلات للخيل او صنَّاع ينهضون قبل الفجر وينشرون الخشب او يدقون المسامير او يطرقون الحديد او كان المنزل مجاورًا لسكة الحديد او سكة يمرُّ عليها الترام فالسكن في ذلك المنزل متعب جدًّا يبعد عنهُ كل مَن يراعي صحتهُ وراحتهُ

واذا كانت مرانق البيت غير محكمة الوضع تخرج الروائح الخبيثة منها فلا يجوز السكن فيهِ لمن يراعي راحتهُ وصحتهُ . وقد اصبح اصلاح المرافق من اسهل ما يكون بعد استنباط الممص (الصيفون) فاذا وضع ممص او كوع في كل مصب ماء ومرمى اقذار حتى تجتمع المياه فيهِ وتمنع خروج الغازات منهُ وجُعل لهُ انبوب عالٍ ينفتح فوق سطح المنزل زالت الروائح الخبيثة وزال ضررها

ولا بدَّ من ان يصل الماء النقي الى المنزل والاَّ فكل التدابير الصحيَّة لا تقي الانسان من الامراض الفتاكة اذا كان الماء الذي يشربهُ غير نقي

ولا بدَّ من ان يكون بيت الراحة مجهزها بآلة تندفع المبرزات منها بقوة الماء وفيها ممص يمنع خروج الغازات منها وان يكون لهُ شباك كبير ينفتح الى الخارج وتدخل منهُ الشمس ويجب ان يبقى بيت الراحة نظيفاً خالياً من كل شيء وان تدهن حيطانهُ بالجير. وان تكون اوضة المونة منفصلة عن المطبخ ويكون لهما شبابيك تنفتح الى الجهة الجنوبيَّة او الشرقية او الغربية حتى تدخل الشمس منها ويتجدَّد هواؤها

ولا بدَّ من الحمَّام في كل بيت ان امكن. وتسخين مائهِ بالغاز على ما جرت بهِ العادة حديثاً مضرٌّ جدًّا لان الغاز قد يرشح ويخنق المستحم وخير من ذلك الحمام الشرقي الذي يسخن ماؤهُ بوقد وراءهُ او تحتهُ

وغرف النوم يجب ان تكون واسعة تدخل الشمس من شبابيكها . والغرفة التي طولها اربعة امتار وعرضها اربعة امتار وعلوها اربعة امتار لا يصح ان ينام فيها اكثر من اثنين بالغين او ثلاثة اولاد فان كل واحد يحتاج الى نحو ثلاثين متراً مكعباً من الهواء والغرفة التي كذلك مساحة هوائها ٦٤ متراً مكعباً . ولا بدَّ من عمل الشبابيك حتى يسهل فتحها من اسفل ومن اعلى لانها بفتحها من اعلى تجدِد هواء الغرفة ولا سيما اذا كانت واصلة الى السقف

اما سائر غرف البيت كغرف الاستقبال والاكل وما اشبه فينظر في اختيارها الى ذوق الانسان ومقدرتهِ المالية

تعليم الطبخ في المدارس

يحسن بقراء المقتطف ان يطالعوا خلاصة الخطبة التي نشرناها في هذا الجزء وموضوعها علم التعليم فانها مفعمة بالفوائد وهي آراء رجل مارس ادارة المدارس اكثر من ثلاثين سنة ومما جاء فيها ان البيت هو المطبخ لان المطبخ اهم شيء فيهِ وعليهِ تتوقف صحة اهل البيت وراحتهم ويجب على كل البنات ان يتعلمن علم الطبخ حتى يستطعن ان يدرن بيوتهنَّ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

نجاح اليابان الموهوم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اني اطالع ما تكتبونهُ عن اليابان ونجاحها العجيب وكأنَّ لسان حالكم يلوم المصريين والسوريين والعثمانيين عموماً لانهم وقفوا على ابواب اوربا ورأوا نجاحها وفلاحها منذ مئتي عام الى الآن ولم تأخذهم الغيرة للاقتداء بها بخلاف اهالي اليابان فانهُ لم يكد الاوربيون يتصلون بهم حتى اخذوا اخذهم وجاروهم في كل شيء تقريباً وقد اعترفت لهم اوربا بهذه المجاراة كما يتضح من عقد المحالفة بين اكبر الدول الاوربيَّة البحرية وبينهم. ولا بدَّ من ان يتساءل القراءُ قائلين ترى ما سبب هذا التقدُّم السريع في بلاد اليابان الذي لم نرَ لهُ مثيلاً ولا في اوربا نفسها فان روسيا وايطاليا واسبانيا لم يكن سير الافكار الجديدة سريعاً فيها كما كان في بلاد اليابان . وقد خطر على بالي خاطر احببت ان ابديهُ على صفحات المقتطف يزول بهِ بعض الاستغراب وهو ان تقدُّم اليابان ليس كما يزعمون وفي ما يروى عنهُ مبالغة شديدة يراد بها تسكين خواطر اليابانيين واغراؤُهم باستدانة الاموال الطائلة من اوربا كما حدث في ايام اسمعيل باشا الخديوي الاسبق فان الكتَّاب الاوربيين كانوا يتغنون حينئذٍ بمدح مصر وحكومتها ويطنبون بغناها وارتقائها حتى اقنعوا اسمعيل باشا ان كل دَيْن يستدينهُ من اوربا لا يتعذَّر عليهِ ايفاؤُهُ في سنوات قليلة لوفرة خيرات البلاد كما يفعل كبار المرابين الذين يحسّنون للعمدة او لصاحب الاطيان الكثيرة ان ريع اطيانهِ وافر وانهُ يستطيع ان ينفق بسعة ولا ينقصهُ الَّا ان يبني قصراً مثل قصر جارهِ البك الفلاني ويفرشهُ مثل فرش الباشا الفلاني فينخدع باقوالهم ويستدين منهم الاموال الوافرة بالربا الفاحش وينفقها على ما لا حاجة بهِ اليهِ

ويرهن لهم اطيانهُ فيمسي اجيرًا عندهم يعمل في طينهِ ويكتفي بالقوت الضروري ويدفع لهم بقيَّة الريع . وقد حدث مثل ذلك للحكومة المصريَّة فاستغرقت في الدين ورهنت ايرادات بلادها لدفع فوائدهِ وهي تدفع الآن للرابين نحو نصف ايرادها

فان كان استدلالي صحيحًا فيكون ما يروى عن اليابان مبالغًا فيهِ مبالغة شديدة وتكون العاقبة على اليابان وخيمة اذا انخدعت بالتملُّق والتدليس وملَّت رجليها على اكثر من بساطها وتكون امم المشرق في "الهوى سوى" وحبذا لو وضعتم هذه المسألة موضع النظر ونشرتموها في باب المناظرة لنرى ما يكون رأي القراء فيها مصر احد المشتركين

وكما تكونوا يولَّى عليكم

حضرة منشئي المقتطف الاغر

طالعت ما نشرتموهُ في الجزء التاسع من المقتطف بقلم حضرة الفاضل الدكتور سعيد ابو جمرة عن تأخر رجال الشرق ونسائهِ ولغتهِ . ورأي الكاتب في ذلك ان سبب هذا التأخر من الحكومة لا من الشعب. كأن الحكومة شيءٌ مستقلٌ عن الشعب او قوة تحلُّ فيهِ وتفارقهُ كالنفس على ما قالهُ القدماء . وقد يصدق هذا القول على البلدان الخاضعة لدولة اجنبيَّة وهي في حال الانحطاط التام ولكنهُ لا يصدق على البلدان التي حكومتها منها كالبلاد العثمانية ولا على البلدان التي شعبها من اصول مرتقية . اما البلاد الاولى التي لا تزال في حال الانحطاط التام ككثير من البلدان الافريقيَّة فلا يستطع شعبها ان يرتقي من نفسهِ فجأَةً وينال من وسائل العمران ما لا يمكن نيلهُ الاَّ بتوالي الازمان لان العمران نظام متدرج ترتقي اليهِ العواطف والاميال والاخلاق والعادات رويدًا رويدًا على حسب سنن الارتقاء الطبيعي ولكن اذا كانت حكومتهُ اجنبيَّة عنهُ ومن امَّة مرتقية وارادت ترقيتهُ بسرعة فلا يتعذَّر عليها ذلك ولهذا الامر امثلة في الطبيعة فان النباتات البستانيَّة تولدت من النباتات البريَّة بالارتقاء المتدرّج في الوف من السنين ولكن البستاني الماهر يستطيع ان يزرع النبات البري في بستانهِ ويعتني بهِ اعتناء خاصًا حتى يوصلهُ الى درجة النبات البستاني في سنين قليلة ولذلك ارتقى بعض الزنوج سكان اميركا وليبيريا في سنين قليلة وصاروا مثل الاميركيين في علومهم وتصوراتهم وعاداتهم

واما البلدان الثانية التي حكومتها منها كالبلاد العثمانيَّة فالحكومة لا تستطيع ان تكون ارقى من الشعب ولا احط منهُ لانها من الشعب وهي صورة لهُ واذا ارتقت اليوم عن الشعب بقوة قاهرة انحطت اليهِ غدًا واذا انحطَّت عنهُ امس ارتقت اليهِ اليوم وكما تكونوا يولَّى عليكم

كما جاء في الحديث الشريف. وهذه حقيقة يؤيدها الاخبار فضلاً عن تأييد الحديث الشريف لها . واذا كان رجال الحكومة من الامة فلا يُطالَبون باكثر مما تُطالَب بهِ هي ولا تطالَب هي باكثر مما يطالَبون بل الفريقان سواءٌ في المسؤولية

والبلدان الثالثة التي شعوبها من اصول مرتقية لا تُرفع المسؤولية عنها اذا لم يهتمَّ ولاة امرها بنجاحها سواءٌ كانوا منها او اجانب عنها لانهُ يجب عليها ان تأبى الضيم وتدفعهُ بايديها وترفسهُ بارجلها وتقاوم وتجاهد الى ان تفوز بالغرض المطلوب وتقول كما قال الشاعر العربي

اذا ظلمت حكامنا وولاتنا خصمناهم بالمرهفات الصوارم

ماقول الكاتب الفاضل لو تولَّت الاحكام في البلاد الانكليزية وزارة تمنع نفقات المعارف وتغلُّ ايدي الصُنَّاع والتجار وتسعى في اماتة اللغة الانكليزية واحياء اللغة اللاتينيَّة أكان الشعب الانكليزي يرضخ لها صاغرًا اما كان ينهض كلهُ ويسقطها في يوم وليلة وبماذا نصفهُ اذا رضخ لها صاغرًا وخنع للذل ألا نصفهُ بما يوصف بهِ الاذلان عير الحي والوتد. فكل من يلومنا نحن الشرقيين ويشدد النكير علينا مصيب في لومهِ وتشديدهِ لاننا امتنا نفوسنا بايدينا واضعنا مئة فرصة سنحت لنا لننهض عن غفلتنا ولا نزال نضعف عزيمة كل من ينادي بالاصلاح ويقول حيَّ على الفلاح

بيروت منتقد

نصيحة المسيو ديمولان

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اهديت نسخة من كتابي حاضر المصريين او سر تأخرهم الى جناب العالم الفاضل المسيو ادمون ديمولان صاحب كتاب سر تقدُّم الانكليز-السكسونيين فتفضل جنابهُ وبعث اليَّ بالكتاب التالي فعسى ان تكرموا بنشرهِ لما فيهِ من النصائح لي ولامثالي من ابناء وطني محمد عمر

اما ترجمة الكتاب فهي : سيدي العزيز

تناولت بيد الشكر مؤلفك ولكونهِ محررًا باللغة العربية كان يجب عليَّ قبل ان اشكرك ان ابحث عمن لهُ المام بهذه اللغة ليترجم لي شيئًا من اهم مواضيعهِ . ومع كلٍّ فاني اسديك جزيل الشكر على تفضلك عليَّ بهذه الهدية الثمينة واثني على همتك في استنهاض همة قومك المصريين

واني اود لك من صميم الفؤاد ان تصل الى غايتك الشريفة التي تسعى اليها بكل قواك . واني عالم بما سيحيق بك من الصعوبات في هذه الطريق الوعرة ولكن يجب ان نعلم ونتذكر ان أهم قوة من قوى الشعب الانجلوسكسوني التي بلغت بهِ اقصى درجات السؤدد والعظمة هي

الثبات على الاعمال ادبية كانت او مادية فعليك اذًا بالثبات والمثابرة على خطتك الممدوحة الشريفة دون ان يثبط عزمك ما سترى من الصعوبات الجمة

وارجوك ان تقبل يا سيدي العزيز وافر احساساتي واحتراماتي ادمون ديمولان

باريس في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٢



تسمين المواشي

قلما نطالع رسائل المكاتبين من الارياف في الجرائد اليومية الاَّ ونجد فيها مرَّ الشكوى من ذبح المواشي الهزيلة كأن الناس لا يذبحون الماشية الاَّ اذا مرضت واشرفت على الموت او اذا شاخت وعجزت عن العمل ويتركونها في الحالين بلا علف حتى يبلغ الهزال منها اشدَّهُ ثم يذبحونها مع انهم لو احسنوا حسابهم لعلفوها جيدًا حتى تسمن قبل ذبحها لان اردب الفول الذي تأكلهُ وثمنهُ مئة غرش مثلاً قد يصير في جسمها لحمًا يساوي مئتي غرش

واهل الزراعة يحسبون استغلال الحاصلات من الارض الدرجة الاولى من الزراعة وصيرورة هذه الحاصلات لحمًا الدرجة الاخيرة سواءٌ كان اللحم في بدن الانسان او في بدن الحيوان . والاوربيون الذين فاقونا في علم الزراعة وعلم الصحَّة كما فاقونا في كل شيءٍ يغالون باللحم المسمَّن ويشترونهُ بضاعف ما يشترون بهِ اللحم الهزيل لانهُ الذ طعمًا واكثر غذاءً من اللحم الهزيل ولا بدَّ من ان يشيع ذلك عندنا كما هو شائع عندهم فيصير لتسمين المواشي شأن كبير عندنا ويصير منهُ ربح يفي بنفقاتهِ ولو كان العلف غاليًا عندنا

ولا بدَّ قبل الكلام على تسمين المواشي من البحث العلمي عن المواد التي توجد في العلف ليُعلَم ايها يغذي وايُّها لا يغذي وما هو العلف الذي يسمّن اكثر من غيرهِ حتى اذا علم مربو المواشي ذلك وهم يعلمون اكثرهُ بالاختبار اختاروا لتسمين المواشي العلف الذي يسمنها وثمنهُ اقل من غيرهِ

وتقسم مواد العلف الى ستة اقسام وهي

(١) الماءُ (٢) الرماد (٣) المواد الليفيَّة (السلولوس) والنشوية (٤) المواد الغرويَّة او المتخثرة (البكتوس) (٥) الزيوت والادهان (٦) المواد الزلاليَّة

فالماءُ قليل في العلف اليابس وكثير في الطريءِ فهو في الحبوب والدريس والتبن من ١٤ الى

١٦ في المئة واما في العلف الطريء فكثير من ٧٠ الى اكثر من ٩٠ في المئة كما ترى في هذا الجدول

في النجيل	من ٧٠ الى ٨٠	في المئة
في البرسيم	« ٧٨ « ٨٣	« «
في الباقياء	٨٢	« «
في الكرنب	« ٨٤ « ٨٩	« «
في ورق اللفت	٨٨	« «
« اللفت نفسهِ	٩٢	« «
« البطاطس	٧٥	« «

والماء في جسم الحيوان نفسهِ كثير من ٦٠ الى ٦٣ في المئة فلا عجب اذا كان كثيرًا في علفهِ. وهو يدخل في بناء جسم الحيوان ويساعدهُ على هضم طعامهِ . لكنهُ اذا كان قليلاً في العلف كما هو في العلف اليابس فالماء الذي يشربهُ الحيوان يقوم مقامهُ

والرماد هو ما يبقى من النباتات بعد حرقها ومواده ضرورية لعلف المواشي لان منها تتكون العظام ومنها الاملاح اللازمة للدم وللجسم كلهِ

والمواد الليفية والنشوية ويدخل تحتها الياف النبات ونشاؤهُ وصمغهُ وسكرهُ وكلها مركبة من عناصر الكربون الاكسجين والهيدروجين . ومن امثلة الالياف او السلولوس القطن والقنّب والكتان والتيل والياف الاوراق وقشور الخلايا النباتية وهي لا تذوب في الماء ولكنها تتحول الى سكر بواسطة فعل الحوامض وتصير تذوب في الماء ويسهل هضمها اذا كانت جديدة طرية فتكون مغذية واما اذا قدمت فيصير هضمها صعبًا

والنشا يكثر في الحبوب والبطاطس وما اشبههما . وهو في القمح ٦٠ في المئة وفي الشعير نحو ٣٨ في المئة . لا يذوب في الماء لكنهُ يتحول حالاً بالحرارة الى مادة صمغية تذوب فيهِ . ولعاب الانسان والحيوانات آكلات العشب يذيبان النشاء ويحولانهُ الى سكر . و يسهل تحويلهُ واذابتهُ في الامعاء ولذلك فهو من المواد المغذية

والمواد النشوية وما يجري مجراها في التركيب كالصمغ والسكر تستخدم لتوليد الحرارة في بدن الحيوان فهي من الزم مواد العلف لهُ

والمواد الغروية والخاثرة تكون في الاثمار ذات الرب الكثير كالبطيخ واليقطين والبنجر والتفاح والكمثرى

والزيوت والادهان هي التي تسمن المواشي وهي تغذي الحيوانات اكثر مما يغذيها النشا والسكر وقد بيَّن السر جون لون ان الرطل منها يقوم مقام رطلين ونصف من النشا والسكر

والمواد الزلالية فيها ما في المواد النشوية من الكربون والاكسجين والهيدروجين وفيها ايضاً نيتروجين وفصفور وكبريت واهم هذه المواد الزلال نفسهُ والجبن والفبرين . وهذه المواد تذوب في المعدة وتنتقل الى الدم ويتكون منها لحم الحيوان المبر والدهن ايضاً . وهي كثيرة في بعض الحبوب كالفول والكرسنة والعدس فان نسبتها فيها نحو ٢٢ في المئة من وزنها وتوجد ايضاً في الشعير والذرة ولكنها اقل فيهما منها في الفول والحمص والعدس فانها نحو ١٠ في المئة فقط

يظهر مما تقدَّم ان علف المواشي اما خالٍ من النيتروجين او حاوٍ للنيتروجين والاول يشمل المواد النشوية والغروية او الدهنيَّة والزيتية والثاني يشمل المواد الزلالية وكلاهما لازم للعلف على حدٍ سوى ولكن الاول يسمّن اكثر من الثاني ولاسيما ما فيهِ زيت ودهن لان المراد بالتسمين تكثير الدهن والشحم في بدن الحيوان

الاَّ ان الذين يربون المواشي يقصدون ايضاً غرضاً آخر غير تسمينها وهو ان يكون زبلها سماداً جيداً للارض ولا يكون السماد جيداً للارض ما لم تكن فيهِ مواد نيتروجينيَّة . فان قيمة الزبل تختلف باختلاف العلف من حيث كثرة المواد النيتروجينيَّة فيهِ وقلتها كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ قيمة الطن من الزبل حسب اختلاف العلف

اذا كان العلف كسب بزر القطن المقشور	فقيمة طن الزبل	٥٥٠ غرشاً
« « « « القطن غير المقشور	« « «	٣١٧ «
« « « « فولاً	« « «	٣٠٩ «
« « « درياساً	« « «	٢٠٢ «
« « « شعيراً	« « «	١١٧ «
« « « تبن الفول	« « «	٨٥ «
« « « « « القمح	« « «	٤٩ «
« « « « « الشعير	« « «	٤٩ «
« « « من اللفت والجزر	« « «	٢٠ «

فترى من ذلك ان فائدة الزبل تكون على اكثرها اذا كان العلف من كسب بزر القطن المقشور لانهُ غنيٌّ بالمواد النيتروجينيَّة ثم من كسب بزر القطن غير المقشور ثم من الفول . وزبل المواشي التي تأكل فولاً اجود من زبل المواشي التي تأكل درياساً وهو بالطبع اجود من زبل المواشي التي تأكل برسيماً بما لا يقدَّر

اما نسبة انواع العلف بعضها الى بعض من حيث وجود المواد المغذية فيها فتظهر من هذا

الجدول وهو منقول عن جدول الدكتور اميل ولف الالماني وذكر ثمن القنطار ايضاحًا للنسبة

	الماء	الرماد	الزلالية	الهيدروكربونيَّة	الدهنية	ثمن القنطار
دريس البرسيم	١٦٫٥	٦	٨٫١	٣٥٫٩	٢	١٧ غرشًا
البرسيم الاخضر	٨٠٫٥	٢	٢٫٢	٧٫٩	٠٫٥	٤ ١/٢ «
ورق الذرة	٨٢٫٢	١٫١	٠٫٨	٩٫٩	٠٫٢	٢ ١/٢ «
البرسيم الحجازي الصغير	٨١	١٫٧	٣٫٥	٧٫٣	٠٫٣	٥ ١/٢ «
« « المزهر	٧٤	٢٫	٣٫٢	٩٫١	٠٫٣	٥ ١/١ «
ورق الكرنب	٨٩	١٫٢	١٫١	٦٫٠	٠٫٢	٢ ١/٢ «
تبن القمح	١٤٫٣	٤٫٦	٠٫٨	٣١٫٩	٠٫٤	٧ ١/٢ «
تبن الشعير	١٤٫٣	٥٫٥	٠٫٨	٣١٫٤	٠٫٤	٧ «
تبن الفول	١٦٫	٤٫٠	٥٫٠	٣٥٫٢	٠٫٥	١٢ ١/٢ «
تبن العدس	١٦	٦٫٥	٦٫٩	٣٠٫٨	١٫٢	١٥ «
تبن الترمس	١٦	٤٫١	٢٫٢	٤١٫٦	٠٫٣	١٠ ١/١ «
بنجر السكر	٨١٫٥	٠٫٧	١٫٠	١٥٫٤	٠٫١	٤ «
اللفت	٩٢٫٠	٠٫٧	١٫١	٥٫٣	٠٫١	٢ ١/٤ «
القمح	١٤٫٤	١٫٧	١١٫٧	٦٣٫١	١٫٢	٢٧ «
الشعير	١٤٫٣	٢٫٢	٨٫٠	٥٧٫٥	١٫٧	٢١ «
الذرة الشامية	١٤٫٤	١٫٥	٨٫٤	٥٧٫٨	٤٫٨	٢٢ ١/٢ «
« العويجا	١٤	٣	٩٫٥	٤٣٫١	٢٫٦	٢١ «
الفول	١٤٫٥	٣٫١	٢٣٫٠	٤٣٫٦	١٫٤	٣٦ «
الحمص	١٤٫٢	٢٫٧	٢٤٫٨	٤٣٫٥	٢٫٥	٣٨ ١/٢ «
العدس	١٤٫٥	٣٫	٣١٫٩	٢٧٫٤	٤٫٣	٤٤ «
نخالة الحنطة	١٣٫١	٥٫٤	١٠٫٩	٣٧٫٦	٣٫٤	٢٢ «
نخالة الذرة	١٢	٢٫٣	٦٫٢	٥٠٫٠	٣٫٦	١٧ «
كسب بزر الكتان	١١٫٥	٧٫٩	٢٣٫٨	٢٩	٨٫٩	٣٧ «
« الفول السوداني	٧٫٥	١٢٫٥	٤٢٫٨	١٥٫٥	٦٫٤	٥٦ «
كسب بزر القطن	١٠٫١	٧٫٧	٢٨٫٨	١٧٫	٩٫٩	٤١ ١/٢ «

والفول السوداني وبزر القطن يجب ان يكونا مقشورين لكي تكون المواد الزلاليَّة فيهما كما في الجدول ويكون ثمنهما كما ذكر فيهِ والاَّ فالمواد الزلالية فيهما قليلة

وفي هذا الجدول امور كثيرة جزيلة الفائدة فيتَّضح منهُ مثلاً ان القنطار من دريس البرسيم يساوي اربعة قناطير من البرسيم الاخضر وان البرسيم الحجازي انفع من البرسيم العادي وان تبن القمح انفع قليلاً من تبن الشعير وتبن الفول انفع منهما وتبن العدس انفع منهُ

ولا تقتصر فائدة هذا الجدول على معرفة المنفعة النسبية من انواع العلف بل تعرف منهُ منفعة المواد التي تدخل في طعام الانسان كالقمح والذرة والفول والحمص والعدس . والنسبة بينها تكاد تساوي النسبة بين اسعارها

القطن المصري

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية حتى الرابع والعشرين من اكتوبر ١٣٤٣٩١٦ قنطاراً يقابلها في العام الماضي ١١٥٤٤٠٣ قنطاراً والمرجح ان زيادة الوارد لم تنتج عن ان موسم هذا العام اكثر من موسم العام الماضي بل عن انهُ ابكر قليلاً او عن زيادة الرغبة في البيع ما دامت الاسعار مرتفعة . وقد زاد المتصدّر الى انكلترا هذا العام عما كان عليهِ في العام الماضي ١٤٤ الف قنطار ونقص المتصدر الى بقية اوربا نحو مئة الف قنطار . والظاهر ان انكلترا تعلم علم اليقين قلَّة الموسم الاميركي والمصري فاكثرت المشترى من قطننا

والمخزون من القطن المصري في الاسكندرية ينقص الآن نحو سبعين الف قنطار عما كان عليهِ في العام الماضي في هذا الوقت والمخزون في لفربول ينقص ثمانية آلاف بالة عما كان عليهِ في العام الماضي

والمنتظر ان يبلغ موسمنا هذا العام ستة ملايين قنطار او اقل قليلاً فينقص عن موسم العام الماضي نحو نصف مليون قنطار . واذا ثبت ذلك وثبت ايضاً ان موسم اميركا كما قدَّرهُ مجلس الزراعة الاميركي فلا بدَّ من ان يزيد ثمن القطن ارتفاعاً لان المقطوعيَّة كثيرة والمخزون قليل

المدرسة البيطريَّة

فتحت هذه المدرسة في العام الماضي بقرب ديوان الصحة ومدة التدريس فيها ثلاث سنوات والذين يتمون دروسهم فيها يعطون شهادة تؤهلهم لمعاطاة الطب البيطري

امراض المواشي

وقفنا على تقرير مفتش القسم البيطري بمصلحة الصحة المصريَّة عن الامراض المعدية والوبائيَّة التي أُصيبت بها المواشي في القطر المصري في العام الماضي وها نحن موردون خلاصتهُ تعميمًا لفائدتهِ

البثرة الخبيثة — حدثت اربعون حادثة في الاسكندريَّة ٣٠ منها في زرائب الكورنتينا و١٠ في المسلخ ولم تنتقل العدوى الى اماكن اخرى على ما يظهر

جدري الغنم — حدثت منهُ ١٨٠ حادثة في البحيرة والدقهليَّة والشرقيَّة . وأُصيب بهِ ٢٦ رأسًا من الغنم الواردة من اسيا وهي في زرائب الكورنتينا في المكس

الكلب — ظهر في ٢١ كلبًا وفي قطة واحدة . ولم يصب بداء الكلب الاَّ ثلاثة من الآدميين مع ان الذين عقرتهم الكلاب الكلبى كثيرون فقد عالج الدكتور تونين ١٨٠ معقورًا

السقاوة — حدثت ٦٣ اصابة في مصر والاسكندريَّة ومن رأي حضرة المفتش ان الاحواض التي أُنشئت حديثًا لسقي الحيوانات تساعد على انتشار هذا الداء ولكن ضررها قليل بالنسبة الى ضرر المواشي من قلة وجود الماء ولا سيما في فصل الصيف

الخناق — وهو مرض وبائي شديد الفتك يظهر بنوع خاص مدة انخفاض النيل وبدء ارتفاعهِ من شرب المواشي من البرك القذرة الراكدة ومن الترع القليلة الماء ويزول او يختفي عند تمام الفيضان ثم يظهر ثانية في التحاريق . ومن رأي حضرة المفتش انهُ اذا حفرت آبار لتشرب منها المواشي وردمت البرك التي تشرب منها الآن زال هذا المرض تمامًا . وعندهُ ان قلَّة العلف الاخضر مدة اشهر الصيف يسبب موت كثير من المواشي ولو وجد لها العلف الاخضر لقلَّ موتها وزاد لحمها. ومما يكثر بهِ موتها رعيها البرسيم وهو صغير فانهُ يسبب لها اسهالاً وهزالاً وقد يكون سببًا لموت بعضها



دليل العازب وطبيب المتزوج

لمؤلفهِ الدكتور سعيد ابو جمره

يعرف قراء المقتطف حضرة مؤلف هذا الكتاب من مقالاتهِ الطبية التي تنشر في المقتطف ويعلمون انهُ متتبع للمكتشفات والمباحث الطبية في تقدمها السريع ولذلك يرحبون

بكل كتاب طبي ينشر من قلمهِ . وهذا الكتاب كبير النفع ذكر فيهِ المؤلف كل نصيحة ينصح بها الطبيب المتزوجين وغيرهم لحفظ صحتهم الجسدية والعقلية وحفظ نسلهم وكشف الستار عن كثير من المنكرات وابان مضارها . وقد نشر اموراً يضرُّ الاطلاع عليها في رأينا ولو كانت صحيحة لذاتها لكنهُ شفعها بما يكفي من النصح والتحذير حتى رجح جانب النفع على جانب الضرر

دليل الخبراء

لمؤلفهِ يوسف افندي صبري

لقد احسن حضرة المؤلف في وضعهِ هذا الكتاب فان عمل الخبير من الاعمال الهامَّة جداً لان حكم القضاة يتوقف عليهِ في كثير من القضايا كما احسن في حث الحكومة على وضع لائحة لتعيين الخبراء وانتقائهم من المتعلمين. ومن رأيهِ ان لا يجبر الخبير على تأدية اليمين كلما انتُدب لتحقيق امر بل يكفي ان يقسم مرةً واحدة عند تعيينهِ خبيراً. الا ان العلم والقسم لا يعصمان المرء دائماً او كما قال المؤلف ان الانسان قد يثبت ما يخالف ضميرهُ اما لغرض وغاية او لعدم التثبت من المبادىء الصحيحة او لعدم وجود مراقبة تراقبهُ ولهذه الاسباب وغيرها وُضع القضاة والمحامون وغيرهم تحت المراقبة والسيطرة ولهذه الاسباب نفسها ارى انهُ من اوجب الواجبات جعل الخبراء تحت المراقبة والاحكام التأديبية حتى اذا لم يكن لهم وازع من نفوسهم وزاجر من ضمائرهم فيكون هذا من القوة التي تضرب على ايديهم

وفي الكتاب خلاصة تاريخ الخبرة ثم شرح اعمال الخبراء وواجباتهم بالاسهاب مع ذكر القوانين المصرية والفرنسوية واحكام المحاكم العليا في مصر وفرنسا وبلجكا ويظهر لنا ان هذا الكتاب وفى بحاجة شديدة وانهُ على كونهِ اول كتاب في بابهِ في اللغة العربية جاء جامعاً كبير الفائدة . وقد اهداهُ مؤلفهُ الى حضرة الاصولي الفاضل فتحي بك زغلول رئيس المحكمة الابتدائية الاهلية

مراقي الترجمة

هو الكتاب الثالث من هذه السلسلة وضعهُ حضرات الادباء الافندية ابو زيد فايد وعبد المجيد الشربيلي ومحمود عثمان عطا الله من مدرسي المدرسة الناصرية ويراد بهِ تعليم التلامذة الترجمة من الانكليزية الى العربية ومن العربية الى الانكليزية . وقد قسموهُ الى دروس في كل درس منها كلمات مفردة وجمل تتألف منها وبعض القواعد الصرفية والنحوية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) حفر المعادن

بيروت . د . افندي أُنسي قرأت في مقتطفكم الاغر مسألة عن الحفر على المعادن للصور الشمسيَّة حفرًا غائرًا لاجل الطبع وان العمليَّة يدخلها دم الاخوين ولم اقف على المسألة المذكورة لمراجعتها فالامل افادتنا عن موضعها وان لم تكن فيهِ فعن كيفيَّة ذلك العمل

ج لا نتذكر اننا ذكرنا طريقة يدخل فيها دم الاخوين. والطرق التي ذكرناها لنقل الصور الفوتوغرافيَّة على صفائح التوتيا والنحاس وحفرها فيها كثيرة ترون بعضها في الصفحة ٣٤٠ من المجلد السادس عشر وفي الصفحة ٥٥٢ من المجلد الرابع والعشرين

(٢) كتب السياحات

جماجمون . احمد افندي فهمي اذكروا لنا بعض الكتب التي أُلفت قديمًا وحديثًا في السياحات ووصف احوال الامم ومدنيتها قديمًا وحديثًا

ج اقدم هذه الكتب واشهرها تاريخ هيرودوتس ابي التاريخ فان جانبًا كبيرًا منهُ وصف للبلدان التي ساح فيها واحوال اهلها ومدنيتهم. وجرى استرابون وديودورس الصقلي وبوسانياس وتاسيتوس مجرى هيرودوتس في انهم طافوا البلدان وبحثوا عن اخلاق الشعوب واحوالهم واثبتوا ذلك في رحلاتهم . ومن اصحاب الرحلات الشهيرة بالعربية ياقوت الحموي وابن بطوطه وابن جبير ومن اشهر اصحاب الرحلات عند الافرنج مركو بولو الرحَّالة البندقي الذي وصل في رحلتهِ الى بلاد الصين وكوك وهمبلت وده شليه ولفنستون وستانلي وغيرهم ممَّن يضيق المقام عن ذكرهم

(٣) اصلاح السودان

طنطا . الخواجه جوزيف دهان ما هي اهم الاصلاحات التي تمَّت في السودان منذ افتتاحهِ الى الآن

ج نشر الامن في البلاد حتى يأمن كل احد على دمهِ وعرضهِ ومالهِ . وتحديد الاموال التي يدفعها الاهالي لقيام الحكومة. والشروع في

انشاء المحاكم ونشر التعليم وتسهيل طرق المواصلات . والبحث عمَّا تحفظ بهِ ثروة البلاد وتستثمر خيراتها كالبحث عن الغابات وكيفية قطع الاشجار منها ودفع امراض المواشي وتجربة زرع القطن وانشاء الترع وما اشبه

(٤) امتداد تجارة السودان

ومنهُ . هل امتدَّت التجارة في السودان

ج لقد امتدت بعض الامتداد ويعوق امتدادها امران الاول غلاء النقل الى السودان بسكة الحديد وكون السكة الموجودة الآن لا تكفي للنقل ولذلك ستنشأ سكة من سواكن الى بربر وحينئذٍ تتوفر وسائل النقل وترخص اجورهُ فيزيد رواج التجارة . والثاني ان حكومة السودان تخشى من ان يدخل التجار الى البلاد القاصية ويخدعوا الاهالي فيشتروا منهم قنطار العاج مثلاً بحفنة من الخرز ولذلك صعَّبت على التجار الدخول الى تلك البلاد واخذت تشتري بضائع الاهالي من الصمغ والعاج بثمن ليس فيهِ غبن عليهم حفظاً لثروتهم

(٥) مزروعات السودان

ومنهُ . ما هي اهم الاشياء التي تزرع هناك الآن

ج الحبوب على انواعها ويزرع القطن في طوكر . ويستغل من بلاد السودان الصمغ العربي والكاوتشوك والكوتابرخا

(٦) عدد سكان السودان

ومنهُ . كم عدد سكان السودان الآن وكم كان عددهم قبلاً

ج لا يعلم عددهم بالتحقيق ولكن يرجح انهُ لا يزيد الآن على اربعة ملايين نفس وانهم كانوا حينما ظهر المهدي من ثمانية ملايين الى عشرة

(٧) احوال السودانيين

ومنهُ . هل تحسَّنت احوالهم الآن تحسُّناً بيِّناً ادبيًّا وماديًّا

ج ان المدة التي مضت بعد استرجاع السودان لا تكفي لظهور نتائج حسن الادارة في كل شيء ظهورًا بيِّناً ومع ذلك قد ظهرت هذه النتائج اكثر مما ينتظر . ولو لم يكن اقليم السودان مانعاً من بلوغ الحضارة فيهِ مبلغها في الاقاليم المعتدلة لسهل عليهِ ان يجاري القطر المصري او يفوقهُ بعد سنوات قليلة ولكن الحرَّ الشديد فيهِ وفي كل البلدان الحارَّة يضطر الناس الى تقليل ساعات العمل فيكون مجموع القوة العقلية والبدنية التي يستطيع السكان ان يبذلوها فيهِ لاتمام اشغالهم واعمالهم اقل من مجموع القوة التي يبذلها امثالهم عددًا في بلاد معتدلة الهواء

(٨) آثار المهدوية

ومنهُ . هل تقلَّص ظل المهدوية من هناك تقلُّصاً تامًّا او لا تزال آثارها كامنة في الصدور نظرًا لسيادتها زمناً طويلاً

ج يظهر لنا ان جور الخليفة ازال من النفوس كل اثر دينيٍ للدعوة التي قام بها المهدي ولولا ذلك لبقيت آثارها في نفوسهم. ثم لو انتقلوا من حكومة جائرة الى حكومة مثلها جورًا اوتزيد عليها لحنُّوا الى الزمن الماضي لكنهم انتقلوا من الجور الى العدل ومن الشدَّة الى الرخاء ومن حكومة تسفك دماءهم وتسلب اموالهم الى حكومة تدفع عنهم وعن مواشيهم ايضًا الامراض والاوبئة وتحافظ على دمائهم واموالهم بكل واسطة ممكنة وتمهد لهم سبل النجاح والفلاح فان بقي في نفوسهم حنين الى الجور الماضي فما هم بشرًا

(٩) البضائع المطلوبة في السودان

ومنهُ . ما هي الاصناف التجارية المطلوبة الآن الى السودان

ج المانيفاتورة والدخان والتنباك والسكَّر والخشب ونحوهُ من ادوات البناء . وربما زدنا الكلام على السودان اسهابًا في الجزء التالي

(١٠) كتب المطالعة

مصر . سليمان افندي فهمي اذكروا لنا بعض الكتب التي تفيد مطالعتها في فن الانشاء

ج كتاب كليلة ودمنة ومقدمة ابن خلدون وتاريخ ابن الاثير ووفيات الاعيان

---

(١١) ولادة التوأمين

مصر. محمد افندي رشيد السيد . ما سبب ولادة بعض النساء توأمين في آنٍ واحد وهل يكون ذلك ديدنًا لبعض النساء

ج اما سبب نمو الجنينين في وقت واحد معًا فغير معروف . والغالب ان المرأة التي تلد توأمين مرةً تلد توأمين مرةً ثانية او ثالثة وقد تورث ذلك لبناتها فيلدن التوائم

(١٢) حياة التوأمين

ومنهُ . هل من دواء يمنع ولادة التوأمين وهل الغالب فيهما ان يعيشا او ان يموتا

ج لا دواء يمنع ذلك ولا يجوز استعمال الادوية في هذه الحال . والحياة مقدورة للتوأمين كما هي مقدورة للفرد الَّا اذا كان احدهما ضعيفًا جدًّا او اذا لم يكن الرضاع كافيًا لهما كليهما . اما الدواء الذي سألتم عنهُ لمنع الحمل فيوجد ولكن لا يجوز استعمالهُ الَّا برأي الطبيب لاسباب خصوصية

---

(١٣) الاثرة

باهيا بالبرازيل . الخواجه ادولف مارون خرس. ما قولكم في رجل مستقيم يحترم حقوق غيرهِ ويعمل لمنفعة نفسهِ ويبخل على ما سواهُ بمالهِ وبرأيهِ ايضًا

ج الناس في من كان كذلك فريقان الفريق الواحد يذمُّهُ ويقول كما قال الشاعر

ومن يكن لا خير منهُ يرتجى
ان عاش او مات على حدٍّ سوى

وكما قال الآخر

ومَن يكُ ذا فضل فيبخل بفضلهِ
على اهلهِ يستغنَ عنهُ ويذمم
والفريق الآخر يمدحهُ ويقول اذا كان زيد ينفع عمرًا وعمرو ينفع زيدًا فالنفع لكل منهما متبادل ولا يزيد مجموعهُ عن نفع زيد لنفسهِ وعمرو لنفسهِ فهو بمثابة ما لو قصر زيد نفعهُ على نفسهِ وعمروٌ نفعهُ على نفسهِ ويسلم مما يحدث احياناً كثيرة وهو ان زيدًا ينفع عمرًا ولكن عمرًا ينفع نفسهُ فقط ولا ينفع زيدًا فيخرج زيد مغبوناً. وبينهما فريق ثالث يوجب على الناس كلهم التعاون بحيث يسعى كلٌ منهم في نفع المجتمع كلهِ فاذا سعى الناس كلهم كذلك توفرت قواهم وبطل ما يتلف منها الآن باحتكاك بعضها ببعض ومقاومة بعضها بعضاً واشتركوا كلهم في النفع على قدر ما تمسُّ الحاجة. لكن ما يطلبهُ هذا الفريق يصعب ادراكهُ ولو سهل تصوُّرهُ وحسبُ صاحبكم ان لا يضرَّ احدًا

ونحن في زمن ترك القبيح بهِ
من اكثر الناس احسانٌ واجمالُ

(١٤) تزوُّج السوري في اميركا

ومنهُ . دار البحث منذ مدة وجيزة بين بعض على زواج السوري في اميركا ففضلهُ بعضهم من فتاة سورية والبعض الآخر من اميركية فما رأيكم في ذلك اذا كانت الفتاتان متساويتين علماً وادباً وجمالاً وكان مكث السوري في اميركا الى وقت طويل او الى منتهى العمر

ج . ان الفرض الذي فرضتموهُ وهو تساوي الفتاتين في كل شيءٍ يكاد يكون ضربًا من المحال وهب انهما تساوتا علماً وادباً وجمالاً يبقى الاختلاف كبيرًا في الاخلاق والاذواق واللغة وهذه كلها تجعل للسورية مزية على الاميركية اذا تزوَّج بها سوري ويبقى للاميركية مزية عليها من حيث التربية وتقوية النسل بامتزاج الدم بدمٍ غريب ولا بدَّ من الموازنة بين هذه المزايا المختلفة . وهل يئس السوريون عندكم من العودة الى بلادهم حتى وطَّنوا النفس على الاقامة في اميركا الى منتهى العمر ألا يخطر ببالهم ان الرزايا اذا توالت توالت وان بلادهم تحن اليهم حنين النوق ابصرنَ الفصالا .

(١٥) رياضة الشيوخ

ومنهُ . هل من موانع صحية تمنع طاعني السن من استعمال الرياضة البدنية العنيفة

ج نعم اذا كانت الرياضة تقصر النفَس لان شرايينهم تكون ضعيفة او قليلة المرونة ويظهر ضعفها في القلب وقد كتبنا في ذلك فصلاً مسهباً كثير الفوائد في المجلد السادس عشر من المقتطف موضوعهُ رياضة الكهول تكلمنا فيهِ على رياضة الكهول والشيوخ وابنا الاسباب التي تمنع من الرياضة العنيفة في الكهولة والشيخوخة وقلنا هناك انهُ على الكهل والشيخ ان يمتنعا عن كل انواع الرياضة التي تستدعي سرعةً او قوة عضلية عنيفة كالعدو والتجذيف

ولكن تجوز لهما الرياضة التي لا تدعو الى التنفس السريع

---

(١٦) مصباح كهربائي صغير

مصر . محمود افندي اللقاني . شاهدت رجلاً في صدرهِ وردة ودبوس ينيران نوراً كهربائياً ساطعاً على التعاقب ورأيتهُ يضغط جيبهُ بيدهِ فينيران ويرفع الضغط فينطفئان فكيف ذلك

ج في جيبهِ بطرية كهربائية صغيرة فاذا ضغطهُ وصل الضغط الى زر يتصل بهِ المجرى الكهربائي وينير مصباحين كهربائيين صغيرين في الوردة والدبوس واذا رفع الضغط عن جيبهِ انقطع الاتصال الكهربائي فانطفأ المصباحان

باب الاخبار العلمية

البعوض والحمَّى في مصر

ذكرنا غير مرة ان شركة ترعة السويس طلبت من الدكتور روص ان يأتي الى الاسمعيلة ويبحث عن علَّة الحمَّي الملارية فيها فجاء اليها وبحث وبعث الى السر فرد جونس رئيس مدرسة امراض البلدان الحارة كتاباً ضمَّنهُ خلاصة بحثهِ ومما قالهُ فيهِ ان الاسمعيلة واقعة في صحراء قاحلة تهبُّ فيها رياح حارَّة تزهق حياة الحشرات وتسفي الرمال من كثيب الى آخر فكيف تصل الحمَّى الملارية اليها اذا كان البعوض هو الناقل لها . هذا السؤَال اجاب عنهُ طبيبا الشركة الدكتوران دامبسيرون وبرمَّات قبل وصولي الى الاسمعيلة فانهما وجدا البعوض الذي يحمل الملاريا في البيوت التي فيها اناس مصابون بالحمَّى الملارية واكتشفا ايضاً الاماكن التي يتولَّد فيها هذا البعوض . فان الماء قريب من سطح الارض حول الاسمعيلة حتى تنمو بهِ بعض النباتات في منخفضات الصحراء فتكون بها تلك المنخفضات مروجاً او مستنقعات . ويقال ان الماء فيها يعلو بارتفاع النيل وينخفض بهبوطهِ وهو اجاج في بعض الاماكن لا ينمو فيهِ نبات ولا يعيش فيهِ بعوض ولكنهُ عذب في اماكن أُخرى وقد وجدت عوَم هذا البعوض في مستنقعين من هذه المستنقعات يبعدان عن بيوت الاسمعيلية بضع مئات من الامتار . وعلى صغر المستنقعات المشار اليها تميت بالحمَّى الملاريَّة الف نفس كل سنة . ثم قال ان بعوض الملاريا لم يوجد في ترع الري . وعندهُ ان استئصال هذا البعوض سهل جدًّا قليل النفقة وذلك بان يردم المستنقعان المشار

اليهما او ان يعمقا ويربّى فيهما السمك

وزار الدكتور روص القاهرة ولم يجد فيها اثرًا للحمى الملارية ولا بعوضًا من بعوضها

مذبح كنعاني

كتب الدكتور شوماكر من حيفا ان الاستاذ سلن اكتشف آثار حصون يهودية وكنعانية الى الشمال الغربي من تل تأنَّق وبينها مذبح خزفي على زواياه حيوانات مجنحة برؤُوس كرؤُوس الناس وفي اعلاه قرنان وكأس للذبيحة . وهو مربع طول كل جانب من جوانبهِ تسعون سنتيمترًا وعلوهُ ٤٥ سنتيمترًا وعلى وجههِ الامامي صورة شجرة الحياة بجانبها غزالان يرعيان منها وعلى وجه آخر صورة انسان يحاول خنق حيَّة . وقد أُرسل هذا المذبح الى الاستانة ليوضع في دار التحف

سليم بك فرج

نعي الى ابناء المدرسة الكليَّة اخًا رضع معهم لبان المعارف وجرى في مضمار الحياة فادرك قصب السبق . توفَّاهُ الله كهلاً في عنفوان القوة العقلية والجسديَّة . اتى مدينة بيروت مرضعة المعارف سنة ١٨٦٧ فتًى ذكي الفؤاد فيهِ حياءُ العذراء واقام اربع سنوات يطلب العلم وهو الاول في فرقتهِ فاتمَّ دروسهُ سنة ١٨٧١ ونال الدبلوما البكلوريَّة وعاد الى القطر المصري وتقلَّب في مناصب مختلفة ولما ادركتهُ الوفاة كان قاضيًا من الدرجة الاولى مشهورًا بعلمهِ ونزاهتهِ يقضي اوقات العطلة في الاهتمام بزراعتهِ فان لهُ بستانًا ونخلاً وارضًا زراعية في عزبة النخل جعلها جنة بحسن اعتنائهِ . في الرابع من اكتوبر شعر بانحراف في صحتهِ وهو في محكمة بنها حيث كان قاضيًا فعاد الى منزلهِ في عزبة المرج وبقي يشكو من ضيق الصدر الى الساعة السابعة مساءً فانتقل الى رحمة ربهِ وهو في السابعة والاربعين من عمرهِ

زراعة النيل في الهند

جاءَ النيل الصناعي ضربةً قاضية على النيل الطبيعي فكانت الارض المخصَّصة لزراعتهِ في بلاد الهند منذ مئة عام نحو مليون و٣٤٠ الف فدان وكانت غلتهُ السنويَّة نحو ١٦٧ الف قنطار فضاق نطاقها سنة ١٨٩٨ حتى بلغ مليون فدان فقط وبلغت غلتهُ حينئذٍ نحو ١٤٠ الف قنطار ثم زاد ضيق الارض رويدًا رويدًا . ومساحتها الآن نحو ٨٠٠ الف فدان فقط وغلتها نحو ١٢٠ الف قنطار . واذا زاد النيل الصناعي رخصًا واتقانًا فلا يبعد ان تبطل بهِ زراعة النيل مطلقًا

ثوران البراكين

لا يزال بركان بيلي ثائرًا يقذف الحمم من وقت الى آخر وكذلك البراكين القريبة منهُ وهاك خلاصة ما حدث فيهِ في الشهرين الاخيرين على ما كتبهُ الاستاذ نيكولس من دومينيكا

(١٧ اغسطس) كانت باخرة مارّة على خمسة اميال منهُ فالتقت بسحابة من الرماد اظلم بها الجو وتغطى برمادها سطح الباخرة

(٢٦ اغسطس) سمع من الجبل اصوات مزعجة وصعقات شديدة وانتشرت سحب الرماد فوق الجانب الجنوبي الغربي حتى اذا بلغتها الشمس احتجبت بها كما تحتجب بجدار من الحجر

(٢٨ اغسطس) كثر وميض البرق فوق الجبل ليلاً فاستنار الجو بهِ بنور قرنفلي وفي الساعة الحادية عشرة ليلاً زاد وميض البرق وانتشر من الجبل في كل الجهات تتخللهُ كرات من النور الاحمر كانت تصعد من الجبل ثم تنفجر وتخرج النجوم منها كالسواريخ وظهرت الظواهر الكهربائية ايضاً في مكان آخر يبعد عن البركان اربعين ميلاً كانها انعكاس عما كان ظاهرًا فوقهُ او قطبة اخرى كهربائية

ولا شبهة في ان ثوران بركان بيلي وما جاورهُ من البراكين نتج عن بلوغ الماء جوفهُ وجوفها وليس هناك انهار ولا بحيرات يكفي ماؤُها لذلك فلا بدَّ اذًا من ان ماء البحر بلغ جوف هذه البراكين من شق حدث في طبقات الارض . وقد تغيَّر قاع البحر في تلك الجهات فزاد عمقهُ ٢٥٠٠ قدم في بعض الاماكن حتى تعذَّر اصلاح الاسلاك التلغرافية المارة في البحر لازدياد عمقهِ

(٣٠ اغسطس) علت اصوات بركان بيلي بعد الظهر وزادت الصعقات في الساعة السابعة واستمرَّت الى الساعة الثانية بعد نصف الليل ثم اخذ الرماد البركاني يهطل على البلاد المجاورة بعد الساعة الخامسة واستمرَّ الى الليل التالي وثقُل على الاشجار في سنت دومينيكا حتى كسَّر اغصانها ووردت عليها الاخبار في الثالث من سبتمبر ان ثوران الثلاثين من اغسطس خرب بلدة مورن روج وقال كاهن شاهد ما حلَّ بها ان الماء الغالي والتراب الحامي انهالا عليها وعلى بلدة كاربت حتى طمراها وخرَّباها. وقالت سيدة كانت ساكنة في مورن روج ان البركان بقي يصوت النهار كلهُ وكان البرق يومض فوقهُ والرعد يلعلع فيهِ ولما خيم الليل ظهر كلهُ كشعلة من نار وجعل يقذف الماء الغالي والرماد الحامي فوقعت مقذوفاتهُ على البيوت وحرقتها وخرج الناس من بيوتهم هائمين على وجوههم فانهال عليهم الماء والرماد فانسلقوا واحترقوا . وفي الغالب احترق ما هو مكشوف منهم وجوههم وايديهم وصدورهم واما ثيابهم فبقيت سليمة وعلا صراخ الذين لم يقضَ عليهم حالاً طالبين الماء ولما أُتوا بهِ شربوا وقضوا نحبهم . ومات بهذا الثوران ١٥٠٠ نفس

وثار بركان السوفرير في جزيرة سنت فنسنت في ١٦ اكتوبر فاجهز عليها لانهُ اتلف اكثر ما بقي فيها من المزارع

وقد ذكرت جريدة التيمس الحوادث البركانية التي حدثت قبل ذلك من ١٠ ابريل الى اواخر سبتمبر وهاك خلاصتها

١٠ ابريل — وردت الاخبار عن حدوث حوادث بركانية في اونالاسكا

١٨ ابريل — حدثت زلزلة في غواتامالا والمكسيك وسان جوان وسان مازكو وسنتا ماريا والبلاد المجاورة . قتل بها الف نفس وجرح ثلاثة آلاف وامسى خمسون الفاً بلا ماوى

٣ مايو — ثار جبل ردوت في الاسكا

٧ « — ثار بركان سنت ڤنسنت

٨ « — ثار بركان بيلي فخرب سن بير وقتل ثلاثين الف نفس

١٢ مايو — ثار بركان كوليما في المكسيك

١٣ « — حدثت زلزلة عنيفة في سنت دنيس باملاك الدنمارك في الهند الغربيَّة

١٥ مايو — ثار بركان سوكونسكو في المكسيك

١٨ مايو — حدثت زلزلة في جنوبي البرتغال

١٨ مايو — ثار بركان سنت ڤنسنت ثانيةً

٢٠ مايو — علا المدُّ فخرَّب جانباً من بلدة لاكربت في مرتنيك وجرى الوحل من بركانها فطمر مدينة باس بوانت

٢٤ مايو — عاد بركان بيلي الى الثوران الشديد

٣٠ مايو — عاد السوفرير الى الثوران وزلزت الارض معهُ زلزالاً شديداً

٣١ مايو — نفث جبل ترابوشتو ابخرة كبريتيَّة وهو في ايطاليا بين نيس وجنوى

٢ يونيو — وردت الاخبار عن ثوران بركان بلاكبرن في الاسكا

٤ يونيو — ثار بركان طيني في القوقاس فقتل كثيرين وزحلت الارض قرب بحيرة لكو في سويسرا فقتلت اثنين من العلماء

٦ يونيو — ثار بركان بيلي ثوراناً شديداً

٨ يونيو — ثار بركان تاكانا في غوتيمالا وزلزت الارض فخربت بلدان كثيرة وقتل الف نفس

١٤ يونيو — ظهر ارتفاع في سطح الارض في ولاية بنسلفانيا باميركا

١٤ مايو — ثوران شديد في بركان بيلي

١٥ « — زلزلة شديدة في صقلية

١٩ « انقذف الطين من بركان بيلي فخرب مدينة باس بوانت

٢٠ مايو — حدثت زلزلة عنيفة في تيرول

٢١ مايو — ثار بركان بيشنشا في اكوادور

٢٤ مايو — وردت الاخبار عن ثوران بركان كيلوى في جزيرة هواي

١ يوليو — حدثت زلزلة في سلانيك مات بها كثيرون وكان فعلها شديداً في عشرين مدينة من مدن الاناضول

٧ يوليو — قذف بركان تُلسا حجارة وغازات وهو في المقاطعة الهندية باميركا

٧ يوليو — خربت الزلازل جوسن جلبسوڤا في بلاد الدولة في اوربا

٨ يوليو — ثارت براكين بحرية في كوستا ريكا فقتلت ملايين كثيرة من السمك

٩ يوليو — حدثت زلزلة عنيفة في بندر عباس

١١ يوليو — عاد الثوران الى بركان بيلي

١٢ « — حدثت زلزلة عنيفة في كركاس فاضرَّت باربع مدن

٢٧ يوليو — حدثت زلزلة عنيفة في كليفورنيا باميركا امتدَّ فعلها الى ولايات كثيرة

١٣ — ١٥ اغسطس نُسفت جزيرة صغيرة في بلاد يابان سكانها ١٥٠ نفساً فاختفوا هم ومنازلهم

٢٥ اغسطس — ثار بركان التو في ايطاليا

٢٧ اغسطس — حدثت زلزلة في جزيرة منداناو من جزائر فيلبين فقتلت ٦٠ نفساً

٣٠ اغسطس — حدثت زلزلة في فنزويلا وثار بركان بيلي فقتل الفي نفس

١ سبتمبر — اشتد ثوران بركان بيلي حتى فاق ثوران الثامن من شهر مايو الذي خرب مدينة سان بير

٨ سبتمبر — اخذ بركان يزوف يقذف النيران وحدثت زلزلة شديدة في بنغالا ببلاد الهند

٩ سبتمبر — تغيَّر شكل جزيرة سنت فنسنت بثوران السوفرير وثار بركان سترمبولي

١٧ سبتمبر — اشتد الثوران في براكين فيلبين

زلزلة كشغر

جاء في جرائد الهند ان زلزلة حدثت في كشغر في الثاني والعشرين من اغسطس الماضي قتل بها نحو الف نفس وارتفعت حرارة الهواء بعد ذلك وبقيت الهزات تتردد مدة اسبوع . وجاء في تلغراف روتر من سملا ان الزلزلة قتلت ٦٦٧ نفساً وجرحت الفاً غيرهم

زوبعة صقلية

ثارت زوبعة شديدة على شاطئ صقليه في ٢٦ سبتمبر مات بها كثيرون وفاض غديران في مدينة موديكا فغمرت مياههما البيوت الى الى الطبقة الثانية منها ونفث بركان اتنا اعمدة كثيفة من البخار من قرب المكان الذي ثار منهُ سنة ١٨٩٢

الملح للغنم

جاء في المجلة الزراعية التي تنشر في مدينة الراس ان بعض الفرنسويين جرَّبوا فعل الملح بالغنم اذا أُضيف الى طعامها فقسموا قطيعاً ثلاثة اقسام اضافوا الى علف الخروف في القسم الاول ثمانية دراهم من الملح يومياً والى

علف الخروف في القسم الثاني ستة دراهم ولم يضيفوا الملح الى علف القسم الثالث فظهر بعد حين ان الغنم التي اضيف الى علف الخروف منها ستة دراهم يوميًّا زاد وزنها اكثر مما زاد وزن التي لم يضف الملح الى علفها اربعة ارطال ونصف رطل وزاد وزنها ايضاً اكثر مما زاد وزن التي اطعمت تسعة دراهم وبلغت الزيادة رطلاً وربع رطل. وظهر من ذلك ان الملح المعتدل انفع من عدم الملح ومن الملح الكثير. وغزر صوف التي اطعمت ملحًا وجاد نوعهُ

صغار الممثلين

لصناعة التمثيل شأن كبير عند الاوربيين والاميركيين حتى لقد يهتمُّ ملوكهم بها كما يهتم عامتهم ويبلغ دخل الممثل او الممثلة من كبار الممثلين الوفًا من الجنيهات في الشهر او في الاسبوع ومما هو في حد الغرابة انهُ يدخل مشاهد التمثيل احيانًا اطفال لم يبلغوا العاشرة من عمرهم فيجيدون ويبلغ ما يعطاهُ الواحد منهم ستين او سبعين جنيهًا في الاسبوع ويقال ان في مشاهد اوربا الآن اكثر من اثني عشر ولدًا ممثلاً دخل الواحد منهم اكثر من الف جنيه في السنة . فما اشبه ذلك بصناعة التمثيل عندنا ودخل المنتظمين فيها

حديد اليابان

الحديد دعامة العمران في هذا العصر لا تفلح بلاد ليس فيها القدر الكافي منهُ . وقد علم اهالي اليابان ذلك فكان من اهم الاغراض التي رموا اليها استخراج الحديد من بلادهم بمقادير كبيرة حتى يسهل عليهم استخدام المقدار الكافي منهُ ولا يبقوا معتمدين على اوربا واميركا ولاسيما في بناء سفنهم الحربيَّة. فعينت حكومة اليابان لجنة للبحث في هذا الموضوع وعمل التجارب اللازمة لاستخراج الحديد وسبكهِ وعمل الصلب (الفولاذ) منهُ فبحثت هذه اللجنة وجرَّبت ورفعت تقريرها الى الحكومة فخصص مجلس الامَّة اربع مئة الف جنيه تنفق في اربع سنوات على انشاء المسابك لسبك الحديد وكان ذلك سنة ١٨٩٦ فانشئت المسابك والمعامل الكبيرة بهذا المال وقبل ان ينفق كلهُ خصص مجلس الامَّة لها مليوني جنيه وقد فتحت رسميًّا في شهر اكتوبر الماضي وهي تشغل ارضاً مساحتها ٣٢٠ فدانًا ولها منجمان من مناجم الحديد وثلاثة مناجم من مناجم الفحم الحجري وكلها على نحو ٢٠ ميلاً منها وتتصل بها بسكك حديدية . ويقال انهُ يلزم لهذه المسابك كل يوم ٢٥٠ الف طن من حجارة الحديد و ٣٥٠ الف طن من فحم الكوك و ٨٠٠ الف طن من الفحم الحجري. وقد شرعت في سبك الصلب بطريقة سمنس منذ شهر مايو الماضي وهي تسبك في اليوم الآن اربعين طنًّا. وقال رئيس هذه المسابك انهُ يمكن ان يسبك بها مئة الف طن من الصلب كل يوم متى عملت كلها

رش الطرق بالزيت

جرَّبت ادارة الكنس والرش في العاصمة الزيت المعدني المعروف بزيت تكساس لانهُ يغني عن رش الطرق بالماء ويمنع خروج الغبار منها فنجحت التجربة الاولى بعض النجاح والظاهر ان بلاد ايطاليا تجرب ذلك الآن في طرقها ويقال ان الزيت الذي تستعملهُ يصلّب الطرق ويمنع خروج الغبار منها ونتوذماء المطر فيها

البريد التلغرافي

جاءتنا الجرائد العلمية بوصف البريد التلغرافي الذي اشار بهِ احد الايطاليين وقال ان سرعتهُ ٢٥٠ ميلاً في الساعة فاذا هي تؤيد ما ابديناهُ من الريب في نجاحهِ وزادت جريدة السينتفك اميركان ان ارتجاف الاسلاك سيكون من اكبر العوائق في نجاحهِ. ويؤلف البريد الكهربائي من اربعة اسلاك معدنية تنصب على اعمدة كاعمدة التلغراف او الترام الكهربائي اثنين عاليين واثنين تحتهما تعلّق في العاليين مركبة صغيرة يجري عجلها على السلكين ويعلّق بها الصندوق الذي توضع رسائل البريد فيهِ وهو من معدن الاليومنيوم الخفيف ولهُ عجل من اسفلهِ يجري بها على السلكين الثانيين. والمركبة تجري بالكهربائية المارّة على السلكين العلويين وعلى سلك من السلكين اللذين تحتهما

ومخترع هذا الاسلوب اخترع اشياء اخرى لوضع الرسائل في الصناديق وهي مارّة ولالصاق طوابع البريد بها وقد طلب الامتياز باختراعهِ في اميركا

زيت الاسكا

ابتاعت الولايات المتحدة بلاد الاسكا من روسيا وهي تحسب انها لا تجني منها نفعاً يذكر ولكن وجد فيها الذهب وقد وجدت فيها الآن زيت البترول بكثرة واحتفرت بالامس بئراً صعد منها الزيت الى ارتفاع مئتي قدم وهو جيد يساوي البرميل منهُ اربعة ريالات في ارضهِ قبل تنقيتهِ

اكبر البواخر

صنع الالمان باخرتين اخريين من اكبر ما صُنع حتى الآن الواحدة اسمها سدرك والثانية اسمها القيصر ولهلم الثاني. طول السدرك ٧٠٠ قدم ومحمولها ٣٨٥٠٠ طن وطول القيصر ولهلم الثاني ٧٠٦ ١/٢ قدم ومحمولها ٢٦٠٠٠ طن فقط ولكن آلاتها البخارية بقوة اربعين الف حصان لكي تكون اسرع كل البواخر الكبيرة فان سرعتها المقررة في شروط عملها ٢٣ ميلاً بحريًّا في الساعة على الاقل ولكن ينتظر ان تبلغ ٢٤ ميلاً وهي تسع ٧٧٥ راكباً في الدرجة الاولى و٣٤٣ راكباً في الدرجة الثانية و ٧٧٠ راكباً في الدرجة الثالثة والجملة ١٨٨٨ راكباً واذا اضفنا اليهم البحارة ونحوهم بلغ عدد من تسعهم ٢٤٤١ نفساً

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد السابع والعشرين

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد السابع والعشرين

١ دیسمبر (کانون الاول) سنة ١٩٠٢ — الموافق ١ رمضان سنة ١٣٢٠

المتحف المصري

المتاحف قديمة العهد منشأها هذا القطر اولها متحف الاسكندرية الذي أُنشئ سنة ٢٨٠ قبل المسيح وكان خزانة للكتب ومنتدًى للعلماء . واقتبسها الاوربيون من المصريين وجعلوها دورًا للعاديات والصور والتماثيل ثم توسَّعوا فيها فجعلوا بعضها للمصنوعات على اختلاف انواعها وبعضها للحيوانات او للنباتات او الجمادات

ولما كثر اكتشاف الآثار المصرية في عهد سعيد باشا اذن للشهير ماريت سنة ١٨٥٨ ان يستعمل دار الصنعة القديمة في بولاق متحفًا لها او مخزنًا تخزن فيهِ . وكانت تلك الدار ضيقة لا تزيد مساحتها ومساحة الحديقة التي امامها على خمسة آلاف متر مربع فاضطر مريت ان يبقي كثيرًا من الآثار التي اكتشفها في اماكنها لضيق الدار . ثم ان الآثار التي نقلها اليها كانت في خطر دائم من ارتفاع النيل وجرفهِ اياها مع البناء الذي هي فيهِ . واخيرًا قرَّ القرار على نقلها الى دار ارحب وآمن فنقلت الى قصر الجيزة

وذلك القصر كبير جدًّا كما لا يخفى ولكن رجال البحث والتنقيب زادوا عددًا فكثرت المكتشفات حتى ضاق بها فلذلك ولبعدهِ عن العاصمة ولأن في جدرانهِ وسقفهِ كثيرًا من الخشب فيخشى من احتراقهِ دوامًا قرَّ قرار الحكومة المصرية بعد بحث طويل على بناء متحف خاص في المكان الذي بني فيهِ قرب قصر النيل واقترحت على راسمي الابنية ان يرسموا لها بناء وافيًا بالغرض وعينت الف جنيه تعطيها جوائز للرسوم الخمسة الفضلى واشترطت ان لا تزيد نفقات البناء على مئة وعشرين الف جنيه مصري

فتبارى الرسامون في هذا المضمار وعرضت الحكومة ٨٤ رسمًا من رسومهم سنة ١٨٩٥

واختارت خمسة منها اعطت اصحابها الجوائز واخيرًا اختارت رسمًا من هذه الخمسة وهو رسم المسيو دورنيون الباريسي ثم طلبت منهُ ان يرسم لها رسمًا آخر ينطبق على ما طلبهُ المسيو ده مورغان الذي كان مدير المتحف حينئذٍ . والذين شاهدوا تلك الرسوم البديعة وشاهدوا المتحف في حالتهِ الحاضرة ورأوا المباني المصرية القديمة وحجارتها الصلبة يقولون معنا انهُ لو عينت الحكومة المصرية الجوائز لمن يرسم لها ابعد الرسوم عن جمال البناء واقربها الى التلف المستمر لنال الجائزة الاولى الرسم الذي جرت عليهِ . وعذر المدافعين عنها انها لو جعلت البناء اجمل من الآثار التي توضع فيهِ لبانت قبيحة بالنسبة اليهِ

وعُرض بناء المعرض على المقاولين فرضي المقاولان الايطاليان غارسُّو وزفرافي ان يبنياهُ بثلاثة وتسعين الفًا وخمس مئة جنيه وجنيهين ويتماهُ في ستة وعشرين شهرًا فانيط بهما ذلك وشرعا في البناء في اوائل سنة ١٨٩٧ فلم يتماهُ الَّا في اربع سنوات وثمانية اشهر وبلغت نفقاتهُ ١٨٩٢٢٠ جنيهًا

وفي الخامس عشر من شهر نوفمبر احتُفل بافتتاحهِ رسميًّا بحضور الجناب الخديوي وحضرات نظار حكومتهِ ووكلاء النظارات ومختار باشا الغازي ووكلاء الدول واللورد كتشنر وسردار الجيش المصري وجمهور كبير من وجهاء العاصمة الوطنيين والاجانب ووقف سعادة فخري باشا ناظر الاشغال العمومية بين يدي الجناب الخديوي امام باب المتحف وتلا مقالة وجيزة باللغة الفرنسوية وهذه ترجمتها نقلاً عن الجريدة الرسمية

مولاي في اول ابريل من عام ١٨٩٧ تفضل جنابكم الفخيم فوضعتم بيمينكم الكريمة الحجر الاول من دار الآثار المصرية وفي يومنا هذا اقدم لمقامكم السامي تزيد الابتهاج هذه العمارة وقد كمل بناؤها وترتيب اوضاعها

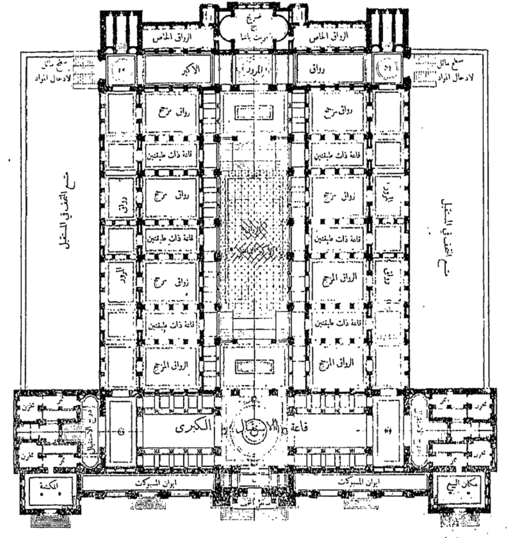
ولقد بذل المهندسون بنظارة الاشغال وعمال دار الآثار منتهى العناية والاهتمام فكان تشييد البنيان وتنسيق الآثار على غاية ما يرام

مولاي ان ارض مصر المباركة تدر على اهلها الخير الوفير بمحصولاتها العظيمة النافعة جزاءً لهم على حسن قيامهم بخدمتها وفوق ذلك ففي احشائها كنوز اخرى تنتج مع القبلة وتجلى غوامضها امام العلماء الصابرين الذين يوالون البحث عليها ويواظبون في التنقيب عنها حتى اذا تكشفت لهم غوامضها ابرزوها على رؤوس الاشهاد لتكون عجبًا باقيًا للتابعين وعبرة للعالمين

هذه الكنوز الثمينة التي تدلنا على تفنن الاقدمين في الصنائع والمعارف وتخبرنا بحضارتهم الزاهرة على ضفاف النيل في الزمان العتيق قد اصبحت اليوم في هذه الدار وهي في امان من

الضياع والدمار بل في حرز حريز يليق بقيمتها العالية فكيف لا تتباهى مصر وقد صار في وسعها ان تجلو امام ابصار العلماء والمتفننين والسائحين والمولعين بطرائف الاقدمين ما حوتهُ عاصمتها المحروسة في هذه الدار من بدائع المجاميع وعجائب الآثار

فتكرم يا وليّ النعم بافتتاح دار الآثار المصرية وشرفها بزيارة تكون لها طالع يمن واقبال



فيزداد بهمة مديرها العلامة ماسبرو ما فيها من التحائف والطرائف وتنتشر سمعتها وشهرتها في الخافقين

فتلا الجناب العالي جواب ذلك بالفرنسوية وهذه ترجمتهُ نقلاً عن الجريدة الرسمية ايضاً

يا سعادة الناظر . أفتح دار التحف المصرية الجديدة بصدر ملؤهُ الانشراح وهي التي سبق ان وضعت اول حجر من اساسها

. واشكر لسعادتكم ولكبار الموظفين الذين اشتركوا معكم في العمل مسعاكم الذي اقترن بالنجاح في اتمام هذا البناء الفخيم وكذلك أُقدّم شكراني للمسيو ماسبرو مدير مصلحة الآثار ورئيسها الجليل الذي اعتقد انهُ تمكن هو واعوانهُ العلماء من تنسيق هذه الآثار النفائس واخراجها للناس في اكمل نظام وهي مما تركت لنا تلك الامة التي استحقت ان تعدّ من امهات الحضارة في العالم

وان مصر لتذكر الجميل لجماعة المشتغلين بآثارها القديمة من رجال العلم أخص بالذكر منهم المأسوف عليهِ مريَيت باشا وتعترف لهم باليد الطولى في اجتماع هذه الكنوز التي تزداد ظهورًا وكثرة على الايام

فاليوم اراني سعيدًا وفخورًا ان افتح ابواب الهيكل الذي يضم هذه الكنوز والذي اقيم ليذكر الناس عصرًا كبيرًا ألا وهو ماضي بلادي

ثم فتحت ابواب المتحف فدخلهُ الجناب الخديوي وبين يديهِ المسيو ماسبرو يشرح لهُ ما يرى ووراءهُ جمهور المدعوين وطاف في اقسام المتحف المختلفة الى ان اتى على آخرهِ وكان هناك مائدة عليها صور المتحف من الخارج ورسم بنائهِ وزعت على المدعون وعنهما نقلنا الرسم الذي في هذه المقالة والرسمَ الذي صدرنا هذا الجزء بهِ . واقيم شرقي المتحف سرادق فخيم فيهِ انواع المرطبات فدخلهُ الجناب الخديوي وتلاهُ جمهور المدعوين واعاد شكرهُ لسعادة فخري باشا وللسر وليم غارستن وكيل الاشغال وللمسيو ماسبرو

ومساحة الارض المختصة بالمتحف ٣٠٦٢٥ مترًا مربعًا . وفي طبقتيهِ ما مساحتهُ ١٥٠٥٠ مترًا مربعًا لوضع الآثار ولم يكن في قصر الجيزة سوى ٩٧٠٠ متر مربع ويمكن أن يوسع بناء المتحف باضافة جناحين اليهِ كما ترى في الرسم . اما شكلهُ الظاهر فيرى من الصورة التي في صدر هذا الجزء وهو مبنيٌّ بالحجر الابيض ومطليٌّ اسفلهُ بالسمنت واعلاهُ بالجير والجبس وداخلهُ مطليٌّ كلهُ بالجبس وفي واجهتهِ صفائح من الرخام كتبت عليها اسماء علماء الآثار المصرية باللغة اللاتينية . وحبذا لو بُنيت جدرانهُ بالحجر النحيت الذي لا يتفتت وجعلت عمدهُ من المرمر او الرخام حتى يضارع ما فيهِ من الآثار وحتى لا يقال ان ابناء القرن العشرين بعد المسيح عجزوا عمّا استطاعهُ ابناء القرن العشرين قبلهُ . وعسى ان تتم هذه الامنية عند بناء الجناحين فيجعل ظاهرهما من الحجر النحيت وتقام امام الواجهة واجهة اخرى على عمد رفيعة من المرمر تليق بفخامة المتحف وما فيهِ من التحف

كلية غوردون

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتسعدُ

وما اصدق هذا القول على السودان فقد عهدناهُ منذ سنوات قليلة مرتعاً للجور والظلم ومرسحاً للاستبداد وسفك الدماء اسدلت حجب الغباوة على اهلهِ واذيقوا مرارة التعاسة والشقاء حتى لم يبقَ في تلك البلاد الواسعة الأرجاء اثر للعدل والعمران وحتى بات الناس يضربون المثل بتوحش حكامها واستبدادهم الفظيع ويتوجعون لبضعة ملايين من اخوانهم باتوا تحت رحمة العتاة الظلاَّم من اولياء الامر فيهم ويتمنون لو يقوم من السودانيين من ينقذهم من قبضة يدهم ويريحهم من شرهم ويمهّد للبلاد سبيل التمدن والعمران فتنفتح ابوابها للتجارة وتنشط فيها الزراعة من السبات العميق الذي أُلقي عليها

وكأن الرجل الذي قاد الجيوش المصرية والجنود الانكليزية الى مواقع النصر ومواطن الظفر لم يكفهِ محو سلطة الدراويش وثل عرش التعايشي بل رأى بعين بصيرتهِ النقادة ان هذا الفتح سيحل السودانيين من قيودهم فيطلبون الارتقاء والتقدم بحكم السنن الطبيعية فاستنجد ذوي الفضل والسخاء من بين امتهِ وطلب اليهم ان يسعفوا السودانيين فيوافوهُ بما تجود بهِ ايديهم من المال لانشاء مدرسة كلية في الخرطوم تذكاراً للبطل غردون الذي بذل حياتهُ في الدفاع عن تلك المدينة فبادر القوم الى اجابة ندائهِ وبعد زمان قصير زاد ما تبرع بهِ الفضلاء لهذا الغاية عمَّا طلبهُ مبتكر المشروع فوضع اساس المدرسة وابتدأ العمل فيها بهمة وجدّ ثم دُعي الى جنوب افريقية فكلف سعادة حاكم السودان العام ان يتولَّى ادارة العمل بالنيابة عنهُ فافرغ جهد المستطاع في اتمام البناء على الوجه المطلوب

وقد احتفل بفتح هذه المدرسة في ٨ نوفمبر الماضي احتفالاً باهراً قصدهُ اللورد كتشنر في طريقهِ الى الهند فزين بناؤها اجمل زينة واصطفت فرقة من الجنود على رصيفها لتأدية السلام العسكري حتى اذا ما وصل اللورد كتشنر حيتهُ فمشى بين صفين من الطلبة ولمَّا استقرَّ بهِ المقام نهض سعادة السر ريجنلد ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام فرحب بهِ باسم الجيش الانكليزي والمصري في السودان ورجال الحكومة السودانية وعلماء البلاد ومشايخها واعيانها واشار الى غيبتهِ في جنوب افريقية وما لقيهُ من الفوز في انجاز الحرب فيها واعرب عن فرح الجميع برؤيتهِ من الجنود التي تولَّى قيادتهم الى الاهلين الذين يذكرونهُ طول عمرهم كمنقذهم من قبضة الخليفة وكاول حاكم بريطاني للسودان بعد ذلك البطل غوردون باشا الذي

بذل جهده' في المحافظة على سطوة الحكومة المصرية وباع حياتهُ في الدفاع عنها منذ ١٨ سنة الى ان قال " وقد ارتأيتم ان تخلدوا ذكر اعمالهِ المجيدة في السودان بانشاء مدرسة كلية تدعى باسمهِ ولا اتولّى الكلام عمّا جرى بعد ان اعلنتم رغبتكم هذه وحسبي ان اقول ان نداءكم اجيب بسرعة غريبة فانهالت العطايا من كل حدب وصوب وفي زمن قصير جُمع مبلغ طائل من المال وكان اكثره' من بريطانيا العظمى وبعضهُ من كندا واوستراليا وزيلاندا الجديدة ومستعمرة الراس والولايات المتحدة والهند ومصر . ولما انتقلت الملكة فكتوريا الى رحمة ربها اتخذ جلالة الملك المدرسة تحت رعايتهِ اقتداءً بوالدتهِ وقد قال اللورد سالسبري في كلامٍ لهُ عن هذه المدرسة "ان الخاطر الذي خطر لكم واجب وجبهُ علينا نموّ الامبراطورية واتساع ارجائها وان من اشرف الاعمال ازالة الموانع الجنسيَّة لتأييد الاشتراك العقلي بين الامم وتسهيل ترقية البشر" وقبل ان دعيتم الى جنوب افريقية كان العمل قد ابتدأ في البناء ونجز قسم منهُ فألقي على عاتقي القيام باتمامهِ على الوجه الذي ارتأيتموه' فاقتضت الحال احداث تعديل طفيف في البناء وساترك لكم الحكم فيما اذا كنَّا قد احسنَّا القيام برغبتكم وحققنا املكم والاستعداد جارٍ لاستقبال المعمل البكتيريولوجي والتحليلي الذي تكرَّم بهِ المستر ولكم والعمل جارٍ في تشييد بناء خاص بالجهاز الذي اهداه' الكريم السر وليم ماذر لتعليم الصناعات والاشغال اليدويَّة وسيتولّى المستر كري مدير المدرسة الكلام في هذه الشؤُون مفصلاً لكنني اغتنم الفرصة للاشارة الى المساعدة التي بذلتها لنا نظارة المعارف العموميَّة المصريَّة ومن موجبات سروري ان السكرتير العامّ للنظارة المشار اليها موجود بيننا اليوم وفي الختام اقول انني ما دمت حاكم السودان العامّ فسأبذل الجهد في انجاح هذه المدرسة التي سيكون لها نفع جليل في تقدم البلاد وارتقائها

وعقبهُ المستر كري مدير المدرسة فقرأ كتاباً من السر وليم ماذر الى اللورد كرومر اعرب فيهِ عن الغاية التي يطلبها في اهدائهِ هديتهُ النفيسة وهذه الهديَّة مؤَلفة من جهازات كاملة من قزانات وآلات بخارية وكربائية وطلبات لرفع الماء من النيل الى المدرسة وادوات للشغل في الخشب والمعادن ورسوم خاصة بهذه الآلات وكيفيَّة تركيبها ووضعها . وممَّا جاء في هذا الكتاب قوله' " امَّا الغرض من انشاء هذا القسم الصناعي فهو تسهيل التعليم لابناء السودان فيقرنون العلم العقلي الذي يتلقونهُ في غرف الدرس بالعلم العملي اذ من المعلوم والمتفق عليهِ ان الصغار سريعو التعلُّم جيّدو الحفظ فاذا اهتموا بما يشغل ايديهم وعيونهم واذهانهم باستعمال الآلات والادوات والعمل في الموادّ المختلفة تمكنت فيهم دقة النظر والاعتناء والاستنتاج العقلي الصحيح ممَّا يؤُول الى ترقية قواهم المولّدة فيصل الاثر المطلوب الى العقل عن طريق

الحواس ومن الواجب ان تكون الطبيعة ودرسها خير الوسائل الفعَّالة في تعليم الامم السريعة التأثر من المظاهر الخارجيَّة كالامتين المصرية والسودانية فاذا تمثَّلت النواميس الطبيعية للطلبة في الاشباح والاشياء المحسوسة في معامل المدرسة اصبحت هذه النواميس مألوفة لديهم. ثم ان التعليم العملي الذي يشغل العين واليد والفكر ما بين رسم باليد او بالآلات ونقل تلك الرسوم الى المعادن والاخشاب وتمثيلها فيها واستعمال الادوات المختلفة تدريجاً على اسلوب الارتقاء العقلي لمن الامور التي تعوّد الطالب على التعليل العلمي الصحيح دون ان يتكلف مشقة او عناء فان الاعمال اليدوية تمرّن اليدين وتكسبهما اللباقة فضلاً عن انها تجلو العقل وتلذّ الحواس فتكون النتيجة التعليم في اوسع معانيهِ وارفعها اذ تشتدُّ قوَّتا الملاحظة والتعليل ويتسع الفهم والادراك اتساعاً يمكن الانتفاع بهِ في جميع الاعمال أَضِفْ الى ذلك ان الطلبة يتخلصون من السآمة والضجر اللذين يلازمان التدريس العاديّ فان الاوَّل ينمي العقل والثاني يملأهُ والفرق بين الاثنين جليٌّ واضح ". . . .

وقد قال المستر كري ان في الخرطوم وام درمان مدرستين ابتدائيتين ومدرسة ثالثة لاعداد المعلمين من الوطنيين وان عدد الطلبة في المدارس الثلاث ٤٥٠ وان في حلفا وسواكن مدرستين اخريين ومدرسة صغيرة في بربر وانهم ينوون فتح مدرسة اخرى في دنقله في اول السنة القادمة. ثم اشار الى رغبة الاهلين في تعليم اولادهم واقبالهم على هذه المدارس وتنشيطهم رجال الحكومة وان العلماء منهم يشدون ازرها. وتلاهُ سر تجار الخرطوم ونظار مدارس ام درمان والخرطوم وبربر. ولمَّا فرغوا وقف اللورد كتشنر فشكر سعادة السردار على ترحيبهِ بهِ بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن اصدقائهِ في السودان واشار الى ما لقي من الحفاوة والاكرام من جميع الذين عرفوهُ ابَّان وجودهِ في الجيش المصري الى ان قال مخاطباً الحاكم العام

" لمَّا دعيت الى جنوب افريقية ابقيت لسعادتكم الاهتمام بهذا المشروع الذي يمهد للسودانيين سبيل تلقي العلوم العالية وقد سررت سروراً فائقاً اذ وجدت لدى عودتي ان اقصى الهمَّة بُذِل في سبيل نيل تلك الغاية ودهشت اذ شاهدت ما تمَّ من البناء واني اوافق المستر كري على ما قالهُ من ان هذا المشروع لا يكمل على الوجه المطلوب الاَّ بعد مدَّة طويلة لكني اعترف انني لم احلم بمثل هذه السرعة في العمل واثق انهُ اذا ظلت الهمة مبذولة على هذا المنوال بكلية غوردون فنجاحها سيكون كالذي قدرتهُ لها او يفوقهُ وقد اتضح لنا ان اهل السودان [illegible]ون في تعليم اولادهم وانهم مجمعون على استحسان الخطة التي وضعناها لبلوغ هذه الغاية في المستقبل وانهم مستعدون لبذل ما في وسعهم في موازرتنا وقد استفدنا من اختبارنا في المدارس

الابتدائية السودانية ان الطلبة قابلون التعليم فقد اتصل بي ان هذه المدارس على حداثة عهدها تضارع مدارس مصر الابتدائية فلم يعد في وسعنا سوى الاعتراف ان ليس هناك ما يمنع نموَّ التعليم وارتقاءهُ في السودان وانهُ لا ينقصنا الفتيان المشتاقون الى تحصيلهِ . ويسرُّني ان ارى على وجوه الطلبة الذين بيننا من امارات النجابة ما يدفعنا الى الثقة بان لدينا ارضاً خصبة يعود العمل فيها بالاقبال على البلاد فتصبح مركزاً للتمدن بعد ان كانت كما تعلمون جميعاً لكنني لا ازال اقول ما قلتهُ آنفاً من أن هذه الآمال لا تحقق الاَّ بعد زمان طويل . وقد كان الغرض من تسمية هذا الصرح التذكاري مدرسة كليةً اقامة معلَم يكون في المستقبل بمثابة النواة للتعليم الثانوي والعالي والصناعي في السودان فيتخرج فيهِ شبان فيهم الكفاءة لتولي المناصب التي تحتاج الى امثالهم الآن في بلادهم وسانتظر بملء الصبر والسرور تلك النتيجة العظيمة التي تنتجها هذه المدرسة واستحسن في الوقت عينهِ ان ينفق ربع مال الكلية على نشر التعليم الابتدائي في انحاء السودان ولي امل كبير (كما قال المستر كري) انني متى انقضت مدة خدمتي في الهند وهي خمس سنوات اعود الى الخرطوم فارى الكلية سائرة على الخطة التي وُضعت لها وليس انتظار خمس سنوات او عشر بالانتظار الطويل اذا قضيت هذه السنوات بجدٍ وهمة في انجاح مشروع يؤول الى تنوير امة باسرها وتحسين آداب جنس . واني ارى بعين الامل مئتي طالب في هذه المدرسة وفرقة من المعلمين الانكليز الاكفاء يعيشون معهم بالوفاق والوئام فيهذبونهم ويدربونهم وينيرون عقولهم حتى تنمو آدابهم ويصبحوا قادرين على تولي المهام في الجيش والخدمة الملكية والاعمال الصناعية . نعم ان مال المدرسة البالغ مئة الف جنيه لا يؤدي ريعاً يكفي للقيام بنفقات التعليم الثانوي في المستقبل ولكني واثق ان سعادة الحاكم العام بصفتهِ رئيساً للمدرسة وكونهِ غير مقيد بشيءٍ من القيود في ادارتها يستطيع ان يدخل من التحوير والتبديل ما تقتضيهِ الحال حتى تظل المدرسة قادرة على القيام بما يُطلَب منها . ومتى اخذت تسير في خطتها فلا ريب في زيادة مالها بما تمنحها الحكومة وما يأتيها من اجور التعليم بحيث تستطيع ان تماشي البلاد في تقدمها وارتقائها . ثم اثنى على جميع الذين اسعفوا المدرسة بهباتهم وخصَّ منهم السر وليم ماذر والمستر ولكم وقال ان الكلية ينقصها كثير من المعدَّات وانها تقبل ما يأتيها من الهبات بسرور وشكر اللورد كرومر والسردار على ما بذلاهُ من الهمة في تحقيق آمالهِ وعدهما شريكين لهُ في العمل وبعد ان دعا للمدرسة بالنجاح اعلن فتحها رسميًّا

وسيكون فتح هذه الكلية في الخرطوم فاتحة عصر جديد للسودان فتبزغ فيهِ شمس المعارف والعلم وترسل انوارها فتبدد غياهب الجهل وتعد شبان السودان ليكونوا رجالهُ في المستقبل

ارسطوطاليس والمتنبي

للحاتمي

قال الامام ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي المعروف بالحاتمي لما رأيت ابا الطيب احمد بن الحسين ابن الحسن الشاعر اللغوي المعروف بالمتنبي قد اتى في شعرهِ على اغراض فلسفية ومعاني منطقية اردت الموافقة بين ما توارد بهِ في شعرهِ مع ارسطو في حكَمهِ لانهُ ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم . وان يكن ذلك منهُ على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك . وهو في الحالين على غاية الفضل . وقد اوردت من جملهِ ما يستدل بها على فضلهِ

ارسطو — اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك النفس دون بلوغها

المتنبي — واذا كانتِ النفوس كبارًا   تعبت في مرادها الاجسامُ

ارسطو — روم نقل الطباع من ذوي الاطماع شديد الامتناع

المتنبي — يُراد من القلبِ نسيانكم   وتأبى الطباعُ على الناقلِ

ارسطو — نفوس الحيوان اغراض لحوادث الزمان

المتنبي — اذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فاهون ما يمرُّ بهِ الوحولُ

ارسطو — اذا تجردت اللطائف من الشكوك اكتسبت الصورة رونقًا

المتنبي — اذا خلعتُ على عِرضٍ لهُ حُللاً   وجدتها انتَ في أبهى من الحللِ

ارسطو — الالفاظ المنطقية مضرة بذوي الجهل لنبو احساسهم عن دركها

المتنبي — بذي الغباوةِ من انشادِها ضَرَرٌ   كما تضرُّ رياحُ الوردِ بالجُعَلِ

ارسطو — تعاقب ايام الزمان . مفسدة لاحوال الحيوان

المتنبي — فما ترجّي النفوس من زمن   احمد حاليهِ غير محمودِ

ارسطو — الزمان ينشئ ويلاشي . ففناءُ كل قوم سبب لكون قوم آخرين

المتنبي — بذا قضت الايّام ُمابينَ اهلها   مَصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ

ارسطو — يسيرٌ من ضياء الحس خير من كثير من درس الحكمة

المتنبي — فانَّ قليلَ الحُبِّ بالعقلِ صالحٌ   وانَّ كثير الحُبِّ بالجهلِ فاسدُ

ارسطو — من علم ان الكون والفساد يتعاقبان الاشياء لم يحزن لورود الفجائع لعلمهِ انهُ من كونها وهان ذلك عليهِ لعجز الكل عن دفع ذلك

المتنبي اذا استقبلت نفس الكريم مصابها بخبثٍ ثنت فاستدبرتهُ بطيبِ

ارسطو — النفوس المجوهرة تأبى مقارنة الذلة وترى فناها في ذلك حياتها والنفس الدنية بالضد من ذلك

المتنبي فحبُّ الجبان النفسَ اوردهُ البقا وحب الشجاع الذكر اوردهُ الحربا

ارسطو — ترك حركات الفلك تحيل الكائنات على جهاتها

المتنبي ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت على عينهِ حتى يرى صدقها كذبا

ارسطو — باعتدال الامزجة وتساوي الاحساس يفرق بين الاشياء واضدادها

المتنبي وما انتفاع اخي الدنيا بناظرهِ اذا استوت عندهُ الانوار والظلَمُ

ارسطو — من لم يردك لنفسهِ فهو النائي عنك وان تباعدت انت عنهُ

المتنبي اذا ترحلتَ عن قومٍ وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون همُ

ارسطو — من علم ان الفناء مستولٍ على كونهِ هانت عليهِ المصايب

المتنبي والهجرُ أقتلُ لي مما أُراقبهُ انا الغريقُ فما خوفي من البللِ

ارسطو — العيان شاهد لنفسهِ والاخبار يدخل عليها الزيادة والنقصان فاولى ما أُخذ ما دل على نفسهِ بالنظر

المتنبي خذ ما تراهُ ودع شيئاً سمعت بهِ في طلعة البدر ما يغنيك عن زحلِ

ارسطو — قد يفسد العضو لصلاح الاعضاء كالكي والفصد اللذين يفسدان الاعضاء

المتنبي لعل عتبك محمودٌ عواقبهُ وربما صحَّت الاجسامُ بالعللِ

ارسطو — مباينة المتكلف المطبوع كمباينة الحق الباطل

المتنبي لانَّ حلمك حلمٌ لا تكلّفهُ ليس التكحُّل بالعينين كالكحلِ

ارسطو — الرجاء تمنٍ والشك توقُّف وهما الامل

المتنبي واحلى الهوى ما شكَّ في الوصل ربُّهُ وفي الهجر فهو الدهرَ يرجو ويتقي

ارسطو — علل الافهام اشد من علل الاجسام

المتنبي يهون علينا ان تصاب جسومنا وتسلم اعراضٌ لنا وعقولُ

ارسطو — من تخلى عن الظلم بظاهر امرهِ وعفت جوارحهُ وكان مساكناً بحواسهِ فهو ظالم

المتنبي واطراقُ طرف العين ليس بنافعٍ اذا كان طرفُ القلب ليس بمطرقِ

ارسطو — من يجعل الفكر في موضع البديهة فقد اضرّ بخاطرهِ وكذلك من جعل البديهة موضع الفكر

المتنبي ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

ارسطو — مباعدة الجواهر ابعد من التنائي بمباعدة الاجسام

المتنبي واتعب من ناداك من لا تجيبهُ واغيظ من عاداك من لا يشاكلُ

ارسطو — اذا لم تنصرف عن النفس شهواتها ومرادها فحياتها موت ووجودها عدم

المتنبي ذلّ ما يغبطُ الذليل بعيشٍ ربّ عيشٍ اخف منهُ الحمامُ

ارسطو — الفرق بين الحلم والعجز ان الحلم لا يكون الأّ عن قدرة والعجز لا يكون الأّ عن ضعف فليس للعاجز ان يتسمى باسم الحليم وهو عاجز

المتنبي كل حلمٍ اتى بغير اقتدارٍ حجةٌ لاجئٌ اليها اللئامُ

ارسطو — النفس الذليلة لا تجد الم الهوان والنفس الكريمة ترى الاشياء بطبعها

المتنبي من يهُن يسهل الهوان عليهِ ما لجرحٍ بميتٍ ايلامُ

ارسطو — الجاهل لا يحلو عندهُ طعم العلم بل يجد لهُ ثقلاً كما يثقل على المريض الادوية النافعة ويحلو لهُ في فمهِ غير طعمها

المتنبي ومن يكُ ذا فمٍ مرّ مريضٍ يجد مرًّا بهِ الماء الزلالا

ارسطو — ليس جمال ظاهر الانسان مما يستدل بهِ على حسن فعلهِ وفضلهِ

المتنبي لا يعجبنّ مصونًا حسنُ بزّتهِ وهل يروقُ دفينًا جودةُ الكفنِ

ارسطو — اقرب القرب مودات القلوب وان تباعدت الاجسام وابعد البعد تنافر القلوب وان تقربت الاجسام

المتنبي وابعد بُعدنا بُعد التداني واقرب قربنا قرب البعادِ

ارسطو — اذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد اقرب اليهِ من الصلاح

المتنبي فانّ الجرح ينفر بعد حينٍ اذا كان البناء على فسادِ

ارسطو — لا يجد لذة الحياة من لا يجد لشهوتهِ دراكًا ولا لامرٍ دراكهِ تصرفًا

المتنبي من لا توافقهُ الحياة وطيبها حتى يوافق عزمهُ الانفاذا

ارسطو — من نظر بعين العقل ورأى عواقب الامور قبل مواردها لم يجزع لحلولها

المتنبي عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا - فلما دهتني لم تزدني بها علما

ارسطو — لحوق البغية صعب واعجز العجز من لم يعن عزمهُ في طلب الغاية

المتنبي اذا قل عزمي عن هوى خوف بعدهِ فما بعد شيء ممكن يجد العزما

ارسطو — لا يرح الفضل بترك الذم ثم التناهي في المدح

المتنبي ومني استعار الناس كل غريبة فجازوا بترك الذم ان لم يكن حمدُ

ارسطو — من قصر عن اخذ لذاتهِ عدمها وعدم صحة جسمهِ

المتنبي دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمرُ

ارسطو — من لم يرفع قدره عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدرهُ عليهِ

المتنبي اذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقصٍ على هبةٍ فالفضل في من له الشكرُ

ارسطو — من افنى مدتهُ في جمع المال خوف العُدْم (الفقر) فقد اسلم نفسهُ الى العدْم

المتنبي ومن ينفق الساعات في جمع مالهِ مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

ارسطو — الذي لا يعلم بعلتهِ لا يصل الى برئهِ

المتنبي ومن جاهل بي وهو يجهل جهلهُ ويجهلُ علمي انهُ بيَ جاهلُ

ارسطو — حلول الفناء في عظيم الامور كحلولهِ في صغيرها

المتنبي فطعم الموت في امرٍ حقيرٍ كطعم الموت في امرٍ عظيمِ

ارسطو — قبيح بذي الجودة ان يفارقهُ الجود لانهما اذا اعتدلا كانا كشيء واحد ويحق بهما اسمان

المتنبي والغنى في يد اللئيم قبيح قدر قبح الكريم في الاملاقِ

ارسطو — العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمهِ بزوالها والجاهل يظن انها باقية وهو باقٍ فذاك يشقى بعقلهِ وهذا ينعم بجهلهِ

المتنبي ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ واخو الجهالة بالشقاوة ينعمُ

ارسطو — بالصبر على مضض الرئاسة تنال شرف النفاسة

المتنبي لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

ارسطو — ان الحكيم تريهِ الحكمة ان فوق علمهِ علماً فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن انهُ قد تناهى فيسقط بجهلهِ وتمقتهُ النفوس

المتنبي وما التيه طبي فيهم غير انني بغيضٌ اليَّ الجاهل المتعاقلُ

ارسطو — وقد رأى غلاماً حسن الوجه فاستنطقهُ فلم يجد عندهُ علماً فقال نِعمَ البيت لو كان فيهِ ساكن

المتنبي وما الحسن في وجه الفتى شرفاً لهُ اذا لم يكن في فعلهِ والخلائقِ

ارسطو — اذا تجوهرت النفس الفلسفية لحقت بالعالم العلوي فلا تسكن الى الهمم الترابية

المتنبي ولذيذ الحياة اوقع في النفس واشهى من ان تملّ واحلى

ارسطو — الكلال والملال يتعاقبان الاجسام لضعف الجسم لا لضعف آلة الحس

المتنبي واذا الشيخ قال اف فما ملّ حياةً ولكن الضعف ملاّ

ارسطو — الدنيا تطعم اولادها وتأكل مولودها

المتنبي ابداً تستردُّ ما تهبُ الدنيا فياليت جودها كان بخلا

ارسطو — اذا كانت الاشياء فاعلة بالطبع لم تحمد على فعلها لان الشمس لا تحمد على حرارتها ولا على ضوئها

المتنبي رُبَّ امرٍ اتاك لا تحمد الفعّا ل فيهِ وتحمد الافعالا

ارسطو — الجبن ذلة كامنة في نفس الجبان فاذا خلا بنفسهِ اظهر شجاعة

المتنبي واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحدهُ والنزالا

ارسطو — الغلبة بطبع الحياة والمسالمة بطبع الموت والنفس لا تحب ان تموت فلذلك تحب اخذ الاشياء بالغلبة

المتنبي من اطاق التماس شيءٍ غلاباً واغتصاباً لم يلتمسهُ سؤالا

ارسطو — الانسان شبح روحاني ذو عقل غريزي لا ما تراهُ العيون من ظاهر الصورة

المتنبي لولا العقول لكان ادنى ضيغمٍ ادنى الى شرفٍ من الانسانِ

ارسطو — الظلم من طبع النفس انما يصدها عن ذلك خلتان خلة دينيَّة وخلة دنيويَّة خوف الانتقام

المتنبي والظلمُ من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ

ارسطو — ثلثة ان لم تظلمهم ظلموك ولدك وعبدك وزوجتك فسبب صلاحهم التعدي عليهم

المتنبي من الحلم ما يستعمل الجهل دونهُ اذا اتسعت في الظلم طرق المظالمِ

ارسطو — كل ما لهُ اول تدعو الضرورة الى ان يكون لهُ آخر

المتنبي انعم ولذّ فللامور اواخرٌ ابداً اذا كانت لهنّ اوائلُ

ارسطو — النفوس الجوهرة تشرك الشهوات البهيميَّة طبعًا لا خوفًا

المتنبي وترى الفتوة والابوة والمروة — عند كل مليحة ضراتها

ارسطو — من اثرى من العدم افتقر من الكرم

المتنبي ورب مثرٍ فقير من مروَّته لم يثرِ منهُ كما اثرى من العدمِ

ارسطو — اذا لم تتجرد الافعال كان الاحسان اساءة

المتنبي اذا الجود لم يرزق خلاصًا من الاذى فلا الحمد مكسوبًا ولا المال باقيًا

ارسطو — ليس تغير مثل تغير الافعال التي ترد غير مطبوعة فانها اشد انتقالاً من الريح الهبوب

المتنبي واسرع مفعولٍ فعلت تغيرًا تكلُّفُ شيء في طباعك ضدُّهُ

ارسطو — اتعب الناس من قصرت مقدرتهُ واتسعت مروءتهُ

المتنبي واتعب خلق الله من زاد همهُ وقصَّر عما تشتهي النفس وجْدهُ

ارسطو — اعظم الناس محنة من قل مالهُ وعظم مجدهُ ولا مال لمن كثر مالهُ وقل مجدهُ

المتنبي فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

ارسطو — من لم يقدر على الفضائل فلتكن فضائلهُ ترك الرذائل

المتنبي انَّا لفي زمنٍ ترك القبيح بهِ من اكثر الناس احسانٌ واجمالُ

ارسطو — تخليد الذكر في الكتب عمر لا يبلى وهو كل يوم جديد

المتنبي ذكر الفتى عمرهُ الثاني وحاجتهُ ما فاتهُ وفضول العيش اشغالُ

ارسطو — اعجز العجز من قدر على ان يزيل العجز عن نفسهِ فلم يفعل

المتنبي ولم ارَ في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمامِ

ارسطو — اصطبار العقلاء ضد تمني الجهلاء فالحاجة التي فيها نكر العاقل عليها يحسدهُ الجاهل

المتنبي ماذا لقيتُ من الدنيا واعجبها اني بما انا باكٍ منهُ محسودُ

ارسطو — لا غنى لمن ملكهُ الطمع فاستولت عليهِ الاماني

المتنبي امسيت اروح مثرٍ خازنًا ويدًا انا الغنيُّ واموالي المواعيدُ

ارسطو — النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدرك النفس في اماكن البقاء فهذه حال يعجز الخلق عن دركها

المتنبي سبحان خالق نفسي كيف لذتها في ما النفوس تراهُ غاية الالمِ

ارسطو — من كان غذاؤهُ الاماني مات دون بلوغ مرادهِ

المتنبي يعللنا هذا الزمان بذي الوعد ويخدع عمّا في يديهِ من النقدِ

ارسطو — اذا كان سقم النفس بالجهل كان الموت شفاءها

المتنبي اذا استشفيت من داءٍ بداءٍ فاقتل ما اعلّك ما شفاكا

ارسطو — كره ما لا بدّ من كونهِ عجز في صحة العقل

المتنبي نحن بنو الموت فما بالنا نعاف ما لابد من شربهِ

ارسطو — اننا نؤاسي الارواح من كرور الايام فما بالنا نعاف رجوعها الى اماكنها

المتنبي تبخل ايدينا بارواحنا على زمانٍ هنّ من كسبهِ

ارسطو — اللطائف سماوية والكثائف ارضية وكل عنصر هو عائد الى عنصرهِ الاول

المتنبي فهذه الارواح من جوهرٍ وهذه الاجساد من تربهِ

ارسطو — الزيادة في الحد نقص في المحدود

المتنبي متى ما ازددت بعد أفي التناهي فقد وقع انتقاصي بازديادي

ارسطو — بانفاذ سهم الحزم تدرك صحة العزم

المتنبي مع الحزم حتى لو تُعوِّد تركهُ لالحقهُ تضييعهُ الحزم بالحزمِ

ارسطو — اواخر حركات الفلك كاوائلها وانشاء العالم كتلاشيهِ في الحقيقة لا في الحس

المتنبي كثير حياة المرءِ مثل قليلها يزول وباقي عمرهِ مثل ذاهبِ

ارسطو — اعظم ما على النفوس عظام ذوي الدناءة

المتنبي فاني رأيت الضر احسن منظرًا واهون من مرءٍ صغير بهِ كبرُ

ارسطو — عدم الغنى من النفس اشد من عدم الغنى من اليد والملك

المتنبي غثاثة عيشي ان تغث كرامتي وليس بغثٍّ ان تغث المآكلُ

ارسطو — الحيوان كلهُ معتلٌّ وليس من السياسة شكوى بعض الى بعض

المتنبي ولا تشكُ الى خلقٍ فتشمتهُ شكوى الجريح الى الغربان والرخمِ

ارسطو — النظر في عواقب الاشياء يزيد في حقائقها والعشق عمي الحس عن درك الروية

المتنبي لو فكّر العاشقُ في منتهى حسن الذي يَسْبيهِ لم يسبهِ

ارسطو — اخر افراط التوقي اول موارد الحزن

المتنبي وغاية المفرط في سلمهِ كغاية المفرط في حربهِ

الزاجل ومزاجلهُ

عرف القدماء ان بعض انواع الطيور لو نُقلت من مكانها ترجع اليهِ ولو بعد حين ولذلك استخدموها في إنفاذ الرسائل ايام لا اسلاك برقية ولا سفن تجارية ولا سكك حديدية . وما الغرض هنا الالمام بمجال حمام الزاجل واقوال الناس فيهِ فان انواعهُ كثيرة جدًّا تحتاج الى مجلد لتوفى حقها من الشرح . وقد سبق لهذه المجلة ان اشبعتهُ وصفًا في احدى سنيها الماضية وانما القصد ان المع الى حمام الزاجل ومزاجلهِ في العالم عامة وفي بلادنا خاصةً . اذكرني بهذا الموضوع ما قرأتهُ منذ امد في احدى الصحف العلمية الباريسية من رسالة في الزاجل للمسيو هنري دي پادڤيل من اهل العلم الطبيعي قال :

لم تُعرف حتى الآن الخاصية العجيبة التي امتاز بها حمام الزاجل لتعرُّف خوافق السماء والاهتداء الى مزاجلهِ على بعد مئات من الاميال . وقرَّ رأي علماء منافع الاعضاء على ان لهذه الطيور حاسةً خاصة في رواحها ومغداها . وتجادلوا في حاسَّة الاهتداء حتى اثبت كل من المسيو بونيه والمسيو سيون أن للحمام حاسة خاصَّة يستطيع بها الاهتداء في عنان الفضاء . وعلى هذا تكون الطيور وغيرها من انواع الحيوان مفضَّلة على ابن آدم من هذا الوجه وان لم يثبت ذلك في الحقيقة . قال وقد اهدى رجل في باريس الى صديق لهُ مولع بتربية الحمام في احدى مقاطعات فرنسا واسمها بيريكورد وهي على مسافة ٣٦٠ كيلومترًا او ٩٠ فرسخًا من باريس حمامتين غير مدربتين ارسلهما لهُ في القطار فكان منهُ ان حبسهما في قنٍ فلم ترقهما العيشة وطارا من مزجاهما تاركين فراخهما بعد شهر حتى وصلت احداهما الى باريس بعد يومين وثانيتهما بعد ثلاثة . وبعد ان اورد ما يشابه هذه القصة قال : ومع ما لنا نحن البشر من الحواس اي اخرس كان يتأتى لهُ الخلاص من هذه الورطة كما تتخلص اقل حمامة نعم ان الحمامتين السالفتين قضتا اكثر من ٤٨ ساعة للرجوع الى مقرهما الاصلي على حين يجتاز المدرَّب هذه المسافة في خمس ساعات . وكيفما كان الحال فان اثبتنا حاسة الاهتداء او الغيناها فانها تعدُّ في الزاجل من خوارق العادات

وقد تكلم الدميريُّ في حياة الحيوان على هذا الحمام وانواعهِ فقال : ومن طبعهِ ان يطلب وكرهُ ولو أُرسل من الف فرسخ ويحمل الاخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة ومنهُ ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد وربما اصطيد وغاب عن وطنهِ عشر حجج فاكثر ثم هو على ثبات عقلهِ وقوة حفظهِ ونزوعهِ الى وطنهِ حتى يجد فرصة فيطير اليهِ

وبهذا عُرف ان علماء الحيوان من العرب عرفوا شيئًا حقيقيًا مما عرفهُ المتأخرون عن الزاجل. وقد اجمع كثير من المؤرخين على ان العرب كانوا اول من استخدم الزاجل في الرسائل في القرن الثاني للهجرة. والزاجل من الاكتشافات الشرقية عُرف في ديارنا منذ نحو الفي سنة ولذا ورد ذكرهُ كثيرًا في الشعر الفارسي والتركي والعربي لانهُ يجعل المسافة بين المحبوب وحبيبهِ الشريد اقرب من حبل الوريد. واستفاض ذكرهُ في اشعار الفرس لما انهم اقدم في الحضارة من العرب وهؤلاء عنهم اخذوا وبمذاهبهم في العمران اقتدوا حتى ان مزاجلهُ لم تبرح لعهدنا ماثلة للعيان في ايران وافغان

ورأى صاحب التعريف ان الزاجل نشأ من بلد الموصل وحافظ عليهِ الخلفاء الفاطميون بمصر وبالغوا حتى افردوا لهُ ديوانًا وجرائد بانساب الحمام. وللفاضل محيي الدين بن عبد الظاهر في ذلك كتاب سماهُ تمائم الحمائم. فاما اول من نقلهُ من الموصل فهو الشهيد نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٥. وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٦٧ ان في هذه السنة اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وهي التي يقال لها المناسيب وهي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها وجعلها في جميع بلادهِ. وسبب ذلك انهُ اتسعت بلادهُ وطالت مملكتهُ وعرضت اكنافها وتباعدت اوائلها عن اواخرها (كانت من حدّ النوبة الى بلاد همدان) ثم انها جاورت بلاد الفرنج وكانوا ربما نازلوا حصنًا من الثغور فالى ان يصل الخبر يكونون قد بلغوا غرضهم منهُ فحينئذٍ امر بالحمام ليصل الخبر اليهِ في يومهِ واجرى الجرايات على المرتبين لحفظها واقامتها فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للمسلمين. فقد كانت الاخبار تأتيهِ لوقتها لانهُ كان لهُ في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا رأوا او سمعوا امرًا كتبوهُ لوقتهِ وعلقوهُ على الطائر وسرَّحوهُ الى المدينة التي هو منها في ساعة فتنتقل الرقعة من طائر الى طائر آخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الاخبار اليهِ فحفظت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نازلوا ثغرًا لهُ فاتاهُ الخبر ليومهِ فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة وكبس العدو ففعلوا ذلك فظفروا والفرنج قد امنوا لبعد نور الدين عنهم

وقال العماد الكاتب وكان نور الدين لا يقيم في المدينة ايام الربيع والصيف محافظة على الثغر وصونًا من الحيف ليحمي البلاد من العدو بالسيف وهو متشوّف الى اخبار مصر واحوالها وتحقيق اعتدالها بتحقيق اعتلالها فرأى اتخاذ الحمام المناسيب وتدريجها على الطيران لتحمل اليهِ الكتب باخبار البلدان وتقدّم اليَّ بكتب منشور لاربابها وإعزاز اصحابها وهو حينئذٍ بظاهر

دمشق بخيم بوادي اللوان فقلت في الحمام : هي برائد الانباء المخصوصات بفضيلة الالهام والايجاد وهي فيوج الرسائل المأمونة الابطاء والسابقات الهوج في الاهتداء والحاملات ملطفات الاسرار في اقرب مدة الى ابعد غاية والموصلات مهمات الاخبار في وقتها من اقاصي الامصار باكمل هداية والقاطعات في ساعتها الى البلاد اجواز الفضاء والمواهي والنافذات بنجح المرام بعود السهام الى المرامي وهي تطوي الفراسخ البعيدة والاشواط في ساعة وتنتهي الى اقصى غايات الطاعة باتم استطاعة وقد عمّ بها نفع المرابطين والغزاة والمجاهدين في سبيل الله في اهداء اخبار الكفرة اليهم من اماكنها دالة على مكايدها ومكامنها طائرة بكتبهم الى مَن وراءهم من الطلائع والسرايا مظهرة لهم من احوالها خبايا الامور الخفايا وانها لميمونة المطار مأمونة العثار سالمة من الاخطار مهدية في الاسفار امينة على الاسرار سابقة الى الاوكار صادرة بالاوطار من الاقطار سائرة الى المؤمنين بنبإ الكفَّار

ونقل صاحب الروضتين ان القاضي الفاضل وصفها بالطف من هذه الاوصاف واخصر فقال "الطيور ملائكة الملوك" يشير ان نزولها على الملوك من جوّ الهواء نزول الملائكة على الانبياء عليهم السلام من السماء مع فرط ما فيها من الامانة لا يتوهم من جهتها خيانة . وقال العماد ايضاً في حوادث سنة ٥٨٦ عند حصار صلاح الدين عكاء لما انقطع اخبار البلد عنهُ انتدب العوام للسباحة حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم ويحملون كتباً وطيوراً و يعودون بكتب وطيور نكتب اليهم ويكتبون الينا على اجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها. وكان في العسكر من اتخذ حماماً يطوف على خيمتهِ ونزل في منزلتهِ وعمل بها برجاً من خشب وهوادي من قصب ويدرّجها على الطيران من بعد. وكنا نقول ما لهذا الولع بما لا ينفع حتى جاءت نوبة عكاء فنفعت واتت بالكتب سارحة شارحة وكنا نطلبها مع الليل والنهار حتى قلّ وجودها لكثرة الارسال . قلت وقد غالوا لذلك العهد في الزاجل حتى روى بعض الكتَّاب من الفرنجة ان زوجهُ كان يباع بنحو الف ذهب نمساوي

وكان لحمام الزاجل مزاجل لتدريجهِ في مصر والشام قال الشهاب العمري من علماء القرن الثامن للهجرة واعلم ان الحمام بمصر انقطع تدريجهُ بالوجه القبلي وقد كان متصلاً الى قوص واصوان وعيذاب ولم يبقَ الآن منهُ الاَّ ما هو من القاهرة الى الاسكندرية ومن القاهرة الى دمياط ومن القاهرة الى السويس ومن القاهرة الى بلبيس متصلا بالشام ومن بلبيس ايضاً الى الصالحية ومن الصالحية الى قطيا ومن قطيا الى الواردة ومن الواردة الى غزة ومن غزة الى بلد الخليل عليهِ السلام ومن غزة الى القدس الشريف ومن غزة الى نابلس ومن غزة الى لدّ ومن

لدّ الى قاقون ومن قاقون الى جينين ومن جينين الى صفد ومن جينين الى بيسان ومن بيسان الى اربد ومن اربد الى طفس ومن طفس الى الصنمين ومن الصنمين الى دمشق ومن كل واحدة من هذه المراكز الى ما جاورها من المشاهير كن بيسان الى اذرعات ومن طفس اليها لاشعار والي الولاة. ثم من دمشق يسرح الحمام الى بعلبك ويسرح الى قارا ويسرح الى القريتين ثم من قارا الى حمص ومنها الى حماة ومنها الى المعرّة ومنها الى حلب ومنها الى البيرة والى قلعة المسلمين والى بهنسى ومنها الى الرحبة وقد تعطل الآن (في القرن الثامن) تدريج السخنة الى قباقب وانما صار يسوق بطائق تدمر الواقعة بالسخنة منها الى قباقب ثم يسرح على الجناح من قباقب الى الرحبة وبهذا تم ذكر مراكز الحمام في سائر الممالك الاسلامية . وفي ترجمة الظاهر بيبرس انهُ زاد الابرجة مكان المحدثة وعمل بها الخفراء وبنى من القصير الى المناخ الى قار الى حمص اعمدة وابرجة فيها الحمام والخفراء وكذلك من دمشق الى تدمر والرحبة الى الفرات

وتباينت الآراء في تاريخ استعمال الزاجل وجمهور المؤرخين وعلماء الحيوان على انهُ يُرَدُّ الى نحو الفي سنة فقد كان بحّارة مصر وقبرص يتناقلون اخبارهم على جناح الزاجل ويبعثون بها الى البر وكذلك المصارعون في الالعاب الاولمبية. وكان استعمالهُ شائعاً عند الرومانيين حتى ان القائد مايور المشهور كان يرسل اخبارهُ الى اصحابهِ بواسطتهِ لما كان محصوراً في موتينا احدى مدن ايطاليا سنة ٤٤ ق . م . ومن رأي دائرة المعارف الاميركية انهُ لا يعرف اول مستخدم لهُ ويقول السير جون ماندفيل ان الرومان استعملوهُ كما استعملهُ اهالي آسيا واستخدم ايضاً ايام سانت لويس اي في خلال الحروب الصليبيّة فاستخدمهُ تاسوا في حصار بيت المقدس

وأكّد بعض المؤلفين بتدريجهِ من الافرنج ان العرب كانوا يتخابرون بالزاجل في جزيرتهم فلما استولوا على الاندلس نقلوا اليها كيفية استخدامهِ على النحو الذي كانوا يستعملونهُ في بلادهم الاصلية وادخلوا الى الاندلس نوعاً من الزاجل غاية في القوة فزاوجهُ الاسبان مع حمام الفلمنك عند ما استولوا عليها ومع ان الزاجل غير مرتقية احوالهُ الآن في اسبانيا تراهُ ارقى مما هو عليهِ في الشرق . وروى بعضهم ان استعمالهُ شاع في اوربا في القرون الوسطى خصوصاً في البلجيك والفلمنك حتى كان المحصورون في هارلم سنة ١٥٧٣ والمحصورون في ليدن سنة ١٥٧٤ يتخابرون بواسطة الزاجل في حرب الفلمنك المشهورة

وجاء في دائرة معارف ريس المطبوعة سنة ١٨١٩ " ان بعض سفراء المسلمين لما جاؤوا الى جود فري ايام الحروب الصليبية استصحبوا معهم حمام الزاجل فلما قضيت مصالحهم ارسلوا رسائل من الزاجل الى رفاقهم يعلمونهم بذلك . وبرهن بوكارت على قِدَم استعمال الزاجل

في سوريَّة وبلاد اليونان بعدة حوادث . فان هيرتيوس وبروتوس تخابرا بالزاجل اثناء حصار مودنا . ومنذ اربعين او خمسين سنة بطل استعمال الزاجل بين الاسكندرونة وحلب لان بعض لصوص الاكراد اطالوا يد التعدي عليها وقتلوا اكثرها " . وذكر بعض المؤرخين ان الدولة العثمانية ابطلت إستعمال الزاجل في اواخر القرن الحادي عشر بعد ان لبث زمنًا مستعملاً في بلادها . ونشرت الجرائد التركية منذ نحو ثلاث سنين صورة ارادة سنية قاضية باستخدامهِ لنقل الاخبار في المعسكرات السلطانية فبني لهُ برج في جتالجة من ضواحي الاستانة

وذكرت موسوعات ريس ان الشركة الانكليزية الهندية استخدمت الزاجل فكانت عند رسو سفنها في ثغر الاسكندرونة تبعث بالرسائل مع الزاجل الى الدواخل لاعلام الاهالي بوصولها وكانت الرسالة توضع تحت جناح الطير وكانت رجلاهُ تغطسان بخل ليبقى منتعشًا فلا يسف الى المياه ليَعُبَّ اذا رآها في طريقهِ وكان يقطع المسافة بين حلب والاسكندرونة في اقل من ساعتين ونصف — كما ان حمامًا من الزاجل يقدر ان يحمل رسالة من بابل الى حلب ويقطع المسافة وهي للمسافر ثلاثون يومًا في اقل من ٤٨ ساعة — وكان اذا أُخذ من حلب الى الثغر يوضع في قفص مكشوف مدة الطريق ومتى وصل الى الثغر وتُرِك منهُ يرجع حالاً الى عشهِ ومتى أُفلت كان يصعد في الجو حتى يشرف على حلب فيرفرف على بيتهِ وينزل كالسهم

وفي الموسوعات الاميركية ان العثمانيين ابرع الناس في تربية الزاجل وطريقة تعليمهِ عندهم هي ان مربي هذا الحمام يضع الفراخ التي صارت قادرة على الطيران في زنبيل ويأخذهُ الى مسافة نصف ميل ثم يطيّر منها الفراخ فالذي يؤوب الى عشهِ يصلح فيما بعد للزجل فيأخذهُ مسافة ابعد من الاولى ويفعل معهُ فعلهُ الاول وهكذا تدريجًا حتى تصبح المسافة التي يقطعها مئة ميل او اكثر ويصبح بعد ذلك قادرًا على الرجوع ولو من اقصى اطراف المملكة

وقبل ان يزجلوهُ في انكلترا يضعونهُ في محل مظلم قدر ست ساعات ويطعمونهُ ويسقونهُ في غضون ذلك حتى يمتلئ . ويظهر من الاشعار الانكليزيَّة القديمة واشعار توسو ان الرسالة كانت تعلق بجناح الحمام او بعنقهِ والطريقة المستعملة الآن هي ان تلفَّ الرسالة على القسم الاعلى من الرجل وهي اصلح من الطريقة الاولى لانها لا تعوق الطير في طيرانهِ

وفي الموسوعات البريطانيَّة ان طريقة كتابة الرسالة الزاجليَّة هي ان تؤخذ صورتها الاصليَّة بالتصوير الشمسي مصغرة على ورق دقيق للغاية . وكانت هذه الطريقة هي المعوَّل عليها اولاً ثم لما تحسنت هذه الصناعة صارت صورة الرسالة الاصليَّة تطبع بحرف اعتيادي اولاً ثم تنقل صورتها الى غشاء معمول من الكلوديون بالطريقة المعروفة بالتصوير المصغَّر ويبلغ طول الغشاء

قيراطين وعرضهُ قيراطاً وهو خفيف جدًّا حتى ان ٥٠٠٠ رسالة لا يبلغ ثقلها غراماً واحداً تحملها حمامة واحدة. ولكي تحفظ تلك الاغشية من العاهات كانت توضع في ريشة وتناط هذه بريش الذنب . ومتى وصل الحمام الى باريس كانت تؤخذ منهُ تلك الاغشية وتمدَّد ثم تعكس صورة الكتابة فيها على ستار مكبرةً بواسطة المصباح الكهربائي فتنسخ صورة الرسائل وتؤدى الى اصحابها ولكن بعد ذلك استعمل ورق التصوير الحسَّاس عوضاً عن الستار فصارت الرسائل تُطبع عليهِ رأساً . اه

قيل ان الزجَّال يُطيّر في البر والبحر والغالب انهُ لم يثبت فائدتهُ في البحر . وقد ابتُذل استخدامهُ في اوربا ايام حرب السبعين بين المانيا وفرنسا فان هذه استخدمتهُ في حصونها فكان ينقل الاخبار منها الى باريس المحاصرة لان ادارة بريد باريس لاقت من المصاعب الجمة في إرسال الكتب ما لم تلاقهِ ادارة من قبل في العالم وابرزت بتأسيس ادارة بريد من الزاجل من النجاح ما خلَّد لها ذكرًا بين العالمين . ولم يعقد الصلح بين تينك الامتين حتى مهر الفرنسيس في ارسال الزاجل فقد وصلت حمامة منهُ الى باريس حاملة في رأسها اربعة آلاف رسالة مما عجب لهُ الاوربيون واهاب بالمانيا فاستخدمتهُ في حصونها وقلاعها وتخومها وسواحل البلطيك وهي تعدهُ من جملة المواد الحربية التي لا غنية عنها للجيش . وان وزراء الالمان ليُعنون بتربيتهِ جريًا على ما يقتضيهِ منهم امبراطورهم لما انهُ يشجعهم على تربيتهِ ويكافىء من يحسنها بالوسامات الذهبيَّة وشارات التجلة والاكرام . وفي ميزانية المانيا نحو مئة الف فرنك مخصصة للزاجل ولهُ مجلة تنشر اخبارهُ عندهم. وشاع استعمالهُ منذ نحو ثلاثين سنة في ايطاليا والبرتغال وروسيا وانكلترا وسويسرا والدانيمرك والنمسا والبلجيك والفلنك وكل دولة تصرف عليهِ جانبًا من النفقات

واحسن المدائن التي تلائم طبع الزجَّال مدينة انفرس في البلجيك ولذا فهي اشهر مراكز الزاجل للبريد لعهدنا . وقد كان الزاجل يُطيَّر من لندن الى انفرس في ثلاث ساعات وكذلك من هذه الى باريس ويفوق طير البلجيك ما يربى في غيرها من حيث سرعتهُ وضخامتهُ. ويقطع الزاجل المسافة بين باريس وليون وهي خمسمائة كيلومتر في ثماني ساعات مما لا يتيسر للقطار ذي السير السريع ان يقطعها الاَّ في ١٣ ساعة. ولا يستوي سيرهُ في الجبال والسهول فانهُ قد يقطع في السهل ثلثمائة كيلومتر قبل ان يقطع مئة في غيرها من الحزون والجبال. ولا يصلح للزجل الاَّ واحد من كل ثلاثة زواجل بداعي ما يصيبها من العواصف وبنادق الصيادين ومخالب الجوارح. وما ينفع من الزاجل في الاوقات الممطرة قد لا ينفع في الاوقات المصحية واذا تأخر عن ميعاد وصوله لما يسطو عليهِ من الطيور الضارية لا يهلك وحدهُ بل يهلك ما معهُ من اسرار واخبار

وحمام الزاجل اكبر من الحمام الاعتيادي يبلغ طوله ٣٧ سنتيمترًا ووزنهُ ليبرة وربع وعضلات صدرهِ قويَّة جدًّا وهو سريع الطيران ومنقارهُ مغشًّى بغشاء جلدي مقبَّب ممتد الى ما فوق الرأس ومتصل بطرفي الفم . وكلما كان هذا الغشاء كبيرًا وكان للطير حلقة متسعة حول عينيهِ لا ريش عليها زاد حسنهُ وارتقت قيمتهُ . واستخدامهُ ضروريٌّ للحصارات ونقل الاسرار عند الخشية من الاغيار والاشرار

واذا شاع استعمال التلغراف بلا سلك فيستغنى عن الزاجل كما انهُ قلَّ استخدامهُ لما ظهرت الاسلاك البرقيَّة وهو لا يزال مع هذا يُستعمل في بعض اقطار الغرب لنقل الاخبار المالية الى اسواقها وتبليغ الاخبار للصحف الخطيرة محمد كرد علي

ارباب المال والاعمال

المستر لفر صاحب صابون صَنْلَيت

لما اخترنا سيرة هذا الرجل لنضمها الى سيَر الرجال الذين سميناهم بارباب المال والاعمال خطر لنا ان كثيرين من القرَّاء لا يعدون صانع الصابون اهلاً لان يذكر اسمهُ مع اسماء الرجال العظام الذين تتَّسع بهم ثروة بلادهم وتزيد قوَّتها لانهم لم يروا بين صانعي الصابون رجلاً بلغت ثروتهُ مبلغًا عظيمًا لكن ما يتيسَّر في البلدان الكبيرة الواسعة الثروة لا يتيسَّر في الصغيرة الفقيرة . ولو كانت سيرة هذا الرجل مقتصرة على نجاحهِ في صناعتهِ وتجارتهِ ما عنينا بنشرها ولا وجدت لها محلاً في المقتطف ولكننا رأينا فيها مثالاً لما يجب ان يجري عليهِ ارباب الاعمال في معاملة العمال اذا ارادوا ان يضيفوا الى الثروة حسن السمعة والاحدوثة فنشرناها عسى ان يكون في نشرها عبرة للذين يئنُّ عمالهم من شدَّة وطأتهم

المترجَم المستر وليم رسكن لفر ولد سنة ١٨٥١ وكان ابوهُ تاجرًا يبيع المأكولات فشاركهُ في تجارتهِ الى ان صار عمرهُ ثلاثين سنة ثم استقلَّ وفتح محلاً لبيع البقالة وعكف عليهِ بهمة ونشاط فوسَّع نطاقهُ ووفَّر ارباحهُ وباعهُ بعد خمس سنوات بستين الف جنيه عازمًا ان ينقطع لعمل آخر اوفر ربحًا من البقالة وهو عمل الصابون فاشترى مصبنة صغيرة وحاول ان يصنع صابونًا جديدًا يسميهِ اسمًا يسهل دورانهُ على الالسنة ويكون لهُ وقع حسن في الآذان فصنع هذا الصابون بعد تجارب كثيرة ونفقات كبيرة وكتب بضعة اسماء جعل ينظر فيها يومًا بعد آخر الى ان اختار منها اسم صَنْلَيت (اي نور الشمس) وحينئذٍ اقبل بكليتهِ على ما حسبهُ

السبيل الوحيد لنجاحهِ وهو الاعلان عن هذا الصابون في الجرائد والطرق والاماكن العمومية لكي يصير اسمهُ مألوفًا عند الجميع ولم يضنَّ بنفقة على الاعلانات حتى انك لا تفتح جريدة انكليزية ولا مجلة الاَّ وتجد فيها اعلانًا او اكثر عن هذا الصابون بل تجد الاعلانات عنهُ في شوارع المدن الانكليزية وضواحيها والطرق التي حولها بل في الحقول الزراعية والمزارع وكل مكان يتردد اليهِ الناس ولعلهُ انفق نصف دخلهِ على الاعلانات

فاتسعت اعمالهُ حالاً وضاقت المصبنة التي اشتراها عن القيام بها فاختار مكانًا آخر بنى فيهِ مصبنة كبيرة جدًّا . وليس عمل الصابون سرًّا غامضًا ولا هو من الصنائع المجهولة التي يستطيع صاحبها ان يربح منها ربحًا غير مألوف ولكن المستر لفر رأى ابواب الربح واسعة اذا تحكم في جلب المواد التي يصنع الصابون منها وفي الاساليب التي يستفاد بها مما يطرح من المصابن عادة وفي تقليل النفقات اللازمة لايصال الصابون الى مستعمليهِ فانشأ المعاصر في اميركا واخذ بزر القطن من مصر ونقل النارجيل من جزائر صاموى الى معاصر سدني باستراليا حيث عصر الزيت منهُ ونقاهُ واتى بهِ الى انكلترا وباع كسبهُ لفلاحي استراليا علفًا لمواشيهم وقلل نفقات العمل والنقل حتى صارت على اقلها

ولما انتشر صابونهُ في اقطار المسكونة ورأى ان صنعهُ في انكلترا وارسالهُ اليها يزيدان النفقة ويقللان الربح انشأ المصابن الكبيرة في بوستن وفيلادلفيا ليباع صابونها في الولايات المتحدة. وفي مدينة تورنتو ليباع صابونها في كندا. وفي مدينة سدني ليباع صابونها في استراليا. وفي اولتن ليباع صابونها في سويسرا . وفي منهم ليباع صابونها في المانيا . وفي بركسل ليباع صابونها في البلجيك. فزالت بذلك نفقات النقل الى هذه البلدان ومكوس الجمارك. واضاف الى هذه المصابن معامل تعمل كل ما يلزم لها ويتعلق بها من عمل العلب والصناديق والورق والكتب وما اشبه واوصلها بسكك الحديد العمومية بخطوط خاصة بها وبنى لها سفنًا لنقل صابونها بحرًا

وألف شركة لهذه المصابن سنة ١٨٩٤ جعل رأس مالها مليونًا ونصف مليون من الجنيهات وبلغ ربحها تلك السنة عشرة في المئة ثم زاد رأس مالها سنة ١٩٠٠ فجعلهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات وبلغ ربحها حينئذٍ خمسة عشر في المئة . وعدد العمال في القسم الذي في بلاد الانكليز وحدها ٣٢٠٠ عامل

ونجاح المرء في عملهِ دليل على مقدرتهِ ولكنهُ قد لا يكون دليلاً على استقامتهِ وكرم اخلاقهِ. فكم من رجل اثرى من دماء غيرهِ وكم من مثرٍ لا يجود بدرهم على ابناء نوعهِ امَّا المترجَم فلمَّا رأى ثروتهُ تزداد يومًا فيومًا وان دخلهُ في السنة بلغ خمسين الف جنيه بعد ان انشأ المصابن

بسنتين او ثلاث اضطربت افكارهُ وحسب انهُ لا يستحق هذا الربح كلهُ فعزم ان يعطي العمال جانبًا من ربحهِ ليس دراهم تزيدهم اسرافًا بل راحة من عناء الاعمال فقلل ساعات عملهم من تسع ساعات في اليوم الى ثمان وبنى لهم منازل صحيَّة انفق عليها ٣٥٠ الف جنيه لكي يتمتعوا بالصحة والراحة . وجعل يعطيهم اجازات كل سنة يقضونها في النزهة هم ونساؤهم واولادهم وبعث برؤسائهم الى معرض غلاسكو فاقاموا فيهِ اسبوعًا على نفقتهِ . وبعث الفًا وستمئة منهم الى معرض باريس انفق عليهم خمسة آلاف جنيه فاقتضى نقلهم اليها اربعة قطرات مخصوصة ومئتي قنطار مصري من الزاد في اثناء الطريق ومئتي مركبة ركبوا فيها في باريز

والبلد الذي بناهُ لهم استكمل فيهِ شرائط الصحة والراحة فالبيوت مبنيَّة على الاسلوب الانكليزي يحيط بكل بيت منها حديقة صغيرة والشوارع تامة النظافة والتنظيم والاشجار مغروسة على جانبيها وهو يعطي الجوائز للذي يعتني بحديقتهِ اكثر من غيرهِ

والمنازل مختلفة الاقدار في الصغير منها مطبخ وغرفتان للنامة ومكان للمؤونة ومكان للجلوس . وفي البلد مدرسة وكنيسة ونادٍ للمجتمعات الادبيَّة ودار للموسيقى ومكتب للبريد . والتعليم مباح للجميع حتى للكبار وعندهم جمعيات علميَّة وزراعيَّة وفوتوغرافية ومنتدى للمذاكرات والمباحثات الادبيَّة ولتمثيل بعض الروايات وساحات للالعاب الرياضيَّة على انواعها ويقال جملة ان عند اهالي هذا البلد كل ما يثقف عقولهم ويقوي ابدانهم ويزيل السآمة من نفوسهم . وقد جادت صحتهم بسبب ذلك فبلغت وفياتهم في العام الماضي عشرة في المئة فقط والمتوسط في البلاد الانكليزية عشرون في المئة او اكثر . وزادت مواليدهم زيادة بالغة جدًّا فبلغت ٥٦ في الالف

ويظهر الرجل صاحب هذه المبرات من مبراتهِ ويقال انهُ لا يسرُّ ما لم يرَ السرور شاملاً كل الذين حولهُ وهو ربعة بين الرجال قوي البنية طلق المحيَّا حازم الى الغاية القصوى يمتاز باقدامهِ على عظام الامور وسرعة ادراكهِ لفائدة المشروعات التي تعرض عليهِ . بعيد النظر في العواقب سريع الحكم في الامور اذا اخذ في امر لم يثنهِ عنهُ شيءٌ . يكتشف الشبان الذين يرجى نجاحهم ويعتمد عليهم ويكل اليهم ما يحسب انهم يفلحون فيهِ وهو مع ذلك متضع لا يحسب لهُ فضلاً في شيءٍ من اعمالهِ بل يعد نفسهُ ساعيًا لعمل ما يجب عليهِ . وقد طاف حول المسكونة مرارًا كثيرة زار فيها معاملهُ المختلفة المنتشرة في كل الاقطار

وهو من المولعين بالبناء والفنون الجميلة على انواعها وعندهُ مجموع كبير من الصور الثمينة

المستر باركس

ان طلاَّب العلوم الطبيعية ولا سيما علم الفلك يعرفون اسم باركس من نظارتهِ العظيمة التي لا تزال اعظم ما صُنع من نوعها حتى الآن ولا اعظم منها الاَّ نظارة معرض باريس. وقد يظن بعضهم انهُ عالم من علماء الفلك او امير من الامراء يجود بالمال لتخليد الذكر ولا يخطر ببالهم انهُ عصامي من اولاد اميركا الذين اثروا بجدهم واجتهادهم ثم استخدموا ثروتهم لتخليد ذكرهم

ابتدأ هذا الرجل في العمل وهو ولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة فانهُ كان يتردَّد على سوق تقام في مدينة فيلادلفيا يوم السبت من كل اسبوع وتباع فيها البضائع بالمزاد وكان يسرُّ بذلك ويتمنى ان يكون في عداد البائعين والشارين

وذات يوم مرَّ بهذه السوق فرأَى فيها صناديق فيها نوع من الصابون كان يشتري منهُ لامهِ فذهب الى البدَّال (البقّال) الذي كان يشتري الصابون منهُ وسأَلهُ كم ثمن الرطل من هذا الصابون فقال لهُ اثنا عشر سنتاً (اي غرشان ونصف) فقال وبكم تشتريهِ انت فقال اني اشتريهِ بتسعة سنتات فقال اتشتريهِ بهذا الثمن مهما كان مقدارهُ فقال نعم . وكان معهُ دُرَيْهمات جمعها بالتقتير مما تعطيهِ اياهُ امهُ فعاد الى السوق وانتظر الى ان عرض الدلاَّل الصابون فدفع في الرطل ستة سنتات ولما سمع الحضور صوتهُ دُهشوا والتفتوا ليروا مَن هذا الولد الذي يناظر كبار التجار . فرسا مزاد الصندوق الاول عليهِ وكذلك الصندوق الثاني والثالث الى خمسة عشر صندوقاً ثم خفض السعر قليلاً وجعلهُ خمسة سنتات ونصفاً فرسا عليهِ مزاد خمسة صناديق اخرى . واسرع الى البدَّال واخبرهُ انهُ احضر لهُ عشرين صندوقاً من الصابون بالسعر الذي قطعهُ معهُ وهو تسعة سنتات الرطل فدهش البدال من ذلك كما دُهش التجار ودفع اليهِ الثمن فمضى ودفع ثمن الصابون وعاد الى بيتهِ وقد ربح مبلغاً طائلاً

واتمَّ دروسهُ في المدرسة مثل كل ابناء الاميركيين ودخل مخزن تاجر من تجار الدقيق والحنطة كاتباً بغير اجرة فارضى التاجر باجتهادهِ فاعطاهُ في آخر السنة عشرة جنيهات هبةً وتعلَّم وهو هناك طرق البيع والشراء لكن نفسهُ كانت تسمو بهِ الى اعلى من ذلك فخرج من عند التاجر وفتح محلاً للسمسرة وعمرهُ احدى وعشرون سنة . وكان غاية في الاجتهاد والانتباه ولين العريكة فلم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار كثيرون من الاغنياء من زبائنهِ فجمع شيئاً من الثروة وصار يُعدُّ من "البنكيارية"

وكانت الحرب الاهليَّة ناشبة في اميركا واسعار الاوراق الماليَّة وكل السلع التجاريَّة تعلو وتهبط بسرعة البرق لغير سبب ظاهر والمضاربات على اشدها فيغتني المرء اليوم ويفتقر غداً ولا

يثبت على الاشغال الّا المتبصّر الذي لا يبطر اذا نجح ولا يقنط اذا فشل. ورأَى ان اوراق الحكومة اسلم عاقبةً من غيرها فقصر شغلهُ عليها فربح من ذلك ربحًا وافرًا. ورأَى الذين يعاملونهُ فرط ذكائهِ وحذرهِ فاعتمد عليهِ التجّار والمشتغلون بالاوراق المالية ومدّوهُ بمبالغ طائلة من المال فزادت ارباحهُ كثيرًا واستمرَّ سائرًا في سبل النجاح الى ان احترقت مدينة شيكاغو فخسر بذلك خسارة كبيرة ذهبت بثروتهِ كلها وباموال كثيرة ممَّا استمدَّهُ من غيرهِ فرأَى ان لا بدَّ لهُ من اعلان افلاسهِ رسميًّا

وعاد بعد هذه الخسارة اشدَّ حذرًا ممَّا كان اولاً الى ان تبيَّن ان محلاًّ من المحلات التجارية الكبيرة على شفا الافلاس وان افلاسهُ سيحط ثمن الاسهم كثيرًا فباع مقدارًا وافرًا "على المكشوف" منها قبلما اشتهر افلاس هذا المحل وربح بذلك ربحًا كبيرًا فاشترك في سكة فيلادلفيا الحديدية وانتقل من الاشتغال بالمضاربات الى الاشتغال بالشركات وادارتها وكانت قيمة السهم من اسهم هذه الشركة ثلاثة جنيهات حينما تولَّى ادارتها فبلغت بحسن ادارتهِ عشرين جنيهًا ولما رأَى ذلك قصر اشتغالهُ على فرع واحد وهو فرع الترامواي وكان ينزل الى مكتبهِ قبل الساعة السادسة صباحًا ولا يخرج منهُ الَّا وقد مضى جانب كبير من الليل واستمرَّ على ذلك الى ان نشر سكك الترامواي في فيلادلفيا وجمع ثروةً وافرةً

ولما رأَى ان المجال ضاق عليهِ في فلادلفيا قصد مدينة شيكاغو وانشأَ بنكًا فيها واقام خمس سنوات يرقب احوال سككها الى ان تيسَّر لهُ تأليف شركة لانشاء سكك الترام فيها فالَّفها وادارها بمهارة فائقة وهمَّة لا تعرف الملل ووسَّع نطاقها حتى صارت تمتلك خمس مئة ميل من سكك الترام ثم زادها اتساعًا وانشأَ سككًا كثيرة تتصل بالمدينة وسهَّل الانتقال على سكانها فربح اموالاً طائلة وصار من اصحاب الملايين الكثيرة

قلنا انهُ خسر خسارة فاحشة وقتما احترقت شيكاغو ذهبت بها اموالهُ واموال كثيرين من مدائنيهِ فلما اثرى عاد الى فيلادلفيا ودعا اولئك المدائنين الى وليمة فاخرة اعدها لهم وبعد الطعام قدَّم الى كل واحد منهم تحويلاً على البنك بالمال الذي كان لهُ عندهُ مع فائدتهِ القانونية المركبة من حين افلاسهِ الى ذلك اليوم فاوفى كل ما كان عليهِ ورباهُ مع ان قوانين التجارة لا تضطرهُ الى شيء من ذلك فذاعت شهرتهُ في الدنيا كلها ونال بذلك من حسن الاسم والسمعة ما لا يُنال بالمال

اما النظارة المنسوبة اليهِ فبلغت نفقاتها مئة الف جنيه وهي كاسرة قطر بلورتها اربعون عقدةً او اكثر من متر قليلاً وهي مؤلفة من بلورتين ثقلهما معًا اكثر من خمسة قناطير مصرية

وثقلهما مع الطوق الذي يحيط بهما نحو عشرة قناطير وبلغ ثمنهما ثلاثة عشر الف جنيه. وقد وصفنا هذه النظارة غير مرةٍ والذي يعنينا من ذكرها الآن ان رجلاً جمع ثروتهُ بالشركات والمضاربات عرف كيف يكتسب حسن الاحدوثة بإبقائهِ اموالاً خسرها في حداثتهِ لا باسراف ولا بخطإ بل بقضاء وقدَر. وعرف ايضاً كيف ينفق على ما يفوق بهِ كل من تقدَّمهُ حتى الممالك الكبيرة لان نظارتهُ لا تزال الكبرى من نوعها حتى الآن

ناموس النشوء في تقدم العمران

(١)

العلم باصولهِ وفروعهِ يشبه صرحاً فخيم البنيان مشيَّدَ الاركان رفيعَ الطباق مديدَ الرواق وُضع اساسهُ منذ نشأة الانسان وسيزداد اتساعاً ويعلو شأناً مع تقدم العمران. ولكلٍّ من الوف الخلق الذين اشتركوا في اقامة بنائهِ وتوسيع رحابهِ واعلاء قبابهِ فضلٌ يذكر على قدر الذكاء في الوضع والهمَّة في العمل والأثر في النفع شأن المهندسين والفعلة والبنائين والمزينين على اختلاف العمل والشرف في الرتب والاقدار. والذين تحق لهم الميزة في الفضل والفخر بين مؤسسي العلم ورافعي جدرانهِ هم الذين خطّطوا رسومهُ وحدَّدوا طبقاتهِ وفصَّلوا غرفهُ وقسموا ابوابهُ ولكن الشرف الاعلى والقدر الأعلى لاولئك الذين ادركوا القصدَ في مجموعهِ وعيَّنوا النِّسب والعلائق بين اقسامهِ واكتشفوا وحدة القياس والناموس في نظامهِ

فمهما يكن من هوى النفوس الزكيَّة في الاحاطة بمفردات الحقائق واستجلاء غوامضها من طريق البحث والاستقصاء. ومهما اشتدَّ اعجاب العقل بهمم جمَّاع المعارف وخزنتها وضبَّاط شواردها ومقيّدي اوابدها فان ارتياح الخواطر الى نظم فرائدها في قلادة العلم القانوني اشدُّ وردُّ شتات الفروع الى اصول قليلة اوقع في النفس واعلق في الذهن وابقى في خزانة المحفوظ

ولا جرم ان ناموس النشوء العام المحيط بما عُرِف من شرائع الكون يتمشَّى على ارتقاء العلوم ونشئها تدرُّجاً من بسائط اصلية الى مركَّباتٍ فرعيَّة فيتولَّد من امهات تلك العلوم انواعٌ وصنوف بارتقاء العمران كما تتولَّد القبائل من الاجداد وتنسل الاباءُ الاولاد. تنجلي هذه الحقيقة لكلِّ ذي بصيرة من طلبة هذا العصر على الخصوص بعد ان درس العلم المتسلسل فأيقن ان حلقاتهِ آخذة بعضها برقاب بعض يعزو كلُّ مولودٍ منها الى والدهِ ويحفظ لها جمعاء سلسلة الانساب

وفي جملة تلك العلوم الجليلة الغايات الجلية الآثار علم التاريخ اساس علم الاجتماع . كان هذا العلم "وما زال عند سواد الطلاب" مقصوراً على تدوين الوقائع وجمع الاخبار جليلها وحقيرها من تقلب دول وتبدل شؤون وصعود وهبوط حتى تقلبت فيهِ انظار اهل الفلسفة فانشأوا منهُ (فلسفة التاريخ) . ثم لما قيّض لابطال العلم الحديث اكتشاف ناموس النشوء الكوني تبين لهم ان الشرائع التي جرت عليها الاحياء في اطوار نشئها هي نفس السنن العامَّة التي فعلت فعلها في تقدم العمران مما لم يحلم بهِ واضع التاريخ ولا جال في خيال مدوّن الاخبار فكأنهُ قد تكوّن لهذا العلم ثلاث دوائر متداخلة . اولها تدوين الوقائع . ثانيها تعليلها الاجتماعي . ثالثها وهو المحيط بهاتين الدائرتين فلسفة نشوئها وارتقائها . ومن وراء هذه كلها دائرة رابعة يقال لها دائرة (ما وراء الطبيعة) عند علماء الدين وهي دائرة المقاصد الالهية السرية التي يديرها مهندس الكون الاعلى علة العلل قطب دائرة الوجود وربُّ الازل

ولذا فقد اصبح الاقتصار في درس التاريخ على درس وقائعهِ واستيعاب اساطيرهِ مجردةً على ارتباطها بذلك الناموس العام من ضرائب المدارس وعبئاً ثقيلاً على الاذهان كما اوضح سبنسر في فلسفة التربية والتهذيب باقطع برهان . بل ان علم العمران نفسهُ اذا حصر نطاقهُ في النظر الى الاسباب الثانويَّة لتقدم الامم وانحطاطها من الوجوه الطبيعية والادبيَّة على ما هو معروف في فلسفة التاريخ البسيطة ولم يتجاوز البحث فيهِ الى ناموس الحياة العام بقي ضيق النطاق قريب حدود المجال . نعم لا ينكر ان تمثيل نشأة التمدن القديم والحديث لمرآة النظر بعللهِ العمرانية القريبة من دواعي اللذة والانشراح كما جاء (لاحد خدام الانسانية) في مقالة "نشأة اوربا" الحديثة في مقتطف هذا العام الا ان اظهارها ناشئةً ناميةً متدرجةً لناموس النشوء كالجسم الحي ادعى الى ارتياح النظر البعيد وارضى لنفس الباحث الدقيق

ولما كان نصيب العربية من هذين العلمين قاصراً في ما نعلم لهذا العهد على اسفار معدودة كتاريخ التمدن الاوربي للفيلسوف كيزو ومقدمة ابن خلدون في علم العمران وهما لم تتعدَّ ابحاثهما حدود الاسباب القريبة في تقدم التمدن والعمران لم يكن للمتشوّف الى ما وراء ذلك غنى من الاجنبية يستقي من بحارها ويهتدي بمنارها شأن الشرقيين اليوم في كل العلوم حتى يبلغ الشرق من الارتقاء زمانهُ في نظر الفيلسوف او حتى يثني الزمان عنانهُ على قول الحالم المتخيّل والمتعلل الاسيف

(٣)

اما غرضنا في هذه المقالة فهو تحصيل ما انتهى اليهِ بحث علماء الاجتماع البشري من اشتراك

علم العمران مع علم الحياة بمبادئ النشوء والارتقاء وادراج العلمين في سلك واحد من اسباب التقدم والنماء لما بينهما من الشبه ونسبة الاتصال مع الفارق الحقيقي معتمدين في تقرير حقائقه على عمدة من اكابر علم التاريخ والعمران اهل النشوء الالهي عداة فلسفة الماديين والزخصومهم زحاماً واقطعهم حساماً في ذلك الميدان

لا يخفى ان مرجع النشوء في الاحياء هو التغيرات الحاصلة لها باختلاف احوال المحيط الخارجية مع الميل الداخلي فيها الى موافقة تلك الاحوال بحيث تحفظ موازنة التقدم بين الامرين

ولما كانت تلك التغيرات هي محط نظر الباحث لم يكن لهُ بُدٌّ من اعتماد الكلي منها واغفال الجزئي ليتسهَّل لهُ استخراج القواعد الكلية شأن تقرير الاحكام الاصلية في كل العلوم . وهذا هو نفس الحكم الذي يجب ان يعتمدهُ علماء الاجتماع بتقرير احكامهِ الكلية اريد بهِ التعويل على التغيرات الكلية الاصلية واطراح الجزئية الفرعية في احداث التاريخ. فاذا نظرنا الى التغيرات الاجتماعية الكلية في مبحثنا هذا رأينا فيها ميلاً كليًّا عامًّا الى التقدم من اسوإِ الحالات الى احسنها اي ان وجهتها التقدم العام ابداً

فليس المراد ان التاريخ البشري كان شأنهُ التقدم في كلٍّ من جزئيات وقائعهِ في انحاء المعمور وفي جميع الازمان فانك ترى في عصور مختلفة وبلدان متنوعة مظهر التأخر جليًّا ماثلاً للابصار ولذلك فان كثيرين من علماء القرن الثامن عشر لاغفالهم الشرط الآنف الذكر في تقرير الاحكام الكلية سبق لهم الوهم فقالوا ان مبدأ التقدم ضروريُّ الشمول والاطلاق في كل ادوار التاريخ كما غلب الوهم يوماً على الشهير لامارك في حسبانهِ هذا التقدم ضروريًّا مطلقاً في نشوء العضويات. وقد بلغ الخطأ من بعض مَن لم يروا مهربًا من ثبوت التأخر في بعض احوال الامم أن زعموا ان للجنس البشري جدَّين احدهما فُطر فيهِ الميل الى التقدم والآخر طبع على التأخر . فكان شأنهم في هذا الاعم شأن من رأى الطول في قامات بعض البشر والقصر في غيرهم فحسب النوع الانساني نوعين في البنية الجسديَّة احدهما يميل الى طول القامة والآخر الى قصرها . اوشأن من قال بقياس التمثيل " الشيخوخة حال طبيعية عامة في الانسان لان فيهِ ميلاً طبيعيًّا اليها" ومنشأ الخطإ في ذلك الوهم كلهِ غفلتهم عن هذا الحكم وهو ان للتقدم شروطاً قد لا تتوفَّر في كل ما هو موضوع للتقدم . ولقد فاتهم ان ادراك الشاب طور الشيخوخة وبلوغ الامة درجة التمدن يتوقفان على احوال المحيط الى حدٍّ بعيد

ومحصل ما يقال في باب تغيير الشؤُون الاجتماعية ان التقدم فيها قاعدة كلية وان دخل تحتها شيءٌ من شواذ التأخر وتخللها حال من احوال السكون وان الارتقاء العمراني على الجملة سنَّة التاريخ

ولذلك فمتى عُرِفت شروط التقدُّم عُرفت اسباب التأخُّر على السواء . اي اذا اثبتنا تقدماً لقبيلة من قبائل الارض أبنّا تأخُّر ما يعاكسهُ في الاحوال الداخليَّة والخارجيَّة بلا اشكال على حدّ ما ثبت في علم العضويَّات نريد بذلك انَّ ما يُعلل ارتقاء بعض انواعها يعال تأخر البعض الآخر او وقوفها او انقراضها بفقد اسباب الارتقاء

وعليهِ فقد احسن الفيلسوف كونت بحصرهِ تاريخ الاجتماع في مجرى التمدن مبتدئاً من شواطىء البحر المتوسط الشرقي حتى انتهى ممتدًّا الى اوربا وقسم من اميركا كأَنهُ يقول ان اسباب التأخر تظهر من اسباب التقدُّم فاختصر الطريق وابدع في التحقيق وان مقياس الارتقاء مقياس الهبوط ابدًا شأن التوازن في كفتي ميزان

الَّا انا قبل الشروع في بيان المطلب الاقصى في هذا البحث اللذيذ لا ندحة لنا عن مرّ النظر على اركان التقدُّم الاجتماعي ومقوماتهِ فنقول

(٣)

ان لهذا التقدم ركنين اوَّلين هما القبيل والمحيط . اما محيط القبيل فهو ما احاط باحوالهِ وشؤُونهِ الاجتماعية القريبة والبعيدة ممَّا يؤَثر فيهِ على وجهٍ مَّا حتى يلائمهُ ويرتقي اليهِ . وهنا لا بدَّ لنا من التنبيه على ان ليس المحيط ما اقتصر على اقليم الامة الطبيعي وتربتها وحيوانها ونباتها وموقعها الجغرافي ونسبتها الى سلاسل الجبال وطول ساحلها البحري وما شا كل ذلك بل هو ما شمل ايضاً حالة الامة العقلية والادبية كمبلغ افكارها وعوائدها ومنشإها وتاريخها وتقاليدها مع علاقتها بمن يجاورها من الامم الداخلية ويخالطها من الخارجية وما يؤَثر فيها من مجموع هذه الاحوال . وعلى ذلك فقد يختلف محيط القبيلة ضيقاً وسعةً مثال الاول محيط قبيلة الاسكيمو فانهُ ضيق الدائرة لانحصارهِ في موقعها الطبيعي في لابرادور وعلاقتها بقبائل قليلة مجاورة لها واختلاطها بعدد يسير من التجار والسيَّاح وشيء زهيد من تقليداتها الموروثة عن اسلافها . وهذا كلُّ ما يؤَثر في احوال هذه القبيلة الضعيفة الحال

ومثال المحيط الثاني مُحيط الولايات المتحدة فانهُ يُحيط بقارة اميركا الشماليَّة ويشمل جميع الامم المعاصرة المخالطة لها من كل ما انتهى اليها من مبلغ التقاليد والعادات والافكار من سياسيَّةٍ وادبية وعلمية ودينية ويشترك فيهِ معها سائر الامم التي ورثت التمدن عن المملكة الرومانية . وامَّا سبب اتساع دائرة المحيط الاجتماعي ووفرة ما يحويهِ من مختلف الامور فسيظهر في ما يلي من البيان

ويحسن بنا في مساق هذا الكلام على تعريف المحيط ان نُشير الى ما عُلق في اذهان بعض

الكتبة من زعمهم ان الاسباب الطبيعية (او بقاع الامم) هي كل المؤثرات الاجتماعية او اقواها

وفي ابطال هذا الزعم قال اهل التحقيق ان ليس لهذا الوهم من علة سوى الغفلة عن نسبة علم الاجتماع الى الاصل الذي تفرع هو عنهُ مع الفارق المُضاف اليهِ . فكما ان علم الاخلاق (او النفس) هو فرع من علم الحياة مع زيادة اختصاصهِ بالبحث عن العقل ونسبتهِ الى المحيط كذلك علم الاجتماع فرع عن علم (الاخلاق) مع ما انضاف اليهِ من خاصة البحث عن مجموع العقول ونسبة بعضها الى البعض والى محيطها المشترك ايضاً

وكما ان مساعي علماء الحياة وراء اكتشاف ناموس عام لترقي العضويات ذهبت ضياعاً لانحصارها في نسبة الحي الى محيطهِ الطبيعي فقط ولم يفوزوا بضالتهم المنشودة حتى فطن دارون الى نسب الاحياء بعضها الى بعض كذلك يكون نصيب علماء الاجتماع من القصور والتقصير ما دامت ابحاثهم منحصرةً في نسبة الامة الى موقعها الطبيعي ضاربين الحجاب على نسبها الضرورية الى غيرها من الامم ومؤثراتها الفعلية والادبية

ولا يُنكر انهُ كان لطبيعة الاقليم التأثير البالغ في ادوار التمدن الاولى . فمما لا شبهة فيهِ ان التمدن نشأ اولاً في بقعةٍ لم يكن تحصيل الطعام والمأوى فيها يتطلَّب فرط الجهد وكان حال الطبيعة من الخصب والجدب على اعتدال . فلم يكن منشأ التمدن في مفاوز سيبيريا الجرداء ولا سهول البرازيل بقاع الخصب والنماء بل كان في مثل ارض مصر وما بين النهرين حيث لا الجدب ينهك قوى الانسان او يلقيهِ في مخالب الجوع ولا فرط الخصب يحملهُ على فتور الهمة والاهمال

ولا نزاعَ ايضاً في ان امة اليونان مثلاً تعزو كثيرًا من قوتها المدنية التاريخية الى موطنها على ساحل البحر وان بحر الروم مقدس الذكر عند درَّاس التاريخ اذ هو الذي حملت امواجهُ سفن التجارة بين ذهابٍ وايابٍ فتمكنت اسباب المواصلات واشتدَّت اواخي الاشتراك الاجتماعي بين الامم على حد ما يُشاهد اليوم في شعوب اوروبا الساحليَّة . ولكن مع ذلك كلهِ فلما درج التمدن من مهد الطفولة وجعل يرقى في معارج الفتوة والشباب لم يكن لهُ في اشتداد عزيمتهِ غنًى عن اقتباس ما انتهى اليهِ من الاختبار المشترك وما ورثهُ عن سالف الاجيال

ومن جوامع الكلم المأثورة عن الفيلسوف كونت ما جاء لهُ في هذا الباب وهو قولهُ " ان مملكة الاموات تزداد سطوةً وسيادةً على مملكة الاحياء على تراخي العصور " وقال العمراني فسك الاميركاني الشهير " انَّا اذا رمنا استقصاء تمدننا والتحقيق في سلسلة محيطنا العمراني لم نرَ محيدًا عن التقهقر الى حلقات التاريخ المتعلق بنا نحن الاميركان . فهي ترتفع الى نصرة اليونان

على الفرس في واقعة ماراثون وفوز قيصر بأمة الغول وتأسيس النصرانية وهزيمة اتيلا في كالون ونزول النورمانديين الى انكلترا وحروب الصليبيين واصلاح لوثيروس . . . مع ارتقاء العلم الرياضي منذ زمن ارخميدس الى فاراري الخ الخ . فان كل ذلك كان ولا يزال اكثر تأثيراً في احوالنا الاجتماعية من الجبال الصخرية (غربي اميركا الشمالية)والبحيرات العظمى المشهورة (شمالي الولايات المتحدة في القسم الشرقي منها) وخليج المكسيك "

واذا سألنا سبباً لبقاء امة الاسبان مثلاً الى هذه الساعة امة الخرافة والتعصب لم نجد تعرض بلادها الى الزلازل الاّ سبباً زهيداً بالقياس الى كونها ساحة النزاع في امور الدين "

وعلى ذكر امة الاسبان والزلازل يخطر لنا في هذا الشأن حديث جالل يتعلق بتمدن العرب نظنهُ شديد الموقع في اذهان قرَّاء المقتطف الاغرّ من اهل الغيرة على هذه الامة الجليلة الشأن في تاريخ التمدن والعمران

ذلك ان بعض الكتبة الغربيين ذوي المكانة في فلسفة التاريخ اخطأ المرمى في تعليله تمدن العرب فقال " ان ما كان للعرب من حال الخشونة والجاهلية المعلومة انما ينسب لوجودهم في بقعةٍ قاحلةٍ من الارض فاورثهم ضعف الحال تلك البداوة وعجف المال ذلك الجهل العريق والجهل ثمر الفقر حيثما كان. ولكنهم (اي العرب) لما فتحوا بلاد فارس في القرن السابع (للميلاد) وتملكوا اسبانيا في الثامن والبنجاب بل معظم بلاد الهند ما كادوا يحطون رحالهم في هذه الممالك الجديدة حتى بدت علائم التبدل والانقلاب في اخلاقهم.فبعد ان كانوا في جزيرة العرب قبائل رحلاً ورعاة همَلاً اشبه بالانعام السائمة يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء ولا يعلمون عن ابواب الرزق سوى شن الغارات اصبحوا في فتوحاتهم وقد وُطئت لهم اكناف المجد المدني من فخامة الملك وبهجة الدنيا والبسط في العلم والانفراد بالعز حتى عمروا الامصار على بناء يحير الالباب ويأخذ بالابصار واقاموا المدارس والمساجد وحشدوا اسفار السلف الى مكاتبهم من جميع الاقطار مما تكتحل العين بمشاهدة آثاره ولا يحى ذكر فخاره "

ففي الردّ على موضع الاستشهاد بهذا القول لا يحتاج الاّ الى سؤالين . الاول اذا كان العرب انما ادركوا ذاك التمدن بتبديل بقيعهم ببلاد الاندلس وفارس والهند فلمَ لم يتأتَّ ذلك للامة التي غادرت بواديها وحلّت احسن موقع جغرافيّ وابهى مملكةٍ في الغنى والمجد بل ظلّت بعد قرونٍ عديدة تدافع غارات التمدن بسلاح الخشونة والجهل ؟ والسؤال الثاني كيف قيّض للعرب ان تهجر صحاريها وقفارها وتنتج البلاد الواقعة بين جبال البيرنس ونهر الكنج فهل كان ذلك الانقلاب جيولوجيًّا اونشأ عن تغير في طبيعة الاقاليم والتربة ؟ انّا لا نحتاج في

الجواب على هذين السؤالين الى تعمق في التاريخ فقد يجيب عليهما ابسط طلأبهِ وهو انهُ لم يتسنَّ للعرب بلوغ تلك الحال المدنيَّة الّا بعد ان تبدلت حالهم الفكريَّة فدخل على نفوسهم آراء جديدة في الحياة والواجبات ومطالب الآخرة بدعوة الاسلام وعلى الجملة فان المؤثر الاخلاقي او النفسي لا الطبيعي هو علة تمدُّن اهل الاسلام متري قندلفت

نبأ من اليابان

امبراطور اليابان ورجالها

لقد اتَّضح من الفصول السابقة ان ارتقاء اليابان امر حقيقي لا ريب فيهِ وانهُ شامل كل مقوّمات حياتها كافَّة فلاحتها وصناعتها وتجارتها وامارتها حتى صارت تباري الممالك الاوربيَّة في بناء اكبر البواخر كما تباريها في عمل ادق المصنوعات ولم تقتصر على ما كان معروفاً عند اهاليها بل اقتبست احدث الصنائع الاوربية حتى عمل المقاييس الهندسية والآلات الكهربائية وبارت اوربا ايضاً في اتساع تجارتها وفي دستورها ونظام جنديتها وبحريتها

ولا بدَّ من ان يسأل مَن يحبُّ الاطلاع على ما يرفع الامم وما يخفضها وما يقوّيها وما يضعفها عن اسباب هذا النهوض وعلل هذا الارتقاء . وقد اجاب المستر ستد عن ذلك بقولهِ ان السبب الاكبر هو امبراطور اليابان فان لهُ اليد الطولى في ارتقاء بلادهِ ولو لم يكن ذلك ظاهرًا في كل شيء . فان ديانة اليابان توجب على اهاليها الخضوع التام لهُ . ولكلمتهِ شأن عندهم اكثر مما لكل السنن والشرائع وهو فوق كل قانون ودستور ويتَّضح ذلك من المثال التالي وهو انهُ منذ سنتين عُرض على مجلس الاعيان مشروع قانون الضرائب فقاومهُ اربعة اخماس الاعضاء وحينئذٍ وردت رسالة من الملك يقول فيها انهُ يود ان يصادقوا على المشروع فصادقوا عليهِ كلهم بالاجماع

ولا يخفى ان اعطاء الملك سلطة مطلقة الى هذا الحد يضر البلاد ضررًا كبيرًا اذا كان الملك جاهلاً سيء السياسة او ظالماً فاسد الرأي ولكنهُ ينفعها نفعاً عظيماً اذا كان الملك حكيماً برًّا برعيتهِ . وامبراطور اليابان من هذا النوع الاخير وهو في مقدمة رجالهِ الساعين في ترقية بلادهم والفضل الاول لهُ في كل ما اصابتهُ البلاد من النجاح

ورهبة هذا الامبراطور متملكة من قلوب شعبهِ حتى لا يجسر احد ان يقف امامهُ ويكلمهُ الّا ويتلعثم لسانهُ ما عدا اربعة من رجالهِ مع انهُ لا يعامل احدًا بالقسوة والجبروت

وهو مثل ملوك المشرق قليل الخروج من قصرهِ واذا خرج جلس امامهُ في المركبة واحد من خواصّهِ جلس مطرقًا لا يرفع بصرهُ الى مولاهُ

وهذا الاكرام يشمل الملكة فانها تُعَدُّ امًّا لشعبها كما يُعَدُّ زوجها ابًا لهم وشخصها مقدس عندهم فيكرمونها اكرامًا دينيًّا وهي من المولعات بحماية الفنون الجميلة كالموسيقى والتصوير

وولي عهد المملكة شاب عمرهُ ٢٣ سنة فقط لكنهُ متزوج ولهُ ولد وليٌّ لعهدهِ بعدهُ

والملك ورجالهُ يلبسون اللباس الاوربي في كل المقابلات والاحتفالات وهو رئيس الجيش والبحرية وبيدهِ ميزان التوازن بين احزاب المملكة وقواها المختلفة. وفي الدستور الذي سُنَّ سنة ١٨٨٩ سبع عشرة مادة تختص بالملك منها ان شخصهُ مقدَّس وانهُ هو الذي يسن القوانين بمصادقة مجلسهِ وهو الذي يأمر باجرائها وتنفيذها وهو الذي يجمع مجلس النواب ويفتحهُ ويقفلهُ ويحلهُ واذا كان المجلس غير مجتمع ودعت الحال ان اصدر الملك امرًا لا يصير ذلك الامر قانونًا ما لم يجتمع مجلس النواب ومجلس الاعيان ويصادقا عليهِ واذا لم يصادقا عليهِ أُلغي. وللامبراطور ان ينظم فروع الادارة المختلفة وينصب ويعزل ويعيّن الرواتب وفي يدهِ نظام الجنود البرية والبحرية وهو الذي يعلن الحرب ويعقد الصلح ويمنح الرتب والنياشين وبيدهِ العفو وتخفيف العقاب

هذه هي حقوقهُ المكتتبة ولكن حقوقهُ غير المكتتبة اعظم منها وارسخ في النفوس فان كلمة منهُ ترجح على دستور البلاد كلهِ ولاسيما في عيون الشيوخ والكهول من رجالهِ اما الشبان فيودون ان تكون السلطة للدستور لا للامبراطور لكنهم قلما يجاهرون بذلك ولا سبيل لهم للمجاهرة بهِ لانهُ ليس لهم سبيل للشكوى من الحال الحاضرة وما دام الدستور يخول الامبراطور وضع الرجال في مناصبهم فهو لا يضع في المناصب الا الذين يثق بهم

اما جمهور الشعب فينظرون الى الملك نظر العابد الى المعبود واكرامهم لهُ نوع من العبادة. وفي العام الماضي طلبت احدى جرائد يابان قتل المركيز ايتو لانهُ تجاسر ان يقابلهُ وهو بالثياب التي لبسها لما حضر جنازة احد اصدقائهِ حاسبة ذلك اهانة للامبراطور لا يكفَّر عنها الا بقتل من اجترأ عليها. والتعليم العمومي الجاري الآن في بلاد يابان يرسخ هذا الاعتقاد في اذهان اليابانيين كما ابنَّا في الكلام على التعليم

ويحق لليابانيين ان يفاخروا بامبراطورهم لانهُ ما من امَّة ارتقت في عهد ملك واحد من ملوكها ارتقاء اليابانيين في عهدهِ وما من ملك توفَّق الى خدمة امتهِ اكثر مما توفَّق هذا الامبراطور الى خدمة الامة اليابانية

وهو كهل ولد في ٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ (فهو اصغر من سلطاننا بعشر سنوات) وخلف اباهُ وعمرهُ خمس عشر سنة فقط فلهُ قائم على سرير الملك ٣٥ سنة وتزوج سنة ١٨٦٩ بالاميرة هاروكو فرزق منها ابناً واربع بنات وابنهُ ولي عهدهِ لان ولاية العهد محصورة في الاولاد الذكور والمال المعين للامبراطور ثلثمئة الف جنيه في السنة . ولما عُقد الصلح بين اليابان والصين أُعطي مليوني جنيه من غرامة الحرب اعترافاً بفضلهِ على الامَّة وبما بذلهُ من العناية والتدبير في امر تلك الحرب . وسيأتي الكلام في الجزء التالي على رجال اليابان الذين ساعدوا امبراطورها في رفع منارها

نصائح لسلامة العيون

الاعتناء بالعيون يبدأ قبل تكوُّن الجنين ويستغرق كل ادوار الحياة وقد أعددت عشرين نصيحة لحفظ العيون سليمة اذكرها بحسب الترتيب الموافق للسن الذي ينبغي ملاحظتها فيهِ وهي

(١) للوراثة تأثير عظيم على البصر فيحترس من اقتران المريض بالزهري قبل مضي ثلاث سنوات على زوال العلامات الثانوية كالطفح الجلدي وسقوط شعر الرأس وتقرح الفم والحلق والاغشية المخاطية . وبعد الزواج لا ينقطع المصاب عن استعمال العلاج الموافق اي يوديد البوتاسيوم مدة ٣ سنوات أُخرى والرجوع الى الاستحضارات الزئبقية عند اللزوم . ويحترس ايضاً من زواج المصابين بالسل او الخنازيري لما قد يعتري اولادهم من امراض العين الخطرة ويحترس كذلك من زواج فاقدي البصر منذ الصغر لانهُ قد يولد لهم اولاد عيونهم ضامرة او مصابون بعاهات مختلفة . ومن امراض العين الوراثية قصر البصر او الميوبيا فيراقب اولاد المصابين بهذا الداء مراقبة خصوصية عند دخولهم المدارس ويعطون النظارات الموافقة عند الحاجة اليها بلا ابطاء

(٢) يغسل مهبل الوالدة قبل الوضع بمحلول مطهر فاتر لكي يقل تعرض عيني الجنين للتلوث بالميكروبات المرضية التي قد تلتصق بالغشاء المخاطي وتؤدي الى ظهور رمد المولودين حديثاً

(٣) يقطر في عيني الطفل حال الولادة نقطتان من قطرة مصنوعة باذابة ٣٠ سنتجراماً من نترات الفضة في ٣٠ جراماً من الماء المقطر ومستنبط هذه الطريقة هو الاستاذ كريدي وتعرف باسمهِ وقد قلل بها معدل اصابات رمد المولودين حديثاً من عشرة في المئة الى نصف في المئة

(٤) اذا احمرَّت احدى عيني الطفل او كلتاها او ظهر عليهما ادنى علامة التهابية

كانتفاخ الجفون في الاسبوعين الاولين من الولادة وجب الاسراع الى استشارة الطبيب المختص بذلك لان اقل اهمال قد يؤدي الى فقد البصر . ولقد احسنت الحكومة الالمانية وحكومة الولايات المتحدة بوضعهما هذه المسؤولية على عاتق القابلة

(٥) رمد المولودين حديثاً والرمد الصديدي الذي يعتري الصغار والكبار شديدا العدوى فمن الواجب فصل المصاب وتفهيم المعتني بهِ وجوب غسل يديهِ كلما لامس المريض بمحلول مطهر قوي وضرورة حرقهِ كل الاشياء التي تتلوث بالافراز الخاص كالقطن والاربطة وما شاكلها

(٦) السيلان من اكثر الامراض العمومية انتشاراً فاذا اصيبت الوالدة بهِ وجب ان تتخذ كل الاحتياطات المذكورة في النصيحة السابقة من غسل اليدين وحرق الانسجة الملوثة لئلا تتصل ميكروباتهُ بعينيها او عيني طفلها فتسبب الرمد الصديدي الشديد الخطر

(٧) تتبع نظافة العينين منذ الولادة وتستمر مدى الحياة ويتم ذلك بغسلهما مرتين في اليوم بالماء النقي المذاب في كل ليتر منهُ ٥٠ جراماً من الحمض البوريك او نصف جرام من الحمض السليسليك او ٢٠ سنتجراماً من السليماني او سينيد الزئبق او خمسة غرامات من ملح الطعام النقي وهذا العلاج الاخير كثير الاستعمال لقلة تهييجهِ العيون وسهولة الحصول عليهِ

(٨) ينبغي ان تكون عيون مرضع الطفل وخادمتهِ ومهذبتهِ خالية من كل مرض معدٍ وقد يستحيل معرفة ذلك بغير استشارة الطبيب فمن الواجب الاعتماد على رأيهِ في هذه الاحوال

(٩) يزاد الاعتناء بنظافة العيون في اثناء ظهور الاسنان

(١٠) لا يهمل التطعيم بالمادة الواقية من الجدري لان الجدري اشد فتكاً بالعيون منهُ بالنفوس وتراقب العيون مراقبة خصوصية اذا أصيب الطفل بهِ او دهمتهُ الحصبة او الحمى القرمزيَّة لما قد يتأتى عن ذلك من الاضرار الجسيمة

(١١) اكتشفت ميكروبات الانفلونزا والدفتيريا في العين فينبغي ان لا ينسى ذلك اذا اصيب الطفل باحد هذين المرضين

(١٢) يعتنى بانتخاب العاب الاطفال ولا يعطوا ما يمكن ان يسبب اذى للعين كالاسياخ والبارود وما شاكل ذلك ويقدر عدد الذين فقدوا بصرهم لاهمال والديهم هذه النصيحة بثلاثة في المائة من مجموع العميان

(١٣) تحببات الملتحمة كثيرة الانتشار في القطر المصري وافرازها شديد العدوى وتنتقل الميكروبات الى العيون السليمة بواسطة الايدي والذباب والمناديل وما شاكلها فمن

الواجب عدم قبول التلميذ المصاب بهذا المرض في المدارس قبل ان ينال الشفاء التام. ويشتد فتك هذا الداء في الاماكن الواطئة والكثيرة الغبار ويصيب خصوصاً ذوي المزاج الليمفاوي والخنازيري

(١٤) اذا تشكى التلميذ من تعب في نظرهِ مصاحب بالم في رأسهِ وميل الى تقريب الكتاب من عينيهِ حين المطالعة وجب ان يستشار الطبيب في ذلك ليفحص عينيهِ ويشير عليهِ بالنظارات الموافقة عند وجود داعٍ لذلك

(١٥) الحدادون والبناؤون والصاغة والطحانون والنجارون ونحاتو الحجارة والمعدنون هؤلاء كلهم يشتد تعرض عيونهم للاصابة باجزاء صغيرة مما يشتغلون بهِ فلهذا يستحسن ان يستعملوا نظارات سلكية واقية

(١٦) اذا أُصيبت العين بجسم غريب فلا يقتصر الخطر عليها بل يتخطاها الى شقيقتها ولذلك ينبغي المبادرة الى الطبيب في هذه الاحوال

(١٧) الزهري من اشد الامراض العمومية ضررًا بالعين فينبغي على من أُصيب بهِ الاعتماد على نصيحة طبيب العيون عند ظهور ادنى انزعاج بصري

(١٨) البول السكري والزلالي والامراض العصبيَّة وامراض القلب والاوعية الدموية هذه كلها قد تسبب امراضاً مختلفة في العين فينبغي الاحتراس الشديد ومداركة العلة حين بدئها

(١٩) يزداد طول النظر كلما تقدم المرء في السن ويتسبب ذلك عن ضعف العضلة الهدبية وعدم مقدرتها على القيام بتكييف العين تكييفاً تاماً فمن الواجب والحالة هذه استعمال النظارات المحدبة وتبدل باقوى منها كل سنتين او ثلاث سنوات لتسهيل المطالعة ورؤية الاشياء القريبة بلا اجهاد شديد قد يفضي الى تشنج العضلة المذكورة سابقاً مع ما يأتي عن ذلك من الاضرار

(٢٠) النصيحة الاخيرة استشارة الطبيب عند اقل عارض يعرض على العين لان مداركة كل العلل حين ظهورها خير من الاهمال وانتظار زوالها بلا واسطة . وما يمكن اتمامهُ في يوم في بداية المرض قد لا يتأتى في شهر عند استحكام اذاه والوسائط كثيرة للغني والفقير فما من مدينة الآ وفيها مستشفيات واطباء لا يتأخرون عن تقديم النصيحة والعلاج مجاناً للمعوزين

الدكتور
الياس ابرهيم صليبي
طبيب العيون

عروسة النيل

الفصل السادس والاربعون

وبعد الفراغ من المحاكمة عاد ابولون الى المنزل عابس الوجه مقطب الجبين فمرَّ ببيت سوسنة فاذا بجمهورٍ من الناس واقفونَ امام باب البستان وعلى وجوههم الخوف والاضطراب فسأل احدهم عن علة اجتماعهم هناك في تلك الساعة فأشار هذا الى لوح كبير معلق على السور فقرأ فيهِ "اياكم والدنوَّ من هذا البيت فالوباءُ يفتك بساكنيهِ" وكان ابولون ضعيف الفؤَاد يخاف من الوباء خوفهُ من ملاك الموت فدعا اليهِ احد رجال الحفظ وطلب منهُ الوقوف على تفاصيل الاصابات فقال اصيب امس احد عبيد سوسنة وابنهُ فعزلا ثم اصيبت سيدة المنزل اليوم فضربنا على المنزل ومن فيهِ نطاقاً صحيًّا فلا يخرج منهُ احد فطار قلب الشيخ شعاعاً وحار في وصول الوباء الى ذلك البيت وهو بمعزلٍ عن الاحياء الموبوءة ولما كان منزل روفينس ملاصقاً لبيت سوسنة خشي ان ينتقل الداء اليهِ فامر الرجل باتخاذ الاحتياط الشديد وبث العيون والارصاد على اهل البيت فلا يخرج منهم احد قال هذا وعاود المسير الى بيت روفينس فصعد توًّا الى غرفتهِ وكان الوقت بعد الزوال وبينما هو يستعد للنزول الى الطبقة السفلى لتناول العشاء دخلت عليهِ جارية تحمل طبقاً عليهِ شيء من الاطعمة فاستغرب ذلك وقال لها علامَ اتيت بالطعام اليَّ فاخبرتهُ ان السيدات يؤْثرن تناول الطعام وحدهنَّ اما طعامهُ فيؤْتى بهِ الى غرفتهِ. فادرك الغرض المقصود من هذا العمل فاشتد بهِ الغيظ والحنق ونادى عبدهُ فقال شد لي على حماري ثم دار الى الجارية فقال واين سيدتك الآن قالت في الدار وعندها غمالائيل اليهودي فاسرع في النزول فلقي الصيرفي يتأهب للذهاب فعلم انهُ انما جاء لينذر اهل البيت ويحذرهم منهُ فلم يحفل بهِ بل ظل سائرًا حتى بلغ غرفة المائدة فابصر هيلانة وماري راكعتين بجانب الارملة والنساء الثلاث يبكينَ فعلم انهنَّ يبكين سوءَ حظ باولين وانهنَّ يتهمنهُ بالاساءة اليها فعمد الى تبرئة نفسهِ من التهمة وخاطب الارملة فلم تجبهُ ولكنها اومأت بيدها الى الباب فظلَّ الشيخ مكانهُ وهمَّ بالكلام ثانية فقاطعتهُ قائلة حسبك ما قلت يا مولاي فلا شأن لك في هذا البيت بعد اليوم فقد قطعت بيدك ما كان يربطنا من رُبُط الصداقة فعد الى بيتك ولا تعمد الى اساءتنا تحاول الكلام وهو يتميز غيظاً فحولت وجهها عنهُ وامسكت بيدَي الفتاتين قائلة هيَّا بنا يا ابنتيَّ ثم اجتزنَ الباب الى غرفة اخرى واقفلنهُ تاركات ابولون وحدهُ . ولا تسل عمَّا الم

بهِ من الغيظ والحقد في تلك الساعة فانهُ لم يلقَ اهانة كهذه في حياتهِ قط فركب حماره وعاد الى منزلهِ وهو يلعن باولين ويتمنَّى لها شرَّ الميتات

وقضى بعد ذلك يومين يطوف في الاسواق والشوارع ومجتمعات الناس غير حافل بالحرّ والتعب وهو يهيج القوم تارة بالتمليق وطورًا بالارهاب مبينًا لهم باجلى بيان ان امرهم في يدهم فاما هلاك اكيد او خلاص عاجل ولم يغفل عن حضور جلسات المجلس والقاء الخطب على اعضائهِ لئلاَّ يرتدوا عن عزمهم ويتحازوا الى المطران وكان اذا لقي جمهورًا من العامة يصف لهم بهاء الحفلة ويشوقهم الى رونقها وجمالها ويفصّل لهم ما كان اسلافهُ يفعلون في مواكب ايسس كما رآهُ بنفسهِ وكما نصَّت عليهِ اخبارهم المحفوظة في كتبهم كتب الحكمة والعلم ثم يحضهم على اكمال المعدَّات التي تضمن للحفلة زخرفها كل ذلك بالكلام البليغ حتى فتن سامعيهِ وشاقهم وصبوا الى حلول اليوم الذي تتجلى لهم فيهِ صورة من صور مفاخر اسلافهم العظام واصبح القوم وكلهم اطوع لهُ من بنانهِ وجميعهم يلهج بالثناء عليهِ ويرى في الامر رأيهُ حتى اذا ما آنس منهم الميل الشديد اليهِ والرغبة في العمل باشارتهِ صاح بهم خلاصكم وهلاككم في ايديكم فاذا ظلت الحال على هذا المنوال خسرتم حياتكم وحياة من تحبون وذهبت اموالكم طعمة للقحط والوباء واذا قدمتم الضحيَّة ووفى النيل عاودكم الاقبال وجادت مواسمكم وفارقكم الداء فما على المدينة اذا انفقت بضعة آلاف درهم في هذا السبيل . ولم يزل في هذا الكلام ونحوهِ حتى هاج المدينة بامرها فعيَّن المجلس موعدًا قريبًا واختاروا لذلك يومًا من ايام الاعياد لتزداد الحفلة بذلك بهجة وليتفرغ لها جميع من في المدينة

اما المطران فلم يقعدهُ فشلهُ الاول عن السعي لانقاذ الاسيرة فلما خرج من المجلس كما تقدم آنفًا ارسل رسالة الى البطريرك انبأهُ فيها بما قرَّ عليهِ المجلس واهل منف واستعطفهُ على باولين متوسلاً اليهِ ان ينهى اهل منف عن ارتكاب هذا الوزر العظيم ثم اخذ يطوف في المدينة ويخطب في الناس اينما لقيهم كاشفًا لهم القناع عن شر عملهم وسوء مغبتهِ وفعل كهنتهُ فعلهُ وغاروا غيرتهُ فبذلوا جهد المستطاع لانقاذ تلك التعيسة . لكنَّ النار التي اوقدها ابولون في صدور اهل منف لم تكن ليطفئها وعد الكهنة ووعيدهم بعد ان اضعف الجوع والمرض سلطة الايمان وذهبا بنفوذ الكنيسة فاندلع لهيبها وكأن ابولون ومريديهِ يصبون عليها زيتًا بما كانوا ينادون بهِ صباحَ مساء

وجاء عبيد ابولون الى بيت روفينس فنقلوا امتعتهُ واوراقهُ وطروسهُ وكان احدهم يحمل رسالة مختومة وقارورة الى الارملة فدفعهما اليها ففضت الرسالة وقرأت فيها ما يأتي " ليس من

العدل شجب امرءٍ قبل سماع دفاعهِ والتثبت من اقوالهِ امَّا انتِ فقد فعلتِ بي كذلك فظلمتني لكنني سكتُ واستسلمتُ الى حكمكِ. فاذا عاد فيلبس ففي استطاعتهِ ان يعيد المياه الى مجاريها وها انذا مرسل اليكِ الآن شيئاً من الدواء الذي ركبهُ فيلبس لمقاومة الوباء وقد امتحنت فعلهُ في هذين اليومين فتأكدت عظم فائدتهِ وعسى الداء الذي حلَّ بجيرانك ان يتجاوزكِ واهل بيتكِ".

فلما وقفت ماري على فحوى الكتاب صاحت باعلى صوتها اياكِ وتجرع هذا الدواء ففيهِ السمّ الناقع . فابت الارملة تصديق قولها وانحازت اليها هيلانة قائلة حسبنا دليلاً على صدق طويتهِ ما يرتئيهِ فيهِ صديقنا فيلبس ثم جلسنَ يتحدثنَ واذا بالنبطي داخل عليهنَّ فانبأهنَّ بوصول توما ابي باولين وقال انهُ معها في السجن فسررنَ بهذا النبإ وتفاءلن بهِ خيرًا وحينئذٍ هبَّت ماري من مكانها فقالت حان لي ان افارقكما فاعدَّ دروسي مع المهذبة فامامي عمل شاق يقتضي استعدادًا طويلاً فادعيا لي بالفوز والنجاح ثم اكبَّت عليهما تقبلهما وهما يحسبان انها ذاهبة لاعداد دروسها وانهما يريانها في الصباح ولما فارقتهما صعدت الى غرفتها حيث كانت المهذبة بانتظارها فقصَّت غدائرها والبستها ثياب الصبي وهي تبكي ولما فرغت اخذت تتأملها معجبة بجمالها ورشاقتها فقالت قد يسهل على الناظر اليكِ تمييزك ولو متنكرة فانتِ اجمل وجهًا وارق بنية من ان تكوني صبيًّا فاذا لقيتِ في الطريق بعض المارَّة فانزلي قبعتك على عينيك فلا يعرفوكِ . ولمَّا فرغنا خرجتا سويَّة من البيت حتى اذا ما مرَّتا بكنيسة يعقوبيَّة طلبت ماري الى المهذبة ان تبقى خارجًا بانتظارها ثم دخلت وجثت على ركبتيها وبعد ان قضت بضع دقائق في الصلاة خرجت من الكنيسة وقد اشتدَّ عزمها وكبرت همتها

ولما بلغتا الفندق وجدتا رستم بانتظارها وقد اعدَّ الهجن والاتباع فودعت ماري مهذبتها وشكرت لها عنايتها بها وحبها لها فقبَّلتها المهذبة وزودتها بعض النصائح ثم اركب رستم ماري هجينًا وامر من معهُ بالمسير فسار الركب والمهذبة واقفة تنظر اليهم حتى غابوا عن عينيها فدعت للفتاة بالسلامة والنجاح وطلبت الى الله ان يحميها في الاقامة والسفر وان يبلغها منيتها وفي الصباح دفعت كتاب ماري الى الارملة فلما وقفت على ما تضمنهُ استولى عليها القلق والجزع فدعت المهذبة اليها وعنفتها على سكوتها ولامتها على تشجيعها ماري دون ان تطلع اهل البيت على غايتها وبكت بكاءً مرًّا واخذ الحزن من هيلانة كل مأخذ فأبت تناول الطعام وصارت تحسب ماري في عداد الاموات. ونحو الظهر جاء المطران يطلب ماري ليرسلها الى احد الاديرة المجاورة فانبئ بفرارها فاستشاط غيظًا وتهدد الارملة بالقصاص قائلاً سابحث عنها في طول البلاد وعرضها حتى اجدها واردها الى حظيرة الخلاص . وبعد ذهابهِ اعترفت المهذبة بانها زيَّنت

لماري الفرار وجرأتها عليهِ لتخلصها من نير الدير وشقاء عيشة الترهُّب فلما فقهت الارملة قولها طارت فرحًا واكبَّت عليها تقبلها واعتذرت اليها عما فرط منها في الصباح قائلة تجاوزي عما سمعتِ مني فانتِ كريمة الاصل طاهرة القلب رحبة الصدر . فسرَّت المهذبة سرورًا عظيمًا واحسَّت ان سعادة الشباب عاودتها وان شتاء عمرها تحول ربيعًا كربيع تلك الايام اذ كانت واخواتها فتيات في مقتبل العمر تحت سقف ابيها

وعلمت باولين بما دبر لها اهل منف فان المطران اتاها ذات يوم وانبأها بما قرَّ عليهِ المجلس وكان يطلعها على تفاصيل الخبر ملتزمًا الحذر لئلاَّ يفاجئها النبأ فيصيبها ما لا تحمد عقباهُ وحاول ان يسكن مخاوفها بما كان يؤَملهُ من ارهاب القوم وزجرهم وصرفهم عن ارتكاب تلك الجريمة فلما تجلت لها الحقيقة وعلمت انها ستقع فريسة الظلم والجهل والحقد اقشعرَّت وارتاعت وضاقت بها الدنيا على رحبها لكنها كتمت ما بها اذ خشيت ان يلم ابوها بواقع الحال فتزداد همومهُ فيقضي عليهِ جزعًا وغمًّا فاخذت تعلق آمالها على ما قالهُ المطران فسكَّن ذلك بعض اضطرابها ومخاوفها حتى اذا ما بسطت الظلمة جناحيها عاودها الهمّ والقلق واستولى عليها الرعب فتمثلت لها حالتها وهي تقاد بين جماهير الناس الى تلك الميتة الشنعاء وسدًى لجأَت الى الصلاة فلم تجد لها فيها عزاء فالتمست الراحة في رسائل اوريون وغنائهِ فلم يجدها ذلك نفعًا وشقَّ عليها ان تصبح بعد عزها ورفعة مقامها عرضة لسخرية القوم وضحية لجهلهم فخطر لها أن تنتحر قبل ان يحلّ بها الويل ورأت في الانتحار دواءها الشافي لكنها لم تلبث حتى دفعت عنها هذا الخاطر وعزمت على الاعتصام بحبل الرجاء الى النهاية

وقبل حلول الاجل المضروب لتضحيتها بيومين زارها المطران ليعزيها في محنتها فاخذ يشدد عزيمتها طالبًا اليها ان تلقي اتكالها على الله الى ان قال وسالازمك الى النهاية وابذل جهدي في الدفاع عنكِ فقد يأتينا الفرج من حيث لا ندري وقد زرتك الساعة لاكلمك في الامور الروحية فاذا وقع القضاء وخاب فألنا فاني مستعدّ للعناية بأبيك الى ان ترجع نفسهُ الى ربها . فايقنت باولين بحلول الاجل وعلمت ان الامر قضي وان السهم نفذ فوقع كلامهُ عليها كالصاعقة وانطرحت على مرضعها لا تعي ولما افاقت شكرت المطران على ما بذلهُ من المساعي لانقاذها واثنت عليهِ لاهتمامهِ بوالدها فاجاب وقال ـــ نعلت واجبًا فاخفقت وقد كنت اعلل النفس بمنشور البطريرك واعلق الآمال عليهِ فلما اتاني اليوم اذا بهِ غير ما كنت اشتهي نعم ان غبطتهُ شجب هذه الضلالة ولكن منشورهُ ينقصهُ الشدة المطلوبة لارهاب الناس فيقلعون عن غوايتهم لكنهُ آخر سهامي وساطاقةُ فقد يصيب الغرض وقد امرتهم ان يعدُّوا نسخًا كثيرة منهُ لتوزع

على اهل المدينة وسارسل بعض هذه النسخ الى المجالس واعلق غيرها في الاسواق والشوارع على ان املي بالنجاح ضعيف وهذا يسوءني ويحزنني . فقالت باولين اذًا فساعدني على التأهب للموت واسمع اعترافي فاني اطلب الحل منك وان تكن من غير مذهبي فقال تكلمي ففعلت وهو يصغي الى كلامها وعيناهُ تقطران الدمع السخين حزنًا على صباها حتى اذا ما فرغت باركها وحاها

الفصل السابع والاربعون

ولما وصل المطران الى بيت سوسنة وجدها جثة هامدة وكاترينا واقفة عند رأس السرير وقد شخص بصرها واصفرَّ وجهها فحاول تعزيتها لما آنسهُ من حزنها المفرط وخاطبها بكلام رقيق عذب فدفعتهُ عنها وفرَّت من الغرفة فقال في نفسهِ لم ارَ في ما رأيت حزنًا كحزن هذه الفتاة ويلوح لي ان هنا قلبين ارتبطا باشد ربط الحب فلما سكن الواحد غمرت الاحزان الآخر اما كاترينا فلما صارت الى غرفتها انطرحت على سريرها وفي صدرها كغلي مرجل وبعد برهة احست ببرد شديد فظنتهُ الوباء فقالت ليتهُ يأتيني رحمة من ربي فيريحني من حياة الشقاء هذه ثم اخذت تعيد في مخيلتها ما اتفق لها فرأت امها سائرة في طريق القبر بفضل دسائسها وشدة حقدها وعلمت أن تلك التعيسة تنشقت جراثيم الداء منها ليلة قبَّلت شعرها فان امارات المرض ظهرت اولاً على شفتيها حتى استغرب الطبيب ظهورها في هذا المكان وسمعت هاتفًا يناديها قائلاً انك قاتلة امكِ وخطر لها اذ ذاك ان الاقدمين كانوا لا يفرضون عقابًا لقاتل والديهِ زعمًا منهم ان جرمًا فظيعًا كهذا مستحيل فغلب عليها القنوط وتمنت الموت ثم ضحكت ضحكة الياس الشديد وقالت اي الذنوب لم ارتكب فقد دنست اسم الله واشتركت في السحر والعرافة وشهدت شهادة الزور وارتكبت جريمة القتل فاية وصايا الله التي انزل على موسى لم اخالف فقد ماتت امي مقتولة بيدي واصبح قلبي قرارة آثامٍ ومستودع شرور وخابت آمالي باسرها فقد سعيت الى موت دورا فجاء القدر . . . . ثم غلب عليها الحزن وعاودها تبكيت الضمير فسئمت الحياة وودت لو تفغر الارض فاها فتبتلعها واحست بضيق شديد فهبت من مكانها وجرت الى حيث كانت جثة امها فركعت بجانبها وهي ترتجف ولما لم تستطع البقاء هناك ركضت الى البستان وقد ضاقت بها الدنيا على رحبها فزارت المواضع التي كانت تقصدها مع امها في حياتها وكانت تنتقل من مكان الى مكان كالمجنونة ولم تزل كذلك حتى طلع الفجر فتنفست الصعداء ثم مشت نحو المنزل فصادفت انوبيس اخاها في الرضاع وكان يبكي فلما رآها اسرع اليها فقالت اواهُ ومصيبة هذا الفتى من بعض اعمالي فدنا منها وعزَّاها على فقد والدتها فاجابتهُ بكلامٍ متقطع لا معنى لهُ حتى قال انها اضاعت رشدها لحزنها وفاضت عبراتهُ ووقف الاثنان صامتين ثم قالت

اتعرف يا انوبيس كيف يكتبون الوصية قال نعم فقالت صف لي ذلك ففعل الى ان قال ويجب ان يوقع عليها شاهدان يشهدان على صحة توقيع صاحبها اما انتِ فلا تستطيعين كتابة وصيتكِ الآن فانك قاصرة فقالت وما عليَّ من ذاك وقد كتبت باولين وصيتها وليست اكبر مني سنًّا فقال هل بلغكِ انهم سيضحونها غدًا فقد سمعت الناس يدعونها عروسة النيل . فابتسمت ابتسام الفوز وبدا الحقد في وجهها لكنها عادت فعبست ودخلت البيت

ونحو الظهر جاء المطران للجنازة فرأى الازهار النضرة تغطي النعش فقيل لهُ ان كاترينا انتقت تلك الازهار وحدها من البستان ونظمتها اكاليل وباقاتٍ فمال اليها لما آنسهُ من حبها لامها واخذ يعزيها وهي تجيبهُ كالتائهة الغائبة

ولما تقدم الحاملون ليرفعوا النعش هبت كمن افاق من حلم وانطرحت على جثة والدتها فودعتها وداعًا يفتت الاكباد واسندت رأسها الى صدرها كما كانت تفعل في حياتها ثم سالت عيناها بالدموع لاول مرَّة وانهمر ماء العزاء منهما فوضعت فمها على اذن الميتة وقالت انظريني قليلاً فسالحق بكِ وانبئك بجميع ما جرى ثم قبلتها تكرارًا حتى ارتاعت الراهبات فجذبنها بعنف وابعدنها عن الجثة ولما اقفل النعش خذلتها قوتها فانطرحت على الارض تبكي من كبدٍ مقروحة وايقنت انها يتيمة لا معين لها على الارض ولا ناصر ولما فتحت عينيها الفت البيت خاليًا ساكنًا فاستولت عليها الكآبة وخيَّم اليأس على قلبها وعلمت انها لا تستطيع مغادرة المنزل والحرس يطيف بهِ فاخرجت منشور البطريرك وكان المطران قد جاءها بنسخة منهُ وقرأتهُ غير مرَّةٍ ومما جاء في ذلك المنشور قولهُ . ان الهنا فوق البشر كما ان النفس فوق الجسد فلا يرضيهِ تقدمة الجسد بل تقدمة الروح افلا يحوّل وجههُ عن مسيحيي منف الذين اسدلت غشاوة الجهل على ابصارهم اذا هم لجأوا في ضيقهم الى ضلالات الوثنيين وفجورهم او يحسب هؤلاء العميان انهم يصرفون غضب الله عنهم بقتلهم فتاة هرطوقية اجنبيَّة أوَ لا يعلمون ان عملهم هذا يجلب عليهم غيظ الله ونقمتهُ فان ديننا يحظر علينا تلطيخ مذابحنا الطاهرة المقدسة بدم البشر وهو يهب حياةً لا موتًا فاذا كانت ثمت فتاة نقية طاهرة مملوءة بحب الله وشاءت هذه الفتاة ان تقتدي بالفادي الذي فدى الجنس البشري فتطرح نفسها في الماء وهي تصرخ قائلة تقبلني يارب تقدمة راضية امامك وانقذ شعبي من ضيقهم فقد يقبل الله التقدمة قائلاً حسبي يا ابنتي رغبتك وارادتك فلن يبذل احد من اولادي الحياة التي اعطيتهُ وهي اثمن هباتي واقدسها . . . . "

فاعادت كاترينا هذه العبارة الاخيرة وهي تتأمل مغزاها ولما طال بها التفكير قالت في نفسها ساكون تلك الفتاة التي يشير اليها البطريرك فاضحي نفسي فدى شعبي واخلص من هذا

الحمل الثقيل فيعلم اوريون والمطران والملأُ قاطبة انني منطوية على صفات طيبة واخلاق نبيلة وترى ابنة توما انها لا تفوقني شهامة وعزَّة نفس وساطرح نفسي في الماء برأى منها ومن الواجب ان يعلم اوريون ان الفتاة التي باعت حياتها بارخص الاثمان فعلت ما فعلت حبًّا بهِ فيذكرها طول حياتهِ .

وكانت كلما ازدادت تاملاً في الموضوع ازدادت رغبة في العمل وشوقًا الى القيام بهِ واخذت تنتظر حلول الغد بذاهب الصبر لتقوم بعملها المجيد ولما عقدت النية عليهِ شرعت تنظر في توزيع تركتها فتناولت لوحًا وخطت عليهِ وصيتها الاخيرة وفيها تركت جانبًا كبيرًا من ثروتها لعمها وخصت انوبيس اخاها في الرضاع بجزء غير قليل وفعلت كذلك بارملة روفينس تكفيرًا عما فعلتهُ مما ادَّى الى قتل زوجها وتركت نصف مالها وبيتها لاوريون وكتبت تتضرَّع اليهِ ان يقبل البيت بدلاً من قصرهِ لان لها يدًا في حرقهِ وكانت تعلم ان البطريرك يكره اوريون فلم يفتها ان هذا الميراث الذي يصيبهُ يزيدهُ مقتًا في عينيهِ فرأت ان تحتاط لذلك واوصت اوريون بان يتبرع بجانب كبير مما تركتهُ لهُ للبطريرك والكنيسة وخيرتهُ في تعيين الزمان الملائم فاذا مات في خلال ثلاث سنوات من تاريخ الوصية انتقل نصيبهُ الى عمها ثم افرزت جانبًا من المال للكنيسة بشرط ان تقام الصلوات على اسمها واسم امها في عيديهما في جميع كنائس البلاد وعينت مبلغًا آخر لبناء كنيسة تدعى باسميهما ثم اعتقت جميع عبيدها وتركت مبالغ وافرة للعتقاء من خدمها وبعد ان فرغت من كتابتها بيضتها ودعت الطبيب والعتقاء من اهل البيت وطلبت اليهم ان يشهدوا على صحة توقيعها وفي المساء جاء الطبيب باسكندر رئيس المجلس فقابلتهُ عند باب البيت وعينتهُ وصيًّا عليها ومنفذًا لوصيتها ثم طلبت اليهِ ان يوقع صك الوصية دون ان يرى ما فيهِ ففعل ولما عادت الى المنزل دعت الخدم فامرتهم باعداد سفينتها للغد وان يفرغوا الجهد في تهيئتها وتزيينها بانواع الرياحين والازهار قائلة ارغب في حضور الحفلة غدًا واريد ان اكون بحيث ارى جميع تفاصيلها ثم ذهبت الى غرفتها فنامت نومًا ثقيلاً

الفصل الثامن والاربعون

ما بلج صبح عيد سرابيس وهو اليوم المعيَّن للاحتفال بتقديم الضحية حتى اسرع اهل منف الى ضفة النيل وكلهم طروب مستبشر بقرب انفراج الازمة وانقضاء ايام النحس وكان بعضهم قد قضى الليل بطولهِ هناك ولم يتخلف عن الحضور سوى العجزة والاطفال والذين اقعدهم المرض عن المشي او الركوب واختلط الرجال والنساء والاولاد حتى باتوا كالبنيان المرصوص

وكلهم يتشوّف الى رؤية هذه الحفلة النادرة المثال والتي لم يسبق لها نظير في ما رأوهُ من حياتهم. ولم يدَّخر مجلس منف وسعاً في اعداد الحفلة على نمط يأخذ بمجامع القلوب جمالاً ورواء فنصبت دكة كبيرة من الخشب تشرف على النيل وتسع الالوف من المتفرجين وخصت بالذين يدفعون رسماً معيناً واقيم في وسطها مجالس مرتفعة لاولياء الامر من المصريين وكبار رجال العرب وخدمة الدين وانتشر القوم على شاطئ النهر وكلهم بثياب العيد وقد تهيأوا لقضاء يومهم في اللهو والطرب ودار الباعة بينهم يبيعونهم المبردات والطعام والشراب كعادتهم في المواسم والاعياد وأُقيم امام الدكة صقّالة من الخشب داخلة في الماء على شكل نصف دائرة متصلة بالبرّ من طرفها الغربي وافرغ الصنّاع جهدهم في تمنيقها وزخرفتها بالرايات والازهار والاغصان والاكاليل حتى غدت فرجة للناظرين وكانت الجهة الغربية منها مكشوفة بحيث يرى المتفرجون ما عليها

ولم يشهد الحفلة من رجال العرب سوى عبادة وثلاثة من المقرَّبين اليهِ وامتنع القسوس كلهم عن الحضور . ولمَّا اكتمل الحشد واذنت الساعة سمعوا عزفاً فاتجهت الابصار الى مصدر الصوت وكفَّت الجلبة وعقب العزف زغردة النساء وغناء الفتيان وكان الصوت يقترب ويزداد جلاءً فاشرأبَّت الاعناق وسادت السكينة على الجمهور وبعد قليل بدت طلائع الموكب وفي مقدمتها المبوقون على خيول مطهمة فلما دنوا من القوم انقسموا شطرين ووقفوا بخيلهم على جانبي الطريق وعقبهم جوقة من المغنيات فوقفنَ امام المبوقين الى اليسار وتبعهنَّ فرقة من الرجال فاصطفت مقابلهنَّ الى اليمين وكانوا جميعاً في ثياب خضراء بلون البحر وعليهم اكاليل النيلوفر وفي ايديهم باقات الحلفاء والقصب وقد ضفرت شعور النساء بالازهار البيضاء وتلاهم جوقة من الفتيان والشيوخ وهم بالملابس البيضاء وعلى مناكبهم جلود الببور تشبهاً بكهنة الوثنيين وفي مقدمتهم شيخان وقوران يحمل احدهما كاساً من الذهب والآخر كاساً من الفضة يُلقيان في الماء قبل طرح العروسة فيهِ فتقدما الى الصقالة وسارا الى طرفها الآخر فوقفا على جانبيهِ وتلا هؤلاء فرقة كبيرة من الضاربين على الطبول والعازفين على الشبَّابات ووراءهم خمسون فتاة ينقرن على الدفوف وخمسون رجلاً بالحلل الخضراء وبعدهم شيء كثير من الزرافات والافيال والنعام والظباء والغزلان وبعض الاسود والببور الاليفة ثم جاءت مركبة كبيرة يجرها اثنا عشر جواداً ادهم وعليها تمثالان يمثلان القحط والوباء مقهورين وحولها اولاد سود يصيحون باصوات تصمّ الآذان ولهم اجنحة على اكتافهم وقرون على جباههم وقد شدَّ وثاقهم رمزاً الى جيش جهنم وعقبتها مركبة أُخرى عليها إلاهة الفيضان جالسة بين الاثمار والاكاليل وحزم الغلَّة وحولها اولاد يحملون

انواع الفاكهة من تفاح ورمَّان وقمح وبلح ودنانًا صغيرة مملوءة خمرًا وكؤُوسًا وتلاها إلاهة الصحة في صدفة كبيرة يجرها ثمانية جياد بلون الثلج وكانت تحمل بيدها الواحدة كاسًا من الذهب وفي الاخرى صولجانًا وتبعها الاله النيل عريس الحفلة منقول شكلهُ عن التمثال الذي حملهُ الرومان من الاسكندرية وهو ملاَّح كبير الجثة كثّ اللحية وقد اتكأ على قارورة كبيرة واحاط بهِ ستة عشر ولدًا كلهم عراة رمزًا الى الستة عشر ذراعًا التي يعلوها النيل في الفيضان الواقي وكانت مركبتهُ مملوءة بالاثمار والفاكهة والصدف يحرسها نفر من الشيوخ بلباس كهنة الوثنيين فلما ابصرها القوم علا ضجيج استحسانهم وهتافهم ومشى وراءها جوقة من الموسيقيين تصحبهم فرقة من الشبان والعذارى وهؤُلاء اشابين العريس وشبينات العروس. وكان المتفرجون يعجبون بتنظيم الموكب وكثرة من فيهِ وتباين ازيائهم وبهاء حالهم وكلما طلعت عليهم فرقة قابلوها باصوات الهتاف والسرور غير حافلين بالحرّ ولا مكترثين للجوع والعطش وكانت عيونهم وقلوبهم متجهة في جهة واحدة وكلهم يتطلل الى المزيد الاَّ عبادة فانهُ نهض من مكانهِ واخذ يتلفت الى الوراء حيث كانت المدينة فرأى دخانًا قاتمًا يصعد منها وهو يزداد كثافة فتبسم لتبسم المزدري وجلس

ولما بلغ موكب العروس الصقالة انقسم شطرين فالفتيان على الجانب الواحد والفتيات على الجانب الآخر واخذ الفريقان ينشدان ثم جاءت فرقة من الشبان اللابسين جلود الببور ووراءهم مركبة يجرُّها ثمانية ثيران سود وعلى الثيران ريش النعام واعشاب الماء وعلى المركبة مظلَّة على اربعة اعمدة امام كلّ عامود رجل بلباس كهنة الوثنيين وتحت المظلة بيت قصيد الحفلة وعروسة النيل وقد اتَّشحت بثياب بيضاء واسدلت على وجهها نقابًا ثخينًا وتدلَّى شعرها الفاحم على كتفيها وامامها اكليل من النيلوفر فضلاً عن باقات منثورة في ارض المركبة وكان المطران يوحنا جالسًا الى جانبها وقد عقد النية على مرافقتها الى مكان موتها للعناية بها قيامًا بوعدهِ لها

ولم يعلم توما واوريون بذهابها لان الاول ثقل مرضهُ فلم يعد يعي على شيء ولأَن اوريون كان يحسب ان طرحها في النيل يتم في الغد كما قال لها في رسالة جاءتها منهُ ذلك الصباح فخفف ذلك بعض همها

ولما بلغت المركبة الصقالة ارتفعت اصوات الجمهور وعلا ضجيجهم وجلبتهم واختلطت بانغام الموسيقى والغناء فرفعوها من مكانها ومشت وراء الفتيان والفتيات وهم ينشدون اغاني العرس فحاول المطران ان يخاطب الشعب فلم يلقَ سامعًا فامسك بيد باولين وسار الى طرف الصقالة وفيما هما ماشيان ادركهما ابولون وطلب الى باولين ان تنزع خمارها وامر المطران ان يتخلى عنها فابيا اجابتهُ فدنا منها ومزق نقابها ثم اومأ الى الاله النيل فتقدم هذا وحيَّا المطران باحترام وقبض

على يد باولين فاضطر المطران الى مفارقتها ولما بلغا طرف الصقالة التي الشيخان كاسيهما في الماء ثم انبرى احد الحامين وهو لابس لباس كاهن وثني فتلا خطابًا انيقًا فصّل فيهِ معنى هذه الخطبة والزواج ومفاد الضحية ومزاياها ولما فرغ وضع يد باولين في يد الشيخ وطلب اليهِ ان يطرحها في النيل بصفتهِ نائبًا عنهُ وحينئذٍ دنت سفينة مزدانة احسن زينة من الرصيف فحالت دون القاء الفتاة فصاح احد الحاضرين وقال هذه سفينة سوسنة وقال غيرهُ وهذه ابنتها ووارثة فليمون الغني فقال آخر وهذه عروسة اخرى وأخذ الباقون يتساءلون عن الغرض من دنوّ السفينة من الرصيف وظهورها بمظهر العيد في حين ان سوسنّة دفنت امس ولم يكن الآ كلا حول ولا حتى صعدت كاترينا الى ظهر السفينة فصاحت بالقوم قائلة

" ايها المطران المحترم ويا اهل المدينة خذوني عروسة للنيل بدلاً من ابنة توما فاني مستعدة لتضحية حياتي مختارة اسمعتَ ايها المطران المحترم اني اودّ بذل نفسي فداء لشعبي وبلادي وقد قال البطريرك ان تقدمة كهذه يقبلها الله فصلوا لاجلي وارحمني يا رب وهاندا يا اماه آتية اليك"

ثم طرحت ما كان في يدها من الزنابق وألقت بنفسها في الماء. فارتفع ضجيج الخلق بين مستحسن ومستهجن وشاكر ومرتعدٍ ورآها النوتي الشيخ الذي كان يمثل اله النيل فارتاع وافلت يدهُ من يد باولين ووثب الى النهر وتبعهُ انوبيس وبعض البحارة فلم يظفروا بها وكان انوبيس اعرج لا يستطيع السباحة فغرق ولحق بكاترينا في قبرها. ولمَّا هدأ روع الناس امسك المطران يد باولين بيسراهُ ورفع الصليب بيمناهُ وقال مخاطبًا الجمهور " لقد تمت مشيئة ابينا البطريرك الذي تكلم بوحي الهي وهوذا فتاة يعقوبيَّة طاهرة نقية ضحت نفسها مختارة مقتدية بالفادي تكفيرًا عن ذنوب مواطنيها امَّا الآن وقد اصاب النيل ضحيتهُ فهذه (واشار الى باولين) حرَّة يجب الافراج عنها " لكنهُ لم يكد يتم كلامهُ حتى هجم ابولون عليهما فقبض على ثوب باولين وصاح بمن حولهُ ليدنُ احدكم فينوب عن اله النيل ويطرح في النهر عروستهُ فاعترضهُ المطران مدافعًا عن باولين ليحمي عنف ابولون وامسكهُ يريد نزع الصليب من يدهِ فصاح بهِ المطران بصوت كهزيم الرعد " محروم محروم " ولما سمع المصريون هذه اللفظة هبَّت الحمية في صدورهم واتقدت نار الغيرة الدينية في قلوبهم فهجم رئيس جوقة المغنين على ابولون وجذبهُ بعنفٍ وانحاز اليهِ كثيرون غيران بعضهم تشيَّع لابولون وفيما هم بين اخذ وردّ سمعوا اجراس المدينة تقرع قرعًا عنيفًا وابصروا شابًا يجري نحوهم وفي يدهِ سيف مصلت وقد اسودّ وجههُ وتمزقت ثيابهُ فحاد القوم عن طريقهِ اذ رأوهُ يندفع نحوهم كالسهم المارق ولما توسطهم عرفوهُ انهُ اوريون فوثب على الصقالة كالاسد الضاري وانتشل باولين من قبضة ابولون فلما رأتهُ كاد

يغمى عليها من الفرح والذهول فضمها اليهِ بيسراهُ وبقي شاهرًا سيفهُ باليمنى فلم يجسر احد على الدنوّ منهُ فقد كان كلبوءةٍ تدافع عن اشبالها ولما انتشل باولين سقط الشيخ ابولون على وجههِ ثم نهض واراد الهجوم عليهما لكنَّ اوريون لم يكن وحدهُ بل تبعهُ رجال هجموا على القوم ومزقوهم اي ممزق فدافع هؤلاء وتراكضوا وسقط بعضهم في الماء ومنهم ابولون فغرق في من غرق ونجا الباقون سباحة وكان عبادة يراقب ما يجري نخشي ان يكون صاحب السيف اوريون فنهض يريد القبض عليهِ واعادة النظام الى الحفلة لكن ازدحام الناس حال دون تقدمهِ وذلك ان المسجونين فرُّوا كلهم من السجن وجروا الى مكان اجتماع الناس وهم يصرخون النار النار فقد احترق السجن والمدينة يلتهما اللهيب. فاضطرب القوم وهبوا يطلب كل واحد منهم بيتهُ لينقذ مالهُ واطفالهُ ففكوا الخيول والثيران من المركبات فركبوها وهم يصيحون ويبكون ويلعنون واختلط الحابل بالنابل حتى لقد يظن الناظر اليهم ان القيامة قامت . فاستلَّ عبادة سيفهُ وهجم يريد الصقالة وهو يدفع الناس من امامهِ اما هم فجمدوا مكانهم لا يتزحزحون منهُ ودهش لسكونهم فرفع عينيهِ ورأى وراءهُ غبارًا سدَّ منافس الفضاء ثم انجلى عن فرسان غاطسين في الزرد والحديد يتقدمهم القاضي عثمان فلما وصلوا ترجَّل القاضي وصاح لقد عفي عنها ثم دنا من باولين وهنأها بخلاصها وسلامتها فلما سمع عبادة ما قال علم ان الامر جاء من الخليفة

وكان البعض قد اضرموا النار في السجن اثناء الحفلة يريدون هلاك اوريون مخنوقًا لكنَّ السجانين دروا بذلك فاطلقوا سراح المسجونين واسرع اوريون ومن معهُ الى ضفة النهر كما تقدَّم. اما النار فاندلع لهيبها في المدينة فالتهمت المساكن والمنازل فلم تبقِ ولم تذر ولم ينجُ من فتكاتها سوى بعض البيوت وفي جملتها بيت روفينس فامر القاضي بنقل اوريون وباولين اليهِ وطلب اليهما ان يمكثا فيهِ الى ان يعود عمرو ابن العاص

اما عمرو فان رستمًا وماري لقياهُ في برنيس فبسطا لديهِ ما حلَّ باوريون وباولين وما يتهددهما من الهلاك العاجل وكانت برنيس محطة لحمام الزاجل فرفع عمرو الامر الى الخليفة في المدينة فاتاهُ الجواب بالعفو عن الفتاة فبعثهُ الى القاضي كما تقدَّم

وظلَّ ماء النيل آخذًا في الانخفاض رغمًا عن تقديم الضحية فدعا القاضي اهل منف والفسطاط الى اجتماع عقدهُ على ضفة النيل وذلك لثلاثة ايام بعد الحفلة ثم امر المنادي العربي والترجمان المصري ان يعلنا على رؤوس الاشهاد ما يقولهُ الخليفة من أن الله يكرهُ الضحايا البشريَّة الى ان قال وقد ارسل الخليفة كتابًا ليلقى في النهر وهذه صورتهُ " الى نيل مصر امَّا بعد فان كنت تجري بامرك فلا تجرِ واذا كان الله الواحد القهَّار هو الذي يجريك بامرهِ فنسأل

الله الواحد القهار ان يجريك" ثم امر القاضي الناس ان يعبروا النهر ففعلوا ومشى المطران والكهنة في مقدمة المسيحيين ومشى الحاخامون في مقدمة اليهود واجتمعت الطوائف الثلاث في جامع عمرو حيث ابتهلوا الى الله وتضرعوا اليهِ ليشفق عليهم ويمنَّ بالفرج

يقول كاتب هذه الرواية وليست هذه المرة الوحيدة التي اجتمعت فيها تلك الطوائف في الجامع المذكور ليدعوا الله فقد رأيت بعيني المسلمين والمسيحيين واليهود مجتمعين فيهِ مشتركين في الصلاة والدعاء وعندي ان الله استجاب صلواتهم المشتركة

ولم يمضِ زمن طويل حتى جاءت البشائر من الشلالات تنبئ بارتفاع ماء النيل في تلك الاصقاع ثم اخذ النيل يرتفع في مصر حتى فاضت ضفتاهُ فارتوت الارض العطشانة وابشر الفلاح بقرب الفرج وسقط مطر غزير فغسل الارض والاشجار من ادرانها وذهب بالغبار وانقضى الوباء . وفي تلك الاثناء عاد عمرو يصحبهُ رستم وماري وفيلبس وهاشم

ولمَّا صفت الاكدار احتفل بقران اوريون وباولين وفيلبس وهيلانة ورستم ومانداني احتفالاً نادر المثال. ووقف عمرو على المشروع الذي وضعهُ اوريون في تقسيم الاطيان فاعجبهُ وسرَّ بهِ فاثنى عليهِ واقامهُ مقوقساً مكان ابيهِ فانتقل بزوجتهِ الى الاسكندرية ومعهما ماري ابنة اخيهِ ومهذبتها .وكانت باولين قد قصَّت عليهِ ما فعلتهُ كاترينا لحزن عليها حزناً شديداً وحفظ لها في قلبهِ اجمل ذكر ورزقا ولداً ذكراً عنيا بتربيتهِ احسن تربية ورأى البطريرك ان لا فائدة من مناوأة اوريون فصالحهُ ولمَّا ولد ابنهُ تولى عمادهُ وكان لهُ عراباً وسماهُ جريج على اسم جدهِ

امَّا فيلبس فرحل بعروسهِ وامها الى الاسكندرية حيث تفرغ لمهنتهِ بجدهِ المعتاد محسناً الى الفقراء ومكرماً من الجميع وظل الى آخر حياتهِ صديقاً حميماً لاوريون واهل بيتهِ ولمَّا ماتت ام هيلانة دفنوها في قبر زوجها روفينس

واجزل اوريون العطاء لرستم ووهبهُ شيئاً كثيراً من المال فاقترن بمانداني وعاد الى بلادهِ فاشترى ضيعة واهتم بتربية الماشية والسائمة ورزق اربعة بنين سماهم هاشماً وفيلبس ورستم وروفينس

وشفي الضابط ابن اخي يوستينوس الوزير من جراحهِ بعناية دورا فباح لها بحبهِ وكانت تعلم انهُ احبها قبل ان تزوجت باخيهِ المتوفى فقبلتهُ زوجاً واحتفل بقرانهما في مصر واهدتهما باولين الزمردة الكبيرة التي اعيدت من القسطنطينية

ولم ينسَ الناس في مصر عروسة النيل ولا يزال اهل القاهرة يصنعون دمية من الطين يسمونها العروسة ويطرحونها في النهر ليلة نزول النطقة . انتهى

الطب والنظافة

والاحاديث النبويّة والاحكام الشرعيّة

اطّلعت على ما كتبهُ الدكتور ابرهيم شدودي في اسباب امراض العيون في القطر المصري وما قصد اثباتهُ من ان الاسلام يوجب التداوي والنظافة فاردت ان اعزز قولهُ بجمع بعض الاحاديث النبوية والاحكام الشرعية التي توجب النظافة والمعالجة وهي :

في الجامع الصغير للسيوطي " ان الله تعالى حين خلق الداء خلق الدواء فتداووا". رواهُ الامام احمد . وقال في الحاشية للحنفي اي بإخبار الطبيب العارف مع ملاحظة انهُ سبب وان الذي يشفي حقيقةً هو الله تعالى

وفيهِ " ان الله تعالى لم يضع داء الَّا وضع لهُ شفاء فعليكم بالبان البقر فانها ترمُّ من كل الشجر " . رواهُ الامام احمد

وفيهِ " تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الَّا وضع لهُ دواء غير داء واحد الهرَم " . رواهُ الامام احمد واصحاب السنن الاربعة وغيرهم . وقال في الشرح اي اطلبوا الدواء واسألوا الحكماء عما يناسب ما بكم . قولهُ تداووا الحديث فلا ينبغي اهمال التداوي للتوكُّل ولذا مرض سيدنا موسى عليهِ السلام فقالت لهُ بنو اسرائيل تداوَ بكذا فقال لا اتداوى بقولكم بل بالوحي . وانمَّا انتظر الشفاء من الله تعالى فلم يحصل لهُ الشفاء فنزل الوحي عليهِ اتريد ان تبطل حكمتي التي وضعتها في العقاقير فمن خلق العقاقير غيري فانا الذي خلقتها واخلق الشفاء عند تعاطيها . ولا يرد على ذلك قول الصديق رضي الله تعالى عنهُ حين قالوا لهُ انأتي لك بطبيب فقال انهُ نظر لي فقالوا ماذا قال. فقال قال لي انا الفعَّال لما أُريد . اي انهُ علم بنور قلبهِ انهُ قرُب اجلُهُ فلم ينفعهُ الدواء. وكذا اهل الله تعالى منهم مَن يطلعهُ الله تعالى على عدم نفعهِ بالدواء فيتركهُ . اما من لم يبلغ هذا المقام فلا يترك هذا التداوي نظرًا للتوكل . انتهى عن الجامع الصغير

من شرح المشكاة لملاَّ علي قاريء عن سعد رضي الله عنهُ قال مرضت مرضًا اتاني النبي صلى الله عليهِ وسلَّم يعودني فوضع يدهُ بين ثدييَّ حتى وجدت بردها وقال انك رجل مفؤُود ائتِ الحارث بن كلَدة اخا ثقيف فانهُ رجل يتطبَّب (اي يعرف الطب مطلقًا او هذا النوع من المرض فيكون مخصوصًا بالمهارة والحذاقة . قال الشراح وفيهِ جواز مشاورة اهل الكفر في الطب لان الحارث مات في اول الاسلام ولم يصح اسلامهُ) فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فيجأهنَّ (اي يكسرهنَّ ويدقهنَّ) بنواهنَّ ثم ليلدَّك (من لدَّ الدواء اذا صبهُ في فمهِ

واللدد ما يُصَب من الادوية في احد شقي الفم) قال القاضي وانما امر الطبيب بذلك لانهُ يكون اعلم باتخاذ الدواء وكيفية استعمالهِ . قال التوريشتي وانما نعت لهُ العلاج بعد ما احالهُ على الطبيب لما رأى هذا النوع من العلاج ايسر وانفع او وثق على قول الطبيب اذا رآهُ موافقاً لما نعتهُ (رواهُ ابو داود)

وروى الامام مسلم في صحيحهِ بسندهِ عن عاصم بن قتادة قال جاءنا جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما في اهلنا ورجل يشتكي خراجاً بهِ او جراحاً فقال ما تشتكي فقال خراج فيَّ قد شقَّ عليَّ فقال يا غلام ائتني بحجَّام فقال لهُ ما تصنع بالحجام يا ابا عبد الله قال اريد ان اعلق بهِ محجماً . قال والله ان الذباب ليصيبني فيؤذيني ويشق عليَّ . فلما رأى تبرُّمهُ من ذلك قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليهِ وسلم يقول ان كان في شيء من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة عسل او لذعة بنار . قال فجاء الحجام فشرطهُ فذهب عنهُ ما يجد

وفيهِ عن جابر رضي الله عنهُ عن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال " لكل داء دواء فاذا أُصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى " قال الامام النووي رحمهُ الله تعالى في هذا الحديث اشارة الى استحباب الدواء وهو مذهب اصحابنا وجمهور السلَف وعامَّة الخلَف . قال القاضي في هذه الاحاديث جملة من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب في الجملة واستحبابهُ بالامور المذكورة في هذه الاحاديث التي ذكرها مسلم وفيها ردٌّ على من انكر التداوي من غلاة الصوفية وقال كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة الى التداوي . وحجة العلماء هذه الاحاديث ويعتقدون ان الله تعالى هو الفاعل وان التداوي هو ايضاً من قدَر الله وهذا كالامر بالدعاء وكالامر بقتال الكفَّار وبالتحصُّن ومجانبة الالقاء باليد في التهلكة مع ان الاجل لا يتغيَّر والمقادير لا تتأخَّر ولا تتقدَّم عن اوقاتها ولا بدَّ من وقوع المقدرات

وفي شرح المشكاة روى البزار عن عروة قال قلت لعائشة رضي الله عنها اني اجدكِ عالمة بالطب فمن اين فقالت ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم كثرت اسقامهُ فكانت اطباء العرب والعجم ينعتون لهُ فتعلمت ذلك . انتهى

هذا من حيث الطب والتداوي اما حيث النظافة ففي الجامع الصغير للسيوطي " احسنوا لباسكم واصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس " رواهُ الحاكم . " واغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فان بني اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم " رواهُ ابن عساكر . " الاسلام نظيف فتنظفوا فانهُ لا يدخل الجنَّة الا نظيف " رواهُ الطبراني في الاوسط . قال الحفني قولهُ فتنظفوا اي حسًّا او معنًى ولذا وجد سيدنا عمر

في فناء دار ابي سفيان قمامات فضربهُ بالدرَّة وامرهُ بتنظيفها فقال الناس لوكان ذلك في غير هذا الزمن لحصل ما حصل اي لان ابا سفيان كان من كبار قريش وسيدنا عُمر لا يراعي في الله كبيرًا ولا صغيرًا . " انكم قادمون على اخوانكم فاصلحوا رحالكم واصلحوا لباسكم حتى تكونوا كانكم شامة في الناس فان الله لا يحبُّ الفحش ولا التفحُّش" . رواهُ الامام احمد والحاكم وغيرها . " ان الله تعالى جميل يحبُّ الجمال " قال المحشي قولهُ يحب الجمال اي التجمل في الهيئة وهذا يطلب تأخير نحو الزيَّات في آخر المسجد لئلاَّ يتضرَّر بهِ من يقربهُ فقول من يدَّعي التصوُّف المطلوب تنظيف القلوب بدل الثياب جهل بسنتهِ صلى الله عليهِ وسلم . " ان الله تعالى يحب الناسك النظيف رواهُ الخطيب " وفي كنز الحقائق للعلامة المناوي " النظافة تدعو الى الايمان " رواهُ الطبراني

هذا من حيث الطب والنظافة وقد رأيت في احياء العلوم لحجَّة الاسلام الشيخ محمد الغزالي وشرحهِ للسيد محمد مرتضى الحسيني ما يوجب تعلُّم الطب وهو قولهُ

في بيان العلم الذي هو فرض كفاية اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنهُ في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانهُ ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها (فان في كل منها مسائل يحتاج في معرفتها الى علم الحساب ولهذه الضرورة اعدَّ الملوك مواضع خاصَّة بالمرضى ورتَّبوا على ذلك اوقاتًا واول من عمل ذلك في الاسلام الوليد بن عبد الملك ذكرهُ ابو بكر احمد بن علي الحلواني في لطائف المعارف وعينوا القسمة التركات والمواريث قضاة يتولون ذلك خاصَّة دون غيرهم) وهذه هي العلوم التي لو خلا عمَّن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجَّب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضًا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد من الحجَّام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريض انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعمالهِ واعدَّ الاسباب الى تعاطيهِ فلا يجوز التعرُّض للهلاك باهمالهِ واما ما يُعدُّ فضيلة فالتعمُّق في دقائق الحساب وخفايا الطب وغير ذلك ممَّا يستغنى عنهُ ولكنهُ يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليهِ انتهى

هذا ما رأيت جمعهُ من الاحاديث النبويَّة والاحكام الشرعيَّة الدالة على وجوب التداوي والنظافة وعلى ان تعلم الطب فرض لا بدَّ منهُ لكل بلد

احد القراء

باب الزراعة

دودة القمح وعلاجها

سأل سائل في الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين من المقتطف عن دودة سوداء تظهر في الحنطة باراضي اميون من اعمال لبنان وذكر انها صغيرة تشبه دود الحرير في اول ادوارهِ وفي آخر اذار (مارس) لا يعود لها اثر. وطلب ارشادهُ الى دواء او واسطة تقي الزرع منها او تمنع ظهورها فيهِ. وكان جواب المقتطف ان وصفهُ هذا لا يكفي لمعرفة نوع الدودة وطبائعها لينظر في علاجها. ومع ذلك سرد بعض الوسائط الواقية حقيقة من هذا الداء الفتاك الى آخر ما جاء في جوابهِ. وقد خطر لي حين تلاوة سؤالهِ انهُ يعني دودة القمح الفتاكة بمحصولات هذه البلاد. واذا كان الامر كذلك فها تذييل لجواب المقتطف تتميماً للفائدة فنقول

ان دودة القمح الشهيرة ببلاد الشام هي الدودة التي تظهر في مزروعات الحنطة حينما يبدأ الزرع في النمو ويعلو حتى يغطي الارض ومنشأُها الزرع نفسهُ فهي تتوالد فيما بين لفائف النبات ويتكاثر نسلها حسب استعداد الارض وقد تبتدئ في عملها من اعلى القصبة الى اسفلها فاذا كانت الارض مستعدة لتقوية الزرع ومقاومة الدودة وكان الجو بارداً وكثرت الامطار تغلَّب نمو الزرع على الدودة ونجا منها وبعد اسبوع او اسبوعين يخضرُّ بعد اصفرارهِ ويغدو كأَن لم تصبهُ آفة ما واما اذا كانت الارض متعبة بالزراعة ومهملة خدمتها فتتغلب الدودة على الزرع وتصل الى اصولهِ فيصفر بعد اخضرارهِ. وكلما هبَّت الريح تسمع لهُ هشيشاً كهشيش الزرع عند حصادهِ. وقد يسلم منهُ ما كان على اطراف الحقل بجانب الطريق او ما هو داخلهُ وارضهُ مزبلة ولو بالصدفة امَّا بنزول الغنم فيهِ او بنحو ذلك وهذا يثبت ان التزبيل يفيد القمح وينجيهِ من فتك هذه الدودة

وقد لاحظنا مراراً ان هذه الدودة تتولد من نفس الورق. وذلك اننا جئنا الى بقيع من الزرع دخلتهُ الدودة ومسكنا ورقة وفحصناها فحصاً جيداً فوجدنا الدودة فيها كأَنَّ يداً شقت الورقة وغلفت تلك الدودة بها ودققنا النظر فلم نجد في الورقة خدشاً ولا شقًّا بل كان جميع الورقة اخضر سليم من كل الشوائب سوى محل الدودة وكذلك فحصنا غيرها من الاوراق وتعدد فحصنا فوجدنا النتيجة كما شرحنا يعني ان الدودة تتولد داخل الورق وهي ان كان رأسها الى الاسفل تعيش وتأكل وهي داخل الورق حتى تصل الى القصب من الزرع وتتلفهُ واذا كان

رأسها الى الاعلى فلا تضر لانها تصل الى طرف الورقة العلوي وتنفذ منها بدون ان تضر بالقصبة

وما وصف بهِ الخواجه حنا حكيم دودتهُ نظن انهُ يقع على هذه الدودة سواءٌ كانت متولدة في الساق او داخل الاوراق . ونزيد على وصفهِ بكونها تشبه دودة الحرير في اول ادوراها انها تشبه ايضاً دود التفاح ولكنها اصغر منهُ قليلاً وجسمها مبسط خلاف دودة التفاح المبرومة الهيئة ومن جملة صفاتها ايضاً انهُ يكون حولها اشياء صغيرة مثل بزر الدخان او بزق الذبان وهذا على ما نظن اما ان يكون فضلات لها او بزوراً يتكاثر نسلها بها اذا سنحت لهُ الفرصة

هذا ما كان من وصف دودة القمح الشهيرة فلنشرح الآن سبب ظهورها في الزرع فنقول. ان المسبب لظهور هذه الدودة في القمح هو إتعاب الارض بالمزروعات وعدم الاعتناء بخدمتها وتسميدها او عدم اراحتها من الزراعة مدة كافية لكي تستفيد وتعوض ما صرفتهُ من المواد المختلفة الموقوف نمو المزروعات عليها . فلنأخذ هذه السنة ارضاً بكراً ونزرعها زراعة شتوية يعني قمحاً او شعيراً وفي السنة التالية نكربها يعني نصيفها (والكراب هو حرث الاراض ثلاث مرات او مرتين على الاقل وبعدها رمي البذار وحرث الارض) ونزرعها بمثل الذرة او السمسم او البطيخ او القرع وما شابه من المزروعات الصيفية ونعيد ذلك مرتين او ثلاث يعني نزرعها على فصلين كل سنتين ونعيد ذلك مرتين او ثلاث مرات او اكثر فالارض الجديدة لا بدَّ ان تصرف ما فيها من القوت في هذه السنوات الست او اكثر او اقل حسب نوعها وقوتها وضعفها فتبطئ بالزرع وتؤخر نموهُ حتى يجيء الوقت المعين لظهور الدودة "وهو على الغالب شهر اذار" وتفعل ما تفعل بالمزروعات

فهذه هي حالة الارض البكر الجديدة التي لم ترَ الزراعة او رأتها وبوّرت عدة سنين فكيف يحل يا ترى بالارض المستعملة على الدوام بدون خدمة واعتناء كما هو جارٍ عندنا الآن . فهي لا شك تفلس وتضن على الفلاح وتضيع لهُ بذارهُ واتعابهُ . والارض التي حالتها كذا فهي عوضاً عن ان تكون معرضة للدودة فخصبها قليل وزرعها نحيل وفلاحها فقير

هذا ويوجد لمنع هذه الدودة وسائط جمة ومنها ما وصفهُ المقتطف ونزيد عليها ما هو آتٍ فنقول قاسمين ذلك الى ثلاثة اوجه . الوجه الاول . اقسم ارضك الى قسمين احدهما شتوي والثاني صيفي وبعدها شلّف الارض الشتوية يعني ازرعها ثانية في السنة الثانية زرعاً شتوياً كالحنطة والشعير والعدس وما اشبه وكذلك افعل بالنصف الثاني واجعلهُ كربتين يعني ازرعهُ زرعاً صيفياً على سنتين متواليتين . واحسن مزروعات الصيف ما طالت جذورهُ كالسمسم والبطيخ والقرع وما اشبه لان جذور هذه النباتات تكون طويلة وتغتذي من الارض بصورة

نسبية بحيث تبقى خواص في الطبقة الاولى (ولنفرض الطبقة الاولى عشرة سنتيمترات والثانية عشرين) التي لا تتجاوزها جذور القمح وذلك خلاف الذرة فهي على ما هي عليهِ من طول الساق والعلو وكبر العرنوس لا تمتص غذاءها الاَّ من الطبقة الاولى حيث يمتص القمح غذاءهُ وذلك لقصر جذرها وعدم نزولهِ في الارض كفاية بحيث ان يتلقى غذاءهُ مناصفة من الطبقة الاولى والثانية. ونحن هنا لا نريد بخس الذرة حقها والحط من قدرها وعدم الترغيب في زرعها بل اردنا بيان الافضلية بينها وبين غيرها بالنسبة الى موضوعنا . ومع ذلك فاذا كربت الارض مرتين بالذرة فقد تفي بما نريد ولكن كراب طويل الجذور افضل من كرابها . وبعد ان تفعل ذلك يعني بعد ما تزرع الارض على نصفين في سنتين كما شرحنا ومتى اوسمت الدنيا وبدأ الحراث احرث الارض المكروبة حنطة او شعيرًا حسبما تريد فلا يصيبها الدود وعند الكراب اكرب ارض الشلف وبحلول الشتاء في السنة التالية ابذرها قمحًا او شعيرًا فهذه ايضًا في الغالب لا تدود ولا سيما اذا كان كرابها جيدًا من ذوي الخمس حرثات وبعد ذلك اكرب هذه مرتين يعني صيفها صيفيتين، وشلف الاولى يعني ازرعها زرعًا شتويًا سنتين متواليتين وهكذا اجرِ المناوبة على القطعتين فارضك تسلم من الدودة على الغالب ولا يخلف ذلك الاَّ ما ندر . وهذه الطريقة معلومة عند اهل البر بالكربتين او التشليف وهي الشائعة بينهم لقرب تناولها مهما كانت عليهِ من المضرة في المحصول الشلفي لان الارض اذا كرر زرعها قمحًا اوشعيرًا فمحصولها ولو سلم من الدودة يكون نصف محصول او اقل

وسبب تأثير الكراب على سنتين في الدودة هو كون الارض تُكرب وتُخدم وتحرث مرارًا وتستريح من زراعة القمح حولين توفر وتخزن في غضونهما المواد اللازمة للقمح لان ما يحتاجهُ السمسم والذرة والقرع وما شابه من المزروعات الصيفيَّة من المواد الكيماويَّة يختلف بنوعهِ ومقدارهِ عمَّا يحتاج اليهِ القمح منها. وهنا قد سلَّمنا بهذه المسألة يعني بكون الكراب لكثرة خدمتهِ وحراثهِ المترادف وراحة الارض يكون سببًا لتقوية الزرع وقتل الدودة ولكن ما الذي نعبّرهُ بمسألة الشلف لانهُ ايضًا يمنع ظهور الدودة بلا منازعة ولا خلاف فلا نرى سوى طريقة واحدة وهي بحدّ ذاتها لا تثبت لنا شيئًا اكيدًا ولكن سنوردها للاطلاع عليها

لا شك ان للدودة اوانًا تظهر فيهِ كما بيَّنَّا سالفًا وانها قد تضر بالزرع اذا كان في شبتهِ الاولى عن الارض يعني اذا كانت القصبة في اول نموها وكان علوها عن الارض ما بين العشرين والخمسة والعشرين سنتمترًا يعني ما بين الشبر والفتر وما قاربهما وعلى ما نظن ان كل من عني بمسألة الزراعة يوافق على ذلك فلماذا يا ترى لا تضر الدودة بزرع الارض الشلف ولو كان كبرهُ

نحو خمسة وعشرين سنتيمترًا كما اشرنا . والجواب عن ذلك امَّا ان تكون الدودة مركبة من عناصر مختلفة اغلبها توجد في القمح وما زال القمح زرع مرتين متواليتين في الارض الواحدة واخذ اكثر العناصر والمواد النافعة لهُ في اول سنة فما اخذهُ منها في السنة التالية لا يكاد يكفيهِ لدرجة النشوعن الارض لا لدرجةٍ تجعلهُ صالحًا ليتولد منهُ حيوان تراكيب جسمهِ من نفس ما ركب منهُ هو ايضًا . وامَّا ان يكون السبب خلاف ذلك ممَّا ندعو فضلاء المقتطف الى البحث فيهِ لكونهِ من الابحاث العلميَّة العميقة التي لا مجال لنا لخوضها

الوجه الثاني — يسمى التغطيس يعني زراعة الحنطة بعد ايام عيدالغطاس عند المسيحيين ويصادف ذلك اواسط كانون الثاني (ديسمبر). وليس يخاف ان المقصود برمي البذار في هذا الوقت هو كي يكون متأخرًا عن ميعادهِ ويأتي ميقات ظهور الدودة وقدكاد الزرع يشرع بالانبات ولا يزيد طولهُ عن ١٠ سنتيمترات ولا تكون القصبة متجسمة حينئذٍ فالدودة طبعًا لا تتوفر لها المواد الضرورية لنموها ويسلم الزرع منها . ولولا وجود محذورين مهمين من استعمال هذه الطريقة لكانت تفي بالمطلوب وتفوق عملية الكربتين وهذان المحذوران هما اولاً ان الفلاح لا يتيسر لهُ ان يزرع ارضهُ كلها ولا نصفها وذلك لضيق الوقت ومداهمة فصل الربيع . ثانيًا ان الزرع الغطاسي يكون في الغالب معرَّضًا للعطش في السنين التي يعز المطر في اواخرها ويمضي الشتاء وينقضي الربيع قبل ان يشبع ويروى من الماء فيقل محصولهُ وتضعف نشأتهُ وتضيع الفائدة منهُ . فلهذين السببين يقتصر الفلاحون دائمًا على هذه العملية في قطع مخصوصة تكون من عادة دودتها الفتك الذريع بالمحصول ويكون كرابها عسرًا على صاحبها لفقرهِ ولعدم اقتدارهِ

الوجه الثالث — قلب الارض يعني بحثها واخراج الطبقة السفلى من التراب وجعلها عليا وتخفيض العليا وجعلها سفلي فبهذه العملية كأَنَّ الفلاح تمكن من ايجاد ارض جديدة مستريحة مدة سنوات وفرت بها خواصها . فنحن اذا استحضرنا محراثًا افرنجيًّا يغور في الارض مقدار عشرين سنتيمترًا ويقلب اعلاها اسفلاها وقلبنا بهِ الارض ثم بذرناها قمحًا وحرثناها بالمحراث البلدي العادي المعلوم (والموجود على هيئتهِ من ايام سيدنا ابرهيم بدون تغيير) فيكون القمح مزروعًا في الطبقة الاولى لان محراثنا لا يصل الَّا الى عمق عشرة سنتيمترات او ثلاثة عشر سنتيمترًا في الارض فلا شك ان الزرع يخصب ويسلم من الدودة . والمقصود بحرث الارض بالمحراث البلدي بعد رمي التقاوي هو كون القمح لا يلزمهُ تغمير في التراب اكثر ممَّا يغمرهُ فيهِ هذا المحراث لاننا لو بذرنا الحنط وحرثنا عليها بالمحراث الافرنجي فالغالب ان القمح يبطئ عن الظهور على وجه الارض وربما يضيع منهُ حبوب كثيرة لكونها تتخمر . وننبه على الفلاح

ان لا يأتي هذا الامر اصلاً بل يلزم الطريقة التي كيَّفناها وبيناها اعلاهُ لكونها اسهل واتم واوفر في العمل لان المحراث الافرنجي مكلف نوعاً بخلاف البلدي وليس لهُ فائدة في الحرثة الثانية حين رمي البذار

وقلب الارض على هذا الوجه ينشل الزرع من خطر الدودة مدة ثلاث سنوات او اربع وبعدها نرجع ونعيد قلبها ثانيةً بالسكة الافرنجيَّة كما مرَّ آنفاً ولكن الاحسن انزال سلاح السكة الى ثلاثين سنتمترًا واكثر حين اللزوم اذا امكن ونعيد ذلك في كل برهة من السنين. وقد تقضي السكة الافرنجيَّة الوظيفتين بهذا الامر يعني اذا استعملناها اولاً لقلب الارض فمن الممكن ايضاً ان نستعملها لحراثتها بعد رمي البذار حتى لا تغور في التراب اكثر من السكة البلديَّة وذلك يحصل برفع سلاح السكة الى الاعلى بواسطة مسمار يدير هذه الوظيفة . وكل فلاح اسعدهُ الزمان واستعمل هذه الآلة الزراعيَّة يعلم ذلك . وقد افلحت هذه السكة في بلادنا ومستعمرو الافرنج ومهاجرو الموسويين هنا لا يستعملون غيرها . وهي قد مثلت لنا الفرق بينها وبين آلتنا القديمة العهد وقلما ظهرت الدودة في الاراضي التي حرثت بها . ولكن لا عبرة لمن لم يعتبر . ولعمري ان هذا الامر من الغرائب لاننا نرى ان الدودة تفعل بمزروعات بلادنا افعالاً ذريعة حتى انها تضيع على الحكومة ما ينيف عن العشر من وارداتها ان لم نقل الخمس في كثير من الاحيان وهي لا تقاوم هذا الامر بشيء فالدودة اذًا تهلك لنا في كل سنةٍ واردات اكثر من واردات كريد او اكثر من واردات البانيا او اكثر من واردات مكدونيا . فنحن والحالة هذه كاننا نخسر كريد او غيرها من الولايات في كل سنة بدون ان نتفكر بطريقة لحمايتها وصيانتها . هذا ونذكر القارئ تكرارًا بطريقة التزبيل والتسميد التي ذكرها المقتطف كما اشرنا . واني بلسان عجزي ادعو كل من اطلع على رسالتي هذه ان ينتقد ما يستحق الانتقاد فيها . ورب مجرب اعلم من طبيب ولا سيما في موضوعنا هذا

القدس الشريف احد قراء المقتطف

[المقتطف] لقد اجاد حضرة الكاتب الفاضل وافاد ولم نكن نعلم ان هذه الدودة تفتك هذا الفتك في بلادنا ويظهر من وصفهِ اياها انها من جنس الدود المعروف في اوربا واميركا بدود الحنطة وسنصف هذا الدود وكيفية وضعهِ بيضهُ في نبات القمح وسائر طبائعهِ في جزء تالٍ

اما الاساليب التي اشار بها لنجاة الحنطة من فتك هذه الدودة فعمليَّة معقولة كلها ولا بدَّ من ان يكون الكاتب قد عرف فائدتها بالاختبار وحبذا لو اذن لنا في التنويه باسمهِ

تسمين المواشي

ابنا في الجزء الماضي انواع العلف المختلفة ونسبة بعضها الى بعض من حيث مقدار الغذاء الذي في كلٍّ منها وهناك فوائد اخرى من هذا القبيل

ما دامت المواشي صغيرة السن آخذة في النمو لا ينتظر ان تسمن كثيرًا لان الغذاء يتحوَّل حينئذٍ الى انمائها ولذلك لا يكون من الحكمة ذبح العجول الصغيرة ولا محاولة تسمينها قبلما تبلغ السنة الثالثة من عمرها ولا محاولة تسمين حملان الغنم قبلما يمضي عليها الحول

وقد قابل السر جون لوز الغنم المسمَّنة قليلاً بالمسمنة كثيرًا وبغير المسمنة فوجد بينها الفروق التالية : لنفرض ان وزن الخرفان كان الف رطل فوزن ما فيها من اللحم والدهن والاحشاء كما ترى في هذا الجدول

	غير المسمنة		المسمنة قليلاً		المسمنة كثيرًا	
وزن الكرش وما فيهِ	٩١	رطلاً	٧٠	رطلاً	٥٦	رطلاً
المصارين وما فيها	٥٣	«	٣٨	«	٢٨	«
الشحم	٤٥	«	٦٠	«	٧٥	«
القلب والكبد والرئة والطحال والدم	٨٤	«	٧٧	«	٦٥	«
بقيَّة الفضلات	١٧٩	«	١٦١	«	١٣١	«
اللحم والدهن	٥٣٤	«	٥٨٧	«	٦٤١	«
الخسارة بالتبخُّر	١٤	«	٧	«	٤	«
والجملة	١٠٠٠		١٠٠٠		١٠٠٠	

ويظهر من ذلك باجلى بيان ان التعليف يزيد لحم الحيوانات ودهنها وشحمها بالنسبة الى مجمل وزنها فاذا رأينا خروفين وزن كلٍّ منهما مئة رطل مصري واحدهما معلَّف والآخر غير معلَّف فالمعلَّف فيهِ من اللحم والشحم والدهن ٧١ رطلاً وغير المعلَّف فيهِ منها ٥٧ رطلاً فاذا بيع غير المعلَّف بسبعة وخمسين غرشًا وجب ان يباع المعلَّف بواحد وسبعين غرشًا هذا اذا فرضنا ثمن الرطل من اللحم السمين مثل ثمن الرطل من اللحم الهزيل واذا كان اللحم السمين اغلى من اللحم الهزيل كما هو الواجب فثمن الحيوان السمين يجب ان يكون مضاعف ثمن الحيوان الهزيل اذا تساويا وزنًا . وما يصدق على الغنم يصدق على البقر ايضًا

ثم ان معدة البقر وامعاءها اثقل من معدة الغنم وامعائها بالنسبة الى وزنها فاذا كان وزن الغنم الف رطل ووزن البقر الف رطل فوزن معدة الغنم وامعائها اي كرشها ومصارينها نحو مئة رطل ووزن كرش البقر ومصارينها نحو ١٤٣ رطلاً ولذلك فمعدة البقر تسع اكثر من معدة الغنم بالنسبة الى وزنهما ولا بدَّ من ان يكون علف البقر كبير الحجم ليملأ معدتها وامعاءها وعلف الغنم كثير الغذاء لانها لا تستطيع ان تأكل كميَّة كبيرة منهُ

مستقبل الزراعة المصرية

ان حال الزراعة المصرية على ما يسرُّ الصديق ويسيءُ العدو لسببين كبيرين الاول انتظام الري والصرف والثاني غلاء الاسعار ولذلك ارتفع ثمن الاطيان جدًّا حتى ان الفدان الذي كان يباع منذ خمس سنوات باربعين جنيهاً او خمسين اصبح ثمنهُ الآن من ثمانين جنيهاً الى مئة وارتفع ايجارها على هذه النسبة تقريباً فالفدان الذي كان يؤجر باربعة جنيهات او خمسة صار يؤجر بستة او سبعة

اما الري والصرف فامرهما ثابت او هو آيل الى زيادة الاتقان لان مياه الري ستزيد مقداراً في ايام التحاريق بواسطة الخزان حتى تقصر المناوبات او تزول . وستنشأ المصارف في كل مكان يحتاج اليها ولو دعت الحال الى انشاء مصرف كبير في لحف الجبل الغربي يمتد من المديريات الوسطى الى بحر الروم

واما اسعار الحاصلات فامرها مجهول وهو محلُّ الخوف الشديد ولاسيما سعر القطن الذي عليهِ المعوَّل في ايفاء الاموال الاميريَّة وديون الفلاحين فان الاموال الاميرية التي توفى من ثمن القطن تبلغ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وجانب كبير من الاطيان التي اشتراها الفلاحون في الوجه البحري والمديريات الوسطى لا يزال مرهوناً في البنوك وعند الدائرة السنيَّة والدومين واقساط الرهن توفى من ثمن القطن ايضاً فاذا هبط سعرهُ عجز الفلاح عن ايفاء المال والدين لاسيما وان اجرة "الانفار" زادت اكثر من خمسين في المئة بارتفاع الاسعار ولا يمكن ان تعود الى حالها الا تدريجاً واما سعر القطن فيمكن ان يهبط في شهر واحد عشرين او ثلاثين في المئة

وهبوط سعر القطن من الممكنات بل من المرجحات لان الذي رفعهُ في هذه السنوات الاخيرة وقوع العجز الكثير في محصول اميركا فاذا اتسعت مساحة الارض التي تزرع قطناً هناك وزاد المحصول حتى بلغ ١٣ مليون بالة هبط سعر القطن الاميركي كثيراً وهبط معهُ سعر القطن المصري. ولا يبعد ان يعود ثمن القنطار جنيهين لا غير. وقد لا يحتمل ان يهبط اكثر من ذلك

لشدَّة الحاجة اليهِ ولامتيازهِ الكثير على القطن الاميركي ولكن اذا بلغ ثمن القنطار جنيهين فقط فالاسعار الحاضرة للاطيان تصير غالية بالنسبة الى ثمن المحصول ولاسيما لان المصاريف لا تهبط بهبوط الاسعار . ويقع الفلاح في ضنك شديد لانهُ يضطر ان يدفع الاموال الاميرية واقساط دينهِ في اوقاتها من غير نقص

وواضح مما تقدَّم ان المالك الذي لا دين على اطيانهِ لا تسوء حالهُ كثيرًا بهبوط الاسعار لان غاية ما ينتج عن هذا الهبوط. ان الفدان الذي يبلغ ايجارهُ الآن ثمانية في المئة من ثمنهِ الحاضر يصير ايجارهُ خمسة في المئة لا غير ولكن الضرر الكبير يقع على المالك الذي على اطيانهِ دين رباهُ ستة اوسبعة في المئة فان ايجار اطيانهِ لا يعود يكفي ربا الدين فيحجز وتباع بثمن بخس

هذا الامر يراهُ جليًّا كل من يبحث في حالة البلاد الاقتصادية ويلوم الذين غالوا في اسعار ما يشترونهُ من اطيان الدائرة السنيَّة والدومين حتى صار يخشى عليهم من الافلاس اذا هبطت اسعار الحاصلات او تلف المحصول سنة واحدة لسبب من الاسباب

فوائد التوت

ابنا في النبذة السابقة ان الاعتماد على القطن وحدهُ لا يخلو من خطر كبير على اهل الزراعة اذا هبطت اسعارهُ كما يرجح ان تهبط اذا جاد موسم اميركا . ومعلوم انهُ لا يصح الاعتماد على غير القطن من الحاصلات التي لا سوق لها في غير القطر المصري او التي ثمنها رخيص بالنسبة الى ثقلها فيضيع جانب كبير من ثمنها الذي تباع بهِ في اجرة نقلها . واول شيء يخطر على البال اهمال المصريين لزرع شجر التوت وتربية دود الحرير لاسيما وانهُ يمكن ان يزرع جانب كبير من الشجر حول المصارف والمساقي وعلى حدود الاطيان فلا تشغل الارض . ويظهر باقل حساب انهُ يمكن ان يزرع حول كل مئة فدان وعلى جوانب ترعها ومصارفها وسككها نحو الفي شجرة من شجر التوت ويربَّى عليها الفا درهم من بزر القز يكون حاصلها باقل التقديرات خمسة آلاف اقة ثمنها نحو ٦٠٠ جنيه يعطى نصفها للشركاء الذين يربون الدود فيبقى منها للمالك نحو ثلثمئة جنيه في السنة وتبقى زراعة الاطيان على حالها. فهذا ربح كبير لا يقلُّ عن ربح القطن ولا يخشى على الحرير من الكساد

ثم ان من شجر التوت فائدتين اخريين الاولى ان ورق التشارين وجزَّة القز علف جيد للمواشي يغنيان عن البرسيم حين لا يكون البرسيم ويغلو ثمن العلف . والثانية ان قضبان التوت وقود جيد جدًّا تغني عن حرق الجلَّة وعن الفحم الحجري ايضًا فتوفر السباخ البلدي وثمن الفحم

وحبذا لو اهتمت الحكومة بعضد الذين يزرعون التوت كأن تعفيهم من بعض الضرائب او تسهل لهم سبل زرعهِ بوسائط اخرى لانهُ ما من بلادمن البلدان الاّ وانفقت اموالاً طائلة على ادخال تربية دود الحرير اليها

القمح ونيترات الصودا

ابان السر وليم كروكس في خطبتهِ الشهيرة التي خطبها لما كان رئيساً لجمع ترقية العلوم البريطاني ان آكلي القمح سيزيد عددهم اكثر مما تزيد غلتهُ فيغلو سعرهُ جدًّا ما لم يلجإِ الناس الى واسطة يزيدون بها غلة الارض وقال ان هذه الواسطة ميسورة وهي سمد الارض التي تزرع قمحاً بنيترات الصودا وانهُ اكتشف اسلوباً كيماويًّا لعمل المقادير الكبيرة من نيترات الصودا حتى يرخص ثمنها ويسهل استعمالها سماداً

وقد امتحنت مصلحة الدومين نيترات الصودا في بعض الاراضي الضعيفة في الوجه البحري بناحية دمرو فسمدت ١٨ فدانًا و١٨ قيراطاً بنيترات الصودا و١٨ فدانًا و١٨ قيراطاً بالسباخ البلدي وابقت ١٨ فدانًا و١٨ قيراطاً من غير تسميد فكانت غلّة كل قسم منها من الحنطة والتبن كما ترى في هذا الجدول

	المسبخة بنيترات الصودا	المسبخة بالسباخ البلدي	غير المسبخة
قمح	١٠٠ اردب و١٦ ربعاً	٧١ اردبًّا	٦٧ اردبًّا و١٩ ربعاً
تبن	٥ احمال و٧٤ اقة	٣ احمال و٩٢ اقة	٣ احمال و٦١ اقة
فغلة الفدان قمحاً	٥ ارادب و٨ ارباع	٣ ارادب و١٨ ربعاً	٣ ارادب و١٤ ربعاً

وكانت هذه الاطيان سباخاً فأُصلحت منذ بضع سنوات وغُسل الملح منها وفي طينها قليل من الرمل والجير وكان نيترات الصودا الذي استُعمل طنين بلغ ثمنهما الفي غرش وقد مزج قبل استعمالهِ بخمسة وخمسين قنطاراً من طمي الترع وسمدت الارض بهِ في ٢٧ يناير

اما السباخ البلدي فبلغ احد عشر متراً مكعباً لكل فدان واضيف الى الارض في ٢٧ و٢٨ يناير ورويت هذه الارض والارض الاولى بعد تسميدهما

وبلغ ثمن نيترات السودا ونفقات التسميد بهِ ١١٣ غرشاً لكل فدان واذا حسبنا ثمن الاردب من الحنطة ٩٠ غرشاً وثمن حمل التبن ٣٠ غرشاً فتكون الزيادة في غلّة الفدان المسمَّد ٢١٩ غرشاً يطرح منها ثمن السماد واجرة استعمالهِ فيبقى من استعمالهِ ١٠٦ غروش ربحاً . اما السباخ البلدي فلم يظهر من استعمالهِ ربح يذكر

وجرَّبت الجمعيَّة الزراعيَّة نيترات الصودا سماداً للقمح الهندي وذلك في ارض الجيزة وفي ميت الديبة فكانت غلة الفدان المسمَّد في الجيزة ٨ ارادب وغير المسمد ٦ ارادب و١٠ كيلات وغلة الفدان المسمد في ميت الديبة ٤ ارادب و٣ كيلات وغير المسمد ٣ ارادب . وكان ثمن سماد الفدان في الجيزة ثمانين غرشاً والزيادة في المحصول من القمح والتبن ١٢٥ غرشاً . وثمن سماد الفدان في ميت الديبة ٩٠ غرشاً والزيادة في المحصول من القمح والتبن ١٤٣ غرشاً

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

كتاب شكر الى القمر

انت ايها القمر وصفك قبلي الواصفون وتغنَّى بمديحك الشعراء والمغنون قديم العهد باخبار المحبين رقيق القلب ترثي لشكوى العاشقين صبوح الوجه طويل الاناة وقد خلقك ربي فابدع واحلَّك من سمائهِ المحلَّ الارفع تبدّد غياهب الظلام وتشرح صدور الآنام وتكسو الارض حللاً من اللجين واثواباً من البهاء وترسل اشعتك ارواحاً من اللطف تطير فوق الارض وتلثم وجنات الماء وانت كوكب الليل ومثال الجمال صديق المحبين والشاهد على وعودهم وعهودهم طلوعك موعد لقائهم واكتمالك ثمة هنائهم وابتسامك غاية رجائهم تحدث مدًّا وجزرًا في البحور ونبضاً وخفقاناً في القلوب والصدور فان قلت رفعك الله فقد سبقني الى الاجابة قبل الدعاء او قلت اطال بقاءك ارتفعت اصوات الالوف داعية لك بطول العمر فانت الطلق محياك الباهر سناك المرسل ضياك ولك الفضل والايادي البيضاء هنا وهناك

وليلة سارت بنا السفينة في تلك البحيرة فشقت عباب الماء يدفعها النسيم الرقيق وهو يبثُّ في اذنيها لوعتهُ وجواهُ وسادت علينا السكينة فكانت سدًّا منيعاً يحول بين صفاء عيشنا وهموم الحياة وحاجزاً يفصل القلب الهائم عن احزان الكون وغرور هذا العالم لكن الظلام بسط علينا

جناحيهِ والظلام ثقيل الروح فما عتمتَ ان طلعتَ من وراء الافق بدراً كاملاً فاخذتهُ الرعدة واستولى عليهِ الخوف فضمَّ جناحيهِ وطار الى بلاد العتمة والموت فابتسم ثغرك وانار محيّاك فرقصت الامواج طرباً وترنحت السفينة اعجاباً وخفقت القلوب سروراً كانما انت توحي اليها آيات الحب الصحيح وتنزل عليها منَّ الطهارة والسلام . وهبَّ الطير والسمك ذاك من اوكارهِ وهذا من الاعماق وتسابقا الى تحيتك وكأنما الكرى ابى منازلتك وقد عودتهُ الهزيمة من قبل فلم يجسر على الدنوّ منّا وانت لهُ بالمرصاد خلقك ربي رحمة لعبادهِ تهدي الضالين وتنير سبيل التائهين وتشرح صدور المكروبين وتصعد بنفوس المحبين الى حيث يطيرون بعيدين عن ارجاس هذا الكون فتنزلهم في منازل الحياة والنور

وما انسَ لا انسَ منطقة النور التي القيتها علينا ضافية الذيل فافترشت الماء بعدنا نتقلب عليهِ وتنعكس عن سطحهِ الوانها بين زمرد وياقوت وفيروز واشكال الجواهر المصوغة منها ابواب السماء

ولا يقلقك ما يقولهُ فيك الفلكيون من انك عالَم بارد لا حياة فيك ولا روح فانما يقولون هذا القول وهم وقوف امام نظاراتهم يرصدون الافلاك أرأيت لو وقفوا وقفة المحبّ المفتون اذًا لنسوا جميع ما قالوهُ وكتبوهُ ورجعوا الى قولنا انهُ الصواب والقول الحق

وقالوا ان نورك مكتسب مستعار لافضل لك فيهِ فقلتُ انهُ الكرم بعينهِ تأخذ الشيء من معدنهِ فتجود بهِ اجمع بعد ان تجيد سبكهُ — انكار الذات وحبّ السوى والرفق بنوع الانسان صفات لو تمثلت في جسم امرءٍ لألّهُ الناس وعبدوهُ واتخذوهُ دون الاله ربّا

ويعجبني منك هذا الثبات فالشمس يحرق حرها في الظهيرة ويضعف نورها في المساء وتبتلينا بحمعان ناجر في الصيف وتذيقنا بلاء البرد في الشتاء امّا انت فلا تحول عن جوهرك اللطيف وانما هي اشكال اتخذتها هلالاً وبدرًا وربعاً وكذلك نصف الناس حب تبديل اشكال وتغيير ازياء

أرأيت لو اجتمعت انت والحبيب على جدول ماء يجري صافياً كالبلور وجاء النسيم يستطلع الخبر وغضّ الصفصاف طرفهُ اذًا لقلت ذاك نعيمي وتلك جنتي وفي الارض جنات تجري من تحتها الانهار

فتقبل شكر معترف بفضلك حافظٍ لجميلك داعٍ لك بالسلامة وطول العمر فبسلامتك هناء المحبين ولا زلت مرفوع القدر عالي المنزلة فانهُ فضل ربك يؤتيهِ من يشاء

المخلص لك

خليل ثابت

التواريخ العربيَّة

سيدي الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

في الجزء الحادي عشر من مجلد المقتطف السابع والعشرين مقالة تحت هذا العنوان لناسج بردها حضرة الفاضل المدقق محمد افندي كردعلي بيَّن فيها التواريخ العربيَّة وما انتابها من المؤثرات التي جنحت بالمؤرخين الى تسطير التاريخ بين المحاباة والمداجاة فانطمست معالم الوقائع الحقيقية في كثير من العصور واقيمت على اطلالها مدعيات كلها افك وتمويه — ذلك لما كان لاولياء الامر من السلطة والحجز على حرية المؤرخين فلا يدعونهم يكتبون الاَّ لجانبهم فضلاً عن تشيع المؤرخ نفسهِ لبني جنسهِ وتعصبهِ ضدّ الاجانب ونسبة كل مذمةٍ اليهم . وفي عرفنا ان لهاتين الصفتين(سلطة الامراء وتعصُّب المؤرخ) قوة كافية لقلب الحقائق التاريخيَّة وتشويه وجه التاريخ بالبطل . على ان انوار التمدن الحديث قد اجلت عن بني الانسان سحب الجهالة وازاحت بيدها القوية كل شين تسلط عليهِ القرون الطوال واقامت على ربوعهِ الحرية والعدل والبست العلم ثوبًا صفيقًا لا يبلى ولئن كان للمؤرخين القدماء عذرٌ لائتمارهم بالامر القوي في تدوين الوقائع التاريخية حسب الاهواء والاغراض فاي عذر يجنح اليهِ مؤرخ العصر وقد انفكت قيود استعبادهِ بفضل الحرية وتخلص عقلهُ من حبوس التمسك باهداب المعتقدات القديمة بفضل الفلسفة الحديثة والعلم الحق فصار في مكنتهِ الآن ان يسطر الحوادث على علاتها لهُ وعليهِ كأنهُ لا يكتب عن وطن ولا جنسية بل عن الايام وابطالها وحوادثها

والمنعم النظر فيما كتب من التواريخ منذ قرن مضى يرى ان منهاج التاليف القديم انتسخت صورتهُ الاَّ في بعض مسائل اختلف في حقيقتها إما دفعًا لتهمة او تلطيفًا ومراعاةً للجانب . كما اختلف الرواة في شأن معاملة نابوليون ابان اسرهِ في جزيرة القديسة هيلانة . او كما اغفل المؤرخون ايراد السبب الجوهري في عزل اسماعيل باشا الخديوي الاسبق . فقالوا ان ذلك لاستدانة الملايين وانفاقها بغير حساب على اصلاح القطر وضربوا صفحًا عن هوَّات استهلاك هذه القناطير المقنطرة ممَّا يعلمهُ الخاص والعام حتى خافت اوروبا على ضياع اموال رعاياها فبادرت الى رتق الفتق واستخفاف اهون الضررين فقررت عزلهُ .

اما رؤية الجرائد اليومية السياسية فليست بموضع ثقة لانها انما جعلت لتعضيد الاحزاب واخفاء مقاصد الدول فلا يعتمد على مروياتها المؤرخ الثقة الاَّ بعد التثبت والتدقيق . ففي اخبار روتر الواردة على اسرى البوير ارقام لو جمعناها لساوت ضعفي سكان الترنسفال والاورنج فضلاً عن تضارب اقوال الصحف عن وقائع الحرب وتدبيراتها . ويظهر ذلك باكثر وضوح

كلمات الجرائد العربية على مبلغ الدولة العثمانية في الوقت الحاضر ويكاد بعضها يرفعها الى السماكين فوق القرطاس وهي في نظر التاريخ ليست على شيء من ذلك . وخلاصة القول ان التاريخ نال سهماً وافراً من العناية والانصاف ولكنهُ لم يبلغ حد التمام حتى الآن

اسيوط اسكندر سعد الدمنهوري

نجاح اليابان الموهوم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لما كتبت عن التواريخ العربيَّة اتيت بذكر عزل اسماعيل باشا على سبيل المثال — تلك الحادثة العظيمة التي غيرت اوضاع جملة دول ومكانتها في الوجود اتى بها بعينها احد مشتركي المقتطف الكرام استدلالاً على تمدن اليابان " الموهوم " . وكما قلتُ ويعرف كل مطلع على الحقيقة ان اوروبا لم تطمع اسماعيل باشا في استدانة اموالها على زعم ان مصر مقتدرة على السداد ولا هو ايضاً كان يجهل وخامة العقبى . ويقول الخبيرون انهُ لو صرف قوة زكائهِ في اصلاح القطر لاستطاع ذلك بدون ان يحمل مصر ديناً لا طاقة لها بهِ هذا من جهة . اما من جهة احتيال المرابين على المصري وتحسين الاستدانة في عينيهِ حتى يتوسع باكثر من دخلهِ فيقع تحت وطأة الدين وينتهي الامر بنزع املاكهِ منهُ وأعطائها للاجنبي ملكاً حلالاً . نعم كان هذا الغرض يصح للادلة على مستقبل الياباني لو كانت درجتهُ في عالم الارتقاء العلمي والادبي والسياسي كدرجة المصري فيها وبمعنى آخر لو انفق الياباني من قوتهِ الاجتماعية اكثر مما يتحصل كما فعل ويفعل الشرقيون عموماً ؟

وظاهر للعيان ان دول الشرق المكونة من الدولة العثمانية على الاطلاق ومصر والفرس وبلاد الافغان والهند واضف الى ذلك مراكش وغيرها — كل هذه متباينة الاساسات التي يبنى عليها تقدم الشعوب وارتقائها ومتفاوتة القوة الادبية التي تؤهلها للدخول في مضمار الحياة وهب ان وُجد اثر من هذه القوة في امة فلن تقوى على الظهور في اطول حرجة توقف نموها او انها لا تستطيع مجاراة غيرها من القوى الفائقة كمصر والفرس مثلاً وبعضها تنازع الايام البقاء فهي في حشرجة الموت كاغلب ما ذكرنا اللهمَّ الاَّ اذا اخذت إخذ اليابان في تأسيس دعائم التمدن الحق والارتقاء الصحيح الخاليين من شائبة التقليد الاعمى والتفرنج المعيب . ونظن ان بشائر الحال تدل على سواد المستقبل الاَّ في مصر نوعاً اذ نشطت في اصلاح داخليتها وانماء ثروتها بفضل المرشدين وهي وان كانت في مقدمة امم الشرق تنوراً وتقدماً الاَّ ان حالتها

العمومية ادنى بمراحل عن اصغر امة متمدنة في اوربا . ويعجبني من المقتطف الزاهر ايراد البرهان تلو البرهان والحجة وراء الاخرى شأنهُ في كل بحث يأتي بهما لا جزافًا ولا اختلاقًا بل "بشهادة الارقام ولا اصدق من شهادتها" كما قال في مقدمة مقالات "نبأ من اليابان" فاذا كان القول عن بلاد الميكادو ونجاحها مبالغا فيهما فليأتني الواهم بمدرسة كلية عالية واحدة في كل مدائن الشرق يتخرج منها مهندسون رياضيون ميكانيكيون واساتذة طبيعة وفلاسفة في الآداب وضباط بحريون وقواد بحريون من ابناء البلاد يخدمونها بعلومهم واختراعاتهم ويستغنون عن الاجانب كما استغنت اليابان . او ليقل لي عن شركة واحدة او مصرف واحد او سفن ملاحة للاهالي تمخر البحار وتقطع المسافات الشاسعة حاملة مصنوعات البلاد ومتاجرها كما لليابان

افبعد ذلك نقول ان اليابان في غفلة عما تجهزهُ لها ايدي اوربا من الاطماع والآمال الممزوجة بالسم الناقع لتميت حياتها القومية . وهم هم اليابانيون (كما ذكر المقتطف جزء ثامن مجلد سابع وعشرين) "لما رأوا مصر اضحت غنيمة للمداينين اوجبوا على حكومتهم سنة ١٨٧٣ ان لا تستدين غرشًا واحدًا من الاجانب"

فنهضة اليابان ونجاحها امران اكيدان صادقان فصارت دولة يرغب في ودها ويخشى جانبها وكل مروي عنها لا مبالغة فيهِ البتة فجدير بالادباء والكتاب بعد ما عرفوا مبلغ اوروبا من الحضارة ومطامعها في بلادهم وحققوا نجاح اليابان واسباب ارتقائها ان يبحثوا عن مستقبل الشرق والشرقيين على قياس الحال

اسيوط اسكندر سعد الدمنهوري

باب الصناعة

الرخام الصناعي

حاول كثيرون من الصنّاع عمل الرخام منذ زمن طويل ونجحوا في ذلك نجاحًا يكاد يحسب تامًّا لجمال ما صنعوهُ لكن الرخام الذي كانوا يصنعونهُ لم يكن خاليًا من العيوب فكانت الوان الملوَّن منهُ غير ممتزجة بعضها ببعض كما تكون الوان الرخام الطبيعي بل كانت جوانبها خطوطًا مستقيمة واطرافها زوايا حادَّة او منفرجة . اما الآن فقد استتبَّ لاحد الدنمركيين ان صنع رخامًا كالرخام الطبيعي تمامًا وثمن الملوَّن منهُ وغير الملوَّن واحد وهو يصنع منهُ الالواح والاساطين والاشكال المعرَّقة والمنقوشة وثمنهُ رخيص جدًّا عشر ثمن الرخام الطبيعي

نسج الياف الخشب

لما صُنع الورق من الخشب استغرب الناس ذلك اولاً ثم زال استغرابهم .اذ تبيَّن لهم ان الورق صُنع من الخشب قبلما صُنع من القطن والخرق لان القرطاس المصري كان يصنع من قدد تشق من سوق الحلفاء . والآن استنبط الالمانيون استنباطاً ادهش العالم وهو انهم صنعوا من الخشب اليافاً تُغزَل وتنسج مثل القطن والكتَّان وهذا ايضاً على غرابتهِ لا يخلو من بداية قديمة فان الناس طالما سلخوا لحاء الاشجار وضفروهُ او نسجوهُ وما الكتَّان والقنَّب والرامي والسيسل سوى الياف سوق النبات لكن ما صنعهُ الالمان الآن بعيد عن ذلك فانهم حوَّلوا الخشب الى الياف دقيقة كالياف القطن وغزلوها كما يغزل القطن والكتان ونسجوها كما ينسجان وثمن هذه الالياف رخيص لا يبلغ ثلث ثمن القطن لكنها قصيرة جدًّا لا يبلغ طول الليفة منها سنتيمترًا فلا تكون الخيوط التي تغزل منها متينة ولذلك لا ينسج منها الاَّ المنسوجات التي لا يراد ان تحتمل شدًّا كثيرًا كالبسط واغطية الاثاث . واذا امكن مزجها بالياف القطن او الكتان اكتسبت المتانة التي تنقصها الآن

تسويد الخشب

لصبغ الخشب صباغاً اسود ثابتاً طرق مختلفة اشهرها الطرق التالية

الاولى . خذ ١٢ درهماً من خلاصة البقَّم واسحقها واغلها في ٤٧٠ درهماً من الماء حتى تذوب واضف الى المذوب درهماً من كرومات البوتاسا الاصفر . فهذا السائل يسوّد الخشب ويمكن ان يكتب بهِ على الخشب فتظهر الكتابة سوداء ثابتة

الثانية . اغلِ رطلاً من خشب البقم في رطلين من الماء ساعة من الزمان وادهن الخشب بهذه الغلاية واذب اوقية من كبريتات الحديد (الزاج) في ماء فاتر وادهن الخشب بهِ فوق ماء البقم وجففهُ في الخلاء فيسود حالاً

الثالثة . اغلِ تسع اواقي من العفص ورطلين وربع من خشب البقم في رطلين وربع من الماء في اناء من النحاس ساعةً من الزمان . ورشّح الغلاية بخرقة وادهن بها الخشب مرارًا وهي سخنة فيسود ويكون لونهُ جميلاً

نقل الصور على الخشب لحفرها

ادهن الصورة المطبوعة بقليل من ماء البوتاسا حتى يلين حبرها ثم ابسطها على قطعة الخشب واضغطها ضغطاً شديدًا فترسم الصورة على الخشب ويسهل حفرها عليهِ

الصاق قطع الباغا

تلصق قطع الباغا اي الدبل اوعظم السلاحف بان تضع القطع بعضها فوق بعض او بعضها بجانب بعض مجتهدًا لكي تكون عروقها متجهة اتجاهًا واحدًا ثم لفها بورقة وضعها بين قطعتين من الحديد المحمى واضغطها بهما جيدًا ويجب ان لا يكون حمو الحديد شديدًا لئلاَّ يحرق الباغا فتلتصق القطع بعضها ببعض وتصير كأنها قطعة واحدة ويمكن تليين القطع الصغيرة بوضعها في ماء سخن ثم تلصق بعضها ببعض بالضغط الشديد في المكبس المائي

الغليسرين للسن بدل الزيت

يفضل كثيرون استعمال الغليسرين للسن بدل الزيت لانهُ انظف من الزيت واصلح وذلك بان يمزج ثلاثة اجزاء من الغليسرين بجزء من الالكحول يوضع هذا المزيج على المسن بدل الزيت

باب التقريظ والانتقاد

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الثاني

لمَّا صدر الجزء الاوَّل من هذا الكتاب الجليل رحَّبنا بهِ لانهُ اول تاريخ عربي لم يكتفِ بسرد الحوادث بل حاول ردها الى عللها وايضاح الغامض منها وتمحيص ما كثرت شوائبهُ لبعد عهدهِ وتصرُّف النقلة فيهِ. وقد اقترحنا على حضرة المؤلف حينئذٍ ان يراجع تواريخ الروم والفرس الامتين اللتين اتصل العرب بهما اولاً ويقابل تاريخ العرب بها لزيادة التدقيق والتحقيق فاحلَّ اقتراحنا محلهُ وقال في هذا الجزء " طلبت اليَّ مجلة المقتطف ان اوسع النظر في تواريخ الغربيين واستقصي منها حالة دولة الروم على عهد الفتح الاسلامي لاتوسَّع في بيان العلل والاسباب التي اوجبت قهر تلك الدولة بواسطة الجيوش العربيَّة . وفي الحقيقة فان هذا الامر من الامور الجديرة بتدقيق المؤرخين الخليقة بالنظر والتأمل لهذا راجعت اشهر التواريخ الافرنجيَّة التي كتبت عن العرب والروم في ذلك العهد كتاريخ الامبراطوريَّة الشرقيَّة لادورد جبون الانكليزي وتاريخ العرب للمؤرخ الفرنسوي ديفرجي ".وقد ظهرت نتيجة هذه المراجعة في كثير

من فصول هذا الجزء فنشكر لحضرة المؤلف الفاضل بلسان قراء العربية همتهُ الشماء في المطالعة والتنقيب حتى يكون كتابهُ بالغًا غاية ما يمكن الوصول اليهِ الآن من تمحيص الاخبار

ويعجبنا من المؤلف استنتاجهُ القضايا الكلية ومجاهرتهُ بها ولو ثقل سماعها على الذين في نفوسهم مرض من ذلك قولهُ في الصفحة ٢٠٦

"هذا شأن الاسلام في المحافظة على حقوق الامم المغلوبة وقد رأيت مما تقدم انهُ لم يعطِ للمسلمين من حقوق الغلب التي ينتحلها الغالبون في كل عصر الّا ما تدعو اليهِ الضرورة القصوى وتستلزمهُ سلامة الملك والدين لا ما تدعو اليهِ شهوات الملك ورغبات الامة الغالبة وقد علم هذا المسلمون وخلفاؤهم وان لاهل الذمة ما لهم وعليهم ما عليهم فبالغوا في الرأفة بأهل جوارهم والداخلين في ذمتهم من ارباب الملل الاخرى فتركوا لهم حرية التملك والدين ولم ينازعوهم حقًا من حقوق المواطنة والجوار بل كانوا يعتبرونهم جزءًا من الدولة وعضوًا من اعضاء مجتمعهم لا غنى عن مشاركتهِ في العمل ومشاطرتهِ اسباب السعادة المدنية والحياة الوطنيَّة يؤيد هذا اعتماد الخلفاء الامويين والعباسيين على اهل الكتاب من اليهود والنصارى في ترتيب دواوين الخراج وترجمة علوم اليونان وتقريب النابغين منهم في علوم الهندسة والطب اليهم واعتمادهم في شفاء عللهم عليهم بل بلغ بالمسلمين اعتبارهم لاهل الكتاب عضوًا من جسم هيئتهم الاجتماعية لا يجوز فصلهُ في حال من الاحوال ان جيوش التتار لما اكتسحت بلاد الاسلام من حدود الصين الى الشام ووقع في أسرهم من وقع من المسلمين والنصارى ثم خضد المسلمون شوكة التتار في الشام ودان ملوكهم بالاسلام خاطب شيخ الاسلام ابن تيمية رأس العلماء في عصرهِ امير التتار قطلوشاه باطلاق الاسرى فسمح لهُ بالمسلمين وابى ان يسمح لهُ باهل الذمة فقال لهُ شيخ الاسلام : لا بدَّ من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ولا ندع اسيرًا لا من اهل الملة ولا من اهل الذمة فاطلقهم لهُ

"وكيف لا يقوم علماء المسلمين وخلفاؤهم بحماية اهل ذمتهم وقد استوصى بهم النبي صلى الله عليهِ وسلم امتهُ خيرًا وكذلك الخلفاء الراشدون من بعدهِ كما رأيت فيما مرَّ من هذا الكتاب وكما سترى بعد. ونحن ننقل اليك هنا على سبيل الاستطراد ما جاء في كتاب كتبهُ عمر بن الخطاب (رض) الى عمرو بن العاص عاملهِ على مصر وهو قولهُ

" واعلم يا عمرو ان الله يراك ويرى عملك فانهُ قال تبارك وتعالى في كتابهِ (واجعلنا للمتقين اماماً) يريد ان يقتدى بهِ وان معك اهل ذمة وعهد وقد اوصى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بهم واوصى بالقبط فقال " استوصوا بالقبط خيرًا فان لهم ذمة ورحمًا " ورحمهم ان

أُم اسماعيل منهم وقد قال صلى الله عليهِ وسلم " من ظلم معاهداً او كلفهُ فوق طاقتهِ فانا خصمهُ يوم القيامة ". احذر يا عمرو ان يكون رسول الله صلى الله عليهِ وسلم لك خصماً فانهُ من خاصمهُ خصمهُ . والله يا عمرو لقد ابتليتُ بولاية هذه الامة وآنست من نفسي ضعفاً وانتشرت رعيتي ورق عظمي فأسأل الله ان يقبضني اليهِ غير مفرّط . والله اني لأخشى لو مات جمل باقصى عملك ضياعاً ان أُسأل عنهُ يوم القيامة "

وقد انكر المؤلف القصَّة التي تداولتها تواريخ الافرنج وذُكرت في تاريخ سوريَّة وفي تاريخ الوافي وهي ان خالد بن الوليد لحق بعض الذين اجلوا عن دمشق وقتلهم . وقال انهُ بحث عن هذا الخبر في ما دوَّنهُ رواة الاخبار من المتقدمين كالطبري والبلاذري وابن واضح المعروف باليعقوبي وفي تواريخ المتأخرين كابن الاثير فلم يجد لهذا الخبر من اثر

وقد رأينا المؤلف يستشهد كثيراً بتاريخ الواقدي فتوح الشام فلو تصفحهُ جيداً لوجد الخبر فيهِ وهو في النسخة التي عندنا في الصفحة ٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ وخلاصة ما فيها ان خالداً اخذ عساكر الزحف وهم اربعة آلاف فارس ويونس الدليل امامهم وتبع آثار القوم الى ان اقبل عليهم فقسم اصحابهُ اربع فرق فامَّر ضرار بن الازور على الف فارس وعلى الالف الثاني رافع بن عميرة الطائي وعلى الالف الثالث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وبقي هو في الفرقة الرابعة وهاجمهم وظفر بهم وغنم ما معهم . وقد فصَّل الواقدي هذه الحادثة بالاسهاب في خمس صفحات كبيرة . ومن يطالع تاريخ الواقدي يجد فيهِ اموراً كثيرة مدخلة لكن هذا الخبر ليس اغرب من كثير من الاخبار الواردة في هذا الكتاب وان كان مقحماً فيهِ فلا يبعد ان يكون غيرهُ من المؤرخين قد اشار الى ذلك . فعسى ان يزيدنا المؤلف الفاضل تحقيقاً . ونتمنَّى ايضاً ان يزيد اعتناؤهُ بطبع الاجزاء التالية حتى لا يقع فيها من الخطإِ المطبعي ما وقع في هذا الجزء

واكثر من ثلث هذا الجزء في المواضيع الادارية والاقتصاديَّة ومَّا جاء فيها ان دفاتر الحكومة كانت تكتب بالرومية في الشام وبالفارسية في العراق الى عهد عبد الملك بن مروان في الشام والحجاج بن يوسف في العراق وهو امر حريٌّ بالنظر

والكلام في هذا الجزء مقصور على خلافة الامام عُمَر بن الخطاب وما جرى في عصرهِ من الفتوح الاَّ ان المؤلف اوجز كثيراً في الكلام على فتح مصر فاوردهُ في اقل من صفحتين مع ان فتح الشام شغل نحو سبعين صفحة في هذا الجزء وحبذا لو عاد الى فتح مصر فوفاهُ حقهُ من الشرح في جزء تالٍ

العربيَّة والقبطيَّة

لما نزل العرب هذا القطر وقت الفتح كانوا فئة صغيرة وظلوا كذلك والقبط اكثر منهم عدداً واوفر عمراناً الى ان دان اكثرهم بالاسلام وامتزجوا بالعرب ومن نزل هذا القطر بعدهم من الامم الغالبة فأُهملت اللغة القبطية ولكن بعد ان بقي اثرها في اللغة العربيَّة في النبرة الخاصَّة باللغة المصريَّة وفي كثير من الالفاظ التي نظنها عربيَّة وهي قبطيَّة الاصل . وقد عني حضرة الاديب اقلاديوس افندي لبيب بجمع كثير من الكلمات العربيَّة العاميَّة التي اصلها قبطي ونشر بعضها الآن في كراسة صغيرة ووعد بنشر باقيها اذا وجد من يعاونهُ على نشرها . وقد عانى في جمعها مشاق كثيرة مدة اثنتي عشرة سنة فاستحق شكر محبي المعارف واظهار الحقائق

ومن الالفاظ التي قال ان اصلها قبطي كلمة "حالوم" في قولهم "حالوم يا جبنه حالوم" فان حالوم او هالوم اسم الجبن بالقبطيَّة

وكلمة " ياما " وهي قبطيَّة معنا كثير او وافر

وكلمة " اش "وهي حرف استفهام مثل ما او ماذا

وكلمة" بعبع "وهي اسم عفريت مصري استعمل في العزائم السحريَّة ولتخويف الاولاد

وكلمة " لقش" وهي من ايلكشاي ومعناها استهزاء

وكلمة "ادحي" من ادهو ومعناها اردأ او اشر

وكلمة " اوني" في قولهم اوني اوني ياطاحون الرحاية فان معناها رحى

وكلمة " طمس" فان معناها بالقبطية دفن

وكلمة" يم "فان معناها بالقبطية بحر

وكلمتا "كاني ماني " في قولهم كاني ماني ودكان زلبكاني فان معناهما سمن وعسل

وكلمة " لبان" معناها بالقبطية حبل وتستعمل الآن للحبل الذي تجرُّ بهِ المراكب

وكلمة " ليلي" المستعملة كثيرًا في الغناء معناها بالقبطية فرح

وكلمة "مدمس" هي بالقبطية متمس اسم الفول الناضج في الفرن

وكلمة" نافله " في قولهم دا كله نافله ما ينفعش معناها بالقبطية باطل

وكلمة " شويًّا " قبطيتها اشون معناها قليل وتطلق على اصغر الحبوب

وهلمَّ جرًّا من الكلمات الكثيرة الفصيحة والعاميَّة فقد ابان حضرة المؤلف ان اصلها قبطي وحبذا لو لقي من نظارة المعارف المصريَّة تعضيدًا لنشر كل ما جمعهُ من الكلمات فان نشر كتاب مثل هذا لا يقوم بهِ الاَّ الحكومة او الجمعيات التي تنفق على نشر الحقائق العلمية

آثار لبنان

او تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار للاب هنري لامنس اليسوعي

لقد طالما تمنينا ان يبحث احد علماء العاديات عن آثار لبنان القديمة ويشرحها شرحاً وافياً عساهُ يرغِّب سكانها في الاحتفاظ بها ويرغِّب غيرهم في مشاهدتها ولذلك سررنا بهذا الكتاب الذي وضعهُ احد الاباء اليسوعيين لاننا رأينا في كل صفحة منهُ دلائل البحث والتحقيق فقد جمع الكاتب زبدة ما قالهُ الباحثون في آثار لبنان الى ما رآهُ وتحققهُ بنفسهِ وافرغ ذلك كلهُ في قالب عربي محكم مجتنباً القطع في الحكم حيث لا يرى الادلَّة قاطعة

وفي الكتاب كثير من صوَر الآثار المذكورة فيهِ لكن اكثرها غير جلي مع توفُّر رسم الصوَر الجليَّة وطبعها في هذا العصر . فنشكر لهُ همتهُ ونتمنى ان يكثر فيهِ من الرسوم المنقولة عن الصور الفوتوغرافية في الطبعة الثانية

المحيط

مجلَّة علميَّة تاريخيَّة صحيَّة ادبيَّة فكاهيَّة تصدر مرة في الشهر لصاحبها ومنشئها حضرة الكاتب الفاضل عوض افندي واصف وقد وعد بان يبحث فيها عن سياسة القطر وعمَّا يتعلَّق بطلبة المدارس صغاراً وكباراً وعن عيوب التعليم في مصر واحدث الطرق المستعملة لاصلاح المدارس وعن صحة الابدان وانواع العلاج التي يلجأ اليها في غياب الطبيب . وعن العلاقة بين العلم والدين . وعن تاريخ شهيرات النساء وكل ما يتعلَّق بالبنات . وعن موارد الارزاق اي الزراعة والتجارة والصناعة والاستخدام

ووعد ايضاً ان ينشر فيها خلاصة ما تنشرهُ الجرائد والمجلات مدة الشهر واهم الحوادث الخارجيَّة والداخلية ورواية مختصرة في كل عدد ودليلاً يذكر فيهِ مواعيد سفر القطارات والبريد وايام السنة الى غير ذلك

وفي الجزء الاول الذي صدر الآن بحث في المجلات المصرية رغب فيهِ اليها ان تجعل لها صوتاً واضحاً في سياسة البلاد الداخلية ورأياً معدوداً في شؤُونها الادارية ومباحثها الاجتماعية . وقد نسي ان اكثر الذين في يدهم الحل والعقد لا يقرأُون العربية او لا يفهمون منها الاَّ ماجاء على سبيل الخبر البسيط وان غرض المجلات الاول تنوير الامة ومساعدة المدارس على تعليمها ثم هي اذا ذكرت مسألة وطنية اجتماعية قلَّ ان لا تضطر الى انتقاد اعمال الحكومة فتمنع من دخول الولايات العثمانية وتفوت فائدة تلك الولايات منها وتضيع فائدتها من مشتركيها وهم

ليسوا بالعدد القليل او تضطر الى تحمُّل النفقات الطائلة لتصل اليهم . ولا ننكر مع ذلك ان بين المسائل الوطنية مجالاً واسعاً للمجلات العربيَّة لتخوض فيهِ وتفيد قراءها بهِ اكثر مما تفيدهم بكثير من المقالات العلميَّة والفلسفيَّة التي تنشرها من وقت الى آخر

هذا واننا نتمنّى لصاحب "المحيط" ان يوفَّق الى نيل ما يقصدهُ من نشر الفوائد وتعميم المعارف

الجغرافية الجديدة

New Geography *by Ahmed Hafez*

نتذكر حديثاً دار بيننا وبين احد قوَّاد الانكليز منذ نحو ١٨ سنة قال لنا فيهِ لو ان الاموال التي انفقتها انكلترا على حملة السودان انفقتها على تعليم اللغة الانكليزيَّة في هذا القطر لفازت باصلاح مصر والسودان ووجدت لها فيهما اعظم النصراء . ولم يخطر ببالنا حينئذٍ ان الانكليز يهتمون بنشر لغتهم وان شبان مصر يقدمون هذا الاقدام على تعلُّمها حتى يؤلفوا فيها الكتب العلميَّة فان امامنا الآن كتاباً في الجغرافية وضعهُ حضرة الاديب احمد افندي حافظ باللغة الانكليزيَّة وهو يبتدئ مثل سائر كتب الجغرافية بالحدود والتعريفات لكنهُ لم يطل الكلام فيها بل انتقل الى القطر المصري حالاً واسهب الكلام فيهِ واستطرد منهُ الى بقية افريقية ثم انتقل الى سائر القارات فاوجز الكلام عليها واكتفى من وصف بيروت مثلاً بانها ناجحة جدًّا . والكلام على الولايات المتحدة الاميركية اوفى فيهِ من الكلام على تركيَّا . والكلام على برلين اوفي من الكلام على القسطنطينيَّة . وحبذا لو اسهب في الكلام على تركيَّا كما اسهب في الكلام على مصر

نيل الارب

في موسيقى الافرنج والعرب

وضعهُ حضرة الاديب احمد افندي امين الديك بحث فيهِ عن الموسيقى والصوت وانواعهِ ونغماتهِ بحثاً علميًّا وافرز فصلاً خاصًّا بالنوتة الشائعة عند الافرنج للدلالة على الاصوات وما يقترن بها من مدارج ومفاتيح وانواع العلامات الموسيقية وقيمها النسبية مستعملاً اسماءها الفرنسوية والموازين والحركة والدلالة عليها مستعملاً اسماءها الايطالية ومعرباتها وما يتبع ذلك من العلامات والاشارات

وتكلم عن العود واصلاحهِ مقابلاً بين النغمات العربية المعروفة والنغمات الافرنجية وبعد

ان تكلم عن المقامات اثبت شذرات في الموسيقى العربية فيها كلام عن العود القديم وحالة الموسيقى عند العرب القدماء وما اتصل بنا من اخبارها ثم قابل المقامات الافرنجية بالعربية

وقد اتى في القسم العملي على النظر في الغناء والتوقيع على الآلات الموسيقية على اختلاف اشكالها

والكتاب موضح بالرسوم الموسيقية وفيهِ صور كثير من الآلات المعروفة لكنَّ طبعهُ سقيم يتعب النظر وتنفر منهُ العين وهو كغيرهِ من الكتب الموضوعة لتعليم الموسيقى لا يغني الطالب عن معلم وانما يرجع اليهِ في استجلاء غامض او حلّ مشكل فنثني على حضرة المؤلف ونحث المولعين بهذا الفنّ على اقتناء كتابهِ لاسيما المحبين للموسيقى العربية

رسالة

هي رسالة في صمام نودون الكهربائي تلاها حضرة الدكتور عيد الطبيب المشهور في هذه العاصمة في مؤتمر الكهربائية الطبيَّة العام في برن عاصمة سويسرا وصف فيها هذا الجهاز وبين مزاياهُ في استحضار اشعة رنتجن وقلّة نفقتهِ بحيث يتسنَّى لجميع الاطباء توليد هذه الاشعَّة بهِ وقد ادمجت هذه الرسالة في وقائع جلسات المؤتمر المذكور

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

بنات مصر والتعليم

كنا قُبَيل كتابة هذه السطور نتكلم مع احد العلماء الاعلام عن مستقبل اهل الاسلام في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار . وهو غيور على امتهِ وملتهِ باذل اقصى جهدهِ في تنوير اذهانها وتعزيز اركانها يرى ان لا بدَّ لاصلاحها من معاول تهدم معاقل الخرافات والاوهام التي شادها اهل السيادة الدينية والسياسية لكي يتسلطوا بها على العقول . واتصل بنا الحديث والحديث ذو شجون الى نهضة الامة القبطية واندفاعها بتيَّار واحد نحو تعليم ابنائها وبناتها حتى لم تعد تكتفي بالمدارس المصريَّة والسوريَّة بل صارت ترسل ابناءها الى البلاد الانكليزيَّة ولا تطلب

معونة الحكومة في ذلك لعلمها ان مَن يتعلم على نفقة الحكومة قلما يفلح مثل مَن يتعلم على نفقتهِ. واخبرناهُ بما شاهدناهُ بالامس في احد الاعراس فاننا رأينا بنات الاقباط وبنات الافرنج في حفلة واحدة وليس بين الفريقين فرق لا في الثياب ولا في دلائل الذكاء والنجابة وحسن التهذيب البادية في الوجه ولا بدَّ من ان يكون هؤلاء الفتيات قد تعلمنَ وتهذبنَ في المدارس كما تعلَّم اخوتهنَّ. فاذا تزوجنَ بفتيان متعلمين متهذبين مثلهنَّ ناظرت بيوتهنَّ واولادهنَّ احسن العيال الاوربيَّة ولا تمضي سنون كثيرة على الامة القبطيَّة حتى تفوق غيرها من امم هذا القطر لانها اهتدت الى الطريق السوى وهو ان تعلّم بناتها كما تعلّم ابناءها ولو اقتصرت على تعليم ابنائها دون بناتها لتعذَّر عليها الارتقاء المطلوب

فنظر ذلك العالم نظر المفكّر ثم تنهَّد وقال ها نحن آخذون المعاول لهدم معاقل الاوهام والخرافات التي شادتها العصور الغابرة حتى نعيد الى المرأة حقوقها التي خوَّلها اياها شرعنا ثم نعلمها ونهذبها لتعلّم لنا اولادنا وامتنا ولا نرتقي بغير ذلك

والظاهر ان هذا الاعتقاد اخذ يشيع في القطر الآن فتسابقت مدنهُ الى انشاء المدارس للبنات واخذت تفتش عن المعلمات وتعرض عليهنَّ الاجور الغالية حتى ان احد المديرين كتب الينا بالامس يطلب معلمة لمدرسة في مديريتهِ ووعد ان يدفع اليها راتباً لا يناله احد الآن من الذين نالوا الشهادة الثانوية . واتانا آخر يطلب معلمة يعطيها اثني عشر جنيهاً في الشهر. واذا استمرَّت هذه النهضة لا تمضي سنوات كثيرة حتى يظهر لها اثر كبير في الهيئة الاجتماعية لكن يبقى عدد مدارس البنات دون المراد لقلَّة البنات المصريات اللواتي يرضين ان يكنَّ معلمات

فعسى ان تتجه الهمم من الآن الى ترغيب البنات في التعليم واقناع والديهنَّ وازواجهنَّ ان حرفة التعليم شريفة لا تشين امرأة تكتسب بها بل تزيدها رفعةً في عيني زوجها وبين بنات جنسها

الطعام والغذاء

ترى العمال الذين يبنون البيوت او يرصفون الطرق جلوساً في الظهيرة فرقاً فرقاً وامام كل فرقة اناء من المخللات يغمسون خبزهم فيهِ او قطعة من الجبن يضعون منها في اللقمة اقل من فلقة الحمصة ويكتفون بهذا الطعام وهم اصحاء الاجسام اقوياء الابدان واهل الثروة والرفاهة يأكل الواحد منهم رطلاً من اللحم مع كثير من الخبز والجبن والفاكهة والحلويات ويشرب اللبن والشاي والقهوة والخمر وهو مع ذلك ضعيف ضئيل او سمين بدين ولكن لا قوة في عضلهِ ولا

متانة في اعصابهِ . يتضح من هذا باجلى بيان ان جانباً كبيراً من غذاء الاغنياء يذهب سدًى لان اجسامهم في غنًى عنهُ ولو اقتصروا على القليل ممَّا يأكلون لما اعتلَّت ابدانهم بل لزادت صحة وقوَّة

والاغنياء لا يهمهم الاكثار من الطعام والشراب من الوجه المالي بل هم لو استطاعوا ان يعودوا الى ما كان يفعلهُ الرومانيون وهو املاء بطونهم بفاخر الطعام ثم استفراغهُ واكل غيرهِ لمجرَّد التلذذ بالمآكل الطيبة لفعلوا ولكن الاواسط والذين دونهم الى ان تأتي الى الفقراء المعوزين يهمهم جدًّا امر ما يأكلون وما يشربون لانهم ينفقون الجانب الاكبر من دخلهم على طعامهم فاذا كان القليل من الطعام يبقي الجسم في صحتهِ وقوتهِ فالكثير منهُ اسراف مضرٌّ تدعو الحكمة الى اجتنابهِ

وقد بحث كثيرون من العلماء عن مقدار ما في الطعام من الغذاء ونسبة الاطعمة بعضها الى بعض من هذا القبيل وبحثهم لا يخلو من فائدة علميَّة لكن ليس العبرة بمقدار الغذاء في الطعام كالعبرة بما تهضمهُ المعدة منهُ وما يغتذي الجسم بهِ منهُ فان الطعام الكثير قد يدخل المعدة والامعاء ويخرج منهما من غير ان يغتذي الجسم الّا بالقليل منهُ والطعام القليل قد يدخل المعدة فلا يكتفي بتقديم ما فيهِ من الغذاء للجسم بل يساعدهُ على الاغتذاء بغيرهِ من الاطعمة . ترى زيداً يأكل رطل لحم ورغيفاً من الخبز فلا يزيد وزنهُ اكثر ممَّا يزيد وزن عمرو لو اكل ذلك الرغيف بدرهمين من الجبن لا لان في درهمي الجبن من الغذاء قدر ما في رطل اللحم بل لان الجبن يهيئ النفس للاغتذاء كأنهُ يهيج الاعصاب الحاكمة على الهضم والتمثيل فتدفع اعضاء الهضم والتغذية الى هضم الخبز كلهِ والاغتذاء بكل ما فيهِ من الغذاء

وخير قاعدة وضعت لمقدار الطعام الذي يكفي الجسم ولا يزيد على حاجتهِ ان يأكل الانسان متمهلاً ويمضغ طعامهُ جيدًا ويأكل الى حد الشبع ولا يزيد . ومع ذلك فمعرفة ما في الاطعمة المختلفة من انواع الغذاء ومقاديرها لا تخلو من فائدة لانها تساعد ربة البيت على اختيار الاطعمة الكثيرة الغذاء اذا كان ثمنها مثل ثمن غيرها ممَّا غذاؤُهُ اقل من غذائها فاذا كانت الاطعمة من الجذور كالبطاطس والبنجر والجزر واللفت فالوزن الذي يساوي ستين غرشاً من البطاطس يساوي من البنجر خمسة واربعين غرشاً ومن الجزر نحو اربعين غرشاً ومن اللفت نحو خمسة وعشرين غرشاً . وعليهِ اذا بيع قنطار البطاطس بستين غرشاً وجب ان لا يباع رطل اللفت باكثر من خمسة وعشرين غرشاً

واذا كان الطعام من الحبوب والقطاني كالقمح والذرة والارز والفول فهناك نسبة بعضها الى

بعض. اذا ساوى قنطار القمح ٢٧ غرشاً فقنطار الذرة الصفراء يساوي ٢٤ غرشاً. وقنطار الذرة البيضاء يساوي ٢١ غرشاً. وقنطار الارز يساوي ½ ٢٢ غرش . وقنطار الفول يساوي ٣٧ غرشاً . وقنطار العدس يساوي ٣٦ غرشاً . وقنطار الترمس يساوي ٤٥ غرشاً. وقنطار السمسم يساوي ٣٨ غرشاً . وقنطار الفول السوداني يساوي ٤٩ غرشاً . وقنطار التفاح والكمثرى لا يساوي غرشين ونصف غرش . وقنطار الكوسى والقرع واليقطين لا يساوي غرشين

لكن فائدة الطعام لا تقتصر على ما فيهِ من الغذاء بل على ما يستفيدهُ الجسم منهُ فقد يكون قليل الغذاء جداً كقطعة الجبن التي يستعملها الفقير اداماً يأكل بها خبزهُ كلهُ فان جسمهُ قد يستفيد منها اكثر مما يستفيد جسم الغني المترفه من اكل حمامة او فرخة كما تقدم

نصائح لتقوية الشعر

(١) يغسل الشعر مرةً او مرتين في الاسبوع بماء فاتر او بارد ثم يفرك جيداً بمنشفة حتى ينشف ولا يحسن تنشيفهُ بغير ذلك

(٢) مشط الشعر وفركهُ بالفرشاة يقويانهِ ويجب ان تكون الفرشاة ناعمة وان يكون المشط خالياً من الكسور

(٣) يحسن ان تضع المرأة ملعقة صغيرة من الزيت المطيب في يدها مرةً في الاسبوع وتدهن بهِ شعرها من اصولهِ وتفركهُ بهِ جيداً ثم تفركهُ بمنشفة حتى لا يبقى مبللاً بالزيت . ولا يحسن فرك الشعر بالزيت كل يوم الاَّ في احوال نادرة جداً

(٤) يجب ان لا يُترك الشعر يطول كثيراً فاذا زاد طولهُ تقصُّ اطرافهُ لان زيادة الطول تضعفهُ فيصير يسقط من نفسهِ . واذا جعل الشعر يسقط بكثرة وجب ان يحلق او يقصَّر كثيراً

(٥) تمسح الحواجب كل يوم بفرشاة في جهة ميلها ويحسن ان تدهن مرةً او مرتين في الاسبوع بقليل من زيت الزيتون

اعمال النساء

اذا جلتَ في هذا القطر شمالاً وجنوباً تجد اكثر النساء يساعدن رجالهنَّ في اعمال الزراعة المختلفة وفي البيع والشراء ويعملنَ اكثر الاعمال التي يعملها الرجال . واذا دخلت المدن والبنادر الكبيرة وطفت في بيوت الطبقة العليا من السكان وجدتَ النساء جلوساً لا يعملنَ عملاً يذكر وقد استولت عليهنَّ السآمة والضجر . وهذا شأن نساء الطبقة العليا في كل البلدان بل صار شأن نساء الطبقة الوسطى في الغالب

وقد رأى اهالي اوربا واميركا ان هذه الحال تعود على المرأة بالوبال وعلى نسلها بالضعف والاضمحلال فشجعوا المرأة على احتراف الحرف وتعاطي الاعمال المختلفة التي يتعاطاها اخوتهنَّ او ازواجهنَّ فدرس بعضهنَّ علم الطب وبرعنَ فيهِ ولاسيما اللواتي ذهبن الى بلاد الهند حيث يفضل السكان دخول الطبيبات الى بيوتهم على دخول الاطباء. ودرس بعضهنَّ فن الصيدلة حديثاً ويقال انهنَّ بارين الرجال ولا سيما في المستشفيات. ودرس بعضهنَّ طب الاسنان فبرعن فيهِ ولا مانع يمنع نجاحهنَّ ولا سيما اذا عالجنَ اسنان النساء والاولاد . وقد شاهدنا النساء مشتغلات بطب الابدان وطب الاسنان وبالصيدلة ايضاً وهنَّ بارعات فيها

واخذ النساء الآن يشتغلن بالتصوير الشمسي فبرعنَ فيهِ وهو صناعة جميلة شريفة

واشرف الصناعات صناعة التعليم ولا بدَّ لها من النساء ولاسيما اذا اريد تعليم الصغار . وما من بلاد نجح التعليم فيها وعمَّ اهاليها الَّا بعد ان سُلِّم تعليم صغارها لنسائها

واذا شاءت المرأة ان يرتفع مقامها في الهيئة الاجتماعيَّة وتجد مسرَّة لاسآمة في الحياة لم ترَ لها بدًّا من مشاركة الرجال في عمل من الاعمال ولاسيما الاعمال التي لا تمنعها حالتها الطبيعية من تعاطيها

باب المسائل

(١) بكاء الاطفال

مصر . محمد افندي زكي يوسف. هل من دواء لعدم بكاء الطفل الرضيع وهل يجوز استعمال الخشخاش (ابو النوم) كما تستعملهُ النساء احياناً لاطفالهنَّ

ج لا يجوز استعمال الخشخاش مطلقاً اما بكاء الطفل فالغالب انهُ عادة يألفها فاذا احسنت مداراتهُ من حين ولادتهِ لم يعتد البكاء وقد يكون سببهُ مغص يصيبهُ او دبُّوس يشك في بدنهِ او نحو ذلك من الاسباب التي يسهل تلافيها

---

(٢) رجة الانفجار

مصر . نقولا افندي بدران . هل الرجَّة التي شعر بها سكان القاهرة وضواحيها على اثر الانفجار الهائل الذي حدث في مخزن البارود في القلعة ناتجة من فعل الانفجار نفسهِ او من قوة الصوت الناتج عنهُ

ج ان الانفجار هو تحوُّل مقدار صغير

من البارود الى غاز كبير الحجم في وقت قصير جدًّا ولنفرض ان حجم البارود كان قدمًا مكعبة وان الغاز الذي تكوَّن منهُ لمَّا احترق تبلغ مساحتهُ الفًا من الاقدام المكعبة فهذا المقدار الكبير من الغاز يطلب مكانًا يسعهُ فيدفع الارض والصخور والهواء في كل جهة فتندفع بسرعة ترتجف بها الارض وتتكسَّر الصخور ويتموَّج الهواء وهذه الحركة العنيفة تشعر بها الآذان صوتًا شديدًا ويصل تأثيرها الى الاماكن القريبة والبعيدة فترتج بها المنازل كما حدث في الانفجار المشار اليهِ

(٣) قاموس عربي مصوَّر

كفر الزيات . م . ج . ألا يوجد قاموس عربي مصوَّر مثل قاموس لاروس أَوَلا يمكن عمل قاموس مثلهُ

ج لا يوجد الآن قاموس عربي مصوَّر. وعمل قاموس مصوَّر يقتضي نفقة كبيرة لا تعوَّض الَّا اذا بيع منهُ الوف كثيرة من النسخ ولا ينتظر ان يباع منهُ الف نسخة في خمس سنوات. فاذا زاد عدد القراء كثيرًا كما ينتظر راجت بضاعة الكتب وسهل نشر القواميس المصوَّرة

(٤) تأثير الشيطان

ومنهُ . هل توجد ادلَّة علميَّة يثبت منها ان الشيطان يؤَثر في عقول الناس

ج كلاَّ ولا ينتظر من العلم الطبيعي اثبات ذلك ولا نفيهُ لان البحث فيهِ ليس من موضوع العلم الطبيعي وكذا البحث عن سليمان الحكيم ليس من موضوعهِ لانهُ لا يبحث الَّا عمَّا يمكن اثباتهُ او نفيهُ بالامتحان

(٥) الفصد في الكوليرا

اتياي . محمد افندي العلواني . قرأت اليوم في جريدة البصير انهُ لمَّا اشتد فتك الهواء الاصفر في نواحي طبريَّة استعملوا لهُ عملية الفصد فصارت الوفيات واحدًا في المئة فهل ذلك صحيح وكيف تكون فائدة الفصد

ج يفيد الفصد في حالة الامتلاء لتخفيف الضغط عن القلب وقد ذكرنا ذلك في الجزء الثامن من مقتطف هذه السنة في الكلام على علاج الكوليرا اما كونهُ يفيد الى هذا الحد حتى تصبح الوفيات واحدًا في المئة فقط فلا نظنهُ صحيحًا

(٦) الاسكندر ذو القرنين

طنطا . نقولا افندي يارد قرأت في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور ان الاسكندر ذا القرنين كان طول انفهِ ثلاثة اشبار وانهُ عاش الف سنة وكان معاصرًا لابرهيم الخليل فهل ذلك صحيح

ج اذا كان الاسكندر ذو القرنين هذا هو الاسكندر المكدوني كما هو المرجح فالصحيح من امرهِ ما كتبناهُ عنهُ في المجلد الثالث

والعشرين والرابع والعشرين من المقتطف وقد نشرنا هناك تاريخهُ بالاسهاب ويظهر منهُ انهُ كان مثل سائر الناس لا عيب في وجههِ توفي سنة ٣٢٣ وعمرهُ ٣٢ سنة وثمانية اشهر اي بعد ابرهيم الخليل باكثر من الف وخمسماية سنة

(٧) الفصد في الكوليرا

القدس . ع . ن طالعت في الجزء الثامن من المقتطف في ترجمة محمد علي باشا ان الكوليرا انتشرت في مصر سنة ١٨٣١ وكتب وكيل دولة الانكليز بالاسكندرية الى اخيهِ ان الفصد علاج لها ونصحهُ ان يفصد حالاً اذا اصيب بها وان لا شبهة عندهُ في ان ابنتهُ نجت بالفصد من الموت . وسمعت انهُ حينما وصلت الكوليرا الى دمشق عالجها اهالي محلة الصالحية بالفصد ولم يمت من المصابين المعالجين بالفصد عندهم احد فهل يشفي الفصد يا ترى

ج يشفي بعض الاحيان لانهُ يخفف الضغط عن القلب وقد ابنا ذلك في الكلام على علاج الكوليرا في الجزء الثامن من هذه السنة والصفحة ٧٩٨ وورد الى هذا القطر الآن ان الكوليرا تعالج في نواحي طبرية بالفصد فلا يموت من المصابين سوى واحد في المئة كما ترون في السؤال الخامس

(٨) علاج الكوليرا

ومنهُ . قرأت في باثولوجيَّة الدكتور ڤان ديك انهُ اصيبت كلاب وقطاط بالكوليرا من اكلها اطعمة ممزوجة بالمواد المبرزة من المصابين بها فلماذا لا يجرب الاطباء الفصد او غيرهُ من العلاجات في هذه الحيوانات بعد ان يطعموها مكروب الكوليرا

ج لقد جرَّبوا تجارب كثيرة من هذا القبيل ولكنهم لم يهتدوا حتى الآن الى دواء يشفي دائمًا ثم ان ما يصدق على الحيوانات لا يصدق على الانسان دائمًا بل ان ما يفيد زيدًا قد لا يفيد عمرًا فلا تكفي التجارب في الحيوان . والعلماء الباحثون عن علاج يشفي من الكوليرا يطرقون كل طرق البحث ولا نظن انهم يغفلون عن امر فائدتهُ ظاهرة

(٩) كلمة التلبثي

اسيوط . اسكندر افندي سعد . ذكرتم في تعريب خطبة للسر وليم كروكس عن عالم الارواح في الجزء الثاني عشر من المجلد الثاني والعشرين كلمة التلبثي اي الشعور عن بعد فهل هذه الكلمة عربيَّة او معرَّبة

ج انا نحن عرَّبناها او نقلناها عن الاسم الذي وضع لهذا المعنى باللغات الافرنجيَّة وهو telepathy من تلي باليونانية اي بعيد وباثوس شعور

(١٠) معمل الورق

مصر . احد القرَّاء . ايمكن ان ينشأ معمل لعمل الورق في هذا القطر وكم يلزم لهُ من المال حتى يصنع الورق الكافي لما يطبع في القطر من الكتب والجرائد

ج يمكن ان ينشأ معمل للورق في كل مكان وتختلف النفقات اللازمة لانشائهِ حسب كبرهِ وصغرهِ ونظن ان اربعين الف جنيه تكفي لانشاء معمل معتدل ولكن يتعذَّر علينا ان نجاري اوربَّا في ما يحتاج الى قوَّة بخاريَّة لان لا وقود عندنا ولا قوَّة مائيَّة . ثم ان المواد التي يصنع الورق منها غير موجودة في هذا القطر او لا يوجد منها فيهِ الاَّ الخرَق . والورق الذي يستعمل الآن مصنوع اكثرهُ من الخشب ولا بدَّ من جلب هذا الخشب من اوربا من بلاد النمسا او المانيا او اسوج ونروج فجلب الورق منها ارخص من جلب الخشب لعمل الورق منهُ

(١١) علموا بناتكم الطبخ

ومنهُ . لقد استحسنَّا ما نشرتموهُ في المقتطف تحت عنوان علموا بناتكم الطبخ والنفخ ولكن فاتكم ان تحثوا الطبقة العليا من الاهالي على اجتناب عادة قبيحة اقتبسوها من الاوربيين وهي تعليم بناتهم الرقص ومنعهنَّ عن الطبخ والنفخ لئلاَّ تسود ايديهنَّ فهل من طريقة تمنع اسوداد يدي الفتاة اذا طبخت طعامها بنفسها

ج ان الرقص عادة قديمة عند كل الامم والرقص الافرنجي لا يخلو من النفع اذا كان معتدلاً ولا يخلو من الضرر اذا افرط فيهِ . هذا من حيث الصحَّة اما من حيث الآداب العمومية فالذين يعتادونهُ لا يرون فيهِ شيئاً والاَّ ما استمرُّوا عليهِ الى الآن والذين يستعيبونهُ يسهل عليهم الابتعاد عنهُ لانهُ ليس من ضروريات الحياة ولا من لوازم الكياسة . اما منع البنات عن تعلُّم الطبخ مخافة اسوداد ايديهنَّ فضعف في الراي لاسيما وانهُ لا يتعذَّر على الفتاة ان تباشر كل اعمال منزلها بيديها من غير ان تسودَّا . غير ان الفتيات المترفهات عندهنَّ من الثروة ما يسهّل عليهنَّ استخدام من يطبخ لهنَّ ويجب على الاغنياء ان يستخدموا الفقراء لقضاء اعمالهم والاَّ انحصرت الثروة فيهم ولم تتوزع على غيرهم . والترف لازم لقيام الهيئة الاجتماعية كالاقتصاد لانهُ اذا اقتصد الاغنياء وعملوا كل اعمالهم بايديهم كالفقراء زادت ثروتهم وزاد الفقراء فقراً وهذا يزعزع اركان الهيئة الاجتماعيَّة

(١٢) سم الحامض الكربونيك

اسيوط . ديمتري افندي روفائيل تكلمتم في احدى مقالات المقتطف عن الحامض الكربونيك وقلتم ان الذي يموت مختنقاً بهذا السم لا يشعر بالم . ولكن كثيرين يقولون انهُ لا بدَّ من حدوث آلام عصبيَّة شديدة قبل

الوقوع في حالة التخدير فالمرجو كشف الحقيقة ·

ج لانتذكر اننا تكلمنا عن السم بالحامض الكربونيك لانهُ قلما يسمَّ احد بهِ ويموت ولكن الذين يسمُّون بمركبات الكربون يكون سمهم غالبًا الاكسيد الكربونيك وهم يشعرون اولاً بضيق الصدر وبان عصابة شادة على رؤُوسهم. هذا شعور الذين نجوا من الموت بهِ اما الذين ماتوا فلا نعلم كيف كانوا يشعرون

(١٣) رؤْية الله

الاسكندرية . نجيب افندي جبرائيل نصرالله جاء في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين ما يأتي " فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلاً لانني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي "وقد جاء في الاصحاح الاول من انجيل يوحنا ان " الله لم يرهُ احد قط " فكيف يفسر هذا التناقض الظاهر

ج يقول علماء التفسير ان الذي كان يراهُ الآباء في العهد القديم هو المسيح وانهُ كان يظهر في الجسد

(١٤) تعليم المتزوجة

مصر . مصطفى افندي سعيد . هل يمكن تعليم المرأة الشرقية المتزوجة مبادئ العلوم الضرورية مثل القراءة والكتابة وان كان ذلك ممكناً فاذكروا لنا كيفية تعليمها والكتب اللازمة لذلك

ج اننا لا نرى مانعاً يمنع المرأة الشرقية من تعلم القراءة والكتابة وقد عرفنا نساء شرقيات تعلمنَ القراءة ومنذ بضعة ايام قرأنا مكتوباً كتبتهُ واحدة منهنَّ. وعرفنا ايضاً كثيرات من النساء الانكليزيات والاميركيات تعلمنَ اللغة العربية قراءة وكتابة. واول شيء فعلتهُ زوجة اشهر رجل من الانكليز في هذا القطر انها اتت بمعلمة تعلمها اللغة العربية . فان كانت النساء الاجنبيَّات يتعلمن ان يتكلمن اللغة العربية ويقرأنها ويكتبنها فاحرِ بالنساء الوطنيات ان يتعلمنَ ذلك وهو اسهل عليهنَّ لانهن يتكلمن العربية ويفهمنها جيدًا . اما الكتب فكتب القراءة البسيطة والعبرة ليس بالكتاب بل بالمعلم فالمعلم الماهر في فن التعليم يعلّم في كل كتاب ومن غير كتاب

(١٥) تقميط الاطفال

ومنهُ ومن يوسف افندي بشتلي . هل الاصح للطفل ان يلف لفًّا محكمًا ويربط مع يديهِ كما يفعل السوريون في بلادهم او يترك من غير لف (تقميط) كما يفعل المصريون

ج ان يترك من غير تقميط

(١٦) استحمام الطفل

ومنهُ . ارجو الافادة عن كيفية استحمام الطفل الرضيع

ج قد شرحنا كيفية استحمامهِ اوغسلهِ من حين يولد وذلك في الصفحة ٣٨٨ من المجلد الثاني والعشرين وفي الصفحة ٤٨٤ من مجلد هذه السنة

باب الاخبار العلمية

المدرسة الكلية ورئيسها الجديد

ذكرنا قبلاً أن استاذنا الفاضل الدكتور دانيال بلس استعفى من رئاسة المدرسة الكلية الاميركية وان مديري المدرسة انتخبوا نجله الدكتور هورد بلس رئيساً لها. وقد كُتب الينا من بيروت ان الرئيس الجديد وصل اليها في الحادي عشر من نوفمبر فاستقبلهُ جمهور غفير يتقدمهُ قنصل اميركا الجنرال والدكتور دانيال بلس واساتذة المدرسة الكلية وساروا بهِ الى المدرسة وكان جرسها الكبير يدق مرحباً بهِ

وكان تلامذة اقسام المدرسة وعددهم يزيد على ست مئة تلميذ مصطفين بين القسمين الطبي والعلمي وتلامذة كل قسم من الاستعدادي والعلمي والطبي والصيدلي والتجاري يمتازون بشرائط ملونة وضعوها على صدورهم وباعلام عليها كتابة تخفق فوق رؤوسهم. فلما وصلت مركبة الرئيس الجديد هتف التلامذة كلهم بالدعاء الحميم وساروا حولها. وظهرت اقسام المدرسة في زينات بديعة نسقت فيها الازهار والاغصان الخضراء وسعف النخل والرايات اجمل تنسيق ونصب في ساحتها الكبرى قوسا نصر بينهما دكة للخطابة فوقفت مركبة الرئيس امامها وتبارى الخطباء فناب واحد من تلامذة كل قسم عن رفاقهِ التلامذة وخطبوا بلغات مختلفة واظهروا مزيد سرورهم برئيسهم الجديد ودعوا لهُ بالعيش الرغيد والعمر المديد

ثم صعد الرئيس وخطب في جمع الاساتذة والتلامذة والجماهير المحتشدة باللغة الانكليزية فوقع كلامهُ احسن وقع في النفوس ومما قالهُ: ان كل ما يراهُ من مظاهر الاحتفاء والابتهاج انما هو عائد لوالدهِ الذي صيَّر رئاسة هذه المدرسة الاهمية التي هي عليها اليوم بسعيهِ واجتهادهِ. وشكر لكل الذين ساعدوا والدهُ لجعل هذه الكلية عظيمة خطيرة وخصَّ بالذكر منهم المرحوم الدكتور كرنيليوس فان ديك وجناب الدكتورين ورتبات وبوست ووعد بانهُ يسير على خطة والدهِ في انجاح المدرسة

وكانت دموع المحبة الوالدية والسرور تتساقط على خدي والدهِ الذي كلل رأسهُ البياض في خدمة هذه المدرسة. ولما فرغ من خطبتهِ عانقهُ والدهُ وساروا الى منزلها

وفي المساء ظهرت المدرسة في زينة بديعة وأُطلقت الاسهم النارية

حروف الهجاء في العصر الحجري

بينما كان الناقبون ينقبون في لسكوليس

بلاد تساليا عثروا على اشياء كثيرة من صنع العصر الحجري ومن جملتها نواويس محفوظة تمام الحفظ وقد نقشت على اغطيتها خطوط غريبة ليس كمثلها بين حروف الهجاء المعروفة . فاستدلَّ علماءُ العاديات من ذلك على ان اهل العصر الحجري اصطلحوا على علامات او نقوش يعبرون عن معانيهم بها وبالتالي انهم كانوا يقرأُون فوقع هذا الاكتشاف عند اولئك العلماء وقعاً عظيماً

اصل الحياة

ألَّف فون شاروف كتاباً بالروسيَّة في اصل الحياة ارتأى فيهِ انهُ يمكن رد الافعال الحيوية كلها الى اتحاد دقائق الحديد التي في الاجسام الحيَّة بالاكسجين وبيَّن ان في كل الاجسام الحيَّة دقائق صغيرة فيها حديد اطلق عليها اسم يبونكليين وقال انها هي التي تتحد بالاكسجين فتبدو منها الافعال الحيويَّة على اختلاف انواعها

زلزلة كشغر

كتبَ الى جريدة الستندرد من اودسا ان زلزلة كشغر التي حدثت في ٢٢ اغسطس الماضي كانت افتك مما قيل عنها فانها قتلت ١٧٠٠ نفس في نجني ارتش الى الشمال الشرقي من كشغر وقتلت ٦٠٠ نفس في كشغر نفسها وضواحيها وخربت قرية باش كريم وقتلت سكانها كلهم وعددهم ٥٠٠ وجملة قتلاها ٣٠٠٠ نفس

الوفيات في ايطاليا

ظهر بالاحصاء ان عدد الوفيات في ايطاليا كان ٣٤ وثلث في الالف سنة ١٨٦٧ فبلغ ٢٠ وثمانية اعشار في الالف سنة ١٨٩٩ اي قل نحو ١٣ ونصف في الالف وما ذلك الاَّ لانتشار التدابير الصحية في البلاد وقد زاد عدد السكان بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٩٩ عشرة ملايين نفس واكثر هذه الزيادة ناتج عن هذه التدابير الصحية التي قللت عدد الوفيات

ثوران البراكين

وردت الاخبار من هونولولو في الحادي عشر من نوفمبر ان بركان كيلويا ثار ثوراناً عنيفاً جداً لم يثر مثلهُ منذ عشرين سنة الى الآن . وقد وصفنا هذا البركان وبحيرة النار التي فيهِ في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف. وجاء من ايطاليا ان بركان سترمبولي ثار في ١٦ نوفمبر وقذف الحمم . وحدثت زلزلة في اوران من اعمال الجزائر في السابع عشر من نوفمبر

عظام كولمبس

يقول الاسبانيون ان عظام كولمبس بقيت في سنتودومينيغو حتى سنة ١٧٩٦ ومن ثم نقلت الى هڤانا في كوبا . ولما نشبت الحرب بين اسبانيا واميركا حديثاً نقل الاسبانيون هذه العظام الى اسبانيا ودفنوها باحتفال عظيم في كنيسة اشبيلية الكبرى في السابع

عشر من نوفمبر الماضي . ولكن بعض المحققين يقول ان ما نقل من سنتو دو مينيغو الى هڤانا ليس عظام كولمبس بل عظام ابنهِ وان عظام كولمبس لم تزل في مكانها

بالون لبودي

جُرّب هذا البالون في ننتس بفرنسا في الثالث من نوفمبر وكان الذين ركبوهُ يديرونهُ كيف شاؤُوا و يعودون بهِ الى المكان الذي طار منهُ. وبلغت سرعتهُ ٢٥ ميلاً في الساعة مع انهُ كان يسير ضد الريح

بين الذئب والكلب

اثبت الماجور منرس سمث في مجلّة الجمعيّة الاسيويّة وجود حيوانات متولدة بين الذئاب والكلاب ممّا يدلّ على ان الذئب والكلب من اصل واحد

مصل الحمى القرمزيّة

اكتشف الدكتور موزر من ڤينا مصلاً يشفي من الحمّى القرمزيّة ويقال انهُ جرّبهُ في ٤٠٠ مريض فلم يمت منهم الاّ تسعة في المئة

فتح الخزان

خزان اصوان سدٌّ من البناء طولهُ ميل وربع وعلوهُ ٦٥ قدماً ويزيد على ذلك في بعض اقسامهِ حتى يبلغ ١٣٠ قدماً ومتوسط عرض اساسهِ ٦٠ قدماً وعرض الطريق التي على ظهرهِ ٢٤ قدماً وفيهِ ١٨٠ عيناً مختلفة الاوضاع . ويرتفع سطح الماء بهِ ٤٦ قدماً فيتكوَّن من ذلك بحيرة طولها ١٥٠ ميلاً يجمع فيها من الماء نحو ١١٤٠ مليون طن او متر مكعب وفي الطرف الغربي منهُ ترعة (هويس) لسير السفن فيها خمسة ابواب طول الكبير منها ٥٩ قدماً وعرضهُ ٣٠ قدماً. وقد بلغ عدد العمال في هذا السد نحو عشرة آلاف نفس يوميًّا مدة السنوات الاربع الاخيرة التي اقاموهُ فيها واضيف الى الحجارة الصماء التي بني بها عشرة آلاف طن من الحديد. وقد وُصف بالاسهاب ورسمت صورتهُ في آخر المجلد الرابع والعشرين من المقتطف. وسيحتفل بوضع الحجر الاخير منهُ وفتح نحو ٢٠ عيناً من عيونهِ وفتح الهويس المتصل بهِ يوم الاربعاء في ١٠ دسمبر الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر يحضر هذا الاحتفال الجناب الخديوي ودوق كنوت وزوجتهُ . وكثيرون من العظماء وسنأتي على وصفهِ في الجزء التالي

الآثار البابليّة

اهدى جلالة السلطان الى الدكتور هلبرخت الاميركي جانباً كبيرًا من الآثار البابليّة التي وجدت حديثًا اعترافًا بفضلهِ فوضعها الاستاذ هلبرخت في معرض مدرسة بنسلڤانيا الجامعة باميركا

ميكروبات المثلوجات

يراد بالمثلوجات ما يجمَّد بالبرد الشديد

من لبن ونحوهِ ويسمّى في مصر كريما او جلاتا وفي سورية بوظه . وقد امتحنت ادارة الصحة في مدينة لندن كثيرًا من هذه المثلوجات فوجدت فيها ميكروبات كثيرة بعضها من الميكروبات المرضية كميكروب الاكزيما الخبيثة والميكروبات التي تسبب التهاب المعدة والامعاء

تغير منكب الجوزاء

منكب الجوزاء اسم النجم الاكبر في صورة الجبار من صور النجوم رصدهُ الفلكي هرشل بين سنة ١٨٣٥ و ١٨٤٠ فوجد فيهِ بعض التغير وقد زاد تغيرهُ الآن فزاد اشراقهُ ليلة الخامس عشر من شهر اكتوبر الماضي حتى قارب الشعرى

تلغراف رولند

وصفت السينتفك اميركان التلغراف الذي استنبط اسلوبهُ الاستاذ رولند وهو يطبع الاشارات البرقية طبعًا بحروف مطبعية ويبلغ ما يطبع بهِ ١٩٣٠ حرفًا في الدقيقة الواحدة او ٣٢٠ كلمة . وقد استعملت الحكومة الاميركية هذا التلغراف على خطوط طولها ٥٥٠ ميلاً

موْتمر السل

عقد مؤْتمر السل في برلين وخطب فيهِ الدكتور كوخ عن انتقال عدوى السل من البقر الى البشر فايَّد قولهُ السابق الذي قالهُ في مؤْتمر لندن وهو ان البشر الذين يأكلون لحم البقر المصابة بالسل ويشربون لبنها لا يعدَون بالسل منها

بالون سنتوس ديمون

عزم سنتوس ديمون على عمل بالون يركبهُ ويسير فيهِ فوق باريس من جهة الى اخرى ويكون اصغر من كل بالون صنعهُ قبلهُ يكون طولهُ ١٨ قدمًا فقط ومساحتهُ ٢٦٠ يردًا مكعبة وشكلهُ بيضي قطرهُ الاطول ثلاثة اضعاف قطرهِ الاصغر تمتد منهُ اسلاك معدنية الى السلة التي يجلس فيها وهناك آلة بخارية صغيرة بقوة ثلاثة احصنة ثقلها ٢٦ رطلاً مصريًّا فقط تدير لولبًا ٢٠٠ دورة في الدقيقة فيسير بهِ البالون مسافة ١٨ قدمًا في الثانية من الزمان. وثقل البالون كلهِ مع آلتهِ وسلتهِ ٤٦٠ رطلاً وسيملأ بالهيدروجين

وقد قال سنتوس ديمون للمستر جمس فلَن محافظ سان فرنسسكو السابق انهُ اذا وُجد من يتعهَّد لهُ بدفع مئتي الف ريال فهو يصنع بالونًا على نفقتهِ ويسير بهِ من باريس الى سان فرنسسكو ولا يأخذ المال الا اذا وصل الى سان فرنسسكو سالمًا

الالكتروغراف

او التلغراف الذي تُرسل بهِ الصور فيرسمها رسمًا . استنبطهُ رجل اميركي اسمهُ هبربرت بالمر منذ مدة واصلحهُ الآن اصلاحًا تامًّا وقد رأينا صورة الرئيس مكنلي مرسومة بهِ وهي

واضحة تظهر بها هيئتهُ اتم الظهور . وكيفية نقل الصور بهِ ان ترسم الصورة على صفيحة من الزنك بالحفر الكهربائي كما ترسم للطبع وتلف الصفيحة على اسطوانة تدور امام قلم يمرُّ على كل نقطة منها فيتصل المجرى الكهربائي او ينفصل حسب اتصال القلم بنقطة بارزة او بنقطة محفورة . هذا حيث ترسل الاشارة الكهربائية ويكون على الجانب الآخر حيث تصل الاشارة الكهربائية اسطوانة اخرى مثل هذه عليها ورقة تدور امام قلم فيهِ حبر فكلما اتصل المجرى الكهربائي وقع القلم على الورقة ورسم عليها نقطة او خطاً حسب اتصال المجرى . وحينما ينقطع المجرى يرتفع العلم عن الاسطوانة . ويرسم بهذه الآلة ما طولهُ عقدة من الاسطوانة في الدقيقة من الزمان وطول الاسطوانة ٢٤ عقدة فاذا كانت الصورة تملأُها كلها ارتسمت صورتها في ٢٤ دقيقة . ويمكن ان تكتب مقالة كبيرة وتلف على الاسطوانة فترسل كلها بهذا التلغراف ويكون متوسط ما يرسل منها ٣٠ كلمة في الدقيقة

اكبر المدافع

صنع الاميركيون مدفعاً ثقلهُ ١٣٤ طنًّا وطولهُ خمسين قدماً وثقل قنبلتهِ ٢٣٧٠ رطلاً ولا بدَّ لحشوهِ واطلاقهِ من آلة ثمنها مئة الف ريال ويقال ان قنبلتهُ تعلو في الجو ستة اميال ويبلغ مداها احد عشر ميلاً وتخرق لوحاً من الصلب سمكهُ متر وثمانية سنتمترات وهو اكبر المدافع التي صُنعت حتى الآن واقواها فعلاً ولا شيءَ من الدروع يمتنع عليهِ ولو كان على ستة اميال منهُ

القنديل الكهربائي

حدث اصلاح مهمٌّ جدًّا في القنديل الكهربائي يقلل نفقتهُ نحو خمسين في المئة وذلك باستعمال الخيوط الدقيقة التي استنبطها كروفرد وفلكر . وقد امتحن السر وليم بريس الكهربائي هذا القنديل فوجد انهُ يتوفر بهِ عند اول استعمالهِ نحو ٤٠ في المئة وبعد ما يستعمل ٥٠٠ ساعة يتوفَّر بهِ اكثر من خمسين في المئة وبعدما يستعمل الف ساعة يصير يتوفَّر بهِ نحو ٤٢ في المئة

شمع الشجر

في جبال الاندس باميركا شجر يعلو حتى يبلغ ارتفاعه ٢٠٠ قدم يتولَّد بين خشبهِ وقشرهِ شمع كشمع العسل ويجمع من الشجرة الواحدة عشرون رطلاً الى ثلاثين

المرأة الملتحية

ذكرنا غير مرة امرأَة ذات لحيةٍ طويلة كانت تعرض في المعارض العمومية ويدفع لها في الشهر نحو اربع مئة جنيه . وقد توفيت الآن في مدينة بروكلين باميركا وعمرها ٣٧ سنة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد السابع والعشرين

(٢) المدرسة الصيدلة — مدة التدريس فيها ثلاث سنوات مع الاشتغال العملي في المعمل الكيماوي والتمرين

وقد اعترفت الحكومة العثمانية بالمدرسة الطبية والمدرسة الصيدلية وهي ترسل لجنة من الاطباء لامتحان المنتهين من تلامذتهما . والتلامذة الذين يفوزون في الامتحان ينالون دبلوما المدرسة والدبلوما السلطانية التي تخولهم ممارسة صناعتهم في كل الممالك العثمانية

(٣) المدرسة الكلية العلمية — مدة التدريس فيها اربع سنوات في اللغات والآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية المؤدية الى احراز البكلوريا

(٤) مدرسة التجارة — مدة الدرس ثلاثة سنوات يُعلم فيها مسك الدفاتر واساليب التجارة وقانون التجارة والكيميا الصناعية وعلم الاقتصاد والانكليزية والعربية والتركية والفرنسوية والالمانية واليونانية ونحوها مما يؤهل التلميذ لمعاطاة الاشغال التجارية وينال رتبة البكلوريا في التجارة

(٥) القسم الاستعدادي — مدتهُ خمس سنوات ويعلَّم فيهِ التعليم الابتدائي في العربية والانكليزية والحساب والجغرافية وغير ذلك من العلوم ولا يقبل فيهِ تلميذ عمرهُ اقل من احدى عشر سنة

ولغة التعليم في هذه الاقسام كلها الانكليزية. ومن شاء زيادة الاستعلام عنها والاطلاع على كتابها السنوي فليطلب ذلك من الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت (سورية)

